

الكرد و كردستان

كردستان سوريا
(أنموذجا)

بحث في ضوء منهجية الجغرافيتين السياسية والتاريخية

علي جزيري

www.eli-ciziri.com





كردستان سوريا (أنموذجا)
بحث في ضوء منهجية الجغرافيتين السياسية والتاريخية
علي جزيري



أربيل- ٢٠١٧



من منشورات الاكاديمية الكردية
أربيل- ٢٠١٧

الكُرد وكُردستان
كُرْدِسْـــتان سُـــوريـا
(أنموذجاً)

الكُرد وكُردستان

كُرْدِسْــــتان سُــــوريــا

(أنموذجاً)

بحث في ضوء منهجية الجغرافيتين السياسية والتاريخية

علي جزيري

– الأفكار الواردة في الكتاب تعبر عن وجهة نظر المؤلف،

ولا تعكس بالضرورة اتجاهات الأكاديمية الكوردية.



* عنوان الكتاب: الكُرد وكُردستان – كُرْدِسْتان سُوريــا– (أنموذجاً)
* الكاتب: علي جزيري.
* المشرف الفني والغلاف: عثمان بيرداود.
* تصميم: عصام محسن.
* من مطبوعات الاكاديمية الكوردية، العدد (٣٤٥).
* مطبعة جامعة صلاح الدين – اربيل.
* رقم الايداع في المديرية العامة للمكتبات في اربيل (   ) لسنة ٢٠١٧.

الاهـــداء الى:

* روح الزعيم الخالد **مصـطفى بـارزاني**، الـذي شـق عصـا الطاعـة في مواجهـة الأنظمة المضطِّهدة للأمة الكرديـة، رغـم اسـتماتتها لاخضـاعه بشـتى السـبل، تحـت ذريعة واهية ألا وهي احترام قوانينها الجائرة؛ لكن هيهات، فالاذعان للأمـر الواقـع لم يكن من شيم المناضلين من أمثاله. وتحية خاصة للرئيس **مسـعود بـارزاني**، رئـيس اقليم كردستان، الذي يقود المسيرة على نهج والده بحكمتـه وحنكتـه السياسـيتين، وبرباطة جأش وبعزيمة لا تلين، في أحلك الظروف.

* عالم الاجتماع **اساعيل بيشيكجي**، نصير القضية الكردية وصـديق الشـعب الكردي وسنده لنيل حقوقه القومية، بما فيها حقه في تقرير مصيره بنفسـه، والـذي قضى في السجون التركية سبعة عشر عاماً ونيف جرّاء مواقفه الجريئة في الـدفاع عـن قضايا سياسية عادلة، تأتي القضية الكردية في مقدمتها.

* **أصدقاء الشعب الكردي من العرب المنصفين**، ممـن يسـعون لتمـتين عـرى الأخوة العربية – الكردية، المرتكزة على العمق التـاريخي والجـوار الجغـرافي، وعـنهم على سبيل المثال لا الحصر:

– شاعر العرب الأكبر، العراقي **محمد مهدي الجواهري**، في ملحمته «كردستان يا موطن الأبطال»، والفنانة السورية العملاقة **ميادة حناوي** الـتي أخرجتهـا الى النّـور بحنجرتها الذهبية وصوتها الساحر.

– الشـاعر الفلسـطيني **محمـود درويـش** الـذي أبـدع قصـيدة «كردسـتان»، والنجمة اللبنانية المتألقة **نسرين حميدان** التي نفختْ فيها الروح.

– **عبد الرحمن عزام**، الأمين العام الأسبق للجامعة العربيـة، الـذي قـال يومـاً: على الأمة العربية أن تتيح لأبناء الشعب الكردي الفرصة، كي يقرروا مصـيرهم معنـا بصورة حرة.

* **كربيت خاجو وآرام تيكران** الأرمنيين اللذين عبدا طريق التآخي باثرائهما (الفولكلور) الكردي الغنائي.
* **الأكاديمية الكردية في هولير** والعاملين فيها، وأخص بالذكر رئيسها **ا. د. عبد الفتاح علي بوتاني**، الذي فتح أبواب الأكاديمية أمامي على مصراعيها أثناء تواجدي في هولير، عاصمة اقليم كردستان العراق صيف عام ٢٠١٦، ومدّني بالمراجع التي تعذر عليَّ تأمينها في القامشلي.
* شهداء كردستان الأبرار، وكل الذين قضوا نحبهم على يد جلاوزة ومرتزقة النظام التوتاليتاري في دمشق، وفي مقدمتهم رائد شهداء كردستان سوريا، شهيد نوروز **سليمان آدي** Silêman Adê.

٢٢ نيسان ٢٠١٧ – هولير/ علي جزيري

المقدمة:

ما من شكٍ ان مصطلحَي «الكُرد» و«كُردستان»، اللذين يترددان اليوم بكثرة، كانا من الكلمات المُحَرَّمة على التداول والمقموعة حتى أمرٍ قريب في وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، رغم أن الأمة الكردية تُعَدُّ من أعرق أمم الأرض بحق(١)، ويُعَدُّ الكرد من أعرق شعوب الشرق الأوسط(٢)، وأسبق وجوداً في هذه المنطقة: (من أولى الموجات السامية كالأكديين، ومن المؤكد أنهم أقدم من الآراميين العرب، ولا شك أنهم أقدم من الأتراك الذين لا يزيد عمرهم في آسيا الصغرى على السبعة قرون)(٣).

ولعل الباحث الأرمني أرشاك سافراستيان أصاب كبد الحقيقة حين قال: لا يوجد شعب في العالم، كان ضحية النوايا السيئة، مثل الشعب الكردي. لكن مولتكه(٤) أدرك بحسه المرهف، بأنه من المستحيل أن يُهْزَم الكرد إن توحدت كلمتهم؛ من هنا نفهم المساعي الحثيثة التي بُذِلَت عبر العصور ومازالت تُبذل لتشتيتهم وتمزيقهم، من لدن الطامعين بأرضهم وخيراتهم وموقع بلادهم الاستراتيجي. لكن قلقشندي سبقه في ادراك هذه الحقيقة منوهاً في كتابه «صبح الأعشى»، بدور الكرد، ووصَفَهم بأنهم شعب كبير وقوي، وأنه لولا اقتتالهم لفاضوا على البلاد. أما القاضي شهاب الدين العمري، فجاء في كتابه «التعريف بالمصطلح الشريف» عن الكرد قوله: إنهم خلائق لا تُحصى ولا تُحصر، ولولا أنّ سيف الفتنة بينهم يستحصد قائمهم وينبه نائمهم، لفاضوا على البلاد، واستفاضوا إليهم الطارق

---

(١)– أديب معوض (الدكتور): الأكراد في لبنان وسوريا – عام ١٩٤٥.

(٢)– يُقصد بالشرق الأوسط المنطقة الممتدة من ايران شرقاً، حتى مصر غرباً بما في ذلك كردستان طبعاً.

(٣)– هادي العلوي: مجلة الحوار – العدد ٢٢ شتاء ١٩٩٩.

(٤)– هيلموت فون مولتكه: ألماني، تدرج إلى رتبة مارشال في الجيش البروسي.

والتلاد، ولكنهم رموا بشتات الرأي وتفرق الكلمة، لا يـزال بيـنهم سـيف مسـلول ودم مطلول وعقد نظامٍ محلول وطرفٍ باكٍ بالدماء مبلول. كل ما ذكر يكـاد يكـون نفـس الاحساس الذي انتاب رائد تدوين تـاريخ الكـرد شـرف خـان البدليسـي في سـفره الــ «شرفنامه»، الذي كشف النقاب عن واقع الأمة الكردية ومصيرها، والشـاعر أحمـدى خاني (١٦٥١–١٧٠٧)، الذي سبق له أن أشـار بـدوره إلى مكمـن العلـة لـدى الكـرد، وذلك في ملحمته الشعرية الرائعة «مم و زين»، مما حـدا بـالبعض إلى اعتبـار صـيحته تلك، والتي توخى من خلالها تنبيه الكرد وايقاظهم من ثباتهم العميق، بمثابـة البيـان القومي الكردي الأول[١].

–١–

ان تدخل القوى العظمى في الشأن الكردي قـديم، فعقـب معركـة «جالـديران – آب ١٥١٤» بين الدولة العثمانية وغريمتها الدولـة الصـفوية، قُسِـمَتْ كردسـتان للمـرة **الأولى**[٢] وفق معاهـدة «زهـاو ١٦٣٩» بـين ذينـك الامبراطـوريتين إلى شـطرين (ثلاثـة أرباعها للعثمانيين والربع الباقي للصفويين)[٣]. وبعد ذلك أُكْرِه الفـرس عـن التنـازل

(١)– راجع:(بدايات الشعور القومي في التاريخ الحديث – د. عبدالفتاح علي البوتاني) و(أحمدى خاني – د. عزالدين مصطفى رسول). ملاحظة: طبعاً، لم يكـن الـوعي القـومي بمفهومـه المعاصـر قـد تأصـل بعد.

(٢)– راجع الخريطة رقم ٢.

(٣)– أورد روهات آلاكوم في كتابه الموسوم (الارستقراطيون الكرد) ص١٨ قـائلاً: حـين رجـع السـلطان سليمان القانوني من حملته الشرقية الى استانبول، سـألته والدتـه: يـا بـني، هـا قـد عـدت، تُـرى ألا يحاول الجورجيون والقزلباش شن غارات على مدنك (..!)، والحاق الأذى بـك؟. رد السـلطان: أمـاه، لقد بنيت جداراً قوياً مابين الامبراطورية العثمانية وبين الجورجيين والايرانيين، بحيث لا يمكـن للعـدو الحاق أي أذى بي. وتسأله أمه ثانية: كيف تسنى لك بناء جدار قـوي كمـا وصـفت؟. رد السـلطان: لقد بنيت ذلك الجدار من لحم ودم، لقد سلمت حكم تلك المناطق الى أيدي القبائـل الكرديـة، ونصـبت قوة متينة بامتداد جورجستان حتـى بغـداد والبصـرة وشـهرزور صـفاً واحـداً، بحيـث لا يمكـن للعـدو تخطي الحدود. نقلنا هذا النص من كتاب(كردستان/ والحدود في القرن العشرين – أصليخان يلدرم – ترجمة من الكردية: ابراهيم محمود – مراجعة وتـدقيق د. عبـدالفتاح بوتـاني – الأكاديميـة الكرديـة/ اربيل ٢٠١٦ – ص٥٣). ورغم أنها الحقيقة، الا أنها مرّة كالعلقم، لأن المقتطف السالف الـذكر، يؤكـد بأننا كنا حراس الحدود التي رسمها أعداؤنا، مثلنا في هذا كمثل دودة القز التي تحيط نفسها بخيـوط

عـام ١٨٧٨ عـن جـزءٍ مـن غنيمـتهم لروسـيا القيصـرية، أقصـد منـاطق القفقـاس المسكونة بالكرد، وبعد معاهدة كُليستان ١٨١٣ وتوكمانجامي ١٨٢٨ ومـؤتمر بـرلين ١٨٧٨، انتزعت روسيا مناطق كردية أخرى كانت تحت الهيمنة الايرانية، ناهيـك عـن انتزاعها أجزاء من كردستان العثمانية في القفقاس، فأضـحت كردسـتان بهـذا الشـكل مقسمة بين الامبراطوريات الثلاث حينذاك، ويمكـن اعتبـاره بمثابـة التقسـيم **الثـاني**. وعقب اتفاقية (سايكس – بيكو) عام ١٩١٦ وملحقاتها بين بريطانيا وفرنسا أقـدمت «القابلة الغربية الاستعمارية المرعبة» – وفق وصف الباحث ابراهيم محمـود – علـى تقسيم كردستان الواقعة تحت النفوذ العثماني وترسـيم الحـدود، فألحقتـا جـزءاً مـن تركة الرجل المريض بالعراق وجزءاً آخر بسوريا، أمـا مـا تبقـى فظـل تحـت الهيمنـة التركية، وكان هـذا التقسـيم بمثابـة التقسـيم **الثالـث**[١] لكردسـتان تاريخيـاً؛ فغـدت كردستان مقسمة – منذ تلك اللحظة – بين كل مـن (تركيـا وايـران والعـراق وسـوريا وجمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق)، وحُصنت الحدود عـن طريـق زراعـة الألغـام والأسـلاك الشـائكة المكهربـة، خصوصـاً بـين كردسـتان الشـمالية والجـزء الملحـق بسوريا، وأقيمت مخافر عسكرية على طول الحـدود[٢]، ناهيـك عـن الجـدار الاسمـنتي الفاصل بينهما، وهو قيد الانشاء الآن.

جرّاء هذه الولادة القيصرية، إن صح التعبير، أو جرّاء هذا الالحاق أو التقاسـم أو الضم القسري عقـب تفكـك الامبراطوريـة العثمانيـة، بـدأت الملامـح شـبه النهائيـة للجزء الملحق بسـوريا (كردسـتان سـوريا) تتبلـور تـدريجياً، بعـد أن حكمـت الارادة الدولية على جزء من الشعب الكردي بالعيش مع الشعب العربي في إطـار كيـان جديـد ومُستحدث يُدعى سوريا قسراً، دون أي اعتبار لارادتـه أو احـترام لهـا. ومنـذ إلحـاق هذا الجزء بسوريا، لعب الكرد السوريون دوراً بارزاً في معارك الاستقلال، حتى تُوِّجـت بجلاء القـوات الفرنسـية عـن سـوريا في ١٧ نيسـان عـام ١٩٤٦؛ لكـنْ سـرعان مـا تم

الحرير التي تكبلها، ثم تصبح أسيرة ما أنتجته وحبيس صنيعها، لتموت تاركة الحريـر لمـن يتخـذون منه أثواباً يتباهون بها أمام الملأ...!.

(١)– راجع المصور رقم (٣ـ أ) والخريطة رقم(٤ـ ب).

(٢)– كردستان/ والحدود في القرن العشرين – مصدر سبق ذكره – ص٢١(من مقدمة البروفيسور جليلي جليل).

تجاهل المكون الكردي، رغم مشاركته في النضال من أجل الجلاء، بما فيه مشاركة وحضور بعض وجهائه[1] في المؤتمر السوري الأول، الذي عقد في دمشق في ٣ حزيران ١٩١٩.

لقد كان هذا الجلاء ثمرة التضحيات الجسيمة بحق لكل أطياف الشعب السوري، بانتماءاته ومكوناته القومية والدينية والمذهبية. ومثلما كان للكرد دورهم البارز في مرحلة النضال من أجل نيل سوريا لاستقلالها، كان لهم دورهم المماثل من أجل بنائها وصيانتها والذود عنها في العهد الوطني، إلا أن الحكومات التي تعاقبت على دست الحكم بعد الجلاء تجاهلت الشعب الكردي – كما بينا سابقاً – وتنكرت لدوره الوطني ولأبسط حقوقه القومية المشروعة؛ ومما زاد الطين بلة تلك السياسات التي مورست بحقه بعد مجيء حزب البعث إلى السلطة في ٨ آذار ١٩٦٣، على نحو خاص. فقد دأب النظام – عن سبق الاصرار والتصميم – على تشويه أبسط حقائق التاريخ وتجييرها وفق ايديولوجيته الشمولية المبنية على أساس إلغاء الآخر أو إقصائه بأي ثمن، ناهيك عن تأليب العرب ضد الكرد، عبر نسج ترّهات ما أنزل الله بها من سلطان، كتهمة الانفصالية واقتطاع جزء من سوريا تارة، أو الزعم بأن الكرد ما هم سوى أقلية مهاجرة تارة أخرى، إلى آخر السيناريوهات الشوفينية المحبوكة باتقان في الأقبية الأمنية، بغية تضليل الرأي العام المحلي والاقليمي والدولي، ومن ثم تجريد الكرد من هويتهم وتمرير مشاريعه الاستثنائية القائمة على التهميش والتشويه أو الانكار والانصهار، منتهجاً سياسة تقوم على تنفيذ مشاريع شوفينية، مثل: الاحصاء الاستثنائي الجائر في منطقة الجزيرة عام ١٩٦٢، والحزام العربي، ناهيك عن سياسة التعريب التي طالت البشر والشجر والحجر، بغية تجريد الكردي من كرديته على حد وصف الأديب الكردي سليم بركات، بهدف تغيير المعالم الديموغرافية للمناطق الكردية، وصهر الكرد في نهاية المطاف في بوتقة القومية العربية، وهذا ما دفع ذات يوم بـ (غوستاف لوبون) إلى القول في موقف مشابه: «لو كانت الحجارة قادرة على النطق، لأضحى التاريخ – المقصود هنا التاريخ المكتوب أو الرسمي – كله أكذوبة كبرى».

---

(١)– منهم: عبدالرحمن اليوسف وسعيد رمضان وفاتح المرعشي وابراهيم هنانو وخالد البرازي.

جرّاء تجاهل الشعب الكردي والتنكر لأبسط حقوقه القومية العادلة، وجرّاء ممارسة سياسة القهر القومي ضده بعد الاستقلال (أي في العهد الوطني)، رغم تفاني الكرد كما أسلفنا، انبثق التعبير أو الحامل السياسي (البارتي)، كضرورة تاريخية للتعبير عن تطلعات الشعب الكردي المشروعة في سوريا عام ١٩٥٧. وهو – ومنذ تأسيسه – ينتهج سياسة واقعية وفق برنامج عماده النضال السلمي من أجل انتزاع الحقوق القومية المشروعة للشعب الكردي في سوريا، في إطار وحدة البلاد وإلغاء المشاريع العنصرية والقوانين الاستثنائية الجائرة المطبقة بحقه وتمتين أواصر الأخوة العربية – الكردية، بغية تحقيق الوحدة الوطنية وتعزيزها في مواجهة كافة أشكال التحديات.

يجب القول ان الاستمرار في السياسة الشوفينية المنتهجة منذ عقود في حق شعبنا من لدن الأنظمة المتعاقبة في دمشق لم يعد ممكناً في عالمنا المعاصر، كون السياسة العقيمة هذه، أثبتت الوقائع بطلانها منذ أمدٍ طويل. ففي الوقت الذي يتبجح فيه مروجوها بشعارات الوحدة الوطنية، نجدهم ينسفون مرتكزات هذه الوحدة على صعيد الممارسة من خلال إفتعال الذرائع للنيل منها بأي ثمن، وليس أدل على ما نقول من سياسة البطش التي تمارس ضد شعبنا المسالم وعلى أكثر من صعيد، ناهيك عن الحلول الأمنية لقضايا الوطن والمواطن على حدٍ سواء، وكانت انتفاضة الكرد في ١٢ آذار ٢٠٠٤، رد فعل طبيعي على هذا الصعيد، جرّاء الاحتقان المتراكم خلال عقود. ومن المفيد قوله إن مثل هذه السياسة باتت نتائجها وخيمة ومآلها الخيبة، وخير دليل على ما نقول، السياسة التي انتهجها التوأم – بعث العراق – تجاه القضية الكردية في كردستان الجنوبية، التي لم تحصد سوى الفشل الذريع على مدى عقود.

لا ريب أن هناك ثمة علاقة بين الوحدة الوطنية الحقة والاعتراف بالآخر، أعني العلاقة الجدلية بين الوحدة والتنوع، لأن الشعور بالانتماء إلى وطنٍ، ماهو سوى عصارة التوازن بين طرفي هذه المعادلة بكل تأكيد. فالوحدة الوطنية لن تكون راسخة البنيان البتة، إن لم تحافظ على خصوصيات الآخر وتعترف به وبحقه في الاختلاف، بما في ذلك حقه في تقرير مصيره بنفسه، بل ستكون منخورة ولن تصمد أمام الأزمات والمحن، وهذا ما أكدته وتؤكده الثورة السورية التي انطلقت شرارتها في ١٥ آذار ٢٠١١.

إن قمع الآخر (المختلف)، لم يجلب سوى الهزائم، ومن هنا يمكن استنتاج خلاصة من كل ما قيل مفادها: لن تتحق الوحدة الوطنية بأساليب القهر والزجر والانكار، بل تتحقق في أجواء من الحرية والديمقراطية، حيث يُحترم في ظلهما التنوع الاثني والديني والمذهبي، فالشرق الأوسط بات يحتاج اليوم أكثر من أي يوم مضى: (إلى الديمقراطية بقدر ما يحتاج الكائن البشري إلى الأوكسجين. إن الديمقراطية ليست فقط عملية لتأمين الحرية الشخصية والمدنية، بل هي أيضاً حارس أمين متيقظ للسلام وتعمل لتقويض كل العوامل التي يخلفها الارباك الأصولي)[1]. وقد أصاب الخبير والكاتب الفرنسي البارز (بيير روندو) كبد الحقيقة، حين شخّص الوضع على النحو التالي: القضية الكردية، المفتاح الرئيسي لمشاكل الشرق الأوسط[2].

فلا يمكن إخفاء قبح الممارسات الشوفينية ضد الكرد في سوريا من خلال الأقنعة والماكياجات في ظل العولمة وثورة التكنولوجيا في مجال تطور وسائل التواصل الحديثة التي تتخطى الحدود السياسية دون استئذان، ومن الصعوبة بمكان الترويج لشرعية إقصاء الآخر وتبخيسه، ولم يعد بالامكان انتهاج نفس الأساليب التي كانت تُنْتَهَجُ من ذي قبل كاستعداء العرب على الكرد أو أن يُساس الكرد كالعبيد، بعد رياح التغيير العاصفة في عالمنا المعاصر والتبدلات التي باتت تستوجب إعادة النظر في أنماط التفكير التي أكل عليها الدهر وشرب، فيما يتعلق بالموقف من (الآخر) المختلف. فتأمل مثلاً (اليكس هاليي) كيف عبّر في مقطع من روايته المشهورة «الجذور/ كونتا كنتي» عما سبق قوله، وهو – أعني المقطع – ذو دلالة واضحة في سياق تجسيد الفكر المعاصر بأهمية الحرية وضرورتها:

[يتقدم السيد كاتس – وهو من السلالة البيضاء – من الزنجي توم، ويناديه بعجرفته المعهودة: هاي، أيها الزنجي، جئني بقليل من الماء! . يتطلع توم ناحية سطل الماء، ويمعن النظر في وجه كاتس قبل أن يخطو نحو السطل، ثم يملأ القصعة

(١)– جريدة الشرق الأوسط – العدد ١٣٤٠٩ الأربعاء ١٢ كانون الثاني ١٩٩٤ – جاء هذا القول في الحلقة الثالثة من كتاب الشرق الأوسط الجديد لشمعون بيريز، الذي كان يومها وزير خارجية اسرائيل.

(٢)– نقلاً عن: رينيه موريس كردستان أو الموت – ترجمة وتعليق: جرجيس فتح الله – دار آراس/ اربيل – ط٢عام ١٩٩٩ – ص٢٢.

ويدفعها لكاتس قائلاً: لقد تبدلت الأمور الآن يا سيد كاتس، إعْلَمْ أن السبب الوحيد الذي جعلني أحمل إليك الماء، هو أنني أحمله إلى أي ظامىء. كان توم يتحدث بهدوء. فيناوله كاتس القصعة ويأمره قائلاً: جئني بواحدة أخرى، يا زنجي. أخذ توم القصعة وألقاها في السطل، ومشى دون أن يتطلع وراءه].

أجل، فالعالم من حولنا قد تغير وتبدل كثيراً، ولم يعد بالمستطاع تضليل الرأي العام بحقيقة الحدث التاريخي وصيرورته أو ماحُيكت في منعرجاته من اتفاقيات مجحفة بحق شعبنا الكردي في كل أرجاء كردستان من لدن جهات دولية، حتى أضحى بموجبها الكرد موزعين أرضاً وشعباً بين خمس دول كما أسلفنا. لكن ما زاد الطين بلة، بعد مرور قرنٍ من الزمن على ترسيم آخر الحدود المجزِّئة لأرض الكرد (كردستان) وإلحاقها بالدول المجاورة قسراً، أن يجري إضفاء هالة مقدسة عليها، وهذا لعمري سابقة، تُعَدُّ بحق مبعثاً للسخرية والتندر والتفكه في آن.

- ٢ -

إن البحث الذي نضعه بين يدي القارىء الكريم، يكشف دون مواربة، كيف ساهمت الدول العظمى في تشرذم الكرد، وكيف تواطأت معها عصبة الأمم، وذلك بالتناغم مع الدول الاقليمية، هذا التواطؤ الذي كان منسجماً مع مصالحها في المنطقة طبعاً، وهو – أي البحث – يبين في الوقت نفسه كيف تنكرت الشعوب (العربية والتركية والفارسية)، والتي أكْرِه الكردُ على العيش معها، لأبسط حقوقهم، من خلال صمتها المزري عمّا يجري أو عبر مشاركتها في تنفيذ مخططات مختلف الأنظمة المتحكمة بمصير الكردي المغلوب على أمره.

باختصار، توحي هذه الدراسة من جهة أخرى بأن صاحب الحق لن يلوذ بالصمت، فالحق لن يضيع مهما تقادم عليه الزمن أو مهما تعاظمت حملات التشويه والتزييف التي طالت التاريخ والجغرافية على حدٍ سواء. فالكرد بعنادهم واصرارهم التاريخي، لم ولن يرضخوا لأية سلطة أجنبية، من هنا سرُّ اطلاق الكاتب الأرمني آبوفيان لقب (فرسان الشرق) عليهم، مثلما مدحتهم مجلة (المصور)[1] قائلة: (الشعب الكردي تتأصل فيه الفروسية).

---

(١)– مجلة مصرية – العدد ٢٣٧١، تاريخ ٢٠ مايس ١٩٧٠.

لنستكمل عرض هذه المهزلة، كي نكشف للقاصي والداني خواء القراءات المؤدلجة التي تضخ عبر وسائل الاعلام المكتوبة والمقروءة والمسموعة من موقع الايديولوجيات السائدة في الدول التي ألحقت بها أشلاء كردستان، تلك الايديولوجيات الساعية لتبرير نظام سيطرتها الطبقية أو لتغييب هذا الطابع الطبقي. فها هو السوسيولوجي التركي اسماعيل بيشيكجي، يستنطق تلك الايديولوجيات المبتذلة التي أبحرت في سماوات التجريد وابتعدت عن الواقع العياني لايهام القارىء أو المستمع أو المشاهد وتضليله. يكشف بيشيكجي الستار عن مأزق تلك الايديولوجيات الشوفينية، وينجح في مقاربة الواقع أيما نجاح، وفق رؤية علمية ومنطق سليم يخلو من أي التباس، واصفاً واقع كردستان بأنه أسوأ من واقع مُسْتعْمَرة دولية، ويسوق على هذا الصعيد (أوغندا) كدليل، لأنها كانت عبارة عن مُسْتَعْمَرَة بريطانية، فيقول: (لا تشكل أوغندا جزءاً من بريطانيا، كما لا توجد محاولات لتحويل هذا الشعب إلى شعب بريطاني، وهذا ما يُدركه البريطانيون والأوغنديون على السواء. وعندما حصلت أوغندا على استقلالها من خلال المفاوضات الدستورية في نهاية الستينيات، لم تتغير حدودها. لقد دَشَنَت أوغندا حياة الاستقلال بحدودها المعروفة، وينطبق ذات الشيء على العلاقات فيما بين بريطانيا وكل من الهند ونيوزيلندا وكينيا والصومال وبوتسوانا)[1].

لا نغالي ان قلنا بأن السلطات الحاكمة في الدول التي ألحق بكل واحدة منها جزءاً من كردستان، بما في ذلك الجزء الملحق بسوريا، تمارس القمع والاستعلاء والصهر القومي ضد الكرد، وبالتالي يمكن القول أن هناك فروقات واضحة بين هذا الشكل من الاستعمار وفق وصف بيشيكجي، والنسخة التقليدية من الاستعمار التي تتصف عادة بالبعد الجغرافي بين الجلاد «المستعمِر» والضحية «المستعمَر». فنموذج الاستعمار الناجم عن الالحاق غالباً علاقته في غاية السوء بالضحية، خصوصاً النموذج الشرق أوسطي، لأنه يستميت من أجل "استحمار" الضحية وفق مفهوم تداوله المرحوم علي الوردي في كتاباته. لذا، لا يمكن أن تستقيم العلاقة إلا في حال تمتع الضحية (الكرد هنا) بحقها في تقرير مصيرها، داخل كل دولة وفق المواثيق والعهود الدولية. ناهيك عما سبق وصفه، كانت سياسة الاستعمار التقليدي

---

(١)– اسماعيل بيشيكجي: كردستان مستعمرة دولية – ترجمة: د. زهير عبدالله – عام ١٩٩٩ – ص ٢٠.

تقوم على موضوعة (فرّق تسد)، بينما الاستعمار الالحاقي إن صح التعبير، سياسته قائمة على موضوعة (فرّق ودمّر، تَسُد). ويمضي بيشيكجي قدماً في التفريق بين المستعمرات التقليدية من جهة وكردستان كأرض منهوبة من جهة أخرى، مشيراً إلى إنسحاب البلد الامبريالي «المستعمِر» بعد أن تنمو الهياكل الاقتصادية والسياسية والادارية للمستعمَرة، أما بالنسبة لكردستان، فإن الحل النهائي المفروض على الأمة الكردية يقضي بقاءها وإلى الأبد: (دون هوية، وفي وضع العبيد، مقسمة ومجزأة)[1]، مما نجم عن هذا الحل كرديٌ مُدَجّن أو ذو شخصية تعاني من التشيؤ والاغتراب عن واقعه ومحيطه.

ويسترسل بيشيكجي في القول، ان الاستعمار التقليدي قلما يلجأ إلى التدمير وإبادة البشر، بل سعيه منصبٌ للوصول إلى مصادر المواد الأولية (الخام) والأسواق واليد العاملة، بينما الاستعمار الالحاقي يستميت بشتى السبل لمحو هوية الشعب الذي يستعمره (حلبجة والأنفال في كردستان الجنوبية على سبيل المثال لا الحصر دليلان على هذا القول)، ويلجأ إلى جانب ذلك إلى تطبيق سياسة تقوم على تتريك وتفريس وتعريب الكرد أو صهرهم وتهجيرهم إن إقتضى الأمر. في ظل هذا الاستعباد (واستميحكم العذر ان قلت الاستحمار)، كيف يمكن أن نتصور كردياً يحلم بالمساواة مع التركي والفارسي والعربي، إلا بتخليه – أعني الكردي – عن هويته كرهاً؟ مِن هنا يمكن وصف وضع كردستان بأنه أدنى من وضع مستعمَرة.

وما زاد الطين بلة، أن معظم القوى السياسية والمثقفين ورجال الدين من ترك وفرس وعرب، ظلوا طوال هذه العقود صامتين أمام محَن أخوتهم الكرد، باستثناء بعض الأصوات هنا وهناك، على عكس موقف الفرنسيين مثلاً من نضال الجزائريين، حين وقف إلى جانب جبهة التحرير الجزائرية معظم الفرنسسين، ووجهوا: (انتقادات جماعية للسياسة الاستعمارية لحكومة بلادهم وأفكارها وأعمالها في الجزائر. وبعد أن تَعَرَّفَ الفرنسيون على أفكار فرانس فانون وأنشطته، إزدادت تلك الانتقادات حدة ونطقاً. وساهمت المقدمة التي كتبها جان بول سارتر لكتاب فرانس فانون "المعذبون في الأرض" على نحو حاسم في تغيير موقف الفرنسيين من مسألة

---

(١)– اسماعيل بيشيكجي: مرجع سبق ذكره – ص ٣٢.

الجزائر)[١]. فكان عمداء الكليات الجامعية يناقشون سياسة بلادهم في الجزائر بنبرة يشوبها الخجل، أما الصحافة الفرنسية فكانت تنتقد هذه السياسة بكل جرأة وتشيد بكفاح الشعب الجزائري من أجل الاستقلال.

ويمضي بيشيكجي قدماً في القول: (لم يقتصر اتخاذ مثل هذا الموقف الايجابي من الكفاح التحرري للشعوب على الفرنسيين فحسب، إذ وقف المثقفون الأمريكان أيضاً في الستينات إلى جانب حركة التحرر الوطني في فيتنام، وانتقدوا سياسة الحكومة الأمريكية في فيتنام وأيدوا كفاح الفيتكونغ)[٢].

هاهنا تكمن المفارقة، أي في السياسة الرسمية لكل الدول التي تقتسم اليوم بلاد الكرد، تلك التي روضت المعارضة السياسية، وطبعت الصحافة والاعلام، والجامعات، ورجال الدين بطابعها، حتى أضحت جميعها مطية لنشر ايديولوجية النظم الحاكمة وتُرّهاتها، وأخذت تروّج كأية شعبة من شُعَبِ المخابرات في بلادها أضاليل يشيب لهولها الولدان. ليس هذا فحسب بل نجد الأمم المتحدة ومنظماتها المتخصصة هي الأخرى تكيل بمكيالين، فمن جهة وجدناها كيف اتخذت قرارات لادانة سياسة التمييز العنصري المقيتة في جنوب افريقيا أو تلك التي انتهجتها اسرائيل في حق الفلسطينيين، ومن جهة أخرى نراها تغضُّ الطرف عن تلك السياسة التي تمارس ضد الكرد والجرائم التي تُرتكب بحقهم في كل أرجاء كردستان. ومما زاد الطين بلة أن العديد من رجال الدين المسلمين في تلك الدول التي ألحقت بها أجزاء كردستان الممزقة، كانوا لا يكفّون في المساجد عن ترديد اسطوانتهم الممجوجة (أعني ضرورة أن يكون المرء مسلماً)، وهؤلاء الشيوخ والملالي – باستثناء قلة قليلة منهم – كانوا لسان حال الأنظمة ويتلون ايديولوجيتها الرسمية ويستخدمون: (الدين لعرقلة الوعي الوطني الكردي)[٣].

---

(١)– اسماعيل بيشيكجي: مرجع سبق ذكره – ص١٠٤.

(٢)– المصدر السابق – ص١٠٥.

(٣)– اسماعيل بيشيكجي: مرجع سبق ذكره – ص ٧٧. أعتقد أن المقصود هو الوعي القومي وليس الوعي الوطني كما ورد في الترجمة، فالوعي القومي يتناسب مع سياق الموضوع الذي تناوله المؤلف، كما أن دلالة المصطلحين متباينة، ولتعذر الاطلاع على النص الأصلي الذي كتبه بيشيكجي، أوردنا(الوعي الوطني) كما ورد في النص المترجم للدكتور زهير عبدالله من باب الأمانة.

أما البلاشفة، فقد وقفوا بدورهم موقف المتفرج إزاء تجزئة كردستان بعد الحرب العالمية الأولى، لا بل عقدوا اتفاقيات صداقة وتعاون مع أتاتورك، وهذا يجرنا إلى القول بأن محاولة التماهي بشعارات حق الأمم في تقرير مصيرها بنفسها – ذاك الحق الذي دافع عنه لينين في وجه روزا لوكسمبورغ ذات يوم – ذهبت أدراج الرياح، حين تعارضت مع مصالح الدولة الاشتراكية الأولى في التاريخ، التي كان يُفترض أن تناصر قضايا الشعوب المغلوبة على أمرها، وفي مقدمتها القضية الكردية. لا يمكن تبرئة الاتحاد السوفييتي الذي: (لم يتحمل مسؤولياته التاريخية كما ينبغي ازاء الشعب الكردي، خاصة في كردستان تركيا، واتخاذه موقف "الحياد" ازاء الدولة التركية والأكراد، وأي حياد هذا اذا اتخذتَ موقفَ المتفرجِ مع كل ما تُعلنهُ من مبادىء أممية والتزام بمراعاة حقوق شعوب الأرض قاطبة، صغيرها وكبيرها، ازاء الجلاد والضحية، في حفلة اعدام تُدرك مسبقاً نتيجتها، وذلك مقابل علاقات تكتيكية تحقق هذه المصلحة الآنية أو تلك)[1].

في ذات الوقت، يجب ألا ننسى تلك الفئة الكردية من محترفي السياسة، التي ارتبطت مصالحها مع مصالح دول المركز، أعني الأنظمة المستبدة التي تتحكم بمصير الكرد، والتي أسْتُدرِجَتْ لتمارس كل أشكال المداهنة والتهاون والتخاذل والخسة والعهر السياسي، بما في ذلك معاداة بني جلدتها بثمن بخس، ويبدو أن موقفاً مماثلاً لموقف هذه الفئة قد دفع بمارتن لوثر كينغ الى القول: (لا يستطيع أحد اعتلاء ظهرك، الا اذا انحنيت).

وقد أشار الاستاذ محمد جزاع (بوشكين: اسمه الحركي)، في سياق رده الهادىء على منذر الموصلّي، إلى تلك الفئة الكردية الممسوخة، التي تنكرت لذاتها القومية تحت ذريعة شعارات وطنية واهية، وتغلّبت عليها دوافعها الشخصية فانفصلت عن مجتمعها، مشيراً في الوقت نفسه بأنها كانت أشد بلاءً على الشعب الكردي وإنكاراً لحقوقه القومية. وأضاف: وحرصاً من هذه الفئة على مصالحها الذاتية وخشية أن تثار حولها الشكوك فتفقد امتيازاتها، كانت أشد تطرفاً من البعثي العربي، واستشهد في هذا السياق بموقف الكردي علي صالح السعدي، أبرز

---

(١)– عبدالباسط سيدا (الدكتور): المسألة الكردية في سوريا/ فصول منسية من معاناة مستمرة – ص٥١.

رؤوس انقلاب شباط ١٩٦٣ في العراق. لكن على هذا الصعيد يقتضي الانصاف التمييز بين موقف كوكبة من أمثال الشيخ سعيد بيران من جهة، وموقف أمثال الشيخ أرفاسي من جهة أخرى. فمن نافل القول أن الشيخ سعيد مثلاً دفع حياته شنقاً في سبيل الحرية، كما نفت تركيا أسرته وصادرت ممتلكاته؛ أما الشيخ أرفاسي الذي تنكر لهويته القومية: (فقد حصل على ثمن عمالته من مصطفى كمال أولاً، ومن خَلَفِه عصمت اينونو ثانياً. وينبغي القول أنه عُيِّن نائباً في البرلمان التركي مرات ومرات، في الأعوام: ١٩٢٠ و١٩٢٩ و ١٩٢٧ و١٩٣١ و ١٩٣٥ و١٩٣٩ و١٩٤٣ و١٩٤٦، وتلقى بالاضافة إلى ذلك مختلف أشكال المنح المالية، وكانت الدولة تسمح لأمثال هؤلاء الشيوخ بالاستحواذ على الممتلكات العقارية التي تركها المهجّرون من الأرمن والأكراد، بل كانوا يشجعونهم على ذلك)[1]. وسبق أن أطلق الدكتور أحمد محمود الخليل على هذه الظاهرة تسمية الانمساخ[2]، وساق على هذا الصعيد اسم عالم الاجتماع المتميز في التمسخ (محمد زيا/ ضياء)، المولود في آمد/ دياربكر من أب كردي، والذي هَجَرَ اسمه واتخذ اسماً تركياً (كوك ألب) وتنكر لأصله. وهناك ممن مارس هذه الظاهرة (الاسْتِتْراك)[3] من أمثال: سليمان نظيف باشا، الذي لم يتمهل كي تصل الموافقة من استانبول لتنفيذ حكم الاعدام بحق الشيخ عبدالسلام بارزاني عام ١٩١٤ في الموصل، وكذلك عصمت إينونو مهندس الصهر القومي ضد الكرد ومعاهدة لوزان في آن، ومثلهما خالد بكداش الذي سبق له أن قال في كتاب أصدره الحزب الشيوعي السوري عام ١٩٩٣ وفي حوار أجراه معه عماد ندّاف:

---

(١)– اساعيل بيشيكجي: مرجع سبق ذكره – ص١٢١.

(٢)– الانمساخ: إنْمَسَخَ انْمِساخاً، وإنمسخت العضد: قل لحمها. والمَسْخ: مصدر مَسَخ والمَسْخُ: تحويل صورة ما إلى أقبح منها؛ وفي التهذيب: تحويل خلق إلى صورة أخرى؛ مسخه الله قرداً يمسّخه وهو مسخ ومسيخ، وكذلك المشوه الخلق. يمكن للقارىء للتعرف أكثر على الشخصيات الكافكاوية أو التحول الكافكاوي أو ظاهرة الانمساخ العودة إلى رواية (المسخ) القصيرة لـ: فرانز كافكا، تلك التي نشرت عام ١٩١٥، والتي قرأها غابرييل غارسيا ماركيز فحفزته الولوج في عالم الرواية. يقول كافكا:"تخيل أن تستيقظ من النوم، لتجد نفسك وقد تحولت إلى حشرة !"، بهذه العبارة يفتتح كافكا روايته. فحين يستيقظ غريغوري سامسا، بطل الرواية، في أحد الأيام، يرى نفسه وقد تحول إلى حشرة (صرصار، جُعل).

(٣)ـ أي ادّعى أنه تركي، ومثلها الاستعراب والاستفراس.. الخ.

(عندما ذهبت إلى موسكو لأول مرة عام ١٩٣٤، وكان عمري ٢٢ سنة، وكان ذلك بدعوة من الكومنترن؛ سُئلت – وأنا معروف إنني من سوريا – ماهي قوميتك؟ فقلت لهم: عربي)، ويمضي بكداش قدماً وهو يوضح للرئيس السوري السابق حافظ الأسد مفتخراً بأنه من العرب المستعربة..!. أما الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، فيكفي القول أنه وضع نسبه تحت قدمه بعظمة لسانه، ولن ننسى محمد كرد علي، الذي سبق محمد طلب هلال حين أومأ للمعنيين بنقل كرد الجزيرة تفادياً لكل عادية في المستقبل !. وكذلك حسني برازي رئيس الوزراء ووزير الداخلية ووزير المعارف ومحافظ لواء الاسكندرونة قبل أن تلحق بتركيا، وابن عمه محسن البرازي الذي ترأس بدوره الوزارة، وابن عمتهما أديب الشيشكلي، وكذلك الرئيس محمد علي العابد[1] وحسني الزعيم وفوزي سلو، فهم جميعاً غاية في الانغماس بالانمساخ. فيذكر حسني البرازي كيف استدعاهم[2] جمال باشا السفاح اثر مظاهرة احتجاجية عقب ايداع عزيز علي المصري في السجن، فحين امتثلوا أمام جمال باشا، سألهم: بأية صفة تتكلمون؟. فأجابه حسني البرازي – رئيس الوفد – قائلاً: بصفة كوننا عرباً، وبصفة كوننا شباب عرب ندرس ونسعى لتأمين حقوق البلاد العربية. وحين سُئل من قبل الجامعة الأمريكية[3] عام ١٩٦٩: هل باستطاعتك حسني بك أن تخبرنا عن المطالب التي طلبتموها من جمال باشا؟. أجاب: قلنا له ان لنا كياننا العربي وان لغتنا هي العربية.. لذلك نريد حكماً قومياً عربياً في بلادنا ضمن اطار عثماني، لأن لأمتنا ماض مجيد وتاريخ ناصع، فلا يجوز أن تطمس معالم تاريخها وأمجادها)[4].

ورغم كل هذا الانمساخ والتمسح بأهداب العروبة من لدن حسني الزعيم وأمثاله، أتهم – خلافاً للحقيقة – بالسعي لتأسيس دولة كردية، مثله في هذا كمثل بكر صدقي قائد انقلاب ١٩٣٦ في العراق، رغم أن أي من هؤلاء: (لم يترك خلفه ما يدل صراحة

---

(١)– راجع الملحق رقم ٢.

(٢)– هو وعادل أرسلان ورابع الكيخيا وسعدالله الجابري وشكري العسلي وعبدالوهاب الإنكليزي وآخرين.

(٣)– سُئل من قبل قسم التاريخ – كلية دراسات الشرق الأوسط في بيروت.

(٤)– مذكرات دولة الرئيس حسني بك البرازي: رئيس الوزراء السوري الأسبق ١٨٩٥– ١٩٧٥ – مراجعة وهوامش علي صالح الميراني وتقديم د. عبدالفتاح علي البوتاني – من منشورات الأكاديمية الكردية – اربيل٢٠١١ – ص١٨و١٩.

على أصوله الكردية، أو الكشف عن حقيقة مواقفه تجاه أبناء جلدته الكرد في سوريا، ومدى ارتباط علاقاته الشخصية – ان وجدت – برموز الحركة القومية الكردية في سوريا وفي أجزاء كردستان الأخرى، على عكس بقية الساسة السوريين، الذين كتب البعض منهم مذكراته الشخصية من عدة أجزاء، كما فعل السياسي السوري خالد العظم وأكرم الحوراني مثلاً[١].

أما إبراهيم هنانو، وهو أحد أعضاء الكتلة الوطنية في عهد الانتداب، والذي انتخب عام ١٩٣٢ زعيماً لها، فقد عُين رئيساً للجنة الدستور في الجمعية التأسيسية بغية وضع دستور للبلاد، وجاء في المادة (٢٨) منه: حقوق الأقليات الدينية محفوظة، ولهذه الأقليات حق انشاء المدارس لتعليم أطفالها لغاتها، على ألا تخالف بذلك المناهج العامة التي تعين قانوناً. وبهذا الشكل، وبجرة قلم تم تجاهل حقوق الاثنيات القومية وفي مقدمتها الشعب الكردي..!.

لقد حفزني هذا الواقع المزري حقيقة على كتابة هذا البحث، فتحملت عناء هذه الحفريات السوسيولوجية للسلطات (الوطنية) وبطانتها من أمثال هؤلاء من قرود الكرد، ناهيك عن سدنة الدين منهم، ممن طرقوا كل باب للارتزاق سبيلاً، تحت يافطة الوطنية تارة أو دفاعاً عن الإسلام تارة أخرى.

يمضي أحمد الخليل في الاشارة إلى سفر الخيانة عبر تاريخنا الكردي، منوهاً في الوقت نفسه أن كل الانتكاسات والهزائم الكردية كانت بفعل العامل الداخلي (الرئيس) أولاً، وكان هارباك الميدي – الذي أطال هيرودُت الحديثَ عن تفاصيل خيانته – والذي كان قائداً عاماً للجيش في عهد الملك الميدي أستياك، قد جمع كبار رجال الدين والسياسة والجيش، وتحالف سراً مع كورش الفارسي وحثه على مهاجمة العاصمة أكباتانا عام ٥٥٠ ق.م، وأسَرَ الملك أستياك وزجّه في السجن، مما أضحت مملكة ميديا غنيمة للفرس[٢].

وقد سبق للعثمانيين أن اتبعوا طرائق لاثارة التناقضات وتفاقمها بين الكرد والأرمن تارة وبين الكرد والكرد تارة أخرى، عبر إنشاء «فرسان الحميدية»عام

---

(١)– من مقدمة د. عبد الفتاح علي البوتاني لمذكرات دولة الرئيس حسني بك البرازي/ رئيس الوزراء السوري الأسبق – المصدر السابق نفسه – ص٦و٧.

(٢)– أحمد محمود الخليل(الدكتور): الشخصية الكردية/ دراسة سوسيولوجية – اربيل ٢٠١٣ – ص٢٧٧.

١٨٩١. أما الميكيافيلي كمال أتاتورك أو الذئب الأغبر، فأتبع أساليب تهون أمامها سياسة التتريك في ظل الدولة العثمانية، مما دفع جواهر لال نهرو إلى انتقاد هذا السلوك المريب إزاء الكرد وفضْحِ الرياء التركي، معبراً عن موقفه هذا في كتابه «لمحات من تاريخ العالم»، الذي صدر عام ١٩٣٥، ومما جاء فيه: (إن الأتراك الذين كانوا قد حصلوا تواً على حريتهم، قد أقدموا على حملة إبادة جماعية للكرد الذين كانوا يبحثون بدورهم عن حريتهم. أليس غريباً أن تتطور حركة قومية ذات طابع دفاعي وتتحول إلى حركة قومية عدوانية الطابع؟ أليس من الغريب أن يتحول كفاح في سبيل نيل الاستقلال إلى صراع يستهدف اضطهاد الآخرين؟. ولكن، كيف يمكن للمرء أن يصدق بامكانية الاستمرار في اتباع سياسة اضطهاد شعب مصرّ على نيل استقلاله ومستعد لتقديم التضحيات اللازمة، مهما غلت، في سبيل تحقيق ذلك؟)[١].

وبعد الثورة الاسلامية في ايران (ثورة الخميني ١٩٧٩)، توجه وفد كردي ضخم إلى طهران، ضم رجال السياسة والدين وزعماء العشائر من كافة مناطق كردستان الشرقية (الايرانية)، لتهنئة الإمام والمطالبة بالحكم الذاتي الذي كانوا يناضلون من أجله في عهد الشاه المقبور، لكنه ردَّهم على أعقابهم وأبلغهم بصريح العبارة، بأنه لن يسمح لهم بالتمثيل في مجلس الشورى: (كونهم سنة، ولأن عضوية برلمان المؤمنين، سوف تكون مقتصرة على الشيعة فقط)[٢]، وكان هذا الموقف كافٍ لاستئناف الثورة من قبل الكرد ضد النظام الجديد في طهران. يضاف إلى ذلك اعتبار الامام الخميني النزعة القومية كمصدر لجميع مآسي المسلمين، قال: (إن أولئك الذين يريدون احياء فكرة القومية، يقفون بوجه الاسلام)[٣]، وليس هذا بغريب، فالقومية وفق وجهة نظر مريديه من أمثال الدكتور محمد علي نقوي: (مذهب صدّره الاستعمار إلى البلدان الإسلامية، لتحطيم وحدة العالم الاسلامي)[٤]، ويمضى الـ (نقوي) الى أبعد من ذلك، حين يخوّنَ الشريف حسين (شريف مكة)، الذي بدأ بالتمرد القومي العربي ضد تركيا، ويصنفه في عداد عملاء الانكليز..!

---

(١)– غونتر دشنر(الدكتور): أحفاد صلاح الدين الأيوبي/ الكرد: الشعب الذي يتعرض للخيانة والغدر – دهوك عام ٢٠٠٠ – ص ١٠٧.

(٢)– نفس المصدر السابق – ص ١٤٨.

(٣)– الامام الخميني، يوم القدس العالمي ١٩٧٩.

(٤)– محمد علي نقوي(الدكتور): الاسلام والقومية – منظمة الاعلام الاسلامي/ قسم العلاقات الدولية/ طهران – الجمهورية الاسلامية في ايران – ط١ ربيع الثاني ١٤٠٤هـ – ص٣١.

ويصاب الدكتور عصمت شريف وانلي بالخيبة حينما يلتقي بآية الله الخميني بعد الثورة في (قُم)، فيقول: طلبتُ منه مساعدة الشعب الكردي كونه مسلم مظلوم، والتمستُ في ذات الوقت إيقاف الحرب ضد الشعب الكردي في ايران. فرَدَّ الخميني: ان طريق الشعب الكردي للخلاص هو طريق الثورة الإسلامية[١].

- ٣ -

بعد التقسيم الثالث لكردستان، تشتت الكرد جرّاء إلحاق وطنهم بخمس دول، فكان هذا التقسيم بداية نشوء الـ «مشكلات» الكردية، أي مشكلة في كل دولة من الدول التي ألحق بكل واحدة منها جزء من كردستان. وتعمدت هذه الدول أن تضفي عليها تسمية الـ (مشكلة)، وادّعت بأنها نشأت جرّاء تدخل خارجي تارة أو أنها قضية داخلية لا شأن للآخرين بها تارة أخرى. ولو عدنا إلى المنجد في اللغة والاعلام، سنجد أن (المُشْكِل) أو (المُشْكِلَة) جمعها مشاكل ومشكلات، وهي تعني الأمر الصعب أو الملتبس، أما الحكومات المتعاقبة في سوريا مثلاً، ومنذ فجر الاستقلال، فقد تنكرت حتى لوجود هكذا مشكلة، وادّعت بأن الكرد ما هم سوى أقلية صغيرة جداً، قَدِمَت من تركيا عقب ثورة الشيخ سعيد ١٩٢٥ وما تلتها من انتفاضات؛ وما عزز هذا الادّعاء لدى الأقلام الشوفينية، من أمثال: الدكتور سهيل زكار ومنذر الموصلي، في المضي للتطبيل على مثل هذه الترهات ما أفاد به عبدالله أوجلان في الآونة الأخيرة[٢]، وقل الشيء ذاته بالنسبة إلى جلال الطالباني الذي قال في لقاء مع صحيفة المحرر نيوز[٣] بدمشق: (الأكراد هنا – يقصد سوريا – أكثر اندماجاً في الحياة الوطنية والاجتماعية، ولم يحدث قط أن منع كردي من ممارسة حقه الوطني لأنه كردي أو منع من الحديث باللغة الكردية... لا اضطهاد هنا للأكراد، ومن هنا فانك لاتجد أثراً للمشكلة الكردية)، كما نشرت صحيفتا (الحياة والشرق الأوسط)[٤]

---

(١)– من مذكرات عصمت شريف وانلي – منشورات مؤسسة(زين Jîn) لاحياء التراث الوثائقي والصحفي الكردي – السليمانية – ط١عام ٢٠١٤ – ص٥٦.

(٢)– راجع: كتاب(سبعة أيام مع آبو/ قائد وشعب)، وهو عبارة عن حوار أجراه نبيل ملحم مع أوجلان.

(٣)– ينظر: العدد ١٦٨. وقد تبوأ السيد جلال الطالباني بعد اسقاط صدام حسين رئاسة جمهورية العراق الفدرالي.

(٤)– في ١٩٩٣/٢/١٩.

تصريحاً آخر لـه، جـاء فيـه: (ان المشـكلة الكرديـة الأساسـية هـي في ايـران وتركيـا والعراق، حيث يعيش أكثر من ٢٠ مليون كردي محرومين من حقوقهم الأساسية. أمـا في سـوريا، ومنـذ قيـام الحركـة التصـحيحية بقيـادة الـرئيس حـافظ الأسـد، فـان المواطنين الأكراد يتمتعون بحقوق المواطنة كاملة)[١]. لذا ترى كيف يتباهى النظام اليوم – وكله ثقة – بأن ليست هنا ثمة مشكلة كردية في سوريا، فضـلاً عـن تبجحـه بأن الكرد لا يشكلون مجموعة متميزة وفق زعمه: (لأنهم موجودون في مختلف أرجاء البلد، ويشكلون جزءاً من نسيج المجتمع السوري)[٢]، بمعنى أنهم موزعون في أمـاكن متفرقة، وبالتالي هم أقلية طارئة، وفق مـا وصـفه منـذر الموصـلي في كتابـه «عـرب وأكراد».

وقد أنكرت تركيا بدورها الوجود الكردي، واعتبرت الكرد (أتراك الجبال) ممـن تقطعت بهم السبل. وهناك طرفة تُروى منذ أن بثت إذاعة كردية برامجها من القاهرة، وكانت موجهة إلى أنحاء شتى من كردستان، إبان عهـد الـرئيس الراحـل جمـال عبـد الناصر عام ١٩٥٧. فيقال بأن السفير التركي في القاهرة احـتجَّ علـى فتحهـا يومـذاك، فما كان مـن عبـد الناصـر إلا أن اسـتدعاه وسـأله: أيوجـد في تركيـا كـرد؟. أجابـه السفير التركي على الفور: لا ياسيدي. وهنا انتهز ناصـر الفرصـة وتسـاءل بسـخرية: فلِمَ إذن هذا الاحتجاج ؟!.

أما ايران، فقد فرضت اللغة الفارسية تحت زعم أنها لغة كل الايرانيين، رغم أن الفرس لا يشكلون سوى أقل من٤٠٪ من سكان ايران، ومن تبقى هم: كـرد وأذريـون وعرب وبلوش وتركمان...الخ. وخلافاً لما يزعم في تركيـا، يمكـن القـول أنـه لم يكـن هناك إنكار للهوية الكردية في العهد الشاهنشـاهي: (لكـن ثمـة اصـرار علـى إخضـاعها لايديولوجيـة توحيـد الأمـة الايرانيـة وتجانسـها !. وفي هـذا السـياق بقـي الاخـتلاف المذهبي عاملاً هاماً في تميز الشخصية الكردية، علـى اعتبـار أن أغلبيـة الأكـراد مـن السنة، بينما الايرانيون – المقصود الفرس/ مني – من الشيعة)[٣].

---

(١)– راجع: صلاح بدرالدين يتذكر – التنوير/ بيروت ٢٠١١ – ص١٢٥.

(٢)– ماريانا خارادوكي: الكرد والسياسة الخارجية الأمريكية – دار الفـارابي/ بـيروت ودار آراس/ أربيـل – ص ٢٩.

(٣)– ديفيد مكدول: تاريخ الأكـراد الحـديث – دار الفـارابي – ترجمـة: راج آل – ط١ عـام ٢٠٠٤ – ص ٣٣.

واعتبر العراق في الآونة الأخيرة (عهد البعث) بأن الكرد يقطنون أرضاً تعد جزءاً من الوطن العربي، ورغم الانفراج الحاصل بعد ١٤ تموز ومجيء عبدالكريم قاسم والاعتراف بالوجود القومي للكرد والتأكيد على الشراكة في المادة الثالثة، فان المادة الثانية من الدستور نصت على أن العراق جزء من الأمة العربية، ولا يُخفى التناقض هاهنا، لأن: (العراق العربي فقط هو جزء من الأمة العربية، في حين أن كردستان العراق هي جزء من الأمة الكردية التي قسمها الاستعمار)[1]، وهكذا حُكِمَ على الكرد في كل من سوريا والعراق العيش في مناخ سياسي محكوم بالطابع العربي، على المبدأ الساخر: «كلنا أخوة، كلنا عرب»..!.

يجدر الذكر أن الكرد واجهوا في كل الدول التي ألحقت بها أجزاء كردستان وأشلاءها، سياسة تقوم على التتريك والتفريس والتعريب، سداتها ولحمتها تقومان على تجريد الكرد من كرديتهم بشتى الوسائل، أقلها وطأة فزاعة «الأقلية» على أقل تقدير. ويحضرني في هذا السياق كتاب أصدره منذ سنوات الدكتور برهان غليون، وهو من أقطاب المعارضة السورية اليوم، تناول فيه قضايا شعوب مثل الكرد والأمازيغ والأقباط وجنوب السودان وقضايا أنصار الأديان في الوطن العربي واصماً إياها جميعاً بالأقليات الاثنية والدينية، بمعنى أنه لجأ الى تقزيمها تحت يافطة مفهوم الأقلية، لأن الأقلية وفق الايديولوجيات الشوفينية تعني مجموعة من الناس الطارئين على أرض الغير، فمن خلال هذا المنظور أو هذا التصنيف، قزموا القضية الكردية هنا وهناك، للتهرب من الاستحقاقات التاريخية المترتبة، رغم أن الكُرد من أكبر الأمم في الشرق الأوسط ويعيشون على أرضهم التاريخية، فلا يُخفى إذاً ما في هذا الأمر من إجحاف وغبن.

أما الدكتورعبد الباسط سيدا، وهو كردي ومن أقطاب المعارضة السورية أيضاً، فقد ألف كتاباً عن الكرد في سوريا، تحت عنوان: «المسألة الكردية في سوريا/ فصول منسية من معاناة مستمرة»، ويبدو أنه كان في اختياره هذا محكوماً باعتبارات السياسة أو بالأجواء التي كانت سائدة في سوريا حينذاك، رغم أنه برّر وفضّل في سياق الكتاب استخدام مصطلح «كردستان سوريا» أسوة بـ (كردستان العراق) أو مصطلح (كردستان الغربية) الدارج اليوم بعد أن قام P.Y.D بتسويقه.

---

(١)– من مذكرات عصمت شريف وانلي – مصدر سبق ذكره – ص٣١.

ويتساءل سيدا: كردستان سوريا أم مناطق كردية في سوريا؟. ثم يجيب: إن التحليل اللغوي الدلالي لهذين المصطلحين يكشف التطابق بينهما. فالأول، هو المصطلح الكردي الذي يعني الأرض الكردية في سوريا، وهذه الأرض كما هي عليه في واقع الحال مقسمة إلى ثلاث مناطق، هي ثمرة الولادة القيصرية التي فرضتها القوى العظمى. أما الثاني، فهو يمثل الترجمة العربية لمقابله الكردي، ومن الملاحظ أن الاتجاه العام لدى الفصائل الكردية يميل الى اعتماد المصطلح الثاني، كونه أقل إثارة للنزعات الشوفينية. إلا أنه في ظل السعي المستمر لفرض التعريب الشمولي ومحاولة إنكار الوجود الكردي، ارتأى أنه من المناسب التشديد على المصطلح الكردي، كونه أكثر وضوحاً وتحديداً. كما أنه رأى من الطبيعي جداً أن يطلق الكرد اسماً بلغتهم على أرضهم، فذلك يعتبر من الحقوق البديهية في عالم اليوم[١].

لكن مفهوم «مناطق كردية في سوريا» الذي درجت حتى بعض الأوساط السياسية الكردية على ترديده أو ترويجه كيلا تثير حنق النظام، ربما اقتبس من أمثال (ستيفان فينتر). فهناك منطقة تربط الجزيرة بكوبانى متفاوتة الاتساع، وأخرى تربط كوبانى بعفرين، انتهاءً بجبل الأكراد[٢] المشرف على المتوسط، رغم ترقيقها جرّاء سياسات التعريب التي طالت عموم كردستان سوريا، مما بات تسويق مثل هذا المفهوم يعد شكلاً من أشكال الانجرار وراء طعم، لأن الاقليم الكردي الذي يشكل قوام كردستان سوريا، عبارة عن وحدة جغرافية متجانسة ومتواصلة، رغم الاختراقات والتعريب والترقيق والانحسار الذي طال بعض مواقعه.

ويمضي سيدا: (أما مصطلح كردستان الغربية، فهو ينطلق من وضعية الوطن الكردي قبل التقسيم الذي تجسده الحدود السياسية القائمة بين دول المنطقة في الوضع الراهن، وهي تركيا، ايران، العراق وسوريا. وهذا المصطلح يشير إلى الجهة أو المنطقة الغربية من كردستان. الأمر الذي يبين أن استخدام مصطلح غرب كردستان هو الأدق في هذا السياق، مثلما عليه الحال بالنسبة لمصطلحات "جنوب، شمال، شرق" كردستان. إلا أن الذي يبدو في الاستعمال السياسي اليومي، نرى أن مصطلح كردستان سوريا هو الأكثر نجوعاً كما هو الوضع بالنسبة لكردستان العراق على

---

(١)– عبد الباسط سيدا: مصدر سبق ذكره – ص ٩.

(٢)– وهو غير جبل الكُرد في عفرين، بل هو جزء مما يُسمى بجبال العلويين(جبال اللاذقية).

سبيل المثال)[١]. ويمضي قدماً في كلامه عن هذا المصطلح في القول بأن دلالة هذا المصطلح يشير على الصعيد العملي بوضوح إلى تأكيد: (وجود أرض وشعب كرديين ضمن الكيان السياسي الذي تجسده الدولة السورية)[٢]، ثم يختتم القول: (وهذا فحواه أن المشكلة غير ناجمة عن نزوح لاجئين يمكن اعادتهم إلى الجهة التي قدموا منها لدى حلول الظروف الموائمة؛ وانما هي مشكلة أرض قسمت وألحقت مع شعبها بأرض أخرى... من دون ارادة الطرفين)[٣].

ـ ٤ ـ

يبدأ بحثنا هذا بمقدمة عن واقع شعبنا الكردي في ظل حكومات أحصت – ومازالت – عليه الأنفاس، ثم تتوزع موضوعاته بين **الجزء الأول**: تناولت فيه باختصار دراسة تاريخ وجغرافية[٤] الكرد وكردستان عامة. **والجزء الثاني**: وهو الأهم بتقديري، وتناولت فيه ما يتعلق بكردستان سوريا أو الجزء الملحق بها؛ والجزءان ينقسمان بدورهما الى عدد من الفصول، لن أتناول مضمونها، ففي الفهرست ما يوفي بالغرض.

لكنْ أحببتُ أن أنوه بمسألتين أقيم البحث على أساسيهما:

---

(١)– عبد الباسط سيدا: المصدر السابق – ص١٠.

(٢)– نفس المصدر والصفحة نفسها.

(٣)– نفس المصدر والصفحة نفسها.

(٤)– (جغرافيا Geography): مصطلح اغريقي، يتألف من كلمتين، ويعني وصف الأرض أو شكل الأرض. يتألف المصطلح من مقطعين(Geo الأرض) و(Graphy وصف)، ويعود الفضل الى الفيلسوف الاغريقي(هيكاتايوس)، أول من استخدم هذا المفهوم كعنوان لأحد كتبه في القرن السادس ق. م. لكن دلالة هذا المصطلح في حالة صيرورة دائمة، فقد اعتبر(هوكسلي) بأن الجغرافيا هي علم ارتباط الانسان بالبيئة، أما أحدث تعريف لها فيعني: دراسة الظاهرات الطبيعية والبشرية، وتحديد خواصها، وتحليل العلاقات المتبادلة بينها، أي علاقات التأثير المتبادل(العلاقات الجدلية/ الديالكتيكية)، بغية الوصول الى استنتاجات عملية تفيد في حل الكثير من المسائل المتعلقة بحياة الانسان ومستقبل البشرية. راجع: الجغرافية الاجتماعية – د. فاضل الأنصاري – دمشق ١٩٧٨ – ص٦. من أهم مدارسها: أولاً– المدرسة الحتمية أو الألمانية، وترى بأن البيئة تتحكم بشكل كبير في نشاط الانسان، ومن أنصارها راتزل وابن خلدون، استغلتها النازية. ثانياً– المدرسة الامكانية أو الفرنسية، وتمنح الانسان دوراً ايجابياً في تسخير البيئة لمشيئته، ومن أبرز ممثليها فيدال دي لابلاش وآخرين.

الأولى – منهجيـة: بمـا أن المَنْهَجِيَّـة تعـني طريقـة البحـث أو الدراسـة، فهـي تقتضي التمييز بداية بـين مفهـومين في غايـة الأهميـة وفي غايـة الالتبـاس، لابـد مـن توضـيحهما في هـذه المقدمـة، أعـني مفهـوم كـل مـن «الجغـرافيتين السياسـية والتاريخية» أولاً، الذي ارتكز البحث عليه، ناهيك عن مفهوم «الجيوبولوتيكا» ثانيـاً، والذي يتداخل ويتقاطع مع المفهوم الأول في الكثير من ثنايا هذا البحث.

فالجغرافيا السياسـية، هـي أحـد حقـول البحـث الـذي تتقـاطع فيـه الجغرافيـا والسياسة على أكثر من صعيد في علاقة جدلية، وهي – أعني الجغرافيا السياسـية – تهتم وفق تعـبير (ن.ج. بونـدر) بـ (دراسـة العوامـل الـتي سـاهمت في بلـورة الشـكل الجغرافي الخاص للدولة، عبر الظروف التاريخية وقضايا تتعلق بتشكلها)[1].

إذاً، ولـدت الجغرافيـا السياسـية جـرّاء التـزاوج – إن صـح التعـبير – بـين الجغرافيـا والسياسـة، وهـي بالمناسـبة علـم حـديث يهـتم بدراسـة الدولـة بأقاليمهـا ومشكلاتها الداخلية والخارجية، ناهيـك عـن الظـروف التاريخيـة الـتي تكونـت فيهـا، حيث ظهرت في أواخر القرن التاسع عشـر المـيلادي، وكـان فردريـك راتـزل (١٨٤٤-١٨٩٨) مؤسسها، حين تنـاول الموضـوع السياسـي في الجغرافيـا في كتـاب لـه تحـت عنوان «الجغرافيا السياسية»عام ١٨٩٨م.

بينما الجغرافيا التاريخية، فقد عَرَّفها (فوست منذ عام ١٩٣٢) بأنها قسـم مـن أقسام الجغرافيا، يدرس تأثير الأحداث التاريخية علـى الحقـائق الجغرافيـة، أي أنهـا تضفي على المكان بعداً زمنياً أي إضافة عنصر الزمن، أعني تناول المكان الجغـرافي في سياقه التاريخي.

أما الجيوبولوتيكا فقد تفرعت عن الجغرافيا السياسية، وهـي وليـدتها ان صـح التعبير، أي أنها عبارة عن نظرية استراتيجية تدرس العلاقة بين الجغرافيا والسياسة، ورغم التداخل بين «الجغرافيا السياسية» و «الجيوبولوتيكـا» والالتبـاس جـرّاء هـذا التداخل، فثمـة إختلافـات بينهمـا، سـبق أن تناولهـا (د.عـاطف علـبي) علـى النحـو التالي:

---

(١)- عاطف عُلبي (الدكتور): الجغرافية الاقتصادية والسياسية والسكانية والجيوبولوتيكا/ كلية الحقوق والعلوم السياسية في الجامعة اللبنانية – ط١ عام ١٩٨٩ – ص٢٣٩.

١- الجيوبولوتيكا ترسم خطة لما يجب أن تكون عليه الدولة، بينما تدرس الجغرافيا السياسية كيان الدولة القائم.

٢- الجيوبولوتيكا تضع تصوراً لحالة الدولة في المستقبل، بينما تضع الجغرافيا السياسية رسم صورتها في الماضي والحاضر.

٣- الجيوبولوتيكا تتسم بالتطور والحركة المستمرة، بينما تميل الجغرافيا السياسة إلى الثبات نسبياً.

٤- الجيوبولوتيكا تحاول أن تجعل الجغرافيا وحقائقها في خدمة الدولة، بينما الجغرافيا السياسية ليست سوى صورة الدولة.

وتتعدد موضوعات الجغرافيا السياسية في المجال التطبيقي، كالتخطيط والتقسيم الاداري، والعلاقة بين الدولة وأقاليمها ومكوناتها وأقلياتها، والحدود السياسية ومشكلاتها، مثلما تتعدد مناهجها المعتمدة في بحثنا، كالمنهج التاريخي والتحليلي والمورفولوجي والوظيفي والاقليمي...الخ.

يتناول البحث «القضية الكردية» عامة و «القضية الكردية في سوريا» بشكل خاص، وفق منظور الجغرافيتين السياسية والتاريخية، ومناهجهما المتعددة، جرّاء تعرضها للتشويه، ونتيجة تزييف الكثير من الحقائق التاريخية والجغرافية من لدن الأنظمة التي تتحكم بكردستان، فكان هذا المنظور كفيلاً بازاحة الستار عن هذا التزييف والتشويه.

الثانية - عنوان البحث: كان العنوان أحد أهم الاشكالات التي اعترضتني بداية، جرّاء تعدد المصطلحات ذات الدلالات المختلفة إلى حد التناقض، لأنني أعي مسبقاً أن المصطلح أو المفهوم، أيّ كان، محكوم بواقع معين تتقاسمه الجغرافيتان السياسية والتاريخية بثقافتيهما الترميزية، ويبدو أن: (هذا ما يمنح اللغة في فعالية التسمية الطابع السيميولوجي المتأتيّ من اعتباطية العلامة اللغوية - أي العنوان - في علاقتها بالعالم، فلمَّا كانت العلاقة بين العلامة والمرجع تتسم بالطابع التعسفي - الاعتباطي، فإنّ ذلك يمنح السياق الثقافي شرعية التدخل في إضفاء "القيمة" على العلامة اللغوية)[1]. هكذا، فالمصطلح يضفي على شيء ما بعينه حلة قد لا تتناسب

(١)- خالد حسين(الدكتور): في نظرية العنوان/ مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية - التلوين للتأليف والنشر- دمشق ٢٠٠٧ - ص٢٣.

مع ماهيته وفق مقاصد الجيوبولوتيكا، وهاهنا تكمن مشكلة اختيار عنـوان مناسـب ينسجم في النهاية مع فضاء النص ويعكس أبعـاده الجغرافيـة والتاريخيـة والسياسـية والثقافية على أرض الواقـع، طالمـا أن العنـوان مـا هـو سـوى التعـبير المكثـف عـن النص.

يلاحظ المعنيون بشأن الجزء المُلْحَق بسوريا غياب العَنْوَنَة أو التسمية الدقيقة طيلة فترة الانتداب الفرنسي وما بعد الاستقلال إلى نهاية القـرن العشـرين، لكـن ومنـذ مطلع الألفية الثالثة لاحظنا تهافتـاً في الخطـاب الكـردي لصـياغة مفهـوم لهـذا الجـزء المُلْحَق، إلى الحد الذي اختلط فيه الحابل بالنابل، ربما هذا التعثر بحـد ذاتـه يعكـس واقعنـا الكـردي المتـأزم المـزري بتناقضـاته وتياراتـه المتصـارعة. ففـي فـترة مـن الفترات تم استخدام مفهوم «كردستان الجنوبية الصغرى/ Başûrê piçûk» كناية عـن الجـزء الملحـق بسـوريا، وذلـك تمييـزاً عـن «كردسـتان الجنوبيـة الكـبرى/ Başûrê Mezin» كناية عن الجزء المُلْحَق بالعراق.

وتداول الـبعض مصـطلح «Binxet - Serxet» للتمييـز بـين الجـزئين الملحقـين بتركيا وسوريا، لأن خـط قطـار الشـرق السـريع يكـاد يكـون فاصـلاً بينهمـا. ثـم تم استخدام مصطلح جنوب غرب كردستان، وكردستان سوريا، وأخيراً غرب كردسـتان أو اختصاراً الغرب/ Rojava، وهذا الأخير سوَّقه حزب الاتحـاد الـديمقراطي (P.Y.D) نقلاً عن المصادر الغربية (الإنكليزية والفرنسية)، وكـان هـذا المصـطلح يعـني يومئـذ الأجزاء الغربية من كردستان (تركيا وسوريا) معـاً قبـل التقسـيم، لكـن بعـد ترسـيم الحدود عقب اتفاقية سايكس – بيكو، لم يعد يتسم هذا المفهـوم بالدقـة، لأن الجـزء الملحق بسوريا – اذا توخينا الدقة – بات يشـكل الجـزء «الجنـوبي – الغربـي» مـن كردستان، انطلاقاً من موقعه الجغـرافي في خريطـة كردسـتان الكـبرى، مـن هنـا فـان مفهوم كردستان «الجنوبية – الغربية»، انطلاقاً من واقـع مـا بعـد سـايكس – بيكـو يعـد غايـة في الدقـة، مـن هنـا فـان مفهـوم «كردسـتان الجنوبيـة – الغربيـة»، الـذي أدرجناه، لم ندرجه إلا لأنه أكثر انسجاماً مع منهجية الجغرافيـة التاريخيـة، رغـم أن الـدوائر الغربيـة، خصوصـاً البريطانيـة والفرنسـية، دأبـت علـى اسـتخدام مصـطلح كردستان الغربية[١]، لكن مفهوم كردستان الغربية لا يتسم بالدقة حين يُراد به الجـزء

(١)– كمال مظهر: مجلة المثقف الجديد – العدد١٤١.

الملحق بسوريا وحده. أما مفهوم «كردستان سوريا» أو «الجـزء الملحـق بسـوريا»، فيعبر عن منظـور الجغـرافيتين السياسـية والتاريخيـة ومنهجيتهمـا، مثلمـا يعـبر عـن مآلات الجيوبولوتيكا في آن. لذا أدرجت العنوان الفرعي «الجـزء الكردسـتاني الملحـق بسوريا» الى جانب العنوان الرئيسي «كردسـتان سـوريا»، واسـتغنيت عـن مصـطلح كردستان الجنوبية – الغربية، رغم دقته، لازالة أي التباس أو سوء فهـم قـد يحصـل في المسـتقبل القريـب أو البعيـد. أمـا مصـطلح كردسـتان سـوريا أو الجـزء الملحـق بسوريا، فهو عنوان ينسجم في النهاية مع فضاء البحث ومنهجيته كما بينا.

- ٥ -

في نهاية هذه المقدمة المسهبة، أستميح القارئ عذراً إن قلت:

أولاً: ليس هناك انسان علـى وجـه البسـيطة، وهـو يتحـدث عـن معانـاة شـعبه وآمالـه في التحـرر والانعتـاق مـن نـير العبوديـة أن يبقـى غـير متحيـز مهمـا إدّعـى الموضوعية أو الالتزام بأصول البحث العلمـي. يقـول حنـا بطـاطو في مسـتهل كتابـه «الطبقات الاجتماعية والحركـات الثوريـة في العـراق»: في أي عمـل تـاريخي يقـوم بـه المؤرخ كائناً من كان، شيء من ذات المؤلف.

ثانياً: قد يلاحظ القارئ المختص نقصـاً أو عـدم الدقـة في هـذه المعلومـة أو تلك، فلا أخفيكم سراً بأن مثل هذا الشعور قد انتابني في كل فصل مـن فصـول هـذا البحث، جرّاء صعوبة الوصول إلى المعلومة أو جرّاء العثور عليها مشوَّهة، لأنني كنت محكوماً أثناء كتابة هذا البحث بواقع الحـرب والحصـار الاقتصـادي، في ظـل انقطـاع التيار الكهربائي ومياه الشرب لأيام، ناهيك عن الظـروف الأمنيـة وسياسـة الترهيـب والتجويع والخطف والاغتيالات في وضح النهار، فضلاً عن القذائف الـتي كانـت تنهـال على مدينتي القامشلي/ الحاضنة الرئيسية للبحث بين الحين والآخر، الى جانب تعدد السلطات فيها.

ثالثاً: الحقيقة ذاتها نسبية، وهذا مـا قصـده المتصـوف جـلال الـدين الرومـي على ما يبدو أو يمكن تأويل قوله على هـذا النحـو: (كانـت الحقيقـة مـرآة في يـد الله، سقطت فتشظت، وكل شظية غدت في متناول يد انسان، ومـن تلـك الشـظايا تتكـون الحقيقة).

هذا البحث بالمختصر يتوخى اماطة اللثام عن المسكوت عنه أو المعَتَّم عليه بمسبار كردي، من خلال استقراء الماضي وقراءة الحاضر بهدف استشراف آفاق المستقبل، وبالتالي ليس هدفه عرض الحقائق الجغرافية والتاريخية والسياسية والديموغرافية أو الانتروبولوجية والاثنولوجية والاثنوغرافية على أهميتها فحسب، بل توظيف هذه الحقائق وفق المنهج الجيوبولوتيكي، وهذا يتطلب الانتقال من الجانب النظري إلى الجانب الواقعي، ومن الشأن العام إلى الخاص، ومن ترصد الحدث إلى تحليله عبر سيرورته التاريخية للكشف عن تاريخنا المسروق وجغرافيتنا المُشَوَّهَة؛ بمعنى أن هذه الدراسة تبتغي قدر الامكان – وفي ضوء المعطيات المتوفرة – مقاربة الواقع في ضوء العلاقة الجدلية (الديالكتيكية) بين الموضوعي والذاتي، بغية رؤية آفاق المستقبل من خلال إثارة التساؤلات وحضٍّ الآخر على الحوار وفق مبدأ يقوم على نسبية الحقيقة من جهة، وأن البحث العلمي في قضية شائكة كالقضية الكردية يتطلب أولاً واخيراً قراءات مستمرة من جهة أخرى.

أجل، اعتمدتُ في هذا البحث منهجية تقوم على المقاربة النقدية في تناول القضية الكردية، وهو – أي البحث – في النهاية مساهمة متواضعة في حقل الدراسات الانسانية، ودراسة تحليلية وليست ميدانية توخيت توظيفها، لاقتناعي بأن الثقافة لها سلطة التأثير على الرأي العام المحكوم بالأمل على حد قول المغفور له سعدالله ونوس. وأخيراً، البحث – رغم ما قلناه – عبارة عن جهد فردي وليس مؤسساتي، لكنه يضم مادة معرفية غنية بمصادرها وحقائقها وبراهينها ومراجعها ووثائقها رغم شحتها، قد تُستخدم يوماً – كما قال رسول حمزاتوف: «الخنجر الذي ستستعمله يوماً، احمله دوماً» في كتابه (داغستان بلدي) – في مواجهة سياسات الغبن والاقصاء التي مارستها أنظمة، سلبت الكرد ليست قيم العدل والمساواة، ناهيك عن الحقوق لعقود وحسب، بل سلبتهم هويتهم ولغتهم وتراثهم وجغرافيتهم وتاريخهم وانسانيتهم.

وأخيراً، أتقدم بالشكر الجزيل وعظيم الامتنان إلى الاستاذ الدكتور **عبد الفتاح علي بوتاني**، رئيس الأكاديمية الكردية في هولير، فلولا تجشمه عناء مراجعة وتدقيق هذا البحث، ولولا ملاحظاته القيمة وتوجيهاته وارشاداته السديدة لما كان البحث بمثل ماهو عليه الآن، ورغم ذلك فأنا وحدي من يتحمل وزر كل ما يتضمنه البحث

مـن خلـل أو وهـن أو شـطط أو نحـو ذلـك، كمـا لا يسـعني إلا أن أشـكر ابـني **آراس** لجهوده المبذولة في اعداد وتنسـيق المصـورات والمواقـع الأثريـة والأشـكال البيانيـة وغيرها من الأمور التقنية ... ما أرجوه هو أن أكون قد وفقت في الاجابة عـن بعـض التساؤلات الـتي تـراود ذهـن القـارئ الكـريم، واثـراء المكتبـتين الكرديـة والعربيـة، وازاحة الضبابية أو الغموض الذي كان يكتنـف تاريخنـا و جغرافيتنـا، وأملـي كـبير بأن هذه الدراسة ستملأ فراغاً، فان حققت جزءاً يسيراً من هذا الهدف المنشود، فهو المبتغى وما أصبو وأطمح اليه حقيقة.

على جزيرى
قامشلو/ هولير – ٢٢ نيسان ٢٠١٧

الجزء الأول
الكُــرد وكُردســـتان

الفصل الأول

«الأمة المنسية في التاريخ»

من أقوال بروفيسور: **(مار)**

أو "الشعب الذي نسيه التاريخ"

من أقوال الصحفي الفرنسي **(رينيه موربيس)**

* «في اعتقادي، لا يمكن لأي مناضل أن يساهمَ في نضال شعبه، ما لم يَدْرس بتمعن تاريخه، لأن حاضر أي شعب هو وليد ماضيه، ومستقبل كل شعب هو وليد حاضره».

[الرئيس (**مسعود بارزاني**)]

* «ان استرجاعنا للماضي أمر لابد منه من أجل تأكيد **هويتنا**».

[المفكر الفرنسي البلغاري الأصل (**تزفيتان تودوروف**)]

* «الشعب الذي لايعرف تاريخه، لايمكنه أن يبني مستقبله».

[(**أصليخان يلدرم**) كاتبة كردية من نصيبين]

أولاً: رائد مدوّني تاريخ الكرد

يَصِفُ العلاّمة محمد أمين زكي، رائد المؤرخين الكرد في القرن العشرين، في كتابه: «خلاصة تاريخ الكُرد وكردستان»، الذي كتبه بالكردية عام ١٩٣١، والذي تُرجم إلى العربية عام ١٩٣٦، كيف دفعه الشعور القومي لتأليف سِفْرِه المذكور عقب إنهيار الدولة العثمانية، وتحديداً بعد أن حلّت ذهنية الذئب الأغبر المتطرفة محل نزعة العَثْمَنة[1] ذات القناع الاسلامي، أو منذ تأسيس «جمعية الاتحاد والترقي »[2] ان توخينا الدقة، والتي كانت بمثابة صاعقة أيقظت، الشعوب التي عاشت في كنف

(١)– المقصود بالذئب الأغبر، مصطفى كمال أما كلمة العَثمَنة، فهي مشتقة من العثمانية.

(٢)– جمعية قومية تركية، أشتهرت ببرنامجها الطوراني – الشوفيني، دعت الى توحيد العناصر التي تنحدر من الأصل التركي، وتصفية العناصر غير التركية أو صهرها.

الدولة العثمانية قاطبة، من سباتها العميق. ويَمضى العلاّمة واصفاً في الوقت نفسه احساسه – كسائر أبناء الشعوب والأمم غير التركية التي عاشت لقرون في ظل الدولة العثمانية – كشعور قومي متميز عن شعوره السابق. ثم أضاف قائلاً: بَيْدَ أني لم أكن أعرف شيئاً عن منشأ القوم الذي أنتسبُ إليه، وما ذلك إلا لأن مفهوم «العثماني» – الذي شمل جميع العناصر والشعوب الخاضعة للدولة العثمانية – كان قد خدَّرَ نوعاً ما أعصاب كل واحدٍ منا، نحن أبناء القوميات الأخرى. فتساءل في سرّه: تُرى مَنْ نحن ؟. هذا من جهة، ومن جهة أخرى نراه كيف لا يُخفي امتعاضه من تلك الاجابة التي تلقاها من اثنين من أساتذة التاريخ الكرد ذات يوم على سؤاله الآنف الذكر، بعد أن أوصل أحدهما منشأ الكرد برواية مضطربة وسند ضعيف إلى كرد بن عمر القحطاني، وجعل الآخر أصل الكرد منحدراً من سلالة جني من الجان، يُدعى جاساد.!.

فمن الطبيعي والحالة هذه أن يتألم محمد أمين زكي لسخف هاتين الاجابتين، وهذا ما دفعه على ما يبدو للبحث والتقصي في موضوع أصل الكرد، فكان «خلاصة تاريخ الكرد وكردستان» بجزئيه، حصيلة جهدٍ شاق، رغم أنه لايخلو – باعترافه هو – من نقص أو قصور، وهو – أي السِّفر – نتيجة البحث والدرس لمائتين وخمسين مجلداً من أمهات الكتب الانكليزية والفرنسية والألمانية والعربية والتركية والفارسية.

ثانياً: فرضيات تجريد الكرد من هويتهم

دأب مؤرخو الاسلام في القرون الوسطى على تشويه هوية الكرد وتنسيبهم للأصل العربي بشتى السبل. فقد زعَمَ المسعودي مثلاً في كتابه «مروج الذهب» بأن الكرد عربٌ؛ ونَسَبَهُم إلى الفرع العدناني (العرب المستعربة). بينما نَسَبَهُم المقريزي إلى الفرع القحطاني (العرب العاربة). وكان العرب عموماً ينظرون إلى غير العرب نظرة دونية، فسموهم بالأعاجم قبل الاسلام وبالموالي في ظله. كما جرت منافسة بين العرب المستعربة والعرب العاربة لتنسيب الكرد تارة إلى الفرع العدناني وتارة أخرى إلى الفرع القحطاني لغاية في نفس يعقوب.

فتساءل الدكتور أحمد محمود الخليل عن سر هذا التهافت أو هذا التنافس بين الفرعين المذكورين آنفاً حول تنسيب الكرد. ثم اهتدى الى الجواب التالي: حكم الساسانيون العربَ والكردَ على حدٍ سواء قبل الاسلام، وكان العرب والكرد بالتالي

مـن الشـعوب المستضـعَفَة في امبراطوريـة الساسـانيين، فمـن الطبيعـي أن يكـون الضعيف للضـعيف نسـيب. أمـا فيمـا يتعلـق بمحـاولات الفـرس لاسـتمالة الكـرد إلى جانبهم، فكانت لها أسـبابها أيضـاً. **أولاً**: لأن العنصـرَيْن (الكـرد والفـرس) كانـا قـد صُنِّفا كما نوهنا من الموالي بعد الاسلام. **وثانياً**: بسبب القرابـة بـين الكـرد والفـرس سلالياً. **وثالثاً**:علاوة على الانتماء المشترك لهذين العنصرين للديانة الزردشـتية قبـل الاسلام. ثم انتهى إلى خلاصة مؤداها، جـاء تنسـيب الكـرد إلى الأصـل العربـي بغيـة قطع الطريق على الفرس في هذا المجال.

إذاً في القرون الوسطى، كانت هنـاك ثمـة محـاولات حثيثـة مـن لـدن المـؤرخين العرب للتأكيد على انحـدار الكـرد مـن الأصـل العربـي. فقـد جـاء في كتـاب «النسـب الكبير» لأبي يقظان حول نشأة الكرد، بأن جدهم الأكبر هو: (كرد بن عمرو بن عامر بن صعصعة)[1]، أما ابن الكلبي (القرن ٨ – ٩) م، فقد أورد في كتاب له تحـت نفـس العنوان، أي كتاب «النسب الكبير»، بأن الجد الأكبر للكرد هو: (كـرد بـن عمـرو بـن عامر ماء السماء)، واستُبْدِلَ (ماء السماء)حيناً بـ (عمرو بن مزيقـاء) عنـد بعضـهم. وليست نادرة تلك الحالات التي عاد فيها المؤرخون أو كَتَبَة الأنساب العرب إلى تاريخ العرب قبل الاسلام أو تاريخهم في الجاهلية كما يقول الدكتور جـواد علـي، ليقتنصـوا من أنساب بطون القبائل العربيـة اسمـاً قريبـاً مـن (كـرد) كـي ينسـبوا إليـه الكـرد. فالمذكور في قائمة النسب التي أوردها أبو يقظان مثلاً، ينحدر مـن قبيلـة مضـر، أي من العرب المستعربة، أعني الفرع العدناني كما أسلفنا من ذي قبل؛ أمـا المـذكور في القائمة التي اقتبسها ابن الكلبي، فينتمي إلى العرب العاربة، أي إلى الفـرع القحطـاني. ومن المفيد قولـه أن هـذه الحمّـى الـتي انتـابتهم لتنسـيب الكـرد إلى الأصـل العربـي انعكس في الشعر العربي، حتى أنشد أحدهم:

لعمرك ما كرد من أبناء فارس ولكنه كرد بن عمر بن عامر

وطالت هذه الظاهرة – التي تفشت في القرون الوسطى – العائلة الأيوبية فيمـا بعد، بمـا في ذلـك القبيلـة (الروادية) الـتي تنحـدر منهـا. لكـن الحـق يُقـال إن ظـاهرة التنسيب هـذه، أعـني تنسـيب الكـرد إلى أصـول عربيـة أو فارسـية لم تقتصـر علـى

---

(١)– أرشاك بولاديان: حول مسألة أصـل الكـرد حسـب المصـادر العربيـة – دار الفـارابي/ بـيروت ودار آراس/ اربيل – ط١عام ٢٠١٣– ص ٣٤.

المؤرخين العرب فحسب، بل ابتلى بها المؤرخون الكرد أيضاً. فناهيك عن ابني الأثير وكثير، نجد أن أبي الفداء، الذي سميت مدينة حماه بـ «مدينة أبي الفداء» تيمناً باسمه، وهو مؤرخ معروف وجغرافي مشهور، ينحدر من الأسرة الأيوبية، نجده ينسب الكرد تارة إلى الأصول الفارسية وتارة أخرى إلى الأصل العربي، فيقول: (يُقال بأن الكرد هم مِن " أعراب العجم ")[1].

وأشار شرف خان البدليسي في القرن (١٦)م بدوره في كتابه «شرفنامة» إلى هذه البلية، فيقول أن القبائل الكردية: (داسني، خالدي، باسيان وقسم من البوهتانيين/ البوطانيين، وكذلك قبائل المحمودي ودومبلي " دنبلي/ دنابلة " يربطون تحدرهم في نسبهم بالأمويين العرب)[2]. كما ادّعى البدليسي بتحدر الهكاريين من العباسيين، وتحدر أمراء جزيرة بوتان أيضاً في نسبهم من خالد بن الوليد.

وفي الوقت نفسه نجد المؤرخ الكردي ملا محمود بيازيدي، يكتب في القرن ١٩ بدوره بحثاً يؤيد فيه وجهة النظر التي تقول بالنشأة العربية للكرد. جاء في مقدمة البحث: (ليعلم طلابنا الأكارم والعارفين من الناس، بأن الأقوام الكردية قد نشأت من البدو أسلاف العرب. فقد انفصل قسم من تلك الأقوام العربية في الماضي، وجاؤوا مع عائلاتهم وأولادهم ليستوطنوا في هذه الأماكن حيث كانوا جميعاً يشكلون قبيلة واحدة متضامنة، بالاضافة إلى لغتهم في الماضي كانت عربية)[3]. ويمضي قدماً في القول: (إن الأقوام العربية تلك ونتيجة لاستطانها في المناطق " الكردية " الحالية، أخذت شيئاً فشيئاً تنسى لغتها العربية)[4].

ليس هذا فحسب، فهاهم المؤرخون العرب يحددون موطن الكرد الأصلي وفق زعمهم؛ فمثلاً يقول (ابن الكلبي)، بأن الكرد قدموا من بلاد اليمن بعد انهيار سد مأرب. أما المسعودي فيدّعي بأنهم هاجروا من شبه الجزيرة العربية، جرّاء الحروب التي دارت بينهم وبين غيرهم من القبائل، وفي النهاية: (اعتصموا في الجبال، طلباً

---

(١)– تاريخ أبي الفداء: باريس – ص ١٥٠.

(٢)– أرشاك بولاديان: مرجع سبق ذكره – ص٤٦.

(٣)– المصدر السابق نفسه – ص٤٧.

(٤)– المصدر السابق نفسه – ص٤٧.

للمياه والمراعي)[1]، ثم نسوا لغتهم العربية. على هذا النحو ترى عزيزي القارىء، كيف ينأى هؤلاء المؤرخون عن الموضوعية ويسعون بشتى السبل للبرهنة: (على عدم أصالة السكان الكرد في المناطق التي يقطنونها)[2]. إن هذا الهوس، أعني تعريب الكرد جذراً وموطناً، استفحل في القرنين (١٠و١١) الميلاديين، أي بعد دخول الاسلام ديار الكرد (عنوة أو صلحاً)، حتى طالت الكرد من أتباع الديانة الايزيدية أيضاً، رغم العداء أو التوتر الذي ساد بين الايزيديين من جهة والمسلمين عامة، جرّاء الفرمانات التي تعرضوا لها، فراجت فكرة انحدارهم من الأمويين على نحو التحديد. لكن، أخذ الايزيديون في الوقت الحاضر: (يتخلون شيئاً فشيئاً عن انتمائهم السلفي هذا، الأمر الذي بدا واضحاً من خلال كتبهم الدينية الجديدة – المصحف الأسود مثلاً – والتي تم تنقيحها، إذْ قلما نصادفهم يذكرون اسم " يزيد " فيها)[3].

وما يثير الاستغراب حقيقة أن مثل هذه الترّهات قد لاقت قبولاً في أوساط كردية عديدة، وتردد صداها بدءاً من القرون الوسطى وحتى التاريخ الحديث. من هنا لا بد من كشف خلفية مثل هذه المواقف بشكل موضوعي، كي لا نحيد عن منطق هذا البحث.

أولاً – يرى العلاّمة محمد أمين زكي في «خلاصة تاريخ الكرد وكردستان» بأن الباعث الوحيد لادّعاء بعض الكرد بأنهم ترك أو فرس أو عرب، هو محاولة للتخلص من المظالم والمضايقات من جهة، ومن جهة أخرى هو السعي بشتى السبل لتحقيق أمل: (التمتع من وراء ذلك بالامتيازات الكثيرة الخاصة بالأمة الحاكمة). فالمصلحة هي التي أملت على الكرد الذين استماتوا من أجل تأكيد انتمائهم إلى الأصول العربية أو غيرها، حيث أن هذا الانتماء، ناهيك عن تبني الاسلام، كانا يساهمان معاً في فتح الأبواب مشرعة أمامهم، خصوصاً الطبقة العليا (رؤساء القبائل) التي: (أبدت اهتماماً متزايداً بالفرضية، خصوصاً وان محاولة التأكيد على أصالتهم العربية تأتي من جانب الطرف الذي يهمه نشر الاسلام، وهذا بدوره كان يضمن للفئات الاقطاعية الكردية تعاظم سيطرتها على مناطق محددة ويفسح المجال أمامها من أجل توسيع

(١)– المسعودي: مروج الذهب – ج٢– ص٢٤٩.

(٢)– أرشاك بولاديان: مرجع سبق ذكره – ص٥٦.

(٣)– أرشاك بولاديان: مصدر سبق ذكره – ص٤٨ و٤٩.

رقعة نفوذها ومسرح عملياتها. وبكلمة أخرى، فان الطبقات الكردية العليا، وعن طريق قبولها الظاهري لمبدأ تحدرها من البطون العربية من جهة، واعتناقها العقيدة الاسلامية من جهة أخرى، كانت تضمن لنفسها في الواقع الحصول على استقلالها السياسي والاقتصادي ... وهكذا نجد أن توافق الوصول إلى الهدفين معاً، أي الحصول على المكاسب السياسية، وكذلك الاقتصادية – الاجتماعية في آن واحد، ساعد على خلق المبررات القوية لدى الكرد لدعم وتطوير الفرضية القائلة بتحدرهم من الأصول العربية)[١].

ثانياً – أما العرب الذين روَّجوا لمثل هذه التّرهات، فكان الدافع من ورائها أسباب سياسية واقتصادية واجتماعية من نوع آخر. فحين نسبوا الكرد مثلا إلى قبائل (ربيعة، مضر، بكر)، كانت غايتهم تعريب تلك المناطق التي أضحوا في فترات تاريخية على مشارفها، لأن ديار ربيعة يُقصد بها الموصل، وديار مضر يقصد بها الرقة، وديار بكر يقصد بها آمد. علاوة على هذا الشيء فقد كانوا يهدفون بلا شك من أجل: (تخفيف حدة التناقضات بين الطرفين – أعني الكرد والعرب – كما يساعد على احتواء الكرد والسيطرة الكاملة على المناطق الجبلية الكردية من جانب العرب، ويعمل بالتالي على زيادة الوزن السياسي والعسكري والاقتصادي لأولئك الفاتحين، الناشرين للرسالة الاسلامية)[٢].

وهكذا نجد ان التشبث بفرضية انتماء الكرد إلى الأصول العربية أو مجرد الترويج لها، كان حقيقة يصب الماء في طاحونة دولة الخلافة العربية من جهة والفئات الكردية المتحالفة معها من جهة أخرى، وفي النهاية فالهدف واضح، ألا وهو احتواء الكرد وتجريدهم من كرديتهم بأي ثمن وصهرهم في بوتقة القومية العربية في النهاية، كما جرى بالنسبة للأمازيغ في شمال افريقيا وشعوب أخرى في آسيا الغربية، جرّاء الغزو العربي تحت يافطة الاسلام، منذ أربعة عشر قرناً على أقل تقدير. فمزاعم الأصل العربي للكرد كما يشير هادي العلوي ترتبط (بأخطاء المنهج القديم لدى المؤرخين العرب.. فهي تستند إلى "ظنية الرواية"، لا إلى "قطعية الدراية")[٣]. لا

---

(١)– أرشاك بولاديان: مصدر سبق ذكره – ص٦٤و٦٥.

(٢)– المصدر السابق نفسه – ص ٦٢و٦٣.

(٣)ـ محمد جمال باروت:التكوّن التاريخي الحديث للجزيرة السورية ـ المركز العربي للأبحاث ـ ص٢٣٦.

أريد أن أسوِّق هاهنا المحاولات التركية والفارسية بعجرها وبجرها على هذا الصعيد، فهي لا تختلف في شيء عن المحاولات العربية السالفة الذكر، بل أريد أن أنتهي إلى ما انتهى إليه معروف الرصافي في كتابه «الشخصية المحمدية أو اللغز المقدس عند محمد»، حين روى حكاية ذاك الأعرابي، الذي كان يمتلك أموالاً لا تقدر بثمن، لكن الناس كانوا يُعَيِّرونه بأمه ذات السمعة السيئة، يُعَيِّرونها بِحَسَبِها ونَسَبِها، فأشار إليه أحدهم أن يمرَّ على ابن الكلبي، كبير كتبة الأنساب في العربية، كي يخلصه من ورطته تلك ويختلق نسباً شريفاً لأمه، فما كان من الأعرابي إلا أن أهتدى إلى ابن الكلبي وأهداه كيساً من الدنانير، وانتظر أياماً، وإذا بابن الكلبي يختلق نسباً لأم الأعرابي أرفع وأطهر من نسب فاطمة الزهراء...!.

وتعليقاً على هذا الأمر قال معروف الرصافي: أنا لا أؤمن بالتاريخ، لأن التاريخ يكتبه الأقوياء وأصحاب المال والسلطة والجاه[1].

ثالثاً: الشاهنامة والحكايات المشوِّهة للتاريخ

حوّر شرف خان البدليسي في كتابه «شرفنامه» حكاية طريفة، بعد أن اقتبسها عن الفردوسي الذي سبق له أن رواها في «الشاهنامه»، تدور حول أصل الكرد. وقد اقتبسها المسعودي بدوره أيضاً، لكن الدراسات التاريخية الجادة تدحضها. ملخص الحكاية: تولى الملك الميدي «أستياغ» (٥٨٤–٥٥٠) ق.م عرش ميديا بعد والده «كَي خُسْرو»، ودُعي «أزْدَهاك» وفق تعبير المؤرخ الأرمني موسى خُوريني، كما عُرف بـ «الضحاك/ الطاغية» في المصادر الاسلامية. ويبدو أن الحكاية مقتبسة بدورها من المصادر الفارسية، حتى أن هيرودوت المغرم بالتفسير الاسطوري للعديد من الأحداث التاريخية أوردها أيضاً وتلقفها بعض الكرد مع الأسف. المهم أن هذا الملك أو الطاغية وفق سياق الحكاية أبتلي ذات يوم بقروحٍ في منكبيه، ولما يئس الحكماء (الأطباء) من شفائها، أومأ له أحد رجال القصر بمداواتها بمخ مراهقين اثنين كل يوم؛ فأمر الملك في الحال بقتل شابين للمداواة بمخيهما، لكن المأمور (الوزير) كان رحيماً، فاكتفى بقتل أحدهما مستعيضاً عن الثاني بمخ كبش وأطلقه في الجبال. وهناك، تزاوجوا وتناسلوا، ومن نسلهم كان

---

(١)– راجع كتابه: الشخصية المحمدية/ اللغز المقدس عند محمد.

الكرد الذين ثاروا على الطاغية «ضحاك» تحت قيادة «كاوا الحداد»، وكان اليوم يصادف في ٢١ آذار، ودعي بـ «نوروز أي اليوم الجديد»، وهو رمز الحرية ورمز القضاء على الظلم والاستبداد والطغيان. تعقيباً على هذه الحكاية الاسطورية، يقول الدكتور أحمد الخليل في كتابه «تاريخ الكرد في الحضارة الاسلامية»، إن أصحاب هذا الاتجاه يحاولون من خلال روايتهم تلك، إظهار الكرد بأنهم لا يشكلون أمة متجانسة، رغم أن مسألة التباهي بالنقاء العرقي لأية أمة يدحضها العلم والمنطق.

ومن الناس من ألحقهم بإماء النبيٍ سليمان بن داوود، وفق احدى الروايات الواردة في كتاب «شرفنامه» المذكور آنفاً، وهي رواية منقولة بدورها من مصادر فارسية أو توراتية. فها هو المسعودي يزعم بأن البعض يعتبر الكرد من أحفاد النبي سليمان اللاشرعيين: (حيث ولدوا خلال الفترة التي حرّم الله فيها سليمان من عرشه، إذْ قام الشيطان المعروف بالجسد "الجن" بالتزاوج مع نسائه وإمائه ... وزعمت الرواية بأن الله غمر سليمان بعفوه وأعاده مَلكاً على عرشه ثانية، بعد أن أنجبت نساؤه أطفالهن ... فقال سليمان: اكردوهن إلى الجبال والأودية، فربتهم أمهاتهم وتناكحوا، وتناسلوا، فذلك بدء نسب الأكراد)[(١)].

رابعاً: زيف الايديولوجيا

يلجأ بعض الكتاب من مروجي الايديولوجيا الشوفينية اليوم أمثال زبير سلطان، حين تنقصهم الحجة، لتنسيب هذه الطائفة أو تلك إلى العرب، كقوله في الايزيديين مثلاً بأنهم من: (أتباع عدي بن مسافر، داعية يزيد بن معاوية بن أبي سفيان)[(٢)]، مما يدفعني هذا الزعم إلى ترديد قول أميل حبيبي حين قال: (التاريخ يا بني، لايصح في عيون الغزاة إلا بتزوير التاريخ)[(٣)]. كما سبق لصديق الدملوجي أن زَعَمَ بأن الايزيديين يؤلهون يزيد بن معاوية، ومن هنا جاءت تسميتهم بـ (اليزيدية)!، حتى أن كاتباً ايزيدياً (درويش حسو) لم ينفِ علاقة الايزيديين بـ (يزيد بن معاوية)، الا أن دخيل شمو نفى هذه المزاعم على صفحات مجلة (لالش)، وكذلك زهير كاظم

---

(١)– المسعودي: مروج الذهب – الجزء الثاني – ص ٢٤٩و٢٥٠.

(٢)– راجع: القضية الكردية من الضحاك إلى الملاذ(زبير سلطان) – ط١ربيع ١٩٩٥ – دمشق – ص ٢٧.

(٣)– راجع: الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل(أميل حبيبي) – ص٧٧.

عبود، الذي فَنَّدَ بدوره علاقة الايزيديين بيزيد بن معاوية، وأظهر بأن الغاية من ذلك تأليب المسلمين ممن يعتنقون المذهب الجعفري ضدهم[1]. أنا شخصياً لا أستبعد مجاراة فئة من الايزيديين في هذه الفترة أو تلك هذا الموقف، وترويج مثل هذه التّرهات من باب التقية طبعاً، وربما طاب أُكل هذه التقية من لدن البعض، لكن مثل هذه الخزعبلات السالفة الذكر، والتي وضعناها تحت موشور المنطق، أقل ما يُقال فيها أن الدهر أكل عليها وشرب.

خامساً: الكردولوجيين ودورهم الايجابي نسبياً

أما المستشرقون والكردولوجيون على نحو خاص، فلهم فضلٌ لا يُستهان به في تسليط الضوء على جوانب من حياة الكرد وتاريخهم وموطنهم ولغتهم وآدابهم وعاداتهم وفنونهم، وذلك من خلال أبحاثهم الجادة ودراساتهم القيمة بشكل يلفت النظر؛ فكانوا أكثر انصافاً من الكتاب والمؤرخين المسلمين، كما كانت كتاباتهم أقرب إلى الموضوعية، ربما مثلهم في ذلك كمثل مُشاهِد أو مُتابع مباراة رياضية على شاشة التلفاز عبر الأقمار الصناعية، حيث يكون أقدر على سبر أغوار الواقع من المُتَفَرِّج المتواجد داخل الملعب. لأن الأول يستفيد من التقنيات الحديثة في مجال هندسة التصوير والبث، بينما الثاني المتواجد في الملعب يقوم بالاستشعار عن بعد من خلال العين المجردة فقط، أو كما يقول الدكتور بدرخان سندي: (يعيش الممثلون على خشبة المسرح الرواية بأحداثها، لكنهم لا يشاهدونها بالكم أو الكيف الذي يشاهده النظارة؛ إذْ أن مشاهدة الحدث وفق نظرية الكشتالت الألمانية في علم النفس، أقدر على مشاهدة الفرد على التكوين المعرفي القائم على الاستيعاب الموقفي الكلي. وهكذا فالنظارة قد يرون ما لا يراه الممثلون أنفسهم، وقد يستكنه المشاهد الخارجي للموقف أبعاداً انطباعية ليس بالضروري ان يكون الممثل ذاته قد توصل إليها)[2]. هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد على الأرجح أن المؤرخين المسلمين (من عرب وترك وفرس) كانوا متأثرين بالايديولوجيا الشوفينية للسلطات الحاكمة في بلادهم، وهذا لا يعني أننا نثني على الكردولوجيين بالمطلق، لأن هؤلاء أيضاً غالباً

---

(١)– خضر شنكال: مجلة كولان العربي – العدد ٥٢ أيلول ٢٠٠٠ – ص٥٩.

(٢)– بدرخان السندي (الدكتور): المجتمع الكردي في المنظور الاستشراقي – دار آراس/ اربيل ٢٠٠٢ – ص٥.

ما كانوا يعبرون عن مصالح دولهم، فالامور نسبية. ويعد مينورسكي – عميد الكردولوجيين على حد قول نيكيتين – أحد أشهر المستشرقين الروس، ممن أولوا أصل الكرد جلّ اهتمامهم، ففي رسالته الموجهة إلى الكردي قناتى كوردو، يوضح بما لا لبس فيه أو غموض، اعتماداً على نتائج الحفريات (الاركيولوجيا)، بأن الكرد أحفاد الميديين الذين تمكنوا من اخضاع الدويلات المحلية وتقويض دولة أورارتو، منوهاً في الوقت نفسه بأن: (أهم نصر أحرزه الميديون، كان قضاءهم على الدولة الآشورية القديمة، حيث استطاع الملك الميدي " كياخسار/ كَي خسرو"، بعد احتلال عاصمتها نينوى في ٦١٢ ق.م توسيع مملكته بسرعة إلى أعماق آسيا الصغرى)[1]. ويستخلص مينورسكي بأن الميديين هم: (بناة أول دولة ايرانية كبيرة، ضمت أقاليم مختلفة).

ومن المفيد قوله أن الدولة الميدية دامت فترة طويلة إلى أن قضى عليها كورش الفارسي، نجل ابنة استياك الميدي عام ٥٥٠ ق.م، منوهاً في الوقت نفسه، بأنه رغم مظاهر الاختلاف بين الكرد، يوجد عامل أساسي ومدهش يوحي الى وحدتهم يتمثل في: (لغتهم، التي مهما كانت الاختلافات بين لهجاتها، فهي تشكل لغة واحدة من حيث أصواتها/ فونوتيكها وقواعدها)[2] .

ويضيف: (لكنْ عندما أتفحص تأريخياً وأتذكر جميع هجرات القبائل الايرانية الكبيرة نحو الغرب، فانني لا أجد نزوحاً آخر غير هجرة الميديين لتفسير انتشار الأكراد في المنطقة الواقعة جنوب أنقرة في آسيا الصغرى وإلى شمال سوريا. وأود بهذا الخصوص الاستناد إلى خارطة مناطق سكنى الأكراد التي وضعها السائح الانكليزي مارك سايكس، الذي تجول قبل الحرب العالمية الأولى ولسنوات طويلة في المناطق الكردية)[3].

أما الكردولوجي القدير باسيلي نيكيتين، فقد جاء في كتابه «الكرد، دراسة سوسيولوجية وتأريخية»، والذي ترجمه وعلق عليه الدكتور نوري طالباني، فيقول حول أصل الكرد: (قيل إن الكاردوخيين الذين تكلم عنهم "زينفون" في روايته عن

(١)– مينورسكي: الأكراد أحفاد الميديين – رابطة كاوا للثقافة الكردية ـ ص ١٣٠.

(٢)– المصدر السابق – ص١٣٣.

(٣)– المصدرنفسه – ص١٣٤.

الانسحاب المشهور بين ٤٠٠–٤٠١ ق.م لعشرة آلاف يوناني عبر كردستان الحالية إلى البحر الأسود، لم يكونوا غير الأسلاف الحقيقيين للكرد. انهم كانوا جبليين أشداء مثلهم، يقطنون البلاد نفسها، ولهم اسم شبيه باسمهم)[١]. بيد أن أمثال (نولدكه، هارتمان، يسباخ) قد أثبتوا بدورهم أن لفظتي (كرد) و (كاردو) غير متماثلتين، ويذهب الأخيران إلى القول بأن: (السرتيين، الذين ذكرهم المؤرخون الكلاسيك وسترابون خاصة، والذين كانوا يقطنون بلاد ميديا الصغرى وبلاد برسيس هم أسلاف الكرد)[٢]. ويرى (ليرخ) بأن الكرد أحفاد كالديي ايران، وأنهم: (محاربون أشداء، وقد كانوا منذ الألف الثالث قبل الميلاد جبليين يمتلكون روحاً قتالية، مما سهل لهم النزول إلى سهول دجلة والفرات لاخضاع العشائر السامية الضعيفة في بلاد بابل)[٣]. ويضيف نيكيتين من جهة أخرى، بأن الانثروبولوجيا/ علم السلالات البشرية لا يسعف الباحثين في الكشف عن أصل الكرد، لأن الكرد الشرقيين: (الذين صوروا من قبَل ستولز يتميزون بسمرة بشرتهم وشكل جمجمتهم التي هي من نوع Brchychphales ويشبهون في ذلك الفرس الذين يجاورونهم، وهذا بخلاف الكرد الغربيين)[٤].

كما يتوصل (فون لوسشان) إلى الاستنتاج التالي: (كان الكرد في الأصل شعباً أشقر اللون، أزرق العينين، ونوع جمجمتهم من صنف Dolichocephales ويفسر كون بعضهم في بعض المناطق سمر البشرة ونوع جمجمتهم من صنف Brchychphales، جراء تزاوجهم مع الترك والأرمن والفرس)[٥]. كما يفترض (لوسشان) أن هؤلاء الكرد نزحوا من شمال أوربا، ويعلق نيكيتين على ذلك قائلاً: (يحتمل أن هذا الطراز من الانسان الشمالي قد جاء إلى آسيا القديمة دون ان يتكلم اللغة الكردية، وإن هذه اللغة فُرضَت عليه نتيجة اختلاطه بالعنصر الايراني، بعد اخضاعه له)[٦]. أما (مار) فقد رأى إمكانية وجود صلة قرابة بين السومريين والكرد، وهذا بحاجة الى مزيد من الدراسات والأبحاث.

---

(١)– مينورسكي: الكرد، دراسة سوسيولوجية وتأريخية – ط١عام ١٩٩٨ – ص٣٥.

(٢)– المصدر السابق – ص٣٥.

(٣)– المصدر نفسه – ص٤١.

(٤)– المصدر نفسه – ص٥٥ و٥٦.

(٥)– المصدر نفسه – ص٥٦.

(٦)– المصدر نفسه – ص٥٦.

وهكذا يتبين لكل ذي منطق، أن الكرد من أعرق شعوب المنطقة في غرب آسيا، لكنهم ظُلموا وأسيء فهمهم على حد قول الباحث الأرمني أرشاك سافرستيان، حيث تعرضت هويتهم للتحريف والتشويه المتعمدين، ولعل السبب الرئيس في ذلك هو: (افتقار هذا الشعب منذ سنة ٥٥٠ ق.م إلى حكومة تبسط نفوذها على كردستان كلها)[١].

ومن المستغرب خلال هذا العرض المسهب للآراء أن معظم من كتب عن الكرد وتناول تاريخهم ولغتهم ولهجاتها، هم من غير الكرد. فمنهم من نسبهم – كما رأينا – إلى العرب تارة أو إلى الفرس تارة أخرى أو إلى الترك تارة ثالثة، ومنهم من أقرّ بهويتهم المميزة، لكن بعد تقزيمها إلى درجة أن المرء يلمس تعمداً على هذا الصعيد، ومنهم من أنصفهم بحق لكنهم قلة قليلة، ويأتي البروفسور اسماعيل بيشيكجي في مقدمة هؤلاء المنصفين. ولعل مازاد الطين بلة عبر التاريخ، تشتت الكرد بين متعصب للقبيلة أو متعصب للاسلام أو ايديولوجية ما أكثر مما ينبغي، حتى ضاع: (الشعور القومي بين القبيلة وما تعنيه من ضيق أفق، والأممية وما تعنيه من انصراف عن القومية)[٢]، ومن البدع التي ابتلينا بها على هذا الصعيد يمكن الاشارة إلى الأمة الاسلامية والأمة السورية والأممية والأمة الديمقراطية.

في سفره المعنون تحت تسمية (خلاصة تاريخ الكرد وكردستان)، يُدلي محمد أمين زكي بك حول هذا الموضوع بدلوه، خلاصته أن أقوام اللولو والكوتي والكاساي والخالدي والسوبارتو – هوري من السلالة القفقاسية، كانت تسكن جبال زاغروس منذ فجر التاريخ، وهي تشكل **الطبقة الأولى** وأصل الشعب الكردي. ثم يضيف: بأن سيول الوافدين من العنصر الآري الـ (هندو – أوربي)، أو **الطبقة الثانية** لم تنقطع باتجاه زاغروس في القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد، ومن الأقوام الآرية الوافدة الميديين، الذين سكنوا بداية شرقي بحيرة أورميا، ثم أعقبتهم أقوام آرية أخرى ومنها النايريين والكاردوخيين الذين إلتقى بهم زينفون سنة ٤٠١ق.م، والمهم أن هذه الأقوام الزاغروسية من الطبقتين الأولى والثانية انصهرت في ذات المرجل، أعني في جبال زاغروس، وكونت الشعب الكردي عبر التاريخ.

---

(١)– أحمد خليل(الدكتور): تاريخ الكرد في الحضارة الإسلامية – ص١٧.

(٢)– المصدر نفسه – ص٥١.

سادساً: التسمية.. عود على بدء

الكُرد، شعب ظلم نفسه بقدر ما ظلمه الآخرون، فقضى أكثر من ٢٥ قرناً يبحث عن وطن وعن هوية[١]. أما عن حقيقة تسمية (الكُرد Kurd)، فيجدر الذكر أن لفظة الكُرد كانت شائعة في العصور الوسطى، بدليل ورودها في كتب البلدانيين المسلمين، بل و وردت: (ألفاظ أرض "كاردا" أو "قاردا" في الألواح الطينية السومرية المكتشفة، والتي يرجع تاريخها إلى الألف الثالث قبل الميلاد، ومن ثم في المدونات المسمارية الآشورية القديمة)[٢]. ويضيف زبير بلال فيما يتعلق بجذر لفظة كُرد في: ("كاردوخي" أو "كاردوجي"، التي ذكرها زينفون في كتابه "الصعود" في حدود ٤٠١ ق.م، والتي انتقلت إلى اللغة اليونانية من كلمة "كورتو"، المرادفة للكلمة الآشورية "كورتي"، اللتان أصبحتا بعد إضافة أداة الجمع الأرمنية "خ" تلفظان "كورتوخ"... ثم وردت ألفاظ مشابهة كتلك، مثل: كوردنيني، كورديايوس، كوردياي، كاردونيوس، كاردونيني، كاردويوس، في القرون الخمس الأولى الميلادية)[٣].

وهكذا يتضح لكل ذي بصيرة، أن كل هذه الألفاظ، رغم الاختلافات الطفيفة تنحدر من جذر واحد، وأن هذا التباين: (في نطق مخارج الكلمات، مرده إلى صعوبة تلفظ الأصوات الغريبة عند نقلها أو ترجمتها من اللغات الأوربية إلى اللغات السامية، ومن الثابت أن صيغة أو لفظة "الكُرد"، الواردة في الكتابات الفارسية والعربية، منحدرة من اللفظة البابلية "كاردو"، التي تعني الشجاع أو المحارب الباسل... ومن الفرس، انتقلت الكلمة إلى الكتابات العربية، ومنها انتقلت الكلمة "كُرد Kurd"، وأصبحت الاسم الأوربي الشائع للشعب الكردي)[٤] واسم الـ (كُرد Kurd) يعني في اللغتين الكردية والفارسية، البطل الشجاع.

---

(١)– أحمد تاج الدين: الأكراد.. تاريخ شعب وقضية وطن – الدار الثقافية للنشر – القاهرة – من المقدمة.

(٢)– زبير بلال إسماعيل: الأكراد في كتب البلدانيين والرحالة المسلمين في العصور الوسطى – اربيل عام ١٩٩٨ – ص٧ و٨.

(٣)– المصدر السابق نفسه ونفس الصفحة.

(٤)– زبير بلال إسماعيل: المصدر السابق نفسه – الصفحة نفسها.

وهكذا ترى كيف أن (الأثنونيم)[1] يختلف خارجياً، تبعاً لاختلاف الزمان والمكان، فمن المعروف مثلاً أن (الأثنوس) ذي الاثنونيم الألماني الداخلي (دويتش)، يسمى خارجياً بالروسية (نيمتسى)، وبالفرنسية (ألمان)، وبالانكليزية (جيرمان)، وبالايطالية (تيديسكو)، و بالصربية (شفاب)، وبالفنلندية (سكسالاينين). أما الدكتور شاكر خصباك، فيتناول في كتابه «الكرد والمسألة الكردية»، الذي صدر في بغداد بطبعته الأولى عام ١٩٥٩م، رؤيتين:

الأولى – يرجع مفهوم (كُرد) إلى (كوتو Kutu)، وهو يرتبط بقوم عاش في مملكة (كوتيام Gutium) الواقعة شرقي دجلة بين نهري الزاب الصغير وديالى. أما سافراستيان وآخرون فيعتقدون أن الكلمة مأخوذة من الكلمة الآشورية (كورتو Kurtu)، وقد تطورت إلى شكلها الحالي بانصهار حرف R بعد U، أي أن Kurtu أصبحت Gutu وأن مثل هذا الانصهار هو قاعدة لغوية تنطبق بصورة عامة على أغلب اللغات الهندية – الآرية، وخاصة اللغات الشرقية منها، كاللغة الكردية والأرمنية والسنسكريتية واليونانية. وكانت كلمة (كورتو) تطلق على الأقوام التي كانت تسكن المنطقة التي يسكنها الكرد حالياً.

الثانية – هناك من يرجع (كُرد) إلى (كيرتي Kyrtii) أو (سيرتي Cyrtii)، ويقولون: هم قوم كانوا يعيشون في المنطقة الجبلية الواقعة غربي بحيرة وان. ويعتقد (نولديكه) أن هذا القوم تبعثر في ايران وميديا وبقية المناطق التي يقطنها الكرد في الوقت الحاضر، كما يعتقد أن الكلمة تحورت إلى (كورتو Qurtu) أو (كاردو Kurrdu).

أما درايفر، الذي قام بأبحاث واسعة لأصل الكلمة الفلولوجي (الفقهي) فانه، وإن اتفق مع نولديكه في ربط الكرد بالكرتي، إلا أنه يرجع كلمة (كُرد) إلى أصل فارسي، ويعتقد أن الفرس الذين إما أن يكونوا قد سمعوا بالكرتيين أو تعاملوا معهم فعلاً قد أطلقوا على الكرد اسماً قريباً من اسمهم الأصلي من ناحية اللفظ ومنطبقاً على طباعهم الباسلة في الوقت نفسه. فالكلمة الايرانية (كُرد Kurd) أو (گَرد Gurd)، والتي قد تكون ذات أصل مشترك مع الكلمة البابلية (گَاردو Gardu أو كاردو Qardu)، تعني الشجاع أو الباسل أو المحارب، ولعل الكلمة انتقلت من اللغة الفارسية إلى العرب ومنهم إلى الأوربيين.

---

(١)– التسمية الذاتية أو الداخلية أو الخاصة بشعب ما أو أمة.

والدكتور شاكر خصباك من أنصار الرؤية الأولى، ويقول بأن الآشوريين كانوا قد قاسوا الأمرين على يد الكوتيين، شأن السومريين من قبلهم، وربما نقل الآشوريون هذا الاسم إلى الفرس[1].

ما من شك أن كلمة (كاردوخي Kardouchi) التي وردت في مذكرات زينفون عام ٤٠١ ق.م عندما تقهقر جيشه الذي لاقى الأمرّين على يد هذا القوم، هي أشبه بكلمة كُرد، ويرجح سافرستيان أن تكون الكلمة التي استعملها زينفون هي (كورتو Gurtu) الآشورية مضافاً إليها علامة الجمع الأرمنية، ثم تطورت تلك الكلمة إلى أشكال عديدة على أقلام الكتاب اليونانيين القدماء، ككلمة (كوردوني Cordueni) و (كوردين Gordyene) و (كاردني Cardeni) و (كوردونس Korduence) و (كورد ينس Kordyense) و (كَوردياي Gordyoei) و (كارداوي Qardaiwye)[2].

في الوقت ذاته يؤكد (نولديكه) و (هارتمان)، اعتماداً على الخصائص الفيلولوجية، أن الكرد من مجموعة الأقوام الآرية، فوفق هذا المنظور نجد كيف تطورت كلمة (كيرتي) إلى (كاردو) ثم إلى (كاردوخي) التي ذكرها زينفون، وهم أصل الكرد الحاليين بلا شك. وهناك مَنْ اعتمد على الأسس التاريخية والاجتماعية من أمثال مينورسكي للحكم على الكرد بأنهم رغم انحدارهم من أصل آري وافد عبر موجات متتالية، إلا أنهم امتزجوا بساكني جبال زاغروس ومحيطها، فانصهرت مجتمعة في هذا المرجل الذي تمخض في النهاية عن انبثاق الكُرد، وثمة مَنْ شكك – ومنهم ديفيد مكدول – في أن الكرد (لايشكلون شعباً متجانساً من الناحية العرقية)، وأضاف: (من شبه المؤكد تقريباً أنهم كانوا يؤلفون خليطاً من القبائل الهندو – أوربية، التي قدمت إلى المنطقة عبر طرق عدة وفي أوقات مختلفة)[3]، لكن ما يسجل على ديفيد مكدول ملاحظات عدة، أهمها:

الأولى: لاتستطيع أية أمة أن تدّعي أنها من جد واحد، أو أن تتباهى بنقاء الدم، هذه الترّهة التي ابتلينا بها والتي روجت لها النازية، مثلما راجت قبلها مقولة " شعب الله المختار" أو "خير أمة أخرجت للناس".

---

(١)– شاكر خصباك(الدكتور): الكرد والمسألة الكردية – ط٢عام ١٩٨٩– ص١١/٩.

(٢)– المصدر نفسه – ص١٢.

(٣)– ديفيد مكدو: مصدر سبق ذكره – ص٤١و٤٢.

الثانية: فقد بينا في هذا البحث كيف تكونت الأمة الكردية عبر التاريخ (منذ آلاف السنين)، ومرت بمراحل كسائر الأمم الأخرى، بدءاً من العشائر، القبائل، الأقوام، الأمة. وما التمايز السلالي البسيط الذي نراه اليوم بين كرد الشمال (الرأس الطويل، القامة الطويلة، البشرة البيضاء، الشعر الأشقر، العيون الزرق) وكرد الجنوب (الرأس الأقرب إلى الاستدارة، القامة المتوسطة، البشرة الحنطية، الشعر الداكن، العيون البنية)، إلا نتيجة هذا الامتزاج الآنف الذكر من جهة، ونتيجة الاختلاط بالأقوام والأمم المجاورة من جهة أخرى، وتأثير الظروف الطبيعية (المناخ والتضاريس...الخ) من جهة ثالثة.

الثالثة: يسوق مكدويل مؤشراً آخر يعتكز فيه على تعدد اللهجات (يسميها التنوع اللغوي)، ليؤكد من خلاله عدم تجانس الكرد كشعب أو أمة، وهذه الحجة إن دلت على شيء فهي تدل على تفاهتها وسذاجتها، فلغات أمم الأرض قاطبة لها لهجاتها، وقد تناولناها بقدر من الدقة.

أما الدكتور فؤاد حمه خورشيد فقد أدلى هو الآخر بدلوه في ضوء المعطيات المتيسرة في مجال علم الآثار والتاريخ والبيئة الجغرافية فيما يتعلق بأصل الكرد، وانتهى إلى أن استكمال الكرد لخصائصهم القومية في الفترة الممتدة بين أواخر العصر الجليدي (البلاستوسين) منذ مائة ألف سنة وحتى سقوط مملكة ميديا عام ٥٥٠ ق.م، ويعتبر الكوتيين، سكان جبال زاغروس، هم أسلاف الكرد الأوائل الذين أطلق عليهم السومريون كارداكا Kadaka، وأطلق عليهم تغلات بلاسر نحو عام ١٠٠٠ ق.م كورتي Kurtie، فتطور اللفظ على النحو التالي: Guti .... Kardaka .... Kurtie .... Kurdi ....

أسس الكوتيون مملكة سميت كوتيام، واتخذوا من أرابخا/ موقع كركوك عاصمة لهم، ومن الذين يعتبرونهم أسلاف الكرد كثر، ومنهم على سبيل المثال: بروثيرو وأرشاك سافرستيان وأحمد سوسة ومينورسكي[1]. ويمضي فؤاد حمه رشيد قدماً في اظهار التتابع التاريخي وعرضه على الشكل التالي:

١ـ الحضارة الموستيرية من (١٠٠٠٠٠- ٤٦٠٠٠) ق. م، يوافق العصر الحجري القديم الأسفل، عاش في هذا العصر (انسان نياندرتال) في طور المشاعية البدائية، أكتشفت بقاياه في كهف شانيدر وهزار ميرد.

---

(١)- مجلة كولان العربي – العدد ٨١/ شباط ٢٠٠٣- ص ٧٦.

٢- الحضـارة البرادوسـتية منـذ (٣٥٠٠٠- ٢٦٠٠٠) ق. م، يتـزامن مـع العصـر الحجري القديم الأوسط، ساد فيه جمع الغذاء، أكتشفت بقاياه في شانيدر وغيره مـن الكهوف.

٣- الحضـارة الزرزيـة منـذ (١٤٠٠٠- ١١٠٠٠) ق. م، ويوافـق العصـر الحجـري القديم الأعلى، الذي يمثل أواخر مرحلة جمع الغذاء، عثر علـى بقايـاه في كهـف زرزي وغيره.

٤- مرحلة انتاج الغذاء البدائية منذ (١١٠٠٠- ٩٠٠٠) ق. م، عثر على آثارهـا في شانيدر وغيره.

٥- الحضارة الزراعية منذ (٤٧٥٠) ق. م، أكتشفت بقاياهـا (حبـوب متحجـرة، عظام الحيوانات الأليفة، التنور) في قرية جرمو وكيانو.

٦- حضارة المدن (الكوتيون ظهـروا علـى المسـرح الجغـرافي لكردسـتان قبـل ٥٠٠٠ عام).

٧- تعرضت كوتيام بحدود عام ٢٠٠٠ ق.م إلى غزو القبائـل الهنـدو - أوربيـة، ومنهـا القبائـل الميديـة (مربـو الخيـول وصـانعو الأسـلحة الحديديـة)، الـتي انصـهر الكوتيون معهم، حتى فرضت عليهم ميديا لغتها وحضارتها وسماتها الانتروبولوجيـة الآرية، وجراء هذا الاندماج تكون الكرد[1].

وقد أشار اليوناني (سترابون) إلى الكُرد منذ القرن الأول قبل المـيلاد في مقالـة له تحت عنوان كوردديايا Gordiaea، ويبدو أن هذا المصـطلح - كمـا يقـول الـدكتور فؤاد حمه رشيد - قد انتقل من الفرس إلى اليونان، ومن ثم مـن اليونـان إلى العـرب. ويضـيف: ورد مصـطلح الكُـرد Kurd في كتـاب باللغـة البهلويـة، ويبـدو أن أردشـير، مؤسس الدولة الساسانية، هو الذي حوّر الاسم القديم كـوتي إلى كُـرد، بينمـا سمّـاهم القائد اليوناني زينفون، الـذي عـبر كردسـتان عـام ٤٠١ق.م بـ (الكـاردوخ) في كتابـه (اناباس).

ملاحظة أخـيرة: يُفضـل اسـتخدام مصـطلح (الكُرْد)، لأن مصـطلح (الأكـراد) المتداول في وسائل الاعلام العربية جمع تكسير على وزن (الأعراب) الدالة على أصول البداوة. وقد سبق لابن خلدون أن صنف (الأتراك والأعراب والأكـراد والبربـر) ضـمن

---

(١)- فؤاد حمه رشيد(الدكتور): مجلة كولان العربي - العدد٨١/ شباط ٢٠٠٣ - ص٧٦و٧٧.

الأمم غير المتحضرة، ومازال البعض ومنهم عصام الخفاجي[1]، يتداول مصطلح (الأكراد) من منطلق (البَدْوَنَة/ من البدو) في الوقت الذي تجاوز المجتمع الكردي هذه المرحلة، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، لأن كلمة الأعراب في المخيال الشعبي للمسلمين مازال يعني أنهم أشد كفراً ونفاقاً، وبما أن (الأكراد) على وزن (الأعراب) كما أسلفنا، فالحكم على الثانية ينـدرج أو يجري على الأولى..!. من هنا، ارتأينا اعتماد مصطلح (الكُرد)، لأنه الأدق في التعبير عن الواقع، فضلاً عن عدم تسببه في احداث أي التباس. وأعتقد أن الخفاجي لم يستخدم صيغة (الأكراد) إلا لغاية في نفس يعقوب، ألا وهي تبخيس دور الكرد والحط من شأنهم، وهذا مايتجلى في سياق المقالة السالفة الذكر.

---

(١)– راجع مقالته المعنونة: حين يجهض الأكراد حلماً جعلوه سلعة اسمها كردستان – المنشورة في صحيفة الحياة ٨ شباط ٢٠١٧.

الفصل الثاني
كردستان: عرض جغرافي مختصر

أولاً : في دلالة المفهوم:

كُردستان (kurdistan)[١]، مفهوم جغرافي سياسي اثني يُعنى به (بلاد الكرد)[٢]. وهي – أي كردستان – بمثابة العمود الفقري للشرق الأوسط كما وصفها الباحثون والمهتمون. سبقت أن أشارت الكتابات اليونانية الى المناطق الكردية، واصفة اياها بأنها بلاد الكردوخيين، لكن أول من ذكر المناطق الكردية تحت اسم كردستان كان الرحالة ماركو بولو (١٢٥٤– ١٣٢٣)م[٣]، وظهرت التسمية بشكل واضح في القرن الثاني عشر الميلادي، حين سمّى السلطان السلجوقي (سَنْجَر بن مَلِكْشاه بن ألب أرسلان) جزءاً من كردستان الشرقية (كردستان ايران) بهذه التسمية، وكانت تضم مناطق: (هَمَدان، الدِّينَوَر، كرْمَنْشاه، سِنَه، و ولّى على ذلك الجزء ابن أخيه سليمان شاه)[٤]، ناهيك عن المناطق الواقعة غرب جبال زاغروس، مثل: شهرزور وكويسنجق. المصطلح يكتنفه الغموض، لأن مدلوله يختلف باختلاف الزمان والمكان، فالاقليم الذي يحمل اسم (كردستان) في ايران اليوم، لا يضم سوى جزء فقط من كردستان الشرقية، أي المنطقة التي يسكنها الكرد السُّنة على نحو الخصوص ان توخينا الدقة.

---

(١)– راجع الخريطة رقم ١.

(٢)– أول خريطة ذُكر عليها " أرض الأكراد" رسمها الجغرافي(محمود الكاشغري) عام ١٠٧٦م، في كتاب له تضمن خارطة لبلاد المشرق. راجع: د. محمود زايد – دولة كردستان المستقلة – ص٢١ (منقول عن: فرهاد بيربال – دراسات في تاريخ الكرد – ترجمة عن الكردية: تـه رز ه فائق الجاف – منشورات رابطة كاوا – بيروت – ط١عام ١٩٩٨م).

(٣)– خليل اسماعيل محمد(الدكتور): كردستان العراق/ دراسات في الجغرافية السياسية – مطبعة جامعة صلاح الدين – اربيل عام ٢٠١١م – ص١٥.

(٤)– أحمد خليل(الدكتور): مصدر سبق ذكره – ص ١٤.

وما زالت تركيا بدورها تتجاهل الوجود الكردي، وتطلق عليهم تسمية (أتراك الجبال)، مثلما تطلق على كردستان الشمالية (جنوب شرق الأناضول)، وقل الشيء نفسه بالنسبة لإيران التي تطلق على كردستان الشرقية (غرب ايران)، وكذلك العراق على كردستان الجنوبية (شمال العراق)، أما سوريا فما زالت تعتبر الكرد أقلية مهاجرة، وتتجاهل عملية الحاق جزء من كردستان بها عمداً..!.

مصطلح (kurdistan) مؤلف من مقطعين، هما: (kurd) ويعني الشعب الكُردي و (stan) ويعني الموطن أو المكان، على منوال: أفغانستان، باكستان، تاجيكستان، أرمنستان، كازاخستان، أوزبكستان، قيرغيزستان، تركمانستان، بلوشستان، هندستان، عربستان....الخ، وتعني كردستان إذاً (موطن الكرد) كما أسلفنا.

تقع كردستان – كما هو معروف لدى المهتمين – في غرب آسيا، وفي قلب الشرق الأوسط[1] وتتجزأ هذه البلاد اليوم بين تركيا وايران والعراق وسوريا وجزء من الاتحاد السوفياتي السابق، وينبع منها نهرا دجلة والفرات اللذين نشأت على ضفافهما (أول نطفة للحياة البشرية وأول بذرة للوحي الالهي)[2]. كما أقر فائق السامرائي، أحد مؤسسي حزب الاستقلال العراقي، ذات يوم منوهاً أنها تمتد في جنوب شرق تركيا، وغرب ايران، وشمال العراق وشرقها، وشمال سوريا، وجمهوريات ما وراء القفقاس السوفيتية السابقة، ناهيك عن مناطق مثل: خراسان (في شمال شرق ايران)؛ ففي العهد الصفوي، نقل قسم من الكرد إلى خراسان لحماية الحدود هناك، فضلاً عن استقرار الكرد بشكل مكثف في أنحاء الأناضول الغربية جرّاء تهجيرهم قسراً، ناهيك عن استانبول و المتروبولات التركية الأخرى، وفي بلاد الشام الوسطى كدمشق وحماه وحلب وادلب واللاذقية والرقة، ومناطق أخرى في الدول التي يتواجدون فيها.

ففي كتابه «الأكراد، ملاحظات وانطباعات» يقول مينورسكي: (إذا أردنا أن نبحث عن وطن الأكراد في فجر التاريخ ... نرى أن الأكراد يعيشون في الوقت الحاضر

---

(١)– يمتد الشرق الأوسط من مصر غرباً حتى ايران شرقاً، وإن كان الغموض يكتنف هذا المفهوم أيضاً.

(٢)– رينيه موريس: كردستان أو الموت – ترجمة وتعليق: جرجيس فتح الله – دار آراس/ اربيل – ط٢عام ١٩٩٩م – ص١٩.

على أرض واسعة ... من مدينة مندلي " في شرق بغداد " حتى آرارات ... وتنتهي حدودهم الشمالية في تركيا بمحاذاة أرضروم، وفي الجنوب يسيطر الأكراد على مناطق واسعة إلى نهاية سهول مابين النهرين، وفي الغرب حدودهم نهر الفرات ... وأنهم لم يقفوا عند هذا الحد وإنما أخذوا يزحفون إلى أعماق آسيا الصغرى، وأنهم لا يشغلون المناطق الجنوبية الشرقية من سيواس فقط وانما هناك جماعات متفرقة منهم حتى نواحي قونية في كيليكيا، وبهذه الصورة يصلون إلى البحر الأبيض المتوسط)[١].

مامن شك أن كردستان تتمتع بواجهتين بحريتين، فهي تشرف على الخليج العربي/ الفارسي في الجنوب الشرقي، وعلى البحر الأبيض المتوسط من جهة الغرب. يقول الدكتور شاكر خصباك، المختص في هذا الشأن: (إذا اعتبرنا اللور أكراداً، كما تبرهن على ذلك الكثير من الدلائل التاريخية واللغوية، فان حدود كردستان تمتد حتى الخليج الفارسي على امتداد جبال زاغروس)[٢].

وقد أدرك الجنرال شريف باشا (١٨٦٥– ١٩٥١)، رئيس الوفد الكردي إلى مؤتمر باريس عام ١٩١٩، ما تضفيه المنافذ البحرية من أهمية استراتيجية على الموقع الجغرافي لكردستان من خلال تحكمها بالمنافذ البحرية، فطالب بتخصيص منفذين بحريين لكردستان، الأول على البحر المتوسط والثاني على بحر قزوين، كي لا تكون كردستان دولة قارية مستقبلاً ومحكومة من دول الجوار أو واقعة تحت رحمتها.

ويحدد الدكتور عبد الرحمن قاسملو، المعروف بموضوعيته كردستان في اطروحة الدكتوراة على النحو التالي: يبدأ خط مستقيم من قمة آرارات وينحدر إلى جنوب زاغروس وبشتكوه، ومنها يمتد خط مستقيم حتى الموصل، ومنها يمتد خط مستقيم حتى لواء اسكندرونة، ومنها يمتد الخط المستقيم حتى أرضروم، ومنها يمتد الخط من جديد إلى قمة آرارات.

يؤكد المؤرخون بأن الشعوب الهندو – أوربية (الآرية)، ومنها الكرد، كانت تسكن شرقي بحر قزوين وشماليه منذ نحو (٢٥٠٠) ق. م، ثم هاجروا على دفعات

---

(١)– مينورسكي: الأكراد، ملاحظات وانطباعات – الرقم ١٤ من سلسلة رابطة كاوا للثقافة الكردية – ص٢٣.

(٢)– نقلاً عن: محمد جزاع/ بوشكين(قراءة في أعمال منذر الموصلي) – ص١٣.

منذ (٢٠٠٠) ق. م، جرّاء الجفاف أو جرّاء الصراعات الداخلية أو تحت تهديد الشعوب المجاورة، وسلكوا طريقين، كان أحدهما عبر جبال القفقاس باتجاه أعالي الفرات، وهم الميتانيون. أما الميديون والفرس، فهاجروا إلى جنوب بحيرة أورميا، وكانوا بدواً، يربون الجياد والماشية، ويجيدون استخدام الخيول في الحروب.

ثانياً : حجم السكان:

من الصعوبة بمكان تحديد عدد الكرد بدقة، لأن المصادر الرسمية تقلل من شأنهم كعادتها، أو تُبقي الاحصاءات طي الكتمان، فيسوق قاسملو على هذا الصعيد قولاً لوزير العدل التركي محمود أسعد[1]، جاء فيه: (إننا نعيش في تركيا أكثر بلاد العالم حرية.. ! التركي هو الحاكم الأوحد والسيد الوحيد في هذا البلد، أما أولئك الذين لا ينتمون إلى العنصر التركي النقي، فإن لهم عندنا حقاً واحداً لاغير، ألا وهو حقهم في أن يكونوا خدماً، حقهم في أن يكونوا عبيداً)..!. هذا وقد حذا حذوه المتمسخ الكردي عصمت إينونو، والأدهى من ذلك أن الكرد كانوا في عُرف الدولة الطورانية (أتراك الجبال) مثلما نوهنا. لكن ما كشفت عنه جريدة (همشهري) الايرانية من معلومات عن حجم الكرد في مقالة منتصف عام ١٩٩٦، تدحض المزاعم التركية، فقد أوردت: خاطب يشار كمال يوماً رئيس الوزراء التركي مسعود يلماز في لقاء بينهما ذات يوم: (انكم لن تستطيعوا شراء ٢٠ مليون كردي)[2] وهذا إن دل على شيء فهو يدل على أن عدد الكرد يومئذ كان ٢٠ مليوناً في تركيا.

والوضع في ايران مماثل للوضع في تركيا، حيث يضيف قاسملو: (إن الكثيرين من الأكراد لا يجرأون على التصريح بلغة آبائهم في بلاد يحظر فيها استخدام كلمة "كردي")، فهم إيرانيون في عهد الشاه ومسلمون في عرف ملالي طهران اليوم. ورغم ذلك تنشر صحيفة (كيهان) الايرانية الرسمية، في عددها ١٤٤٢٩ في ٥ رمضان ١٤١٢هـ، بأن نفوس الكرد في ايران هو ٨ ملايين[3]. أما المصادر الأخرى للمعلومات فتعتمد، لعدم توفر الاحصاءات الرسمية في البلدان التي تقتسم كردستان لأسباب معروفة، على التخمين أو على تقارير المنظمات الدولية أو السّياح أو تقديرات البحاثة

---

(١)– قول وزير العدل التركي منشور في جريدة (مليبيت) – العدد/١٦٥٥/ – بتاريخ ١٩ أيلول ١٩٣٠.

(٢)– عبدالرحمن باشا: مجلة كولان العربي – العدد ٣٤/ ٢٥ آذار ١٩٩٩ – ص١٠٣.

(٣)– مجلة كولان العربي – المصدر نفسه والصفحة نفسها.

والمستشرقين، أو المصادر الكردية، والأخيرة لا يؤخذ بها بحجة ما تعتريها من المبالغة على حد زعمهم.

فيما يلي تقديرات وفق مصادر متنوعة بعدد الكرد مرفقة بالعام الذي جرى فيه التقدير:

١ـ كردستان الشمالية (التركية):

العدد	وفق تقديرات	التاريخ
١٥م. ن	مليت	١٩٩١
١٢م. ن	كورنيل	٢٠٠١
١٥م. ن	سيمنت	؟
١٨– ٢٠م. ن	بورقاي	؟
١٣م. ن	كريم يلدز	؟
١٠–١٢م. ن	كينث كاتزمان	٢٠٠٨

ملاحظة: في تركيا على سبيل المثال، درجت العادة فقط على احصاء من لا يتكلم التركية مطلقاً، أي من يتكلم الكردية فقط بأنهم كرد. ففي احصاء ١٩٥٥ مثلاً، أحصي ١.٥م. ن ناطق بالكردية من إجمالي النفوس في تركيا عامة والبالغ يومها ٢٤م. ن، وهذا الرقم كان أقل من نصف عدد الكرد في تركيا يومذاك. علاوة على ما ذكر، يجري الاحصاء في يوم واحد، في تشرين الأول كل خمس سنوات، حيث ان الكثير من قرى كردستان الشمالية لا يمكن الوصول إليها من مركز المحافظة في أقل من يومين، جراء الظروف المناخية القاسية، ناهيك عن البدو الرحل الذين لم يشملوا بأي إحصاء قط.

٢– كردستان الشرقية (الايرانية):

العدد	وفق تقديرات	التاريخ
٥.٧م. ن	ماكدويل	١٩٩٢
٦م. ن	كورنيل	٢٠٠١
١.٥م. ن	المصادر الايرانية	٢٠٠١
٦م. ن	جيم موير	١٩٩٣
٦.٥م. ن	سيمنت	١٩٩٦

٨ – ١٠م. ن	بورقاي	٢٠٠٧
٥.٧ م. ن	كريم يلدز	٢٠٠٤
٥ – ٦م. ن	أولسون	؟
٣م. ن	المصادر السوفيتية	١٩٥٧

٣– كردستان الجنوبية (العراقية):

العدد	وفق تقديرات	التاريخ
٤.٢ م. ن	ماكدويل	١٩٩٢
٤.٢ م. ن	كريم يلدز	٢٠٠٤
٤ م. ن	كورنيل	٢٠٠١
٤– ٤.٥م. ن	كاتزمان و برادوس	٢٠٠٥
٤ م. ن	سيمنت	١٩٩٦
٥ م. ن	بورقاي	٢٠٠٧
١.٤م. ن	مصادر عراقية	١٩٥٨

٤– كردستان الجنوبية – الغربية (سوريا):

العدد	وفق تقديرات	التاريخ
١م. ن	ماكدويل	١٩٩٢
أقل من١م. ن	كورنيل	٢٠٠١
١.٢٥م. ن	سيمنت	١٩٩٦
١.٥ – ٢م. ن	يلدز	٢٠٠٥
١.٨٢م. ن	الوزارة الخارجية الأمريكية	؟
١.٥م. ن	بورقاي	٢٠٠٧
٢م. ن	برادوس	٢٠٠٥
١م. ن	كريم يلدز و أولسون	٢٠٠٥
٣٠٠ ألف. ن	الموسوعة السوفيتية	١٩٧٠

ملاحظة: من الصعوبة بمكان معرفة عدد الكرد أو تقدير نسبتهم في سوريا، لأن البطاقات الشخصية الصادرة عن أمانات السجل المدني فيها لا تذكر في حقل الجنسية سوى عبارة (عربي سوري). لذا نجد أن باحثاً أكاديمياً عراقياً مثل الدكتور سعد ناجي جواد، يورد في كراس صادر عام ١٩٨٨ عن كلية العلوم السياسية – جامعة بغداد – مركز دراسات العالم الثالث عنوانه: «الأقلية الكردية في سوريا»، يزعم – رغم تقديرنا له، خصوصاً أنه كان محكوماً بواقع سياسي لا يُحسد عليه، ربما نحى هذا المنحى على مضض – بأن عدد الكرد في سوريا يتراوح بين حد أقصى ٨٢٥ ألفاً وحد أدنى ٣٢٠ ألفاً، دون أن يسلط الضوء على مصادره أو تحديد الفترة التي تم فيها هذا التقدير، وهذه مسألة في غاية الأهمية في علم السكان، ولا أظن أن أكاديمياً مثله يجهل ذلك، لكن يبدو أن وراء الأكمة ما وراءها، فهي محاولة تتقاطع في النهاية مع السياسة التي كان نظامي البعث في بغداد ودمشق على سواء ينتهجانها. كما يستشف أيضاً من تصرفه في العنوان الذي وصف فيه الكرد بالأقلية عمداً، وهو يعي دلالة مفهوم الأقلية الذي لا يصح اطلاقه على شعب يعيش على أرضه التاريخية، وحبذا لو كان المقصود بالأقلية كمفهوم ديموغرافي لا سياسي، فشتان الفرق بين المفهومين. لكنه ظلم الكرد السوريين من حيث يدري أو لا يدري حتى ديموغرافياً، حين حديد نسبة الكرد إلى مجموع السكان في سوريا بين (٨.٥ – ١١.٥٪).

مناطق أخرى:

٥٠٠ ألف. ن	القفقاس روبين	٢٠٠٣
١ م. ن	خراسان روبين	٢٠٠٣
٢٠٠ ألف. ن	اقليم هرات/أفغانستان (قاسملو)	١٩٧٠
٤٦ ألف. ن	الاتحاد السوفيتي السابق (قاسملو)	١٩٧٠

ملاحظة: أغلب الأرقام الواردة آنفاً منقولة من كتاب «الكرد في السياسة الخارجية الأمريكية»[1]. ويمكن للمتأمل الموضوعي في الأرقام السالفة الذكر استنتاج أنها مأخوذة مباشرة أو بشكل غير مباشر عن المؤسسات الرسمية لتلك الدول التي

(١)- راجع: ماريانا خاروداكي: الصادر عن دار آراس/ اربيل – عام ٢٠١٣ .

تقتسـم كردسـتان، مـن هنـا يمكـن لكـل ذي بصـيرة أن يُـدرك مـدى افتقارهـا إلى المصداقية أو الدقة بهذا القدر أو ذاك.

وفيما يلي جدول يتضمن تقديرات عام ١٩٧٥عن نسب الكرد وفق كتاب (الآغا والشيخ والدولة) لـ (مارتن فان بروينسن):

الدولة	اجمالي سكانها	اجمالي الكرد فيها	نسبة الكرد
تركيا	٤٠,٢ م. ن	٧,٥ م. ن	١٩٪
ايران	٣٤ م. ن	٣,٥ م. ن	١٠٪
العراق	١٠,٥ م. ن	٢– ٢,٥ م. ن	٢٣٪
سوريا	٧,٣ م. ن	٥٠٠ ألف. ن	٨.٥٪

أما منذر الموصلي فقد قدّر عدد الكرد بـ ٧,٥م. ن، في كتابه «عرب وأكـراد»، الصادر عام ١٩٨٦ على النحو التالي:

- كردستان الشمالية ٢,٥ م. ن
- كردستان الشرقية ٢ م. ن
- كردستان الجنوبية ٢ م. ن تقريباً
- كردستان الجنوبية – الغربية ٢٥٠ ألف. ن
- الاتحاد السوفياتي السابق ٢٠٠ ألف. ن
- الجمهورية اللبنانية ٥٠ ألف. ن

من الملاحظ أن منـذر الموصـلّي، استشـهد بعـدد مـن المصـادر مـن بينهـا د. عبدالرحمن قـاسملو، عـلاوة علـى المصـادر السـوفياتية والغربيـة والعربيـة، دون أن يقرن الرقم بالسنة، باستثناء تقديرات محمد أمين زكي عام ١٩٣١ الـذي هـو مصـدر ثقة. ان هذا التجاهل أو التغييب المقصود للسنة التي جرى فيها تقدير الرقم، بغـض النظر عن الجهة، جـرى عـن سـبق الإصـرار والتصـميم، ناهيـك عـن قرائنـه وأرقامـه المنتقاة من الاحصاءات التي تسربها الدول التي تقتسم كردستان، تلـك الـتي لاتمـت إلى الحقيقة بصلة. أعود وأقول: لم يكن منـذر الموصـلي بريئـاً حـين تجاهـل اقـران الأرقام بالزمن كي يُوهِم القارىء بأنها تعود لتاريخ صدور الكتاب عام ١٩٨٦، وهـذا لايُخفى على القارىء النابه، سيما أن لعلم الـديموغرافيا قوانينـه، فالتزايـد الطبيعـي يقاس وفق الزمن، فاذا علمنا أن نسبة التزايـد السـكاني في شـرق المتوسـط، بمـا في

ذلك كردستان تتراوح بين ٣٠و٣٥ بـالألف، فهـذا يعـني أن السـكان يتضـاعفون كـل عشرين سنة على أقل تقدير.

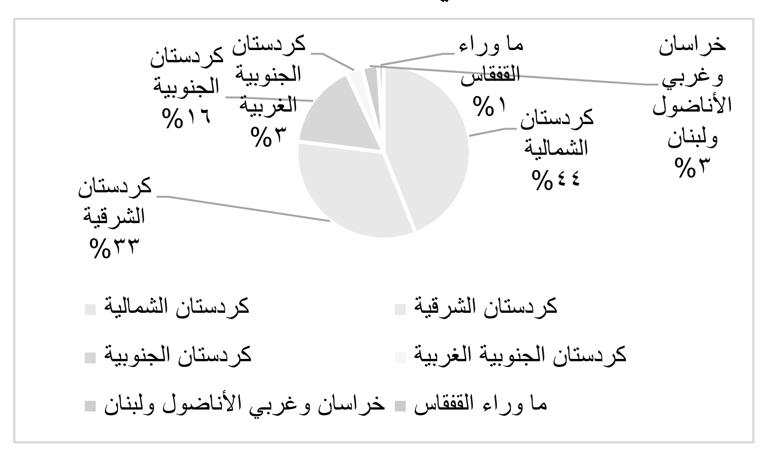
يقول منذر الموصلّي في كتابه المذكور آنفاً والصادر عـام ١٩٨٦: وفـق بعـض المصادر السوفياتية يبلغ عدد الكرد الاجمالي نحو (٧) مليـون نسـمة، دون الاشـارة إلى سنة نشر هذا الرقم، وقد تحمل محمد جزاع (بوشكين) عناء البحث، لأنه على مـا يبدو كان يشك مثلنا هو الآخر في الرقم الذي أورده الموصـلي، فوجـد أن الـرقم (٧) مليون نسمة منشور في الموسوعة السوفياتية الصادرة عـام ١٩٥٢، ولا يُخفـى الفـرق الزمني بين ١٩٥٢و ١٩٨٦ (أي سنة صدور كتاب المذكور) فهو ٣٤ سـنة، فـاذا كـان عدد السكان يتضاعف كل عشرين سنة، فلابد أن يكون هذا الرقم عام ١٩٧٢ ضعف الرقم ٧ ملايين، هذا إذا كانت المصادر السـوفيتية دقيقـة، لأن المصـادر السـوفيتية مشكوك في أمرها أيضاً، كونها كانت تعتمد ببسيط العبـارة علـى المصـادر الرسميـة للدول التي ألحقـت بهـا أجـزاء كردسـتان، أي يفـترض أن يصـبح الـرقم ١٤مليونـاً، ويصل عام ١٩٨٦ الى نحو ٢٣.٨ مليونـاً ولـيس ٧ ملايـين. أنـا لا أعتقـد أن باحثـاً بمستوى منذز الموصلي يجهل أبسط قـوانين التزايـد الطبيعـي للسـكان في منطقتنـا (شرق المتوسط)، والرقم الذي قمنا باستنتاجه وفق قانون التزايد الطبيعي للسـكان في كردسـتان يكـاد يتطـابق مـع الـرقم الـذي أورده (د. فهمـي الشـناوي) في كتابـه (الأكراد يتامى المسلمين) عام ١٩٩١.

هذا من جهة ومن جهة أخرى سنورد مثالاً آخر يستشف منه كيف سـعى منـذر الموصلي، وهو المخول من قبل البعث في سوريا في تناول الشأن الكردي، كونـه كـان رجل أمن، ليقوم بتقزيم عـدد الكـرد بغيـة تضـليل القـارىء. ففـي الاحصـائية الـتي أوردها في كتابه المذكور والصادر عام ١٩٨٦، أدرج عدد الكرد في تركيـا/ كردسـتان الشمالية، بنحو ٢.٥مليوناً، بينما صرّح الرئيس التركي تورغـوت أوزال عـام ١٩٩١[1] بأن عـدد الكـرد/١٢/ مليونـاً، أي بعـد نحـو خمـس سـنوات فقـط مـن صـدور كتـاب الموصلي، علماً أننا لو اعتمـدنا الـرقم الـذي حـدده الموصـلي (أعـني ٢.٥مليـون)، فالمفروض أن يغدو عدد الكرد في كردسـتان الشـمالية (تركيـا) عـام ١٩٩١ قرابـة ٣ ملايين لا غير، وهو العام الذي صرح فيه أوزال بأن عـدد الكـرد في تركيـا ١٢مليونـاً، فأين الثرى من الثريا ؟.

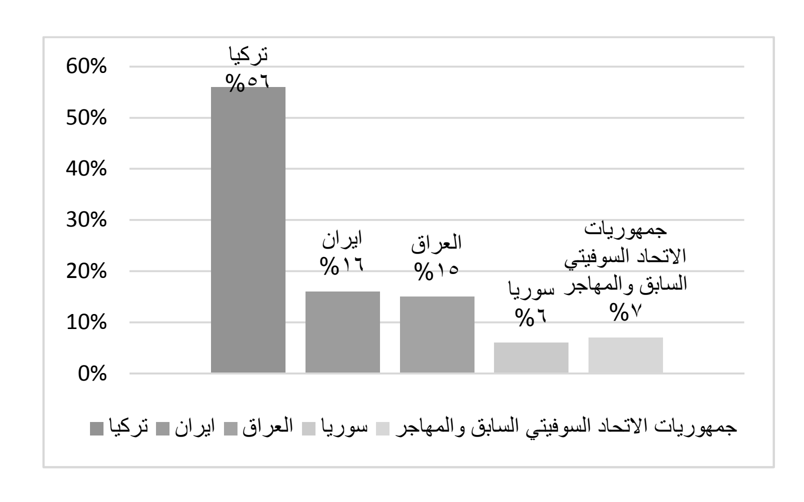
---

(١)– راجع: كتاب محمد جزاع/ بوشكين – مصدر سابق – ص٢٢.

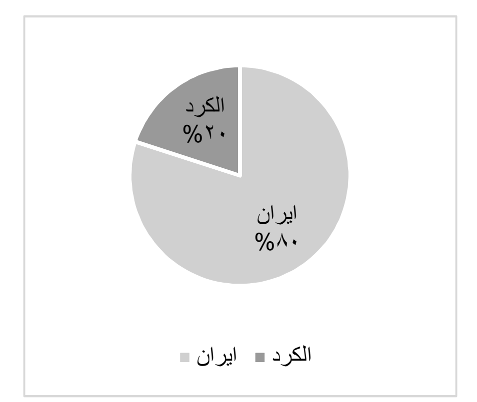
في النتيجة يمكن القول: أن الهجرات الهندو – أوربية قديماً اتجهت نحو منطقة الشرق الأوسط، ومن المفيد قوله أن هذه الهجرات ضمت شعوباً شتى منها: الأوربيين، الكرد، السلاف، الأرمن، الفرس...الخ. واستقر الكرد في هذه الرقعة التي تطلق عليها اليوم كردستان بموقعها الجغرافي في قلب الشرق الأوسط وفي غرب آسيا. فيما يلي أشكال تبين نسبة سكان كل صقع من أصقاع كردستان بالنسبة إلى عدد الكرد ونسبتهم إلى سكان الدولة التي ألحق بها كل جزء على حدة.

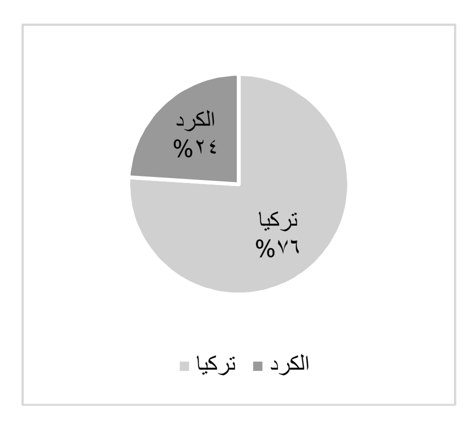


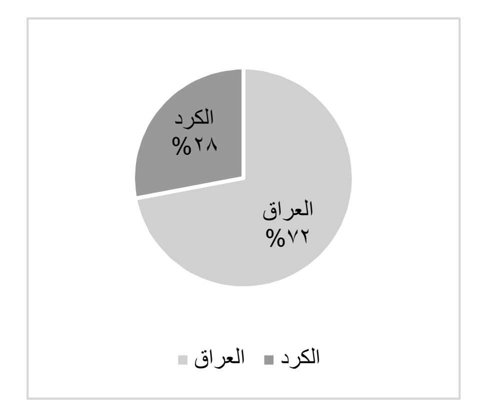
الشكل: عدد سكان كل جزء بالنسبة الى عدد سكان كردستان عامة – نموذج (أ)

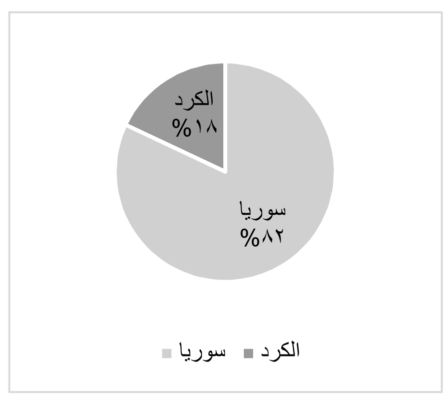


الشكل: النسبة المئوية لتوزع الكرد – نموذج (ب)









الشكل: عدد سكان كل جزء من كردستان بالنسبة الى عدد السكان الدولة التي الحق بها الجزء

ثالثاً – المساحة:

تقدر المساحة العامة لكردستان بنحو (٤٥٧,٦) ألف كم٢ وفق الدكتور عبد الستار طاهر شريف، وتقدر وفق مصادر أخرى (بافيج – رامبو) بنحو (٥٠٠ – ٥٣٠) ألف كم٢، وقدرها الدكتور عبدالرحمن قاسملو بنحو (٤٠٩,٦٥٠) كم٢. أما الباحثان صلاح سالم زرقه و الدكتور محمود محمد زايد فيقدرانها بنحو ٥٠٠ ألف كم٢، أي أن مساحة كردستان تزيد عن مساحة (بريطانيا وهولندا وبلجيكا وسويسرا ودانمارك) مجتمعة[1].

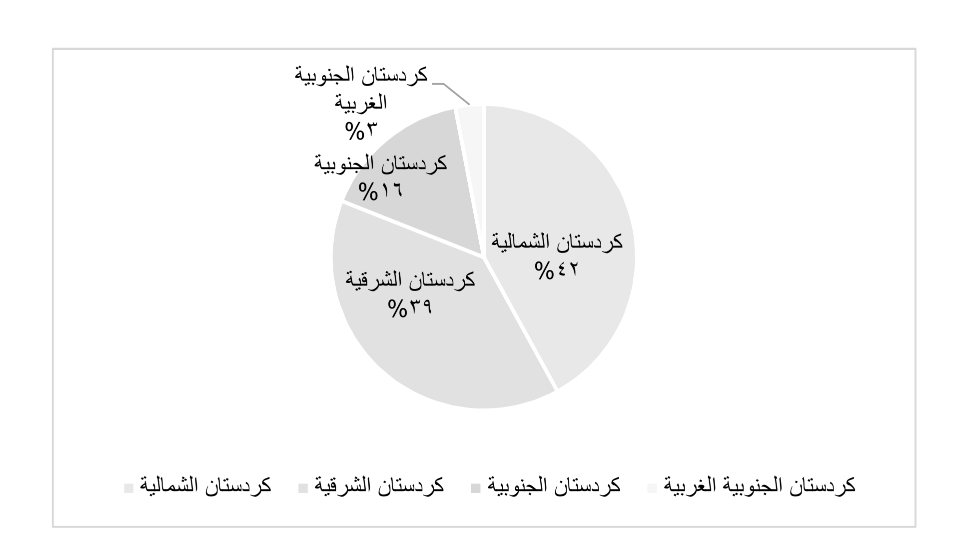
---

(١)ـ راجع الملحق رقم ٤.

تتوزع المساحة التقريبية لكردستان على الشكل التالي[1]:

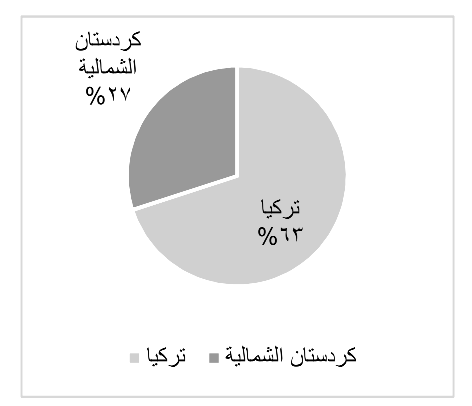
كردستان	المساحة	النسبة إلى مساحة كردستان	النسبة إلى مساحة الدولة التي ألحقت بها
الشمالية	٢١٠ ألف كم٢	٪٤٢	٪٢٦,٩٠
الشرقية	١٩٥ ألف كم٢	٪٣٩	٪١١,٨٣
الجنوبة	٨٣ ألف كم	٪٢١٦	٪١٨,٣٩
الجنوبية ـ الغربية	١٥ ألف كم٢	٪٣	٪٨,١٠

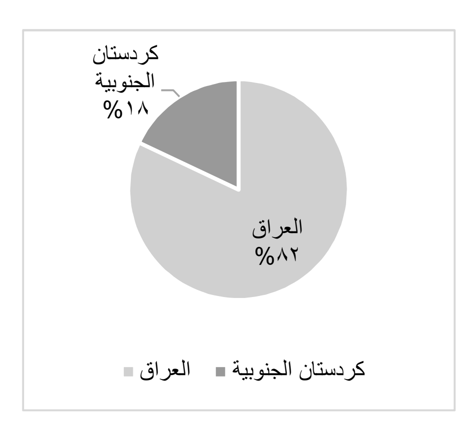
تأمل فيما يأتي الأشكال التي تظهر مساحة كل جزء وفق الاسلوب المقارن: أ ـ مساحة الجزء بالنسبة إلى مساحة كردستان العامة ب ـ مساحة الجزء بالنسبة إلى مساحة الدولة التي ألحق بها الجزء .

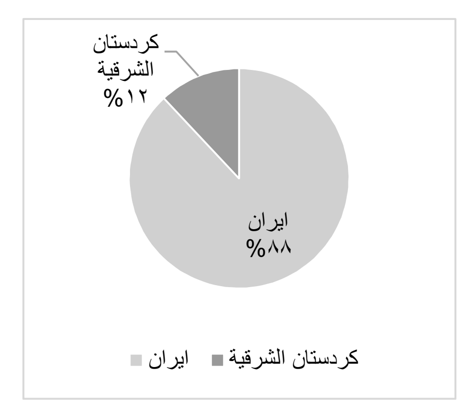


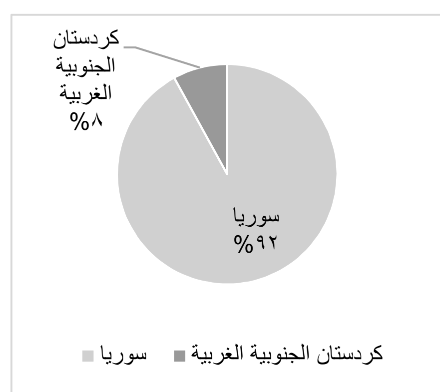
أ ـ مساحة كل جزء من كردستان بالنسبة الى مساحة كردستان العامة

(١)– الجدول منقول من أكراد الدولة العثمانية – ص٤٥









ب ـ مساحة كل جزء من كردستان بالنسبة الى مساحة الدولة التي ألحق بها الجزء

رابعاً – الجغرافيا الطبيعية:

كردستان منطقة جبلية، تضم سهولاً فسيحة وأخرى بينية خصبة، منبـع عـدة أنهار أهمها نهرا دجلة والفرات وروافدهما، كما تكثر فيها الينابيع (١٠٠٠٠ ينبوع).

١– الموقع الفلكي والامتداد والارتفاع: من الواضح أن موقع كردستان الفلكي يمتد تقريبـاً بـين درجـتي العـرض (٣٠– ٤٠)° شمـالي خـط الاسـتواء، وبـين درجـتي الطول (٣٦– ٥٢)° شرقي خـط غـرينتش. وتمتـد /١٢٠٠/ كـم مـن الشـرق (لورسـتان المطلة على الخليج)[1] إلى الغرب (ولاية ملاتيا أو البحر المتوسط)، ونحو/١٠٠٠/كم من

---

(١)– حوالي ثلثي اللور يعتبرون أنفسهم كرداً والكثير من المستشرقين أيضاً. راجع: عرب وأكراد خصام أم وئام – درية عوني – دار الهلال – هامش ص٢١.

الشمال (جبال آرارات) إلى الجنوب (جبال حمرين). كما يتراوح متوسط ارتفاعها بين /١٠٠٠– ١٥٠٠/ م فوق مستوى سطح البحر. ان موقع كردستان في غرب آسيا، جعلها صلة الوصل بين آسيا وأوربا (الشرق والغرب)، بدليل أن طرق التبادل التجاري قديماً كانت تمر عبرها، ومازالت تحتفظ كردستان بهذا الموقع التجاري الهام لا بل زادت أهمية هذا الموقع في التاريخ المعاصر بعد اكتشاف النفط واستثماره. لذا، يعد تحقيق الأمن والاستقرار في المنطقة ضرورياً، أما معاداة الكرد، فيجعل من هذا الشريان الحيوي من طرق المواصلات الدولية فاقداً لقيمته الحيوية[1].

٢– **التضاريس:** كردستان منطقة تكثر فيها الجبال الالتوائية الحديثة والمعقدة والهضاب (أغلبها تعود الى الزمن الجيولوجي الثالث)، ووفق هذا السياق قيل أن كردستان تشكل العمود الفقري للشرق الأوسط. أهم جبالها طوروس وزاغروس (الأخير ارتفاعه ٤٧٠٠م، وطوله ١٠٠٠ كم)، وأعلى قمة تقع في جبال آغري (٥١٦٥) م وجبل رشكو ٤١٦٨ م وآغري الصغير ٣٩٢٥ م. ومن جبال كردستان: ماكو، سيبان، نمرود، بيخير، سَفين، هَمرين، بازيان، هرير، شِنكال، كُرْمينج ... الخ. ناهيك عن السهول التي تزداد إتساعاً نحو الجنوب، منها سهول بينية: السندي ورانيا وحرير وشهرزور (طوله ٤٥ كم وعرضه ١٥ كم). ومنها لحقية (دلتا أديري المتكونة من طمي نهر آراس – سهول الجزيرة في الجزء الملحق بسوريا). وتكثر البراكين الخامدة، منها بركانين حول بحيرة وان، هما (سيبان في الشمال والذي يرتفع إلى حوالي ٤٤٣٤م، وجبل نمرود الذي ترتفع أعلى قمة فيه إلى ٣١٤٠م، ويبلغ قطر فوهة هذا البركان ٤٦٠٠م)[2].

٣– **المناخ:** متوسطي (جبلي قاري قاسي)، الشتاء بارد وماطر والصيف حار وجاف. معدل الأمطار بين (٢٠٠– ٤٠٠) ملم في السهول، وفي المناطق المرتفعة بين (٧٠٠– ٢٠٠٠) ملم، وقد يتجاوز المعدل في بعض المواقع (٣٠٠٠) ملم، ويكون التهطال ثلجياً في قمم الجبال العالية شتاءً. فيما يلي جدول بمعدلات الحرارة والأمطار السنوية في المدن الرئيسية:

---

(١)– باسيلي نيكيتين: الكرد/ دراسة سوسيولوجية وتاريخية – ترجمة: د. نوري طالباني – الطبعة السادسة المنقحة – الأكاديمية الكردية/ هولير – عام ٢٠١٢ – ص١٧.

(٢)– ن. محب الله: موقع الأكراد وكردستان تاريخياً وجغرافياً وحضارياً – ط١عام ١٩٩١ – ص١٤.

المدينة	معدل حرارة (تموز)	معدل حرارة (ك٢)	معدل الأمطار
دياربكر	٣١	٢,٥	٤٧٠ ملم
سنة	٣٥	١٥	٥٠٠ ملم
كركوك	٤٣	١٤,٥	٤٣٤,٥ ملم
قامشلي	٣٠	٧	٤٤٢ ملم

وتزداد الفروقات الحرارية السنوية بشكل كبير، فتتراوح الدرجة القصوى بين (٤٥)ْ فوق الصفر صيفاً والدنيا (٣٠)ْ تحت الصفر شتاءً في بعض المناطق. (مثال: القصوى في خانقين تتراوح بين ٤٠ و٤٥ درجة مئوية صيفاً، والدنيا تتراوح في قره كوسه بين ٣٠ و٣٥ تحت الصفر شتاءً)، وبالتالي يبلغ الفرق الحراري السنوي بين القصوى والدنيا نحو ٨٠ درجة مئوية.

٤– الأنهار:

١ـ دجلة: طوله ١٧١٨ كم. يقول محمد أمين زكي بك في خلاصة تاريخ الكرد وكردستان: ان دجلة كان يدعى (تيجريس)، والكلمة محورة من (تيكرا) الميدية، التي تعني (تيرTîr: أي السهم في العربية). ويضيف المترجم محمد علي عوني: لا يُخفى أن لفظ (تيكرا) هذا، لمّا تَعَرَّب لأول مرة صار هكذا (تيجرا)، ثم تحرفت الكلمة على مدى الأيام إلى دجلة، ووجه التسمية ظاهر لأن مياه دجلة تنطلق كالسهم، والمقصود بذلك سرعة جريان المياه. وهناك من يقول أن (دجلة) محورة من (ديكلات) البابلية، والتي تعني الضفة المرتفعة. ينبع دجلة من شمال غربي ديار بكر بنحو ٧٠ كم، ويجري في كردستان الشمالية نحو ٣٠٠ كم و ١٥٠ كم في الجنوبية، كما يفصل بين كردستان الجنوبية والجزء العربي من العراق لمسافة ٢٠٠– ٢٥٠ كم. أهم روافده في كردستان الشمالية: بوتان، بدليس، باتمان، هزو، أما روافده في الجنوبية فهي: خابور دجلة (بيش خابور)، هيزل، الزاب الأعلى (زيى بادينان) والزاب الأسفل (زيى كويه) (طوله ٤٠٠ كم، أقيم عليه سد دوكان بطاقة ٧ مليار م٣ وظيفته درء خطر الفيضانات وري الأراضي الزراعية وتوليد الطاقة الكهربائية)، النهر العظيم (طوله ٢٣٠كم)، ديالى، سيروان.

نظام جريانه: تزداد مناسيبه في فصل هطول الأمطار بدءاً من كانون الأول، ويفيض في الشتاء بسبب التغذية المطرية، وفي الربيع (آذار، نيسان، أيار) بسبب

التغذيتين المطرية و الثلجية، ثم يدخل مرحلة الشح صيفاً معتمداً على مياه الينـابيع التي تغذيه.

٢- الفرات: طوله ٢٨٠٠ كم، منابعه في كردستان الشـمالية بـالقرب مـن منـابع دجلة، حيث يتشكل من إلتقاء (فرات/ قره سو - ٤٥٠ كم، يرفده تهماسو ١٩٢ كـم) و (مراد سو - ٦٥٩ كـم، يرفـده نهـر بـيري ٢٣٥ كـم). يجـري الفـرات في كردسـتان الشـمالية لمسـافة ٤٥٥ كـم (٦٤٧ كـم وفـق د. قـاسملو)، ولـه عـدة روافـد منهـا في كردستان سوريا: الساجور والبليخ والخابور وروافد الخـابور العديـدة ومنهـا (جقجـق والجَرّاح والعباس).

٣- آراس: طوله ٩٢٠ كم، ينبع من شرق مدينة أرضروم ويتجـه نحـو الحـدود الأرمنية، ثم يلتقي بنهر كورا، ويصب في بحر قزوين.

٤- قيزيل أوزان: ينبع من جنوب غرب مدينة ديوان دَرَه في ايران، ويصـب في بحـر قـزوين. مـن الملاحـظ أن مجمـل هـذه الأنهـار تتصـف في مجاريهـا العليـا (في كردستان الشمالية) بسرعة جريانهـا، جـراء شـدة الانحـدار، لـذا تكـون غـير صـالحة للملاحة، لكن لها أهمية كبيرة في توليد الطاقة الكهربائية.

هـ - البحيرات:

١- أورميا: مساحتها (٦٠٠٠) كم٢، طولها (١٣٠) كـم وعرضـها (٥٠) كـم، أمـا عمقهـا (٦) م وفي بعـض الأمـاكن (١٥) م، فيهـا جزيـرة شـاهي (٢٥) كـم٢. مياهها شـديدة الملوحـة، لاتسـتطيع الأسمـاك العـيش فيهـا. وإلى الجنـوب منهـا بحيرتـان صغيرتان.

٢- وان: مساحتها (٣٧٦٥)كم٢ وهـي مالحـة وعمقهـا (١٠٠) م وارتفاعهـا عـن مستوى سطح البحر (١١٢٠) م. وتكثر قربها البحيرات، منها: إرسـيك، باليـك، وقـرب منابع دجلة توجد بحيرة هزار Gol مساحتها ٥٠ كم٢. مياه هذه البحيرات كلها مالحة جراء التركيب الجيولوجي والصخور البركانية، رغم هذا تعيش فيها بعض الأسماك.

٣- هناك مجموعة من البحيرات الصغيرة، مثل: هـزار (ولايـة آلعزيـز)، أرجـاك (ولاية وان)، نازيك (ولاية بدليس)، زيفـار (محافظـة سـنة/ طولهـا ٤.٥ كـم وعرضـها ١.٧ كـم ومعـدل العمـق ١٥م)، گـولا سـموقيا Gola Simoqya/ بحـيرة الخاتونيـة في الجزيرة. أما كردستان الجنوبية فتكثر فيها الشلالات التي يمكن اسـتغلالها في توليـد الطاقة الكهربائية أو في السياحة.

و – الغابات:

تقهقرت مساحتها جرّاء الرعي الجائر، الاحتطاب والحرائق. رغم ذلك تغطي أكثرية جبال كردستان الشرقية من أورميا شمالاً وحتى لورستان جنوباً، وأهم أشجارها البلوط/ Berû، وهناك أيضاً العفص وكزوان (حبة الخضراء) وبَنيشْت والجوز. وفي كردستان الشمالية مازالت أشجار البلوط والزان واللوز تغطي أجزاءً من المنحدرات، في حين تكثر أشجار الحور (سبيندار) والصفصاف وفواكه البحر المتوسط والكروم في السهول والوديان[1]، ومازالت تتوفر أعداد من الدببة والثعالب والذئاب والضباع والخنازير البرية والماعز الجبلي وطيور متنوعة[2]. عموماً فالغابات تغطي: ٦٪ من كردستان الشمالية و ٣٢٪ من الشرقية و٨٪ من الجنوبية على حد تقديرات د. قاسملو، وهي ليست كثيفة بالاجمال ولا تحظى بالحماية كما أسلفنا.

ل – الثروة المعدنية:

تتعدد وتتنوع، رغم تخلف عمليات التنقيب الجيولوجية، وأهم الثروات المكتشفة:

١– الحديد: أكتشف في ديفريك بكردستان الشمالية، وفي راجو بمنطقة عفرين. وأكتشفت مناجم في منطقتي رواندوز والسليمانية.

٢– النحاس: في ايرغان وديار بكر وبالو بكردستان الشمالية التي تنتج ٢٪ من انتاج النحاس عالمياً وفق الاحصائيات العالمية عام ١٩٧٠، ولورستان بكردستان الشرقية.

٣– الكروم: تعد كردستان الشمالية ثاني أكبر منتج ومصدر للكروم في العالم بعد الاتحاد السوفييتي السابق (الاتحاد الروسي حالياً) أي نحو ٨٪ من انتاج العالم عام ١٩٧٠، بلغ الانتاج عام ١٩٧٣نحو ٢,٢م. ط، ويصدر معظم الانتاج الى الولايات المتحدة الأمريكية[3]، وأكتشفت خاماته في بارزان بكردستان العراق.

---

(١)– جيرارد جالياند: شعب بدون وطن/ الكرد وكردستان – ترجمة الى العربية: عبدالسلام النقشبندي – دار آراس للطباعة والنشر/ اربيل – ط١عام ٢٠١٢– ص٩٧و٨٠.

(٢)– المصدر السابق نفسه – ص٨٠.

(٣)– المصدر نفسه – ص٨٨.

٤– **الكبريت:** في إقليم سِنه بكردستان الشرقية، وفي العمادية وفي الجنوب الشرقي من اربيل يوجد مخزون كبير من الكبريت الحجري بكردستان الجنوبية[1]، ويستخرج من النبع الكبريتي في (رأس العين) Serê Kaniyê في الجزيرة بكردستان سوريا.

٥– **الذهب:** في كرمنشاه بكردستان الشرقية.

٦– **الفضة:** في كانان.

٧– **الفحم:** قرب مادن وخربوط بكردستان الشمالية.

٨– **الحجر الجيري:** قرب السليمانية بكردستان الجنوبية.

٩– **الملح الصخري:** من سنجار وشيخان وتوز خُرماتو بكردستان الجنوبية.

١٠– ناهيك عن (الرصاص، النيكل، الألمنيوم والكوبالت واليورانيوم والفوسفات والمرمر والرخام).

١١– **النفط:** لكن أهم هذه الثروات هو (البترول)، الذي أصبح نقمة على الكرد بدلاً من أن يكون نعمة، وهو (سبب شقاء الكرد الحالي)[2]، والسبب الرئيس في إجهاض آمال الكرد. أكتشف الغاز الطبيعي الى جانب النفط وأستثمرا في كل أنحاء كردستان: الشمالية (باتمان) والمخزون قليل مقارنة بالمخزون الهائل في كردستان العراق وايران، والجنوبية (أكبر حقوله في بابا كُركُر قرب كركوك وفي عين زالة وخانقين) والشرقية (كرمنشاه وقصر شيرين) والجنوبية – الغربية (رميلان وقره جوخ والسويدية .. الخ).

---

(١)– درية عوني: عرب وأكراد خصام أم وئام – دار الهلال – ص٢٣.

(٢)– رينيه موريبس: مصدر سبق ذكره – ص١٩.

الفصل الثالث
تــوزع الكُـرد

أولاً: توزع الكُرد في كردستان

كان الكرد يتوزعون قبل الحرب العالمية الأولى بين الدولة العثمانية وايران وروسيا. وبعد الحاق ولاية الموصل ذات الأكثرية الكردية بالعراق، وجزء من تركة الدولة العثمانية بسوريا، صارت كردستان تتوزع بين دول خمس هي (تركيا، ايران، العراق، سوريا، الجمهوريات السوفيتية السابقة). يشكل الكرد في مناطقهم نسبة تتراوح بين ٨٥ – ٨٧٪ من نفوس (سكان) كردستان، والنسبة الباقية تتنوع بين الترك والفرس والعرب والأقليات الأخرى. وقد قدر الكسندر جابا عدد الكرد في كتاب له عن الكرد نشره عام ١٨٦٠م في بطرس بورغ على الشكل الآتي[1]:

تركيا ٣,٩٨٧,٩٦٠

ايران ٣,٣٠٠,٠٠٠

العراق٧٤٩,٣٨٠

سوريا٢٨٩,٩٤٠

أرمينيا وبلاد أخرى ٦٧٢,٧٢٠

المجموع ٩.٠٠٠.٠٠٠

ما من شك أن أي أمة تقع تحت هيمنة أمة أخرى، ستكون ضحية القهر القومي (الاقتصادي والسياسي والثقافي) على يد الأمة المضطهِدة، التي تستهدف تجريد الأمة المضطهَدة من هويتها، بشتى السبل. كما تسعى الأمة المضطهِدة الى ديمومة سيطرتها على الأمة المضطهَدة. واليوم، يعد وضع كردستان أسوأ من وضع مستعمَرة حقاً على حد وصف اسماعيل بيشيكجي، بسبب: ١– نهب الموارد الأولية

(١)– رفيق حلمي: الأكراد منذ فجر التاريخ الى سنة ١٩٢٠ – عام ١٩٣٤ – ص٣١.

(الخامات المعدنية، المنتجات الزراعية والحيوانية) ٢– الاستفادة من اليد العاملة الكردية الرخيصة واستغلالها بشتى السبل ٣– اغراق الأسواق الكردية بالمنتجات الصناعية للدول التي تقتسم كردستان.

١– كردستان الشمالية (كردستان تركيا):

*** «سياسة التتريك تشبه آلة، لايمكن لها أن تعمل الا اذا دُهنت بدماء الكرد»**

الشاعر الكردي (بيره ميرد)

**** «أغلب الظن أن هذا الجندي هو كردي»**

(مقطع من الخطاب الذي ألقاه وزير الدفاع التركي ذات يوم على قبر الجندي المجهول)

كردستان الشمالية، أو الولايات الشرقية أو شرقي الأناضول وفق المصطلح التركي، هي الجزء الذي تسيطر عليه تركيا، والذي تقدر مساحته بنحو ٣٠٪ من مساحة تركيا (أي ٢٣٥) ألف كم٢ وفق جيرارد جالياند[1]، و (٢٢٥) ألف كم٢ وفق تقديرات لازاريف[2] أو (٢٢٤) ألف كم٢ وفق تقديرات عصمت شريف وانلي[3]. ونسبة الكرد تصل إلى ٢٣.٨٪ من سكان تركيا وفق تقديرات د. عبد الستار طاهر شريف ونحو ٣٢٪ وفق تقديرات عصمت شريف وانلي (علماً أن مساحة تركيا ٧٨٤ ألف كم٢ وعدد سكانها ٧٧ م.ن وفق عام ٢٠١٥م). لكن الاحصاءات الرسمية في تركيا غير موثوقة، لا بل مضللة وتطمس الحقائق عن سبق الاصرار والتصميم، فضلاً عن أنها ليست شاملة، والجدول التالي يظهر ذلك لكل ذي بصيرة:

السنة	مجموع السكان في تركيا	عدد الكرد وفق الزعم التركي
١٩٣٥	١٣,٨٩٩,١٠٠ ن	١,٤٨٠,٢٠٠ ن
١٩٤٥	١٦,٥٩٠,٥٠٠ ن	١,٣٦٢,٩٠٠ ن

لاحظ التراجع في حجم الكرد بعد عشر سنوات...!، رغم أن نسبة النمو السكاني في كردستان الشمالية أعلى بكثير من هذه النسبة في تركيا، جرّاء الزواج

(١)– جيرارد جاليد: مصدر سبق ذكره – ص٧٩.

(٢)– م. لازارييف: المسألة الكردية ١٩٢٣– ١٩٤٥/ النضال والاخفاق – ترجمة: د. عبدي حاجي – مؤسسة آراس/ اربيل – ط١عام ٢٠٠٧م – ص١٧.

(٣)– راجع: من مذكرات عصمت شريف وانلي – مصدر سابق – ص٢٣٠و٢٣١.

المبكر والتخلف والعادات والتقاليد السائدة في الريف، فوراء الأكمة ما وراءها. ان الاحصاءات تخضع للأغراض السياسية، وغايتها التقليل من حجم الكرد وتضخيم حجم الترك بأي ثمن، مما دفع الكردولوجي أرشاك سافرستيان الى القول بأن الطريقة التركية المألوفة في تعداد السكان، كانت تضيف نسبة ٢٥٪ الى عدد الترك، وتطرح بالمقابل ٢٥٪ من عدد الكرد. يضاف الى ذلك مثلاً، أن احصاء السكان عام ١٩٢٧ لم يشمل القبائل الرحل والايزيدية والزازا والشيعة (العلويون)[١]. في عام ١٩٧٠ كان مجموع سكان تركيا ٣٥,٧ م. ن (نسبة الكرد ٢٣,٨٪ = ٨,٥ م. ن)، وهذا الرقم لا يتسم بالدقة، لأن السلطات التركية تحبذ عادة التقليل من عدد الكرد، كما أن الكرد كانوا أيضاً يترددون في الافصاح عن هويتهم الكردية بسبب الأساليب القمعية الرهيبة. يذكر جرارد جالياند قائلاً: (تبين لي في احصاء ١٩٦٥، الذي كنت حاضراً له، عندما كان الكردي يسأل عن قوميته، وهو يجهل اللغة التركية تماماً، كان يرد: من الأفضل أن تسجل قوميتي "تركية "، انني لا أريد الوقوع في مشاكل)[٢].

تركيا دولة متعددة الاثنيات مثلها في ذلك كمثل ايران والعراق وسوريا، والشعوب التي تقطنها، هي: (الترك) في غرب الأناضول، و (الكرد) في شرق الأناضول، و (اللاز) في سواحل البحر الأسود، و (العرب) في لواء الاسكندرون، و (الاناؤوط) في تراقيا، الى جانب أقليات اثنية ودينية، لكن القوميتان الرئيسيتان هما الترك والكرد، رغم أن السلطات الرسمية لا تعترف بهذه الحقيقة[٣]. يشكل الكرد الأكثرية الساحقة في أكثر من/١٧/ ولاية (آيديمان، آغري، بينغول، بدليس، ديار بكر، اليازيك، ارزنجان، هكاري، ماردين، موش، سيرت، ديرسم، أورفا، وان، شرنخ، اردهان، باتمان)، ونسبة كبرى في ست ولايات هي (عينتاب، ملاتيا، قارس، سيواس، ارضروم، قونيا)[٤]، ورغم هذا فمازالت تركيا كسابق عهدها تتنكر لهذه الحقيقة أيضاً. ومن المفيد قوله أن أي ذكر للمسألة (القضية) الكردية في تركيا لم

---

(١)- م. لازاريف: مصدر سبق ذكره - ص١٦و٢٠.

(٢)- جيرارد جاليائد: مصدر سبق ذكره - ص٨٠و٨١.

(٣)- صلاح سعدالله: المسألة الكردية في تركيا - بغداد١٩٩١ - ص١٨.

(٤)- عبدالستار طاهر شريف(الدكتور): الجمعيات والمنظمات والأحزاب الكردية في نصف قرن - ط٢عام٢٠٠٧ - السليمانية - ص٢١.

يرد الا في عام ١٩٧١، وذلك حين عقد حزب العمال التركي مؤتمره الرابع في تشرين الثاني واتخذ قراراً: (اعترف فيه بوجود شعب كردي في شرق تركيا، ودعا المؤتمر الحزب الى مساندة نضال الشعب الكردي في ممارسة حقوقه الدستورية وتحقيق آماله. كان هذا موقفاً شجاعاً من الحزب، اذ لم يسبق لحزب ممثل في البرلمان أن اعترف بوجود شعب كردي. قامت السلطات بحل الحزب على الفور، بحجة تأييده للأنشطة الانفصالية)[1].

أما فهمي اسكلار، رئيس حزب العمل الشعبي في تركيا، فقد أكد بدوره في كلمته التي افتتح بها المؤتمر الأول للحزب في حزيران١٩٩١، أن هناك أكثر من ٢٠م. ن في تركيا يقولون بفخر أنهم كرد، رغم هراوات السلطة المرفوعة فوق رؤوسهم. وأضاف المذكور: لكرد تركيا الحق في تقرير مصيرهم، أسوة بأي شعب آخر في العالم. ودعا في الوقت نفسه تورغوت أوزال إلى الاعتراف بالكرد ومنحهم حقوقهم والكف عن المحاولات التي تتوخى تقزيمهم. لكنْ، هل تخلت تركيا يوماً عن سياسة الحل الشوفيني للقضية الكردية التي أثقلت كاهلها ؟ وهل تخلت لحظة عن معاييرها الازدواجية وسياسات التتريك والصهر، ناهيك عن القمع والتنكيل بالكرد؟.

تأسس الحزب الديمقراطي الكردستاني عام ١٩٦٥ في تركيا تحت تأثير الحركة التحررية الكردية في كردستان العراق، من قبل المحامي فائق باجاك، لكنه أغتيل على يد الشرطة السرية التركية عام ١٩٦٦، أما المؤسس الثاني فهو سعيد آلجي.

ملاحظات:

أ – من المفارقات التي تقوم عليها السياسة التركية تلك الازدواجية في المعايير، فرغم أن عدد الكرد في تركيا مثلاً أكثر من عدد الترك في قبرص بـ (٥٠) مرة، إلا أنها لجأت إلى تقسيم جزيرة قبرص، وفي ذات الوقت نجدها تتغاضى عن وجود الكرد في تركيا.

ب – أدانت تركيا سياسة البَلْغَرَة (نسبة إلى بلغاريا) تجاه الأقلية التركية هناك، حين فرضت حكومة صوفيا على أبناء هذه الأقلية التسمي بأسماء عرقية بلغارية، في الوقت الذي قامت فيه تركيا باتباع سياسة تقوم على تتريك البشر والشجر والحجر في كردستان الشمالية. يستوي في هذا الأمر تياران، **الأول** يتمثل في

(١)– جيرارد جاليان: مصدر سبق ذكره – ص١٤٢.

القوميين الترك من أتباع مصطفى كمال[١]، **والثاني** يتمثل في المسلمين من أتباع أردوغان. أما **اليسار** التركي، فحين ثارت ديرسم كتب ممثله راسم دواز مقالة في مجلة (انترناشيونال بريس كوريسبوندنس) في ١٩٣٧/٧/٢١، برر فيها الحملة العسكرية التركية، التي بطشت بسكانها وصفق لها تحت ستار الدور التقدمي للبرجوازية التركية التي تسعى – على حد قوله – إلى تأمين الأسواق لها، ووصم ثورة الديرسميين بالرجعية[٢]. لكن البرجوازية التركية التي بسطت سيطرتها على كردستان، صانت البنى القبلية التقليدية وكذلك العلاقات الاقطاعية، وبصيانتها لعلاقات الملكية جعلت من طبقة الاقطاعيين في كردستان طبقة تابعة لها وحليفتها، فجددت القيود التي كانت تقيد الفلاحين الكرد دون أن تلغيها، وقُل الشيء نفسه بالنسبة لفئة التجار التي لم تصمد أمام المنافسة، علاوة على الصناعات الحرفية التي انهارت. وبالتالي يمكن القول أن البرجوازية التركية لم تلعب ذاك الدور التقدمي على صعيد شرقي الأناضول (أي كردستان) كما يُزعم، بل حافظت على تخلفه الاقتصادي والاجتماعي، كي يظل سوقاً لتصريف بضائعها من جهة، ومصدراً للمواد الأولية التي تحتاج إليها صناعة أناضول الغربية.

إلى جانب ذلك هناك تيار **معتدل**، يقر بفشل سياسة التتريك، ويدعو إلى سياسة التعايش بين الترك والكرد وغيرهم من المكونات وانصاف هذا الشعب المضطهَد، والسماح له بممارسة حقوقه القومية، ويأتي في مقدمة هذا التيار البروفسور **اسماعيل بيشكجي** وآخرين، الذين ذهبوا إلى أبعد من ذلك حين طالبوا بمنح الشعب الكردي حقه في تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة.

جدير ذكره أن الامارات الكردية والدولة العثمانية كانتا تتقاسمان السلطة، وكانت الدولة ترضى بنوع من الادارة الذاتية لهذه الامارة أو تلك شرط ولائها للدولة

---

(١)– الفلاحون الكرد الذين يتوافدون الى الأسواق لبيع منتجاتهم فيها، كان يتوجب عليهم دفع غرامة عن كل كلمة كردية ينطقون بها، وقد تفوق الغرامة ثمن ما باعه من المنتجات. وكتب العنصري التركي المتعجرف نيهال عزيز مهدداً: على الكرد الذين يتحدثون (لغة بدائية)!.. الرحيل، وهدد الكرد: خذوا العبرة من الأرمن، اسألوهم ماذا فعلنا بهم. راجع في هذا الصدد (جيرارد جالياند: شعب دون وطن/ الكرد وكردستان – ترجمة الى العربية: عبدالسلام النقشبندي – دار آراس للطباعة والنشر – ط١عام ٢٠١٢ – ص ١٣١و١٣٤).

(٢)– صلاح سعدالله: مصدر سبق ذكره – ص١١.

(الولاء مشروط بدفع الضرائب والتجنيد الاجباري)، لكن السلطان عبدالحميد أسس "الفرسان الحميدية" سنة ١٨٩١ من قبائل سنية كردية وتركمانية، وكانت الغاية من تأسيسها ظاهرياً مواجهة التهديد الروسي، لكنها أستخدمت حقيقة لضرب الكرد ببعضهم وقمع قبيلة خورماك العلوية ومصادرة أراضيها، كما أطلقت الحكومة يدها لجباية الضرائب من الأرمن بشكل مقصود وارتكبت مجازر بحقهم تحت حجج واهية، وكان الجناة تحت قيادة صهر السلطان عبدالحميد في أرضروم، المدعو زكي باشا.

لكن في العهد الجمهوري تناست السلطة الكمالية: (وعودها بالاخوة بين الترك والكرد لمصلحة الغلو في التتريك، وتمت في فترة وجيزة مصادرة ما سمي بثقافة المواطنة من قبل الدولة التي فرضت " ثقافة قومية " وحيدة على مواطنيها)[١]. عصمت اينونو[٢] كان مثلاً يزعم أمام الرأي العام الدولي بأن تركيا عبارة عن وطن مشترك للشعبين التركي والكردي، لكن بعد أن ثبت مصطفى كمال أقدامه حظر حتى التخاطب باللغة الكردية[٣]. أجل، لقد أنكرت السلطات التركية في العهد الجمهوري الهوية الكردية، ثم وسعت من تدابير التمييز والتتريك، حتى طالت الحقل الثقافي فـ: (صارت التركية هي اللغة الرسمية في القضاء، في حين منع تعليم اللغة الكردية في المدارس، وفرضت منذ عام ١٩٢٥– ١٩٢٦ غرامة مالية على المواطنين الذين يتكلمون لغة غير اللغة التركية)[٤]. وكانت الطرق الدينية أول من رفضت سياسات التهميش والتتريك هذه، كما رفضت سياسة مصطفى كمال التي طالت الشأن الديني.

يذكر التاريخ أن الذئب الأغبر مصطفى كمال/ أتاتورك، ذي السلوك المكيافيلي، استطاع أن يخدع الكرد بوعوده العسلية، في إقامة حكم ذاتي كامل

---

(١)– جوردي غورغاس: الحركة الكردية التركية في المنفى – ترجمة جورج البطل – دار الفارابي/ بيروت ودار آراس/ أربيل – ط١عام ٢٠١٣م – ص٩و١٠.

(٢)– (١٨٨٤– ١٩٧٣): سياسي تركي من أصل كردي، خلف مصطفى كمال في رئاسة الجمهورية بين ١٩٣٨– ١٩٥٠، تميز بقمع الكرد.

(٣)– رينيه موريس: مصدر سابق – ص٤٤.

(٤)– جوردي غورغاس: المصدر السابق – ص١٩. ملاحظة: من المفارقات إن (ضيا غوك آلب) الكردي الأصل هو واضع أسس الايديولوجيا القومية التركية ورائد سياسة التتريك، اسمه الحقيقي محمد ضياء، ولد في ديار بكر عام ١٨٧٦م. أما الرائد الآخر في الانمساخ فهو (سليمان نظيف).

للكرد في تركيا، معلناً ذلك على الملأ، لكنْ بعد أن هزم اليونان وتمكن من حجب معاهدة سيفر ١٩٢٠ وفرض معاهدة لوزان ١٩٢٣، أدار للكرد ظهر المجن: (وتبنّى موقفاً عدائياً صريحاً تجاه تحركات الاستقلاليين الكرد، وكان شعاره المشهور: «تنتمي تركيا إلى أمتين: الأمة الكردية والأمة التركية»، لكنه أصبح بعد حين في طي النسيان. وتم سحب ومنع أشرطة الكاسيت، التي كانت تمجد وتشيد ببسالة وشجاعة الكرد، في حين كان يجري الاستماع إلى تلك الأشرطة داخل برلمان أنقرة في أيام حرب الاستقلال. ثم حُل المجلس النيابي ليحل محله، بعد ذلك، نواب أتراك عن المناطق الكردية، وأغلقت المدارس الكردية، وأعتقل عدد من النواب الكرد وقدموا إلى المحكمة العرفية العليا)[١]. جراء خيبة الأمل التي أنتابت الكرد، نهضوا في سبيل نيل الحرية وقاوموا سياسات التتريك. يقول عصمت شريف وانلي عن التتريك: حين زرت قريتي Zîvik المشرفة على مدينة وان والبحيرة المسماة بنفس الاسم، لاحظت أن تركيا سمّت قرية أجدادي هذه بـ " قاورما كويو" وتعني التسمية التركية " اللحم المشوي")[٢]. وكثرت الانتفاضات والثورات، لعل أبرزها ثورة الشيخ سعيد بيران ١٩٢٥ وثورة آغري Agrî وانتفاضة ساسون، لكن مصطفى كمال وعصمت اينونو قاما بتحريض الكرد على بني جلدتهم واتصلا بزعماء القبائل الكردية وزعما أن الشيخ سعيد عميل إنكليزي، ثم بدأ مصطفى كمال باتباع سياسته الطورانية[٣] وذبح: (الكرد بوحشية وفظاظة كالتي أظهرها أتراك السلطان في تعذيب اليونانيين والأرمن والبلغار)[٤]. ويورد نورالدين زازا كيف اقتادوا أباه وأخاه وعمه وابن عمه بعد ثورة الشيخ سعيد إلى بيران مكبلين ليشتموا الشيخ سعيد، لكنهم التزموا الصمت، أما ابن عمه (عثمان أفندي) فلم يتمالك نفسه، وصرخ: المجد والخلود للشيخ سعيد وثورته. دهش الضابط، وأمر بربط عثمان أفندي بجذع شجرة في باحة

---

(١)– نورالدين زازا(الدكتور): حياتي الكردية أو صرخة الشعب الكردي – الطبعة العربية الأولى/ اربيل ٢٠٠١ – ص١٧و١٨.

(٢)– أنظر: مذكرات عصمت شريف وانلي – المصدر نفسه.

(٣)– مشتق من (توران)، وهي المناطق التي تقطنها الشعوب التي يجمعها الأصل التركي، والطورانية مصطلح سياسي، وتطلق على حركة سياسية انتهجت سياسة تتريك غير الأتراك في تركيا وفي مقدمتهم الكرد.

(٤)– نورالدين زازا(الدكتور): مصدر سابق – ص٢٢.

السجن وتبليله في ليلة كانت درجة الحرارة (٣٥ْ) تحت الصفر، في اليوم التالي لم يكن عثمان سوى كتلة جليد هامدة. ووفق طريقة بشعة أخرى كانوا يضعون المناضلين في أكياس ويلقونهم أحياء في بحيرة وان، وهذا ماذكره الصحفي الفرنسي أيضاً، فقال: (في ربيع عام ١٩٣٠، استخدم الترك أفظع الوسائل وأشدها بربرية لاخماد الثورة الكبرى التي قادها احسان نوري باشا في منطقة جبال آرارات، منها أنه وُضع مئة من المثقفين في أكياس خيطت عليهم وألقوا في بحيرة وان وهم أحياء. وعند قيام الدولية الاشتراكية الثانية، المتأثرة بهذه المجزرة بالاحتجاج رسمياً على عملية الهيكاتوم[1] هذه، أجاب محمد أساد، وزير العدل التركي بكل صلافة: هؤلاء ليسوا أتراكاً خلصاً في بلادنا، لذا فليس لديهم حقوق وانما هم مجرد عبيد)[2]. يضاف الى ماذكر، قامت السلطات التركية بالترحيل القسري للكرد، ففي عام ١٩١٥ نُقلَ/٧٠٠,٠٠٠/ قروي كردي من مناطقهم الى مناطق الأناضول الغربية، تحت شتى الذرائع الواهية[3]. وعقب انتفاضة الشيخ سعيد هجرت تركيا في شتاء ١٩٢٦– ١٩٢٧ نحو مليون كردي إلى الأناضول الغربية، وأسكنت في المناطق الكردية مواطنين من أصول تركية من دول البلقان وفق اتفاقيات التبادل[4].

يضاف الى ماذكرناه، تتسم كردستان تركيا بتخلف شديد، ويمكن أن تعطي الاحصاءات التالية صورة عن واقعها في الماضي القريب:

- في النصف الأول من ثلاثينات القرن العشرين كان ١٠٪ يعيشون في المدن.
- وصف الرحالة الألماني كورت فابر واقع الريف الكردي البائس، حين قال متهكماً: كان الفلاح الكردي يحرث الأرض في سفوح جبال آرارات بمحراث، يعود الى عهد نوح.
- نسبة الأراضي المستثمرة تتراوح بين ١,١٤– ٢,٧٨٪ من المساحة العامة.
- نصف السكان العاملين يربون الماشية، في ظل علاقات اقطاعية قبلية مقيتة.

---

(١)– مصطلح لاتيني، يعني تقديم قرابين للآلهة عند اليونان والرومان مقدارها مئة ثور.

(٢)– رينيه موريس: مصدر سابق – ص٤٦.

(٣)– جان برتولينو: الكرد – اعداد جميل محمد مصطفى – مراجعة وتقديم: ا. د. عبدالفتاح علي البوتاني – مركز الدراسات الكردية وحفظ الوثائق/ جامعة دهوك – ط٢عام٢٠٠٩ – ص٢٨.

(٤)– م. لازاريف: مصدر سبق ذكره – ص١٨.

- حتى أواخر ثلاثينات القرن العشرين كانت هناك محطة كهربائية واحدة في كردستان من مجموع ٧٢ محطة في عموم تركيا.
- في أربعينيات القرن الماضي كانت حصة كردستان ٨٠٠ كم من السكك الحديدية من أصل ٧٤١٠ كم.
- عام ١٩٢٧ كانت نسبة المتعلمين ٤٪ من السكان.
- في عام ١٩٤٣ لم يكن في كردستان سوى مستوصفين.

وعزا لازاريف هذا الواقع المزري إلى سببين: يتمثل **الأول** في نمط العلاقات العلاقات التقليدية الرعوية (الاقطاعية) ذات الطابع القبلي، **والثاني** يتجسد في السياسة الشوفينية الممنهجة التي اتبعها النظام التركي، فهو يتحمل الوزر الأكبر من التخلف السالف الذكر. رغم هذا الواقع المأساوي، فالصحافة التركية تسعى لتجميل الواقع[١]. يضاف الى ماذكر أن الدستور الذي سنته تركيا عام ١٩٢٤ كان مشبعاً بروح شوفينية مقيتة، لأنه سمى كل من يعيش في تركيا أتراكاً، واعتبر التركية هي اللغة الرسمية الوحيدة في البلاد، وصرح وزير العدل التركي محمود عزت ذات يوم: (الترك يجب أن يكونوا هم أسياد البلاد الوحيدون، أما هؤلاء الذين ليسوا تركاً، فلهم حق واحد فقط في هذا البلد، انه حق أن يكونوا خدماً وعبيداً لاغير)[٢].

اللافت للنظر منذ اعلان الجمهورية التركية عام ١٩٢٣ والايديولوجيا الكمالية تعتكز على الأطروحتين التاليتين: **الأولى**، في التاريخ وملخصها أن العنصر التركي هو مصدر حضارات العالم. **الثانية**، في اللغة وتقول أن اللغة التركية هي أم لغات العالم. فالايديولوجيا الكمالية تسعى إلى صهر الآخرين، ومنهم الكرد، وإجتثاث هويتهم وفصلهم عن تاريخهم بهدف نسف ذاكرتهم. استمدت هذه الايديولوجيا أطروحاتها من النازية الألمانية ومن موسيليني وستالين من جهة ومارست بدورها تأثيرا كبيراً على مُؤسسَي المنطلقات النظرية للبعث ساطع الحصري وميشيل عفلق من جهة أخرى[٣]. في الشأن الكردي، كانت الايديولوجيا الكمالية تجد حيزاً للتطبيق من خلال اتباع سياسة "التَرْكَنة" أو " التتريك"، فقد أصدر قانون منع التحدث بالكردية بين (١٩٢٣–١٩٩١)، و"تُرِّكَتْ" أسماء العشائر والعائلات الكردية وأسماء ٢٣ ألف قرية

---

(١)– المصدر نفسه – ص٢٦ و٣٣.

(٢)– جيرارد جاليناد: مصدر سابق – ص١٠٩.

(٣)– درية عوني: مصدر سابق – ص١٠٢و١٠٣.

كردية، ناهيك عن عمليات الابادة والتهجير وتدمير البنية التحتية، وهذا تصديق لما رواه عصمت شريف وانلي في مذكراته السالفة الذكر. كما يتحفنا اسماعيل بيشيكجي بحكاية الشاب التركي، الذي عُيِّنَ معلماً في إحدى القرى الكردية في سبعينيات القرن العشرين. فالشاب واجهته مشكلات منذ أن وطئت قدماه القرية، كانت اللغة الكردية إحداها، لأن أهل القرية لا يتقنون التركية، وهو بدوره يجهل الكردية. يضاف إلى ذلك واقع المدرسة المزري، التي كانت تفتقر إلى أبسط مستلزمات العملية التربوية، مما دفعه الأمر إلى تسجيل قائمة طويلة بمستلزماتها وتقديمها إلى مدير التربية، وحين تأمل المدير القائمة، قال ممتعضاً وبلهجة الآمر: استاذ، أمامك مهمتان. **الأولى**، تتلخص في بذل قصارى الجهد لاقناع التلاميذ بأنهم أتراك، وهذا يستوجب تعليمهم اللغة التركية، لغة العصر، لينسوا لغتهم البدائية/ الكردية..!. أما **الثانية**، عليك بذل ما بوسعك لتلقين الأطفال بأننا جميعاً أخوة في الدين، فلا مجال آخر لترويضهم إلا هذه الوسيلة..!.

٢– كردستان الشرقية (كردستان ايران):

تحت السيطرة الفارسية، وتقدر مساحتها بـ ١٢٥ألف كم٢ وفق تقديرات الدكتور قاسملو، (مساحة ايران عامة ١,٦٥٠,٠٠٠ كم٢ وعدد سكانها نحو ٨٠ م. ن وفق عام ٢٠١٤)[١]، ويشكل الكرد بين ١٧٪ و١٨٪ من سكان ايران، أي قرابة عشرة ملايين عام ٢٠٠٥ أو (١٠,٢) م.ن وفق تقديرات عصمت شريف وانلي العائدة الى نهاية عام ٢٠٠٠، وتضم كردستان الشرقية الولايات التالية: أذربيجان الغربية (ماكو، قطور، شاه بور، مهاباد، بوكان، سردشت)، كردستان (سنندج، سقز، بانه، دهكلان، بيجار، مريوان)، كرمنشاه (قصر شيرين، روانسر، جوانرو، باوه)، عيلام (ايلام، كرند غرب، دهلران، سنقر)، لورستان وعاصمتها خرم آباد، ويعتبرها جيرارد جاليلند جزءاً من كردستان[٢]. أما المناطق الأخرى التي يكثر فيها الكرد فهي: خراسان على وجه الخصوص، وفارس وكرمان وقم وطهران. ونسبة ١٧٪ تتوزع بين (اللهجة الكردية ١١٪ واللهجة اللورية ٦٪).

---

(١)– وفق تقديرات جيرارد جاليلند، تقدر مساحة كردستان ايران بـ(٥٠) ألف ميل٢ دون لورستان، وبتحويل المساحة الى كم٢ نجد أنها تعادل ٥٠٠٠٠× ٢.٥٩ = ١٢٩.٥ألف كم٢ أي قرابة ١٣٠ألف كم٢.

(٢)– جيرارد جاليلند: مصدر سابق – ص١٤٨.

يقول ياقوت الحموي في مادة (اللور)، هـم قـوم مـن الأكـراد، يسـكنون الجبـال الواقعـة بـين اقلـيم خوزسـتان واقلـيم أصـفهان، ويطلـق علـى مـوطنهم هـذا اسـم (لورستان) أو (بلاد اللور)[1]. وجاء في خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، بـأن أغلـبهم على المذهب الشيعي، كما أن معظم عشائر (لـك) وعشـائر أخـرى، الـتي لـيس علـى كرديتها أي اعتراض، يعتنقون مذهب (علي إلهي). ويمضي محمـد أمـين زكـي قـدماً في نقد بعض المستشرقين ممن نسبوا اللور إلى الفـرس اعتمـاداً علـى تشـابه مزعـوم بين اللهجتين الفارسية واللورية، ويراه باطلاً لسببين: **الأول** – لأن لهجة القسم الرابـع من اللور (لور أصلي – فيلي) أقرب إلى الكردية منها إلى الفارسية. **الثاني** – أن اللور أنفسهم يقولون أنهم أكراد ويتكلمون الكردية بلهجة قريبة من اللهجات الكردية[2].

كما يستشهد بآراء بعض المستشرقين مثل ريج، الذي يقول بأن اللور من أهـم أقسام كرد ايران، لأنهم في تلك البلاد ينقسمون إلى قسمين في مجال اللهجة، الناطقون بالكردية والناطقون باللورية، و ريـج أيضـاً يعـد اللـور الصـغير والكـبير مـن العنصـر الكردي، والمـؤرخ التركـي المشـهور أحمـد جـودت باشـا يقـول في المجلـد الأول مـن تـاريخه التركي المشهور: (ان كلاً مـن اللـور، البختيـاري، الكـوران، اللـك، مـن أرومـة واحدة وشعب واحد)[3].

يعتنق ٩٨٪ من سكان كردستان ايران الاسلام، و٧٥٪ منهم سنة و٢٥٪ شيعة يتمركزون في منطقتي كرمنشاه ولورستان[4].

لكن، صرح شاه ايران (محمد رضا) في باريس ذات يوم: (الكرد هم من الفرس الأقحاح)، وتمنى أن يكون كردياً[5]. وحملات ترحيل الكرد قديمة في ايران، ففي عهد الشاه عباس تم ترحيل قسري لنحو/١٥٠٠٠/ أسرة الى خراسان.

ايران دولة متعددة القوميات، ففيها: الفرس ٥١٪، الكرد بمن فيهم اللـور ١٧٪، (الأتـراك: الأذريـون ١٨٪، التركمـان ٢٪)، البلـوش ٢٪، العـرب ٤٪، آخـرون ٢٪.

---

(١)– نقلاً عن: دائرة المعارف الاسلامية.

(٢)– محمد أمين زكي بك: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان – الجزء الأول – ١٥.

(٣)– المصدر السابق – ص١٦.

(٤)– عبد الرحمن قاسملو(الدكتور): كردستان ايران – ترجمة: غزال يشـيل أوغلـو – ط١عـام ١٩٩٩– دار الشموس/ دمشق – ص٢١.

(٥)– جان برتولينو: مصدر سبق ذكره – ص٦١.

ونسبة المسلمين تصل الى ٩٨٪ (٩٠٪ شيعة و ٨٪ سنة)، ونحو ٢٪ بهائيون وأرمن وزرادشتيون واسماعيليون ..الخ. أما المؤرخون الثقاة فيؤكون أن العنصر الفارسي في ايران: (لا يشكل أكثر من ٤٠٪ من مجموع السكان)[١].

منذ سبعينيات القرن الماضي تفكك النظام العشائري اقتصادياً واجتماعياً، لكن بقايا تقاليده مازالت راسخة في الريف (٧٥٠٠ قرية في سبعينيات القرن الماضي)، كما اختفت البداوة خصوصاً بعد ترسيم الحدود بين الدول التي تتقاسم كردستان، الذي قضى على (الرحيل الصيفي والشتوي للعشائر الكردية، والذي كان يجري بشكل تقليدي، لاسيما بين تركيا وايران... وقسمت العشيرة الواحدة إلى قسمين أو ثلاث، فقسمت عشيرة شكاك بين تركيا وايران، وعشيرة هَركي بين ايران والعراق وتركيا)[٢]، وبدأت العلاقات الرأسمالية تتغلغل في الريف في فترة مابين الحربين العالميتين تدريجياً، وبعد الاصلاح الزراعي في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي. لقد أدى (زوال الاقطاعية وحلول علاقات الانتاج الرأسمالية مكانها إلى انحلال التركيبة الاجتماعية التقليدية الجامدة، حيث أن اقتصاد كردستان أصبح جزءاً لايتجزأ من اقتصاد ايران ككل، وذلك نتيجة التطور السريع الذي حصل بعد انهيار التركيبة الاجتماعية التقليدية، وأصبحت كردستان ايران أكثر تطوراً من المناطق الكردستانية الأخرى، رغم أنها أقل تطوراً من المناطق الايرانية الأخرى)[٣]. ويعد الانتاج الزراعي عصب الاقتصاد في كردستان ايران، يساهم بنحو ٨٠٪ من الدخل القومي[٤]، رغم قلة الآلات الزراعية، فمن الطبيعي أن تكون الانتاجية ضعيفة، خصوصاً اذا علمنا أن أخصب الأراضي كانت تعود ملكيتها الى الشاه والاقطاع، في الوقت الذي كانت الأكثرية الساحقة من الفلاحين تتراوح مساحة استثماراتهم بين ١–٣ هكتارات[٥]، وكانوا يعيشون في فقر مدقع، ولم تتطور البروليتاريا الصناعية في

---

(١)– جيرارد جاليان: مصدر سابق – ص٢٢.

(٢)– عبدالرحمن قاسملو(الدكتور): مصدر سابق – ص٣٩.

(٣)– المصدر السابق – ص٧٦و٧٧.

(٤)– ٤٥٪ من تربية الأغنام والمواشي والألبان و٣٥٪ من المحاصيل الزراعية(راجع: شعب بدون وطن – جيرارد جاليان – ترجمة: عبد السلام النقشبندي – دار آراس/ اربيل – ط١عام ٢٠١٢– ص١٥٤.

(٥)– الهكتار يعادل(١٠) دونم.

كردستان ايران، لعدم وجود أي استثمار يذكر في المنطقة، ونسبة البطالة مرتفعة جداً في المدن الكردية)[١]. وحتى عام ١٩٣٠ لم تكن في كردستان مدارس ماعدا الكتاتيب الدينية، والرعاية الصحية كانت غير كافية (طبيب لكل ٤٨٠٠ شخص عام ١٩٦٦)، وكانت تتفشى أمراض مثل: (التراخوما، السل، الملاريا)[٢].

تتفاوت درجات الحرارة من منطقة إلى أخرى، فتنخفض شتاءً في سَقِز إلى −٣٠ تحت الصفر المئوية وترتفع صيفاً في منطقة كرمنشاه إلى ٤٥ درجة مئوية. وهي غنية بمصادر المياه (نهر أوزن الأحمر، نهر الزاب الصغير، بحيرة أورمية، بحيرة زيريور)، وتغطي الغابات أكثر من ٤ مليون هكتار، أهم أشجارها البلوط. وهي غنية بثرواتها الباطنية وفي مقدمتها النفط الذي يستخرج من كرمنشاه. أهم مقاطعاتها: سنندج (أطلق عليها كردستان)، والمنطقة الشمالية تدعى أذربيجان الغربية، أما المنطقة الجنوبية فتدعى (كرمنشاه)، فضلاً عن منطقة لورستان[٣].

جدير ذكره ان حزب تودة (الشعب) تأسس منذ عام ١٩٤١، لكنه كان يتجاهل قضايا الشعوب الايرانية عموماً والشعب الكردي خصوصاً، ثم بدأ في وضع برنامج متقدم، تضمن **أولاً**: يحق لجميع الشعوب الايرانية أن تقرر مصيرها، **وثانياً**: الاعتراف بحقوق الأقليات القومية، إلا أن هذا البرنامج يضع حدوداً أو قيوداً أمام حق تقرير المصير بشكل صريح، لأن تودة وضع في أحد مقاطع برنامجه المذكور: إن المهمة الأولى يجب أن تكون الدفاع عن وحدة أراضي الوطن، وهذا يتناقض مع حق تقرير المصير[٤]. كما أن الجبهة الوطنية التي أسسها الدكتور مصدق عام ١٩٥٠ لم تعر قضايا القوميات أي اهتمام يذكر، رغم أن الشعب الكردي وقف الى جانب مصدق عندما اتخذ قرارات تأميم النفط. وفي عام ١٩٧٨، عندما ابتدأت الثورة ضد الشاه، وَعَدَ الخميني (كرد ايران بالاعتراف بكيانهم القومي ومنحهم حكماً ذاتياً حقيقياً ضمن اطار الجمهورية الاسلامية ، لكنه بعد عودته إلى ايران ظافراً، صرف النظر عن الكرد ومطاليبهم. وفي صيف عام ١٩٧٩ أرسل جيشه وحرس الثورة

---

(١)− عبدالرحمن قاسملو: مصدر سابق − ص٤٢.

(٢)− جيرارد جاليناد: مصدر سبق ذكره − ص١٥٣.

(٣)− عبدالرحمن قاسملو: مصدر سبق ذكره − ص١١− ١٣.

(٤)− المصدر نفسه والصفحة نفسها.

"باسداران" لضرب الكرد، الأمر الذي أسفر عن مقتل حوالي عشرة آلاف من النساء والأطفال والشيوخ دون رحمة أو شفقة)[1]. أجل، بعد سقوط الشاه عام ١٩٧٩ ومجيء الخميني، اشتدت القبضة الأمنية، وخالف وعوده وعهوده فيما يخص حقوق الكرد القومية كما أسلفنا، رغم وقوف الكرد بمكوناتهم السياسية والاجتماعية والثقافية مجتمعة الى جانب الثورة منذ البدء في مهاباد وسنندج (سنه) وكرمنشاه، تحت قيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني وبزعامة عبدالرحمن قاسملو، لكن كان مثلهم كمثل المستجير من الرمضاء بالنار، فقد تم تصفيته وتصفية خلفه شرفكندي، بعد أن رد آية الله خميني الوفد الكردي الذي توجه الى قم في ٢٨ آذار ١٩٧٩ خائباً، ورفضت الحكومة مطلب اقامة الحكم الذاتي في محافظات (كردستان، أذربيجان الغربية، كرمنشاه، عيلام). ماجرى في عهد الخميني كان صورة طبق الأصل للسيناريو التركي في عهد مصطفى كمال باشا، وهذا يعيد إلى الذاكرة مقولة هيغل:"التاريخ يعيد نفسه"، ورد ماركس:"أجل، في المرة الأولى كتراجيديا/ مأساة، وفي الثانية ككوميديا/ ملهاة".

٣– كردستان الجنوبية (كردستان العراق)[2]:

(أبجدية التاريخ مرايا مكسّرة... مرايا بعدد الكُرد الذين أنفلهُمُ الطغيان، مئةٌ واثنان وثمانون ألف قطعة، في سقفه تتلألأ خمسة آلافٍ من المصابيح بعدد القتلى الذين خلفهم القصف الكيماويّ... وسواءٌ أيتها الأنوثة الكرديّة، فقدت حبيبَك في كهوف الأمن الأحمر، أو في حقول حلبجة أو في قمم الجبال، فأنت الوردة التي يتنَشّقها الشعراء والعشّاق، وأنت الجراحُ التي يتسلّحون بها لمحو آلات القتْل)

(أدونيس)

(١)– نورالدين زازا(الدكتور): مصدر سبق ذكره – ص٢٠٣.

(٢)– راجع المصور رقم ٦.

ألحقت بالعراق[1] وتمتد حدودها الجنوبية وفق تقرير عصبة الأمم الى الجنوب من جبل حمرين وتكريت على دجلة وهيت على الفرات، تقدر مساحتها بين (٧٥-٨٢) ألف كم٢ أو ٧٤ ألف كم٢ وفق تقديرات الدكتور محمد عمر مولود أو ٧٩ ألف كم٢ وفق الدكتور خليل اسماعيل محمد (مساحة العراق ٤٣٨ ألف كم وعدد سكانها ٣٣ م. ن وفق عام ٢٠١٦)، وتقدر نسبة الكرد وفق احصاء ١٩٥٧ بنحو ٢٧,٢٪ من سكان العراق[2]، أو نحو ٧٣,٦١٨ كم٢ (١٧٪) من اجمالي مساحة العراق وعدد الكرد خمس ملايين وربع من أصل مجموع سكان العراق البالغ عام ٢٠٠٠ نحو ثلاث وعشرون مليوناً وربع، بمعنى أن نسبه الكرد كانت٢٢,٦٪ من سكان العراق[3]. وتضم محافظات: اربيل والسليمانية وكركوك ودهوك، ومناطق سنجار وعقرة من محافظة نينوى، ومنطقتي خانقين ومندلي من محافظة ديالى، ومنطقتي بدرة وجصان من محافظة واسط، كما ينتشر قسم من اللور في العمارة والكوت، كما يكثر الكرد في الموصل وبغداد. وجاء في مشروع دستور كردستان العراق بأن الاقليم يضم: محافظات دهوك واربيل والسليمانية وكركوك، وأقضية عقرة والشيخان وسنجار وتلعفر وتلكيف، ونواحي زمار وبعشيقة وأسكي كلك من محافظة نينوى، الى جانب أقضية خانقين ومندلي وبدرة والمناطق التي تسكنها أكثرية كردية. أقر

---

(١)- ألحقت ولاية الموصل بالعراق عام ١٩٢٥، وكانت ولاية الموصل تضم: ١- الموصل ودهوك وزاخو والعمادية وسنجار ٢- كركوك واربيل ورواندوز وكويسنجق ورانيا وكفري ٣- السليمانية وكل عنبر ومعمورة الحميد وبازيان وشهربازار. **ملاحظة:** جاء في كتب وخرائط البلدانيين (البلخي، الاصطخري، ابن حوقل، المقدسي..) أن مصطلح العراق يطلق على الأقسام الجنوبية من وادي الرافدين، وذلك من تكريت على نهر دجلة وهيت على نهر الفرات شمالاً الى الخليج العربي جنوباً. راجع: القضية الكردية في العراق/ وجود أم حدود - د. خليل اسماعيل محمد - مطبعة جامعة صلاح الدين/ اربيل - ص١٠٤. بين(ك٢- آذار) عام ١٩٢٥ قامت لجنة التحقيق الدولية التابعة لعصبة الأمم بزيارة الى ولاية الموصل، وفي ١٦ تموز رفعت تقريرها الذي نص على أن غالبية سكان الولاية هم كرد، وفي ١٦ كانون الأول ١٩٢٥، حسم مجلس عصبة الأمم في جلسته ٣٧ الأمر لصالح بريطانيا، فألحقت ولاية الموصل بالعراق(بولايتي بغداد والبصرة)، وثبتت الحدود بين العراق وتركيا.

(٢)- جيرارد جالياند: مصدر سبق ذكره - ص ٢٢٠.

(٣)- جزا توفيق طالب (الدكتور): المقومات الجيوبوليتيكية للأمن القومي في اقليم كردستان - منشورات مركز الدراسات الاستراتيجية - السليمانية/ ٢٠٠٥ - ص٤١ و ص١٨٥.

الدستور العراقي المؤقت عام ١٩٥٨ بمبدأ «شراكة العرب والكرد في العراق» كان نقطة تحول تاريخية، كما وضعت اتفاقية ١١ آذار١٩٧٠ اللبنة الأولى لشرعية الوطن الكردي في العراق[1]. أما الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥م فقد أقر بوجود اقليم كردستان العراق بعد الإطاحة بنظام صدام حسين في ٩ نيسان عام ٢٠٠٣، لكن بحدوده غير الثابتة من جهة الجنوب، كما ونص على أن العراق جمهورية اتحادية (فيدرالية)، وعلى هذا الأساس يتمتع إقليم كردستان العراق بالنظام الفيدرالي، وهذا الاعتراف من قبل السلطات العراقية بكردستان العراق يعني بالضرورة: (الاقرار بوجود وطن للكرد في العراق له حدوده الجغرافية أو الادارية، وله خصائصه ومميزاته)[2]. عاصمة الاقليم مدينة هولير (اربيل)، عدد سكانها نحو ١.٥ م. ن وفق تقديرات ٢٠١٤، أما عدد سكان الاقليم فيقدر بنحو ٦.١ م. ن وفق تقديرات الدكتور عصمت شريف وانلي العائدة لنهاية عام ٢٠٠٠، أما عدد الكرد فيصل الى ٨.٣٥ م. ن حسب تقديرات أخرى تعود لعام ٢٠١٣، وتقديرات الحكومة تميل الى التقليل من هذا العدد دوماً. وبالتالي فنسبة الكرد الى مجموع سكان العراق وفق تقديرات وانلي تتراوح بين (١٧.٥– ٢٦٪) والنسبة الثانية مقدرة بعد إضافة كرد الموصل وبغداد الى النسبة الأولى، ونحو ٢٦– ٢٨٪ عام ١٩٧٥[3]. وتشكل كردستان بالتالي ١٧٪ من اجمالي مساحة العراق.

وصفت الثورات الكردية في كردستان الجنوبية لنيل الحقوق الكردية المشروعة في العهد الوطني، بالعصيان أو التمرد أو الانفصالية، رغم حقائق التاريخ التي تؤكد بأن الكيان العراقي مصطنع ومركب في الأساس، وذهب البعض الى أبعد من ذلك حين وصفوا الكيان بأنه من صنع تشرشل (بريطانيا).

الا أن الذهنية الشوفينية تبدو فاقعة في المخيال الشعبي العراقي، مثلما جاء في متن كتاب لـ (ياسين أفندي العمري الموصلي ١٧٤٤– ١٨١٦) بعنوان: «غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر»، حين يقول: وفي الأمثال معاشرة الأكراد تورث الفساد. متى ما رأيت الكردي أميراً، فارتقب الساعة. الحماقة في الأكراد

---

(١)– خليل اسماعيل محمد (الدكتور): مصدر سبق ذكره – ص١٣.

(٢)– المصدر السابق – ص١٧.

(٣)– جيرارد جالياند: مصدر سبق ذكره – ص٢٢٠و٢٢١.

والجهالة في السواد. سلامة الأبدان باجتناب أكراد بهدينان. لا تعاشر كرديا ولا تصاهر هندياً. أترك الأكراد ما تركوك وابعد عنهم ما قربوك ولو كان صهرك منهم وحموك. خذ من الأكراد الفاكهة ودع المفاكهة....الخ[1]. ويمضي الأستاذ إبراهيم محمود قدماً في اماطة اللثام عن كتابات من هذا النوع شاعت في العراق.

وتقتضي الضرورة الإشارة الى سياسات التعريب الممنهجة التي اتبعتها السلطات العراقية بعد ضم ولاية الموصل الى العراق العربي (أي ضمها الى ولايتي بغداد والبصرة) من قبل بريطانيا. جدير ذكره أن تلك السياسات أثارت انتباه الدكتور عصمت شريف وانلي بعد زيارته لكردستان العراق عقب اتفاقية الجزائر المشؤومة (٦ آذار ١٩٧٥)، فيقول: (اكتشفت ورفاقي في السفرة، سياسة التعريب والتهجير القسري، وبناء قرى عربية حديثة في منطقة كركوك مكان القرى الكردية)[2]. وتمتد المناطق المتنازع عليها من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي، بدءاً من قضاء سنجار في محافظة نينوى/ الموصل ومروراً بمحافظة كركوك وانتهاءً بقضاء بدرة في محافظة واسط، وهي المناطق (المتنازع عليها) التي طالتها سياسات ترقيق الوجود الكردي أي التعريب (التهجير الممنهج للكرد واسكان العرب فيها)، أعني المناطق التي تناولتها المادة ١٤٠ من دستور العراق لعام ٢٠٠٥، والتي لم تلحق حتى الآن رسمياً بكردستان العراق وتتجلى أهميتها الاستراتيجية في غناها بأعظم احتياطي نفطي في العالم (يمتد الحوض من عين زالة/ محافظة نينوى، الى نفط خانة/ محافظة ديالى)، وتحكمها بموارد المياه القادمة من المرتفعات الشرقية لها وبمصباتها في نهر دجلة[3].

يقول الاستاذ الدكتور عبدالفتاح علي البوتاني: (كتب الرحالة والبلداني الشهير ابن حوقل، وهو من أجل علماء الموصل، وكان في المدينة سنة ٣٥٨ هـ /٩٦٩م/، عن سكان الموصل، يقول: كان جُلّ أهلها في المئة الرابعة للهجرة/ العاشرة للميلاد

---

(١)– إبراهيم محمود: اليد والقفاز/ التنوير البحثي والوثائقي في كتابات د. عبد الفتاح البوتاني ـ أربيل ٢٠١٦ – ص٥٠ و٥١ (الهامش).

(٢)– راجع: مذكرات عصمت شريف وانلي – مصدر سبق ذكره – ص ٥٠.

(٣)– خليل اسماعيل محمد(الدكتور): مصدر سبق ذكره – ص٥١ و٥٢.

من الكُرد)[1]. ويتوغل البوتاني في أعماق التاريخ ويزيح الغبار المتراكم عليه منذ قرون فيقول: (كانت مدينة الموصل تقع على الضفة الغربية لنهر دجلة، وكانت قبل الفتح الاسلامي لها سنة ٦٣٧م، بُلَيْدَة ضئيلة القدر، قليلة العمران، قوامها محلتان: يسكن احداها المجوس، وكان معظم الكرد على هذا الدين حينذاك – يقصد الديانة الزرادشتية / علي جزيري – وسكن المسيحيون المحلة الأخرى، ومعظمهم كان من المسيحيين الكرد اليعاقبة، الذين كتب عنهم درايفر قائلاً: ان هناك مجموعة من اليعاقبة المسيحيين الكرد، يعيشون في الموصل وجبل الجودي. أي أن المدينة لم تكن ذات طابع عربي، فالعرب لم يسكنوا المدينة الا بعد الفتح الاسلامي، وتذكر المصادر أن أول من خططها وأسكنها العرب كان عرفجة البارقي، في عهد عمر بن الخطاب سنة ٦٤١م)[2].

قامت السلطات العراقية، خصوصاً في عهد البعث بتدمير قرابة /٤٥٠٠/ قرية كردية، واستخدم قنابل النابالم، وفيما بعد الأسلحة الكيميائية في حلبجة وخورمال وغيرهما من المناطق، ثم القيام بحملات الأنفال السيئة الصيت، التي ذهب ضحيتها ١٨٢ ألف كردي، وتشريد وتهجير وقتل الآلاف من الكرد الفيليين والبارزانيين، وتجريد الجبال من سكانها، لأنها كانت تشكل ملاذاً آمناً للناس.

كردستان العراق مهد الحضارة، فاكتشفت فيها آثار الانسان الذي عاش في العصر الحجري الحديث، في قرية (زوي جه مي) على ضفة الزاب الكبير وعلى بعد ٤-٥ كم غرب كهف شاندر، الذي كان يمارس زراعة الحبوب (القمح) وتدجين الحيوان، كما عثر على مدقات ورحى وأواني منزلية في الموقع المذكور[3].

٤- كردستان الجنوبية ـ الغربية (كردستان سوريا):

ألحقت بسوريا، وتقدر مساحتها بـ (١٧) ألف كم٢ وفق تقديرات عصمت شريف وانلي، وبنحو (١٨,٣) ألف كم٢ وفق تقديرات الدكتور عبدالستار طاهر شريف، و٢٠ ألف كم٢ في مصادر أخرى (مساحة سوريا ١٨٥ ألف كم٢)[4].

(١)- ا. د. عبد الفتاح علي البوتاني: صفحات من الذاكرة الموصلية - مركز الدراسات الكردية وحفظ الوثائق/ جامعة دهوك - ط١عام ٢٠١١ - ص٩.

(٢)- المصدر السابق - ص٢١.

(٣)- جان برتولينو: مصدر سبق ذكره - ص٦٤و٦٥.

(٤)- راجع الجزء الثاني من هذا الكتاب، فهو يشكل الموضوع الرئيس في هذا البحث.

٥– الجزء الملحق بجمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق:

تقدر مساحته بـ (٦,٢٠٠) كم٢، أي مايزيد عن نصف مساحة لبنان، ويقدرعدد الكرد بنحو ٣٠٠ ألف.ن، وفق تقديرات عام ١٩٧٠[(١)]. لم يتجرأ القابعون الكرد في ظل النظام السوفييتي التوتاليتاري (الشمولي)، خصوصاً في الحقبة الستالينية، كتابة التاريخ الحقيقي للكرد وتدوين مآسيهم وما حل بهم. يقول مينورسكي: ان تواجد الكرد في ماوراء القفقاس يعود إلى العصور القديمة. أما الاثنوغرافية ت. اريستوفا: فتؤكد أن تاريخ بعض القرى الكردية في (نخجوان) والمنطقة الحدودية الواقعة بين (أذربيجان) و (ناغورنو كاراباخ) و (أرمينيا) يرقى إلى القرن العاشر الميلادي. كما ازداد عدد الكرد في القفقاس بعد حربي (١٨٢٨– ١٨٢٩) و (١٨٧٧– ١٨٧٨) اللتين انتصرت فيهما رووسيا على تركيا[(٢)]. أهم المناطق التي ينتشر فيها الكرد:

أ – أذربيجان السوفيتية سابقاً: يقول الكردي الأذربيجاني شامل عسكروف بأن: (تواجد الأكراد في أذربيجان يسبق القرن السابع قبل الميلاد، وفي القرون الوسطى وتحديداً بين ٩٥١– ١١٧٤م، حكمت عائلة الشداديين الكردية أذربيجان، وفي عام ١٥٨٧م أصدر شاه ايران " الشاه عباس" فرماناً يقضي بنفي عدة عشائر كردية من ايران[٢٤ قبيلة نقلت من كردستان ايران الى خراسان لتحصين الحدود الإيرانية في مواجهة القوى المعادية]، وبرز من بينهم الشاعر الكردي الكبير (فضولي)، أما الشاعر الأذري الكبير (نظامي) فقد كانت أمه كردية)[(٣)]. عدد الكرد في أذربيجان يزيد عن (٢٠٠ألف) وفق تقديرات ١٩٩٧، يتوزعون على ٢٥ قرية. وفي ظل التقديرات المتضاربة وغياب الاحصاءات الرسمية قدر عدد الكرد بين ١٥٠– ٢٠٠ ألف. ن، وعدد التجمعات الكردية يتجاوز ٥٠ بين قرية وبلدة[(٤)].

ب – كَرجستان Gurcistan **(جيورجيا):** يعود تواجد الكرد فيها إلى القرون الوسطى، فملكتها (تامارا) اعتمدت في حكمها على الكرد، وعينت الكرديَيْن (إيبو وظاهر) كقائدين لجيشها، وتشير تقديرات عام ١٩٩٧م إلى نحو (٤٠) ألف كردي فيها.

---

(١)ـ راجع الملحق رقم ١٢.

(٢)– مجلة كولان العربي – العدد ٢٧ تاريخ ٢٥ آب ١٩٩٨ – ص٦٠.

(٣)– مجلة الحوار– العددان٢٦و٢٧– شتاء/ ربيع٢٠٠٠.

(٤)– جيرار جالياند: مصدر سبق ذكره – ص٣١٤.

ج – بينما تشير تقديرات ١٩٩٧م إلى وجود نحو (٧٥)ألفاً من الكرد و (٣٥ قرية) في **أرمينيا**، معظمهم من الكرد الايزيديين. وفي **قيرغيزيا** (٢٠) ألفاً، و**أوزبكستان** (١٠) آلاف، و **طاجيكستان** (٣) آلاف، وفي **فلاديفستوك** (٣٠) ألفاً، وكذلك نفس العدد في كراسندار، ناهيك عن كرد اقليم فيرغانا وموسكو وبطرس بورغ وغيرهما، وكرد هامكاو في بخارى.

ويعتقد ديفيد مكدول أن الكرد تواجدوا في القفقاس منذ ألف سنة، فضلاً عن الايزيديين الذين هُجِّروا من تركيا قسراً في القرنين (١٩و٢٠) الميلاديين صوب أرمينيا وجيورجيا، فتاريخ وجود الكرد في الاتحاد السوفييتي السابق موغل في القدم.

د – جمهورية كردستان الحمراء ((Kurdistana Sor ذات الحكم الذاتي[١]:
أورد اليوناني سترابون بأنه كانت تقوم في اذربيجان حكومة كردية في القرن الثاني قبل الميلاد، ثم أقيمت الامارة الشدادية في جنوب أذربيجان وقره باغ عام ٩٣٨م، وامتد نفوذها بين ٩٥١– ١٠٥١م إلى أرمينيا ودوين وملاتيا. أما جليلى جليل فيقول بأن الكرد الايزيديين كانوا يرتادون جبال آلاكوز Alagoz، ويتنقلون بين أرمينيا وأذربيجان ويرحلون بشكل خاص إلى اقليم قره باغ واستقروا هناك على مراحل في القرون ١٣و١٤و١٥م[٢]. لكن روسيا القيصرية تمكنت عام ١٨٧٨ أن تنتزع مناطق كردية واسعة من القفقاس حتى نهر آراس. وبعد معاهدة كُليستان ١٨١٣ وتوركمانجامي ١٨٢٨ ومؤتمر برلين ١٨٧٨، انتزعت روسيا من ايران العديد من المناطق الكردية الأخرى، كما ألحقت بها أجزاء من كردستان العثمانية أيضاً. وعندما ارتكبت تركيا مجازر عام ١٩١٥، تعرض الكرد الايزيديين والأرمن فيها إلى عنف وحشي، مما اضطّر الكثير منهم إلى الهروب نحو روسيا[٣].

بعد ثورة أكتوبر البلشفية في روسيا القيصرية ١٩١٧، أرسل لينين برقية إلى زعيم الحزب الشيوعي في أذربيجان السوفيتية يأمره فيها أن يُولي اهتماماً بوضع الكرد في تلك الجمهورية السوفيتية، فأصدر البرلمان الاذربيجاني على مضض قراراً

---

(١)– راجع المصور رقم ٧.

(٢)– مجلة أجراس – العددان ٦و٧ شتاء ١٩٩٧.

(٣)– المصدر السابق والعدد نفسه.

بتوحيد ٦ مناطق يشكل فيها الكرد الأكثرية، ومنحها الحكم الذاتي وسميت بـ (جمهورية كردستان الحمراء ذات الحكم الذاتي). جدير ذكره أن كردستان الحمراء هذه، أسست في أذربيجان السوفياتية في ٧ تموز عام ١٩٢٣ بين اقليم قره باغ وأرمينيا، وكانت عاصمتها بداية بلدة شوشا، ثم انتقلت إلى لاجين Laçîn، وكان لها برلمانها ورئيسها، أما عدد سكانها عام ١٩٢٦ فكان يزيد عن ٥١.٥ ألف. ن وقدرت مساحتها بنحو ٦,٢ ألف كم٢، أي مايزيد عن نصف مساحة لبنان، واستمرت حتى ٨ نيسان عام ١٩٢٩.

ويبدو أن الهدف من انشائها، هو كسب ود الكرد في الدول الأخرى من جهة، ولأن الخطوة كانت تنسجم مع شعار حق تقرير المصير الذي أعلنه لينين من جهة أخرى.

ومن المفيد قوله أن المقاطعة التي أقيمت عليها جمهورية كردستان الحمراء ذات الحكم الذاتي، كانت ضمن أذربيجان السوفيتية، وكان أغلب سكانها من الكرد الى جانب أقلية أذرية. وكانت تقع بين أرمينيا وأذربيجان (أي بين أرمينيا وناغورني قرباغ) كما أسلفنا، ومن جهة الجنوب كانت تشرف على نهر آراس، وكانت تضم أربع مناطق ادارية هي: لاتشين (لاجين Laçîn)، زانغيلان، كولبازار، غوباتلين، بالإضافة الى منطقتين في نخشوان. وترأس أول حكومة كردية فيها (حوسى حجييف)، وكانت صحيفة كردستان السوفياتية تصدر فيها باللغة الكردية، كما كانت تبث فيها أيضاً اذاعة وتصدر فيها كتب بالكردية[1].

لكن بعد وفاة لينين عام ١٩٢٤، استطاع باقروف، السكرتير الأول للحزب الشيوعي في أذربيجان، أن يستغل الوضع بمباركة من ستالين (الجيورجي)، للقضاء على آمال ومكاسب الكرد هناك بدافع من نزعته الشوفينية كونه أذري، زاعماً أن الكرد ما هم سوى صنف من الأذريين، وكان مصير الرافضين لسياسة الصهر القومي هذه إما التصفية أو التهجير والنفي. فنفي عرب شمو مثلاً إلى سيبيريا، وآخرون إلى جمهوريات آسيا الوسطى.

وكان لكل من تركيا وايران دورهما المباشر في التحريض للاجهاز على تلك الجمهورية الفتية ذات الحكم الذاتي، لأنهما كانتا لاتستسيغان مجرد سماع تسمية

(١)– نظير نظيروف: صحيفة أنباء موسكو – ١١ آذار١٩٩٠.

(كردستان) خوفاً من إثارتها لمشاعر أكرادهما أو مطالبتهم بحقوق مماثلة، حتى يُقال أن القنصل التركي في يريفان مثلاً كان يتابع قراءة الصحيفة الكردية (ريا تازه/ الطريق الجديد)[1]، سطراً سطراً، ويرسل تقاريره إلى أنقرة، ومارس مصطفى كمال ضغوطاً على الاتحاد السوفييتي، ثم مالبث أن عقد الطرفان في الحقبة الستالينية اتفاقية سرية، بعد أن شكلت كردستان الحمراء حافزاً للكرد في تركيا للنهوض في مواجهة سياسات التتريك السيئة الصيت، تلك التي تمادى الطورانيون في تطبيقها. مامن شك أن لينين كان ينظر إلى حركة مصطفى كمال بعين من التقدير، ويعدها ثورة تقدمية، كما دعمها وأبرمت معاهدة صداقة بين الطرفين[2]، من هنا كان وقوف السوفييت ضد معاهدة سيفر ومع تطور العلاقات بين الدولة السوفيتية وتركيا الكمالية، وبسبب التخوف التركي من منح الكرد أية حقوق قد تؤثر في شعب كردستان تركيا لاحقاً، حاولت تركيا الكثير لحل حكومة كردستان الحمراء ذات الحكم الذاتي.. حيث منح الشعب الكردي هناك الحقوق القومية والثقافية والادارية، وقد تجاوبت الحكومة الروسية بزعامة ستالين للطلب التركي بحل كردستان الحمراء، ونقل وتوزيع سكانها الكرد وبشكل قسري على الجمهوريات السوفيتية[3]، ورغم هذا الموقف كانت القوى السياسية الكردية تكيل للاتحاد السوفييتي، وإلى أمد قريب، المديح وتبدي تجاه سياساته آيات الاعجاب والتقدير، وانتقلت هذه الآفة إلى الأدب، حتى رأينا جكرخوين وغيره يتغنون بستالين..!.

وجرت محاولات لاعادة احياء كردستان الحمراء في عهد خروشوف بعد موت ستالين لكن دون جدوى، وفي عهد ميخائيل غورباتشوف، مهندس سياسة البريسترويكا[4] و الغلاسنوسيت[5]، طالب الكرد من جديد باعادة بناء كردستان الحمراء مرة أخرى، بعد أن وقعت تحت سيطرة القوات الأرمنية، ووجهوا رسالة إلى

---

(١)– جريدة نصف شهرية، مؤلفة من ٤ صفحات، كانت تصدر بالكردية في يريفان بالحرف السيريليكي منذ ١٩٤٦، كانت لسان حال الحزب الشيوعي الأرمني، ازدادت أعدادها من ٦٠٠– ٥٠٠٠عام ١٩٧٦. راجع: شعب بدون وطن – مرجع سابق – ص٣٢٢.

(٢)– لازارييف وآخرون: تاريخ كردستان – ص١٩٣.

(٣)– عبد الباقي صالح اليوسف: الانفجار السوري – دار الزمان/ ط١عام ٢٠١٧ – ص١٣٧.

(٤)– تعني باللغة الروسية: اعادة البناء.

(٥)– تعني باللغة الروسية: العلنية.

غورباتشوف بهذا الخصوص[1]، فاتخذ مجلس السوفييت الأعلى قراراً بتسوية الوضع، لكن انهيار الاتحاد السوفييتي قوّض هذا القرار، ناهيك عن الصراع المسلح عام ١٩٨٨– ١٩٩٣ بين أرمينيا وأذربيجان على مناطق النفوذ، والذي ذهب ضحيته ٦٠٠ قتيل كردي إثر تلك الحرب التي كانت مناطق كردستان الحمراء مسرحاً لها، بعد أن لحق بها الخراب والدمار، فضلاً عن التهجير الذي تعرض له الكرد في أرمينيا (نحو ٢٠ ألف. ن).

يُعزى ذوبان كرد أذربيجان لسببين اثنين:

١– سياسة التذويب والصهر التي أنتهجت في عهد ستالين المتواطىء مع باقروف، الذي كان يتحين بدوره فرصة كهذه بعد غياب لينين للانقضاض على كردستان الحمراء. فقد صب ستالين الطائش[2] جام غضبه على الشعوب الصغيرة في القفقاس ومن ضمنها الكرد، بغية صهرهم وتذويبهم بالقوة، حيث كانت الحكومة السوفياتية ترى فيهم أصدقاء لتركيا التي دخلت في تحالف مع عدوتها ألمانيا قبيل الحرب العالمية الثانية، وقد سبق أن نبه لينين في (وصيته) الى فظاظة ستالين وعجرفته كماأسلفنا، وطالب بالحد من انفراده في القيادة. لكن بعد أن تسنم ستالين قمة الهرم، هُجّرَ الكرد في عهده على متن عربات القطار إلى جمهوريات آسيا الوسطى وكازاخستان وسيبيريا، وكان المئات منهم يموتون في الطريق وتُرمى جثثهم في البراري، وأسكن من تبقى منهم في مدن متفرقة، وبذلك أضحى الكرد من رعايا قيرغيزيا وكازاخستان وأوزبكستان، ناهيك عن اعتقال المثقفين الكرد ونفيهم أو زجهم في الزنازين والمعتقلات، مثل حاجي جندي وأمثاله ممن قبعوا في سجن يريفان، وطالت حملات الاعتقال الكثيرين، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر عرب شمو في بطرس بورغ (لينين غراد)، ومن ثم نفي إلى سيبيريا، وظل في منفاه حتى مات ستالين، ذنبهم الوحيد هو أنهم أقدموا على ارسال أعدادٍ من صحيفة ريا تازه (الطريق الجديد)، لسان حال اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في أرمينيا وهيئة رئاسة السوفييت الأعلى ومجلس وزراء جمهورية أرمينيا السوفياتية، إلى المثقفين الكرد في سوريا[3].

---

(١)– راجع الوثيقة رقم ١٤.

(٢)– وصفه لينين في وصيته بالأرعن.

(٣)– وزير آشو: مجلة الحوار – العددان٢٦و٢٧/ شتاء وربيع ٢٠٠٠ .

٢ – معظم كرد أذربيجان كانوا مسلمين، وكان انتماؤهم الديني هو المبتدأ، في ظل تخلف وعيهم القومي. وجرّاء التزاوج المتبادل بينهم وبين الأذريين، لم يصمدوا في مواجهة موجة التذويب الممنهجة التي اتبعتها باكو، بخلاف كرد أرمينيا وجورجيا الايزيديين، الذين كانت علاقات الزواج بينهم وبين الأرمن في أرمينيا والمسيحيين في جورجيا من المحرمات. وفضّل الايزيديون، الذين عانوا من ممارسات المسلمين وقمعهم، بمن فيهم أخوتهم من المسلمين الكرد، البقاء في أرمينيا وجورجيا. وقد حافظ الايزيديون على هويتهم الكردية، وقاوموا محاولات التجريد من الهوية أو الامتصاص في المجتمعين الأرمني أو الجورجي، على عكس الكرد المسلمين، الذين لم يصمدوا أمام سياسة التذويب[1].

ولم تقتصر المأساة على كرد أذربيجان وأرمينيا فحسب، بل نجد أن كرد جيورجيا لاقوا نفس المصير، حيث هجّروا من مناطقهم، ومن هؤلاء نادروف الذي كان طفلاً حينما رُحِّلَ من نخشوان عام ١٩٣٧، فيتذكر قائلاً: (جُمِع كل الرجال، ونقلوا بالقطار، ولا أحد يعرف إلى أين حتى هذا اليوم. ولم يرجع أيّ منهم. بعد الرجال، جاء دور النساء والأطفال، حيث أجبروا على ترك ممتلكاتهم وبيوتهم وقطعانهم وأخذوا إلى مكان مجهول في عربات الأمتعة التي لا تصلح لنقل البشر. الشيء المرعب هو أن أحداً لم يكن يعرف لماذا وإلى أين يؤخذون.. ؟ !)[2]. أما على صعيد الأبجدية، فقد فرضت السلطات على كرد جمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق الكتابة بالحروف السريلية بدلاً من اللاتينية، وهذا بحد ذاته أحد أشكال الترويس التي أضعفت التواصل بين أكراد الاتحاد السوفياتي من جهة، وبين سائر أكراد كردستان من جهة أخرى.

ثانياً – الكرد في الشتات

بداية أحب أن أميز بين الهجرة الطبيعية والتهجير القسري، لأن الكرد في الشتات هم نتاج هاتين الهجرتين بكل تأكيد:

---

(١)– جيرارد جالياند: مصدر سبق ذكره – ص٣١٧.

(٢)– نادر نادروف: مكانة الكرد في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية – نسخة غير منشورة قدمت في الندوة الكردية في جامعة بانثيون – حزيران ١٩٩١ – ص ٥.

١ـ الكرد في لبنان:

ينتشرون فيه منذ القديم، خصوصاً في جهة الشمال: سهل عكار[1] وطرابلس، وهؤلاء امتزجوا مع سكان المنطقة، وأغلبهم يعمل في الزراعة. ومن عوائلهم التي حكمت هذا السهل لأكثر من مئة عام: آل مرعب[2] وآل المعيطات. أما الدكتور أديب معوَّض فيقول أن هاتين العائلتين قَدِمَتا إلى سهل عكار من جبل الأكراد في الشمال الغربي من سوريا. ويتركز آل سيفا في طرابلس، ويمارسون التجارة وبعض الصناعات (الدباغة) ومهروا فيها[3].

أما أكراد بيروت وزحلة فقد حافظوا على الطابع القومي، وتمسكوا بلغتهم وعاداتهم وأنسابهم ودينهم ومذاهبهم. ويعتقد معوض بأن هذه الجالية نزحت إما من كردستان الشمالية (بوتان وماردين) جراء سياسة التتريك الممنهجة أو من كردستان سوريا (الجزيرة)، وهي تعمل في التجارة البسيطة والنقل والصناعات الخفيفة (التطريز والنقش على القماش)، وحجمهم في بيروت وفق تقديراته عام ١٩٤٥م بين (٥ – ٦) آلاف، بينما عددهم في زحلة بضعة مئات.

وقد نزل الكرد في جبل لبنان أيضاً، ولعبوا دوراً بارزاً في تاريخ لبنان في العهد العثماني وفي العصر الحديث، مثل: المعنيين وآل العماد و آل جنبلاط، أما آل الفضل وآل صعب فنزلوا في الجنوب، وأغلب هذه الأسر إقطاعية. ومن الكرد من ينسب نفسه إلى الأيوبيين، وهؤلاء قدموا إلى لبنان إبان الحروب الصليبية لحماية الثغور، أما آل جنبلاط – فكما يقول الدكتور محمد علي صويركي – أنهم قدموا إلى جبل الشوف هرباً من الصدر الأعظم مراد باشا ومن والي الشام سليمان باشا، بعد ثورة علي باشا جانبولاد (جانبلاط) في منطقة (حلب – سيواس)عام١٦٠٦م[4]، ثم تكيفت مع البيئة الجديدة وتبنت الدرزية[1].

---

(٢)– نسبة الى منطقة وجبل هكاريا في كردستان الشمالية.

(٢)– أو المراعبة.

(٣)– أديب معوض(الدكتور): مصدر سبق ذكره – ص ١٠.

(٤)– محمد علي الصويركي(الدكتور): الكرد في بلاد الشام ومصر – ص ٤٩ – نقلاً عن صلاح أبو شقرا: الأكراد شعب المعاناة – ص ٥٠. يذكر د. نورالدين زازا الذي نفي إلى السويداء، مركز جبل الدروز (الذي عُرِّبَ إلى جبل العرب)، ردَّ أحد الدروز على تساؤلاته بالقول: صحيح أننا لسنا من أصل عربي، حتى إن مؤرخينا يؤكدون أن بعضنا يمكن أن يكونوا من أصل كردي. وبالرغم من أننا كنا نسمي

يقدرعدد الكرد في لبنان اليوم بنحو/١٥٠ ألفاً/، منهم نحو/١٥ ألفاً/ في بيروت الغربية. وأغلب الكرد اللبنانيين مسلمون سنة، وبعضهم شيعة، وآخرون دروز (آل جانبلاط، المعنيون وآل العماد)، والبعض الآخر تنصر.

من أشهر العائلات الكردية التي حكمت لبنان ردحاً طويلاً من الزمن **المعنيون**، وهم أمراء الدروز، حكموا لبنان وأجزاء من سوريا والأردن وفلسطين بين (١٥١٦-١٦٩٧)، ومن أشهر رجالهم (فخرالدين المعني الأول وفخرالدين المعني الثاني). جدير ذكره أن والد صلاح الدين الأيوبي قدم إلى لبنان أيضاً، وأصبح والياً على بعلبك، أما ابنه صلاح الدين فقد أسس الدولة الأيوبية في التاريخ. واستقر **آل جانبلاط**، في قضاء الشوف بجبل لبنان، وتعد بلدة المختارة قاعدة لهم، ويعتقد أنهم ينحدرون في أصولهم من الأيوبيين، وقد تولوا إمارة (معرة النعمان، حلب، كلس). وحكم **آل سيفا** طرابلس، وهم كرد أيضاً، وهي المنطقة الواقعة بين نهري (الكلب وابراهيم) في القرن السادس عشر الميلادي، و (تولى يوسف باشا بن سيفا منصب حاكمية طرابلس الشام من قبل الدولة العثمانية عام ١٥٧٩م)[٢]. أما **آل الشهال وآل خضر آغا** فيمتون إلى آل سيفا بصلة النسب. وقدم جد **آل عماد** من العمادية (كردستان الجنوبية)، ثم اعتنقوا المذهب الدرزي، وأصبحوا من كبار الملاكين في منطقة الشوف، واعتنق بعضهم المسيحية (المارونية). أما **آل مرعب** فكانوا في فترة من الفترات أمراء سهل عكار (قرابة مئة عام)، وهم من الكرد الرشوانية، قدموا إلى طرابلس من منطقة عفرين، وهم مسلمون سنة. أما **آل الفضل** فاستقروا في النبطية.

الكرد "أبناء عمومتنا"، فاننا اليوم تعربنا تعريباً تاماً، فلا نتكلم سوى اللغة العربية، وثقافتنا عربية بحتة، ويعتبرنا المسلمون طائفة من الاسلام، ومع ذلك في مجال الايمان، لا نستطيع أن نبدي وحدة الشعور مع بقية المسلمين، فنحن نعتقد بتناسخ الأرواح، وإننا واثقون أنه إذا مات أحدنا، فان روحه ستندمج في روح طفل درزي يولد في نفس اللحظة. ونرى أيضاً أن الله يظهر بأوقات معلومة على شكل إنسان.. وإن كنا نتعلم الفقه الاسلامي دون نفور، فلأننا مرغمون على ذلك(حياتي الكردية/ صرخة الشعب الكردي - دار آراس - الطبعة العربية الأولى/ اربيل ٢٠٠١ - ص١٧٧).

(١)- الدروز: طائفة شيعية (٣٦٠ ألفاً في سوريا/ السويداء) و(٣١٠ ألفاً في لبنان) و(٦٠ ألفاً في اسرائيل) و(١٠ آلاف في فلسطين) و(١٠ آلاف في الارجنتين)، نقلاً عن (أنور حسين/ بازكر: نفوذ الهلال الشيعي في الشرق الأوسط - ترجمة: علي شمدين - عام ٢٠١٧ - ص٧٨).

(٢)- محمد علي الصويركي: الكرد في بلاد الشام ومصر - بغداد ٢٠٠٧ - ص ٥٩.

كرد لبنان اليوم، هم ثاني أقلية مسلمة بعد الفلسطينيين، وثاني أقلية قومية بعد الأرمن، بينهم قرابة/٢٠ ألفاً/ يحملون هويات " قيد الدرس" و "مكتومي القيد"[١].

احتفل كرد لبنان بعيد النوروز في بيروت عام ١٩٩٤م في عهد رئيس الوزراء رفيق الحريري، تحت شعار: " إن منح الجنسية ورعاية نوروز، انجازان تاريخيان من الحريري لأكراد لبنان". جدير ذكره أنه بصدور المرسوم الجمهوري (٥٢٤٧) في ٢٠ حزيران ١٩٩٤، مُنحت الجنسية لنحو/١٠ آلاف/ كردي في لبنان. وجدير بالذكر أن المرحوم كمال جنبلاط حين كان وزيراً للداخلية، تكرّم على كرد لبنان بالموافقة على طلب تأسيس حزب لهم أسوة بالآخرين وتعاطف مع قضاياهم، وقرر (اصدار بطاقة خاصة بالكرد المحرومين من أوراق إثبات الشخصية القومية، تسمح لهم تلك البطاقة بالعيش والعمل بحرية في لبنان.. وتأسيس جمعية خيرية كردية، يمكن أن تبذل نشاطات ثقافية ورياضية، وتأسست تلك الجمعية بعد بضعة أشهر بدعم من كمال جنبلاط)[٢].

٢- كرد اسرائيل وفلسطين:

يعودون في قدومهم إلى القرون الوسطى، أعني وفدوا إبان الحروب الصليبية وفي العهود اللاحقة. فالقائد صلاح الدين، أسكن الجنود الكرد في المدن التالية: (القدس، الخليل، عكا، جنين، يافا، نابلس وغزة). ففي الخليل، كان التنافس على زعامتها بين الكرد والعرب، وجراء الصراع بين الطرفين، نزح الكرد إلى (اللد، نابلس، القدس وخان يونس). ومنح صلاح الدين نابلس لابن أخته حسام الدين، بعد فتحها وتحريرها من الصليبيين. وكان عدد الكرد في القدس كبيراً، ففيها حي للكرد يُعرف بحارة الشرف معظم سكانها من الكرد.

وحين زار الرحالة (أوليا جلبي) مدينة الصفد عام ١٦٧١، ذكر بأن معظم سكانها جند من الكرد، ولهم فيها حارة خاصة تدعى حارة الأكراد[٣].

أهم العوائل الكردية فهي: أبو خلف، صلاح، الهشلمون، طبلت، جويلس، البيطار، زلوم، حريز، الربيمية، البرادعي، أحمرو، الجبريني، حمور، امحيسن، أبو

(١)- المصدر السابق - ص ٦٦.

(٢)- نورالدين زازا: مصدر سبق ذكره - ص١٦١.

(٣)- محمد علي الصويركي: مصدر سبق ذكره - ص١١٢.

زعرور، عرعر، صهيون، الحزين، برقان، سدر، فخذ أبو سالم/ مرقة، المهلوس، رويشد، أبو حلاوة، الحشيم، متعب وقفيشة[١].

وتسكن عائلة الامام في شمالي الحرم القدسي الشريف، وتعود جذورها إلى العالم ضياء الدين محمد أبو عيسى الهكاري الصلتي، الذي قدم إليها من حي الأكراد في مدينة السلط الأردنية في العهد المملوكي.

آل زعرور، يعودون في أصولهم إلى الأيوبيين، يسكنون شرقي القدس والخليل، وعائلة دار الملا في الناصرة، أما آل سيف وآل موسى وآل عيسى فيعرفون بالبرقاوي (نسبة إلى بلدة برقة قرب نابلس)، وينحدرون من آل سيفا في لبنان ويقيمون في قرية شوفة وكفر الكبد، أما آل القيمري فقد قدموا من كردستان الجنوبية واستقروا في الخليل في عهد الدولة الأيوبية.

وفي القدس عوائل: أبو اللطف، الكرد، الكردي، البسطامي، عليكو. وايوبيون مثل: السائح، أبو غليون، عكه، قفيشة، غراب، أبو حميد، الأيوبي، الحزين، سدر، مرقة، علوش، الجبريني، البرادعي، فراح، أمحيسن، متعب، زلوم، حريز، عسيلة. وهناك عائلة الآغا في صفد والكردي في دير البلح والكردي والكنفاني في عكا والكردي وفشري من الأيوبية في اللد والكردي في طبريا والظاظا في بيسان، وكذلك عوائل كردية في قطاع غزة وخان يونس وبئر السبع والرملة وبيت طيما ويافا ومدينة غزة (مثل عائلة زازا)، وفي مدينة طبريا (عائلة الكردي من عشيرة الايزولي الكردية في سوريا، وكذلك عائلة بكداش).

بعد الحربين العربية – الاسرائيلية ١٩٤٨و١٩٦٧ هاجر الكثير من كرد فلسطين إلى سوريا ولبنان ومصر والعراق والأردن ودول الخليج وأوربا. ومن الملاحظ ان معظم كرد فلسطين استعربوا، لوجودهم هناك منذ ٩٠٠سنة، ولم يعد يربطهم بكرديتهم شيء سوى قول بعضهم بأن أصولهم كردية. أما أكراد أواخر العهد العثماني الذين لجأوا إلى فلسطين فمازال بعضهم يعتز بانتمائه ولديهم مشاعر قومية، وقل الشيء ذاته لمن يحمل اسماً عائلياً يدل معناه على كرديتهم مثل: الكردي، الكرد، ظاظا، آغا، القيمري...الخ[٢].

---

(١)– المصدر السابق – ص ١١٣.

(٢)– محمد علي الصويركي: مصدر سبق ذكره – ص ١١٨.

٣- كرد الاردن:

تقدر الأقلية الكردية في الأردن بنحو/٣٠ ألفاً/، منهم من وفد إليها منذ العهد الأيوبي، ومنهم من قدم في الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي أو في الربع الأول من القرن العشرين أو هم الكرد اللاجئون إليها من فلسطين - كما سبق ذكره - بعد حربي عام١٩٤٨و ١٩٦٧[١]. كرد العهد الأيوبي استقروا في السلط وتُدعى حارتهم بحارة الأكراد. كرد الأردن يشكلون جزءاً من النسيج الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الأردني[٢]. وقد بنى صلاح الدين قلعة عجلون وأسكن فيها فرقة من الكرد الهكاريين، ونبغ منهم علماء وقضاة من امثال: عبدالله الهكاري الصلتي (نسبة إلى الصلت التي حورت فيما بعد إلى السلط)[٣]، وقد عمل ابنه بدرالدين قاضياً في السلط والقدس ودمشق وحمص وتوفي فيها، وانتقل بعض الهكاريين من السلط إلى القدس في العهد المملوكي وكونوا فيها حي السلطية، واصبحوا أئمة المسجد الأقصى لفترة طويلة، يُعرفون اليوم بعائلة الامام.

أسس الملك الناصر (داوود الأيوبي) إمارة الكرك الأيوبية عام ١٢٢٩م، دامت ثمانين عاماً، فأضحت الكرك قبلة الفقهاء والعلماء ومهدت السبيل لنبوغ عشرات الأعلام. ويذكر الرحالة السويسري (بيركهارت) الذي زار السلط عام ١٨١٢م بأن مسلمي السلط من الكرد والقطيشات والعواملة[٤]، كما تؤكد الدكتورة هند أبو الشعر أن الجندية والدرك وتحصيل الأموال في العهد العثماني ترتبط في ذاكرة الأردنيين بالعنصر الكردي، كما عمل الكرد في الوظائف الادارية والحكومية وساهموا في بناء الأردن في شتى المجالات، فكان بين مستقبلي الأمير عبدالله بن الحسين يوم قدومه إلى معان عام ١٩٢٠ ضابطان كرديان هما: خليل بكر ظاظا ونورالدين البرزنجي، وحينما قدم إلى عمان كان الوجيه سيدو الكردي وعلي الكردي من ضمن مستقبليه ومعهم الزعيم رشيد المدفعي، وهو كردي عراقي ومن كبار قادة الثورة العربية الكبرى، وتقلد مناصب عليا، فقد كان وزيرا للداخلية والدفاع عام ١٩٣٩، ومن الكرد

---

(١)- المصدر السابق - ص ٩٧.

(٢)- المصدر السابق - ص ٩٧.

(٣)- المصدر السابق - ص٩٩.

(٤)- المصدر السابق - ص١٠٠.

الآخرين الذين تقلدوا مناصب أيضاً: سعد جمعة رئيساً للوزراء مرتين عام ١٩٦٧ والمهندس صلاح جمعة وزيراً للزراعة والتموين بين عامي١٩٦٧– ١٩٧٩م والدكتور يوسف ذهني وزيراً للشئون الاجتماعية والعمل عام ١٩٧٣ وشغل سعد الدين جمعة منصب أمين عام رئاسة الوزراء عشرات السنين و الدكتور أشرف الكردي وزيراً للصحة وشغل علي سيدو كوراني وزيراً مفوضاً في وزارة الخارجية، ولمع نجم الدكتور أشرف الكردي كطبيب أعصاب متميز وأصبح أميناً عاماً لاتحاد أطباء العرب للعلوم العصبية ١٩٨٤– ١٩٩٣ ونائباً لرئيس أطباء العالم للعلوم العصبية عام ١٩٨٩، وكان الطبيب الخاص للرئيس عرفات.

ونشر الشيخ محمد سعيد الكردي الطريقة الصوفية الشاذلية في شمالي الأردن، وكانت السيدة منيفة بنت بابان الكردي زوجة شاعر الأردن الكبير (مصطفى وهبي التل)، التي أنجبت دولة (وصفي التل)، رئيس الوزراء المعروف. وللكرد اليوم جمعية (صلاح الدين الأيوبي) الخيرية[1].

من العائلات الكردية في الأردن: سيدو الكردي، وانلي، ظاظا، الكردي، البرازي، زركلي، كرد علي، بابان، جمعة الأيوبي، بدرخان، بروسك، الايزولي. وفي مدينة الزرقاء (الكردي، الدقوري) وفي الرصيفة (الكردي) وفي العقبة (الكردي) وفي الكرك (الكردي) وفي جرش (الكردي) وفي عين جنا (الكردي) وفي اربد (أبو رسول، آغا ظاظا، سعدون، الكردي، خضر، شحيمات، عليكو، المارديني، شيخاني) وفي جنين الصفا (الصويركي، الكردي) وفي الطيبة (أبو شريف) وفي الرمثا (سعدون) وفي سال (الآلوسي الكردي) وفي سحم (بدرخان) وفي الريان والسلط (الكردي).

واللاجئون الكرد من فلسطين بعد ١٩٤٨و١٩٦٧ منهم عوائل: الأيوبي، الهشلمون، نيروخ، أبو خلف، الحموري، أبو زهرة، الامام القيمري، جار الله، السائح، الكرد، ظاظا، عليكو، مرقة، زلوم، شاور، آل زعرور، أبو اللطف، أبو الهيجاء، أبو غليون، الكردي، عصفور)[2]

٤– الكرد في مصر:

العلاقة بين الكرد ومصر قديمة، تعود الى عهد أسلاف الكرد **الميتانيين** وفراعنة مصر، أي الى القرن (١٤) ق.م حين تُوّجَتْ بزواج الفرعون امنحوتب الثالث من

(١)– المصدر السابق – ص ١٠٥.

(٢)– المصدر السابق – ص١٠٦.

شقيقة الملك الميتاني (توشرتا)، أما ابنته (نفرتيتي)[١]، التي حكمت عرش مصر، فكانت زوجة (امنحوتب) الرابع الشهير (اخناتون)، أول من أعلن ديانة التوحيد ونادى بوحدانية الله وحطّم الأصنام. وقد كانت شريكة زوجها في اعتناق مبدأ التوحيد، وأنجبت منه بناتاً، لكن القدر حرمها من انجاب وريث للعرش. كانت تتميز بجمالها وشخصيتها القوية الجذابة، وتُدعى سيدة مصر، ولها تماثيل خلدت جمالها الأخاذ في متحفي القاهرة وبرلين[٢]. ويؤكد الدكتور محمود محمد زايد أن الوثائق الميتانية التي تم اكتشافها في تل العمارنة[٣] تصف توشرتا بالصديق الموالي لمصر[٤]. وهناك رسالة من الملك الميتاني الى فرعون مصر امنحوتب الرابع (اخناتون)، جاء فيها: (الى الملك العظيم، ملك مصر، أخي، صهري الذي يحبني والذي أحبه، عسى أن تكون في حالة حسنة، وبيتك، وشقيقتي، وسائر نسائك، وأولادك، ومركباتك، وخيولك وجيشك، وبلادك، وجميع ممتلكاتك.. ليكثر السلام عليك)[٥].

جدير بالذكر أن العلاقات الحميمة بين الكرد والمصريين ترسخت أكثر بفضل **الأيوبيين**، بعد أن أسس صلاح الدين الأيوبي **الدولة الأيوبية** (١١٣٧– ١١٩٣)م، انطلاقاً من القاهرة لمقارعة الصليبيين ودك معاقلهم وكسر شوكتهم عقب معركة حطين (١١٨٧)م، تلك التي مهدت السبيل لتحرير القدس والمنطقة من الغزو الصليبي، حتى دُعي بالملك الناصر، وامتدت دولته من النوبة جنوباً إلى بلاد الأرمن شمالاً ومن الجزيرة العربية والموصل واليمن شرقاً إلى برقة في ليبيا غرباً.

يُسجل لصلاح الدين حمايته للمسيحيين الشرقيين (خصوصاً أقباط مصر)، الذين أحبوه ووضعوا صورته في كنائسهم وأديرتهم، فصورة صلاح الدين المنشورة في جميع أرجاء العالم اليوم منقولة من كتاب روسي مأخوذ من دير قديم بمصر، وهذا ما دفع (عبد المنعم الأندلسي) لنظم قصيدة في مدحه، ومنها:

---

(١)– وتعني الجميلة المقبلة.

(٢)– محمد علي الصويركي: مصدر سبق ذكره – ص١٢٨.

(٣)– عاصمة مصر الفرعونية التي أنشأها اخناتون.

(٤)– محمود محمد زايد: نشاط الكرد في مصر – أربيل ٢٠١٣ – من مطبوعات الأكاديمية الكردية – ص٣٨.

(٥)– فيليب حتى: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين – بيروت ١٩٥١ – ص١٦٢و١٦٣.

فحطوا بأرجاء الكنائس صورة لك اعتقدوها كاعتقاد الأقليم
يدين لـها القس ويرقى بوصفها ويكتبه يشفي بـه في التمائم

وكتب (أحمد زكي باشا) المصري في مجلة (رعمسـيس): (كـان القبط يحبـون هذا الملك العظيم صلاح الدين الذي حماهم ورعاهم، وعرفـوا في كـل أيامـه السـعادة والهنا، وأي دليل على هذا أكبر من وضع صورته إلى جانب الايقونة المقدسة)[1].

ازداد عدد الكرد في مصر بشكل ملحوظ، مـنهم مـن رافـق أسـد الـدين شـيركو وتطوع في فرقته الأسدية (نسبت اليه)، وبلغ عـددهم في جـيش صـلاح الـدين/٨٦٤٠/ فارساً بكل معداتهم، بينهم/١١١/ أميراً كردياً[2]، وكان صلاح الدين يدعو بني جلدتـه للمجيء الى مصر عبر رسائله الموجهة لهم، وكان يغدق عليهم الوظـائف والاقطاعـات على حد قول هاملتون جب.

أما **الدولة الثانية** فقد أسسها **محمد علي باشا** وهو كردي من ديار بكر، ويعتبر بحق مؤسس مصر الحديثة وصانع نهضتها.

نبغ في مصر طوال القرن العشرين عباقرة وقيادات من أصول كردية كـانوا مـن رواد حركة الاصلاح والتحرر والفكر والأدب والفن في مصر والعالم العربـي والاسـلامي، من أمثال: **عبدالرحمن الكواكبي** المولود في حلب وتوفي مسموماً في مصر، المنـاهض للحكم العثمـاني، والـذي سـجن ونفـي مـرات، وكـان مؤسـس جريـدة الشـهباء، ومـن مؤلفاته (طبائع الاستبداد وأم القرى). والامام المصـلح **محمـد عبـده**، وداعـي تحـرر المرأة **قاسم أمين**، والأديب **عبـاس محمـود العقـاد**، وأمـير الشـعراء **أحمـد شـوقي**، والشاعرة **عائشة التيمورية**، والقاص **محمود تيمور**، والشيخ **عبد الباسط محمد عبد الصمد**، والباحـث **حسـن زازا**، والفنانـة **سـعاد حسـني**، والمخـرج السـينمائي **أحمـد بدرخان** وابنه **علي** ...الخ.

توافد الكرد إلى مصـر منـذ العهـد الأيـوبي وفي العهـدين المملـوكي والعثمـاني، خصوصاً في عهد محمـد علـي باشـا وعائلتـه الـتي حكمـت مصـر حتـى عـام ١٩٥٢، وسمي أحد أروقة الأزهر الشريف برواق الأكراد تيمناً بهم واعترافاً بـدورهم في تـاريخ مصر.

---

(١)– محمد علي الصويركي: مصدر سبق ذكره – ص١٣٣.

(٢)– محمود محمد زايد: مصدر سبق ذكره – ص٤٥.

وفي حي شبرى بالقاهرة توجد الجمعية الكردية التي أسسها كُرد الصعيد، ومن العائلات الكردية المعروفة، عائلة تيمور باشا وبدرخان والأورفللي وزازا و وائلي عوني والكردي والاباضية وخورشيد والآغا.. الخ. ويجدر الذكر أن الكردي **سليمان الحلبي**[1] قتل الجنرال كليبر ، خليفة بونابرت في القاهرة عام ١٨٠٠، حين أرسله والده للدراسة في الأزهر عام ١٧٩٧، فتمكن من طعن كليبر بسكينته أربع طعنات قاتلة في حديقة قصره بعد أن شُحِنَ دينياً ، وقبض عليه وأعدم بالموت على الخازوق بعد أن أحرقت يده اليمنى في ١٧ حزيران ١٨٠٠[2]، وترك طعاماً للعقبان، ونقل عظامه في صندوق إلى باريس، وحفظت في متحف (انفاليد) قرب متحف اللوفر في باريس، وفي إحدى قاعاته، على أحد الرفوف جمجمة كليبر، وعلى الرف الذي يقع تحته وضعت جمجمة سليمان[3].

كما أن الأمير (محمد علي)، أحد أحفاد محمد علي باشا، صرّح لمجلة المصور المصرية، في مقابلة أجراها معه الأديب عباس محمود العقاد، بأن جدهم محمد علي باشا كردي الأصل، وتعود جذوره إلى مدينة آمد (ديار بكر)، وأكد هذا القول الأمير (حليم) أحد أحفاد محمد علي باشا، وقد نشرت هذه الاعترافات تحت عنوان: (ولي العهد حدثني عن ولي النعم) في مجلة المصور المصرية عام ١٩٤٩، وذلك بمناسبة مرور مائة عام على وفاة مؤسس مصر الحديثة محمد علي باشا[4].

ومن المفيد قوله أن أسرة محمد علي باشا انتقلت من ديار بكر إلى (قوله). يقول العقاد: حسب بلاد الأكراد شرفاً أنها أخرجت للعالم الاسلامي بطلين خالدين تاريخياً، هما: صلاح الدين ومحمد علي الكبير، وقد تلاقيا في النشأة الأولى وفي النهضة بمصر وفي نسب القلعة اليوسفية إليهما (قلعة القاهرة)، فهي في البناء تنسب إلى صلاح الدين وبالتحديد والتدعيم إلى محمد علي الكبير[5].

---

(١)– سمي بالحلبي لأنه نشأ في حلب حيث كان والده يعمل بتجارة زيت الزيتون، وأسمه الحقيقي سليمان بن محمد أمين، من عائلة عثمان قوبارو، وهو كُردي من قرية كُوكان فوقاني/ منطقة عفرين(كرد داغ)، ولد فيها عام ١٧٧٧م .

(٢)– خيرالدين الزركلي: معجم الأعلام – ١٣٣/٣.

(٣)– محمد علي الصويركي: مصدر سبق ذكره – ص ١٥٠و١٥٣.

(٤)– محمد علي الصويركي: مصدر سبق ذكره – ص١٥٤.

(٥)– المصدر السابق – ص١٥٥.

وقد فرّ العديد من نشطاء الكرد الى مصر من كردستان الشمالية بعد أن أقام أتاتورك جمهوريته (جمهورية الموت) على أنقاض الدولة العثمانية واتبع سياسة التتريك ضد الكرد وغيرهم من المكونات غير التركية، تلك التي وصفها الشاعر (بيره مرد) بالآلة التي لايمكن لها أن تعمل في كردستان دون أن تدهن بدماء الكرد. وأصدر مقداد مدحت، حفيد بدر خان باشا، أول صحيفة كردية في القاهرة تحت اسم (كردستان) بتاريخ ٢٢ نيسان ١٨٩٨، وقد غدا هذا اليوم عيداً للصحافة الكردية. وتعد هذه الصحيفة: حجر الأساس للصحافة القومية، وغدت آنذاك الجريدة المعبرة عن ايديولوجية الحركة الكردية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين[١]. وكانت نصف شهرية، ومن أهم أهدافها تنوير الكرد بواقعهم ونشر التعليم بينهم وتطوير ثقافتهم وتوثيق العلاقات بين الشعبين الكردي والأرمني. وأصدر صالح بدرخان جريدة (أوميد) في الأول من أيلول عام ١٩٠٠ في مصر، وهي نصف شهرية، ولم يعثر الا على العدد الأول منها، وهي باللغتين التركية والعربية، ووجهت هذه الصحيفة انتقاداً شديداً لسياسة السلطان عبد الحميد الثاني[٢]. وأصدر المثقف الكردي اللامع د. عبدالله جودت عام ١٩٠٥ مجلة (اجتهاد)، وكان قد بدأ باصدارها منذ عام ١٩٠٤ في استانبول بالتركية والفرنسية، رداً على النزعة الطورانية. وأنشئت مطابع كردية أيضاً في مصر منها: مطبعة جريدة كردستان ١٨٩٨ ومطبعة التمدن ١٩٠٠ ومطبعة اجتهاد الدولية ١٩٠٥ ومطبعة كردستان العلمية ١٩٠٨، التي طبعت العديد من الكتب، مما أقلقت هذه النشاطات الكردية السلطات العثمانية التي طلبت من السلطات الحاكمة في مصر تضييق الخناق على هؤلاء الناشطين. وفي عام ١٩١٧ أنشئت جمعية استقلال كردستان في القاهرة، رغم اختلاف التسمية وسنة التأسيس في بعض المصادر، وكان مؤسسها الأمير أحمد ثريا بدرخان، وانتسب اليها الكرد المقيمون في مصر والطلبة الكرد الذين كانوا يدرسون في الأزهر، وكانت جمعية سياسية تدعو الى توعية الكرد والسعي لوضع أبجدية موحدة للغة الكردية وتحرير كردستان.

---

(١)– المصدر السابق – ص١٦٥.

(٢)– محمود محمد زايد: مصدر سبق ذكره – ص١٧٧.

في عـام ١٩٥٧ خصـص راديـو القـاهرة أول اذاعـة كرديـة تبـث لمـدة سـاعة في اليوم، موجهة إلى أنحاء كردسـتان باللغـة الكرديـة، وتتنـاول مواضـيع شـتى ثقافيـة وتاريخية وسياسية، وكانت تسمع في كل أرجاء كردسـتان في العـراق وايـران وسـوريا وتركيا، لذا فهي مؤشر على تعاطف جمال عبد الناصر مع القضية الكردية في العـراق على أقل تقدير، ومن العاملين فيهـا: الشـيخ عمـر وجـدي (مـن مـاردين) شـيخ رواق الأكراد في الأزهر، والدكتور فؤاد معصوم (رئيس جمهوريـة العـراق الفـدرالي حاليـاً)، والأديب عبد الوهاب المـلا (مـن حـي الأكـراد بدمشـق)، والشـيخ عـدنان حقـي (مـن الجزيرة). وحين قابلتْ صحيفة (لوموند) عبدالناصر، قال: إن الأكراد شـعب شـقيق. وأعرب عن تمنياته بمنح الأكـراد في العـراق حكمـاً ذاتيـاً كـاملاً، شـرط ألاّ يـؤدي إلى الانفصال. ونقل عن ناصر قوله: سيأتي يوم تكون هنـاك دولـة كرديـة تتوسـط بـين العرب من جهة والفرس والترك من جهة أخرى. ربما موقف التعاطف هذا، كـان نكايـة بنوري السعيد أو عبد الكريم قاسـم، لأن سـلطات الوحـدة كانـت تسـيء إلى الشـعب الكردي في سوريا، وكانت تقف ضد تطلعاته وتزج بمناضليه في المعتقلات والزنـازين في ذات الوقت الذي كان ناصر يتعاطف مع الكرد في العراق.

في الآونة الأخيرة حاول متنورون مصريون التأسيس لحوار كردي – عربي، وفي مقدمتهم أحمد حمروش، رئيس اللجنة المصرية للتضامن، فتم عقد أول ندوة للحوار في القاهرة يومي ٢٧و٢٨عام ١٩٩٨، في قاعة صلاح الدين بفندق شيراتون في القاهرة، بالاتفاق مع الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردسـتاني في العـراق، وجمعت مواد هذا المؤتمر ونشرت في كتابين تحت عنوان: (الحوارالعربي – الكردي).

أهم الشخصيات المشهورة في مصر التي تعود في أصولها إلى الكـرد مـنهم علـى سبيل المثال لا الحصر: العائلة التيمورية وتضـم عائشـة التيموريـة (١٨٤٠– ١٩٠٢)، وهي أديبة وشاعرة ونابغة عصرها، والعلامـة أحمـد تيمـور باشـا (١٨٧١– ١٩٣٠)، وهو مؤرخ وأديب وله العديد من المؤلفات، والأديب محمد بن أحمد تيمـور (١٨٩٢– ١٩٢١)، شـاعر ومسـرحي وقـاص وعلـى يديـه انبثـق فـن القصـة العربيـة الحـديث، والأديب محمود بن أحمد تيمور (١٨٩٤– ١٩٧٣)، مؤسس فن الاقصوصـة في الأدب العربـي الحـديث، وهنـاك أنجـال العائلـة البدرخانيـة، وآل الكـردي[1] وقاسـم أمـين

(١)– الشيخ محمد أمين الكردي مؤسس الطريقة النقشبندية في أرض الكنانة.

(١٨٦٣- ١٩٠٨)، وهو داعية ورائد تحرر المرأة، والكاتب والصحفي ابراهيم رمزي الأرضروملي (١٨٦٧- ١٩٢٤)، الذي أنشأ جريدة اسبوعية عام ١٨٩٤ وأصدر مجلة المرأة في الإسلام وجريدة التمدن وأسس جمعية النهضة الأدبية، وأمير الشعراء أحمد شوقي (١٨٦٨أو ١٨٦٩- ١٩٣٢).

يقول حقي شبلي نقيب الفنانين العراقيين الأسبق عن اعتزاز أحمد شوقي بقوميته الكردية في لقاء صحفي له في بداية السبعينيات من القرن العشرين أنه التقى شوقي حين بويع أميراً للشعراء: عندما علم بكوني عراقياً جاء مرحباً بي أجمل ترحيب، وسألني عن العراق بشكل عام وعن الكرد وعن مدينة السليمانية بصورة خاصة، فشرحت له الأوضاع السائدة آنذاك. سأله أحد أعضاء الوفود المشاركة في المؤتمر عن هذا الاهتمام بالوفد العراقي، قال له شوقي: انهم من أبناء جلدتي، ومن أرض أجدادي، لكوني من أصول ترجع الى تلك الأرض، وخاصة كوني كردياً، لأن جدي هاجر منها الى مصر[1]. وعملاق الأدب العربي عباس محمود العقاد (١٨٨٩- ١٩٦٤)، وكان يفاخر بأصله الكردي ويحتفل بنوروز، والأديب عامر العقاد (١٩٣٦- ١٩٨٥)، والمؤرخ والمترجم محمد علي عوني (١٨٩٨- ١٩٥٢)، الذي وصف بجسر الحضارات (بين العرب والكرد)، ويعود له فضل ترجمة خلاصة تاريخ الكرد وكردستان بجزأيه الى العربية. والأديب والمفكر أحمد الأمين (١٨٨٦- ١٩٥٤)، وهناك إشارة على لسانه عن أصله الكردي كما جاء في كتابه حياتي: (نظر مرة إلى رأسي أستاذ جامعي في علم الجغرافيا، وحدق فيه، هل أنت مصري صميم ؟ قلت: فيما أعتقد. ولِمَ هذا السؤال ؟ قال: إن رأسك – كما يدل عليه علم السلالات – رأس كردي)[2]، والشيخ عبد الباسط عبد الصمد (١٩٢٧- ١٩٨٨) شيخ المقرئين ومن أشهر قارئي القرآن في العالم العربي والاسلامي، والدكتور حسن ظاظا (١٩١٩- ١٩٩٩) من أعلام الفكر والأدب، والدكتورة سَهير القلماوي (١٩١١- ١٩٩٧)، أول امرأة تحصل درجة الدكتوراه في الآداب وتتولى رئاسة قسم اللغة العربية بكلية الآداب، والشيخ محمد نجم الدين الكردي، ودرية عوني، وعازف الغيتار عمر خورشيد وشقيقتاه شيرين وشريهان، والمخرج السينمائي الكبير أحمد بدرخان وابنه علي،

---

(١)- محمود محمد زايد: مصدر سبق ذكره – ص٢٥٦.

(٢)- محمود محمد زايد: مصدر سبق ذكره – ص٢٨٩و ٢٩٠.

وسندريلا الشاشة العربية الفنانة سعاد حسني وشقيقتهاالمطربة الكبيرة نجاة الصغيرة، والفنانان التشكيليان أدهم ومحمد سيف الدين وائلي، والفنان رشدي أباظة، والفنان صلاح السعدني ومحمود المليجي... وهذا غيض من فيض.

٥ ـ الكرد في ليبيا:

يتحدث ادموندز عن (الهماوند) الذين سكنوا (جمجمال وبازيان)، قادمين من كردستان ايران في مطلع القرن (١٨)م لمؤازرة أمراء بابان في السليمانية في مقاتلة العثمانيين، حيث تميزوا بالشجاعة، فنفى العثمانيون معظمهم إلى ليبيا (منطقة طرابلس) ومن تبقى منهم إلى (أدنة)، لكن معظم من هُجِّروا إلى ليبيا عادوا بعد سبع سنوات، ووصف أدموندز هذه العودة بأنها تشكل أروع ملحمة في تاريخٍ هذه القبيلة. قامت السلطات العثمانية بنقل قبيلة الهماوند الكبيرة المنتفضة دوماً من موطنهم الأصلي عام ١٨٩٠، بغية كسر حدة الثورات والانتفاضات الكردية ضد العثمانيين. كان والي طرابلس الغرب أحمد راسم باشا قد اقترح من حكومته في استانبول توطين الهماونديين في ليبيا للتخفيف من المتاعب التي سببتها القبيلة للدولة العثمانية، فوافقت الحكومة على اقتراحه، ونفت أفراد القبيلة إلى مدينة طرابلس، كما أرسلت مجموعة إلى بنغازي لتوطينهم في الجبل الأخضر، وقد رفضت المجموعة التي توجهت إلى طرابلس لتوطينها في منطقة سرت الصحراوية لممارسة النشاط الزراعي، وقد سعى الوالي لالحاق الشباب في الجيش والأمن، لكن محاولته باءت بالفشل، حيث فضل معظم الهماونديين العودة إلى موطنهم، ولاشك أن فشل محاولة التوطين يرجع في المقام الأول إلى حب الأكراد لوطنهم الأصلي كردستان وتمسكهم به، وقد يُقال أن محاولة التوطين قد فشلت في سرت لأنها صحراوية، وقد نشأ الهماونديون في حضن الجبال أو تعودوا حياة الرعي والترحال، لكن حتى الذين نقلوا إلى الجبل الأخضر ببرقة لم يتأقلموا هناك، رغم أن طبيعة منطقة الجبل الأخضر كانت أقرب ما تكون إلى طبيعة كردستان[1].

٦ ـ كرد خراسان:

في القرنين (١٦و١٨)م، أسْكَنَ الشاه اسماعيل والشاه عباس بعض العشائرالكردية في شمال شرق ايران (أي خراسان)، خصوصاً تلك التي كانت تتميز

(١)– حامد محمود عيسى(الدكتور): المشكلة الكردية في الشرق الأوسط – جامعة قناة السويس/ مكتبة مدبولي ١٩٩٢– ص٢٢و ٢٥.

بالشجاعة، وذلك لحماية حدود البلاد من القبائل الرحل القادمة من آسيا الوسطى، وفيما بعد أُلحق قسم من أكراد خراسان بتركمانستان، وهم يسكنون المرتفعات المطلة على عاصمتها عشق آباد، لكن القسم الأكبر استقر في خراسان، وعددهم اليوم يزيد عن المليون، إلا أنهم محرومون، مثلهم مثل أخوتهم في كردستان ايران، من أبسط حقوقهم القومية، لكنهم مازالوا يتكلمون لغتهم ويتشبثون بعاداتهم وتقاليدهم. وهناك من الكرد الذين يسكنون حول بحر قزوين أيضاً. يجدر الذكر أن مساحة خراسان واسعة جداً، ومن مراكزها الحضرية: قوجان، شيروان، بونجرد...الخ، وتكثر فيها الأراضي الزراعية.

كرد خراسان يتكلمون اللهجة الكرمانجية الشمالية، ويتوزعون بين السنة والشيعة، ناهيك عن قلة من العلويين وبعض اليارسانيين ويتكلمون بـ (اللكية). وكان كريم خان مؤسس سلالة زند الحاكمة في ايران، وهو من عائلة تنتمي إلى مرحلي الـ (لك)، أي من عشيرة الزند.

٧ـ كرد الأناضول:

أ – أسكن قسم منهم غرب بحيرة توز غولو جنوبي أنقرة، حيث الأرض القفراء، ورحلوا إلى هناك في القرنين (١٦– ١٨)م. من مراكزهم الحضرية: جيهان بيلي، يوناك، هيمانا.

ب – القسم الثاني، لعبت الهجرة الطبيعية دوراً أساسياً في قدومهم إليها، وهي منطقة زراعية مرتفعة، من مراكزهم الحضرية فيها: توكات، يوزكات، جورُم، آماسيا.

كرد الأناضول، يتكلمون الكرمانجية بنسبة ٩٠٪ أما نسبة ١٠٪ الباقية فيتكلمون الدّملية، وبينهم أقلية علوية.

٨ ـ كرد أفغانستان وباكستان:

يسكنون منطقة غوريان التابعة لاقليم هرات بأفغانستان وقرب الحدود الإيرانية – الأفغانية، وهم ينحدرون من العشائر الكردية التي جاء بها الفرس الى خراسان في القرن ١٦م، لتحمي بها نفسها. عددهم في كلتا الدولتين يزيد عن مليون ونصف.

٩– كرد السودان:

يقول الباحث جوهر جلال وسو في دراسة تاريخية نال فيها رسالة ماجستير في جامعة النيلين، ان تاريخ الكرد في السودان يعود الى عام ١١٧٢م، أي الى العهد

الأيوبي حين قاد أخ صلاح الدين توران شاه حملة على النـوبيين وعـين أحـد أفـراد جيشه زعيماً هناك، والبعض منهم يعود الى العهد العثمـاني (أيـام محمـد علـي باشـا وأحفاده). يقدر عدد الكرد بنحو ١٠٠ ألفاً أغلبهم في شـرقي السـودان وفي كـرد فـان، ومازال قسماً منهم يتحـدث الكرديـة، ومـازالوا يحتفلـون بعيـد نـوروز، لكـن الأغلبيـة اعتنقت المسيحية، والباقي على الدين الاسلامي والايزيدي واليهودي.

الحركة المهدية في السـودان كـان أحـد قادتهـا كرديـاً يـدعى (عثمـان ديقنـه)، حارب البريطانيين وانتصر عليهم، ثم قبض عليه وحكم عليه مـدى الحيـاة ومـات في السجن بعد أن أمضى فيه ١٧ عاماً، وحـين اسـتجوبه البريطـانيون، أجـاب: أصـلي كردي من ديار بكر.

١٠ـ كرد المتروبولات:

أنقرة، استانبول، طهران، بغداد، دمشق، حماه...الخ.

ملاحظة: يجدر الذكر بأنه في الوقت الذي يعيش فيه بعض الكـرد في الشـتات، هناك في الوقت نفسه من يعيش معهم ويتقـاسمهم شـظف العـيش، مثـل: النسـاطرة، السريان، الكلدان، الآشوريين، الأرمن، اليهود، الشركس، التركمان، ناهيك عن العـرب والفرس والترك.

الفصل الرابع
الحركة الثقافية الكردية

«قال مصطفى كمال: اذا أردنا اخضاع أمة وتحويل شعبها الى عبيد، وسلب هويتها، واذا ما أردنا أن يبقى الاستعمار طاغياً في منطقة ما، علينا أن نقضي على أبجدية تلك الأمة، وعلينا أن نمنع على تلك الأمة أو على ذلك الشعب أن يتحدث بلغته، ونحول بينه وبين ثقافته».

(اسماعيل بيشيكجي)

أولا: اللغة الكردية

تعد اللغة الكردية من عائلة اللغات (الهندو – أوربية) ومن مجموعة اللغات الايرانية، تلك التي تضم إلى جانب اللغة الكردية، لغات أخرى، مثل: الفارسية، الأفغانية، البلوشية... الخ. وسبق أن أكد الأب أنستاس ماري الكرملي (١٨٦٦–١٩٤٧)، الذي نشأ في بغداد ودرس في لبنان وأوربا وأتقن نحو ١٥ لغة، بأن اللغة الكردية تميزت عن غيرها من اللغات الأخرى باستقلالها اللغوي، فكان اعتزالها في الجبال عاملاً مهماً في صونها؛ لكن جرّاء ذلك، أي الاعتزال، نشأت اللهجات[١] .

وذكر استرابون[٢]: (أن الفرس والميديين في زمنه، كان بعضهم يفهم لغة بعضهم الآخر، فيؤخذ من هذا أن اللغة الميدية كانت غير الفارسية، إلا أنها كانت قريبة منها)[٣]. أما سايس فيرى أن الميديين كانوا عشائر وقبائل أكراد ليس إلا، وانهم من الوجهة اللغوية آريون (هندو – أوربيون)[٤]. ويرى ويلسن، الذي كان يشغل منصب وكالة المندوب السامي بالعراق خلال سنة ١٩٢٠م فيدلي برأيه، قائلاً: (ان

(١)– عماد عبدالسلام رؤوف(الدكتور): دراسات وثائقية في تاريخ الكرد الحديث وحضارتهم – دار – دمشق/ سوريا – ط١عام٢٠١٢ – ص٥٧٢.

(٢)– جغرافي يوناني قديم، مات في أوائل القرن الأول الميلادي.

(٣)– محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان – الجزء الأول – ص٢٩٩.

(٤)– المصدر السابق – ص٢٩٩.

الشعب الكردي من أحفاد الميديين مباشرة وان لغته احدى لغات آسيا الغربية)[١]. ويرى الاخصائيون أن زرادشت كان من أهالي ميديا، فلا يستبعد إذن أنه كتب الابستاق بلغته الوطنية، أي بلغة الميديين[٢].

ويؤكد المهتمون بهذا الشأن، بأن الزندية والبهلوية من أقدم اللغات الآرية، فالأولى استعملت في الكتب الدينية الايرانية القديمة مثل الابستاق، حتى صارت لغة المحادثة، أما الثانية فالظاهر أنها كانت منتشرة في العراق العجمي (ميديا الكبرى) وفارس، حيث كانت لغة العامة في المحادثة، إلا أنها فقدت أهميتها في عهد الساسانيين وأتخذت لهجة اقليم فارس لغة رسمية، بعد أن دخلتها كلمات من الزندية والبهلوية، فنشأت اللغة الفارسية[٣].

وانطلاقاً مما ذكر، يقول (سدني سميث) صاحب كتاب «تاريخ آشور» في هذا الصدد: (ليست اللغة الكردية الحالية لهجة مشتقة أو محرفة عن اللغة الفارسية الحالية، بل انها لغة مستقلة تمام الاستقلال، لها تطوراتها التاريخية الحقيقية، وهي أقدم من اللغة الفارسية القديمة التي كتبت بها آثار داريوش الأول). أما الميجر (ادمونس)، الاخصائي في تاريخ الكرد، فجاء في مقالة له نشرت في مجلة جمعية آسيا الوسطى، العدد ١١، ما يأتي: (أصبح من الوضوح بمكان أن اللغة الكردية ليست عبارة عن لهجة فارسية محرفة مضطربة، بل انها لغة آرية نقية معروفة، لها مميزاتها الخاصة وتطوراتها القديمة). أما (الميجرسون)، الذي كان يتقن اللغة الكردية مثل أبنائها، فقال: (ان اللغة التي يتكلم بها الأكراد الحاليون، ليست – كما يظن البعض، وهم غالب الرحالة – لهجة مشوشة لا ضابط لها ولا قواعد، حرفت من لهجات اللغة الفارسية، بل انها بالعكس، لغة آرية نقية ممتازة... وهي الوحيدة بين اللغات في الشرق الأوسط، سلمت من تأثير اللغة العربية فيها تأثيراً بليغاً، سوى بعض الكلمات الدينية). ويخلص محمد أمين زكي مما ذكر آنفاً مؤكداً: يتبين من هذا أن اللغة الكردية انفصلت مع اللغة الفارسية من أصل واحد، وأن كلاً منهما انقسم إلى عدة لهجات[٤]. وتتضح أن اللغة الفارسية الحالية نشأت بعد الاسلام، والكردية والفارسية

---

(١)– محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان – الجزء الثاني – ص١٢٧.

(٢)– محمد أمين زكي: المصدر السابق – الجزء الأول – ص٢٩٩.

(٣)– محمد أمين زكي: مصدر سابق – الجزء الأول – ص٣٠٤ و٣٠٥.

(٤)– المصدر السابق ونفس الجزء – ص٣٠٨.

رغم أنهما من لغات غرب ايران ورغم التشابه والتقارب بينهما، فانهما لغتان مستقلتان وهناك فروقاً واضحة بينهما، لكن نتيجة التواصل تم الاقتباس بينهما وفق النواميس الطبيعية، دون أن يتأثر أساسهما طبعاً، فلا لغة بمنأى عن هذا التأثير المتبادل في الاستعارة والاقتباس.

وقد قسم (ب. ليرخ)[1] اللغة الكردية إلى خمس لهجات، هي: الكرمانجية، اللورية، الكلهورية، الكورانية، الزازية. ويمضي ليرخ مؤكداً وجهة نظر (آ. بوت) في أن: (اللغة الكردية هي لغة مستقلة من بين مجموعة اللغات الايرانية)[2]، وإن كانت ذات صلة باللغة الفارسية أكثر من غيرها من اللغات.

أما (ي. سون) فقد عدّد أربع لهجات هي: الكرمانجية، اللورية، الكورانية، الزازية. ويرى من خلال دراساته في هذا المجال، أن اللهجة الزازية أقرب إلى الكورانية، وذهب توفيق وهبي إلى حد ما ذهب إليه سون. أما فيما يخص الكرمانجية فيصنفها سون إلى:

أ ـ الشمالية

ب ـ الجنوبية: وتضم الموكرية والبابانية والسليمانية.

أما الدكتور فؤاد حمه خورشيد فيؤكد في أبحاثه، بأن اللغات الهندو – أوربية تطورت من لغة منذ ما قبل التاريخ، أي منذ الألف الخامس ق.م، سميت (البدائية)، والناطقون بها (وهم الآريون) كانوا يسكنون المنطقة التي تقع بين نهر الفولغا وجبال الأورال شرقاً وحتى نهر الرون غرباً، ثم انتشروا في أوراسيا[3] (أي في المناطق الممتدة بين أوربا والهند)، فانقسمت إلى مجموعات لغوية عدة، ومنها المجموعة الايرانية التي تنتمي إليها اللغة الكردية. ويمضي فؤاد حمه خورشيد قدماً في القول: كان الكوتيون، الذين ينتمي إليهم الكرد، يسكنون جبال زاغروس منذ ٣٨٠٠ ق.م، أي قبل وصول موجات الآريين، وكان للكوتيين لغتهم التي بدأت تتطور تحت التأثير اللغوي الآري، لكن أكبر الأثر كان من جانب الميديين الذين فرضوا ثقافتهم ولغتهم

(١)– وهو من الكردولوجيين الروس ممن اهتموا بدراسة اللغة الكردية .

(٢)– قناتى كلش كوردويف: تاريخ دراسات اللغة الكردية ولهجاتها – ترجمة: د. عبد المجيد شيخو – ص١٧.

(٣)– يقصد بمصطلح أوراسيا(أوربا + آسيا).

منذ القرن السابع ق.م، فتكونت اللغة الكردية إذاً من الصهر اللغوي الميدي – الكوتي، ولعل (المفردات اللغوية الكردية التي لا يرجع أصلها إلى اللغة الآرية، هي مفردات من بقايا اللغة الكوتية، والتي لم تصهرها لغة الميديين الأولى)[1].

بعد تبلور اللغة الكردية، كلغة آرية مستقلة، بدأت تتفرع إلى لهجات، وفي نهاية الألفية الأولى بعد الميلاد، ظهرت إلى الوجود أربع لهجات رئيسية، هي: الكرمانجية الشمالية و الكرمانجية الوسطى والكرمانجية الجنوبية والكورانية، ثم تفرعت عنها لهجات محلية[2]، جرّاء التضاريس الجغرافية المعقدة والحياة الاجتماعية القبلية التي فرضت العزلة، ناهيك عن افتقار الكرد إلى سلطة سياسية جامعة بعد سقوط ميديا، وتقسيم كردستان ثلاث مرات، الأولى بين الصفويين والعثمانيين وفي المرة الثانية حين انتزعت روسيا القيصرية أجزاء من الامبراطوريتين السالفتين، والثالثة بعد سايكس – بيكو، حين توزعت التركة العثمانية بين كل من تركيا والعراق وسوريا.

وتعد اللهجتان (الكرمانجية والسورانية) أساس اللغتين الأدبيتين في الوقت الحاضر، و تنتشر الكرمانجية بين أغلب كرد تركيا وأكراد ايران (غرب بحيرة أورمية وفي خراسان) وأكراد سوريا وجمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق وأكراد العراق (حتى الزاب الاسفل)، كما يفهمها أكراد ديرسم، رغم أن لهجتهم هي الزازية.

ويتحدث السورانية أكراد العراق (راوندوز، اربيل، السليمانية، كركوك)، وأكراد ايران (مهاباد، سقز، بوكان، بانيه، سنه).

وتُصنّف اللهجات وفق المناطق على النحو التالي:

١– الكرمانجية: في كردستان الشمالية (تركيا) والجزء الملحق بسوريا والجهة الشمالية و الغربية من كردستان الجنوبية (العراق) والمناطق الشمالية الغربية والغربية وخراسان في كردستان الشرقية (ايران) وجمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق.

٢– اللورية: أ)– الكورانية – الموكرية: من جنوب أورميا حتى جنوب ساقز والمناطق المتاخمة لكردستان الجنوبية (العراق).

---

(١)– فؤاد حمه خورشيد مصطفى(الدكتور): مجلة كولان العربي – العدد ٦٦ تشرين الثاني ٢٠٠١ – ص١٢٠.

(٢)– راجع الشكل ١: التطور التاريخي للغة الكردية ولهجاتها.

ب)ـ البابانية: في السليمانية واربيل وكركوك وديالى.

٣– الكورانية: في السليمانية ومقاطعة مهاباد، وتضم لهجات، هـي: اللوريـة في لورستان الصغرى، والبختيارية في لورستان الكبرى (مناطق الفيلي).

٤– الزازية: في مناطق ديرسم (كردستان الشمالية).

إن الحاق كردستان وتجزئتها، حالَ دون ظهور لغة كردية موحدة، رغم أن اللهجتين الكرمانجية والسورانية تأخذان في الآونة الأخيرة طابعاً عاماً في وسائل الاعلام، لكن هذا لا ينفي أن بقية اللهجات مازالت متداولة، مع ملاحظة أن الكرمانجية يستعملها الناطقون بالزازية، والسورانية ويستعملها أيضاً الناطقون بالكورانية. ومنهم من يعزو تعدد اللهجات إلى طوبوغرافية كردستان وتضاريسها المعقدة، ناهيك عن تخلفها جراء الاحتلال والتقسيم والالحاق والتركيبة الاجتماعية، ومن هؤلاء (دانا شمدت): (هم – أي الكرد – مقسمون، متباعدون بسلاسل جبال شاهقة ووديان ضيقة وعنعنات قبلية وولاء صارم عشائري، وقد أخّرهم هذا التباعد الجغرافي والافتقار إلى المواصلات الداخلية، مما أدى إلى إختلاف عظيم في اللهجات وبطء التطور العقلي والحضاري، أضف إلى هذا التباعد الجغرافي والافتقار إلى بؤرة اشعاع حضارية كبيرة "مجتمع المدينة" وبقاءهم عدة قرون ضمن الامبراطورية العثمانية تحت ستار الجامعة الاسلامية والقمع الارهابي المنظم)[١] .

من الطبيعي أن تتأثر اللغة الكردية ولهجاتها المختلفة بالفارسية والعربية ولغات أخرى أوربية...الخ، وتؤثر فيها، خصوصاً الفارسية والعربية والتركية. كانت الكردية تكتب بحروف خاصة قبل الاسلام: (قريبة من الحروف الآرامية كما يقول الباحثون الذين يقولون أيضاً أن كتاب "آفستا" للنبي زرادشت كان مكتوباً بتلك الحروف، وبالتالي فانهم يعيدون أصول اللغة الكردية بلهجاتها إلى اللغة المتداولة في الآفستا. بل ويشير باحثون روس وألمان وايرانيون وغيرهم إلى أن جذور لغة الآفستا باقية في اللغة الكردية الحالية[٢] . ثم بدأ الكرد يدونون لغتهم بالحروف العربية المعدلة أو المحورة بعد الاسلام (مثل نتاجات فقهي تيران والجزيري وأحمدى خاني ... الخ). لكن بعد عام ١٩٣١ بدأ الكرد في الجزء الملحق بسوريا استخدام الحروف اللاتينية،

(١)– دانا شمدت: رحلة إلى رجال شجعان في كردستان – دار آراس – ط٢عام ١٩٩٩/ اربيل – ص٢٠.

(٢)– من مقدمة المرحوم فلك الدين كاكائي لكتاب: الأكراد في لبنان وسوريا، للدكتور أديب معوض.

وكذلك في كردستان الشمالية (تركيا)، أما في جمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق فقد أجبروا على الكتابة بالأبجدية السريلية أو الأرمنية، وفي كردستان الجنوبية (العراق) وكردستان الشرقية (ايران) بالحروف العربية المعدلة.

يرى المبشر الفرنسي بول بيدار أن اللغة الكردية: (هي احدى أمتع اللغات مرحاً، متناسقة، بسيطة، دقيقة، غنية، متميزة الصور، سهلة للدراسة، هذه اللغة فاتنة وشاعرية بعمق)[(١)]. ويضاف إلى كل ما ذكر، أنها تختلف عن سائر اللغات الايرانية بخصائصها الفونوتيكية المميزة، وكذلك في مجال المورفولوجيا والسنتكسيس (علم اللغة). لكن، حُورب الكرد على أكثر من صعيد، بما في ذلك في مجال اللغة، التي تعد رمز هويتهم القومية:

فتركيا لم تعترف بالوجود القومي الكردي البتة، وكانت تعتبرهم أتراك الجبال، يضاف إلى ذلك أنها حاربت اللغة الكردية بشتى الوسائل، بما في ذلك الفولكلور (الغناء). وسبق لها أن احتجت لدى الحكومات العراقية، فيما يتعلق باللهجة البادينية، حيث كانت تذاع بها البرامج الاذاعية، مخافة أن تتأثر بها كردستان الشمالية (تركيا)[(٢)]. ويذكرنا نيكيتين بما كتبه الكردي الدكتور محمد شكري صكبان، الذي سبق أن دعا الكرد لترك اللغة الكردية، بعد أن باع ذمته لأتاتورك قائلاً: انني أدعو أخوتي في الدم، أبناء الكرد في تركيا، السير على هدى النهج الذي رسمه لهم قائدهم المعروف مصطفى كمال باشا[(٣)]. إن هذا الموقف ينمُّ عن قمة في الانمساخ وغلو في تمسح المقهور بالقاهر.

وفي العراق، رغم أن الوضع فيها كان أفضل نسبياً من سائر أرجاء كردستان، إلا أن الحكومات العراقية أصرت على اعتماد الأبجدية العربية المحورة، كما لا يُخفى أن غالبية رجال الدين الكرد كانوا مع هذا التوجه، إنطلاقاً من المعتقد الديني الرائج بأن الحرف العربي مقدس مادام القرآن الكريم، الكتاب المقدس لدى المسلمين،

---

(١)– قناتى كردو(كورديف): مصدر سبق ذكره – ص٢٧.

(٢)– أفاد المرحوم كاميران برواري، مدير اذاعة كردستان/ دهوك بهذا ذات يوم، في لقاء خاص بيني وبينه في مدينة القامشلي

(٣)– باسيلي نيكيتين: دراسة سوسيولوجية وتاريخية – مصدر سبق ذكره – ص ٤٠٣.

مدون به. وكانت هناك أيضاً محاولات من أمثال عبدالوهاب الأتروشي، الذي دعا بدوره الى الغاء التعليم بالكردية في عهد صدام، واستعمال العربية بدلاً عنها[1].

أما سوريا فلم تسمح الحكومات المتعاقبة بأية فرصة قد يستفيد فيها الكرد من القراءة والكتابة بلغتهم الأم، إلى درجة أن أجهزة الأمن كانت تلاحق من يقتني كتاباً أو صحيفة أو مجلة تتناول الشأن الكردي حتى وإن كانت بالعربية، فما بالك بالكردية. وبالعكس من ذلك افتتح محافظ ريف دمشق مركزاً لتعليم الآرامية في معلولا عام ٢٠٠٤، والتي هي لغة محكية لنحو ١٦ ألف شخص، وسمحت للأقليتين السريانية والأرمنية بافتتاح مدارسهما الخاصة، كما تدرس اللغة العبرية والتركية والفارسية والألمانية في الجامعات، ناهيك عن الانكليزية والفرنسية، بينما حاربت اللغة الكردية دون هوادة، وهذه المفارقة لا يمكن تفسيرها إلا بالقول أنها وسيلة لذر الرماد في العيون، ومحاولة لارضاء الأوربيين والكنائس ذات النفوذ.

ووضع الكرد في ايران كان شبيهاً بوضع أخوتهم في الأرجاء الأخرى. يقول د. محمد علي الصويركي: إن الشاه إضطّر أن يقيم اذاعة كردية في مدينة كرمانشاه ليرد على الاذاعة الكردية في القاهرة.

وفي جمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق، أجبر الكرد على اعتماد الأبجدية الكيريلية كما أسلفنا، رغم تنفسهم الصعداء في الفترة التي أسست فيها كردستان الحمراء.

من الطرائف التي رواها الدكتور محمد علي الصويركي في كتابه «الكرد في بلاد الشام ومصر»، تلك التي تدور حول البرنامج الاذاعي الذي كان يُبثُّ عام ١٩٥٧ من القاهرة، نعني به البرنامج الكردي الذي كان يذاع تحت اشراف الشيخ عمر وجدي (من ماردين) و د. فؤاد معصوم (العراق) وعبد الوهاب الملا (حي الأكراد في دمشق) والشيخ عدنان حقي (قرية حلوة في الجزيرة/ سوريا) وآخرين، والذي دام أكثر من عشر سنوات، أي حتى بعد حرب حزيران ١٩٦٧، ثم أغلق لأسباب سياسية واقتصادية. تقول الطرفة: احتجّ السفير التركي في القاهرة على فتح الاذاعة الكردية في القاهرة، وقد استدعاه الرئيس جمال عبد الناصر وسأله: هل يوجد كرد في تركيا؟. أجاب السفير التركي: لا. وهنا اقتنص ناصر الفرصة، وردّ عليه باستنكار: فلِمَ إذن هذا الاحتجاج والامتعاض؟.

---

(١)– المصدر السابق: ص٤٠٢ (أنظر الهامش الذي وضعه د. نوري طالباني).

ثانياً: الأدباء الكرد

١- بابا طاهر الهمداني (٩٣٥- ١٠١٠): شاعر صوفي كان ينظم الشعر بالكورانية، على شكل رباعيات، يقول محمد أمين زكي، بأنه امتاز برقة الاحساس ونبل العاطفة وبساطة الاسلوب في وصف الآلام والمصائب.

٢- علي الترموكي: سمي بذلك نسبة إلى قرية ترموك، أول من وضع قواعد الصرف والنحو للغة الكردية.

٣- علي حريري (١٠١٠- ١٠٧٧): من أهالي قرية دير الحرير (من أعمال اربيل)، له ديوان وأشعاره غزليات في غاية الرقة والسلاسة، علاوة على مافيها من اللوعة، واسلوبه رصين[1].

٤- فقهى تيران (١٣٢١- ١٣٩٣): من أهالي ماكو، اسمه الحقيقي محمد. ترك لنا «حكاية الشيخ سنان» و «قول الحصان الأسود» وأشعاراً كتبت بلغة مفهومة، دافع بها عن الفقراء.

٥- ملايى جزيري (١٤٠٦- ١٤٨١): **هو الشيخ أحمد بن محمد الجزيري**، ولد في جزيرة بوتان، خلف ديواناً قيماً، وأشعاره تندرج في معارج العشق والهيام الالهي الممزوج بالحب العذري. ويعد من أبرز الشعراء الكرد. كان يتقن الى جانب الكردية: العربية، التركية، الفارسية.

٦- أحمدى خاني (١٦٥٠- ١٧٠٧): ينسب الى عشيرة خاني في بايزيد، شاعر له ملحمة «مم وزين» الخالدة تلك التي اقتبسها من ملحمة ممى آلان في أدبنا الشفاهي - المروي ونظمها شعراً، و «قاموس كردي - عربي» صاغه شعراً للصغار يدعى «نوبهار»، و «عقيدة الايمان» وهي أيضاً قصيدة شعرية. وله أيضاً أشعار بالعربية والفارسية والتركية. دعا الكرد في ملحمته الى اليقظة والوحدة ونبذ الفرقة في مواجهة الامبراطوريتين العثمانية والفارسية، مما دفع البعض الى اعتبار دعوته تلك بمثابة **البيان القومي الأول** مثلما نوهنا في مقدمة هذا البحث.

٧- ملايى باتي (١٤١٧-١٤٩٥): من قرية باتي بمنطقة هكاريا، له «ديوان شعر» و«المولد النبوي» بالكرمانجية.

٨- شريف خان (١٦٩٣- ١٧٤٨): من جوله ميرك، ينتسب إلى عائلة أمير بدليس، له أشعار غزلية بالكردية والفارسية.

---

(١)- محمد أمين زكي: مصدر سبق ذكره - ص٢٣٥.

٩- نالي (١٧٩٧- ١٨٥٥): اسمه ملا خضر من أهـالي شـهرزور، أحـب فتـاة كردية في قَرَداغ، وكانت ملهِمَته ثم تزوجها، شعره من الغزل الرقيق.

١٠- حاجي قادر كويى (١٨٢٤- ١٨٩٧): ولد في قرية بجوار كويسنجق، تفوح من قصائده نفحة قومية واضحة، علاوة على نفحة ألم على ما أصاب أمته من محـن، يأتي الشقاق في مقدمتها. أسلوبه حماسي مؤثر كما يقول محمد أمين زكي وأفكـاره تتسـم بالسـمو، فلقـد شـقت الحداثـة والتجديـد طريقهـا في مجـال الشـعر علـى يـده، بمضمونها المقاوم في مواجهة الظلم والاستبداد والشعوذة، فشن حرباً: (ضـد مشـايخ الطرق الصوفية في كردستان، الذين استخدموا الدين من أجل الانتفاع والاثراء بشكل فاحش على حساب الشعب والجماهير المغلوبة على أمرها)[١].

١١- مولوي (١٨٠٦- ١٨٨٢): اسمه عبد الرحمن، كان شاعراً صـوفياً رقيـق الاحساس، نبيل العاطفة، صادق الشعور، على حد قول محمد أمين زكي.

١٢- (هــزار Hejar**) الموكريــاني** (١٩٢١- ١٩٩١): اسمــه عبــد الــرحمن شـرفكندي، شـاعر ومترجـم وباحـث، ينتمـي إلى أسـرة دينيـة في مهابـاد، كـان مـن المقربين لقاضي محمد الذي لقب الشاعرين هزار وهيمن بالشـاعرين القـوميين، وبعـد انهيار الجمهورية هاجر إلى كردستان الجنوبية وظل وفياً للبارزاني وخدم ثورة أيلول، وزار كردستان سوريا وحل ضيفاً على آل حـاجو آغـا في بلـدة تربـه سـبي وعـاش في كنفهم ردحاً من الزمن[٢]، دفن بجوار رفيقه هيمن في مهاباد.

ذات يوم ترجم أكرم جميل باشا مقطعاً لقصيدة نظمها هزار لـ (دانا شمـدت)، تدور حول أم كردية تهدهد طفلها الذي شـدّته بقمـاط كمـا كانـت العـادة بـين الكـرد وتغني، فنالت اعجابه[٣]:

---

(١)- كمال معروف: الحركة التجديدية في الشعر الكردي الحديث - ص ٦٨.

(٢)- ذكر لي ذات مرة محي الدين حاجو، بأن مضافتهم في بلدة تربه سبي كانت تعج بالضـيوف دومـاً، وكان الفنان الشعبي شيخو نادو المعروف بالتفكه يلقي طرفاً أضحك المتفرجين لساعات، حتى بدأت دموع هزار تنهمر على خديه، فلما سُئل، ردّ: إنه لا يقل عن أي ممثل في العالم المتقدم بموهبته، لكن بسبب إنعدام المسارح ودور السينما، فلما سئل، أجاب: إن شيخو لا تقـل موهبتـه عـن موهبـة كبـار الممثلين والفنانين في العالم المتقدم، لكنني أخشى أن تندثر مثل هذه الموهبـة بموتـه، لعـدم وجـود كيان كردي وأكاديميات ومسارح كردية، تعنى بالمواهب الكردية وتصقلها.

(٣)- دانا ادمز شمدت: رحلة إلى رجال شجعان في كردستان - ترجمة وتعليق: جرجيس فـتح الله - ط٢ دار آراس/ اربيل ١٩٩٩ - ص٣٩.

(إصفح عني يا صغيري
لقد أحكمتُ وثاقك، لأنك طفل كردي
يوماً ما سيمسك بك أعداؤك،
من الفرس والترك والعرب
ويوثقونكَ،
عليك أن تتعلم إحتمال الأذى منذ الآن)

١٣– عبدالله كوران (١٩٠٤– ١٩٦٢): يُعد من المجددين في الشعر الكردي شكلاً ومضموناً، في مجال اللغة والوزن والايقاع والصورة، ورائد الواقعية الاشتراكية في الأدب الكردي، مما أفسح المجال لاغناء الوعي الجمالي على: (أنقاض الشعر التقليدي، الذي كان في ذروة ركوده ورتابته آنذاك)[١]. ورغم المامه باللغات الأخرى كالعربية والتركية والفارسية والانكليزية، لم يبدع الشعر إلا بلغته الأم. كما يطغى الموضوع السياسي والاجتماعي على مسرحياته. يقول الدكتور رفيق صابر: جراء مطاردة الأجهزة الأمنية له، حُرِمَ من الظرف المناسب لتطوير أدواته الفنية.

١٤– هيمن (١٩٢٢– ١٩٨٤): اسمه محمد أمين شيخ الاسلام، ولد في مهاباد، تعرض للملاحقة والاعتقال والنفي، لعب دوراً مهماً في يقظة الكرد، وكان من المناضلين البارزين في الحزب الديمقراطي في كردستان ايران، ومساهماً مع نظيره هزار في ارساء أركان الوعي الثوري الكردي في أول جمهورية ديمقراطية كردية في التاريخ الحديث (مهاباد). لأن الشعر: (لا يكون ثورياً بمقدار ما يحدث فقط من ثورة داخل الشعر، بل أيضاً بمقدار ما يؤدي من تأثير ثوري، من إضاءة للوعي داخل حركة الجماهير، أي داخل حركة التاريخ[٢].

١٥– وهناك: قانع (١٩٠٠– ١٩٦٥) وبيكس (١٩٠٥– ١٩٤٨) وأحمد مختار جاف (١٨٩٨– ١٩٣٥) ودلدار (١٩١٨– ١٩٤٩) ودلزار وشيركو بيكس... وآخرون كثر، استميح القارىء عذراً، فالبحث لا يتسع لواحد فقط من هؤلاء، فحسبي أنني قمت بتقديم غيض من فيض.

---

(١)– كوران الظاهرة – د. رفيق صابر – ص٤/ كوران عبدالله: شاعر كردستان الخالد – اعداد: محمد علي توفيق – ط١عام١٩٩٠ – اصدار: رابطة الكتاب والصحفيين والفنانين الديمقراطيين العراقيين.

(٢)– محمد دكروب: الأدب الجديد والثورة/ كتابات نقدية – دار النشر: الفارابي/ بيروت عام ١٩٨٤ – ص١٠٠.

ولن ننسى مدرسة **الأدب الشفاهي الكردي**، هذا الأدب الذي يمتاز بنضجه وثرائه وتنوعه واسلوبه السلس والبسيط على حد تعبير البروفيسور فيلجيفسكي الذي عزا غزارة الفولكلور الكردي الى تفشي الأمية. لكنني على ثقة، وقد تشاطرني الرأي، بأن عاملاً آخر غير الأمية جعل الكردي ينكب على أدبه الشفاهي، وأعني به تلك الأنظمة التي تقتسم كردستان وتفرض لغتها قسراً، وتحرم الكردي من امكانية الدراسة بلغته الأم. يشكل الأدب الشفاهي نبعاً لا ينضب للأدب الكردي المكتوب، فمن قطوفه تلك الملاحم الشعرية (الحماسية والعاطفية)، والحكايات (الاسطورية والواقعية)، والحكم والأمثال والألغاز وحكاياتها، و الأغاني والفكاهة بما فيها النكتة والأهازيج، ناهيك عن المراثي ....الخ[١].

ثالثاً: الجمعيات الكردية

ذكر العلّامة الكردي محمد أمين زكي بك – مثلما أوردنا في الفصل الأول من هذا الجزء – في مقدمة «خلاصة تاريخ الكرد وكردستان»، كيف كانت كلمة (عثماني) تخدر أعصاب كل مكونات الدولة العثمانية بمن فيهم الكرد، مثلما كانت سياسة السلطان عبد الحميد تسعى للحفاظ على الدولة العثمانية عبر الجامعة الاسلامية، وحين جاء الاتحاديون مارسوا سياسة قومية متطرفة، وذهب الدكتور ناظم، القيادي في جمعية الاتحاد والترقي إلى القول في محفل سري: (أيها الرفاق، أنا لا أريد إلا أن يعيش التركي وحده في هذه البلاد)، ومضى الصحفي حسين جاهد يالجين للمجاهرة بطورانيته، حين أفصح عن حقيقة الاتحاديين في عَثْمَنَة كل من يعيش في تركيا ثم تتريكهم. وبدأ الاتحاديون بملاحقة نشطاء الحركة السياسية والثقافية الكردية و (أنكروا العهود والمواثيق التي نادوا بها أيام النضال السري، ولم يتوانوا حتى عن إصدار أحكام بالاعدام إن تطلب الأمر كما فعلوا مع كل من شريف باشا وأمين عالي بدرخان)[٢]. وهذا ما دفع الكرد كغيرهم من الشعوب التي كانت خاضعة للعثمانيين، إلى إنشاء الجمعيات السياسية والثقافية، علاوة على الأحزاب وإصدار الصحف والمجلات والاشتراك في المؤتمرات التي ناقشت المسألة (الشرقية)

---

(١)– راجع كتاب: الأدب الشفاهي الكردي بأجزائه الثلاثة – لمؤلف هذا البحث: علي جزيري.

(٢)– صالح محمد حسن: شريف باشا/ حياته ودوره السياسي١٨٦٥– ١٩٥١– ط١عام٢٠٠٥ – مطبعة وزارة التربية/ اربيل – ص٧٣.

وتركَتها، التي حالت للاتحاديين الذين انفردوا بالسطة، ومارسوا سياسة البطش تجاه القوميات غير التركية. كانت هذه الجمعيات نواة للحركات والأحزاب السياسية، ومدارس تسودها الروح القومية للنخبة ومنها:

١ـ جمعية العزم القوي/ الصمود الكردستانية (١٩٠٠): تأسست في ديار بكر بمبادرة من فكري أفندي.

٢– جمعية تعالي وترقي كردستان (١٩٠٨): تأسست في استانبول في ٢ تشرين الأول ١٩٠٨، وهي جمعية ثقافية[1] اجتماعية، ومن مؤسسيها أحفاد بدرخان، وبابان، وعبدالقادر شمديناني، منهم: أمين عالي بدرخان، الفريق شريف باشا[2]، الشيخ عبدالقادر أفندي نجل الشيخ عبيدالله النهري، المشير الداماد ذو الكفل باشا وآخرين من خيرة السياسيين والمثقفين الكرد. و (تحولت فيما بعد إلى تشكيلة جديدة في صورة جمعية هيفي/ الأمل)[3] كما تأسست جمعية التشكيلات الاجتماعية الكردستانية، وفي استانبول تأسس حزب الأمة الكردية، وتم توحيدها جميعاً فيما بعد في (خويبون).

---

(١)– هاكان أوز أغلو: أعيان الكرد والدولة العثمانية – ترجمة: د. خليل علي مراد – الأكاديمية الكردية/ اربيل ٢٠١٦– ص١٤٤.

(٢)– من عشيرة الجاف ومن منطقة السليمانية، من عائلة كردية عريقة تلقب بـ" خندان "، وهو ابن سعيد بن حسين باشا بن أحمد آغا بن علي آغا خندان بن جعفر آغا كبير أسرة سَرحَد، و خندان خان ابنة أحد أمراء بابان، كانت تتصف بالشجاعة وحسن إدارة الامارة أثناء غياب والدها، حتى طغى أسمها على اسم قبيلة زوجها سَرحَد. ولد شريف باشا في استانبول١٨٦٥، وكان يتقن الفرنسية والتركية العثمانية والانكليزية والسويدية والايطالية واليونانية، ويصدر بالفرنسية جريدة مشروطيت، تولى مناصب عليا في الدولة العثمانية، وأرسل إلى السويد بصفة وزير مفوض للدولة العثمانية، تزوج من أمينة خانم ابنة عباس حلمي باشا خديوي مصر، حفيد محمد علي باشا الكبير والي مصر، مثل الكرد – بعد أن تحرر من أسر الرابطة العثمانية/ مني – في مؤتمر الصلح المنعقد بباريس١٩١٩، وافته المنية عام ١٩٥١ في ايطاليا، وكانت وصيته تنص على أن تحرق جثته وينثر رمادها في البحر، لأنه انسان بلا وطن. حالة اليأس هذه سيطرت عليه بعد فشله في تأسيس كردستان حرة مستقلة، لكن بناته وصهره لم ينفذوا وصيته فدفنوه في مصر– راجع كتاب: شريف باشا – للمؤلف صالح محمد حسن – ط١عام ٢٠٠٥ – مطبعة وزارة التربية/ اربيل.

(٣)– عبدالستار طاهر شريف(الدكتور): مصدر سبق ذكره – ص٤٦.

٣- **جمعية نشر المعارف الكردية** (١٩٠٨): أقيمت في استانبول في نفس الفترة التي أقيمت فيها جمعية تعالي وترقي كردستان، وهي جمعية أدبية تربوية، قامت بافتتاح مدرسة ابتدائية، كان خليل خيالي مديرها، وأصدرت جريدة "الكرد" الناطقة بلسانها، لكن الاتحاديين قاموا باغلاق الجمعية والمدرسة.

٤- **جمعية هيفي/ الأمل الكردية** (١٩١٠): تأسست بعد اغلاق الجمعيتين السابقتين من قبل الطلبة الكرد في استانبول لسد الفراغ الحاصل، وكان من أبرز مؤسسيها (عمر بك جميل باشا الذي ترأسها، قدري جميل باشا كان سكرتيرها، ممدوح سليم وآخرين) بتوجيه وتشجيع خليل خيالي الذي كان أمين صندوقها. كانت لها فروع في (أرزروم ولوزان)، وأصدرت مجلة «Roj كرد/ يوم الكرد» باللغتين الكردية والتركية، ثم بدلت بـ «هه تاوى كرد/ شمس الكرد» ووضعت صورتا صلاح الدين وكريم خان على غلافها، ثم صدرت تحت عنوان: «زين Jîn/ الحياة»، استمرت هذه الجمعية في النشاط حتى الحرب العالمية الأولى، وبعدها عادت إلى الظهور من جديد تحت اسم **جمعية الرابطة الاجتماعية**، وأصدرت جريدة «زين Jîn»، وحددت هذه الجمعية العلم الكردي بثلاثة ألوان، من الأعلى شريط بلون أحمر، وفي الوسط شريط أبيض فيه شمس ساطعة، ومن الأسفل شريط بلون أخضر، وعممته كعلم وطني للكرد، كما يقول زنار سلوبي.

٥- **جمعية تعالي كردستان** (١٩١٨): تأسست في استانبول في ١٧ كانون الأول ١٩١٨، كانت قومية الطابع، برئاسة عبدالقادر أفندي الشمديناني الذي كان يطالب بالحكم الذاتي تحت الراية التركية على حد قول هاكان أوز أوغلو، وأمين عالي بدرخان الذي كان يطالب بالاستقلال التام، وكان حمدي باشا سكرتيراً عاماً، وهناك قوائم بأعضائها. أرفقت رسالة شريف باشا المؤرخة في ١٩١٩/١٠/٢٢ برسالتين من رئيس الجمعية لمؤتمر السلام في باريس احتجاجاً على تقسيم كردستان، وقدمت مذكرة أخرى لدول الحلفاء في آذار١٩٢٠، طالبت فيها بكيان كردي مستقل، وأبرق الساسة الكرد ببرقية تأييد لتصريحات لويد جورج رئيس الوزراء البريطاني، التمسوا فيها دعم بريطانيا، لكن دون جدوى. ثم انشق عنها البدرخانيون كما يقول الدكتور عبدالستار طاهر شريف، حين قام أمين عالي بدرخان بازاحة عبدالقادر من الرئاسة، ورداً على هذه الخطوة حلّ عبدالقادر الجمعية ودعا الى اجراء انتخابات وفاز فيها،

فانشق أمين عالي بدرخان عن الجمعية[1]، وقام الأخير بانشاء جمعية (التشكيلات الاجتماعية الكردية) عام ١٩٢٠، التي كانت أيضاً تدعو الى الاستقلال. علق الباحث الكردي اسماعيل كولداش حول موضوع الخلاف والانشقاق في الجمعية قائلاً: انهم لم يستطيعوا تجاوز الصراع الاقطاعي وترسيخ وعي قومي كردي قائم على أسس ديمقراطية، أما هاكان أوز أوغلو، فيعتقد بدوره أن جذور التنافس بين العائلتين تمتد الى النصف الثاني من القرن ١٩م، عندما وسّع عبيدالله، والد عبدالقادر، نفوذه على حساب امارة بدرخان. ويضيف عاملاً آخر: كان مناصرو الحكم الذاتي (عبدالقادر)، قد تلقوا تعليماً تقليدياً، بينما أنصار الاستقلال (أمين عالي بدرخان)، ممن درسوا في مدارس مهنية غير دينية في الخارج[2]. وهكذا، نرى كيف كانت القيادات الكردية في تلك الفترة تحت هيمنة الوجهاء الاقطاعيين القبليين من جهة، ورجال الدين من جهة أخرى، وأكثرهم كانوا موظفين في العهد العثماني. يلاحظ من العرض السابق، كم تعثرت نشوء القومية الكردية مقارنة بالقومية العربية في تلك الفترة، جراء الأمل الذي عقده الكرد حتى نهاية الحرب العالمية الأولى في امكانية احياء الخلافة العثمانية، ناهيك عن عدم تلقي الدعوة القومية الكردية دعماً خارجياً من بريطانيا أو فرنسا أو الولايات المتحدة.

٦- **جمعية نساء الكرد** (١٩١٩): تأسست في استانبول، من اهم أهدافها كما جاء في نظامها الداخلي (تطوير المرأة الكردية وتأمين حياتها الاجتماعية، وتقديم الدعم والعون للأطفال اليتامى والنساء الأرامل الكرد، بسبب تعرضهم للتهجير والتقتيل)[3] ثم أصبحت (أمينة خانم) زوجة الجنرال شريف باشا رئيسة فخرية للجمعية، وكانت أمينة خانم ابنة عباس حلمي باشا خديوي مصر حفيد محمد علي باشا الكبير والي مصر، وقد كانت ذات (شخصية قوية وثقافة عالية، إذ كانت تجيد إلى جانب اللغتين العربية والتركية، اللغات الفرنسية والانكليزية والسويدية)[4] .

---

(١)- هاكان أوز أوغلو: مصدر سبق ذكره - ص١٥٢.

(٢)- هاكان أوز أغلو: المصدر السابق - ص١٥٣ و١٩٥.

(٣)- عبدالستار طاهر شريف (الدكتور): مصدر سبق ذكره - ص٧١.

(٤)- صالح محمد حسن: مصدر سبق ذكره - ص٢٥و٢٦- ملاحظة: رسالة ماجستير في آداب التاريخ الحديث - جامعة دهوك.

٧- جمعية الشعب الكردي (١٩١٩): أغلقت بعد مجيء الكماليين.

٨ - جمعية كردستان (١٩٢٢): جمعية سرية تأسست في السليمانية، وكان مصطفى باشا ياملكي يترأسها وهو من عشيرة بلباس بناحية خورمال، تقلد مناصب عدة في عهد الدولة العثمانية. كانت الجمعية تصدر جريدة «بانكى كردستان/ نداء كردستان»، ومن أهم أهدافها كما يقول الدكتور عبدالستار طاهر شريف تأييد الشيخ محمود. كما تأسست جمعية زرادشت السرية المعادية للاستعمار البريطاني في السليمانية عام ١٩٢٦، وكذلك جمعية هاوار /الصرخة ١٩٤٥، وجمعية الأخوة ١٩٢٣ ذات الطابع الديني، وجمعيات أخرى لا يتسع البحث لتناولها.

٩- جمعية جيهانداني/ معرفة العالم: تأسست بجهود سمكو الشكاكي وعبد الرزاق بدرخان في نهاية ١٩١٢ وبداية ١٩١٣ في مدينة خوي بكردستان الشرقية، وكانت ثقافية سعت لفتح المدارس واصدار الجرائد والمجلات وتأمين المنح الدراسية للطلبة وارسالهم إلى روسيا. استطاعت أن تفتتح أول مدرسة كردية، كان التلاميذ يتلقون فيها دروسهم باللغة الكردية، لكن بالألف باء الروسية. وطلب عبدالرزاق من روسيا ارسال المستشرق (اوربيللي) المهتم بالدراسات الكردية والذي أسس القسم الكردي في معهد الاستشراق في بطرس بورغ (لينين غراد)، لوضع قواعد اللغة الكردية وتأليف قاموس كردي وترجمة بعض النتاجات الأدبية الروسية إلى الكردية[1].

١٠- جمعية زيانه و ه ى كردستان/ انبعاث كردستان (١٩٤٢): تأسست في مهاباد وكان عبد الرحمن الذبيحي من بين مؤسسيها كما أنتخب سكرتيراً لها، وكان معه النقيب مير حاج ممثل حزب هيوا. كانت الجمعية سياسية أشبه ما تكون بحزب هيوا في كردستان الجنوبية، وحزب خويبون أيضاً، وكان لها فرعاً في كردستان الجنوبية وآخر في الشمالية، وتمكنت من نشر الوعي القومي بين الجماهير، وكانت الأساس الذي انطلق منه فيما بعد الحزب الديمقراطي الكردستاني في ايران.

رابعاً: المجلات والصحف

الصحافة كانت بمثابة " ترمومتر" دلالي، لأنها كانت الوسيلة الوحيدة المراهَن عليها لتكون حاضنة لتاريخنا الكردي وحامية هويتنا من الذوبان وكأداة نضالية للتعريف بقضيتنا وبث الوعي القومي، في الوقت الذي كانت سبل التواصل شبه معدومة. الا أنها بالرغم من وظائفها السالفة الذكر، كانت لها كبواتها، جرّاء الرقابة

---

(١)- عبدالستار طاهر شريف (الدكتور): مصدر سبق ذكره - ص٣٠٧و٣٠٨.

الصارمة ومحاربتها من لدن السلطات التي كانت تتحكم بمصير الكرد. وفيما يلي بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

١- **صحيفة كردستان:** أول صحيفة كردية، صدرالعدد الأول في المهجر بالقاهرة بتاريخ ٢٢نيسان ١٨٩٨م، من هنا يعد هذا اليوم عيداً للصحافة الكردية، كانت نصف شهرية ويحررها مقداد مدحت بدرخان.

جدير ذكره أن مقداد مدحت بدرخان أصدر الأعداد (١- ٥) في القاهرة، ثم مارس الباب العالي ضغطاً على مصر، مما أدى إلى إصدارها في أماكن أخرى متفرقة، وأصدر أخاه عبدالرحمن بدرخان الأعداد (٦- ٣١) (٦- ١٩ في جنيف، ٢٠ - ٢٣ في القاهرة مرة أخرى، ٢٤ في لندن، ٢٥- ٢٩ في فولكستون، ٣٠- ٣١ في جنيف مرة أخرى). يقول (كونى ره ش) أن العدد ١٩ لم يعثر عليه بعد.

٢- **روزا كرد:** أصدرتها جمعية هيوا في الأستانة (استانبول)، ثم أخذت تصدر تحت تسمية هَتاوي كرد (شمس الكرد).

٣- **صحيفة زين (الحياة):** اسبوعية، صدرت في الأستانة عام١٩١٩ من قبل (حمزة، ممدوح سليم، كمال فوزي).

٤- **بيشكوتن (التقدم):** صدرت في السليمانية.

٥- **بانكى كردستان (صدى كردستان):** صدرت في ٢ آب ١٩٢٢، كان الفريق الحاج مصطفى باشا يصدرها.

٦- **روز كردستان (يوم كردستان):** اسبوعية، لسان حال حكومة الشيخ محمود، استمرت في الصدور حتى ٣ آذار ١٩٢٣.

٧- **بانكى حق (صدى الحق):** صدرت عام ١٩٢٣ في مدينة السليمانية.

٨- **اميدي استقلال (أمل الاستقلال).**

٩- **زيانه وه:** اسبوعية، صدرت في السليمانية عام ١٩٢٤، ثم بدل أسمها عام ١٩٢٥بـ (زيان أي الحياة).

١٠- **دياريى كردستان (هدية كردستان):** اسبوعية، أصدرها صالح زكي صاحبقران زاده، بالكردية والعربية والتركية.

١١- **بانكى كردستان:** أصدرها عام ١٩٢٥ الفريق الحاج مصطفى باشا في بغداد ثانية.

١٢- **زارى كرمانجي:** أصدرها حسين المكرياني في رواندوز.

الفصل الخامس

صيرورة الاثنوس الكردي والشخصية الكردية

أولاً: صيرورة الاثنوس الكردي

لقد سبقت الاثنوسات الدول في ظهورها تاريخياً، وهذا موضوع تتناوله علوم شتى تأتي الاثنوغرافيا[1] في مقدمتها، لأن موضوعها بالأساس يدور حول دراسة الملامح المختلفة لـ: (الاثنوس)، الذي يعني: (مجموعة من الناس الذين يتكلمون بلغة واحدة، ويعترفون بأصلهم الواحد، ويملكون جملة من العادات، ونمط حياة تحفظه وتكرسه التقاليد التي تميز هذه المجموعة عن المجموعات الأخرى)[2].

الاثنوغرافيون يعتبرون أن رابطة اللغة والثقافة والأرض والوعي السلالي والتكوين النفسي، سمات الاثنوس الرئيسية، مثلما يعتبرون في الوقت نفسه الوسط الجغرافي حاضنة وجوده. وتهتم الاثنوغرافيا بشكل خاص بدراسة الوحدات التي تتكون منها الأسر والبطون والعشائر والقبائل والأقوام والشعوب والأمم.

تعد الأسرة الخلية الرئيسية في مجتمعنا الكردي، وتتجسد فيها خصائص الأمة، ثم يليها البطن (الفخذ) الذي يتكون من عدد من الأسر، بينما العشيرة تتألف من اتحاد مجموعة من البطون (الأفخاذ)، أما القبيلة فتتكون بدورها من عدة عشائر، وقد تسمى (اتحاد عشائر) اذا ما تضامنت عدة عشائر أو تحالفت، بينما القوم يتكون من عدة قبائل، أما الأمة فهي مجموعة أقوام انصهرت عبر التاريخ. وهناك اختلاف من مكان الى آخر ومن زمان لآخر في تناول هذه المفاهيم.

١- **الأسرة والعائلة: الأسرة، هي** الوحدة (أو الخلية) الأولى الأساسية والأكثر وضوحاً في المجتمع، و تتألف من الزوج والزوجة والأبناء، أما إذا ضمت أبناء العمومة فتدعى حينئذ **العائلة**. والأسرة الكردية كانت متماسكة ومتضامنة في السراء والضراء، والعلاقات بين أفرادها كانت تتميز بنظام صارم من التقاليد والعادات،

---

(١)- تتألف الاثنوغرافيا من كلمتين يونانيتين، الاثنوس: تعني الشعب وغرافيا: وتعني كتب أو وصف.

(٢)- برومليه و بودولني: الاثنوس والتاريخ - دار التقدم/ موسكو - ١٩٨٨ - ص٩.

يسوده قدر كبير من الطاعة واحترام الكبار وقدر كبير من التراتبية في اتخاذ القرار وفي الادارة أيضاً. وفي المجتمع الكردي كانت حرية الاختلاط قائمة بين الشباب والشابات والرجال والنساء بهذا القدر أو ذاك، من هنا كان الزواج غالباً ثمرة حب متبادل وعفيف بين الطرفين في إطار الأعراف والتقاليد السائدة، وهذا الأمر بعينه شد إنتباه نيكيتين، الذي قال: لا وجود للبغاء بين الكرد. كما أن تعدد الزوجات قليل بالمقارنة مع المجتمع العربي المتاخم للكرد، وكذلك الطلاق، ولا وجود للبُرْقُع والنِّقاب في المجتمع الكردي، وقد نجدهما كحالات شاذة ودخيلة جرّاء الاختلاط بالآخرين، فظاهرة السفور البعيدة عن الانفلات أمر طبيعي، من هذا المنطلق هناك العديد من النساء اللواتي تزعمن الامارة كالأميرة خانزاد في امارة سوران أو ترأسن العشيرة بعد موت ازواجهن مثل عادلة خانم أرملة عثمان باشا جاف في مدينة حلبجة سنة ١٩١٤[(١)]. لكن ما لفت نظر مينورسكي أن الكرد يحبون كثرة الأولاد، لاسيما الذكور. ويعلل ذلك بسببين اثنين، **الأول**: طبيعة المجتمع الكردي الأبوي (البطريركي)، و**الثاني**: في العشيرة التي كانت بأمس الحاجة قديماً إلى القوة القتالية المدافعة عن الديار والحياض، وحين استقرت العشيرة أضحت بحاجة إلى اليد العاملة في الرعي والزراعة.

٢– **البطن (الفخذ/ الحمولة/ أو آل في العربية أو** Bavik): مجموعة من الأسر أو العوائل، تربطها رابطة الدم، وأفرادها ينحدرون من جدٍ واحد، بمعنى أنهم من أصل مشترك أو يمكن تتبع سلفها المشترك، الذي يسمى الفخذ باسمه تيمناً. وقد يتحول البطن/ الفخذ إلى عشيرة جرّاء التكاثر أو الضم. جدير ذكره، هناك من يفصل بين البطن والفخذ جرّاء ذلك، ويعد البطن على هذا النحو وحدة في البناء الاجتماعي في المجتمع القبلي أكبر من الفخذ من حيث الأسر أو العدد الكلي لمجموع الأفراد[(٢)].

٣–**العشيرة** (Êl): وهي تنظيم اجتماعي واقتصادي يتألف من مجموعة من البشر، تربطهم رابطة الدم، أو يقبلون بذلك[(٣)]. وجدت العشيرة في عصور ماقبل

---

(١)– أحمد محمود الخليل(الدكتور): مصدر سبق ذكره – ص٢٢٤.

(٢)– نجلاء علي: الفكر الاجتماعي عند شرف خان البدليسي/ دراسة تحليلية في الفكر الاجتماعي الكردي – الأكاديمية الكردية/ اربيل ٢٠١٣ – ص١٠٩/ الهامش.

(٣)– نذير جبو: سلاطين هفيركا – ج١ – ترجمة من التركية: ا. د. خليل علي مراد – مراجعة وتقديم: ا. د. عبدالفتاح بوتاني – مركز الأبحاث العلمية والدراسات الكردية – جامعة دهوك ٢٠١٢– ص٢٧.

التاريخ نتيجـة لحاجـات اجتماعيـة، لكنهـا فقـدت اليـوم وظيفتهـا تلـك جزئيـاً، ممـا يستدعي الأمر ضرورة ايلاء هذه الظـاهرة الاهتمـام لفهـم صـيرورة التـاريخ الكـردي. تتألف العشيرة من مجموعة من البطـون أو الأفخـاذ كمـا أسـلفنا، يـدّعي أفرادهـا أو يزعمون النسب المشترك، وتربط بـين أفرادهـا أواصـر القربـى، حتـى وإن كـان هـذا النسب وهماً أو تلك الأواصر واهية؛ والنسب الأبوي هو السـائد في العشـيرة الكرديـة، وهي بالتالي ليست أمية[1] النسب كما هو قائم في بعـض المجتمعـات الى اليـوم، رغـم أن النظام البتريركـي قـد حـل منـذ قـرون محـل النظـام المـاتريركي. لكـن نيكيـتين وبروينسن، اللذان درسا تاريخ الكرد، خصوصاً تاريخهم الاجتماعي، يقولان: عنـدما تتوسع أسرة ما أو فخذ ما عن طريق التكاثر، ويخرجان عـن حـدود القرابـة الرحميـة ليشملا نطاقاً أكثر سعة، فـان الأسـرة أو العائلـة تتحـول الى فخـذ أو بطـن، ويتحـول الفخذ أو البطن الى عشيرة، حينئذ تضعف الوشائج العاطفية التي تشد أفـراد الأسـرة الواحدة أو الفخذ الواحـد مـع اتسـاع نطـاق الأسـرة أو الفخـذ، لتحـل محلـهما روابـط الطقـوس والتقاليـد والمصـالح المشـتركة[2]. وتسـمى العشـيرة في المنـاطق الجبليـة بأسماء المناطق الجغرافية غالباً، فالعشيرة هي عشيرة أرض، والرقعة الجغرافية هـي أساس الأواصر والوشـائج الـتي تـربط بـين أفرادهـا، بخـلاف العشـيرة العربيـة الـتي تشكل رابطة الدم أو أواصر النسب عنـدها العمـود الفقـري للعشـيرة[3] وهـذه احـدى الخصائص التي تميز العشيرة الكردية عن العربية، وفي حالات أخرى نادرة قد تسـمى بأسماء مؤسسيها وتتحول الى عشيرة نسب رغم الشكوك الـتي تـراود البـاحثين علـى هـذا الصـعيد، وهـذه الحـالات النـادرة قـد تعـود إلى العشـائر الـتي تكونـت في وقـت متأخر[4]. وقد تنقسم العشيرة أحياناً إلى عشيرتين أو أكثر، نتيجة الخلافات والهجـرة أو التهجير أو جرّاء التدخلات الخارجية، وقد تـتقلص الى مجـرد فخـذ بسـبب تفشـي الأوبئة أو القحط أو الحروب أو جرّاء تقسيم كردستان. كما ان العشيرة كانت تتـألف من فئتين، الأولى ثابتة والثانية متأرجحة، تنضم تارة الى هذه العشـيرة وتـارة أخـرى

---

(١)– نسبة إلى الأم.

(٢)– باسيلي نيكيتين: مصدر سبق ذكره – ص١٩٣.

(٣)– نجلاء علي: مصدر سبق ذكره – ص١١٣، نقلاً عن: الكرد – توماس بوا – ص٥٠.

(٤)– جليلى جليل: مـن تـاريخ الامـارات الكرديـة في الامبراطوريـة العثمانيـة – ترجمـة: د. محمـد عبـدو النجاري/ ط١ عام ١٩٨٧ – دمشق/ ص١٨.

إلى غيرها، أو أنها كانت تنقسم الى فئـات ثـلاث، الفئـة المسـتقرة وفئـة الرحـل وفئـة أنصاف الرحل. أما زعيم العشيرة، فسلطاته تكاد تكون مطلقة، تسـير وفـق السـنن والتقاليد القبلية، رغم وجـود مجلـس استشـاري مؤلـف مـن عـدد مـن المسـنين ذوي الخبرة في الحياة الاجتماعيـة، يطلـق علـيهم بــ (ري سـبي Rî Sipî)، وتنتقـل الزعامـة غالباً بالوراثة من الأب إلى الابن غالباً كما جرى في العائلة الفضلوية[١]. عنـدما يمـوت الآغا يخلفه ابنه الأكبر في رئاسة العشيرة، وان تعذر ذلك، فـان كبـار القـوم ينتخبـون رئيساً، وفي حالات نادرة كانت المرأة تتولى رئاسة العشيرة[٢]، أو تنتقل الرئاسـة عـن طريق الوصاية، فحين أدركت المنية أتابك سنقر، الذي حكم دهراً طـويلاً، تـولى ابنـه هزار أسب حكم مملكة لورستان بوصية من أبيه رغم أن لـه خمسـة أولاد[٣]، لكـن لا نعدم في تاريخنا حالات اغتصـاب الزعامـة مـن قبـل أفـراد ينتمـون الى عائلـة الـزعيم ذاتها، وقـد سـبق لشـرف خـان البدليسـي أن تطـرق الى مثـل هـذه الحالـة في كتابـه «شرفنامه»، لكن هذه من الحالات نادرة. وقد تنتقل الرئاسة بالتشـاور مـع المجلـس الاستشاري، أو يـتم نصـب الـزعيم مـن قبـل السـلطات الحاكمـة، خاصـة في الفـترات الأخيرة بعد أن ازدادت هيمنة الدولة بعد ترسيم الحدود المجزئـة لكردسـتان. وهنـاك حالة تناولها الأدب الشفاهي الكردي منذ القديم، تتمثل في اطلاق طائر، فمـن يحظـى بالطائر حين يحط على رأسه يكـون قـد فـاز بالزعامـة[٤]، وتـروي الشـرفنامة حكايـة انتقال الزعامة الى جمشيد بن رستم بك في بالو وفقاً لهـذا الاسـلوب. وكانـت العشـيرة تنقسم الى الطبقات والفئات الاجتماعية التالية: **الأولى** – طبقـة الـزعيم (تـورن Torin) وحاشيته، وقد يكون الزعيم منتمياً الى عشيرة أخرى غير عشيرة الرعية، **والثانيـة** – فئة المحاربين، **والثالثة** – طبقة ملاكي الأرض أو المراعي، **والرابعة** – تتمثل في طبقة الرعاة والفلاحين أو الزراع (الرعيـة: العامـة)، والفئـة **الخامسـة** – هـي فئـة الحـرفيين (النجارة، الحدادة، نساجي السجاد والبسط وحـائكي الملابـس)، والفئـة **السادسـة** –

---

(١)– (من منتصف القرن١١م – منتصف القرن١٥م).

(٢)– جيرارد جاليانـد: مصدر سبق ذكره – ص١٥٦.

(٣)– نجلاء علي: مصدر سبق ذكره – ص١٩٢.

(٤)– وهذه الحالة تتم عقب فراغ في الزعامة جراء موت الزعيم وعدم وجود الخليفة أو الخلاف حوله. أمـا نصيب هذه الحالة التي تشبه(القُرْعَة) من الصحة فهو نادر جداً إن وجد، وربما هي صنيعة خيال رواة الحكايات وشطحاتهم.

تتمثل في الخدم والحشم، وضعهم سيء أشبه بوضع العبيد، أما الفئة **السابعة** و الأخيرة – فهي فئة رجال الدين.

ورغم ذلك كانت غريزة البقاء ضمن العشيرة قوية، فيذكر التاريخ أن الدولة العثمانية حين هجّرت أفراد عشيرة الهماوند التي كانت تسكن مناطق كركوك الى ليبيا في القرن ١٩م، عادت الى موطنها مشياً على الأقدام بعد فترة[١]. ومن تقاليد العشيرة الثأر، ودفع الضرائب العينية والهدايا لخزينة الآغا بما فيها ضريبة الزواج، فضلاً عن تقديم الخدمة المجانية، وفي مقدمتها حمل السلاح دفاعاً عن حياض العشيرة إن تطلب الأمر ذلك، مما ازدادت أوضاع الرعية سوءاً في ظل هذا النظام الاقطاعي، الموصوف بنمط الانتاج الآسيوي[٢]، وهذا ما دعى (فيلجيفسكي) الى القول، بأن الانتفاضات الكردية التي اندلعت في القرن ١٩م كانت تتسم بطابع معاداة الاقطاع[٣]. من هنا لا نتفق مع (بيكيزاروف) الذي سبق أن وصف ذاك المجتمع الكردي بأنه كان مجتمعاً بطرياركياً ديمقراطياً، طالما أن هذا المجتمع كان يحمل في أحشائه بذوراً جنينية للصراع الطبقي كما يقول (فيلجيفسكي)، ومادام الآغا يمارس الاضطهاد والاستغلال بشتى الوسائل والمكائد على حد وصف مينورسكي.

٤– القبيلة (Hoz)**:** هي اتحاد عشائري نشأ في مواجهة عدوان خارجي على الأغلب، كاتحاد عشائر ميديا قبل الميلاد، واتحاد عشائر برازا وملاّ وهفيركا والجاف والهماوند وغيرها في تاريخنا الحديث، يُدعى كونفدراسيون. يتصف الاتحاد ببنية داخلية مميزة وفق تعبير مارتن فان بروينسن، وبوحدة جغرافية على حد قول ادموندز. وتستقر القبيلة في اقليم محدد، أي أنها تقوم على وحدة المكان، ويترأسها زعيم (أو آغا) وهو يرعى أمورها، وهو يماثل اللورد الانكليزي أو الدوق الفرنسي، ولا ينفرد في اتخاذ القرارات غالباً، بل يساعده في ذلك وجهاء العشيرة أو القبيلة (ري

---

(١)– انظر اضافات المترجم: د. نوري طالباني لكتاب: الكرد/ دراسة سوسيولوجية وتاريخية – باسيلي نيكيتين – الطبعة السادسة المنقحة – الأكاديمية الكردية/ هولير – عام ٢٠١٢ – ص٢١٥(الهامش).

(٢)– سبق أن أشار ماركس إلى نمط الانتاج الآسيوي، لكن لم يتسنَ له تناوله بالدراسة والتحليل، فقد انصب جل هتمامه على دراسة مجتمع أوربا الغربية، الذي لعبت الطبقة العاملة فيه دوراً بارزاً، لذا ساد الاعتقاد أن تفوز البروليتاريا هناك، لكن خاب الظن حين تمكن البلاشفة من دك حصون روسيا القيصرية المتخلفة نسبياً.

(٣)– باسيلي نيكيتين: مصدر سبق ذكره – ص٢٣٣.

سبي). وحين تتحالف أو تتحد مجموعة من القبائل، قد تشكل امارة (وحدة اجتماعية، اقتصادية، سياسية)، أي دويلة يترأسها عادة أمير (مير)[1] وهو دون الملك أو الخليفة أو السلطان في مرتبته، واعتبر الأمراء (أنفسهم قياصرة صغار، كانوا يحتفظون بقوات مسلحة كبيرة وبعدد من العشائر الخاضعة لهم مع رؤسائها، وعادة يعتبر هؤلاء الأمراء أنفسهم من سلالة الخلفاء المسلمين، ومن هنا فقد تركزت في أيديهم بالاضافة الى السلطة الاقطاعية، السلطة الدينية كذلك، أي أنهم كانوا يمثلون السلطتين الدينية والدنيوية، وكان هؤلاء يأخذون الى جانب الضرائب الاقطاعية الاعتيادية أنواعاً مختلفة من الهدايا)[2]. والأمراء مسؤولون عن فرض الضرائب وبناء المنشآت (المساجد والمدارس)، وحفظ الأمن وصك النقود وتشجيع الزراعة والتجارة وصناعة الحرف. والقبيلة بالتالي هي وحدة اجتماعية متماسكة وتتمتع بدرجة محددة من الاستقلال السياسي، وهي وحدة مناطقية كما سلف ذكره، أي أنها تنسب إلى المكان بخلاف العربية التي ترتبط بوحدة النسب[3]، ناهيك عن أنها وحدة اقتصادية أيضاً، وتقوم على التجذر السلالي والقرابة الوهمية أو المزعومة. وكانت القبيلة مؤلفة من (٣- ٤)عشائر في مطلع القرن التاسع عشر، ونتيجة الانقسام والتزايد السكاني كانت تضم في مطلع القرن العشرين (١٠)عشائر أو أكثر[4]. وما يلفت النظر أن العشيرة أو القبيلة الكردية الواحدة كانت تعتنق أدياناً متعددة، منها (الاسلام، الايزيدية، المسيحية)، وهذه الحالة ليست نادرة البتة، وكمثال على ذلك قبيلة هفيركا Hevêrka، التي تتوزع حتى اليوم بين كردستان

---

(١)- محورة من (أمير) العربية.

(٢)- نجلاء علي: مصدر سبق ذكره - ص١٢٧ و١٢٨.

(٣)- وما التشويش حول هذا الموضوع، الا نتيجة زعم بعض الأمراء أو الأعيان الكرد بأن أصولهم تعود للصحابة أو بعض الخلفاء، مثل أمراء هكاري وحكام العمادية وحكام جمشكزك الذين نسبوا أنفسهم الى الخلفاء العباسيين، وحكام المرداسية وحكام كليس زعموا أنهم من سلالة عم الرسول، وحكام الجزيرة فنسبهم وفق زعمهم ينتهي الى خالد بن الوليد، وزعماء السليفانية ادعوا أنهم من بني أمية...الخ. فالغاية من هذا التفاخر هو اضفاء الهالة الدينية على الزعامة كي تغدو أكثر فاعلية، وللظفر بالسلطتين الدينية والدنيوية.

(٤)- راجع مارك سايكس: القبائل الكردية في الامبراطورية العثمانية - دهوك ٢٠٠٢ - من مقدمته د. عبدالفتاح علي البوتاني للكتاب - ص٧.

تركيا والجزء الكردستاني الملحق بسوريا، بعد ترسيم الحدود بينهما عقب اتفاقية سايكس – بيكو، مما أدى هذا بدوره الى تقسيم العشيرة الواحدة بين دولتين أو أكثر (الهركي وشكاك مثلاً).

كانت بعض العشائر أو القبائل (خصوصاً زعماؤها) تدّعي بانتسابها إلى أصل عربي، أو إلى النبي أو أحد الصحابه: (فلا أساس تاريخي له، وقد حَسَمَ هذه المسألة العلامة المرحوم مصطفى جواد في معرض تعليقه على ما ذهب إليه المسعودي)[1]. وذكر نيكيتين كيف أن أغوات عشيرة (زيرزان: لها فخذان الأول في شنو بايران والثاني في شمدينان) يدّعون أن أصولهم تعود الى خالد بن الوليد. وليس هذا بغريب، فحتى أمد قريب كان الكثير من سادات النقشبندية يرتقون بنسبهم الى الخليفة أبي بكر الصديق، أما سادات القادرية فكانوا يرتقون بنسبهم الى علي بن أبي طالب.

ومن المفيد الاشارة إلى ما كان يميز بين القبيلة في المنظورين الكردي والعربي، ففي المنظور العربي يعد خط النسب هو الفيصل، بينما المكان يشكل العمود الفقري كردياً في هكذا موضوع كما أسلفنا من ذي قبل.

ومازال المجتمع الكردي يتسم بالطابع القَبَلي، والنظام القبلي يقوم على قرابة النسب، الحقيقية أو الوهمية أو المزعومة. وكانت سلطة رئيس العشيرة أو القبيلة مطلقة وتتحكم بسلوكه التقاليد المتوارثة، لكن لمجلس الوجهاء (ري سبي Rî Sipî) له وزنه، مما دفع بالكثير من المستشرقين بوصف المجتمع الكردي القبلي بالبطريركي الديمقراطي مثلما أسلفنا من ذي قبل. لقد كان البنيان العشائري/ القبلي نقمة ونعمة على الكرد، لأنه كان العائق الأكبر – كما يقول نيكيتين – أمام التطور الطبيعي لهذا الشعب من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية. فاعتماد كل منطقة على نفسها، أدى الى سيطرة النزعة الفردية أو الفردانية على ذهنية الكردي، ومن ثم الى نفوره من كل ما هو مخالف لنواميس العشيرة. وقد بقي النظام الاقطاعي القائم على العشيرة زمناً طويلاً في كردستان. واذا كان هذا النظام قد لعب دوراً سلبياً في كيان المجتمع الكردي، فانه حسب نيكيتين، يُعد

---

(١)– المصدر السابق – من مقدمة د. البوتاني – ص٩ و ١٠.

واحداً من العوامل التي ساعدت في الحفاظ والبقاء على خصوصية هوية كردستان والكرد[1].

ويتفق الدكتور أحمد محمود الخليل فيما ذهب اليه نيكيتين، فيقول: من ناحية رسّخت العشائرية في الكرد روح الفردية التي تقوم على التنازع وأبقتهم قروناً طويلة في فلك الانتماء القبلي، فجزّأت الذاكرة الكردية، والوعي الجمعي الكردي، وأخّرت تشكل الوعي القومي الكردي، وحالت بينهم وبين المدنية، ومن ناحية أخرى كانت القبلية – كالجبل – الحصن الحصين الذي صان الوجود الكردي طوال خمسة وعشرين قرناً[2]، لأن القبلي/ العشائري (الرعاة على وجه الخصوص) محب للحرية، شديد الاعتزاز بالنفس، وفيٌّ يمجد العهد والكلمة، كريم وشجاع، يمتاز بالفَرَاسة، وبارع في علم القيافة وتواكلي، لكنه سريع الانفعال فسرعان مايثور إن مست كرامته، لذا تراه يكره القيود من أية جهة كانت[3].

٥– **القوم:** كيان سلالي جديد ناجم عن انصهار قبائل، ويتصف ببنية اجتماعية تختلف عن بنية القبيلة، حيث تحل الرابطة السياسية محل الروابط السلالية أو أواصر القربى، ومن الأقوام الكردية القديمة:**الجيل الأول** ـ اللولو، الكوتيون، سوبارتو، وهناك مَنْ يضم السومريين – الذين سكنوا جنوبي بلاد مابين النهرين – إلى هذا الجيل، لأنهم قدموا إلى جنوب بلاد الرافدين من جبال زاغروس التي كانت بمثابة خزان فائض، فضلاً عن هذا فقد اعتبرهم ول ديورانت أنهم من الشعوب الهندو – أوربية، ولا صلة لهم البتة بالساميين الذين قدموا من شبه الجزيرة العربية، وهذه المسألة – أعني صلتهم بأسلاف الكرد – بحاجة إلى المزيد من البحث والدراسة. **الجيل الثاني** ـ الكاشيون، الحوريون، الميتانيون.**الجيل الثالث** ـ مانّاي، خَلْدي، الميديون.

٦– **الشعب:** جماعة من الناس تعيش على أرض (إقليم أو دولة أو عدد من الدول)، ولا يشترط في وجوده حجم (عدد) معين، فربما لا يزيد تعداد شعب ما عن

---

(١)– باسيلى نيكيتين: الكرد – دراسة سوسيولوجية وتاريخية – ترجمة: د. نوري طالباني – ط٦ والمنقحة – الأكاديمية الكردية اربيل/ ٢٠١٢م – من مقدمة د. هلكوت حكيم للكتاب: استاذ في معهد اللغات الشرقية والحضارات الحية في جامعة باريس – ص٢٢ و٢٣.

(٢)– أحمد محمود الخليل(الدكتور): مصدر سبق ذكره – ص٢١٠.

(٣)– نجلاء علي: مصدر سبق ذكره – ص١٦٢و١٦٣و١٦٤.

بضـعة آلاف، وقـد يبلـغ الملايـين أو عشـرات ومئـات الملايـين. هنـاك دول متعـددة الشعوب (تركيا، ايران، العراق، سـوريا، سويسـرا، بلجيكـا، كنـدا... الخ). فالشـعب السوري مثلاً، الذي يتكون من قوميتين: العربية والكردية، ناهيـك عـن أقليـات اثنيـة ودينية ومذهبية، تضمها منذ انشـاء سـوريا عـبر ولادة قيصـرية إن صـح التعـبير في نهاية الربع الأول مـن القـرن العشـرين رابطـة قانونيـة – سياسـية، ممـا يـوحي بـأن المجتمع السوري مركب الهويـة (اثنيـاً، دينيـاً ومـذهبياً). وفي ذات الوقـت هنـاك ثمـة شعوب تعيش في دول متعـددة (الكـرد، الأذريـون، العـرب، الأمـازيغ... الخ)، فـالكرد مـثلاً وزعـتهم السياسـة بـين دول عـدة (تركيـا، ايـران، العـراق، سـوريا، جمهوريـات الاتحاد السوفييتي السابق كما بينا).

٧- **الأمة:** ظاهرة تاريخية – اجتماعية تلـي القـوم، لكنهـا تتميـز عنـه. وهـي نتيجة تحول وصيرورة تاريخية أو محصلة انصهار عدة أقوام مثلما جـرى في فرنسـا، وفي ظلـها تتجـانس الثقافـة وتتبلـور اللغـة الأدبيـة – القوميـة. الأمـة يجمعهـا تـاريخ مشترك ووحدة اللغة والأصل المشترك والإرادة والمشاعر والآمـال والثقافـة والمصـالح الاقتصـادية. النظريـة الألمانيـة اعتمـدت في نشـوء الأمـة علـى وحـدة اللغـة والأصـل المشترك، أما النظرية الفرنسية فاعتمدت على إرادة العيش المشترك في تكوين الأمة. وعناصر كلتا النظريتين السالفتين (الألمانية والفرنسية) متوفرة في الأمة الكردية التي تتوزع اليوم بين عددٍ من الدول (الكيانات السياسية)[1].

ملاحظات:

أ – جدير ذكره أن مصطلح العشيرة مستعار من العربية، لـذا نجـد أن دلالتـه الانتروبولوجية تختلف من مكان إلى آخر في مجتمعنا الكردي، فيستخدم كردياً للدلالة على القبيلة أحياناً، ويستخدم الكرد كلمة (إيل) للدلالة على العشيرة و (هوز) للدلالـة على القبيلة و (بافيك) للدلالة على البطن/ الفخذ أو الحمولـة و (مـال)على الأسـرة أو العائلة، لكنها لا تتسم بالدقة لاختلاف المفهوم من مكان لآخر ومن زمان لآخـر. لكـن النظام القبلي مفتـاح، مثلـه في ذلـك كمثـل الجبـل، لدراسـة تـاريخ المجتمـع الكـردي والشخصية الكردية.

---

(١)– الدولة State: مؤسسة سياسية، ادارية، ترتكز على المبدأ القانوني للسلطة.

ب – ملاحظة أخرى يمكن الاشارة إليها في هذا السياق، أعني ما يتعلق ببعض زعماء القبائل الكردية، ممن كانوا يتهافتون في حالات كثيرة للانتساب إلى أصول قبلية أخرى. فبعضهم ادّعى لهذا السبب أو ذاك بأنه من أصل عربي أو كان ينسب نفسه إلى النبي أو أحد الصحابة أو أحد أبطال الفتح الاسلامي كما نوهنا من ذي قبل، بهدف إضفاء هالة من القداسة على زعامته، والبعض من الكرد ينسبون أنفسهم إلى الجنس التركي، والباعث على هذا الادعاء: (هو مجرد الانتساب لجنسية الحكام والتمتع من وراء ذلك بالامتيازات الكثيرة الخاصة بالأمة الحاكمة، وبفضل هذا الادعاء تخلص كثير من أهالي مدينتي وان وأرضروم من المظالم والمضايقات)[١]. وبصرف النظر عن هذه الناحية: (فإن مجرد حقيقة أن زعيماً ما لا ينتسب قرابياً إلى بقية القبيلة تضعه أيضاً فوق النزعات التي تنشأ بين العشائر والحمولات المكونة... فهو في موقع يؤهله للتوسط في مثل هذه النزاعات[٢].

ج – أما قبيلة الأومريان فتطلق تسمية (مزن) أو (ماقول) على زعيمهم، أو (آغا)، الذي يساعده عدد من المسنين (ري سبي) ويقدمون له النصح كمجلس شورى. أما في كردستان الجنوبية والشرقية فيطلقون على زعيم العشيرة أو القبيلة لقب (ريس) ولا يُخفى أنها مأخوذة ومحورة من الكلمة العربية (رئيس)، وهناك زعماء قبائل يكنون بلقب (الشيخ) مثل شيوخ بارزان، ويتمتعون بالسطتين الدينية والقبلية. أما (خان) أو (بك) فيضافان عادة إلى اسم الزعيم، كقولنا: علي خان، علي بك، قدور بك. ومن المتعارف عليه أن الآغا كان أمياً على الأغلب ويسكن القرية، أما البيك فهو غالباً متعلم ويسكن المدينة.

د – يذكر ابراهيم الداقوقي أن عدد العشائر والقبائل الكردية في ظل الدولة العثمانية بلغ نحو/٣٨٠/، منوهاً في ذات الوقت كيف أن بعضها أخذت أسماءها من أسماء زعمائها، مثل (موسى بكي)، كما أطلقت أسماء بعض القرى والمناطق على بعضها الآخر، خصوصاً القبائل الرحالة. وقد نوه نيكيتين بصعوبة تحديد قوة العشيرة أو القبيلة الكردية، بما في ذلك عدد أفرادها، لأن القبائل الكردية تتكون من عنصر مستقر وآخر متغير، الأول يتألف من تلك النواة من العائلات التي ينتمي إليها

---

(١)– محمد أمين زكي بك: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان – الجزء الثاني – ص١١.

(٢)– مارتن فان بروينسن: الآغا والشيخ والدولة – ط١ عام ٢٠٠٧– بغداد/ اربيل/ بيروت – ص١٦٠.

زعيم القبيلة، أما الآخر فيتكون من تلك العناصر المتذبذبة، التي تنضم تارة إلى هذه القبيلة وتارة الى تلك.

و – فضلاً عما قيل، فإن بعض أقسام القبيلة كانت تمتهن الزراعة قديماً وتستقر في بقعة جغرافية، وكان هذا هو أحد أسباب ضعفها وتشتتها، إلا أن السبب الآخر في هذا الوهن فيكمن بقناعتي في سياسة الحكومات المتعاقبة تجاهها وترسيم الحدود السياسية، ناهيك عن التهجير القسري أو الطوعي والحملات العسكرية والضرائب الباهظة والكوارث الطبيعية كالأوبئة والجفاف والخصومات في داخل القبيلة. فعلى سبيل المثال، اتبعت السلطات العثمانية سياسة تهجير منظمة، واستمرت هذه السياسة في ظل العهد الجمهوري في تركيا وأخذت شكلها الفاقع، وكان تهجير الكرد في إطار سياسة الاحتواء والتذويب والتتريك الممنهجة بكل تأكيد.

ما من شك أن عملية التلاحم أو التكون السلالي تقترن أحياناً باختلاط عرقي، مثلما جرى عبر التاريخ للاثنوس العربي، حيث تعربت قبائل وأقوام عدة في بوتقته، خصوصاً بعد ظهور الاسلام، وهذا الأمر يفرض علينا التأكيد بعدم وجود شعب (نقي) على وجه المعمورة. فقد تكرّدت قبائل مثلما تترّكت أو تفرّست أوتعرّبت قبائل كردية عبر منعطفات التاريخ ومنعرجاته، خلال قرون من التواصل والهجرات والحروب طوعاً أو قسراً، سيما أن كردستان كانت مسرحاً للصراع بين امبراطوريات عدة. ومما يلفت النظر حقيقة أنه: (كان هناك قدر معين من تبادل الأفراد بين القبائل الكردية والأقليات المسيحية في كردستان)[١].

ومن المؤكد أن أعداداً من السريان والأرمن قد تكرّدت بحكم الجوار الجغرافي والتعايش المشترك، ناهيك عن ظروف أخرى، مثلما حدث العكس في الماضي البعيد، أقصد الكرد الذين تبنوا المسيحية وذابوا في الشعوب التي تبنتها.

لعبت البنية القبلية قديماً دوراً هاماً في الحفاظ على الهوية الكردية عبر التاريخ من جهة، لكنها – أي البنية القبلية – من جهة أخرى تأتي في مقدمة العوامل التي كانت وراء كبح نمو الوعي القومي[٢] وضعف حركة التحرر الكردية تاريخياً، جراء

(١)– مارتن فان بروينسن: مصدر سبق ذكره – ص٢٦٨.

(٢)– ففي منطقة عقرة يمكن تفسير ظاهرة قلة الأسماء الكردية على المواليد الجدد بوهن الوعي القومي، وقد نبهني الدكتور عبدالفتاح البوتاني إليها مشكوراً.

الصراع القبلي، بين هفيركا ودكشوريا بزعامة آل حَسَنى شمدين ومقرها كرجوس[١]، أو بين تكتلي عتمانكي ومحمودكي في الاتحاد العشائري الأومري مثلاً. وقد غذت الامبراطوريتان الصفوية والعثمانية نزعة التناحر الكردي – الكردي انطلاقاً من شعارهما (فرّق، واحكم)، الذي أحسنتا تطبيقه.

*** نموذج تطبيقي عن قبيلة هفيركا Hevêrka:**

الكلمة مشتقة كما يقول البعض من العجين Hevîr أو العجان Hevîr - ker أو Hevîr - kir أو التيس Hevor. يقول جاجان حاجو أن آل حاجو قدموا من أطراف تبريز أو ماردين أو من شنكال (سنجار) وجبل عبدالعزيز[٢]، كانت هذه القبيلة تتبع امارة بوتان، وتعادي قبيلة الـ (دكشورية)، وكانت تضم الكرد المسلمين والايزيديين، إلى جانب المسيحيين في آن، وقد برز من بين هؤلاء المسيحيين (شمعونى حنى حيدو Şemûnê Henê Heydo)، الذي يُضرب فيه المثل في الشجاعة والبسالة. تتكون قبيلة (هفيركا) من عشائر عدة، ذات انتماءات دينية متعددة كما نوهنا، لكن اتفاقية سايكس – بيكو قسمتها إلى شطرين، الأول في كردستان تركيا (الأكثرية الساحقة) والثاني في الجزء الملحق بسوريا (الأقلية). وتحيط بالمنطقة التي تنتشر فيها قبيلة هفيركا من جهة الشمال قبيلة الدكشوريا ومن الشرق نهر دجلة ومن الجنوب آليان والشيتية، أما من الغرب فهناك المحلمية وكوجكا وأومريان.

يضيف جميل حاجو آغا في مذكراته: كان آل (علي رمو/ من عشيرة عربيا) يتزعمون القبيلة بداية، وكانوا يقطنون قرية (جيلك)، ثم انتقلت الزعامة فيما بعد إلى آل (أوصمان سلو أي آل حاجو/ من عشيرة آلكا)، وكانوا يقيمون في قرية زاخران[٣]، ثم انتقلوا الى قرية مزيزخ، التي كان سكانها يتوزعون بين الايزيدية والمسيحية[٤]، ويعتقد بروينسن أن هفيركا كانت ايزيدية قبل أن تتأسلم، مثلها في ذلك كمثل المِلاّ

(١)– نذير جبو: سلاطين هفيركا – مصدر سبق ذكره – ص٥٠.

(٢) – المصدر السابق – ص٤٥.

(٣)– مذكرات جميل حاجو: من اصدارات جامعة دهوك – عام ٢٠١٢م.

(2)– استدعى أهل مزيزخ(أوصمان سلو)، جد عائلة حاجو الذي كان يقطن قرية زاخران ليحكم في حل الخلاف الناشب بينهم، فحلها بفطنته، وبطريقة ترضي الطرفين، مما أصروا أن يقيم بينهم والاستقرار في مزيزخ، فوافق. راجع: مذكرات جميل حاجو، وكذلك سلاطين هفيركا – ص٤٥ و٤٦.

والبرازا، ويضيف بأن الاتحاد العشائري الهفيركي يتألف من ٢٤ عشيرة. من المفيد قوله أن بعض عشائر آليان والشيتية في الجزء الملحق بسوريا تنتمي بدورها إلى قبيلة هفيركان، وهناك عشائر كانت تتوزع بين الاتحادين العشائريين (هفيركا، دكشوريا) المتنافستين، مثل عشيرة المحلمية، ففرع خليل بكى كان ينضم للحلف الهفيركي، بينما فرع عيسى بكى كان ينضم للحلف الدكشوري.

العشائر التي كانت تنضوي تحت سلطة قبيلة هفيركان وفق مذكرات جميل حاجو، هي:

١- دومانا، قسم منها مسيحي.
٢- سالها، قسم منها مسيحي.
٣- باسقلي.
٤- عربيا، ينتمي إليها آل علي رمو.
٥- آلكا، ينتمي إليها آل حاجو.
٦- دل مَمكا، قسم منها مسيحي.
٧- دورِكا.
٨- حَمكا.
٩- بوتِكا.
١٠- داسكا، وهي ايزيدية.
١١- محوكا، وهي ايزيدية.
١٢- أفشي، وهي ايزيدية.
١٣- سموكا، وهي ايزيدية.
١٤- جومَرا Çomera.
١٥- بوتا، وهي ايزيدية.
١٦- رايت، وهي ست قرى مسيحية، هي (بادب، خراب آلة، سيدري، خربة مشكا، حباب، آربو).
١٧- بونسرا.
١٨- بعجولا، وهي ايزيدية.
١٩- شمكا، قسم منها مسيحي.

وكما نوهنا من ذي قبل، فقد تتحد بعض القبائل وتؤسس إمارة يترأسها عادة شخص يُدعى الأمير (مير)، كانت صلاحياته أو سلطته واسعة وأوامره حازمة، بحيث أن الرعية كانت تخضع لسلطانه، لكن وحدة هذه الامارات كانت هشة في مواجهة الحكومات المركزية، وكثيراً ما كانت المنازعات من أجل الزعامة تهدد وحدتها، ومن هذه الامارات، إمارة بوتان أو إمارة البدرخانيين.

الصفات السلالية للكرد: تتباين الخصائص السلالية للكرد من منطقة لأخرى وهذه حقيقة لا يرقى إليها الشك، فكرد المناطق الشرقية من كردستان، ملامحهم تشبه ملامح الفرس، خصوصاً شكل الجمجمة ولون البشرة، أما كرد المناطق الغربية من كردستان، فيتميزون بالعيون الزرقاء والبشرة الشقراء. ويتصف كرد المناطق الجنوبية من كردستان بالوجه العريض والبشرة الصافية، بينما كرد المناطق الشمالية من كردستان، فيمتازون بطول القامة وصغر الفم والأنف الطويل المعقوف، وهم نحاف البنية ووجوههم بيضوية وعيونهم زرقاء والبشرة بيضاء والسحنة شقراء مميزة. وعلى هذا الأساس صنف المهتمون بالدراسات الاثنوغرافية الكرد كأحد الشعوب الهندو – أوربية، القادمة من وسط وشرق أوربا، وربما من وسط آسيا، تجمعوا بداية في شرق وشمال شرق بحر قزوين، ثم بدأوا بالانتشار قبل الميلاد في مناطق تواجد الكرد اليوم.

ذكر ميلنكن بدوره عام ١٨٧٠، أن الكرد يتصفون بالوسامة وطول القامة والبنية القوية، وأضاف: كما نجد بينهم ذوي البشرة السمراء والعيون السوداء، كما نجد فيهم ذوي الشعر الأشقر والعيون الزرق، وكذلك ذوي الشعر والعيون الكستنائية[1].

أما والتر هاريز فيقول، بأن بشرة الكرد ليست أكثر سمرة من بشرة سكان جنوب أوربا، والحاجبان والرموش فعلى الأغلب سوداء والأنف نسري جميل، والفم جميل التكوين، والوجه طويل وبيضوي، والقامة المتوسطة هي السمة الغالبة بينهم[2]. وقد لاحظ المستشرقون والرحالة بأنه كلما اتجهنا نحو شمال وشمال غرب كردستان فإن البشرة تبدو أكثر بياضاً والشعر أكثر شقرة، وتزداد نسبة أصحاب العيون الزرق تدريجياً.

---

(١)– بدرخان السندي(الدكتور): المجتمع الكردي في المنظور الاستشراقي – ص٢٠.

(٢)– المصدر السابق – ص٢٠ و ٢١.

بينما يؤكد هاملتون – منذ نهاية العشرينات من القرن الفائت – بأن أجسام الكرد متينة. وقد أثرت ملامح الكرد في هَيْ (١٩١٨– ١٩٢٠)، حيث رأى فيهم ملامح النسر الوسيمة والوجه الآري والشعر الأسود والبشرة الحنطية الفاتحة، على غرار بشرة الطليان والاسبان أو أفتح منها، ووجد بينهم صاحب الشعر الأحمر الفاتح والعينين الزرقاوين[1].

الحياة القبلية: لو عدنا مجدداً إلى الحياة القبلية التي سادت ردحاً طويلاً من الزمن بين الكرد، وتناولنا العشيرة (جينس) أو القبيلة (ستام)، فقد بين مورغان أهمية الأولى كونها بمثابة الخلية الأولى للمشاعية البدائية وفق التشكيلات الاقتصادية – الاجتماعية، لوجدنا أن حياة الترحال أو التنقل هي الصفة المميزة للعشائر والقبائل قبل أن تستقر وتتحول إلى الزراعة بشكل رئيسي، لكن يجب التفريق بين الترحال المنظم الذي كان يميز الحياة القبلية الكردية، حيث كانت القبائل تتسلق بقطعانها الهضاب والجبال ربيعاً وهي تقصد المراعي الجبلية الـ (زوزان Zozan)، وتمضي الصيف هناك، ثم تعود أدراجها إلى السهول والوديان في الجنوب خريفاً قاصدة الـ (كرميان Germiyan)، خلافاً للقبائل العربية مثلاً، التي اعتمدت التنقل غير المنتظم بحثاً عن الماء والكلأ.

وقد سبق أن قسم ديكسون المجتمع الكردي في نهاية العقد الأول من القرن العشرين، أي عام ١٩١٠م إلى ثلاث فئات، هي: الرّحل، أنصاف الرّحل، المستقرون. **فالرُّحل**، كانوا يعيشون في الخيم، مثل: الهركي والجاف، وكانت دائمة التنقل بين الـ (زوزان) والـ (الكرميان) ، وكانت تحتك أثناء هذا التنقل بسكان القرى، وهذا الاحتكاك كانت تنجم عنه القلاقل، وقل الشيء نفسه بالنسبة لقبيلة الـ (كوجر) التي تتوزع الآن بين كردستان الجنوبية والشمالية وكردستان سوريا.

أما **أنصاف الرُّحل** فكانوا يمارسون الزراعة إلى جانب تربية الحيوان، ويمتلكون بيوتاً، يعودون إليها طيلة فصل الشتاء وجزءاً من الربيع.

وزعماء بعض القبائل درجوا – كما نوهنا من ذي قبل – على الادعاء بانتسابهم إلى السلالة النبوية، وأوهموا الآخرين بأنهم من أحفاد فاطمة الزهراء أو الحسين تشرفاً بالنبي، وهذه الظاهرة كانت تسود بين جميع الأمم الاسلامية، وذلك:

---

(١)– المصدر السابق – ص ٢٤ و ٢٥.

(تعزيزاً للنفوذ القبلي، الذي هو نفوذ دنيوي، ليصبح أقوى وأمضى عندما يتعزز بنفوذ روحي)[١].

إذاً الولاء في كردستان كان للزعيم القبلي أو الآغا أو لزعيم المشيخة الدينية في الماضي، وحين بدأت العلاقات الرأسمالية في التبلور، بدأت هذه الروابط تضعف تدريجياً، لهذا السبب كان قادة الحركات الكردية من بين صفوف هذه الزعامات كما يؤكد (مارتن فان بروينسن)، وقد حالت التناقضات بين هذه الزعامات دون توحيد الصف الكردي، فبمجرد مساهمة زعيم قبيلة كردية في هذه الحركة أو تلك، كان ذلك: (سبباً كافياً لأن يقف منافسوه على الضد من الحركة)[٢]. وقد تجسد هذا الأمر بشكل فاقع بين الـ (محمودكي) والـ (عتمانكي) داخل قبيلة الأومريان التي تتوزع بين كردستان الشمالية وكردستان سوريا، وما زال الناس حتى يومنا هذا يتخذون من هذا الصراع بين هذين الجناحين مضرباً للمثل.

والعرف القبلي، كان بمثابة دستور القبيلة، فيذكر الدكتور بدرخان السندي بأن علاقة الفرد الكردي بزعيم قبيلته كانت أقوى من علاقته بالحكومات التي تتحكم بالكرد، لسببين:

١–لأن شعوره بالانتماء إلى زعيم القبيلة أقوى من شعوره بالخضوع القسري للحكومة، فضلاً عن أنها كانت أجنبية (تركية، فارسية، عربية... الخ).

٢– يضاف إلى السبب السالف الذكر، أن زعيم القبيلة أو الآغا، كان يحسم الأمور بشكل أسرع من الدولة وروتينها الثقيل، بسبب بعد مركز القرار أحياناً، زد على ذلك أن القدرات التنفيذية للزعماء كانت أمضى وأشد فاعلية وحاسمة[٣].

وأخيراً لابد من التنويه أن زعامة القبيلة أو العشيرة كانت تنتقل وراثياً أو عبر التوصية، وهو تقليد متبع في أغلب المجتمعات القبلية. كما يذكر توماس بوا عن حالات مشهودة لنساء قدن قبائلهن في ساحات الوغى بعد موت أزواجهن، مثلما نوهنا من ذي قبل.

---

(١)– بدر خان السندي(الدكتور): مصدر سبق ذكره – ص٥٧.

(٢)– مارتن فان بروينسن: مصدر سبق ذكره – ص٣٤.

(٣)– مارتن فان بروينسن: المصدر السابق – ص٦٩ و ٧٠.

لكن يجدر الذكر أن الدولتين العثمانية والصفوية قد استغلتا القبائل الكردية أحسن استغلال في الصراع الدائر بينهما، فسعت كل واحدة منهما أولاً لتجييش عدد من القبائل والعشائر بغية تنفيذ مآربها، ومضتا ثانياً لتغذية الولاء العشائري والقبلي بأي ثمن، كي تعيقا انبعاث الوعي القومي الكردي أو تفرمله. وحذت السلطات العراقية حذو الدولتين السابقتين، للاستفادة من خدمات بعض زعماء العشائر والقبائل، أثناء مواجهة الثورة الكردية التي قادها البارزاني، ولسان حالها يردد: "انما الحديد بالحديد يفلح"، من هنا سمي هؤلاء بـ"الجاش".

ثانياً: العوامل المساهمة تاريخياً في تكوين الشخصية الكردية

انصّبَ اهتمام علماء الاجتماع على العوامل البيئية (البيئة الجبلية والمناخ بشكل خاص) والبنية الاجتماعية والاقتصادية (القبلية/ الاقطاعية للمجتمع وقيم البداوة الجبلية خاصة) في دراسة الشخصية الكردية، والعوامل الأخرى كالقهر الذي تعرض له الكرد طوال قرون، تلك التي طبعت الشخصية الكردية بخصائص وسلوكيات اجتماعية ونفسية معينة، ورسمت معالم هذه الشخصية عبر التاريخ. فوصفت هذه الشخصية التي جبلت على العناد والشجاعة والمثابرة ورفض الخضوع للغير، وتحمل شظف العيش والخشونة، ناهيك عن التمرد وعدم قبول الضيم، كما اتسمت بالانفعالية (سرعة الغضب وسرعة الرضى) واحترام المرأة[1].

أولاً – تبلورت السمات العامة (الاجتماعية، الذهنية، السلوكية والنفسية) للكرد تدريجياً، عبر ممارستهم النشاط الاقتصادي – الاجتماعي، في سياق الظروف التاريخية والسياسية الملموسة. وكما هو معلوم فان هذه السمات المكونة لشخصية الكردي كـ (فرد أو شعب أو أمة) ترتبط شديد الارتباط – وفق التحليل الماركسي – **بتقسيم العمل** وتطوره، لذا نجد أنماطاً مختلفة من الشخصية وفق تعاقب التشكيلات الاقتصادية – الاجتماعية تاريخياً (المشاعية، العبودية، الاقطاع، الرأسمالية)، من هنا نجد تشابهاً في العديد من الخصائص أو السمات العامة مع شعوب شتى مرت بنفس المراحل التاريخية أو تشربت بنفس الثقافات أو عاشت في بيئات جغرافية

---

(١)– فؤاد قادر أحمد(الدكتور): المجتمع الكردي على شاشات بانوراما التأريخ – ط١عام ٢٠١٥ – مطبعة روزهلات/ هولير – ص١٧٤.

متشـابهة أو جـراء الاخـتلاط. الكـردي، مثلـه مثـل غـيره، يـدين للبيئـة بخـواص شخصيته الايجابية والسلبية، والمقصـود بالبيئـة هاهنـا، البيئـة الطبيعيـة قـديماً في المقام الأول، أما حديثاً فتتبوأ البيئة الاجتماعية الدور الرئيس.

ثانياً – كمـا تعـد حاضـنة الكـرد، الـتي عـاش فيهـا أسـلافهم لآلاف السـنين، والمتمثلـة في **البيئـة الجغرافيـة الجبليـة**، محـددة لسـمات الكـردي وهويتـه وملامحـه وخصائصه السلوكية والنفسية، فتركت تلك البيئة بصماتها علـى شخصـيته، فنمّـت فيها خصال كالشجاعة والشهامة والعناد والاعتزاز بالذات وحب الحريـة، ممـا دفـع بــ (ابن حجر العسقلاني) وغيره وهم كثر، الى القول بـأن الكـرد موصـوفون بالشـجاعة. وهذه البيئة جعلت الكرد يختلفون بهذا القدر أو ذاك مثلاً عن جيرانهـم العـرب، الـذين احتضـنتهم الصـحراء قبـل زحفهـم نحـو المعمـورة، فمـن الطبيعـي والحالـة هـذه أن تتباين سمات هؤلاء عن أولئك، حتى قيل أن الجبل هـو مفتـاح الشخصـية الكرديـة، مثلما كانـت ومازالـت الصـحراء مفتـاح الشخصـية العربيـة، فمثلمـا (لا يسـتطيع أي دارس أن يقنـع أحـداً بجديـة مـا يكتبـه عـن الاعرابـي، دون ذكـر الباديـة ودلالاتهـا ووظيفتها في بناء شخصيته، وثـراء لغتـه أو عـن الأسـكيمو دون ذكـر عـالم الجليـد، كذلك الكـردي، فالجبـل يـبرز مخلوقـاً روحانيـاً يتجسـد فيـه، أو يتحـد معـه، بـل إن أبجديتـه بكـل عمقهـا الحيـاتي أو البطـولي، تجـد في الجبـل بكـل معانيـه: حَسَـبَها ونَسَبَها)[1]. ولا بأس أن نقدم هذا النمـوذج التحليلـي المقـارن، الـذي أورده الـدكتور أحمد محمود الخليل زيادة في التوضيح:

	الكرد	العرب
إثنياً:	ينتمون إلى السلالة الآرية	ينتمون إلى السلالة السامية
بيئياً:	بيئة تكوينهم الأولى هي الجبال..........	بيئتهم الأولى أعماق الصحراء
ميثولوجياً:	تتمحور معتقداتهم حول الشمس...	تتمحور معتقداتهم حول القمر

مـا مـن شـك أن (سـيكولوجية الجبـال) كانـت مـن وراء: (صـعوبة قيـام دولـة مركزية في كردستان، وأن بعض الدول التي قامت فيها قبـل المـيلاد إنمـا كانـت ذات طابع لامركزي في الدرجة الأولى، وكانت في صيغة اتحاد قبائـل " فيـدراليات"، وأبـرز مثال على ذلك الدولة الميدية، التي أسسها الزعماء الميـد الأوائـل "ديـاكو" وابنـه "

(١)– ابراهيم محمود: صورة الأكراد عربياً بعد حرب الخليج – ط١عام ١٩٩٢م – ص٢١.

فُـراوَرْتيس" في صـيغة "اتحـاد قبائـل")[1]. وبالمقابـل نمـت وأينعـت الـروح الفرديـة والاعتداد بالنفس لدى الكردي طيلة قرون في رحاب الجبـال، أعـني تلـك الـروح الـتي جعلت أسلاف الكرد ينفرون من الخضوع لسـلطة مركزيـة موحـدة، مثلمـا نمـت تلـك الروح قديماً لدى الاغريق الـذين عاشـوا في كنـف البيئـتين الجبليـة والبحريـة بجزرهـا المتعددة، والتي فعلت فيهم ما فعلته بأسلاف الكرد، وظـاهرة (الدولـة – المَدينَـة) في بلاد اليونان قديماً خير دليل على ما نقول. على هذا النحو ساهمت البيئة الجبليـة في تكوين هذه الطباع لدى الكرد.

فالبيئـة الجبليـة كانـت تفـرض العزلـة علـى سـاكنيها قـديماً وتقطـع أوصـال المجتمع أيضاً، و خصائص: (العزلة والمناعـة والاكتفـاء، في البيئـة الجبليـة، عوامـل مساعدة لتكـوين شخصـية تنـزع إلى التمـرد والثـورة أكثـر مـن نزوعهـا إلى الخضـوع والخنوع)[2]، كما تنزع في الوقت نفسه إلى سلوك يتميـز بـالغموض والحـذر والحيطـة، مادامت الأخطار تحيط به والأعداء يترصدونه أو يتربصون به (وليس هـذا الغمـوض باختياره، بل هو من أجل البقاء. فـالغموض أحيانـاً، حـين يتلـبس الكـائن، يشـكل علامة فارقة لوجوده، مثلما أن القنفذ يحتمي بجلده الابـري، والسـلحفاة بصـدفتها. وهكذا هو الكردي الذي يحتمي بغموض نابع من بيئته، ومن وضعه الذي يعيشه عبر آخرين. إنه هنا – وبهذا الشكل – لا يمارس تنكراً، إلا لكي يغل عنه الآخـرون، ممّـن يشكلون خصوماً له في الطبيعة، ومهددين له باستمرار)[3].

لكن الحق يقال أن التضاريس المعقدة هذه رغم وبالها من جهة، كانت لها دوراً ايجابياً ومميزاً من جهة أخرى، لكونها شكلت الحصن الحصين ومعاقل منيعة، حققت للكرد الملاذ الآمن في مواجهة الغزاة عبر التاريخ، ونمّت في ساكنيها الكبرياء والاعتداد بالنفس، حتى قيل: "لا أصدقاء سوى الجبـال"، مـن هنـا يُفهـم السـبب الـذي دفـع بالكاتب السويدي (نورد فالستروم)، حين اختار عنوان كتابه عن الكـرد وكردسـتان: «ليس لنا من أصدقاء غير الجبال»[4]، ويبدو أن هذا ما دفع المؤلفَين (هارفي موريس

---

(١)– أحمد محمود الخليل(الدكتور): الشخصية الكردية – مصدر سبق ذكره – ص٢٩.

(٢)– المصدر السابق – ص٨٠.

(٣)– ابراهيم محمود: صورة الأكراد عربياً بعد حرب الخليج – مصدر سبق ذكره – ص١٤.

(٤)– ترجمة عبدالسلام نعمان، من كردستان سوريا، يعيش الآن في المهجر.

وجون بلوج)، الى اختيار عنواد مشابه: «لا أصدقاء سوى الجبال»[1]، وأيضاً هذا ما دفع دريّة عوني إلى القول (هناك أثران لهذه الجبال، ايجابي وسلبي على تطور الشعب الكردي من ناحية الاحتفاظ بهويته ولغته وتقاليده وثقافته على مر القرون، رغم الغزوات، ومن ناحية أخرى عَزَلَته إلى حد كبير عن ركب المدنية، رغم أنها – أي المدنية – بدأت هناك كما يذهب إلى ذلك البعض)[2]، كما حققت لهم البيئة الجبلية اكتفاءً ذاتياً في تأمين الغذاء، لغنى الجبال بمصادر المياه من جهة ولتنوع الحياة النباتية والحيوانية فيها. وهكذا نفهم لِمَ كان سكان الجبال الكرد – قديماً وحديثاً – شوكة في حلوق الغزاة الذين حاولوا فرض هيمنتهم على ساكنيها، مثلما جرى لـ: (إكزنوفون) ومرتزقته العشرة آلاف أثناء مرورهم في جبال الكردوخيين عام ٤٠١ ق.م وتراجعهم شمالاً بعد مصرع كورش، والذى خلد كل ذلك في كتابه «آناباسيس». لذا، سعت الأنظمة بشتى الوسائل لتجريد الكرد من هذا السلاح من خلال التدمير والتهجير وترحيل الكرد من معاقلهم الى مناطق يسهل السيطرة عليها اذا لزم الأمر، والتقليل من قدرتهم على المقاومة، وقد أقرت جريدة «اوتوكن» التركية بهذه الحقيقة، حين أشارت إلى السبب الوحيد الذي حال دون إبادة الكرد، إبّان ملاحقة الأرمن، هو التجاء الكرد إلى الجبال الوعرة[3]. يضاف إلى ذلك، تَرى الكردي متسماً بالشموخ والصلابة التي استمدها من حاضنته (الجبل)، لأن (الجبل، وهو يرتسم في مخيلته ويمتد أمام ناظريه، يغذيه بالحكمة ويهبه معنى التحدي والديمومة)[4]. أجل، فالجبل كان دوماً يشكل الدرع الحصين للدفاع عن الذات في مواجهة الغزاة، من هنا قيل: لا أصدقاء سوى الجبال أو منذ الأزل كان هناك الكرد والجبل، فهما صنوان لا يفترقان ووجهان لعملة واحدة، فمن خلاله استطاع الكردي الدفاع عن وجوده، وبوسع أي كان أن يتأكد من هذا القول إذا ما تصفح التاريخ الكردي.

---

(١)– ترجمة راج آل محمد – بيروت ١٩٩١، وهو أيضاً من كردستان سوريا.

(٢)– درية عوني: عرب وأكراد خصام أم وئام – مصدر سبق ذكره – الهامش ص١٧.

(٣)– أحفاد صلاح الدين الأيوبي/ الكرد: الشعب الذي يتعرض للخيانة والغدر – ترجمة: عبدالسلام مصطفى صديق – دهوك ١٩٩٧ – ص١٣١.

(٤)– ابراهيم محمود: صورة الأكراد عربياً بعد حرب الخليج – مصدر سبق ذكره – ص٢٢.

ثالثاً – كما تعد **الثقافة** إحدى أهم مكونات الشخصية الكردية، فقد غدت هذه الثقافة التي تراكمت عبر العصور مؤثرة في المُثل العليا للكرد وموجهة لسلوكهم ونشاطهم. والمقصود بالثقافة: (مجمل ألوان النشاط التحويري للانسان والمجتمع، وكذلك نتائج هذا النشاط. وقد جرت العادة على التمييز بين الثقافة المادية والثقافة الروحية. ففي عداد الأولى، تندرج جملة الخيرات المادية ووسائل انتاجها، أما الثانية فتشمل جملة المعارف وكافة أشكال الوعي الاجتماعي: الفلسفة، والعلم، والأخلاق، والحق، والفن، وغيرها. إن عناصر الثقافة كلها وثيقة الارتباط بعضها بالآخر، فنشاط البشر المادي، الانتاجي، يقوم في صلب نشاطهم في باقي ميادين الحياة. وبالمقابل، تكتسب ثمار نشاطهم الذهني صبغة مادية، فتتحول إلى أشياء، إلى وسائل تكنيكية وأعمال فنية، الخ... وتضرب الثقافة جذورها في أعماق التاريخ، وترتبط بظهور الانسان... وتبدل أساليب الانتاج يعني أيضاً تغيرات نوعية في الثقافة...)[1].

وشكل التراث الثقافي الكردي حاضنة لنمو روح التمرد والقتال، بدليل ان الآريين كانوا يقدسون الاله (ميثرا) كونه إله الحرب، وكذلك كانت الزرادشتية تعتقد أن الاله آهورامزدا قد خلقه ليحمي العالم الخيّر، ووصف الاله ميثرا بأنه ذو الرماح الطويلة والحادة، وقد تكونت هذه الثقافة في خضم الصراع الدائر بين الشعوب الآرية من جهة والشعوب الطورانية التي كانت تهددهم من جهة الشرق بغية اقتحام جغرافية الآريين الأكثر خصوبة ووفرة لمقومات الحياة من جهة أخرى. في ظل هذا التحدي، كان من الضرورة بمكان أن يتحلى الآريون (ومنهم الكرد) بروح اليقظة العالية في مواجهة الآخر، فنمت لديهم الروح القتالية، واستمر هذا الوضع إلى يومنا هذا، فمنذ القديم وأسلاف الكرد كانوا بالمرصاد لكل من تسول له نفسه أن يطأ أرضهم أو يدنسها، وما مقاومة الكوتيين واللولو للأكاديين، والكاشيين للبابليين، والحوريين والميتانيين للحثيين، والمانّايين والخَلْديين والميديين للآشوريين، إلا دليلاً على ما نقول، فكان الكردي جرّاء هذه الأخطار المحدقة قديماً وحديثاً يقتني السلاح ويصنعه، مما لفت هذا الأمر انتباه هيرودوت، الذي وصف الرماح الميدية، مثلما أشار جرنوت فيلهلم بدوره إلى شهرة القوس الميتاني، ومازال الكردي يعشق السلاح،

---

(١)– المعجم الفلسفي المختصر – دار التقدم/ موسكو١٩٨٦.

ليس حباً به أو حباً بالقتال، إنما لأنه أداة يتخذها للدفاع عن النفس. ولعل شجاعة الكرد ومقاومتهم للغزو العربي لأراضيهم واستباحة كرامتهم قد دفعت بعض مفسري الآيات القرآنية إلى إدراج الكرد في عداد ممن وصفوا في الآية (١٦) من سورة الفتح: « قُلْ للمخلفين من الأعراب ستُدْعون إلى قوم أُولي بأس شديدٍ تقاتلونهم أو يُسْلِمون»، وقد قال ابن أبي حاتم في تفسيره: (عن أبي هريرة، في قوله " أولي بأس شديد"، قال: هم البآرزُ/ الجبليون، يعني الأكراد. كما جاء ذلك في تفسير ابن كثير، ج٤/ ص١٩٠. وأيضاً ورد في تفسير الدّرّ المنثور للسيوطي، ج٢٦/ ص٥١٩. وفي تفسير فَتْح القدير للشُّوكاني، ج٥/ ص٦٩. وتفسير روح المعاني للألوسي ج٢٥/ ص١٠٢–١٠٣)[١].

جدير ذكره أن أسلاف الكرد الكاشيين كانوا أول من أدخلوا الخيول إلى غربي آسيا، والميتانيين أول من استعملوا العربات ذات العجلتين، ولا يُخفى لكل ذي بصيرة بأن الخيول والعربات يومذاك كانت أمضى الأسلحة، في هذا السياق يمكن أن نفهم لماذا لَقَبَ آبوفيان الكرد بفرسان الشرق. مامن شك أن الشخصية الكردية اتسمت عبر التاريخ القديم والوسيط والحديث بالنبل والشجاعة، جرّاء الأخطار المحدقة بالكرد، حتى أن اسمهم (أي الكُرْد) كان معروفاً لدى السومريين، وكانوا يعنون بهم سكان المرتفعات أو الجبال، ولا يُخفي ما يتميز به الجبليون عادة من بأس، وقد سبق لنيكيتين أن فسر دلالة كلمة (كُرْد) بأنها تعني البطل، أما كلمة أكراد التي تبدو متداولة في الوسط العربي، فهي على وزن (أعراب)، وبالتالي فهي لا تتسم بالدقة في سياق التاريخ الاقتصادي – الاجتماعي. إن ارتباط اسم شعب ما بدلالات الشجاعة، ظاهرة نادرة[٢] .

لكن مكانة الشخصية (فرداً كانت أم شعباً أم أمة) لا تتجلى إلا من خلال وعي الذات مثلما نوه لينين، الذي سبق أن ميّز بين العبد والثوري على النحو التالي: العبد الذي لم يعِ عبوديته، ويقبع ساكناً وخانعاً، هو مجرد عبد؛ والعبد الذي يعي عبوديته ويبقى مستسلماً لها، مغتبطاً بحياته وبسيده الطيب فهو خاضع وقح؛ أما

(١)– أحمد محمود الخليل(الدكتور): الشخصية الكردية – مصدر سبق ذكره – ص٩٢.

(٢)– المصدر السابق – ص١٠٤.

العبد الذي يعي وضعه وينتفض ضده، فذلك هو الثوري[١]، وعلى هذا الأساس يمكن وصف الكرد بـالثوريين وعلـى مـدى قـرون. يضـاف الى ذلـك دور الاسـلام في احـداث قطيعة مع ماضي الكرد وطبعهم بقيمه الروحية والفكرية والثقافية العربيـة – البدويـة الجديدة، فتأصلت سلوكيات مستهجنة في الكردي الذي عـانى مـن الظلـم والاضـطهاد الطبقي، ومن القهر القومي لقرون، فمن الطبيعي أن تزرع فيـه سـيكولوجية الانسـان المقهور التي تناولها الدكتور مصطفى حجازي، ويمكن تناول الشخصية الكردية على هذا الصعيد من لدن أهل الاختصاص لارسـاء دعـائم علـم الاجتمـاع الكـردي. مـامن شك أن الشعور الديني والمذهبي، واستغلالهما مـن قبـل القوميـات السـائدة، أدى الى تأخر ظهور الوعي القـومي وتخـدير الكـرد أو تنـويمهم، ويمكـن أن نسـوق علـى هـذا الصعيد موقف سعيد النورسي من ثـورة ١٩٢٥، الـتي تزعمهـا الشـيخ سـعيد بـيران، على سبيل المثال لا الحصر. فقد وقـف النورسـي ضـد ثـورة الشـيخ سـعيد بـيران، وسعى الى ردع الذين كانوا يريدون الانضـمام الى الثـورة، تحـت ذريعـة: (لا يجـوز أن يسفك المسلم دم المسلم بأي شكل من الأشكال)، وهي كلمـة حـق يـراد بهـا باطـل، لأنها تساوي بين الجلاد والضحية في النهاية على أقل تقدير[٢]. زد على ذلك، الموضة التي شاعت، والتي تتلخص في وجود أمتين (الاسلام، والكفار)، وانطلاقاً من الانبهـار بالانتماء الى الاسلام، رأينا كيف تهافت الكثيرون من الكرد على الانتمـاء الى الأصـل العربي أو التركي أو الفارسي، انطلاقاً من مصالحهم الآنية جرّاء الـوهن الـذي أصـاب الهوية الكردية.

رابعـاً – مثلمـا درس ابـن خلـدون الشخصـية القبليـة العربيـة والبربريـة (الأمازيغية)، قـام شـرف خـان البدليسـي بالمثـل في تنـاول الخصـائص والمقومـات الاجتماعية والنفسـية للشخصـية القبليـة الكرديـة. والمتأمـل فيمـا توصـل اليـه ابـن خلدون وشرف خان البدليسي، سيلحظ تشابهاً فيما توصل اليه الاثنان، فـالقبلي في عرفهما يتصف بالشجاعة والكرم والغيرة والنخوة والاباء والأنفة من جهة، والتنافر أو التنازع والشقاق واللا اتفاق والتمرد وصعوبة الانقياد من جهة أخرى، وهذه المحاسن والمساوىء نتاج الظروف القبلية/ الاقطاعية. يضاف الى كل مـاذكر، يتسـم المجتمـع

---

(١)– المعجم الفلسفي المختصر – مصدر سبق ذكره – ص٢٧١.

(٢)– من مقدمة: ا. د. عبدالفتاح بوتاني لكتاب نذير جبو – ص١٣.

القبلي بالتعصب على أساس القرابة الحقيقية أو الوهمية، وفي ظله يسعى المتعصب الى نصرة عصبته في مواجهة الآخر، ظالماً كان أو مظلوماً[1]. وتحدث شرف خان البدليسي مطولاً عن الصراع (التنازع) بين القبائل، حيث يسلب القوي حقوق الضعيف وينهب أمواله دون رادع ويبسط سيطرته دون شفقة، وقد أدان البدليسي هذا التنازع. لذا يمكن اعتبار القبلية أيضاً مفتاح دراسة الشخصية الكردية، فهي لا تقل أهمية عن الجبل. بيد أننا يجب ألا ننسى الدور المزدوج (الايجابي والسلبي) للنزعة القبلية أيضاً، فمن جهة حافظت هذه النزعة على الهوية الكردية، ومن جهة أخرى كبحت نمو الوعي القومي.

صورة الكردي في مخيال الآخر:

تبدو هذه الصورة غير واضحة، كما لم تسلم من التشويه والتشويش والتزييف، سواء من قبل جيرانه أو في الغرب.

١- صورة الكردي اقليمياً: ساهمت الأنظمة الحاكمة في كل من العراق وسوريا وتركيا وايران في انتاج صورة مضلِّلة وتسويقها بلا شك، لعقود. لكن هذا لا يعني أن اللوحة كانت قاتمة على طول الخط، فقد استطاع الكثير من المتنورين العرب والترك والفرس التعرف على حقيقة الكردي، جراء الجيرة والتاريخ المشترك، وتأثروا بمحنته، وأيدوا مطالبه العادلة، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر، العربي شاكر خصباك، والتركي اسماعيل بيشكجي ... الخ.

٢- صورة الكردي عالمياً: كان للدول الاستعمارية والبعثات التبشيرية ولبعض الرحالة الغربيين دور مهم في الترويج للافتراءات ووصم الكردي بأبشع النعوت، بدءاً من وصفه بالتوحش والقسوة، إلى قذفه بكل نقيصة قد تخطر على بال. ولعل الشجاعة - التي هي سمة مميزة لسكان الجبال - تلك التي امتاز بها الكردي، كانت من وراء وصمه بالقسوة، علاوة على التخلف الناجم عن أنماط المعيشة من رعي وزراعة، التي لعبت دوراً في تسويق صورة نمطية أخرى عنه. ما من شك أن الصراع الاسطوري بين الأخوين هابيل (الراعي) وقابيل (الزارع) خير ارث يمكن أن نستشهد به على هذا الصعيد، يضاف إلى ما سبق الصراع الطبقي في المجتمع، والتعصب الديني والمذهبي، والتخلف بكل أشكاله، فقد فعلت كل هذه العوامل فعلها في تكوين

---

(١)- نجلاء علي: مصدر سبق ذكره - ص١٧٣.

تلك الصورة النمطية. لكن إلى جانب هؤلاء، هناك منصفون، مثل الرحالة الانكليزي ريج، والرحالة الفرنسي بندر، وسون ومينورسكي ونيكيتين وغيرهم كثر.

الجانب الايجابي في الشخصية الكردية :

من الطبيعي – وفق الوضع الموصوف آنفاً – أن تتصف شخصية الكردي بجملة من الخصائص التي مازالت تتغذى بالنزعة القبلية، والتي مازالت رواسبها باقية وبادية للعيان.

١– احترام العهود والثقة بالآخرين: وتوسم الصدق فيهم وفق نظرة (بايندر ١٨٨٧)، وهذه الغفلة[١] تساعد على ادراج الكردي بسهولة إلى فخاخ الآخرين، وفي هذا السياق وتساوقاً مع بساطة الكردي مازال بعض العرب يرددون عبارة: «عَمْ تسْتَكْرِدْني؟»، للتعبير عن هذه الحالة. كما يضيف (خالفين) بأن الكاتب الأرمني (آبوفيان)، الذي عاشر الكرد طويلاً، قد أكد جازماً بأن الكردي إذا ما حلف أو أقسم بكلمة الشرف، فانه يفضل الموت على أن ينقض الحلف[٢].

٢– سلوك الكردي: أما توماس بوا فيصف الكردي في عشرينات القرن العشرين بالمَرَح وكونه حاضر البديهة وعاطفي جداً، بينما أعرب مينورسكي بدوره عن قساوة الكرد الناجمة عن ظروفهم القاسية، رغم نبلهم وطيبتهم. ووصفهم (هَيْ) بأنهم من أشد الشعوب رجولة وفحولة، فالبكاء ليس من شيم الرجال في عرفهم، حتى لو فقدوا عزيزاً عليهم، وهذه الخصلة من بقايا الزردشتية على ما يبدو، التي حرمت البكاء على الموتى[٣]. أما العلامة (مار) فلمس هو الآخر الصلابة في مواقف الكرد، شبيهة بتلك الصلابة التي تميز صخور بلادهم. لكن، من يعاشر أو يخالط الكرد عن قرب سرعان ما يلاحظ روح المرح والتفكه لديهم، فهم يحبون المزاح، كما يقول (سون)، ويعشقون الفكاهة أو يتحلون بروح الدعابة على حد قول (هاملتون). بدوره يصفهم (نيكيتين) بأنهم من أمهر فرسان العالم، ومضى يفسر هذه الخصلة بطبيعة بلادهم التي ربما كانت من وراء تكريس تلك النزعة الرجولية لديهم، كما

---

(١)– نقيض اليقظة والحذر، ويُدعى الشخص المُغَفَّل باللغة الكردية Kawikî، والصفة مأخوذة من الحجل Kew الذي من السهل جره إلى الفخاخ، ويجر معه أبناء فصيلته.

(٢)– بدرخان السندي(الدكتور): المصدر السابق – ص١٦.

(٣)– المصدر السابق – ص٢٧.

وصفهم آبوفيان بفرسان الشرق. في الوقت نفسه يراهم (ماليبارد) من عشاق السلم، فهم لا يعاملون أسراهم بذات المعاملة القاسية، فضلاً عن أنهم يمجدون الحرية ويستميتون من أجلها على حد وصف (مينورسكي). وهم اجتماعيون، وعلى قدر كبير من التواضع وفق تعبير (ريج)، ويحترمون المقابل، خصوصاً كبار السن والنساء كما لاحظ كل من (نيكيتين وأدموندز)، بدليل استخدامهم عبارات لطيفة، مثل: (أز بني Ez benî، أز كوري Ez gorî).

٣- **الموقف من المرأة:** للمرأة مكانة مرموقة في المجتمع الكردي، والمرأة كما وصفها نيكيتين لا تعرف الحجاب ولا تخفي وجهها ولا تتوانى عن استقبال الضيوف في غياب الزوج، وإلى جانب ذلك فهي محتشمة وتحظى باحترام المجتمع مقارنة بالمجتمعات المجاورة للكرد، رغم أن المجتمع الكردي أيضاً مجتمع بطريركي (ذكوري/ أبوي)، وهذا الأمر - ربما - يمتد بجذوره الى الزرادشتية، التي كانت تحرم الطلاق وتدعو الى المساواة بين الرجل والمرأة. وتسنم المرأة لدفة الحكم ظاهرة مقبولة في عيون المجتمع الكردي أكثر مما في أغلب مجتمعات الشرق الأوسط[1]. فترى النساء يرتقين في المجتمع الكردي أعلى المناصب وحكمهن مألوف للغاية، وهذا ما لفت انتباه (مارتن فان برونسن)، الذي سبق أن أشاد بـ (**عادلة خانم**) زوجة عثمان باشا، زعيم بكزادة وقائمقام شهرزور في العهد العثماني، والتي تسنمت زعامة قبيلة الجاف وصعدت الى قمة الهرم الاجتماعي تدريجياً، وبعد وفاة زوجها عام ١٩٠٩، أصبحت سلطتها دون منازع حتى وافتها المنية عام ١٩٢٤. وحين التقى بها (سون) انبهر بشخصيتها القوية، وسماها (ادموندز) بملكة شهرزور غير المتوجة، ويكفيها فخراً أن حلبجة كانت تسبح في اللون الأخضر في عهدها لكثرة الحدائق، ناهيك عن الأسواق التجارية المتميزة.

أما أوليا جلبي فيذكر كيف أن السيدة **خانزاده سلطان** كانت تمتطي صهوة الحصان وتقاتل بالسيف وتغطي وجهها بخمار، وهي على رأس جيش تعداده بالآلاف. ويصف (ميجرسون) نساء الهماوند بأنهن أمهر النساء في استخدام البنادق وهن على صهوة الحصان. وكتبت صحيفة لندن المصورة عن **قره فاطمة خانم** (أي السيدة فاطمة خانم السوداء) التي تزعمت قبيلتها حين ألقي زوجها في السجن،

---

(١)- مارتن فان بروينسن: مجلة كولان العربي - العدد٣٦/ ٢٥ أيار ١٩٩٩ - ص٧٩.

فقادت المحاربين ضد الروس في العهد العثماني دفاعاً عن الاسلام، كما اشتهرت **بريخان خاتون** التي ترأست قبيلة رَمَان، حتى أصبح ابنها أمين في سن تمكن فيه من تولي الأمور، من هنا سر تسميته بأمينى أحمد والدارج أمينى بريخانى Emînê Perîxanê[١]. وكذلك السيدة **شمس خاتون** من قبيلة أومريان..الخ[٢].

أما الأميرة الفيلية **قدم خير**، الخنساء الكردية[٣] من عشائر اللور الصغرى، فقد ثارت في وجه رضا شاه بهلوي حينما أقدم الأخير على قتل أخيها غدراً، وراسلت الشيخ محمود الحفيد بهدف توحيد جهودهما، وعرضت عليه وضع إمكاناتها من الرجال والعتاد تحت تصرفه، بيد أن الشيخ الحفيد لم يلبِ دعوتها. أما رضا شاه فقد عرض عليها الزواج، لكنه تسلم منها رداً قاسياً ومهيناً، مما دفعه بتوجيه جيشه إلى اللور الصغرى بغية وأد الانتفاضة، فقاوم الفيليون بشجاعة نادرة في الدفاع عن أرضهم وعرضهم، لكن موازين القوى كانت تميل لصالح الشاه، نتيجة نقص العتاد وإمتناع العشائر المجاورة عن إمداد الانتفاضة بالمقاتلين، ناهيك عن مرسوم العفو العام الذي أصدره الشاه، مما أضعفت هذه العوامل مجتمعة الانتفاضة وأخمدتها. وأرسل الشاه رسالة أخرى إلى قائدة الانتفاضة مع نسخة من القرآن، مما دفع بالثوار إلى تسليم أنفسهم بمن فيهم الزعيمة، فنفذ حكم الاعدام في ١٧ قائداً، أما الأميرة فقد أودعت السجن، وظلت صامدة في زنزانتها دون أن تلتمس العفو من الشاه إلى أن فارقت الحياة والتحقت بركب الخالدين مرفوعة الجبين باباء[٤].

ويشهد التاريخ عفة المرأة الكردية التي تفضل الموت على الذل والهوان، فحين حوصرت قلعة (دِمْ دِمْ) عام ١٦٠٨ من قبل الصفويين، وتمكنوا من إحداث ثغرة في القلعة بعد جهد جهيد والتسلل إليها، رمت النساء الكرديات أنفسهن من فوق الأسوار لئلا يتمكن الأعداء من أسرهن واتخاذهن خليلات.

ويمضي (مارتن فان برونسن) في وصف الايزدية **ميان خاتون** التي شغلت مكان زوجها المير علي بك، الذي توفي عام ١٩١٣، واستمرت كوصية على حفيدها

---

(١)– له حضوره في أدبنا الشفاهي(هناك أغنية ملحمية عن أمينى بريخانى أو أمينى أحمد لاوى بريخانى).

(٢)– مجلة كولان العربي ـ العدد ٣٦ – ص٨١.

(٣)– تيمناً بخنساء العربية، التي ثأرت لأخيها صخر.

(٤)– صحيفة روناهي ـ العدد ٢٢٤.

تحسين بك، وظلت في الزعامة حتى وافتها المنية عام ١٩٥٧، والتي أبهرت بدورها برونسن بشجاعتها وحزمها، أما صديق الدملوجي فقال فيها: كانت مهابة الجانب. ويتناقل الناس شفاهاً أخبار **خنسة خانم** الخَلَجية (من عشيرة خَلَجا)، زوجة إبراهيم باشا الملّي، التي كان نفوذها يوازي نفوذ زوجها، فكانت تجلس في ديوانها الخاص وتستقبل الضيوف من علية القوم وعامتهم، وكذلك **فصلة خاتون** والدة موسى عنتر، التي قادت زعامة عشيرة (تَمِكا) أربعين سنة في كردستان تركيا، حتى وافاها الأجل عام ١٩٦٣. إن عادة جلوس المرأة الكردية على كرسي الزعامة، من التقاليد الجارية في العرف الكردي. إلى جانب ما ذكرناه، **هناك** المرأة الأديبة والفنانة، فقد شاركت **روشن بدرخان** زوجها في مسيرته الثقافية، ولها كتب عدة ومنها على سبيل المثال (صفحات من الأدب الكردي). وسحرت النجمة المتألقة في سماء الأغنية الكردية، ذات الصوت الشجي **مريم خان** الناس بأغانيها، أما الفنانة القديرة **عيشه شان** فقد تجرأت في التمرد على التقاليد البالية في مجتمعها، وأدت رسالتها الفنية على الوجه السليم.

وإن كانت النساء اللواتي تزعمن المناصب في قبائلهن أو اماراتهن قديماً كثيرات، فان التاريخ الحديث والمعاصر يسجل بدوره مكانة المرأة المناضلة والمقاتلة، التي غالباً ما تنتمي الى الطبقات الكردية أو الكردستانية الكادحة، ويمكن الإشارة على هذا الصعيد الى الآشورية **مارغريت جورج** التي انخرطت في صفوف البيشمركة منذ عام ١٩٦١ وساهمت في ثورة أيلول تحت زعامة مصطفى البارزاني، وعُرفت في الخارج بجان دارك كردستان [(١)]، لأنها اشتهرت بمثل ما اشتهرت به البطلة الفرنسية. كما ينبغي ألا يفكر المرء أن مصطفى البارزاني كان يعارض اندفاعها، وقد وضعت حكومة بغداد لرأسها ثمناً غالياً يعادل الثمن الذي وضعته لرأس الملا

(١)– جان دارك (١٤١٢– ١٤٣١): فتاة ريفية فرنسية، سمعت أصواتاً تناديها أثناء رعيها غنم أبيها تأمرها بالذهاب إلى ملك فرنسا شارل السابع، وتسأله أن يأمرها على جيش تحارب به الانكليز الغزاة وتحقق طردهم من الأرض الفرنسية. وبعد تردد سمح لها بذلك، فحققت انتصارات عجيبة. دبر لها الأعداء كميناً فقبضوا عليها وقدموها إلى محكمة دينية أرادت منها أن تعترف بأن الأصوات التي سمعتها من الشيطان لا من الرحمن، فأبت رغم التعذيب، فأحرقوها حية في مدينة روان الفرنسية/ المترجم: جرجيس فتح الله – هامش ص٩٣ من كتاب: كردستان أو الموت – للمؤلف: رينيه مورييس.

مصطفى البارزاني[1]، وكذلك الطالبة الجامعية **ليلى قاسم**[2]، التي أعدمت على يد النظام العراقي عام ١٩٧٤. حين زارتها أختها طلبت منها أن تحضر ثوبها الكردي في الزيارة القادمة، وحين استفسرت عن سر هذا الطلب ردت بكلمة مؤثرة: (أختاه، سأصبح بعد أيام عروسة، وستستقبلني أرض كردستان بالورود، وأريد أن تحتضني الأرض بكامل أناقتي)، وحين سألتها أمها عن وصيتها، ردت: أماه، أريد أن تلقبوني بعروسة كردستان، وعندما تستلمون جثتي، لا أريد منكم البكاء والعويل، بل اطلقوا حناجركم للحرية. أجل، لفّت بالعلم الكردي ودُفنت بمراسيم تليق بها. كانت ليلى تدرس علم الاجتماع في جامعة بغداد، وعملت في الصحافة وانتسبت عام ١٩٧٠ إلى الحزب الديمقراطي الكردستاني – العراق، وساهمت في المعترك السياسي رغم الارهاب الأمني. يُقال أن أجهزة الأمن ألقت القبض عليها في بغداد بتهمة ملفقة وباطلة، وتم تنفيذ الحكم عليها في ١٩٧٤/٥/١٣، ناهيك عن **مينا خانم** عقيلة الشهيد قاضي محمد، و **يشار خانم** عقيلة الجنرال احسان نوري باشا، والمناضلة **ليلى زانا** التي أدت اليمين الدستورية بلغتها الأم في البرلمان التركي، فضلاً عن المتطوعات في صفوف البيشمركة والمقاتلات في صفوف الكريلا و Y.P.J، اللواتي نلن اعجاب الناس وأبهرن المتتبعين والمراقبين عالمياً لاستبسالهن في مقاتلة (داعش) في كردستان سوريا، ولم يُخفِضنَ جناح الذّل لأحد، فالمقاتلة **جيلان أوزالب** (العمر١٩عام) فضلت الموت على الوقوع في الأسر، بعد أن خاضت حرباً شرسة ضد داعش، وحين وقعت في كمين ونفذت ذخيرتها، أقدمت على افراغ رصاصتها الأخيرة في رأسها، بعد أن ودّعت رفيقاتها بما ستقدم عليه عبر جهاز اللاسلكي. ورغم أن تنظيم داعش الإرهابي قد اقترف ما اقترف من الجرائم البشعة، وقام بفصل رأس عدد من المقاتلات الكرديات وعرضها في مدينة جرابلس، بهدف بث الرعب في صفوفهن، لكنهن ازددن تصميماً على مواجهة هذا التنظيم بكل عزم. وصرحت جيلان لمراسل بي. بي. سي ذات يوم واصفة مقاتلي داعش بأنهم: (يرتعدون خوفاً عندما يرون امرأة كردية تحمل بيدها بندقية، فهم يحاولون أن يقدموا أنفسهم للعالم بأنهم رجالاً أشداء، لكنهم عندما يلمحوننا، يُوّلون الأدبار).

---

(١)– رينيه مورييس: كردستان أو الموت – مصدر سابق – ص٩٢و٩٣.

(٢)– ولدت عام ١٩٥٢ في إحدى قرى خانقين.

وخاضت المرأة ميدان السياسة وشاركت الرجل في تحمل أعباء النضال، ومن أولئك على سبيل المثال لا الحصر **فاطمة تتر**، زوجة محمد علي خوجة، أحد مؤسسي أول تنظيم سياسي كردي في سوريا في ١٩٥٧/٦/١٤، مما دفع الشاعر جكرخوين الى أن يخصها بقصيدة لم تُنشر. تمكنت فاطمة من تهريب أعضاء قيادة الحزب المجتمعين في منزلها بحلب، أثناء مداهمة الأمن، وأعتقلت لاحقاً كأول امرأة كردية في سوريا بسبب نشاطها السياسي، بعد أن عثر الأمن أثناء حملة له على المكان الذي خبّأت فيه الآلة الكاتبة الخاصة بالحزب، والتي كانت قد نقلتها ليلاً عبر الأحراش لمسافة ٢٠ كم على ظهر حمار من عفرين الى قريتها وخبأتها في مغارة في بيت والدها[١].

الجانب السلبي في الشخصية الكردية:

إلى جانب كل ما أوردناه من الخصال الحميدة التي تميز الشخصية الكردية، ها هو ذا الدكتور أحمد الخليل يسجل عدة مآخذ على تلك الشخصية، ونحن بدورنا نقرّها ونعزوها إلى ظروف القهر السياسي والعبودية المفروضة منذ قرون، ناهيك عن الظروف الطبيعية، بما فيها المناخ والتضاريس، والظروف الاجتماعية و الاقتصادية، ومن ورائها الجهل والتخلف، منها مثلاً:

أ – الانمساخ: رغم أن نكران الذات سلوك إنساني رائع، يعني أول ما يعني التفاني من أجل الآخر، لكنه يعطي نتيجة سلبية وعكسية حين ينسى فيه الكردي نفسه ويفقد هويته أو يتنكر لها. فما يبعث المرارة في النفس، أن بعض مشاهير الكرد من أمثال (سليمان نظيف، ضياء كُوك ألب، محمد كرد علي، خالد بكداش، الدكتور محمد رمضان البوطي...الخ)، على سبيل المثال لا الحصر، لم يترددوا في التضحية بمصالح بني جلدهم في سبيل تحقيق مآرب شخصية. هذا النمط من أنماط نكران الذات السلبي، أعني الانسلاخ عن الهوية، وهو ما أطلق عليه الدكتور أحمد الخليل (الانمساخ)، لأنه يرى أن: (مرتبة الانسلاخ تمهيد لمرتبة الانمساخ، فالكردي الممسوخ يقطع صلاته بأصله الكردي، بل يتبرأ من الكرد ويقف ضدهم، ولا يتردد في محاربتهم)[٢]. ويذكر من المثقفين الممسوخين ضياء كُوك ألب (١٨٧٦–

---

(١)– مخطوط بحوزة(د. علي ميراني) بعنوان: محمد علي خوجة(١٩١٦– ١٩٦٥)/ حياته ونضاله.

(٢)– أحمد الخليل(الدكتور): الشخصية الكردية – مصدر سبق ذكره – ص٢٧٣.

١٩٢٤)[1]، المولود في آمد (ديار بكر)، وكان عالم اجتماع متميز، ومن شدة انمساخه هجر اسمه الأصلي (محمد زيا/ ضياء) واتخذ الاسم التركي (كُوك أو غوك ألب) وتنكر لأصله الكردي. وأضاف الخليل إلى هذه القائمة عصمت إينونو، الذي كان بمثابة اليد اليمنى لكمال (أتاتورك) في تنفيذ مشروع الصهر القومي ضد الكرد، ضف إلى ما قيل طه ياسين رمضان، نائب صدام حسين، ورؤساء العشائر الذين وقفوا في صف أنقرة وطهران وبغداد، في مواجهة حركة شعبهم التحررية، حتى سموا في كردستان العراق بالجاش. هذه الظاهرة هي التي دفعت قديماً هارباك إلى الارتماء في أحضان الفرس، ويزدان شير في أحضان العثمانيين، هؤلاء وغيرهم كثر في تاريخنا الحديث والمعاصر، ممن لعبوا ويلعبون دور (أبو رِغال) الذي لم يتوانَ عن ارشاد (أبرهة) القائد الحبشي الذي زحف بجيشه من اليمن عام ٥٧٠م وغزا مكة، عاصمة العرب الدينية والاقتصادية والسياسية آنئذٍ، والذي أضحى مضرب الأمثال في مسائل الخيانة. يجدر الذكر أن أمثال هؤلاء يختلقون في كل ظرف المظلة الايديولوجية المناسبة لسلوكهم المشين، فهم كهنة بارعون في التنظير وسدنة خبراء في التبرير، رغم سلوكهم الأهريماني الواضح وفق التعبير الزرادشتي.

ب – الروح الفردية – الانفعالية: فالانفعالية تنسف بوصلة الاهتداء والسيطرة على الذات، والروح الفردية تجسدت في سيطرة النزعة النرجسية المفرطة والانشغال بالصراعات الجانبية أو الهامشية، تلك التي تناولها جوناثان راندل في كتابه القيم «أمة في شقاق أو دروب كردستان كما عرفتها»، وتهديم الأمجاد والتطاول على الرموز الشامخة في تاريخنا عن سبق الاصرار والترصد، وهذه النزعة تتجسد في التشرنق في داخل الذهنية القَبَلية اجتماعياً، أما على الصعيد السياسي فتتجلى في: (تشرذم الحركات الكردية السياسية وفي عجزها عن الاتفاق على القواسم المشتركة، وعلى صياغة مشروع استراتيجي واحد)[2] .

---

(١)ـ (١٨٧٥ـ ١٩٢٣): كان منظر القومية التركية، جاء في كتابه(مبادىء التركية) عام ١٩٢٠ أن القومية تبنى بالتربية لا بالأصل العرقي، وهو كردي لكنه مستترك أو متقوْمناً تركياً وهو نجل توفيق أفندي، الذي كان يقطن آمد(دياربكر) وينحدر من عشائر الزازا، وكان من أقرب المقربين إلى مصطفى كمال باشا (راجع: محمد جمال باروت ـ التكون التاريخي الحديث للجزيرة السورية ـ مصدر سابق ـ ص٢٠٨).

(٢)– أحمد محمود الخليل: الشخصية الكردية – مصدر سبق ذكره – ص٢٦٥/ ٢٦٦.

ج – **سلامة الطوية:** في التعامل مع الآخر، وحسن الظن فيه إلى درجة السذاجة أحياناً، تلك الخصلة التي تجسدت في المثل العربي الدارج: «عَمْ تِسْتَكْردني؟ ».

د – **الصراحة الفاقعة:** فالكردي لا يجيد فن المناورة في مواجهة الخصم، خصوصاً في مجال السياسة، ناهيك عن الانفعال والحدة التي تنتابه وردود الأفعال السريعة والاقدام على المغامرة عند الغضب، وعدم قدرته على إخفاء ما يضمره، وتمسكه بالنبل في موقف قد لا يفيد فيه المداراة والمناورة في مواجهة الآخر المكيافيلي.

هـ – **نفور الشخصية الكردية من الدولة المركزية:** وحسب رأي الدكتور أحمد الخليل كان لثالوث (الجبل، الرَّعَوية، القَبَلية) دوراً مميزاً في نشأة هذه النزعة. ويركز جوناثان راندل في كتابه «أمة في شقاق» بدوره الى هذه الخصيصة السلبية، فاذا انضم زعيم احدى القبائل الى حركة التحرر الكردية، فان منافسه في القبيلة الأخرى سرعان ما يتخذ موقفاً مضاداً له. والتاريخ يخبرنا أن الدولة الكوتية كانت عبارة عن اتحاد قبلي هدفه الوقوف في وجه العدوان الأكدي، أما في العهد الحوري فكانت هناك ثمة دويلات متناحرة، وقد تستثنى دولة الفرع الميتاني التي كانت شبه مركزية دامت نحو قرن، وكذلك المملكة الميدية كانت دولة اتحادية، وثمة دولتان في التاريخ السياسي الكردي: (كان لهما طابع الدولة المركزية، هما الدولة الكاشية ١٥٩٥ أو١٥٣١– ١١٥٧ق.م، والدولة الأيوبية ١١٧١– ١٢٥٠م)[1]، ويعلل أحمد الخليل ذلك بعدم انتسابهما إلى الجغرافيا الكردية، لأن الدولة الكاشية قامت في بلاد بابل وأغلب رعاياها من البابليين، أما الدولة الأيوبية فنشأت في بلاد الشام ومصر واليمن وجزء من ليبيا، ومعظم رعاياها من غير الكرد.

و – **خصلة التشرذم والتناحر السياسي:** ما من شك أن السياسة علم وفن وممارسة على صعيد الواقع، فمن الطبيعي أن الذهنية الكردية لم تتمرن على ممارسة السياسة مما أصابها الوهن الذي طبع في الشخصية الكردية خصلة التشرذم والتناحر والتشظي هذه، والتاريخ يشهد على ما نقول، فقد تغلب الآشوريون على الكاشيين، والحثيون والآشوريون على الميتانيين، والفرس على الميديين، والسلاجقة على المروانيين، جراء التناحر والتشرذم السياسي، وانهارت الامارة البدرخانية

(١)– المصدر السابق – ص ١٥٩.

بسبب التناحر والتشرذم وتواطؤ يزدان شير، وهذا البلاء هو أحد أهم العوامل التي قضت على الثورات والانتفاضات الكردية قديماً وحديثاً، والتشرذم غير التنوع، لأن التنوع: (ضرورة ديمقراطية، ودليل عافية الذهنية السياسية، وهو ترمومتر تقاس به حيوية الفكر الساسي)[1].

ل – افتقار الكرد إلى مشروع سياسي شامل وموحد: وهذا دليل كما يقول أحمد الخليل على الذهنية السياسية الكردية التي تعاني من عيوب ثلاثة: الاضطراب على صعيد التنظير، والاغتراب عن الواقع على صعيد التطبيق، والتخبط على صعيد تمييز الممكن من المستحيل[2]. لذا، تجد غالباً ما تفشل برامج الأحزاب السياسية في تحديد الأولويات وترتيبها، وعدم التمييز بين ماهو تكتيكي وماهو استراتيجي، والعلاقة الجدلية بين العوامل الداخلية والخارجية، وهذا ينم عن التخبط في قراءة الواقع قراءة واقعية في ضوء الظروف والمستجدات المحلية والاقليمية والدولية، ألم يقل لينين: أن السياسة هي فن الممكن ؟. هذه الأسباب وأسباب أخرى زادت من الهوة بين النخب السياسية والجماهير، وقد عزا نيكيتين تخلف الكرد سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وفكرياً إلى عائق كبير تمثل وفق رأيه في البنيان العشائري والنزعة القبلية المتجذرة التي غدت وكأنها فطرية وليست مكتسبة.

أجرت (دير شبيغل) الألمانية مقابلة مع الروائي الكردي (يشار كمال) ذات مرة، وطرحت عليه هذا السؤال: لِمَ يتصف الكرد بالتخلف والعناد والنزعة الانفرادية والانفعال (الطبع الحاد والفوران المفاجئ)؟. أجاب: على مَنْ يود معرفة الجواب طرحَ المسألة في سياقها التاريخي، فالعلة تكمن هاهنا، حيث عاش الكرد في ظل العبودية لقرون، فمن الطبيعي والحالة هذه أن يكون الكردي المقهور متصفاً بسيكولوجية غير طبيعية.

أما المتعلمون الكرد اليوم، والشريحة المثقفة منهم على وجه الخصوص، ممن يؤمنون بمنظومات قيمية تختلف عن المنظومة القيمية القبلية، فقد أدركوا بأن المنظومة القيمية الموروثة أضحت وبالاُ اليوم أكثر من ذي قبل، وهي بمثابة قيد يبقي الكردي خارج العصر، مما يستوجب الأمر بالضرورة التخلي عنها، لأنها تهدر

---

(١)– المصدر السابق – ص١٦٦.

(٢)– المصدر السابق – ص١٦٧.

طاقات المجتمع في صراعات لا طائل من ورائها أولاً، وتحول دون تجديد وبروز وعي كردي معاصر ثانياً.

ي – ازدواجية الشخصية: وهذه الخصيصة السلبية متجسدة في سلوك الانسان بغض النظر عن انتمائه العرقي أو الديني أو المذهبي، كما يقول الدكتور علي الوردي، وتتفاوت درجة اتساعها أو شدتها، تبعاً للظروف الموضوعية التي ولدتها. والمقصود بازدواج الشخصية، التناقض بين القول والعمل، أي أن يسلك الانسان سلوكاً متناقضاً دون أن يشعر بهذا التناقض في سلوكه أو يعترف به، وهو ينشأ عن وقوع الانسان تحت تأثير نظامين متناقضين من القيم والمفاهيم الاجتماعية، فهو يتأثر بأحد النظامين تارة وبالآخر تارة أخرى[1]. وهناك ثمة عوامل عدة من وراء هذا التناقض، ومنها ما ذهب اليه عالم الاجتماع وليم اوكبران، من أن الجوانب المادية تتغير بتسارع أكبر من الجوانب المعنوية (العادات، التقاليد، الأعراف، السنن الاجتماعية..الخ)[2]. فضلاً عن عوامل أخرى، مثل ثنائية التراث والمعاصرة، البداوة الجبلية والحضارة، الجهل والعلم... الخ. وهكذا نجد أن الازدواجية هذه ليست ناجمة عن حالة مرضية كانفصام الشخصية مثلاً، التي يتصورها البعض.

---

(١)– علي الوردي(الدكتور): لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ١٩٦٩ – ص٣٠١.

(٢)– فؤاد قادر أحمد(الدكتور): د. علي الوردي/ دراسات سوسيو انثروبولوجية، تمهيدية لارساء دعائم علم اجتماع كردي – ط١عام ٢٠١٥ – مطبعة روزهلات/ هولير – ص٢٤.

الفصل السادس
الحياة الروحية في المجتمع الكردي

تمهيد:

بادىء ذي بدء هناك ثمة إلتباس لابد من توضيحه في هذا المجال، أعني ضرورة الفصل بين (الدين) و (الفكر الديني). لأن الدين – أيّ كان – عبارة عن مجموعة نصوص مقدسة ثابتة تاريخياً، وهو عبارة عن: (العلاقة بين الانسان والقوة العلوية – ما وراء الطبيعة – التي يؤمن بها الانسان ويشعر بنفسه خاضعاً لها. ويعبر الانسان عن هذه العلاقة بطرق عديدة، بما في ذلك الشعور بالثقة والخوف والاسطورة والخرافة والصلوات والطقوس وتطبيق القواعد الدينية في سلوكه في الحياة)[1]. في حين أن الفكر الديني عبارة عن: (الاجتهادات البشرية لفهم تلك النصوص وتأويلها واستخراج دلالتها. ومن الطبيعي أن تختلف الاجتهادات من عصر إلى عصر، بل ومن الطبيعي أن تختلف من بيئة – واقع اجتماعي تاريخي عرقي محدد – إلى بيئة في إطار بعينه، وأن تتعدد الاجتهادات بنفس القدر من مفكر إلى مفكر داخل البيئة المعينة)[2]. لذا قيل:"النظرية رمادية يا صديقي، ولكن شجرة الحياة دائمة الاخضرار". والخطاب الديني المعاصر، كثيراً ما يتلاعب مع النصوص الدينية وفق ايديولوجيات، تقوم على تجيير النص الديني لأهداف وتوجهات معينة أو إلباسه معنى جديداً، ومن هذا المنطلق يمكن مثلاً فهم ما قاله علي بن أبي طالب عن القرآن بأنه: "حَمّال أوجه".

١ـ الميثرائية:

قَدِمَتْ الشعوب الآرية من مناطق الأورال، واستقرت في الهضبة الايرانية بداية الألف الأول قبل الميلاد، عبر موجات متتالية، فسكن الفرس في جنوب الهضبة،

---

(١)– مهند حداد(الدكتور): مدخل الى العلوم الاجتماعية – دار مجدلاوي – ط١عمان١٩٩٢ – ص٢٩١– نقلا عن كتاب: أديان الانسان، لـ: هانس شوبس.

(٢)– نصر حامد أبو زيد(الدكتور): نقد الخطاب الديني – ط٢ عام١٩٩٤ – سينا للنشر – ص١٩٧.

شرقي منابع نهر كارون وقرب سواحل الخليج (العربي)، بينما استقر الميديون في شمال غربي الهضبة، من جنوب غربي بحر قزوين وحتى غربي بحيرة أورمية[١].
وكانت الشعوب الآرية تعبد قوى الطبيعة، كما كانت عبادة (الشمس/ ميثرا) شائعة، وتعددت آلهتهم أو أن عقائدهم كانت مبنية على أساس العبادة (الثنوية/ الايمان بإلهين) على أقل تقدير قبل الزرادشتية. وبانتقال الآريين من مرحلة التنقل إلى مرحلة الاستقرار ازدادت أهمية وقدسية الاله (أمزدا)، فسميت ديانتهم بـ (المَزْدية). كما كان الكهنة في المجتمع الميدي يُدْعَون (موغ)، نسبة إلى قبيلة «موغي Magoi»، والتي تحورت الى (مجوس) في العربية، وهي احدى القبائل (أو الطبقات) الميدية الست، ويبدو أنها تخصصت في الشأن الديني، مثلها مثل سِبْط (قبيلة) لاوى العبرانية، قبيلة النبي موسى أو قبيلة قريش، التي ينتمي إليها محمد بن عبدالله[٢]. وكان للمجوس امتياز الرئاسة الروحية في الدين المزديسني أو المزديّ، الذي سبق الزرادشتية[٣].

امتزج الميديون والكاردوخيون، من الأقوام الهندو – أوربية التي قدمت الى كردستان منذ الألف الأول قبل الميلاد، بأقوام جبال زاغروس التي كانت تقطن كردستان منذ فجر التاريخ، مثل: اللولو، الكوتي، السوبارتو، الكاساي، الخالدي، الميتاني، الهوري، النايري ... الخ، وجرّاء امتزاجها وانصهارها، ظهر المكون الكردي ذو الطابع الميدي – كما يقول محمد أمين زكي – وتأثر هذا المكون بالسومريين والأكاديين والآشوريين والعيلاميين وأثر فيهم. كان الميديون على العقيدة الميثرائية المرتبطة بالشمس والنار والنور، ومازال أحفادهم الكرد يقسمون بالشمس والنار والنور، ويعتقد أن هذا الأمر من بقايا التقاليد المثرائية الباقية حتى اليوم. من المفيد قوله أن المثرائية كانت سابقة للزرادشتية هذا من جهة، ومن جهة أخرى لابد

---

(١)– عُرفت في بعض المصادر ببحيرة المجوس، وسميت أخيراً بحيرة الرضائية تيمناً باسم الشاه رضا بهلوي. أما مصطلح آري في السنسكريتية، يعني النبيل أو السامي أو الشيء المقدس. ولايُخفى قدسية النار " آر" عند الكرد.

(٢)– أحمد محمود الخليل(الدكتور): تاريخ أسلاف الكرد – مصدر سبق ذكره – ص٢٨٨.

(٣)– فرست مرعي(الدكتور): المجوسية، الزرادشتية.. جدل التوحيد والتثنية – مجلة الحوار: سياسية، ثقافية، علمية، تصدر في اربيل، وهي غير مجلة الحوار التي تصدر في كردستان سوريا.

من الاشارة إلى أن الايزيدية بدورها تأثرت بالمثرائية وفيها بعض بقاياها، فـ (الأفعى المنقوشة على بوابة معبد لالش المقدس هي من ميراث الثقافة المثرائية تماماً. وتعني مثرا، الشمس، النور، العهد، الصداقة، الصدق، الرحمة، العطف. أما المهراب، فهو قبلة المعبد المثرائي، وأقتبست لفظة مهراب وتحولت في العربية إلى محراب[1].

فالكرد كانوا غير متحمسين قديماً لفرض عقائدهم على الآخرين عنوة، فمثلاً كانت الزرادشتية: (ديناً للأقوام الآرية، قائماً على السلم، وكانت العدائية فيها دفاعية وموجهة في الغالب إلى الشعوب الطورانية، باعتبار أن الطورانيين كانوا يشكلون تهديداً دائماً لبلاد الآريين ... والايزيدية خير دليل على أن ذهنية الكرد الدينية ليست معادية للآخرين. صحيح أن الايزدية دين مغلق، لكنها لا تحمل في طياتها مشروعاً توسعياً، ولا تربي أتباعها على غزو الآخرين، وإدخالهم في الايزدية عنوة)[2]، ومازالت هذه الخصال متجذرة في الكرد إلى يومنا هذا، فهم دعاة سلم وليسوا دعاة حرب إلا في الدفاع عن أنفسهم. يضاف إلى ذلك إنتفاء ظاهرة التعصب الديني أو المذهبي عند الكرد، وما نزعات التزمت التي قد تُرى هنا أو هناك، في هذا الظرف أو ذاك إلا نزعات دخيلة، وتعزى هذه الخصيصة إلى غياب ظاهرة تسيس الدين، ربما بسبب إفتقار الكرد إلى كيان سياسي. كل ما قيل يوحي إلى الأسباب التي جعلت المجتمع الكردي يتميز بتعدد الديانات والمذاهب.

٢- الزرادشتية:

من أقدم الديانات التي ظهرت في الشرق، وكانت بمثابة انقلاب على الديانات المتعددة الآلهة السائدة يومئذ، ومنها الميثرائية وكذلك العقائد الثنوية، مثل الدين (المزديسني أو المزديّ). ووصفت الزرادشتية في المصادر الاسلامية بالديانة المجوسية، وكلمة المجوس مستقاة أصلاً من (ماجي) نسبة إلى قبيلة ماجي التي كان منها كهنة النار كما أسلفنا، والمتخصصة في الشؤون الدينية. وأغلب الظن أن المجوس من أصول ميدية، وكانوا كهنة للديانة المزديّة، ثم تحولوا إلى الزرادشتية كي لا يخسروا مكانتهم الاجتماعية بعد أن أضحت الزرادشتية الدين الرسمي في الدولة

---

(١)- فلك الدين كاكائي: صحيفة صوت الأكراد - العدد/٤٥٧/ - تاريخ ١٥/ ١٢/ ٢٠١٢.

(٢)- أحمد محمود الخليل(الدكتور): الشخصية الكردية - مصدر سبق ذكره - ص١٥١.

الساسانية في عهد الملك أردشير الأول، وأصبحوا على هذا النحو السادة الروحيون للزرادشتية (وبثوا فيها الكثير من معتقداتهم وأفكارهم وطقوسهم القديمة)[١]. تُعْرَف هذه الديانة بالزرادشتية، تيمناً بنبيها ومؤسسها زرادشت (٦٦٠– ٥٨٣) ق.م، وهذا ما توصل اليه بشأن توقيت الولادة والوفاة الذي كثر فيه اللغط الانكليزي (ويست) وأيده الفرنسي (دارمستيتر) والأمريكي (جاكسون)[٢]، والرأي السائد أن زرادشت من أصل ميدي، ولد في مقاطعة (أتروباتين)، أي في أذربيجان الغربية بايران، وهي احدى مقاطعات ميديا الواقعة قرب بحيرة أورميا[٣].

دعا زرادشت إلى عبادة إله واحد هو (آهورامزدا)، ومازال (البارسيون) أتباع زرادشت في الهند (بومباي) يقولون أن دينهم دين توحيد. وتجمع المصادر التاريخية بالتأثر الواضح للأديان اللاحقة (اليهودية، المسيحية والاسلام) بالزرادشتية، مثل فكرة المخلص أو المنقذ (ساوشيان) في اليهودية والمسيح المنتظر في المسيحية والمهدي المنتظر في الاسلام، علاوة على الحساب في الدنيا الآخرة والصراط المستقيم، فمن رجحت كفة خيره في الميزان مثواه الفردوس ومن ثقلت كفة سيئاته كان مثواه الجحيم، وكذلك الصلوات الخمس التي تسبقها عملية الوضوء (غسل الوجه واليدين والقدمين)، وتقام الصلوات في الزرادشتية عند (الفجر، الظهيرة، العصر، المغرب، ومنتصف الليل). كما تختلف المصادر في تحديد الفترة التي عاش فيها بدقة، لكن الأرجح هي (٦٢٨– ٥٥١) ق.م، ومسقط رأسه في (راغس/ الري أو في سردشت) بميديا قرب بحيرة أورميا كما أسلفنا، و (بشر برسالته الدينية في موطنه وبين قومه مدة عشر سنوات، ولكنه لم يستطع استمالة الكثيرين إلى الدين الجديد، ولما يئس من قومه وعشيرته عزم على الهجرة من موطنه، فتوجه إلى مملكة خوارزم القريبة، فأحسن ملكها أفشتاسبا استقباله، ثم اعتنق الملك وزوجته الديانة الزرادشتية وعمل على نشرها في بلاده)[٤].

---

(١)– مجلة دبي الثقافية – الزرادشتيون حرّاس النار – العدد ٢٣– نيسان ٢٠٠٧.

(٢)– فرست مرعي (الدكتور): مجلة الحوار الصادرة في اربيل.

(٣)– المصدر السابق.

(٤)– مجلة دبي الثقافية – الزرادشتيون حرّاس النار – مصدر سبق ذكره.

الكتاب المقدس للزرادشتية يُدعى (أفيستا) ، تعني الأصل بالميدية القديمة، الذي دُوِّنَ بمداد من ذهب على جلود الثيران (أو جلود ١٢ ألف بقرة) في عهد الملك (كشتاسب) على نسختين، احتفظ الملك باحداها وأرسل الأخرى الى العاصمة الاخمينية (برسيبوليس/ اصطخر)، وعندما قضى الاسكندر المقدوني على الامبراطورية الاخمينية عام ٣٣٠ ق.م أحرق برسيبوليس، فالتهمت النيران أجزاء كبيرة من الآفيستا (بقي منها الربع أو الثلث)[1] وفي عهد الدولة البرثية الاشكانية، أمر الملك ولغاش الأول (٥١ – ٧٨)م بجمع أجزاء الآفستا المتفرقة المتبقية (المكتوبة منها والشفاهية في صدور رجال الدين المجوس) فأعيد كتابتها بالبهلوية، وفي عهد الملك أردشير الأول اتخذت الزرادشتية ديناً رسمياً للدولة وكتبت باللغة الساسانية، وحين جاء ابنه سابور الأول (٢٤١– ٢٧٢) م أمر بشرح نصوص الآفيستا وأضيفت لها نصوص أخرى، وسميت تلك الشروح والاضافات بـ (زند آفيستا/ شرح آفيستا)[2]، وتضم مجموعة النصوص المقدسة المتبقية من هذا الكتاب (١٧ ترنيمة تسمى كل واحدة منها الغاثا، اضافة إلى نصوص الطقوس الدينية اليسنا، وهي بمجموعها أحاديث شفوية نقلت عن زرادشت عبر الأجيال، وضمت إليها لاحقاً شروح اللاهوتيين الزرادشتيين، وخوفاً عليها من الضياع تم تدوينها خلال القرن التاسع الميلادي في الفترة الساسانية، أي بعد قرون من التداول الشفوي، وكتبت باللغة الفارسية الوسطى "البهلوية")[3]. قام الفرنسي (أنكيتيل ديوبيرون) بترجمتها عام١٧٧١م بعد عودته من الهند، حيث يعيش هناك (بارسيون) في ولاية (كودجيرات) منذ القرن (٧–١٠) م، حيث هاجر نحو ٢٥٠ ألفاً إلى الهند فراراً من الغزو العربي.

وجاء في رواية أخرى: بشر زرادشت الميدي بدينه بين أبناء قومه الميديين، لكن لم تلقَ دعوته استجابة تذكر من قبلهم في مقاطعة أورميا حيث مسقط رأسه، وتصدى الكهنة وعلية القوم له على اعتبار أن ما يتفوه به يُعدُّ شكلاً من أشكال الهرطقة، فاتجه شرقاً نحو بَلْخ في شمالي أفغانستان بأمر من (آهورامزد)[4]، ويقال

---

(١)– فرست مرعي(الدكتور): مجلة الحوار الصادرة في اربيل – مصدر سبق ذكره.

(٢)– المصدر السابق.

(٣)– الزرادشتيون حرّاس النار – مجلة دبي الثقافية – العدد٢٣ نيسان٢٠٠٧.

(٤)– آهورا: اسم إله آري، مَزْد: العاقل أو الحكيم.

أن العقيدة الزرادشتية لم تلقَ القبول في موطنه (ولم تكسب أتباعاً، مما أرغمه على الهرب والحصول على ملجأ عند وشتاسبا/ كشتاسب)[1]، ولاقت دعوته استجابة وقبولاً ورواجاً لدى الحاكم كشتاسب والد الملك الفارسي دارا الأول حاكم باكْتريا الذي تبنى هذا الدين، واتخذ الفرس من الزرادشتية ايديولوجية وديناً رسمياً لهم، خاصة في عهد الدولة الساسانية[2]. أطلق مؤرخو الاغريق على الـ (موغ) اسم (Magos) حسب طريقتهم في إضافة اللاحقة (s) بأسماء الأعلام، وشاعت صيغة (مجوس) في ثقافات شرقي المتوسط ومنها العربية، حتى أن المسلمين أطلقوا على زرادشت لقب (نبي المجوس)، رغم أن الزرادشتية كانت في جوهرها حركة اصلاح داخل المزدية وتطوير لها، وثمة شواهد على أن الزرادشتية سليلة المزدية، منها على سبيل المثال أن الاله الأكبر والأوحد (مَزْدا/ أمَزْدا)– كان دينه يسمّى (مَزْدا– يَسْنا) – احتفظ بمكانته في الزرادشتية باسم (أهورا مَزْدا)، أي إله النور والخير، والجديد الذي أضافه زرادشت في هذا المجال أنه اعتقد بوجود قوة خبيثة مهلكة سماها (آهريمن/ أنْكِرامايْنيُو) تنشر الشرور في العالم وتقف عقبة في طريق المشروع الأهورامزدي لتعميم الخير والنور في العالم، وهذا ما لم يكن له وجود في المزدية[3]، وقد تأثرت بها الديانات اللاحقة على هذا الصعيد أيضاً، حين اتخذت من الشيطان (ابليس) قوة لا يُستهان بها.

أصيبت الزرادشتية بأول نكسة جراء غزو الاسكندر المكدوني للمنطقة واحتلاله ميديا وفارس عام ٣٣١ ق.م، حيث أتلف القسم الأعظم من كتاب الزرادشتية المقدس (أفيستا) كما سبق ذكره، وهدم معابدها (بيوت النار)، وقتل مبشريها. أما النكسة التي تلتها فتتمثل بوصول جيوش المسلمين التي دمرت ما تبقى من معابدها وسفكت دماء أتباعها وأتلفت الكثير مما تبقى من كتابها المقدس. وقد أشار ابن خلدون الى الأوامر التي أصدرها عمر بن الخطاب على هذا الصعيد[4]. يقول الدكتور عبد الرحمن مزوري، أن عمر بن الخطاب أمر بطرحها وقال: (إن يكن

---

(١)– ايلينا دراشنكو: الزرادشتيون في ايران – ترجمة: د. خليل عبدالرحمن – ط١عام ٢٠٠٧ – ص٣٢.

(٢)– أحمد محمود الحليل(الدكتور): تاريخ أسلاف الكرد – مصدر سبق ذكره – ص٢٨٩.

(٣)– نوري إسماعيل: الديانة الزرادشتية – ص٣١.

(٤)– مقدمة ابن خلدون: منشورات دار الجيل/ بيروت – ص٤٢.

ما فيها هدى فقد هدانا الله بأهدى منها، وان يكن ضلالاً فقد كفانا الله، فطرحوهـا في الماء والنار)[١][٢].

ودخلت غالبية الزرادشـتيين الـدين الإسـلامي علـى مضـض، وفـرّ بعضـهم إلى (قوجرات) و (بومباي) في الهند وعـددهم يقـارب ١٤٠ ألفـاً ويـدعون بـ (البارسـيين)، على حين إنزوى البقية الباقية في مدينة (يزد) وجبالها في ايران حيث أقاموا معابـدهم في تلك المواقع الحصينة، وبذلك استطاعوا الحفاظ على ما تبقى من كتـابهم المقـدس الذي لا يزيد عن ربع حجم الأفيستا. جدير ذكره أن عمر أحـدث قطيعـة ثقافيـة بـين العرب والأمم الأخرى، ويستشهد المؤرخون بقوله ذات مرة: أيها النـاس، بلغـني أنـه ظهرت في أيديكم كتب، فلا يبقين أحد عنده كتـاب إلا أتـاني بـه، فـأرى فيـه رأيـي. فظنوا أنه يريد أن ينظر فيها ويقوّمها على أمر لا يكون فيه إختلاف؛ فآتوه بكتـبهم فأحرقها بالنار[٣].

تبشر الزرادشتية بعبادة إله الخير آهورا مزدا، وتتقـي أذى إلـه الشـر آهـريمن، وتتخذ من النار رمزاً مقدساً، وخصصت لها بيوتاً يشـرف عليهـا زرادشـتيون، حيـث يُحـافظ فيهـا علـى النـار المتقـدة أبـداً. وحاربـت الزرادشـتية كـلاً مـن المانويـة[٤] والمزدكية[٥].

ما يميز الزرادشتية حقاً هو الصراع بين الخير والشر، ويعد آهـورا مـزدا خـالق الخير، بينما آهريمن هو المسؤول عن الشر، ورغم هذه الثنوية، فان (أحمد بـن علـي القلقشندي) يذكر في كتابه «صبح الأعشى»، أن زرادشت كـان يـؤمن بوحدانيـة الله،

---

(١)– حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون – تحقيق: جوسـتاف فلوجـل – نيويـورك ١٩٦٤– ج١ ص٧٨/ ج٣ ص٩١– نقل المزوري ذلك ونشـره في: نـوروز والازدهـاك والكـرد/ دراسـة في الأسطورة والتاريخ – أربيل ٢٠١٣– أنظر الهامش ص١٣.

(٢)– راجع الوثيقة رقم ١٧/ رسالة الملك الساساني إلى الخليفة عمر بن الخطاب.

(٣)– شاكر نابلسي(الدكتور): لو لم يظهر الاسلام، ما حال العرب الآن ؟ – دار الآفـاق الجديـدة/ بـيروت – ط١عام ٢٠٠٣– نقلاً عن د. جواد علي.

(٤)– حركة اصلاحية من داخل الزرادشتية، سميت باسم مؤسسها ماني، الذي ادّعى النبـوة وبأنـه جـاء ليكمل ما جاء به زرادشت وبوذا والمسيح، صُلب في القرن الثالث الميلادي.

(٥)– وهي ايضاً حركة اصلاحية من داخل الزرادشتية، قام بها مزدك في القرن الخـامس المـيلادي، وهـي حركة شعبية طالبت بمشاعية الملكية، فحاربتها الطبقة الاستقراطية، ثم قتل مزدك.

وهذا ما ذهب إليه أيضاً حامد عبد القادر في كتابه «زرادشت الحكيم نبي قدامى الايرانيين»، حين قال: (إن من ينظر في العقيدة الزرادشتية الخاصة بالاله نظرة فاحصة دقيقة، يجد أن أبرز مظاهر الدعوة الزرادشتية تتجلى في دعوة الناس إلى أن يعبدوا إلهاً واحداً)[1]، لكن الدكتور خليل عبد الرحمن يرى أن الزرادشتية أصيبت بنوع من التغيير، لأنها لم تستطع مقاومة (بوليتيوس)، أي تعدد الآلهة التي تأصلت لدى الشعوب الآرية، وهذا ما جرَّ – على حد قوله – الزرادشتية إلى عالم تعدد الآلهة، بدلاً من (مونوتيوس)، أي الاله الواحد. لكنْ، يظل (آهورامزدا) أهم اله في البانثيون الزرادشتي، ويعتقد الباحثون أن الزرادشتية تأثرت بدورها بالميثرائية، احدى أقدم ديانات العالم التي ظهرت بين الآريين في مجال تقديس الشمس، ومازالت بقايا الميثرائية جلية في الايزيدية.

يتصدى الزرادشتي لقوى الشر من خلال الوصايا الزرادشتية التالية: الفكرة الخيّرة، الكلمة الطيبة، السلوك الحميد، أعني ثالوث قوامه: «الفكر الصالح، الكلام الطيب، العمل الصالح».

بعد مجيء الاسلام، لم تبقَ سوى قلة قليلة من الزرادشتيين في ايران لا تزيد عن (٥٠) ألفاً حالياً، تعيش في يزد[2] وطهران وأصفهان وكرمان وشيراز وخرمشهر والأهواز، والبقية هُجرت إلى الهند كما أسلفنا، و٥ آلاف في باكستان و٣ آلاف في كندا والولايات المتحدة وانكلترا ونحو ٢٠٠ شخص في استراليا و٥٠٠ في سريلانكا وجاليات صغيرة في عدن وهونغ كونغ وسنغافورة وشنغهاي وقوانجو (الصين) وحسب معطيات م. بويس بلغ عدد الزرادشتيين عام ١٩٧٦ نحو ١٢٩ ألفاً[3]. جدير ذكره الدستور الايراني الجديد بعد عام ١٩٧٩، اعترف بموجب المادة/١٩/ منه بالزرادشتيين واليهود كأقليات دينية[4]، لكن قسماً منهم هاجر أيضاً بعد ثورة الخميني جراء المضايقات التي يتعرض لها أنصار هذه الديانة القديمة. هناك معبد زرادشتي مازالت آثاره باقية في منطقة (تخت سليمان) شرق بحيرة أورمية، ومازال

(١)– ايلينا دراشنكو: الزرادشتيون في ايران – من مقدمة المترجم د. خليل عبد الرحمن – ص١١.

(٢)– عاصمة الزرادشتيين في ايران.

(٣)– ايلينا دراشنكو: الزرادشتيون في ايران – مصدر سبق ذكره – ص٢٥و٢٦.

(٤)– المصدر السابق – ص١٧٩.

الزردشتيون يزورونه: (ويحيون ذكرى ميلاد زرادشت في ٢٦ آذار من كل عام، أي خمسة أيام بعد عيد نوروز)[١]. والروح خالدة وفق العقيدة الزرادشتية، وتشعر بالألم والسرور بعد ثلاثة أيام من مفارقتها للجسم، ثم عليها أن تجتاز جسر (جينويت) كي تحاكم، وهو بمثابة ميزان. وعلى الروح أن تجتاز جسراً آخر بين جبل البُرُز ونهر آراس، فاذا كانت الروح خيرة يتسع الجسر لها وتدخل (الجنة/ بهِشت)، أما اذا كانت شريرة فيضيق الجسر، وتضطرب الروح وتسقط في الظلمات (جهنم) Pira limêjê di ola islamê de، وهناك منزلة ثالثة بين الجنة والنار، تبقى فيها الروح منتظرة، حين تتساوى أعمالها الخيرة والسيئة.

ويذهب محمد أمين زكي إلى القول بأن زرادشت كان يتكلم اللغة الميدية، وولد في شمالي ميديا، أي في مقاطعة مكري، وأن لغة زرادشت، كما نراها في زند – افستا، قريبة جداً من اللهجة المكرية الحالية، وبالتالي لغة الأبستاق لزرادشت هي اللغة الكردية الآن والميدية سابقاً.

يضاف إلى ماسبق، الزرادشتية تحرم الطلاق وتدعو إلى مساواة المرأة بالرجل. أغلب الباحثين والمؤرخين والكردولوجيين يعتقدون بأن معظم الكرد كانوا في يوم ما، قبل الاسلام، على دين زرادشت.

يتهم الآخرون الزرادشتيين بالثنوية تارة وبعبدة النار تارة أخرى، وهو زعم باطل، الغاية منه إما التشويه المتعمد أو التحريف الذي أصاب الزرادشتية في العصور اللاحقة خصوصاً بعد ان أضحت الزرادشتية ايديولوجية رسمية في بلاد فارس. فللنار مكانة متميزة في العقيدة الزرادشتية، فمنها يستمد الناس الضوء والدفء، وبواسطتها كانوا يطهون طعامهم، وحين جاء زرادشت أضفى عليها – للأسباب المذكورة – مقاماً مقدساً، لكنه اعتبر نور القلب هو الأهم. وبغية الحفاظ على النار بعد اكتشافها متقدة، جرّاء الحاجة أو الضرورة، أخذوا يمدونها بالوقود، وخوفاً من أن تطفئها الرياح والأمطار: (بنوا لها غرفاً وأمكنة خاصة لها، وهكذا ولدت المعابد)[٢]. إن هذه الطقوس التي كان الكهنة المجوس يقومون بها بغية الحفاظ الحفاظ على النار متقدة خالدة، كونها أحد العناصر الأربعة (الماء والهواء والتراب

---

(١)– فلك الدين كاكائي: صحيفة صوت الأكراد – العدد/٤٥٧/ – تاريخ ٢٠١٢/١٢/١٥.

(٢)– مجلة دبي الثقافية: الزرادشتيون حرّاس النار – العدد٢٣/ نيسان٢٠٠٧.

والنار) ورمز النقاء والطهارة ومبعث الضياء، لا تعني أنهم من عبدة النار كما هو شائع. لقد صاغ زرادشت حكمة وفلسفة وعقائد تلك الأقوام التي استقرت في جبال زاغروس ومحيطها، قادمة من سهوب أوراسيا (أوربا+ آسيا) منذ أواسط الألف الثاني قبل الميلاد، والتي انصهرت مع موجات الآريين القادمين من أوربا في أوائل الألف الأول قبل الميلاد.

وصف أفلاطون زرادشت بأعظم الحكماء، أما فيثاغورث فأقر بتأثير الزرادشتية على الاسكندر المقدوني ومعلمه أرسطو وعلى الفكر والفلاسفة الاغريق، خصوصاً بعد سيطرة الاسكندر على المنطقة[١].

٣- الايزيدية (الايزدية)[٢]:

ديانة كردية موغلة في القدم، أتهم الايزديون ظلماً بأنهم من عبدة "الشيطان"، لكن اللاهوت الايزيدي يناقض هذه التهمة، لأن (طاووس ملك) انبثق من الذات الإلهية وله قدرة على البشر، وهو أبدي. أما الشيطان فهو مخلوق من النار ومطرود من رحمة الله وعدو للبشر ويضللهم وفق الميثولوجيا، ومصيره الفناء. ويعتقد معظم المختصين في شؤون الأديان أنها أقدم من الزرادشتية، لكن هذا لا يعني عدم تأثرها تاريخياً بالميثرائية بداية والزرادشتية والبوذية والمانوية واليهودية والمسيحية والإسلام فيما بعد، ويذهب توفيق وهبي الى أبعد من ذلك حين يقول في كتابه «الايزيدية بقايا الميثرائية»: الايزيدية ورثة جزء كبير من المعتقدات والطقوس الميثرائية. وهي (تحمل إرث الديانات الشمسية الطبيعية العريقة، ومنها الديانة المثرائية)[٣].

باختصار القول، الايزيدية بقية ديانة شرقية (كردية تحديداً)، يكتنفها المزيد من الغموض جرّاء انغلاقها وعزلتها من جهة، وجرّاء الحصار المفروض على أتباعها ومحاربتها واصدار فرمانات (القتل، الابادة) في حق أتباعها، خصوصاً من قبل

---

(١)- سراج حسن: صحيفة روناهي - العدد ٢٩٠- في ٢٠١٦/٥/٤.

(٢)- راجع الخريطة ٨.

(٣)- حسو هورمي: محاضرات في الشأن الايزيدي ـ من مطبوعات المديرية العامة لشؤون الايزيدية في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في حكومة اقليم كردستان ـ ط١عام ٢٠١٣ اربيل ـ سلسلة رقم ١٢ـ ص٨٦.

المسلمين في شتى العهود (في العهد العثماني على وجه الخصوص ولاحقاً "داعش") من جهة أخرى، فاضطّرت الاعتماد على التراث الشفاهي في نشر مبادئها بين اتباعها، رغم تداول كتابَيْها المقدسين «جلوة» و «المصحف الأسود» في الآونة الأخيرة بين أتباع هذه الديانة.

يُقرُّ (ب. ليرخ) وعدد من الكردولوجيين، وكذلك شرف خان البدليسي، بأن كل الايزيديين هم كُرد أقحاح لا شك في هويتهم، وحقيقة لم يثبت حتى الآن وجود ايزيديين غير كرد، ناهيك عن آخرين من أمثال الدكتور أديب معوض، الذي أدلى هو الآخر بدلوه في هذا الصدد، قائلاً: (ليس من شك في أن الايزيديين يمتّون بعرقهم إلى العنصر الكردي)، وكذلك (مارك سايكس) الذي قطع الشك باليقين في قوله: (لا شك أن هؤلاء الايزيدية أكراد أقحاح). وكتب (لاقاري نايو) الباحث الأثري والخبير باللغات القديمة (السومرية، البابلية، الآشورية)، بأن تاريخ الايزيدية: (يرجع إلى الألف الثالث قبل الميلاد، وهم من بقايا أقدم ديانة كردية من منطقة الحضارات في الشرق)[1].

لكنْ أغلب المصادر تستبعد أن تكون الايزيدية من بقايا الزرادشتية، بخلاف جلادت بدرخان والرحالة لايارد، لا بل وتؤكد بأنها أقدم من الأخيرة، رغم تشابهما. فالزرادشتية تقول – كما أسلفنا – بوجود إلهين (آهورامزدا/ للخير) و (أهريمان/ للشر)، إلا أن زرادشت كان يؤمن بأن الخير سيحقق النصر على الشر في النهاية، خلافاً للايزيدية التي تعتقد: (بأن الخير والشر كلاهما يكمنان في ذات الله، وما على الانسان إلا الاستجابة لنداء الضمير الأخلاقي للأنا المثلى كي ينشد للخير ويبصق في وجه الشر)[2].

ما من شك أن التاريخ جنى على الايزيدية حين صنفها المؤرخون كاحدى الفرق الصوفية الاسلامية، ومن هؤلاء عباس العزاوي الذي أورد في كتابه: (تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم)، زاعماً بأن الايزيديين هم مسلمون وينسبون إلى يزيد بن معاوية. في الوقت نفسه نفى باحثون آخرون أن تكون الايزيدية فرقة اسلامية،

---

(١)– نشر الباحث دراسة بالألمانية عن الايزيدية وقدمها إلى الجهات الألمانية المسؤولة عام ١٩٩٢ – ملاحظة: الكلام منقول عن دراسات في ميثولوجيا الديانة الايزيدية – هوشنك بروكا.

(٢)– هوشنك بروكا: دراسات في ميثولوجيا الديانة الايزدية – ص٤٥.

وسموهم بالداسـنيين، نسـبة إلى جبـل داسـن، ونسـبهم الـبعض إلى (يـزد) نسـبة إلى منطقة في ايران، كما أن الـبعض يسـمون الايزيديـة بالطريقـة العدويـة، ومـنهم أحمـد تيمور، الذي زعم بأن اسم الطائفة الايزيدية: (لم يكـن موجـوداً قبـل القـرن السـادس الهجري، إلى أن جاء الشيخ عدي بن مسافر، بين ٥٥٥ – ٥٥٧ هـ أو١١٦٠م، وأسـس طريقة خاصة به سميت بالطريقة العدوية)[١].

وسـبق أن علـل القـس سـليمان الصـائغ في كتابـه «تـاريخ الموصـل» سـبب تسميتهم بالايزيديين، موضحاً أن الكلمة مشتقة من كلمة (يزد أو يزدان) أي (الله) في الكردية وكذلك في الفارسية وهذا هو الأرجح، فالعلاقة التي يدعيها بعض المؤلفين بين اسمهم وبين يزيد السلمي أو يزيد بن معاوية الأموي، بعيدة كل البعد عن العقل[٢].

تعتقد الايزيدية بوحدانية الله، وتقديس رئيس الملائكـة (تـاؤوس ملـك Tawisê Melek)، وتؤمن باليوم الآخر، وهي ديانة غير تبشيرية. كمـا أفـاد جـلادت بـدرخان بأن كلمة الايزيدية مشتقة من كلمة (يزدان/ خودا Xweda) الكردية والـتي تعـني الله، وأن الايزيديين أهل كتاب، ومن كتبهم المقدسة والمنشورة في الآونة الأخيرة بالكردية (المصـحف الأسـود) و (جلـوة)، الأول للشـيخ (عـدي/ آدي)، يتنـاول مسـألة خلـق العالم، أما الثاني فيضم مجموعة من الأدعية.

هناك تشابه بين الميثولوجيا الايزيدية المتمثلة في (طاووس ملك) و (يسوع) في المسيحية، وكما جاء في الانجيل بأن المسيح هو ابن الله، فإن الايزدية بـدورها تعتقـد أن: (طاووس ملك منبلج من ذات الله، بل هو نوره)[٣]. وتعتقد الايزيدية بأن الله الذي خلق طاووس ملك من نـوره، نصـبه رئيسـاً للمجمـع الملائكـي (جبرائيـل وميكائيـل ورافائيل وعزرائيل ودردائيل واسرافيل وشمكيل)، وخوّله بادارة شؤون الكون: (وقد غضب عليه فيما بعد، وطرده من الجنة، لأنـه رفـض السـجود لآدم الـذي خلقـه مـن التراب)[٤]. ونرى أن هذا القول بدوره يتقاطع مع الميثولوجيا الاسلامية التي تتنـاول مسألة طرد آدم من الجنة. لكن تقديس الايزيدية لطاووس ملك (الشيطان)، يأتي من باب اتقاء شره وخوفاً من نقمته، لا طمعاً في مثوبته.

---

(١)– هوشنك بروكا – المصدر السابق – ص١٦.

(٢)– محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان – الجزء الأول – مصدر سبق ذكره – ص٢٩٣.

(٣)– هوشنك بروكا – المصدر السابق – ص٤٣.

(٤)– فارس عثمان: زرادشت والديانة الزرادشتية – دمشق/ بيروت – ص١٩٣– ١٩٤.

أما الهيكل الهرمي لتقسيم المجتمع في الدين الايزيدي إلى طبقات، فهو على النحو التالي:

١- مير (الأمير): حامل شجرة النسب من الآباء، فهو يمثل الشيخ آدي في الدنيا، وسلطته دينية ودنيوية، لذا فإن طاعته واجبة وأوامره مطلقة، وهو المرجع الأعلى، وهو الذي يعين بابا شيخ لينوب عنه في الأمور الدينية[١]، ومستشاروه (Pismîr) و (Pêş Îmam)، وهو رئيس الأئمة، وينحدر من نسل الشيخ حسن شمس الدين، ومن وظائف نسله عقد النكاح والامامة عند صلاة ليلة القدر في مرقد الشيخ آدي وحفظ الكتب الدينية.

٢- بابا شيخ: هو أساس الشرع ومرجع الايزيديين الديني، وهو من نسل الشيخ فخرالدين، وعليه أن يكون قليل الاختلاط مع الناس وأن يصوم مربعانية الصيف والشتاء، ويحتفظ بسجادة الشيخ آدي، يتبرك بها الايزيديون في الأعياد، يرتدي ثياباً بيضاء وحزام من الصوف الأسود[٢].

٣- بير_Pîr: يشرف على أمور الصوم وارشاد الناس في الأمور التي تخص الدين.

٤- فقير: أو الناسك، يرتدي ألبسة خاصة، وظيفته تبليغ أوامر المير، وتدريب البنين والبنات على قرع الدفوف والرقص وخدمة معبد الشيخ آدي.

٥- قوّال: وظيفته ترتيل الأناشيد الدينية، ومدح الاله والملائكة، ونقل الطاووس من مكان لآخر لتأدية الصلاة والعبادة، وترتيل الأدعية عند دفن الموتى.

٧- كوجك: وظيفته تكفين الموتى وتلقينهم، يرتدي اللباس البيضاء ونطاقاً صوفياً أسود أو أحمر.

٨- المريدون: عامة الايزيديين، يتم التزاوج بينهم دون الآخرين.

وفق المعتقدات الايزيدية، حلَّ جزء من الله في الـ (مير/ الأمير)، لذا فهو يتحكم بالسلطتين الدينية والدنيوية لأبناء هذه الديانة، ويتمتع وفق الاعتقاد السائد بالعناية الالهية، كما يتصرف بـ (لالش)، المركز الديني الرئيسي للديانة، وهو موجود في محافظة دهوك بكردستان العراق، وبعض المؤرخين يزعمون أن لالش كان عبارة عن

---

(١)- عبدال جمعة ئاكرَيي: مجلة كولان العربي - العدد٢٠/٢٥ كانون الثاني ١٩٩٨- ص٧٤و٧٥.

(٢)- المصدر السابق - ص٧٥.

دير قبل قدوم الشيخ آدي الهكاري، لكن جورج حبيب ينفي هذا القول جملة وتفصيلاً، ويقول: تاريخ لالش أقدم من التواجد المسيحي في المنطقة، وكانت لالش مركزاً مقدساً لأتباع الميثرائية[1].

باختصار، يعد (بابا شيخ) مستشار المير في الشؤون الدينية، أما (فقير) فعبارة عن ناسك، و (قوّال) عبارة عن منشد للتراتيل الدينية، أما وظيفة الـ (كوجك) فهي غسل الموتى وتكفينهم ودفنهم، وتتكون طبقة المريدين من عامة الناس كما سبق ذكره.

تعتقد الايزيدية بتناسخ الأرواح (مبدأ التقمص)، ومن الطقوس السائدة: التعميد والختان، ومن عباداتها الصلاة (يسجدون للشمس عند شروقها وعند غروبها)، والحج في لالش والصوم (٨٠ يوماً للخاصة و٣ أيام للعامة). أما المحرمات فهي: اللعنة، لبس اللون الأزرق، والبصق على الأرض، أكل الخس والملفوف ولحم الخنزير والسمك والغزال، والغياب عن المنزل أكثر من سنة، والزواج في نيسان، ودخول المساجد، وعدم التزاوج بينهم وبين الآخرين. أما التقويم الايزيدي فيعد بداية السنة الجديدة يوم (أول أربعاء) من شهر نيسان الشرقي، وهو عيد رأس السنة (وهو متأخر ١٣ يوماً عن شهر نيسان الميلادي)[2]. ويقدس الايزيديون (الملك طاووس)، وكلمة (طاووس) مثلما جاء في خلاصة تاريخ الكرد وكردستان كانت في الأصل: (يونانية، محرفة من كلمة ثئيوس، بمعنى الله، أخذها المسيحيون من اليونان واستعملوها في الكتب والصلوات بمعنى الاله، ثم تطورت حتى أصبحت مرادفة للفظ الله، وبعد ذلك أخذها منهم الايزيديون)[3].

عاش الايزيديون حياة الحضر، فكانوا يعملون في البستنة في المناطق الجنوبية، ومارسوا في المناطق الشمالية تربية المواشي. بقي أن نضيف بأن عوائل ايزدية تأسلمت في العصر الحديث، مثل عائلة (مصطفى باشا الميراني) في كردستان سوريا، التي تنتسب إلى عشيرة (دَنا) الايزيدية. يضاف الى ذلك، أن مناطق شيخان وعين سفني المشمولة بالتعريب، رُحِّلَ الكرد المسلمون منها، وسمحوا للمسيحيين

---

(١)– بير خضر سليمان: نقلاً عن كتاب لـ: حسو هورمي/ ص١٦.

(٢)– بير خدر سليمان: تقاليد القرية الايزيدية – ترجمة: عيدو بابا شيخ – ط١/ بيروت ١٩٩٨ – ص٩.

(٣)– محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان – الجزء الأول – ص٢٩٦.

والايزيديين بالبقاء، شرط القول بأنهم من أصول عربية، من هنا يقول جيرارد جالياند، حين سألنا الوزير العراقي عن السبب في عدم شمول الايزيديين بمنطقة الحكم الذاتي، أجاب: (هم عرب أمويون)[1]..!.

من أبرز مناطق انتشار الايزيديين اليوم (كردستان وارمينيا وأذربيجان والمانيا):

– ولايات آمد (ديار بكر) (كانت منطقة سنجار تابعة ادارياً لديار بكر في العهد العثماني، وكان الايزيديون يتمتعون بادارة ذاتية)[2]، ماردين، عينتاب، بعض قرى جبال طوروس.

– قرب الحدود الشمالية الشرقية لتركيا: قارس، بايزيد، باطوم، حول تفليس، وفي بعض مناطق القفقاس.

– منطقة عفرين وجبل ليلون (سمعان).. نلاحظ تحصنهم بالجبال المنيعة لحماية النفس، وهناك ما يزيد عن ٢٠ قرية ايزيدية في حوض نهر عفرين[3].

– منطقة الجزيرة في كردستان سوريا (قرى تربه سبي، عامودا، رأس العين، الحسكة). القرى التابعة لتربه سبي كانت من أملاك آل حاجو قبل الاستيلاء عليها، هي: تل خاتونك، أوتلجه، مزكَفت، آله رَشا، دريجيك. أما بقية القرى في منطقة الجزيرة، فهي: طولكو، بَرزان، سليمانية، تل طَويل، خربه ديلان، جدالة، معك، بور سعيد، كَرَنكو، قزله جوخ، مَرْكَب، خربى فَقيرا، طر عشك، خربى خُويى، كَرى رَش، خربة الجمل...الخ. يضاف إلى ذلك كانت هناك قرى ايزدية تحيط بـ (كُولا سموقْيا أو بحيرة الخاتونية) التي ترد بكثرة في الملاحم الغنائية الكردية. عدد القرى الايزيدية عام ١٩٤٥ فوق ٣٠ قرية في الجزيرة[4].

– يأتي قضاء سنجار[5] في مقدمة مناطق العراق تجمعاً للايزدية، حيث يتوزعون على: (ناحيتي الشمال وتضم أكثر من ٣١.٤٪، وفي مركز سنجار حيث

---

(١)– جيرارد جالياند: شعب بدون وطن – مصدر سبق ذكره – ص٢٧٦.

(٢)– جليلى جليل: من تاريخ الامارات الكردية في الامبراطورية العثمانية – مصدر سبق ذكره – ص٢٩.

(٣)– أديب معوض(الدكتور) ـ مصدر سابق ـ ص٦٣.

(٤)ـ المصدر السابق والصفحة نفسها.

(٥)– الأصح Şengal المركبة من من كلمتي Şeng أي الجميل و Al أي الطرف أو الجانب، لذا فان

يعـيش ٢٧.٤٪، ويضـم قضـاء تلكيـف ١٣٪، فيمـا تجـاوزت نسـبتهم ٩٪ في زاخـو وسيميل التابعتان لدهوك، ونحو ذلك في شـيخان، أمـا ناحيـة بعشـيقة فيعـيش فيهـا أكثـر مـن ٦٪ مـن مجمـوعهم في العـراق)[١] ، معبـدهم المقـدس والوحيـد (لالـش) في شيخان.

– يقدر عدد الايزديين بـمليون ايزيدي (٧٠٠ ألف في كردستان العراق)[٢] ونحـو ٧٠ ألفاً في كردستان سوريا، لكن قل عددهم لأسباب منها: الانتقـال الى الإسـلام دون ارادتهم (غصباً) كما بينا من ذي قبل أو لدوافع أخرى، والهجرة الاضطرارية الى أوربا (ألمانيـا خصوصـاً) في الآونـة الأخـيرة، ونتيجـة تعرضـهم علـى مـر التـاريخ إلى (٧٢ فرماناً)[٣]، وآخر هذه الفرمانـات، هـو الفرمـان الـذي شـنه تنظـيم الدولـة الاسـلامية "داعش" عليهم في شنكال.

٤– اليهودية:

تأثرت اليهودية بالزرادشتية جراء الاتصال المباشر إبان الأسر البابلي، سـيما إذا علمنا أن أسفار التوراة كتبت وجمعت في الأسر البابلي، إبان إنتشار الزرادشـتية، كما تأثرت بالاله الزرادشتي آهورامزدا، واستمد النبي أشعيا بعض صفات آهـورامزدا وأسقطها على الاله اليهودي (يهوى)، واقتبست من الزرادشتية فكرة الجنة والجحـيم، فالديانة اليهودية كانت تهتم بالأعمال ولا تهتم بالايمان، وكانـت في جوهرهـا يومـذاك أسلوب حياة لا عقيدة، وكان في اعتقـاد اليهـود أن الثـواب والعقـاب يتمـان في الحيـاة الدنيا، لكن في الأسر، وبعد الاطلاع على الزرادشتية، اقتبس اليهود منها فكرة البعـث والخلود[٤].

كلمة Şengal تعني الطرف الجميل أو الجانب الجميل، وكذلك تعـني كلمـة Al الأحمـر أو الملـوّن أو الزاهي أيضاً، لذا تعني الكلمة الأحمر الجميل أو الملوّن الجميل(أنظر: رحلة أوليا جلبي في كردسـتان عام ١٦٥٥ – ط١عام ٢٠٠٨ – مطبعة خانى/ دهوك – ترجمـة: رشـيد فنـدي – الهـامش ص٨٣ مـن اضافة رشيد فندي). وAl تعني في الكردية العَلَم أو البيرق، لذا يمكن ترجمة الكلمة على النحو التالي: العَلَم الجميل.

(١)– خليل اسماعيل محمد(الدكتور): اقليم كردستان العراق – دراسات في التكـوين القـومي للسـكان – اربيل ١٩٩٨ – ص٦٧.

(٢)– حسو هورمي: محاضرات في الشأن الايزيدي ـ مصدر سابق ـ ص٤٩ و٨٧.

(٣)– المصدر السابق والصفحة نفسها.

(٤)– سراج حسن: صحيفة روناهي – العدد ٢٩٠– في ٢٠١٦/٥/٤.

مامن شك أن اليهودية، مثلها مثل بقية الأديان، دخلت كردستان وانتشرت فيها، فيذكر الدكتور فرست مرعي أن امارة (اديابين) أو حدياب، كانت تضم مناطق في شمال بلاد مابين الرافدين بعاصمتها اربيل، اعتنقت عائلتها المالكة اليهودية في القرن الأول الميلادي(١)، وكان لهذه الامارة دوراً مهماً في نشر اليهودية (٢).

قدر عدد الكرد الذين اعتنقوا اليهودية من ٢٠– ٣٠ ألفاً، قبل الاعلان عن قيام دولة اسرائيل، وكانوا في منطقة ديالى (خصوصاً في خانقين)(٣). ومازال الكثير من اليهود الذين هاجروا إلى اسرائيل (يعتبرون أنفسهم أكراداً)(٤).

وأهم المناطق التي كان يتركز فيها اليهود في كردستان العراق، مدينة خانقين. ويعتقد المؤرخون أن يهود العراق عامة ويهود كردستان خاصة ينحدرون من يهود السبي الآشوري، أي اليهود المنفيين بعد هدم الهيكل من قبل نبوخذ نصر. أما (ر. بنيامين)(٥) فيقول: (هناك أكثر من ١٠٠ مجموعة يهودية، وكان يوجد في العمادية وحدها ٢٥ ألف يهودي(٦). لكن هناك من يقول أنه كان في كردستان ١٨٧ تجمعاً سكانياً قبل ١٩٤٨م، منها ١٤٦ في كردستان العراق، و١٩ في كردستان ايران، و١١ في كردستان تركيا، و١١ في كردستان سوريا ومناطق أخرى، والمجموع الاجمالي لليهود كان يتراوح بين ٢٠و٣٠ ألفاً، وكانت كردستان العراق تأتي في المقدمة، فقد توزعوا في ألويتها قبل ١٩٤٧ على النحو التالي: اربيل ٣١٠٩– كركوك ٤٠٤٢– الموصل ١٠٣٤٥– السليمانية ٢٢٧١– ديالى ٢٨٥١، فالمجموع الكلي لليهود يومذاك في كردستان العراق كان قرابة ٢٢٦١٨(٧). أما (بنيامين الثاني) الذي زار كردستان عام

---

(١)– فرست مرعي(الدكتور): الفتح الاسلامي لكردستان – دار الزمان/ ط١ عام ٢٠١١ – دمشق/ سوريا – ص٥٩.

(٢)– ياقوت الحموي: معجم البلدان – ج٢ – ص٢٥٦.

(٣)– ن. محبّ الله: مصدر سبق ذكره – ص١٤٥.

(٤)– ديفيد مكدول: تاريخ الأكراد الحديث – ترجمة: راج آل محمد – دار الفارابي/ بيروت ط١عام ٢٠٠٤ – ص٤٨.

(٥)– من الرحالة الذين زاروا كردستان عام ١١٧٠.

(٦)– ن. محبّ الله: مصدر سبق ذكره – ص١٤٦.

(٧)– اريك براور واكمال واصدار رفائيل ثاتاي: يهود كردستان – ترجمة: شاخوان كركوكي وعبدالرزاق بوتاني – دار آراس – اربيل/ ط١عام ٢٠٠٢.

١٨٤٨م، فقال: إن اليهود هناك ينحدرون من الأسباط العشرة[(١)]. فيهود كردستان هم من القبائل العشرة التي جيء بها عام ٧٢٣ ق.م، إلا أن الأب انستانس الكرملي يقول بأن يهود كردستان من العنصر الكردي ويتبعون داوود وكتابهم الزبور (مزامير داوود). كان اليهود الكرد يعملون في الأعمال الزراعية، وفي مختلف الحرف، وفي مقدمتها الحياكة والصياغة، ناهيك عن التجارة، لكن هاجر معظمهم إلى اسرائيل عقب عامي ١٩٤٨و١٩٦٧، ويقدر الآن عدد اليهود الكرد في اسرائيل بنحو/١٥٠/ ألفاً (١٠٠ألف منهم في القدس).

٥– المسيحية:

لم تلق المسيحية رواجاً كبيراً في أوساط الكرد[(٢)]، رغم ذلك اعتنقها بعضهم قبل الاسلام وبعده، فهاهو (ب. ليرخ) يقول: (ينتمي قسم كبير من الأكراد المسيحيين، إن لم يكن كلهم، إلى طائفة النساطرة)[(٣)]. ثم يضيف: (في حقيقة الأمر كان كوخ على صواب تام حين قال إنه يجب اعتبار النساطرة في جبال كردستان أكراداً، وذلك بحكم سيمائهم الجسدية)[(٤)]. وحتى النساطرة الذين يسكنون سهل أورمية يتداولون أسطورة تدل على أن أسلافهم خرجوا من جبال كردستان المجاورة منذ/٥٠٠ – ٦٠٠/ سنة خلت، وهم – أي النساطرة – يعيشون في المنطقة منذ ماقبل الميلاد، كما يؤكد (ب. ليرخ). يضاف إلى ما قيل، يعتقد (ب. ليرخ) أن بين اليعاقبة المسيحيين في جبال طوروس، وحول بدليس، نسبة تعود في أصولها إلى الكرد. أما المسعودي فينقل عنه بأن المسيحيين اليعاقبة الذين يسكنون حول الموصل وفي جبل جودي يعتبرون أكراداً[(٥)]. والظاهر أن قسماً من الكرد تبنوا المسيحية في بعض المدن الكردية في القرن الأول للميلاد، على يد أحد تلاميذ المسيح، هو مار أدي، وهو من جملة الاثنين والسبعين تلميذاً، وبعد وفاة أدي استمر تلميذه ماري مبشراً بالمسيحية في المدن الكردية، ثم عهد أحد تلامذته المسمى توماس بنشر هذا الدين

---

(١)– موقع الأكراد وكردستان – مصدر سبق ذكره – ص١٤٦.

(٢)– المائي: الأكراد في بهدينان – ص٨٧.

(٣)– ب. ليرخ: دراسات حول الأكراد – ترجمة د. عبدي حاجي – ص٣٣.

(٤)– ب. ليرخ: المصدر السابق – ص٣٣.

(٥)– ب. ليرخ: مصدر سبق ذكره – ص ٣٤.

في بادينان، وقد مضى ماركوبولو إلى القول أن هناك كرد جبليون مسيحيون من النساطرة أو اليعاقبة، لكنهم قلة[1].

ويدلي منذر الموصلّي بدلوه هو الآخر على هذا الصعيد، فيقول: (يوجد أكراد مسيحيون بين أكراد العراق خاصة، لكنهم قلة في زاخو ودهوك وعقرة)[2]، حيث يقال أن توما الرسول بشر بالمسيحية في كردستان. إلا أن الدكتور شاكر خصباك يشك في دخول الكرد في المسيحية بعد الاسلام، بل ويذهب إلى أنهم انتقلوا من الزرادشتية إلى الاسلام دون المرور في المسيحية، لكنه لا ينفي الرأي القائل لكل من (مينورسكي، درايفر، محمد أمين زكي) بأن المسيحية كانت: (إحدى الديانات المنتشرة بين الأكراد سواء قبل الاسلام أم في ظله)[3]. لكن آخرين لا يهملون مسألة التبشير بالدين المسيحي بين الكرد قبل الاسلام وبعده. ولا يُخفى أن طائفة من الكرد قد تبنت المسيحية إبان الصراع الفارسي – البيزنطي، أو أنها تنصرت على يد المبشرين المسيحيين؛ فيذكر (ويكرام) ان قبيلة (هركي) البدوية/ الرحالة، كانت تدين بالنصرانية، حيث كان الأساقفة يتخذون من الخيم كنائس لإقامة القداس الالهي كأتباعها النساطرة الكرد. وهناك من يؤكد أن النصرانية تسربت إلى بعض الأقاليم في ايران وكردستان، وهناك الروايات السريانية التي تقول بالانتشار المبكر للنصرانية في مناطق شتى من كردستان. ويُقال أن مار أدي، أحد تلاميذ المسيح الاثنين والسبعين الذين اتجهوا شرقاً للتبشير بالمسيحية بين رعايا الدولة الساسانية (خصوصاً الكرد) في منطقة حدياب (حزة – اربيل)[4]. لكن لايجوز الانطلاق من اللغة الكردية لتصنيف المسيحي كونه كردياً هذا أولاً، وثانياً يُعتقد بأنه، منذ القرن السادس عشر أو نحو ذلك تقريباً، تحدرت بعض القبائل الكردية من المهتدين الأرمن

---

(١)– هلبين رفيق محمد سعيد باجلورى: الكرد الحميدية/ دورهم السياسي والحضاري خلال القرون(٩–١٤)م – من منشورات الأكاديمية الكردية/ اربيل ٢٠١٢ – ص٤٥. راجع رفائيل بابو اسحق/ تاريخ نصارى العراق ص٢٨ وعبدالرقيب يوسف/ الدولة الدوستكية ج٢ ص١٦٦ و أدي شير/ تاريخ كلدو آشور مج٢ ص١و٢.

(٢)– منذر الموصلّي: عرب وأكراد – ص٢٥٩.

(٣)– شاكر خصباك: الأكراد – بغداد ١٩٧٢ – ص٤٨٤.

(٤)– فرست مرعي (الدكتور): الفتح الاسلامي لكردستان – مصدر سبق ذكره – ص٣٩.

إلى الاسلام، والمثال الذي يُذكر كثيراً في هذا المجال هو قبيلة مامكانلي العلوية[١]، والمقصود أن هناك مجموعات تكرّدت، مثلما تأرمَنَت أو تسَرْيَنَت جماعات من الكرد جرّاء تبنيها للمسيحية أو تعرّبَت أوتترّكت أو تفرّست جماعات من الكرد في هذا الظرف أو ذاك بعد الاسلام، فأعداد كبيرة من الكرد، وبشكل خاص أولئك الذين أصبحوا جنوداً محترفين في جيوش المسلمين، وكذلك الفلاحين والقبائل التي انتقلت إلى المناطق التي يتكلم أغلب سكانها العربية أو التركية، قد فقدوا هويتهم الكردية[٢].

وقد أشار نرساي الملفان، الذي ولد عام ٣٩٩م في قرية قرب دهوك، في مقالة له، كيف اضطهد الفرس الساسانيون النصارى الكرد في عهد الملك الفارسي شابور الثاني، حيث لاقى الكثير من الكرد النصارى حتفهم[٣]، وهذا إن دل على شيء فهو يدل بوضوح بأن الكرد تقبلوا المسيحية منذ بدايتها، على عكس من ينفي هذا الأمر. يضاف إلى ما ذكرناه طبيعة كردستان الوعرة، بجبالها المنيعة، التي سهلت كثيراً على المسيحيين الفارين من أذى ملوك الساسانيين والبيزنطيين على حدٍ سواء، ومحاولتهم إقامة الأديرة في كردستان، لأنها – أي كردستان – كانت تتوسط المنطقة بين الساسانيين والبيزنطيين، ناهيك أن الكرد بطبيعتهم الفطرية يميلون لمساعدة المضطّهَدين وحمايتهم، فطبيعي في مثل هذا الوضع أن يتبنى الكرد مثل هذا الدين، لكنهم انصهروا عبر مئات السنين مع السريان والآشوريين والأرمن الذين تبنوا بدورهم هذا الدين أيضاً. أما أرشاك بولاديان فقد أشار بأن بعض الكرد اعتنقوا الديانة المسيحية في نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الميلاديين، ولاحظ كيف أن تغيير الديانة قد أملته رغبة الاقطاعيين الكرد يومها لاقامة علاقات مع العالم المسيحي، بغية المحافظة على مصالحهم الطبقية وممتلكاتهم[٤]، وكانت بيزنطة لها مصلحة في التحالف مع الكرد، لكونهم من حماة مناطق الثغور منذ القدم.

ويورد المسعودي بأن قبيلتي (اليعقوبية والجورقان)الكرديتين، كانتا تعتنقان المسيحية، علماً أن الأخيرة كانت تقطن المنطقة الواقعة بين الموصل وجبل جودي،

(١)– ديفيد ماكدول: تاريخ الأكراد الحديث – مصدر سبق ذكره – ص٤٨.

(٢)– المصدر السابق – ص٤٣.

(٣)– فرست مرعي(الدكتور): الفتح الاسلامي لكردستان – مصدر سبق ذكره – ص٤٢.

(٤)– أرشاك بولاديان: الأكراد من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي – ط١مترجمة إلى العربية عام ٢٠٠٤ – دمشق – ص١٣٧.

بيد أنه لم يشر إلى الفترة التي اعتنقت فيها القبيلتان هذا الدين[١]. ويخبرنا ابن الأثير عن حالات رفض الاسلام واعتناق المسيحية في اوساط الكرد بداية القرن العاشر الميلادي. من هنا يمكن الاستنتاج بتعدد المعتقدات الدينية للكرد قبل دخولهم الاسلام طوعاً أو كرهاً، ومنها مثلاً: الوثنية، الزرادشتية، اليهودية، المسيحية، المزدكية، الخرمية، لكن أغلبها تخلت عن مكانتها تدريجياً للاسلام[٢].

يجدر الذكر أن العديد من الرموز والطقوس الميثرائية والمزدائية والزرادشتية انتقلت إلى المسيحية، مثل الصليب المتساوي الأطراف الذي كان من الرموز المَزْدائية، وعيد ميلاد ميثرا يوم ٢٥ كانون الأول أضحى عيد ميلاد المسيح، وكان يوم الأحد (يوم الشمس) من الأيام المقدسة في الميثرائية، كما أن التعميد في الميثرائية كان يتم بالماء..الخ[٣].

٦- الاسلام:

إن الفكر الديني، لم يظهر هكذا اعتباطاً، بل ماهو سوى إفرازات العلاقات الاجتماعية القائمة في مجتمع معين، وبالتالي نتاج المستوى الذي وصلت إليه قوى الانتاج في المجتمع ذاته. ولم يظهر الاسلام في مكة أو في الجزيرة العربية من الفراغ، وإنما كان: (وليد الوضع الملموس للمجتمع المكي والعربي من جهة، ووليد الفكر المتطور في المجتمعات العديدة المحيطة بالجزيرة العربية من جهة ثانية، فكان العديد من ممثلي المدارس الفكرية والدينية والثورية والهاربين من حكام بيزنطة وغسان وفارس، من أمثال الراهب بحيرة وغيره وبعض الفئات اليهودية يعيشون في قلب الجزيرة العربية وتخومها وأطرافها، وكان لهؤلاء تأثيرهم الفكري والديني على بعض الأوساط العربية. ولذلك ليس صدفة أن الكثير من الأفكار الدينية الاسلامية متشابهة مع الأفكار الدينية المسيحية واليهودية وغيرهما، فالمجتمع المكي والمجتمع العربي ظل فترة طويلة يعيش حالة مخاض)[٤]. وبظهور الاسلام ولدت التناقضات الدالة على

---

(١)- المصدر السابق - ص١٧١.

(٢)- المصدر السابق - ص١٧١.

(٣)- أحمد محمود الخليل(الدكتور): الشخصية الكردية - مصدر سبق ذكره - ص١٥٠.

(٤)- ظهير عبدالصمد: الصراع السياسي والاجتماعي في الاسلام - مجلة الدراسات الاشتراكية، وكان عضواً في المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوري سابقاً.

تعارض المصالح الاجتماعية بين شتى القوى والفئات، وإن تزيت بزي ديني، كما برزت القوى المتطلعة إلى الآفاق لغزوها، وبوصول جيوش (العرب المسلمين) إلى كردستان، في عهد الخليفة الراشدي (عمر بن الخطاب) ، وطئت خيول العرب بسنابكها ديار الكرد، حين سيّر عياض بن غنم جيشاً للاستيلاء على دياربكر وبدليس، فبدأ الكرد في الدخول إلى هذا الدين عنوة تارة وصلحاً تارة أخرى، وعلى فترات، لكن لم تكن دوافع الفاتحين فرض العقيدة أو نشر الديانة الاسلامية فقط، كما يحلو للبعض حصر ذلك، وانما كان غرض الفتوحات هو الاستيلاء وفرض السيطرة والحصول على المغانم بالدرجة الأولى[١]. ويمكن فهم فحوى قول محمد بن عبدالله: جعل رزق هذه الأمة في سنابك خيلها وأزجّة رماحها[٢] في هذا السياق.

لكن الحق يُقال أن الدافع لاعتناق الاسلام من قبل الكرد بداية، كان الهدف منه التخلص من الضرائب (الجزية) التي كانت قد أثقلت كاهلهم، سيما في عهد الأمويين الذين أعادوا فرضها من جديد، وصنفوا الكرد والبربر والفرس والشعوب الأخرى التي تبنت الاسلام بين الموالي، وقذفوهم بشتى التهم، أقلها وطأة تهمة الشعوبية، رغم أن الشعوبية في عرف أحمد أمين: (هي في الحقيقة نوع من الديمقراطية يحارب ارستقراطية العرب)[٣]. أما الدكتور حسين قاسم العزيز فيقول: (كان من جراء التعصب العنصري/ الشوفيني من قبل الارستقراطية القبلية العربية، الأموية المستغلة، واحتقارها الشعوب الأخرى ... أثر في نشوء حركة الشعوبية، وكانت هذه الحَركة النامية بين أفراد الطبقات المضطّهَدة ذات طابع تقدمي، لأنها كانت تنشد الدفاع عن كرامة الشعب واظهار مآثره ورفع الاحتقار والانتقاص من شأنه)[٤].

لقد كانت الشعوبية في مراحلها الأولى على الأقل حركة تقدمية، لأنها كانت تدعو إلى: (المساواة بين الأقوام الاسلامية، وجاءت نتيجة لفشل السلطة في تحقيق

---

(١)- حسين قاسم العزيز(الدكتور): البابكية - رسالة لنيل الدكتوراة - مكتبة النهضة/ بغداد ودار الفارابي/ بيروت - ص٥٢.

(٢)- كتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشي - ص٧٦و٧٧- السنابك: جمع سنبك وهو طرف الحافر. والأزجّة: جمع زُج وهو النصل.

(٣)- أحمد أمين: ضحى الإسلام - ج١- ص٥٩.

(٤)- حسين قاسم العزيز: البابكية - مصدر سبق ذكره - ص٩٣.

تلك المساواة حسب تعاليم الاسلام الواضحة، لا ممارستها السياسة التي تميزت منذ اليوم الأول بعد وفاة النبي واختيار الخليفة الأول أبي بكر الصديق بتمييز العرب عامة وأبناء قريش خاصة)[١].

كان خلفاء بني أمية يعتمدون على العنصر العربي في إدارة شؤون الدولة، وفي عهد الأمويين على نحو خاص كانت النظرة إلى الموالي هي نظرة احتقار وإزدراء: (مما أيقظ الفتنة بين المسلمين وبعث روح الشعوبية... وكان منشأ تلك الحركة اعتقاد العرب أنهم أفضل الأمم وأن لغتهم أرقى اللغات)[٢].

ويكاد يتفق مؤرخو الاسلام (ابن اسحاق، ابن الأثير، ابن كثير، ابن خلدون...الخ)، بأن فتح الجزيرة ونصيبين وطور عبدين وآمد وقردى (بوتان)، قد تم على يد عياض بن غنم الفهري، وهو أصلاً من مَهَّد لاحتلال كردستان وأرمينيا، لكن المؤرخين اختلفوا في التفاصيل والسَنة التي تم فيها الغزو[٣]. أما احتلال كردستان المركزية، أعني معاقل الكرد الحصينة، فيكاد البلاذري ينفرد في تناولها، مشيراً وبوضوح كيف دخل إليها الاسلام عنوة[٤]، وقد نقل ابن الأثير وابن خلدون هذا الأمر.

أما (عتبة بن فرقد السلمي)، كما يذكر البلاذري، فقد توغل في داخل كردستان إبان خلافة عمر بن الخطاب، ودخل شهرزور بعد قتال ضارٍ، ثم اتجه نحو كردستان ايران، وقَتَلَ على أثر ذلك عدد كبير من الكرد، جرّاء المقاومة الباسلة[٥]. ويضيف البلاذري بأن أهل نهاوند أقرّوا الجزية، أما أهل السيروان والدينور فطلبوا الصلح، أما ماسبدان فقد دخلها المسلمون عنوة، كما يقول (خليفة بن خياط).

إن العرب الذين عاشوا في شبه جزيرتهم القاحلة، في هيئة قبائل رحّالة، وهي تربي الابل والأغنام، أغارت على الهلال الخصيب المطل على بواديهم القاحلة من الشمال، وأحرزوا النصر جرّاء عوامل عدة، من بينها:

---

(١)– اميل توما(الدكتور): الحركات الاجتماعية في الإسلام – دار الفارابي ١٩٨٠/ بيروت – ص١٢٥.

(٢)– حسن ابراهيم حسن(الدكتور): تاريخ الإسلام – ط٥ عام ١٩٥٩– مكتبة دار النهضة المصرية – الجزء الأول – ص٣٤٢.

(٣)– فرست مرعي: الفتح الاسلامي لكردستان – مصدر سبق ذكره – ص١٣٠.

(٤)– المصدر السابق – ص ١٤٠.

(٥)– المصدر السابق – ص١٤٤.

١– الـروح الـتي بثهـا الـدين الاسـلامي في أنصـاره حـول الجنـة الموعـودة، والغنائم، وفضائل الجهاد في سبيل الله ... الخ.

٢– ضعف الأمم والشعوب، ومنها الكرد، بعد أن أنهكتهـا الحـروب الـتي جـرت رحاها بين الفرس وبيزنطة، حيث كانت كردستان مسرحاً لحروبهما.

٣– بعض الشعوب التي غزاها العرب كانت تنتمـي إلى الأرومـة السـامية، مثـل الغساسنة والأنباط، التي تربطها بالعرب صلة القرابة والنسب.

٤– وأخيراً، الضرائب التي فرضها العرب (المسلمون) على تلك الشعوب كانـت أقل وطأة من تلك التي كانت تجبيها الدولة البيزنطية أو لأن العرب، امتنعوا بداية عن فرض الضريبة على من يعتنق الاسلام، لكن في عهد بني أميـة فُرِضَـت الضـريبة مـن جديد على معتنقي الاسلام من غير العرب (أعني الموالي) كما أسلفنا.

أغلب الكرد اليوم هم مسلمون سـنة، وأكثـرهم علـى المـذهب الشـافعي. يـذكر شرف خان البدليسي أن عدداً قلـيلاً مـن الكـرد في بـدليس اتبعـوا كـالأتراك المـذهب الحنفي. وبين الكرد مسلمون شيعة/٦ مليون/، منهم نحـو/٣ مليـون/ في كرمانشـاه، ويوجد علويون أيضاً بين الـ (زازا) في ديرسم وألعزيـز، ويتفـرع عـنهم (علـي إلهـي أو أهل الحق).

جدير ذكره أن الكرد باعتنـاقهم الاسـلام السـني أكـدوا اخـتلافهم عـن الفـرس الشيعة، وبتبنيهم المذهب الشافعي أكدوا اختلافهم عن الأتراك الحنفـيين، ورغـم هـذا نجح الأتراك في استغلال الكرد السنة إبان صـراعهم مـع الفـرس الشـيعة، أو في تأليـب الكرد على الكرد، مستخدمين ورقة الدّين تارة، أو المذهب تارة أخرى.

ما من شك أن الكرد أسـدوا الكـثير الكـثير لشـعوب المنطقـة، فقـد نبـغ مـنهم علماء في شتى الميادين، من أمثال: ابن خلكـان، أولاد الأثـير، أبـي الفـداء الأيـوبي، ابن المستوفي، الـدينوري، الجرجـاني قـديماً. والشـيخ محمـد عبـدو، عبـاس محمـود العقـاد، عائلـة تيمـور في العصـر الحـديث... الخ. بمـا في ذلـك أصـحاب الـنبي ورواة الحديث، مثل (جابان وابنه ميمـون)، اللـذين التقيـا بـالنبي وبايعـاه وعـادا لـبلادهم كمبشرين لهذا الدين[١].

(١)– ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة – المجلد١– القاهرة ١٩٧١ – ص٣٠١.

أبرز الطرق الصوفية في الوسط الكردي السني:

التصوف طريقة يسلكها المتصوف لتطهير القلب، بغية الوصول الى الذات الالهية بالزهد والاجتهاد (العبادة). وأبرز هذه الطرق هي:

أ- القادرية (الكيلانية): وهي أولى الطرق التي انتشرت في كردستان، وتنسب إلى الشيخ عبد القادر الكيلاني (١٠٧٩- ١١١٦)م أو (١٠٧٧- ١١٦٦)م، الذي توفي في بغداد. يعتقد بعض الباحثين بأن أصله كردي[١]، لأن منطقة كيلان Geylan - التي يُنْسَب إليها - تقع جنوبي بحر قزوين حيث تعيش هناك قبائل كردية، لكن هذا الأمر بحاجة إلى مزيد من البحث والتدقيق، رغم أن معظم دعاتها من الكرد. في عام ١٨٠٠ كانت هناك عائلتان تتحكمان بزمام أمور الطريقة في كردستان (البرزنجية قرب السليمانية وأسياد نهري في هكاري)[٢]. وتنتشر هذه الطريقة في كردستان، كما تنتشر في أنحاء شتى من العالم الاسلامي، وخصوصاً في الهند، ووصلت إلى ساحل العاج عن طريق التجار، وتتبعها الطريقتان البرزنجية والطالبانية، ولهما مشيخاتهما. تقوم الطريقة على حالة الجذب: (التي تتحقق بأنغام الناي ودقات الدفوف وحركة الجسم على ما يشبه الرقص)[٣].

جدير ذكره أن شيوخ الطالبانيين والشيخ محمود البرزنجي، كانوا من اتباع الطريقة القادرية (الكيلانية). خاض الشيخ محمود نضالاً لاهوادة فيه من أجل ظفر الكرد بحريتهم، بخلاف الشيخ عبدالكريم البرزنجي وأمثاله، ممن تعاونوا مع الحكومة العراقية ضد أبناء جلدتهم.

برزت الطريقة القادرية في السليمانية عاصمة امارة بابان، وراجت في الأوساط الارستقراطية والعامة. أرسل الشيخ معروف النودهي وهو من أبرز سادات المشيخة، حفيده الشيخ سعيد على رأس قوة للمشاركة في حرب القرم ضد الروس (١٨٧٧- ١٨٧٨)، فأغدق عليهم السلطان العثماني الهبات والأراضي الزراعية (٦٠) قرية، وأعفاهم من الضرائب، مما أدى الى زيادة نفوذ المشيخة وساداتها الارستقراطيين، لكن في الوقت نفسه أدى الى اشتداد الصراع الاجتماعي (الطبقي). أقدمت السلطات

---

(١)- ن. محب الله: مصدر سبق ذكره - ص١٤٢.

(٢)- ديفيد مكدول: تاريخ الأكراد الحديث - مصدر سبق ذكره - ص١٠٢.

(٣)- ويليام ايغلتن: القبائل الكردية - ترجمة أحمد محمود خليل - ط١ عام ٢٠٠٦ - ص٣١.

العثمانية على تصفية الشيخ سعيد في ١٩٠٩/١/٦، فتمت مبايعة الشيخ محمود بن الشيخ سعيد الحفيد. وقد شارك الشيخ محمود على رأس قوة كردية مؤلفة من/١٥٠٠/ مقاتل في معركة الشعيبة في البصرة، لتلبية نداء (الجهاد)، لكنه لاقى معاملة وضيعة، فبدأ يتصل بالبريطانيين، خصوصاً بعد إلقاء الجنرال (مود) كلمة وعد فيها بتحرير الشعوب المضطّهَدة من النير العثماني، ثم برزت شخصيته الكارزمية حين أعلن على الملأ مملكة كردستان في السليمانية بتشجيع من بريطانيا[١].

هناك من يقول بأن انتشار التصوف في كردستان لم يجرِ أو يبدأ بانتشار الطريقة القادرية في القرنين (٩و١٠)هـ وتأسيس تكاياها في برزنجة والعمادية وغيرهما، انما: (بدأ على أيدي مريدي السيد أبي الوفا تاج العارفين من الكرد في القرن السادس للهجرة، أمثال: ماجد الكردي، جاكير الكردي، مطر البادرائي، بقا بن بطو، باولين، أبو بكر الزنهاران، أبو الزين اللُر، ابراهيم اللك، شيخ بزين، منصور البطائحي، عبدل باوركان، بختيار، علي روستان، عمر الكراوي، الياس الكردي وغيرهم، وهو من شأنه أن يؤسس لبداية جديدة في دراسة التصوف في هذه البلاد، قبل تأسيس الطريقة القادرية، بل قبل حياة الشيخ عبدالقادر الجيلاني نفسه)[٢].

ب – **النقشبندية:** وهي تتألف من كلمتين: نَقش وبَند، وتعني مجازاً (تأثير الذكر في القلب وانطباعه فيه)[٣]. تنسب إلى فضيلة مولانا الشيخ خالد بن حسين النقشبندي الشهرزوري (١٧٧٩– ١٨٢٦)، الذي كان يتقن العربية والفارسية والكردية، وقد انتقلت الطريقة بواسطته في عموم كردستان وفي بلاد الشام والأقطار العربية وايران وتركيا، وانتشرت النقشبندية في كردستان كانتشار النار في الهشيم، وتفوقت على الطريقة القادرية، التي ارتد عنها الشيخ عبيدالله النهري[٤]. أسس هذه

(١)– ا. م. د. سروه أسعد صابر/ د. نازدار جليل مصطفى: مجلة الأكاديمية الكردية – العدد ٣٦ عام ٢٠١٦ – دور الطرق الصوفية في الحركة التحررية الكردية – ص ٤٩٩.

(٢)– من مقدمة المحققَين(ا. د. عماد عبدالسلام رؤوف و ا. د. زرار صديق توفيق/ ص١٧)، لكتاب: تذكرة المتقين في مناقب أبي الوفا تاج العارفين – تأليف: شهاب الدين أبو الهدى أحمد بن عبد المنعم الواسطي – من منشورات الأكاديمية الكردية – اربيل ٢٠١٦.

(٣)– محمد أحمد درنيقة(الدكتور): الطريقة النقشبندية وأعلامها – ص١١.

(٤)– ديفيد مكدول: تاريخ الأكراد الحديث – مصدر سبق ذكره – ص١٠٣.

الطريقـة محمـد بهـاء الـدين البخـاري (١٣١٧– ١٣٨٩ أو ١٣٨٨) والمعـروف بشـاه نقشبند، المولود في قرية قرب بخارى، وكان زاهداً متقشفاً في حياته ومحبـاً للفقـراء، لكن الشيخ خالد هو أول دعاتها في كردسـتان، وهـو مـن قبيلـة جـاف الكرديـة. بـدأ الشيخ خالد بالترويج لطريقته في مدينة السليمانية بداية، بعد قدومـه مـن دلهـي، ثـم انتقل إلى بغداد، وأقام في دمشق، وفيها وافته المنيـة، حيـث مـات بالطـاعون، حتـى أضحى ضريحه مزاراً في قاسيون المطـل علـى دمشـق، ويقـال أنـه لم يلجـأ إلى بـلاد الشام إلا هرباً من أمير بابان وشيخ الطريقة القادرية المنافس. وانتشرت النقشـبندية في كردستان بعد وفاته بنفس الوتيرة التي انتشرت في حياتـه، رغـم المضـايقات مـن لدن أتبـاع الطريقـة القادريـة وباشـوات المنطقـة. وتعـد الجذبـة أيضـاً مـن الطقـوس الملازمة لهذه الطريقة، وكذلك (الذكر) العلني باللسان والسـري بالقلـب، والسـري هـو المفضل، لأن طريقتهم ترتكز على حالة من السـكينة والوقـار ولا تقبـل أن تجـري في حلقات الذكر (صيحات وزعقات وحركات رقـص)[1]، وتقتضـي الطريقـة اتخـاذ شـيخٍ كمرشدٍ وهادٍ. والبارزانيون من أنصار هذه الطريقة.

من آداب الذكر فيها:

- يجلس الذاكر على ركبتيه، متوضئاً، مستقبلاً القبلة.
- على الذاكر أن يشعر بأنه مذنب.
- عليه أن يقوم برابطة الموت، الذي يقضي باستحضار نـزع الـروح ورؤيـة ملـك الموت، والتغسيل، والتكفين، والصـلاة عليـه، ثـم الـدفن، وسـؤال القـبر (عـن عقيدته ورسوله).
- أن يستغفر الله خمساً وعشرين مرة.
- أن يصلي على النبي أيضاً خمساً وعشرين مرة.
- أن يقرأ الفاتحة مرة، ثم الاخلاص ثلاثاً، ثم المعوذتين مرة واحدة.
- أن يتصور في قلبه معنى اسم الجلالة (الله).
- أن يغمض العينين ويطبق الفم ويضع اليد اليمنى بالمسبحة على القلب، تحت الثدي الأيسر، وأن يقول القلب لا اللسان (الله، الله...) مئة مرة.
- أن يعود إلى قراءة الفاتحة والاخلاص والمعوذتين بالترتيب السابق، ثـم يسـكن قليلاً.

---

(١)– محمد أحمد درنيقة: الطريقة النقشبندية وأعلامها – مصدر سبق ذكره – ص٤١.

– أن يهب الثواب للنبي والمشايخ والمريدين وكافة المسلمين[١].

يجدر الذكر أن شيوخ بارزان (الشيخ عبد السلام البارزاني والشيخ أحمد البارزاني) والشيخ سعيد بيران والشيخ عبيدالله النهري، كانوا جميعاً من أتباع هذه الطريقة، وعرفوا في التاريخ كمناضلين في سبيل تحقيق أمنية الكرد من أجل الحرية. لكن أمثال آرفاسي في كردستان الشمالية والشيخ رشيد لولان في كردستان الجنوبية، كانوا في نفس الوقت أعداء لدودين لبني قومهم وحركتهم التحررية.

تعود مشيخة بارزان الى جدهم (مسعود)، ثم خلفه ابنه سعيد، ومن ثم تاج الدين الذي انتقل من قرية هه فنكا الى قرية بارزان وأسس فيها التكية، بعد أن أخذ الطريقة النقشبندية من السيد طه النهري[٢].

كان شيوخ بارزان:

– يناصرون الفلاحين ويحاربون الممارسات التعسفية للأغوات، فألغوا الملكية الاقطاعية، ووزعوا الأراضي على الفلاحين.

– ينتهجون مبدأ العدل والتسامح مع الأقليات الدينية.

– الغاء الزواج القسري.

كما كان الشيخ عبد السلام أول من وسم المشيخة بالصبغة السياسية، حين أقدم هو وعدد من المشايخ على ارسال مذكرة عام ١٩١١م الى الدولة العثمانية، تضمنت مطالب قومية، منها:

١–جعل اللغة الكردية لغة رسمية في الأقضية (دهوك، آكرى، سنجار، عمادية، زاخو).

٢–جعل التعليم باللغة الكردية.

٣–يعين القائم مقامون ومدراء النواحي والموظفون، ممن يحسن اللغة الكردية.

٤– تجري الأحكام بمقتضى الشريعة الاسلامية.

٥– يعين لمنصب القضاء والافتاء من أصحاب المذهب الشافعي... الخ[٣].

---

(١)– محمد أحمد درنيقة: الطريقة النقشبندية وأعلامها – مصدر سبق ذكره.

(٢)– ا. م. د. سروه أسعد صابر/ د. نازدار جليل مصطفى: مجلة الأكاديمية الكردية – مصدر سبق ذكره – ص٤٨٣.

(٣)– مجلة الأكاديمية الكردية الصادرة في هولير – العدد ٣٦عام ٢٠١٦ – مصدر سبق ذكره – ص٤٩٠.

تولى الشيخ أحمد شؤون المشيخة بعد اعدام شقيقه الشيخ عبد السلام في ١٩١٤/١٢/١ من قبل الأتراك. ورداً على مظالم الأتراك رحبوا بقدوم البريطانيين، لكن سرعان ما انتفضوا ضد بريطانيا لاجهازها على مملكة الشيخ محمود البرزنجي في السليمانية.

ج – **الرفاعية**: تنتشر في بعض مناطق كردستان، إلا أن أتباعها قلة قليلة، وهي – كما يقول ويليام ايغلتن – تستمد شهرتها من طقوسها السحرية من السيف والنار.

تعتقد الطرق الصوفية أن الحياة الدنيا ماهي سوى دار تجربة، يسعى من خلالها المتصوف إلى التحرر من ملذاتها ومساوئها بغية التسامي بالنفس والاقتراب من الذات الالهية أو الاتحاد معها. ويجدر الذكر أن هذه الطرق قد لعبت دوراً متميزاً وخلقت حافزاً للانخراط في الانتفاضات والثورات الكردية من أجل التحرر من الاستعباد والاضطهاد، خصوصاً الشيخ عبيد الله النهري والشيخ سعيد بيران والشيخ عبد السلام البارزاني والشيخ محمود الحفيد، رغم ما مثله أمثال الشيخ معروف النودهي من اتجاه محافظ ومتعارض مع الطريقة النقشبندية، وقد قدر لقرية بارزان الصغيرة: (أن تحمل مشعل الصوفية النقشبندية عالياً وأفلح شيوخها بعد زمن يسير في تحويل الطاقات والاتجاهات الروحية التي زرعوها في الميدان الوطني لمقارعة الحكومات المستبدة المتعاقبة على حكم البلاد، فأحتلت لنفسها مكاناً في تاريخ الشرق الأدنى السياسي لا يجادل فيه إثنان)[١].

د – **النورجية (النورسي/ بديع الزمان١٨٧٠أو ١٨٧٦– ١٩٦٠)**: طريقة نقشبندية وهي حديثة نسبياً، تأسست في القرن العشرين في كردستان تركيا، من قبل الكردي سعيد النورسي، نسبة الى قرية نورس التي ولد فيها، وكان يُعرف بسعيد الكردي. واظب النورسي على كتابة رسائله التي عرفت برسائل النور. لاقى مؤسس حركة النور استقطاباً من الكرد والترك على حد سواء، وتركزت فلسفته على قطبين، هما الاسلام والتحديث على غرار الأفغاني ومحمد عبده، والتي كانت ذات نفحات صوفية، ويسجل له موقفه في إنقاذ العديد من الأرمن من المجازر التي أعدها الأتراك حين كان ضابطاً في الجيش التركي.

---

(١)– بي ره ش: بارزان وحركة الوعي القومي الكردي ١٨٢٦– ١٩١٤ – عام ١٩٨٠ – ص٣٣.

كان سعيد النورسي عضواً في جمعية نشر المعارف الكردية التي تأسست عام ١٩١٩، ويُقال أنه عمل لفترة قصيرة في جمعية تعالي كردستان، لكنه فضل المطالبة بالحقوق الثقافية وبالحكم الذاتي الاداري، ثم انسحب بعد ذلك، وخاصة في العهد الجمهوري، من المشهد السياسي الكردي وكرس نفسه لنشر التعاليم الروحية فقط، مما حدا ببعضهم إلى القول: (كان النورسي في تقديرنا كردياً عثمانياً، وهذا ما يميزه عن النخب القومية الكردية)[1].

أبرز نحل أو طوائف الكرد الشيعة:

أ – يارسان أو **أهل الحق** أو **سارلو**: وهي طائفة باطنية كردية (كاكائية)، يأبى معتنقوها إلا أن يطلقوا على أنفسهم أتباع أو أنصار الحقيقة المطلقة، التي هي حقيقة الذات الالهية: (بينما ينعتهم آخرون غيرهم من الجوار المذهبي بما يكرهون، إذ يدعونهم بالعلي إلهي، كناية عن مغالاتهم القصوى في حب الامام علي، ليحشروهم في زاوية التجديف الممجوجة إسلامياً، وهم لها رافضون)[2]. ليس من قبيل المصادفة أن أبناء طائفة أهل الحق في جنوبي كردستان ينطقون باللهجة الكورانية كلغة مقدسة[3]، وقد كان هذا المذهب منتشراً في كردستان قبل الاسلام، ثم ظهر بثوب جديد بعد الاسلام في لورستان وكرمنشاه وهمدان وهورامان، وحتى البكتاشية أو البكداشية فيما بعد نشأت تحت تأثير نفس المذهب. وهي – أي البكتاشية – منتشرة في تركيا والعراق وتسمى بالعلوية أيضاً، لكن معظمهم تحولوا إلى الشيعة الاثني عشرية، والبكتاشيون يتمسكون بحب الأئمة الاثني عشر، ويمارسون شعائر تشبه إلى حدٍ كبير شعائر أهل الحق (الكاكائية)، علماً أن أغلب البكتاشيين في تركيا هم من الأتراك، أما أهل الحق (الكاكائيين) في العراق وايران فأغلبهم من الكرد، لكن البكتاشيين وأهل الحق يحترمون كل ولي صالح أو مزار يحمل لقب (بابا أو باوه)، وهذه مرتبة دينية كانت موجودة لدى الكرد قبل الاسلام، وفي ديرسم وادي يجري فيه الماء يُدعى وادي منزور، في أعلاه مزار يُدعى بابا منزور، يزوره الناس ويقدمون

(١)ـ محمد جمال باروت: التكون التاريخي الحديث للجزيرة ـ مصدر سابق ـ ص٢١٢.

(٢)– اليارسان أو أهل الحق – ترجمة: اصلاح عبد الفتاح، والمقتبس مأخوذ من مقدمة الاستاذ دحام عبد الفتاح للكتاب المذكور.

(٣)– ديفيد مكدول: تاريخ الأكراد الحديث – مصدر سبق ذكره – ص٤٥.

له القرابين ويوقدون الشموع كل عام ويقصده البكتاشيون، كما يوجد في جبل دالاهو في غرب ايران حيث الأكثرية الكردية من أهل الحق مزار مشابه يدعى بابا يادكار، ومن هذا المنطلق فان أهل الحق في همدان يعتبرون بابا طاهر الهمداني من الأولياء الصالحين وصوفياً ملهماً، ومنزلته لا تقل عن منزلة بابا يادكار وبابا كركر وبابا منزور، ومن المعروف أن بابا طاهر عاش في همدان ودفن فيها، وهو أول شاعر كردي يخلف شعراً صوفياً ذو عمق فلسفي، مكتوباً بالكردية، وقد عاش قبل عمر الخيام، واشتهر بوضع الرباعيات[١].

جدير ذكره أن أتباع الـ (يارسان) يعتقدون بـ:

١- مبدأ التجسيد، أي أن الذات الالهية أو الذات الملائكية أو ذات أحد الرسل أو أحد الأولياء حلت في شخص ما، وهذا ليس بعيداً عن فلسفة التقمص.

٢- التجلي، ويعني ظهور المتجسِّد في هيئة المتجسَّد فيه[٢].

ما من شك أن هذه الطائفة يكتنفها الغموض، والسبب في هذا هو مبدأ (التقية) على غرار المذهب الشيعي والطوائف الباطنية الأخرى، وسببه الخشية من الآخر، لذا نجد أن الاسلوب الشفاهي هو الدارج في نقل تعاليم الطائفة، وهذا ما أحرج المتتبعين من أمثال توماس بوا، مما حدا به إلى الاعتقاد بصلتها بالمانوية أو المزدكية، لكن الدكتور محمد مكري يرجعها إلى ديانة سنسكريتية قديمة، بينما يقول الاستاذ دحام عبد الفتاح: إن لمذهب أهل الحق أو العلي إلهي جذوراً تاريخية واحدة، لكن أهل الحق هم حقيقة غير العلي إلهي، لأنهما يختلفان في المعتقد والطقوس. ويضيف: التشابه يكاد يكون تاماً بين الايزيدية وأهل الحق في مسألة قصة الخلق، حيث – وكما هو معروف – يخلق الله من ذاته الالهية درة بيضاء ويسكنها، ثم يدور بها على ظهر طائر فوق مياه المحيط البدئي أربعين ألف سنة، ومن الدرة يخلق السماوات والأرضين ومابينهما[٣]، وهذا الأمر مألوف في معظم الديانات الهندو – ايرانية، القديمة، حيث تتشابه المعتقدات فيها، فيما يخص نشأة الكون.

---

(١)- من مقدمة فلك الدين كاكائي لكتاب(د. عماد عبدالسلام رؤوف): دراسات وثائقية في تاريخ الكرد الحديث وحضارتهم - ط١عام ٢٠١٢ - دار الزمان - دمشق/ سوريا - ص٨ و ١١.

(٢)- اليارسان: المصدرنفسه.

(٣)- اليارسان: المصدر نفسه.

ويمضي دحام عبد الفتاح في تبيان أوجه التشابه بين اليارسان والايزيدية، على النحو التالي:

١- تعتقدان أن الأرض محمولة على قرني ثور، والثور يتربع على ظهر حوت في مياه المحيط البدئي.

٢- إن شخصية تيمور المنتظرة في عقيدة أهل الحق قريبة من شخصية شرف الدين المنتظر لدى الايزيدية.

٣- الصوم لدى كليهما ثلاثة أيام.

٤- وهناك تشابه كبير في تقسيم المجتمع وفي مجال هيكل الطبقات:

المجتمع الايزيدي	المجتمع اليارساني
مير	سيد
بير	بير
مريد	مريد
ديدار	كوجَك
كلام خوان	قوال

٥- الزواج بين هذه الطبقات في كلتيهما محرم.

٦- هناك تشابه بين كتبهما، فكتاب الايزيدية المقدس «المصحف الأسود» يقال بأنه مسروق من قبل سائح بريطاني، أما النسخة المصورة عن أرشيف أحد المتاحف الألمانية فهي مكتوبة باللغة الكردية (اللهجة الكرمانجية الشمالية)، ومعها نسخة من كتاب «جلوة»، وهناك من يشكك فيهما ويزعم ان النسختين مزيفتين. ولدى اليارسان كتاب يُدعى «سَر انجام»، وهو في معتقدهم كتاب مقدس موحى به إلى السلطان اسحاق، وقد كتبه الـ (بير) موسى بريشته الذهبية وباللغة الكردية (اللهجة الكورانية)، وهذه النسخة غير موجودة، وهي مسروقة من قبل أحد السياح البريطانيين.

من هنا يتساءل دحام عبد الفتاح جرّاء هذا التشابه: هل من جذور مشتركة بينهما ؟. ويدلي بدلوه في هذا الشأن: المعتقدان ينحدران من أرومة دين ايراني كردي قديم، ورغم تأثرهما بالمعتقدات الأخرى (الاسلام مثلاً)، فمازالا يحتفظان بالعديد من وجوه الشبه، الأمر الذي يؤكد ترابطهما التاريخي)[1].

---

(١)- اليارسان: المصدر نفسه.

جدير ذكره هاهنا الاشارة إلى تأثير الزرادشتية على الهندوسية والبوذية واليهودية والمسيحية والاسلام، من هنا تعد الزرادشتية جزءاً هاماً من الثقافة الروحية للبشرية جمعاء، واليارسان بدورها ارتشفت من الزرادشتية الكثير الكثير، بدليل: (تشابه في لغة الكتب المقدسة للديانتين، وطريقة الصياغة والحوارات، علاوة على عيد نوروز والمغازي الدينية لهذا العيد، وطريقة التصوف والعرفان... والوحدانية الالهية والأسرار الربانية في الطبيعة وما وراء الطبيعة... وثالوثهما الشهير: الفكر الصالح، الكلام الطيب، العمل الصالح)[1].

أما محمد أمين زكي فيقول: إن عقيدة العلي إلهي تبلورت جراء الافراط في حب آل البيت، إلى الحد الذي تم فيه تأليه (علي) واندماجه في الشمس، ومن هنا فهم يعبدون الشمس، مما حدا بالبعض – ومنهم محمد أمين زكي – إلى القول بأن أهالي كردستان الشرقية، قبل ظهور الاسلام، كانوا يعتنقون بعض العقائد الراسخة، ولما دخلوا الاسلام، كان من السهل أن ينتحلوا نحلة (علي إلهي)، إذ رموا بذلك إلى إحياء عقيدتهم الأولى[2].

ب – البرزنجية: جَدُّ هذه الطريقة هو بابا علي الهمداني، وقد عُرِفَ بالتقوى والكرامات والخوارق المتواترة في المخيال الشعبي، ناهيك عن المكانة البارزة، وزار أنحاء شتى ثم عاد إلى مسقط رأسه همدان، توفي سنة ٦٧٠ هـ. من أبنائه الشيخ عيسى والشيخ موسى، انتقلا إلى قرية برزنجة[3]، من أعمال شهرزور، من هنا أشتقت تسمية الطريقة، وتقطّب عيسى (أي أصبح قُطباً) وانتشر صيته في المنطقة.

ج – الكاكائيون: يذكر الدكتور شاكر خصباك بأن التسمية مشتقة من الكلمة الكردية (كاكا) أي الأخ في الكردية والنسبة لها كاكائي. والنحلة (الكاكائية): مذهب باطني أصيل من مذاهب الكرد المسلمين، ظهر في كردستان ومقدساته فيها، أما نصوصه فهي باللهجة الكورانية، ويقول نيكيتين أن أتباعه من غير الكرد قلة. رمضان عبارة عن ثلاثة أيام عندهم أيضاً، ويؤمنون بفكرة التناسخ، والمؤاخاة من طبيعة المذهب، ويقال أن الحلاج كان من هذه النحلة. والبعض لا يميز بينهم وبين

---

(١)– فلك الدين كاكائي: جريدة صوت الأكراد – العدد/٤٥٧/ – تاريخ ٢٠١٢/١٢/١٥.

(٢)– محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان – الجزء الأول – مصدر سبق ذكره – ص٢٨٩.

(٣)– تقع القرية على الطريق المتجه نحو حلبجة وعلى بعد ٦٠ كم من السليمانية.

القزلباش ويسمون أتباع النحلتين بـ (العلي الهي). ينتشرون في السـهل الجنـوبي مـن كركوك وخانقين ومندلي وجلولاء وهولير والسليمانية وهورامان[1].

د – العلويون: يطلق عليهم القزلباش، أي أصحاب العصبة الحمراء ينتشـرون في الشمال الغربي من كردستان تركيا، من عينتاب حتـى بينغـول (آلعزيـز، بينغـول، حول أرزنجان وسيواس)، لكنهم يتركزون بشكل كثيف في مقاطعة ديرسـم. يقدسـون الامام علي، وهي نحلة شيعية، يتكلمون الكردية (أغلبهم اللهجـة الزازيـة)، أمـا الـذين يعيشـون في طهـران فيتكلمـون الفارسـية، وهنـاك علويـون أتـراك. وقـد تعرضـوا إلى إضطهاد مزدوج، من قبل الدولة التركيـة الـتي اتهمـتهم بمـوالاتهم لايـران، ومـن قبـل المسلمين في الداخل بمن فيهم الكرد، واتهموا بالهرطقة في العهد العثماني ولم يصنفوا كـ (ملـة)[2]، وأصـيبوا بخيبـة أمـل في عهـد الاتحـاديين، وتعرضـوا كالايزيـديين الى اضطهاد مـزدوج، كـونهم كـرداً أولاً وعلـويين ثانيـاً. مـن هنـا يمكـن أن نفهـم سـبب انزوائهم في المواقع الجبلية الحصينة وعدم انخراطهم في انتفاضة الشـيخ سـعيد ١٩٢٥ ووقوفهم بين محايـد ومعـارض ضـدها كعشـيرتي الهورمـك ولـولان، رغـم أن الشـيخ سعيد دعاهم الى المشاركة، وموقفهم هذا يفسر جراء تعرضهم للقمع الشديد مـن لـدن الحكومة التركيـة مـن جهـة، والقسـوة الـتي تعرضـوا لهـا علـى يـد أحـد أبـرز زعمـاء انتفاضة ١٩٢٥ وهو خالد بـك الجـبري، الـذي قتـل زينـل ابـراهيم تـالو، زعـيم قبيلـة هورمك في أحد المعارك، حينما كان خالد بك في الألوية الحميدية مـن جهـة أخـرى[3]، وهناك عامل ثالث، فلم تلـقَ انتفاضـات العلـويين (كـوجكري ١٩٢٠وديرسـم ١٩٣٧–١٩٣٨) تجاوبـاً مـن لـدن الكـرد السـنة بالمثـل. ولـيس غريبـاً أن تلقـى الاصـلاحات العلمانية لأتاتورك ترحيباً من جانب العلويين[4] بداية، قبل أن يكشر مصطفى كمـال عن أنيابه. ولم تكن ديرسم عريناً للعلويين فحسب، بل كانت عريناً للقوميـة الكرديـة ذات الطابع الراديكالي اليساري. ويسجل لهم أنهم آووا الأرمـن الفـارين مـن المجـازر، وساعدوهم في الترحيل الى دول الجوار الآمن.

---

(١)– حسو هورمي ـ محاضرات في الشأن الايزيدي ـ مصدر سابق ـ ص٤٨.

(٢)– الملة في العرف العثماني، هم المواطنون غير المسلمين كاليهود والمسيحيين، وتقوم مؤسسـة الملـة بتنظيم شؤونهم وذلك بمنحهم حق ممارسة حقوقهم. من هنا فقد جردوا حتى مـن هـذه الحقـوق الـتي حاز عليها اليهود والمسيحيون، لعدم اعتبارهم ملة.

(٣)– د. سروة أسعد صابر: مجلة الأكاديمية الكردية/ اربيل – العدد ٣٢ – ص٥٣٠.

(٤)– مارتن فان بروينسون: مجلة كرد نامه – العددان٢و٣ – تموز/ أيلول١٩٩٥.

هـ – أهل الحق: مذهب كردي أصيل، ظهر في كردستان، ومقدساته (مزاراته) تتواجد فيها، ونصوصه الدينية باللغة الكردية/ اللهجة الكورانية. لكن يجب التمييز هاهنا بين أهل الحق والعلي الهي، فهناك اختلافات مهمة بين الجماعتين، كما أن أهل الحق أنفسهم ينفون كونهم من العلي الهي[١]. ويتكلم المعتنقون الكرد لهذه النحلة الشيعية اللهجة الكورانية كما قلنا، وتنتشر النحلة بين (الكوران واللور)، كما تنتشر بين (الترك الأذريين والفرس في ايران و التركمان في العراق)[٢]، وفي كردستان في منطقة (كرمنشاه – وسنناداج ولورستان – و شريط من القرى الكردية والتركمانية جنوبي كركوك ويُدعون بالكاكائيين – وفي مجموعة من القرى قرب الموصل ويُدعون سارلي)، ويؤمنون – وفق رأي آخر – بأن الألوهية تجسدت في (علي) كالنصيريين/ العلويين في سوريا والقزلباش/ العلويين في تركيا، وبتناسخ الأرواح والمؤاخاة كالكائيين.

و – الشبك: ينقسمون بين الشيعة والسنة، إلا أن أكثرهم شيعة. تعرض الشبك مثل غيرهم إلى حملات التنكيل في العراق، علاوة على حملات التشويه المتعمدة، ومنها مثلاً الاشاعة الكاذبة التي تُدعى ليلة الماشوش، حيث زعم بأنها ليلة يختلط فيها الرجال والنساء وتُطفأ فيها الأنوار، ويمارسون فيها الشهوات حتى بزوغ الشمس. ينتشرون شرقي الموصل من تلعفر إلى خانقين مروراً بكركوك، يتوزعون على نحو ٦٠ قرية متفرقة، رحلتهم سلطات البعث إلى مجمعات في سهل حرير في محافظة اربيل ومنطقة بازيان وجمجمال التابعتان لكركوك وباسرمة في محافظة السليمانية، بعد أن رفضوا التخلي عن قوميتهم الكردية في احصاء ١٩٨٧[٣].

ق – الفَيْليون: صنف من الكرد كما يقول المسعودي وابن حوقل وابن فضل الله العمري والدينوري وهزار موكرياني[٤]، أما سبب تسميتهم بهذا الاسم فيروي

---

(١)– مقتبس من تعليقات المترجم: د. نوري طالباني لكتاب: الكرد/ دراسة سوسيولوجية وتاريخية – الأكاديمية الكردية/ اربيل – ط٦ المنقحة عام ٢٠١٢ – ص٣٢٧ و ص٣٧٩ – أنظر هوامش المترجم في أسفل الصفحتين.

(٢)– مارتن فان بروينسون: مجلة كردنامه – العددان٢و٣ – تموز/ أيلول١٩٩٥، مصدر سبق ذكره.

(٣)– حسو هورمي ـ محاضرات في الشأن الايزيدي ـ ص٤٦.

(٤)– خليل اسماعيل محمد(الدكتور): مجلة كولان العربي – العدد ٧٧– تشرين الأول ٢٠٠٢ .

محمد توفيق وردي حكاية تقول: يُحكى أن أحد المصارعين الكرد من (بشت كوه) تمكن ذات يوم من رفع فيل أو أنه صارع فيلاً في حضور أحد الملوك الايرانيين قديماً، حتى شُبه بالفيل لقوته، ثم تطورت الكلمة إلى (فَيْلي) مع الزمن.

الفيليون شيعة (المذهب الجعفري) في غالبتهم، يسكنون اقليم لورستان[1] في كردستان الشرقية، الذي يمتد بين همدان وخوزستان (الأهواز)، وفي خرم آباد وفي عيلام وقصر شيرين وسربيل زهاب وسومار ودهلران منذ القديم، والاقليم يقسم إلى اللر الكبرى واللر الصغرى، يفصل بينهما نهر (سيمه ره)، لذا يُطلق عليهما (بيش كوه/ قبل الجبل) و (بشت كوه/ وراء الجبل). وبعد ترسيم الحدود بين ايران والعراق ألحق قسم من الفيليين أرضاً وشعباً قسراً بالعراق، والبعض قدموا مع جيش نادر شاه افشار الكردي قديماً إلى العراق أو لأسباب سياسية واقتصادية، يسكنون المنطقة الفاصلة بين بغداد والحدود الايرانية، عددهم في العراق بين (٤٠٠- ٥٠٠) ألف.ن[2]. حرمتهم الحكومة العراقية من اكتساب الجنسية وقامت بتسفيرهم في عقود الستينات و السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين إلى ايران، وأسكنت العرب في مناطقهم، واستمرت عمليات التسفير حتى عام ١٩٨٨، وشملت مئات الآلاف، مما ولّد السخط ضد النظام في وسطهم، ودفعهم للانخراط في الحزب الديمقراطي الكردستاني والحزب الشيوعي العراقي، لمناهضتهما تلك السياسة المجحفة[3]. وجدير ذكره أن حبيب محمد كريم، سكرتير الحزب الديمقراطي الكردستاني ومرشح الكرد بلا منازع لمنصب نائب رئيس الجمهورية العراقية كان فيلياً، وكذلك الشهيدة ليلى قاسم.

لهجتهم قديمة، تعود إلى عهد زرادشت، بينها وبين لغة (الكَات Gat) التي كتب بها الآفستا تشابه كبير، وهي كردية من حيث القواعد والصرف والمفردات والمعاني.

(١)- يمثل الكرد الفيليون الأصول التاريخية لـ(اللور)، وكانت لورستان تدعى حتى القرن ١٦م بلورستان الفيلية أو بلاد الفيليين، واللور من أقوام الكرد الرئيسية: كرمانج، كوران، كلهور، اللور، وفق قول شرف خان البدليسي، وينسبهم(سبايزر) الى أسلاف الكرد(اللولو)، أما مينورسكي فينسبهم الى أسلاف الكرد الكاشيين. راجع(د. خليل اسماعيل محمد): كردستان العراق/ دراسات في الجغرافية السياسية - اربيل/ ٢٠١١- مطبعة جامعة صلاح الدين - ص٣٧.

(٢)- محمد توفيق وردي: الأكراد الفيليون في التاريخ - بغداد/ مطبعة الايمان - ١٩٧١.

(٣)- خليل اسماعيل محمد(الدكتور): مجلة كولان العربي - العدد٧٧- تشرين الأول٢٠٠٢.

وقـد أورد محمـد توفيـق وردي في القسـم الثـاني مـن كتابـه «الأكـراد الفيليـون في التاريخ» نموذجاً، قارن فيه بين اللهجتين اللوريـة والسـورانية وقـام حميـد ايزدينـاه بترجمتها، وهذا النموذج لا يترك شكاً حول ما سبق ذكره، وفيما يلي جزء يسير من تلك المقارنة:

اللورية	السورانية	العربية
آزا	ئازا	شجاع
آرد	ئارد	طحين
آفرت	ئافره ت	امرأة
آماده	ئاماده	مستعد
آشكار	ئاشكار	ظاهر
آو	ئاو	ماء
آواز	ئاواز	نغمة
آوريشم	ئاوريشم	حرير
آزار	ئازار	آلام
آشتي	ئاشتي	السلام
ايواره	ئيواره	غروب
بار	بار	حَمِل
بازار	بازار	سوق
بار	بار	السنة المنصرمة
بلنك	بلنك	نمر
بياز	بياز	بصل
بينه‌دوز	بينه‌دوز	رقاع

لاحظ التطابق التام في اللفظ والمعنى، فقط الاختلاف يكمن في نمط الألف بـاء المختارة بينهما.

وإلى جانب اللهجة اللورية هناك اللهجة (اللكية)، التي تنتشر في الجـزء الشـمالي من لورستان، أما لهجة الكاولي (كولي) فيتداولها ذوي المهن، ممن يمتهنون الـرقص أو صانعي الأدوات المنزلية[1].

(١)– مقتبس من مقدمة المترجم حميد ايزديناه لكتاب: «الأكراد الفيليون في التاريخ» السالف الذكر.

الفصل السابع
الرمـــوز الكرديـــة

١- رأس السنة الكردية (نوروز/ اليوم الجديد):

تُروى من قديم الزمان وسالف العصر والأوان «حكاية اسطورية»، تتـولى قـول ما لا نستطيع قوله بشـكل مباشـر، ففيهـا مـن المجـاز مثـل مـا فيهـا مـن المضـمر، وتختزن رغبات مقموعة، كان من الصعوبة بمكان التعبير عنهـا علانيـة. للمزيـد عـن الحكايـة الكرديـة، بمـا في ذلـك الحكايـة الاسـطورية مراجعـة كتـابي: الأدب الشـفاهي الكردي[1].

تروي الحكاية أن حاكماً يُقال له ازدهاك/ ضحاك، قد أبتلـي ذات يـوم بمـرض عضال (ظهرت حية أو تنين على كل كتف من كتفيه)، ويُقـال أن الحكمـاء شخصـوا الداء وأشاروا إلى الدواء في آن، فما كان منه إلا أن أمر الحاشية مداواته بمـخ شـابين يومياً وتنفيذ قرار الحكماء دون تلكؤ؛ لكن المكلـف بتنفيـذ الأمـر، ولشـد إحساسـه بالفجيعة، إكتفى بجز رأس أحدهما وإطلاق سراح الآخر، مستبدلاً مُخه بمخ كبش.

ويُقال أيضاً بأن هؤلاء الأحرار احتموا بالجبال، ثم تجمعوا تحت قيـادة البطـل الاسطوري كاوا الحـداد[2]، الـذي قـاد الانتفاضـة ذات يـوم وأطـاح بعـروش الطاغيـة، وأنقذ الناس من شرور هذا المستبد، وكان ذلك عشية (٢١ آذار)، فما كان من النـاس إلا اشعال النيران ابتهاجاً بيوم الخـلاص، يـوم نـوروز (اليـوم الجديـد) وبدايـة السـنة الجديدة، وهي حكاية منقولة عن الفردوسي.

---

(١)- يُرجى - عزيزي القارىء - العودة إلى كتابي: «الأدب الشـفاهي الكـردي، بأجزائـه الثلاثـة - علـي جزيري»، خصوصاً الجزء الأول الصادر عن رابطة كاوا.

(٢)- في رواية أخرى: أن كاوا الحداد سبق له أن قدم ثمانية من أولاده كبش فـداء للطاغيـة، ولمـا جـاء دور الولد التاسع، وهو آخر أولاده، رفض الأمر، ودعـا النـاس إلى الثـورة، وذلـك بعـد أن بلـغ السـيل الزبى.

من المفيد قوله بأنه في مثل هذا اليوم – الذي غدا رمزاً يجسد الطموح الكردي للظفر بالحرية – يبدأ الاعتدال الربيعي، وتكون الشمس فيه عمودية على خط الاستواء، ويتساوى فيه الليل والنهار في جميع أرجاء المعمورة، وبدءاً من هذا اليوم تغدو الشمس في النصف الشمالي للأرض، معلنة انتهاء البرد والقسوة التي فرضتها الطبيعة طيلة فصل الشتاء من جهة، وبداية الربيع الذي تتزين فيه الأرض بأحلى حلتها وأجملها من جهة أخرى. وإذا كانت مخيلة الشعب الكردي، الذي عشق الحرية وناضل من أجلها طويلاً، قد نسجت هذه الحكاية الاسطورية، التي تناقلتها الأجيال جيلاً بعد جيل حتى وصلت إلينا، فانها – أي الحكاية – تعد بايحاءاتها ودلالاتها المعبرة، رمز مواجهة الانسان الكردي للظلم والجور بحق. وما زال الكرد وإلى جانبهم الكثير من الشعوب كالفرس والأفغان والتاجيك وكذلك في الهند وباكستان وأفغانستان وأرمينيا والتيبت في الصين ومناطق بخارى وسمرقند تحتفل بمثل هذا اليوم وتتخذ منه عيداً وتقيم فيه مهرجانات. كما في اليونان القديمة أعتبر انبعاث أدونيس في الربيع عيداً، وكذلك أتخذ انبعاث آتيس في/٢٠/ آذار عيداً عند الرومان، واحتفل المصريون القدماء بالاعتدال الربيعي/٢١/ آذار وأطلقوا عليه (ني يارو)، وما زال يدعى هذا اليوم عند المصريين عيد شم النسيم، ويعد عيد دوشيا في رومانيا الذي يكون مصحوباً باشعال النيران شكلاً من أشكال الاحتفال بنوروز، كما كان العباسيون في عهد المأمون والمتوكل والمعتضد يحتفلون بالنوروز، وكذلك الفاطميون في مصر، وهو يعد عيد رأس السنة القبطية، وقد اقتبس سلاطين بني عثمان أيضاً الاحتفال بنوروز من الشعوب الهندو – إيرانية[١]. جدير ذكره أن شعوباً أخرى مازالت تحتفل بهذا اليوم، كما يمكن التنويه بأن شعوب أوربا أيضاً كانت تحتفل به وتعده بداية رأس السنة الجديدة حتى القرن السادس عشر الميلادي، فعلى سبيل المثال كان الجرمان والسلاف والسلتيون يحتفلون في ٢١ من آذار بقدوم الربيع. يضاف إلى ماقيل، إن الجمعية العامة للأمم المتحدة أعلنت بدورها يوم ٢١ آذار/ مارس يوم نوروز العالمي، وأدخلت بالتالي هذا العيد في قائمة التراث العالمي لمنظمة اليونسكو، نتيجة للجهود الحثيثة التي بذلها ممثل أذربيجان لدى الأمم المتحدة.

---

(١)– عبد الرحمن مزوري(الدكتور): نوروز والازدهاك والكرد/ دراسة في الأسطورة والتاريخ – أربيل ٢٠١٣ – ص٢١٢و٢٢.

إلا أن الكرد يحتفلون به كعيد قومي رغم المحن، وكلهم أمل وعزم وتصميم على نيل الحرية وتقرير مصيرهم بنفسهم، لأن الحرية تعد قمة القيم لديهم، ولأنهم أكبر أمة في عالمنا المعاصر تفتقر إلى كيان سياسي. لنوروز دلالات متعددة عند الكرد، فبحكم واقعهم السياسي المزري ومعاناتهم جرّاء حرمانهم من حقوقهم كأمة مجزأة وكشعب محروم من الحرية، بات ينطوي هذا الحدث على توق الكرد لانتزاع حريتهم بأي ثمن.

والسلطات الحاكمة في بغداد تجاهلت هذا اليوم المبارك، لكنها اضطرت أخيراً: (تحت ضغط نضال شعبنا إلى الاعتراف به عيداً قومياً لهذا الشعب الرافض لكل أشكال الجور والارهاب، رغم محاولاتها فيما بعد تشويه هذا العيد وتغيير اسمه ومعالمه بأن جعلوا منه عيداً للزهور والربيع، كي يمسحوا اسمه الحقيقي في اذهان الناس)[1]، ويفرغوه من محتواه.

أما في الجزء الكردستاني الملحق بسوريا، فقد كان الاحتفاء والاحتفال بنوروز من الفروض الرئيسية، وقد قرر أول تنظيم سياسي كردي في سوريا (البارتي) ومنذ تأسيسه في ١٩٥٧/٦/١٤ بأن الاحتفال به من المقدسات، لذا كان احياؤه ضرورياً مهما كانت الظروف، رغم أن السلطات كانت تسعى لالغائه من ذاكرة الكرد بأي ثمن عبر الاعتقالات وفصل الطلبة وإطفاء نار نوروز، لذا كان الكردي تحت عيون الرقباء من أعوان الأجهزة الأمنية التي كانت تحصي عليه أنفاسه. وبعد استشهاد سليمان محمد أمين آدى، شهيد نوروز الأول في ٢١ آذار١٩٨٦م بدمشق، وبدءاً من ذاك اليوم، اضطّر الرئيس السوري حافظ الأسد إلى اصدار مرسوم أقر بموجبه اعتبار يوم ٢١ آذار عيداً تعطل فيه دوائر الدولة الرسمية، تحت تسمية عيد الأم، وفق السيناريو العراقي.

وقد سبق لحمزة نويران – أحد مؤسسي (البارتي) – أن وصف أجواء نوروز في كردستان سوريا، قائلاً: (لقد كانت الاحتفالات في تلك المرحلة – الستينات من القرن العشرين – تتم في سرية تامة، في غرف مغلقة، تنزل فيها الستائر على النوافذ، وتُتلى في الحفل كلمة الحزب على ضوء الشموع، ثم تلقى بعض الأشعار للشعراء الكبار بهذه المناسبة ممجدة النوروز، وبعض الفعاليات الصغيرة من دبكات وحركات

(١)– حسن جاف: صحيفة بغداد – العدد/١٢٠/ – ٢٦ آذار ١٩٩٣.

خاصة بهذه المناسبة)[١]. يؤكد الباحثون والمؤرخون بأن واقعة (٢١آذار) حدثت عام ٦١٢ق.م، ولا يُخفى ما لهذا التاريخ من دلالة عميقة، ففي هذا اليوم انتصرت ميديا على الدولة الآشورية ودخلت عاصمتها نينوى[٢]، وعلى هذا الأساس يعتبر بعض الكرد أن هذا الحدث هو بداية السنة والتاريخ الكردي، وعلى هذا الأساس يقال وبعملية حسابية بسيطة، العام الميلادي ٢٠١٧م يقابله العام الكردي (٦١٢ ق.م + ٢٠١٧م = ٢٦٢٩ك)، لكن آخرون يقولون بأن نوروز أقدم من الزرادشتية والمثرائية، لكن زرادشت حوّل نوروز إلى عيد ديني زرادشتي: (ولدى الزرادشتيين واليارسان، فان نوروز هو اليوم السادس والأخير للخليقة، أي أن الاله قد انتهى من خلق الكون في هذا اليوم)[٣].

وذهب أغلب من تناول هذا الموضوع ومنهم المسعودي بأن البيشداديين أجداد الكرد[٤]هم من أول من أسس هذا العيد واحتفل به، وبالتالي ليس بازدهاك أية علاقة بنوروز كما يقول مزوري.

٢- العلم الكردي:

رمز من رموز الكرد المقدسة في العصر الحديث على وجه التحديد، يشير إلى هوية الأمة الكردية. مامن شك أن أسلاف الكرد، ومنذ غابر الأزمان، كانوا يتداولون الأعلام (الرايات والبيارق) ذات الأشكال المتعددة (مستطيلة، مربعة، مثلثة، دائرية) وذات الألوان والرموز مختلفة الدلالة، تبشر من خلالها بحالات السلم أو الحرب والانتصار، وكانت تصنع من الأقمشة أو الجلود. ففي عهد الدولة الأيوبية، أتخذت قطعة من القماش الأصفر يتوسطها نسر منفرد الجناحين رمزاً مميزاً لجيوش صلاح الدين الأيوبي، كما من المفيد قوله بأنه كانت لكل إمارة من الامارات الكردية رايتها الخاصة، مثلما هو الحال اليوم بالنسبة للأمم المتحدة والمنظمات الدولية والشركات والفرق الرياضية ... الخ، التي اختارت لها أعلاماً ذات رموز متنوعة، لها دلالات

---

(١)- محمد جزاع: المناضل حمزة نويران/ صفحات من الذاكرة - ص١٧٢.

(٢)- غنثر ديشنر: الكرد، شعب بدون دولة، تاريخ وأمل - ترجمة: د. جورج كتّورة - دار الفارابي/ بيروت - دار آراس/ أربيل - ط١ عام ٢٠١٤ - ص٨٧.

(٣)- فلك الدين كاكائي: جريدة صوت الأكراد - العدد/٤٥٧/ - تاريخ ٢٠١٢/١٢/١٥.

(٤)- الملك جمشيد البيشدادي رابع ملوك البيشداديين تحديداً.

تعبيرية معينة. يذكر المرحوم فلك الدين كاكائي، كيف رفع المنتفضون الكرد العلم الكردي في كوماتش عام ١٩١٤. ويعتقد أن العلم الكردي بشكله وألوانه ورموزه القريبة من العلم الكردي المألوف في وقتنا الحاضر قد: (صمم عام ١٩١٩، وأعتمد كرمز للأمة الكردية عام ١٩٢٠)[١]. وأثناء مؤتمر الصلح في باريس ١٩١٩[٢] اتخذه شريف باشا رمزاً للكرد. أما ثورة الشيخ سعيد بيران عام ١٩٢٥م، فقد رفعت عالياً علم كردستان رمزاً للطموح إلى الاستقلال القومي[٣]. وكذلك أعتمد من قبل خويبون عند التأسيس ١٩٢٧، كما نصب العلم الكردي في ثورة آغري داغ عام ١٩٢٦ – ١٩٣٠ تحت قيادة احسان نوري باشا في قمم جبال كردستان تركيا (رفع العلم الكردي الثلاثي الألوان خفاقاً فوق ذرى جبل آغري الشامخ، وكان قد أتفق على لون العلم الكردي عام ١٩٢٠ من قبل جمعية تعالي كردستان، وقامت خويبون بارساله إلى آغري، حيث زين به احسان نوري هامة جبل آغري لأول مرة)[٤]، ورفع هذا العلم في سماء مهاباد، عاصمة جمهورية كردستان ايران عام ١٩٤٦، وسلّم القاضي محمد قبل استشهاده (أعدم شنقاً) العلم أمانة للخالد ملا مصطفى البارزاني، وحافظ الأخير على تلك الأمانة وسلمها إلى أحفاده، وهاهو يرفرف اليوم عالياً خفاقاً في أرجاء اقليم كردستان العراق، وفوق مبنى برلمانه وحكومته. جدير ذكره أن علم مهاباد كان يختلف بشكل بسيط عما هو الآن، حيث أحيطت الشمس بسنبلتين ناهيك عن رأس قلم، أما ايغلتن فيقول: كانت الشمس تتألق خلف جبل.

بينما زنار سلوبي (قدري جميل باشا) يقول: إن جمعية الرابطة الاجتماعية بدورها حددت العلم الكردي (بثلاثة ألوان: من الأعلى شريط بلون أحمر، وفي الوسط شريط بلون أبيض فيه شمس ساطعة، ومن الأسفل شريط بلون أخضر، وعممته كعلم وطني للأكراد)[٥].

---

(١)– جريدة يكيتي – العدد ٢٠٢– نيسان ٢٠١٤.

(٢)ـ راجع الوثيقة رقم ٢٨، عن الوفد الكردي ـ الأرمني إلى مؤتمر الصلح في باريس ١٩١٩.

(٣)– فلك الدين كاكائي: القذافي والقضية الكردية – دار آراس – ط٣ عام ٢٠٠٨م – ص١٦٤.

(٤)– انتفاضة آغري/ مذكرات: الجنرال احسان نوري باشا – ترجمة: صلاح برواري – ط١ تموز ١٩٩٠/ بيروت – لبنان – ص١٦.

(٥)– قدري جميل باشا(زنار سلوبي): مسألة كردستان – ط٢عام١٩٩٧ – بيروت – ص٧٠و٧١.

وهاهو جلادت بدرخان يصف العلم الكردي في (هاوار) على النحو التالي: (ألوان العلم الكردي من الأعلى نحو الأسفل، هي: الأحمر، الأبيض، الأخضر، وفي الوسط تتألق الشمس)[1]، ويتفرع عن الشمس/٢١/ لساناً أو سناً، وهي ترمز إلى عيد نوروز الذي يصادف ٢١ آذار. أما عثمان صبري فقد تغنى بالعلم الكردي في هذه القطعة الشعرية:

Min divê her tu bilin be
Ala rengîn, kesk û sor
Him xweşî, him ceng û rûmet
Tên zanîn ji sor û gewr

من المعروف أن شكل العلم (مستطيل)، وهو بدوره مقسم إلى ثلاثة مستطيلات أفقية، العلوي أحمر (رمز الثورة والتضحية ورمز الدم الكردي المراق من أجل الحرية)، والأوسط أبيض (رمز السلام والطهارة) وتتألق في وسطه شمس ذهبية (صفراء) ذات ٢١ لساناً (رمز النور والضياء والنهضة عند الشعوب الآرية وفي الزرادشتية)، والسفلي أخضر اللون (رمز التنمية والتجدد والخصب والحياة والجمال). إن هذه الألوان تذكرنا باشراقة الربيع وبرمزية الشمس في الميثولوجيا الكردية، فكانت الزردشتية تُدعى: (الدين الأبيض... وفي الأفستا شواهد كثيرة على قدسية اللون الأبيض، منها أن ميثرا وُصف بأنه صاحب الأحصنة البيضاء، وأن الحزام المقدس كوست/ كوستي يُصنع من الصوف الأبيض)[2]. وقد سبق أن وصف ديورانت الزرادشتيين قائلاً: (وكان الأهلون يجتمعون في الأعياد وكلهم يرتدون الملابس البيضاء)[3]. ومازال: (للبياض حضور قوي في المجتمع الكردي، وخاصة في التراث الايزيدي، إنه يتجلى في ألوان قباب المزارات المقدسة، وفي ألبسة الكهنوت الايزيدي، رجالاً ونساءً، وفي المناديل البيضاء التي تغطي بها النساء الكرديات رؤوسهن ... وفي معرض وصف الأديب الفلسطيني غسان كنفاني لمدينة حيفا أو يافا، ذكر واجهات بيوت حي الأكراد المصبوغة بالكلس. و (أحسب أن زهرة

---

(١)- مجلة هاوار - العدد/٩/- السنة ١٩٣٢- ص١-٢.

(٢)- أحمد محمود الخليل(الدكتور): الشخصية الكردية - مصدر سبق ذكره - ص٢٠١.

(٣)- ول ديورانت: قصة الحضارة - الجزء الثاني - ص٤٣٩.

النـرجس ببتلاتهـا البيضـاء، وبالصـفرة في وسـطها، تمثـل تفاعـل لـوني الأبـيض والأصفر، وهي جديرة بأن تكون الرمزية للكرد، بل يبدو أنها كذلك)[١].

جدير ذكره أن العلم الكردي اليوم، هو المعتمد حالياً في كل أرجاء كردستان، وتعترف كل القوى السياسـية الكرديـة بأنـه يجسـد الهويـة القوميـة باسـتثناء حـزب العمال الكردستاني.

ويروي كونتر ديشنر كيف اجتمع ثلة مـن المناضـلين الكـرد في آب ١٩٤٤ علـى جبل دلان بر على علو ٣٦٠٠م لأداء القسم المعروف بـ (سى سينور Sê sînor) حيث الموقع يطل على كردستان تركيا وايران والعراق، في تلك الجلسة: (تم التفكير في علـم الدولة الكردية المستقبلية، وخلافاً للألوان في العلـم الايرانـي، تم التوافـق كرديـاً علـى اعتماد الألوان من الأعلى إلى الأدنى، وبالتدريج من الأحمر إلى الأبيض ثـم الأخضـر، على أن يكون الرمـز الكـردي "الشـمس" في الوسـط مـع سـنابل قمـح علـى جانبيهـا وتحتها جبل مغطى بالثلج مع ريشة "أو قلم")[٢].

٣- النشيد القومي الكردي:

عبارة عن قصيدة/ مارش (ئـه ي ره قيـب Ey reqîb) نظمهـا الشـاعر الكـردي دلدار[٣] المولود في كويسنجق بكردستان العراق، والذي وافته المنية في ربيع شـبابه، ولحنه المناضل الراحل نوري شـاويس[٤] أول مـرة، وبعـد سـنوات لحنهـا مـن جديـد حسين برزنجي[٥]. وصف المرحوم فلك الدين كاكائي بـأن يـونس كـان رومانسـياً و:

---

(١)- أحمد محمود الخليل: الشخصية الكردية - مصدر سبق ذكره - ص٢٠٢.

(٢)- كونتر ديشنر: الكرد، شعب بدون دولة، تاريخ وأمل - مصدر سبق ذكره.

(٣)- يونس بن ملا رؤوف محمود بن ملا سـعدي (١٩١٨- ١٩٤٨)، اسمـه الحركـي دلـدار أي العاشـق، أحد الشعراء الكرد المجددين، أنظـر: الشـعر التعليمـي والاتجـاه الـوطني في شـعر الشـاعرين معـروف الرصافي وفائق بيكه س/ دراسة مقارنـة - عبـدالرحيم الجـاف - مـن منشـورات الأكاديميـة الكرديـة/ اربيل ٢٠١٢ - ص٦/ الهامش - منقول بدوره من: كاكه فه لاح و حه مه ئـه مـين قـادر - كـاروانى شيعرى نويى كوردي - ص٩٩. شبه يونس بالشاعر التونسي أبو قاسم الشابي، ومـن المفيـد ذكـره أن يونس كان يمارس المحاماة أيضاً.

(٤)- قدري جميل باشا: مسألة كردستان - مصدر سـبق ذكـره - ص٢٤. هنـاك مـن يختلـف مـع هـذا القول.

(٥)- نارين عمر: موقع سما كرد.

(يمثل رائد المدرسة الرومانسية في الشعر الكردي ... ويماثل الشاعر أبو القاسم الشابي في الشعر العربي، وبوشكين في الشعر الروسي وشيلي في الشعر الانكليزي)[١].
جدير بالذكر أن دلدار نظم هذه القصيدة في أحد معتقلات النظام الشاهنشاهي في ايران، تحت عنوان: Ey reqîb، المقصود به (السَّجان)، أو النظام الذي كان يقف في مواجهة التطلعات الكردية بالمرصاد، إلا أن الاستاذ كمال معروف فينوه بأنه: ألفها في كركوك وهو لايزال في المرحلة الثانوية[٢]. وفي ساحة Çar çira وفي ١٩٤٦/١/٢٢م كانت الحناجر الهادرة للجماهير تتلو وتنشد وتردد هذا السرود القومي، ويعلو صوتها في سماء مهاباد، وهي تشق العنان بشموخ وتحرٍ لا مثيل لهما.

فيما يلي ترجمة النشيد القومي الكردي (Ey reqîb) للاستاذ فلك الدين كاكائي:

[ليعلم الجميع إن الأمة الكردية ليست فانية
الأمة الكردية خالدة،
عَلَمها خالد، لن ينتكس أبداً...
أيها الرقيب (العدو)...
نحن أبناء اللون الأحمر والثورة،
فانظر إلى تاريخنا ... المدمّى ...
أيها الرقيب (العدو) ...
الشباب الكرد مستعدون دوماً ... متحفزون ...
فدائي،
فدائي،
فدائي ... أبداً،
ديننا ... ايماننا ... هو الوطن.
أيها الرقيب (العدو) ...
لم يبقَ سوى قوم الكرد،
مَنْ لم يحطمه مدفع الزمن]

(١)– فلك الدين كاكائي: القذافي والقضية الكردية – مصدر سبق ذكره – ص ١٦٥.
(٢)– راجع كتابه: الحركة التجديدية في الشعر الكردي الحديث.

الفصل الثامن
الكيانات الكردية عبر التاريخ

أولاً: العصور القديمة

نتيجة موجات الجفاف من جهة، وتزايد عدد السكان من جهة ثانية، وضغوط الشعوب التورانية من جهة الشرق من جهة ثالثة، أضحت جغرافية الشعوب الآرية طاردة، فتوجه الآريون نحو مناطق أكثر استقراراً على ثلاثة محاور: **الأول** نحو شمالي شبه جزيرة الهند، **والثاني** نحو أوربا، **والثالث** نحو غرب آسيا. وانصهرت الأقوام الآرية التي قدمت نحو الغرب (جبال زاغروس) في بوتقة الأقوام التي كانت تقطنها قبلئذٍ، مثل: الكوتيين، ولولّو، والسوباريين الذين كانوا يقطنون مناطق واسعة من جبال زاغروس، وانتشروا منها باتجاه المناطق المجاورة الأكثر خصوبة والأوفر مياهاً، بمن فيهم السومريين، الذين نزحوا بدورهم من زاغروس، واستقروا فيما بعد في سهول (بلاد مابين النهرين) الجنوبية. وشهد التاريخ الكردي القديم، الذي مازال الغموض يكتنفه، نشوء ممالك عدة أقامها (أسلاف الكرد)، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

١- الكوتيون (الجوتيون): يعتقد بعض المستشرقين أن هذا القوم (هو الأصل الأول للأمة الكردية الحالية)[1]. كان الكوتيون يقيمون في القطاع الأوسط من جبال زاغروس، عاصمتهم كركوك (أرّابْخا)، ثم زحفوا نحو (الزاب الأسفل وديالى والشط العظيم) في نهاية الألف الثالث ق.م. كان موطنهم يُدعى كوتيوم ويمتد بين أرمينيا وطور عابدين، لكنهم كانوا عرضة للغزو المستمر من قبل الأكاديين القادمين من الصحراء، الذين كانوا يأسرونهم ويبيعونهم في أسواق النخاسة في سومر، لذا انتفضوا ضد الغزاة وحرروا بلادهم أخيراً، ثم زحفوا نحو أكّاد، التي سقطت في

---

(١)- محمد أمين زكي بك: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان - الجزء الأول - مصدر سبق ذكره - ص٨٨.

أيديهم عام ٢٢٣٠ق.م، حتى أن كهان السومريين والأكّاديين كانوا يعزون انتصار الكوتيين إلى غضب الاله إنليل على مدينتهم أكّاد وأهلها، وقد وصف شاعر سومري جحافل الكوتيين، قائلاً: (قومٌ لا يُحصون، وبلاد لا يُحصى أهلُها، بلادُ الكوتيين بلادٌ لا يُكبَح جماحُها، هؤلاء جاء بهم إنليل من الجبال، فغطّوا الأرض بأعداد ضخمة كالجراد)[١].

كان ملوك الكوتيين يُنتخبون لمدد محددة ومختلفة من قبل زعماء القبائل بشكل حر، وكان النظام قبلياً ورعوياً، ينبذ المركزية والحكم المطلق ويُحبذ اللامركزية ذات الطابع الديمقراطي، لذا كان الكوتيون يتمتعون بقدر من الحرية الفردية، بخلاف النموذج الزراعي العبودي في أكاد، ودام حكم الكوتيين أكثر من ١٢٥سنة.

٢- **اللولّو:** من الأقوام الكردية القديمة أيضاً التي قطنت القطاع الشمالي من جبال زاغروس، ثم نزحوا نحو مناطق (جَمْجَمال وبازيان وزهاو والسليمانية وسهل شهرزور). كان الآشوريون يفرضون عليهم الجزية ويأخذونهم أسرى، وبعد سقوط أكّاد على يد الكوتيين تنفس اللولّو الصعداء. جمع زعيم قبيلة ناسّيكو سكان زامْوا، حيث كانت تُعرف بلاد اللولّو بهذا الاسم، وقاوم الاستعباد الآشوري، وكان يتحصن في الجبال ويثور من حين لآخر.

أما لغتهم فكانت شبيهة بلغة سوبارتو، وهذا الأمر بحاجة إلى المزيد من البحث. وكانوا على جانب كبير من: (اتقان الصناعات والفنون)[٢].

٣- **سوبارتو:** يعني سكان المناطق الشمالية العليا لوادي الرافدين. ضمت سوبارتو أراضي واسعة تمتد بين عيلام شرقاً وجبال الأمانوس المطلة على البحر المتوسط غرباً، وتميزت سوبارتو بخيولها التي سماها الملك الأكادي نارام سين بـ (حمير سوبور)، ويقول بعض المستشرقين بأن الميتانيين فرع من السوباريين، كما يعتقدون أن الهوريين (الحوريين) هم أيضاً من السوبارتو[٣].

---

(١)- أحمد محمود الخليل(الدكتور): تاريخ أسلاف الكرد - مصدر سبق ذكره - ص٣٣/٣٤.

(٢)- محمد أمين زكي بك: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان - الجزء الأول - مصدر سبق ذكره - ص٨٦.

(٣)- المصدر السابق - ص١٠٠.

٤- **الكاشيون:** من أقوام لورستان التي تشكل امتداداً لزاغروس. هم أقرباء اللولو والكوتيين إثنياً وجيرانهم جغرافياً. نزلوا في سهول ميزوبوتاميا في الألف الثانية ق.م، واتخذوا من أكباتانا (هَمَذان) عاصمة لهم، وكان (كانداش) الذي حكم بين (١٧٤١- ١٧٢٦) ق.م من أبرز ملوك الكاشيين، أطلق على نفسه لقب "ملك جهات العالم الأربعة"[١]، أما الملك الكاشي آكُوم فقد وصفه آشور بانيبال بالفاتح العظيم. واتخذ الكاشيون بابل عاصمة لهم، قبل أن يتخذوا من (دُور كاريكالْزو/ عَقَرْقوف الحالية) عاصمة لبلادهم.

مناطق الكاشيين مشهورة بانتاج أفضل الخيول، وكانوا يقدسون الشمس، ويسوسون الناس باللين داخلياً، ويمارسون سياسة التعايش السلمي خارجياً، حتى أن الملك الآشوري (آشور أوبالّيت الأول) قام بتزويج ابنته من ابن الملك الكاشّي (بُوْنا بُورْياش الثاني)، وقد دامت المملكة الكاشية نحو٦٠٠سنة، وحكم الكاشيون بلاد بابل نحو ٤٠٠سنة.

كانت هناك مصاهرة بين فراعنة مصر والكاشيين أيضاً، فقد تزوجوا أميرات كاشّيات، حيث كان الكاشيون يتميزون بالجمال الفتان (البياض والشقرة)، لكن فراعنة مصر رفضوا تزويج الكاشيين من أميراتهم لاعتقادهم: (بأنهم - أي الفراعنة - من سلالة الآلهة)[٢]. ناهيك عن العلاقات التجارية، فالكاشيون كانو يصدرون اللازورد والخيول والعربات إلى مصر ويستوردون منها العاج والذهب وخشب الأبنوس[٣].

تحدث دياكونوف عن حضارة الكاشّيين وآثارهم، ومنها صورة رأس الانسان مع جسد الأسد، ناهيك عن الحركة العمرانية والمعابد المزينة، والأسلحة ولجام الخيول ولوازم العربات، وأدخلوا سلالات جديدة من الخيول المتميزة إلى ميزوبوتاميا واستخدموها في نقل الأمتعة وجر العربات، فضلاً عن استنساخ نصوص ملحمة جِلْجامِش وقصة الطوفان. أما اللغة الكاشية فكانت ذات صلة باللغة العيلامية، وللمفردات الكاشية - كما يقول جمال رشيد أحمد - خلفية زاغروسية. ويعتقد أنهم

---

(١)- أحمد محمود الخليل(الدكتور): تاريخ أسلاف الكرد - مصدر سبق ذكره - ص٨٥.

(٢)- المصدر السابق - ص٩٤.

(٣)- زبير بلال اسماعيل: مجلة كولان العربي - العدد ٢٥/٢٠ كانون الثاني ١٩٩٨ - ص ٧١ و٧٢.

كانوا: (وثنيين مثل جيرانهم من الشعوب الأخرى، فكان كبير آلهتهم يدعى سرياش، يعني آلهة الشمس)[١]. ويذهب المستر هول إلى أن لغتهم كانت فصيلة من اللغات الآرية (الايرانية). أما المستشرق هوزينغ فيقول أن اللهجة الكاشية مشابهة تمام الشبه بلغة شمالي عيلام. وامتلك الكاشيون كما قلنا صنفاً من الخيول التي استخدموها: (في جر الأثقال والعربات وفي الركوب أيضاً.. وتقدموا في الفنون والصنايع وفن الكتابة والخط)[٢].

٥- **المملكة الحورية**: فيما يخص التسمية، فقد وردت في العهد القديم بصيغة (حُورِيْمْ)، فالياء والميم من علامات الجمع في العبرية، واللفظ الصحيح (خُورّيْمْ) أي بالخاء المضمومة وتشديد الراء، لكن صيغة الـ (حوري) هي من الصيغ الشائعة اليوم في الدراسات العربية[٣]. ومعنى لفظة (حوريم) غير معروف، وقد وصف فينكلراللغة الحورية بأنها عبارة عن اللغة الآرية (الهندو – ايرانية) القديمة[٤]، كما أكد فريدريش في دراساته وجود صلة قرابة بين اللغتين الحورية والأورارتية[٥]، وهذا ما أكده دياكونوف أيضاً، ويمضي فيلهلم في القول بأن اللغتين عبارة عن فرعين منفصلين عن لغة أم، استقلتا عن بعضهما منذ الألف الثالث قبل الميلاد.

قدِمَ الحوريون من الجبال الواقعة في شمال شرقي بلاد الرافدين، وانتشروا في الهلال الخصيب، وقد عثر في تل براك وجاسور (نوزي) على وثائق تؤكد انتشار اللغة الحورية في الألف الثاني قبل الميلاد، حتى منابع الخابور. وبعد سقوط مملكة أكّد جرّاء ضغط الكوتيين، نشأت على أنقاضها أول دولة حورية، ومنذ حوالي ١٥٦٠ق.م لوحظ غلبة الطابع الحوري في حلب وألالاخ، وقد تحدث لاندس برجر عام ١٩٥٤ عن وجود أربع ممالك حورية غربي الفرات، هي: حلب، أُرْشُم، خَشّوم، كَرْكَميش[٦]، وقد انتشرت اللغة الحورية خلال القرن ١٤ق.م في شمالي حمص وجنوبها، وقبل ذلك في

(١)– محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان – الجزء الأول – مصدر سبق ذكره – ص٩٦.

(٢)– محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان – الجزء الأول – مصدر سبق ذكره – ص٩٦.

(٣)– راجع: مقدمة المترجم د. فاروق إسماعيل لكتاب(جرنوت فيلهلم: الحوريون/ تاريخهم وحضارتم – ط١ عام ٢٠٠٠– ص ٩.

(٤)– المصدر السابق – ص١٩.

(٥)– المصدر السابق – ص٢٢.

(٦)– المصدر السابق – ص٤٥.

كيزّوفَتْنا التي كانت تضم مناطق كيليكيا ومناطق جوكوروفا المحيطة بأضنة على طول نهري سيحان وجيحان، وكذلك مناطق كبادوكيا. وبعد سقوط مملكة ماري انتشر الحوريون في وادي البليخ والفرات الأوسط والعاصي الأوسط[1]، لكن الحثيين هددوا الممالك الحورية ودمروها.

من المفيد قوله أن الصيد كان النشاط الرئيسي للحوريين، ناهيك عن الزراعة وتربية الحيوان، واشتهروا أيضاً بالقوس الحربي، وأبرز إله حوري (تِشّوب/ إله الطقس وملك الآلهة) والالهة الكبرى شاووشْكا وظيفتها الجنس والحرب.

٦- مملكة ميتّانيا[2]: ظهرت المملكة الميتانية في القرن ١٥ق.م لكن لم تدم طويلاً. يذكر المؤرخ المصري الدكتور محمد بَيُّومي مَهْران بأن الميتانيين أقاموا دولتهم، التي شملت مناطق واسعة جداً امتدت من أرمينيا وبحيرة وان وجبال طوروس وكيليكيا وحلب وديار بكر شمالاً وحتى أواسط الفرات وسوريا الجنوبية جنوباً، ومن جبال زاغروس شرقاً وحتى الساحل السوري غرباً، بما في ذلك الجزيرة السورية العليا ومملكة حلب وألالاخ وأوغاريت ومملكة كيزّوفَتْنا في كيليكيا، وكل المناطق الناطقة بالحورية...الخ. كانت عاصمتها (وَشّوكّانّي أو اشوكّاني/ تل الفخارية أو سِيكاني)، في أعالي حوض الخابور. يقول المستشرق (جنسن)، أن (ميتاني)كان لَقباً للعائلة المالكة، و (سوباري) الاسم الدال على القوم.

ومن نافل القول أن الصراع المحتدم أو الدائر بين مصر والمملكة الميتانية على سوريا، انتهى بعقد معاهدة سلام بين الطرفين وطلب العون من المصريين للتصدي للخطر الحثي ووضع حد لأطماعهم التوسعية، وسرعان ما تكللت بمصاهرة بين طرفي الصراع، حيث تزوجت الأميرات الفاتنات الميتانيات من عدد من الفراعنة. فقد تزوج فرعون مصر من ابنة الملك الميتاني أرْتَتَما الأول، وتزوج أمُنْحُوتَب (أمْنُوفِس) الثالث من الأميرة الميتانية تَتوخِبا (تادو خِبا) ابنة الملك الميتّاني شوتّارنا الثاني، كما تزوج الفرعون أمنحوتب الرابع (أخناتون) - وهو ابن الأميرة تادو خِبا على الأرجح - من احدى بنات الملك الميتاني تدعى الأميرة (تَتوخِبا أو نفرتيتي)، وبتأثير من والدة أخناتون الميتانية وزوجته الميتانية، حصل تغيير

---

(١)- جرنوت فيلهلم: الحوريون - المصدر السابق - ص٥١.

(٢)- راجع المصور ٩ والشكل ٢.

نوعي في الديانة المصرية القديمة، حيث ألغيت تلك الديانة المتمحورة حول العجل المقدس، وحل محلها ديانة آتون التوحيدية المتمحورة حول الشمس[١].

عرفت قبائل الميتانيين تربية الخيول، فتشكلت طبقة الفرسان التي وحدت الامارات الحورية التي كانت على تخومهم وقادتهم إلى منطقة الهلال الخصيب، من هنا أخذوا يطلقون عليهم اسماً مركباً، وسميت مملكتهم بـ (الحورية – الميتانية)، ودخلت في نزاع مع الآشوريين في الشرق والحثيين في الشمال والفراعنة في الجنوب. ما من شك أن الميتانيين فرع آري، لكنهم هيمنوا على بلاد الحوريين وخضع ملوك آشور لهم في منتصف القرن ١٥ق.م، ودامت السيطرة الميتانية على بلاد آشور نحو ٢٠٠ سنة[٢]. سيطر الميتانيون على الطرق التجارية (طريق الحرير والبخور)، تلك التي كان الحثيون يسعون لوضعها تحت هيمنتهم، وراهنوا على التناقضات في داخل مملكة ميتانيا، وقد نجحوا في مسعاهم واحتلوا وَشّوكاني العاصمة. مامن شك كانت للعربة ذات العجلتين دوراً مميزاً في تفوقهم العسكري، ناهيك عن القوس الميتاني الشهير وفنون الحصار.

٧– الخَلْديون/الخالتيون (أورارتو): عاصمتهم تُوشْبا، تقع قرب وان، ثم نزح بعض الخلديين إلى وادي الفرات[٣]. هم سلالة زاغروسية، ونوه جرنوت فيلهلم بتلك القرابة اللغوية بينهم وبين الحوريين، ورجح أن لغتيهما قد انفصلتا منذ الألف الثالث ق.م[٤].

شكلوا خلال القرنين ٩و٨ ق.م مملكة واسعة امتدت بين بحيرة أورميا شرقاً وحتى الفرات غرباً والقفقاس ونهر آراس شمالاً وطوروس جنوباً، وبلغت مملكة أورارتو أوج مجدها في عهد الملك أرْكشْتي الأول الذي توفي عام ٧٦٠ ق.م، وقد واجهوا الآشوريين عبر جبهتين، **اقتصادية** ترتكز على الزراعة (أقيمت قنوات الري والعنابر مثلاً) والصناعة (التعدين والخمور من الكروم) والتجارة المزدهرة. **وعسكرية** تجسدت في التسليح الجيد بالعربات والسيوف والتروس البرونزية والرماح الحديدية المدببة الرؤوس والأقواس والسهام، ناهيك عن التنظيم[٥].

---

(١)– راجع(د. أحمد الخليل): الشخصية الكردية – ص١٩٦، وكذلك: الكرد في الشتات/ الكرد في مصر.

(٢)– عبد الحميد زايد: الشرق الخالد – ص ٨٢. دامت مملكة ميتانيا قرابة قرنين(١٤٧٥– ١٢٧٥)

(٣)– أحمد محمود الخليل(الدكتور): تاريخ أسلاف الكرد – مصدر سبق ذكره – ص١٩٩.

(٤)– المصدر السابق – ص١٩٦.

(٥)– أحمد محمود الخليل(الدكتور): تاريخ أسلاف الكرد – مصدر سبق ذكره – ص٢١٢.

٨- المانّاي: فرع آخر من أسلاف الكرد، ويعدهم دياكونوف جزءاً من اتحاد أقوام ميديا، بينما الدكتور جمال رشيد أحمد يقول بأنهم ينحدرون في جذورهم من الكوتيين واللولو والحوريين وتأثروا تدريجياً بالميديين(١). كانت مملكتهم تقع جنوبي بحيرة أورمية وشرقيها، وعاصمتها إيزِرْتا، على بعد ٥٠ كم شرقي سَقِز، ضمت مَهاباد وسقز وشُنو ومرتفعات زاغروس الوسطى والشمالية، وامتدت حتى نهر آراس شمالاً. كانت مملكة مانّاي تقع تحت نفوذ مملكة أورارتو، ثم استقلت عنها(٢)، إلا أنها كانت ضعيفة في مواجهة مملكتي آشور وأورارتو، فاتفقوا مع أورارتو، لكن حين تحالفت قبائل ميدية مع أورارتو في مواجهة مانّاي تحالفت مملكة مانّاي مع الآشوريين. بلغت مانّاي أوج ازدهارها عام ٧١٤ ق.م، وامتدت مملكتهم بين نهر الزاب الكبير (الأعلى) ونهر آراس، فضمت بذلك الأجزاء الشمالية من كردستان الشرقية ومناطق من كردستان الجنوبية، لكن الملك الأورارتي (مينَوا) وسع مملكته على حساب مملكتي مانّاي وآشور، ويبدو أن الصراع كان يدور حول طريق الحرير ذو الأهمية الاستراتيجية آنئذٍ، ثم تحالف شعب السكيث القادم من شمالي البحرالأسود مع الآشوريين، وغزا مملكة مانّاي واتخذها قاعدة للهجوم على مملكة ميديا، لكن في الفترة الواقعة بين (٥٩٠ - ٥٨٠) ق.م أضحت مانّاي جزءاً من الامبراطورية الميدية، فسميت ميديا الأتروبانية. اشتهرت مانّاي بتربية الحيوان (مواشي، الخيول، الحمير، الجمال ذات السّنامين)، وزراعة الحبوب (خصوصاً القمح) والتعدين. أقامت مانّاي نظاماً ديمقراطياً وفق مقاييس ذاك العصر، فكان فيها مجلس يشبه مجلس الشيوخ اليوم (ري سبي) مكون من القادة وزعماء القبائل، كان يساعد الملك في ادارة دفة الحكم، وقسمت المملكة ادارياً إلى عدد من المقاطعات/ الولايات، لكل منها حاكم(٣).

٩- نايري: يذكر المستشرقون بأنهم حلوا محل السوباريين، وبلادهم هي تلك التي شوهدت فيها اقامة الشعب الكردوئي سنة ٤٠١ ق.م و (الشعب الكردوئي الجبار هو جد الشعب الكردي الحالي، وحفيد الشعب الميِدي)(٤)، وقد مرّ زنيفون بالشعب الكردوئي وسماه كاردوخي، ويعتقد أن تسمية الكرد أشتقت من هنا.

---

(١)- المصدر السابق - ص ٢٢٨.

(٢)- المصدر السابق - ص٢٣١.

(٣)- أحمد محمود الخليل(الدكتور): تاريخ أسلاف الكرد - مصدر سبق ذكره - ص٢٤١.

(٤)- محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان - الجزء الأول - مصدر سبق ذكره - ص١٠٢.

١٠- مملكة ميديا: قدمَ الميديون نحو الألف الأول ق.م من أواسط آسيا ومن ثم ايريانا، التي أشتق منها اسم ايران واندمجوا مع الأقوام المستقرة في جبال زاغروس وأطرافها، ويرجح ولْ ديورانت أنهم هندو - أوربيين، جاؤوا من سواحل بحر قزوين، ويضيف أرشاك سافراستيان فيقول بأنهم اتحاد ستة قبائل. عاصمة الميديين تدعى إكباتانا، وتعني في اللغة الميدية (ملتقى الطرق)، التي تقوم مدينة (همدان) على أنقاضها. وكان الآشوريون في خصام دائم مع الميديين، فاتحدت القبائل الميدية على يد (خاشاترينا)، لكن ابنه كي أخسار (كيا كسارس) هزم الآشوريين واستولى على عاصمتهم نينوى بالتعاون مع حلفائه البابليين عام ٦١٢ ق.م. كان زعيم الميديين (دياكو) وفق تعبير هيرودوت الذي يعتقد بأنه مؤسس الدولة الميدية[١] والذي ساعد على ارتقاء وعي الميديين من الانتماء إلى القبيلة إلى حالة نوعية جديدة، أعني حالة الانتماء إلى دولة، وقرر بناء عاصمة لمملكته ومأسستها وتأسيس جيش، إلا أنها كانت تتوسط قوى تتأهب للانقضاض عليها، مثل مانّاي في الشمال الشرقي وأورارتو في الشمال الغربي وآشور في الغرب وعيلام في الجنوب، لكن أخطرها كانت آشور[٢]، فاضطر إلى إقامة تحالفات مع مانّاي وأورارتو، ثم خلفه ابنه (خاشتريت/ فراورْتيس)، الذي سار على نهج والده وأخضع الفرس لنفوذه وتهاوت كل القوى أمام جبروته، ولم تبقَ سوى مملكة آشور التي كانت قد دخلت هي الأخرى في تحالف مع السكيث وسلط آشور بانيبال حلفاءه السكيث على ميديا، على حين هاجم هو مملكة مانّاي المتحالفة مع ميديا، ودخل عاصمتها إيزيرْتا. بعد مقتل خاشتريت خلفه ابنه (كي خُسْرو)، وهو أعظم ملوك ميديا، استطاع القضاء على السكيث، وعقد تحالفات مع عيلام وصاهر الملك البابلي/ الكلداني (نَبوبولاسَر)، حين زَوّجَ ابنته (أوميد) من (نَبُوخَذْنَسَّر) ابن الملك البابلي/ الكلداني، وزحف على مدينة آشور العاصمة الدينية للآشوريين، ثم شن التحالف الميدي - البابلي هجوماً على نينوى، فسقطت المدينة بعد مقاومة ضارية، وامتدت رقعتها على مساحة (٢.٢٧٥.٠٠٠) كم٢[٣]، ثم خلف (كي خسرو) ابنه (استياغ) في حكم ميديا، وفي عهده تضعضعت وحدتها جرّاء بزخه أولاً (حيث كانت الخيول تزين

(١)- فرست مرعي(الدكتور): الفتح الاسلامي لكردستان - مصدر سبق ذكره - ص٥٥.

(٢)- أحمد محمود الخليل(الدكتور): تاريخ أسلاف الكرد - مصدر سبق ذكره - ص٢٥١.

(٣)- وفق قول جورج راولسون: المملكة الميدية من الممالك الكبرى في الشرق القديم - ص٢٠٢.

بالذهب) واستبداده ودخوله في صراعات مع القوى المجاورة ثانياً، مما أدى كل ذلك إلى تفاقم التناقضات، إلى أن استغل الفرس تحت قيادة كورش هذا الوضع المتأزم للقضاء على مملكة ميديا، وقد أورد هيرودوت بصدد سقوط ميديا عام ٥٥٠ ق.م كفريسة سهلة بيد الفرس رواية لا تخلو من الغرابة والاثارة، والظاهر أنها مقتبسة من روايات الفرس وفبركاتهم، ومازال بعض الكرد يروون هذه الرواية وكأنها حدث تاريخي جرى حقيقة [١].

كانت ميديا مجتمعاً قَبَلياً وطبقياً، تهتم بتربية الحيوان (الأغنام، الجمال ذات السنامين، الخيول الأصيلة والمشهورة البيضاء) والزراعة[٢].

يشير دياكونوف إلى تلك العلاقة بين الميدية ولغة أفستا[٣]، ويبدو كما سبق ذكره أن لغة ميديا كانت لهجة إحدى القبائل المكونة لها، مثلما كانت العربية لهجة قريش. يقول وِلْ ديورانت: (فقد أخذ الفرس عن الميديين لغتهم الآرية، وحروفهم الهجائية التي تبلغ عدتها ستة وثلاثين حرفاً، وهم الذين جعلوا الفرس يستبدلون في الكتابة الرّقّ/ الجلد والأقلام بألواح الطين، ويستخدمون في العمارة العُمُد على نطاق واسع، وعنهم أخذوا قانونهم الأخلاقي ... ودين زردشت وإلهيه أهورامَزْدا وأهْرِمان، ونظام الأسرة الأبوي، وتعدد الزوجات، وطائفة من القوانين)[٤].

كهنة ميديا يُدْعَون (موغ) من قبيلة ماغي إحدى القبائل الست التي كانت تكون الاتحاد الميدي، وسمى الاغريق الموغ بـ (Magos) حتى دخلت كلمة (مجوس) في الثقافة العربية كما أسلفنا، وسمى المسلمون زردشت بنبي المجوس، لكن دعوة زردشت لم تلقَ إلا الامتعاض من لدن الطبقة العليا في ميديا، لكنها لاقت رواجاً في بلخ بشمال أفغانستان بعد أن هاجر زردشت إلى مقاطعة باكْتْريا، تبنى هَيشْتاسب والد الملك الفارسي دارا الأول الزردشتية، واتخذها ديناً رسمياً لدولتهم وايديولوجيا للقضاء على ميديا.

هذه الأقوام السالفة الذكر انصهرت في بوتقة واحدة وكونت تاريخياً الأمة الكردية.

---

(١)– أحمد محمود الخليل(الدكتور): تاريخ أسلاف الكرد – مصدر سبق ذكره – ص٢٦٨–٢٧٢. راجع الملحق رقم(١٣).

(٢)– راجع المصور رقم ١٠: يمثل الامبراطورية الميدية في أوج ازدهارها.

(٣)– المصدر السابق – ص٢٨٠.

(٤)– وِلْ ديورانت: قصة الحضارة – الجزء الثاني – ص٤٠١.

ثانياً: العصور الوسطى

اجتاحت جيوش العرب المسلمين الأقاليم الكردية عنوة، وهو الأرجح؛ وتشير بعض المصادر التاريخية كيف كان الكرد يلوذون بالفرار أمام جحافل الجيوش الجرارة التي اقتحمت بلادهم على حين غرة، تاركين ممتلكاتهم وأراضيهم، بعد أن فشلوا في التصدي لها، رغم الاستبسال الذي لا نظير له في مقاومة الغزاة. تقتضي الأمانة القول بأنه نادراً ما كان يعقد الصلح، وهو – أي الصلح – إذا ما أبرم، فانه إما أن يكون مشروطاً بدفع الجزية أو الخراج، ولا يُخفى أن الصلح كان يعقد طوعاً أحياناً، جرّاء رغبة بعض زعماء القبائل في سبيل ضمان: (امتيازاتهم الطبقية وممتلكاتهم)[1]، بمعنى أن المصالح هي التي أملت على أمثال هؤلاء الدخول في صلح مع المنتصرين في بعض الحالات، أو أرغمتهم في الرضوخ للأمر الواقع. وهناك العشرات من أمهات المصادر التاريخية التي تؤكد لجوء الجيوش المتدفقة إلى سياسة القوة والبطش، فابن خلدون في كتابه (العبر) يذكر كيف قهر عتبة بن فرقد السلمي الأكراد وفرض عليهم دفع الجزية والخراج[2]. ويورد رشيد باسمي في كتابه (تاريخ الكرد) مقطوعة شعرية، وجدت على قطعة من الجلد، وأكتشفت في أحد كهوف كردستان، تعود في تاريخها إلى عهد استلاء الجيوش العربية على بلاد الكرد، تقول كلماتها:

[هُدمت المعابد وأطفئت النيران،
واختفى الرؤساء من الميدان،
دمر الطغاة القرى والبلدان،
فوصلوا حتى منطقة شهرزور،
وأسروا الفتيات والفتيان.
الرجل الطليق كان يتخبط بدمائه،
والعقائد الزرادشتية لم يبق لها من نصير،
وأصبح آهورا مزدا لا يشعر بأيّ كان][3].

---

(١)– أرشاك بولاديان(الدكتور): الأكراد حسب المصادر العربية – مصدر سبق ذكره – ص٥٩.

(٢)– المصدر السابق – ص ٢٣.

(٣)– روشن بدرخان: صفحات من الأدب الكردي – مطبعة سميا/ بيروت عام ١٩٥٤ – ص٦٠.

حول هذا الأمر بالذات يقول الدكتور فرست مرعي: (هناك من يرى في الأوساط الثقافية الكردية، وجود مقاومة كردية شرسة للفتح الاسلامي لكردستان عامة ومنطقة شهرزور خاصة، بلغت زروتها في اكتشاف أبيات من الشعر على قطعة جلد في كهف "هزار ميرد" قرب السليمانية، تصف وقائع الفتوحات الاسلامية في منطقة شهرزور وما تمخض عنه هذا الهجوم من قبل زعماء الكرد وهدم معابد النيران وفرار الرجال إلى المناطق البعيدة وما تلاها من وقوع النساء والفتيات في الأسر... وقد تبنى بعض المستشرقين هذا الرأي)، ناهيك عن توماس بوا وعزالدين مصطفى رسول. ويصف فرست عثمان هذا القول بـ (المزاعم)، ثم يقول: (إن أبحاث اللغوي والأكاديمي الكردي كامل حسن البصير، أوصلته بأن تلك الأشعار منحولة، والقصد منها هو تشويه صورة الفتوحات الاسلامية للمنطقة الكردية في عهد الخلافة الراشدة في الوقت الذي كان الكرد يعانون من شتى صنوف الأذى والاضطهاد على أيدي الامبراطوريتين الفارسية/ الساسانية والرومانية/ البيزنطية، اللتين كانتا تتقاسمان المنطقة والبلاد الكردية)[١].

لكن حقائق التاريخ تشير، رغم اعتناق الكرد للاسلام وما لعبوه من دور في الدفاع عنه، بأنهم لم يحظوا بتلك المنزلة التي احتلها العرب. ففي العهد الراشدي، كان معيار المواطنة هو الانتماء، ثم أحصي الكرد في عداد الموالي، وهذا ما تجلى على نحوٍ فاضح إبان حكم بني أمية، ممن انتهكوا مبادىء الاسلام التي تنص على المساواة دون تمييز بين عربي وأعجمي، وأخذوا ينظرون إلى الموالي نظرة احتقار وازدراء[٢]، مما تسبب الأمر في نشوب المزيد من الفتن وتزايد السخط والحنق بين الكرد ضد هذه السياسات الجائرة على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي. وكانت السياسة المالية أشد وطأة، نتيجة فرض الجزية على مَنْ أسلم من الموالي، بمن فيهم الكرد، حيث تفنن الأمويون في فرض ضرائب جديدة عليهم، لم ترد لها أصول في الشريعة، هذا فضلاً عن الهدايا التي وجب أن تقدم للخلفاء والولاة في عيدي النوروز

---

(١)– فرست مرعي(الدكتور): الفتح الاسلامي لكردستان – مصدر سبق ذكره – ص ١٧٢– ١٧٥.

(٢)– حسن ابراهيم حسن(الدكتور): تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي – ج ١– ط٥ عام ١٩٥٩م – مكتبة دار النهضة – ص ٣٤٢.

والمهرجان[١]. فيحكى أن محمد بن قاسم حين فشل في اخضاع الكرد، توجه الحجاج بنفسه لقمعهم، لأن انتفاضة سهل شهرزور عام ٧٤٤م كانت أقوى وأشمل من تلك الانتفاضات التي شهدها العهد الراشدي[٢].

وفي العهد العباسي لم يهدأ للكرد بال، لأن نفس السياسة استمرت وإن بوتيرة أضعف، ويقال أن المعتضد أثار امتعاض غلاة العرب حين أقدم على تعيين الكردي علي بن داود هرمز والياً على الموصل، ويذكر ابن الأثير كيف تفتقت قريحة الشاعر العربي (العجيني) يومها، فأنشد:

ما رأى الناس لهذا الدهر مذ كانوا شبيهاً
ذلّت الموصـــــل حتى أمر الأكراد فيها

فطبيعي في مثل الظروف السالفة الذكر أن تغدو كردستان مرتعاً خصباً للمعارضة، وبؤرة ثورية ومركزاً للعديد من الحركات الشعبية (الانتفاضات)، تلك التي كان الفلاحون يشكلون قاعدتها العريضة. ومن المعلوم أن تلك الحركات كانت تقوم تحت شعارات دينية، بغية اكسائها: (صفة الشرعية)[٣]، وكانت في جوهرها مناهضة لسياسة الاستعلاء القومي من قبل الغزاة من جهة، وللاقطاع من جهة أخرى.

كانت جبال كردستان المنيعة تشكل ملاذاً آمناً للخوارج، بعد أن مال الكرد إلى جانبهم وإلى جانب الشيعة والبابكية أيضاً، وأضحت كردستان أحد أهم مراكز الدعوة البابكية أو الخرمية[٤]، تلك التي كانت تشكل يومئذ الاطار الايديولوجي في مواجهة الخلافة العباسية والاقطاع المحلي على حدٍ سواء، ورغم أنها – أعني البابكية – استمرت عشرين سنة (٨١٦– ٨٣٧م)، إلا أنها فشلت في تحقيق ما كانت تصبو إليه، أعني إزالة مظاهر الاستعلاء القومي والاستغلال الاجتماعي الجائر، مثلها في ذلك كمثل كل الانتفاضات التي سبقتها: (لعدم نضوج الشروط الضرورية لمثل هذا الأمر،

---

(١)– محمود إسماعيل(الدكتور): الحركات السرية في الاسلام/ رؤية عصرية – دار القلم/ بيروت – ط١ عام ١٩٧٣م – ص٦٣–٦٤.

(٢)– المقصود حوادث عام ٦٤٩ – ٦٥٠م في عهد عثمان، تلك التي قمعها أبو موسى الأشعري والي البصرة بقسوة يومئذٍ.

(٣)– مجمود اسماعيل – مصدر سبق ذكره – ص ١١٢.

(٤)– فرقة متطورة عن المزدكية، وسميت بذلك نسبة إلى بابك الخرمي، قائد الانتفاضة.

فمستوى الانتاج لم يكن يسمح بعد بالانتقال إلى نظام خالٍ من الاستغلال والاضطهاد، ولأنها كانت تفتقر إلى التنظيم، ولم يكن لدى المنتفضين أنفسهم إدراك واضح لا لأهداف النضال ولا لطرق تحقيقها)[1] . على هذا النحو، أجهضت أحلام الكرد الذين انخرطوا في هذه الانتفاضة أملاً في الخلاص والمساواة وتحسين أوضاعهم المزرية كغيرهم من الشعوب التي انضوت تحت لوائها.

جدير ذكره ان الدكتور فرست مرعي يستشهد بأقوال الطبري، ابن الجوزي، ابن الأثير، ابن كثير، ابن خلدون، ممن ذكروا كيف أن أهل الجزيرة: (بعثوا برسائل إلى هرقل الروم طالبين منه ارسال المدد لاخراج المسلمين من الأراضي التي سبق أن استولوا عليها)[2]، وهذا يتناقض مع ماسبق أن طرحه حين زعم أن هناك من يسعى لتشويه صورة الفتوحات الاسلامية في كردستان. ثم ماذا نستنتج من قول الشاعر أبو دلامة في معرض قتل الخليفة أبو جعفر المنصور لأبي مسلم الخراساني عام ١٣٧هـ، ومطلعه:

أبا مجرم ما غير الله نعمـــــة على عبده حتى يغيـرها العبد
أفي دولة المنصور حاولت غدره ألا إن أهـل الغدر آباؤك الكرد

يذكر محمد أمين زكي في الجزء الثاني من خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، كيف تمكن الكرد من اقامة (١٤) دولة وامارة، مشيراً في الوقت ذاته إلى روح التخاصم بينها، مثل: **الامارة الحسنوية البزركانية**، التي امتدت في (غربي ايران والجزيرة العليا). **والدولة الدوسكية (المروانية)**، تأسست في كردستان الشمالية، قدّر عبد الرقيب يوسف مساحتها بنحو/٦٠ ألف كم٢/ [3]. كان مؤسسها الـ (باز) أو الصقر، واسمه حسين بن دوسْتك أو يُدعى (باد) أوالريح، وكانت ميافارقين عاصمة الدولة. لم تضعف هذه الدولة الا بعد أن تناحر أفراد العائلة المالكة. **والامارة الشدادية** بأذربيجان، مؤسسها محمد بن شداد، حكمت أجزاء من أرمينيا وأذربيجان، تصدى الشداديون للبيزنطيين، لكنها سقطت على يد السلاجقة بعد أن دامت ١٢٥ عاماً. **والدولة الأيوبية**، التي تنتمي إلى القبيلة الروادية التي كانت تستقر في دوين، وسميت

---

(١)– حسين قاسم العزيز (الدكتور): البابكية – مصدر سبق ذكره – ص ٢٦١.

(٢)– فرست مرعي (الدكتور): الفتح الاسلامي لكردستان – مصدر سبق ذكره – ص ١٣٣.

(٣)– أحمد الخليل (الدكتور): تاريخ الكرد في الحضارة الإسلامية – مصدر سبق ذكره – ص٢٧٢.

بالأيوبية نسبة إلى مؤسسها أيوب بن شادي. يقول جكرخوين: كانت تربط صداقة حميمة بين بهروز وشادي جد صلاح الدين، وحين أصبح بهروز رئيساً للشرطة ووضعت تكريت تحت حكمه أسكن أولاد شادي فيها، وعين الأخ الأكبر نجم الدين أيوب رئيساً لقلعة المدينة.. لكن لم يدم شهر العسل طويلاً بين بهروز والأخوين الأيوبيين، فأخرجهما بهروز من البلدة لسببين. **الأول**، جراء إقدام شيركو على قتل أحد أقرباء بهروز بسبب إعتدائه على شرف إمرأة في سوق المدينة. **الثاني**، حين انكسر عمادالدين زنكي أمام جيوش خليفة بغداد، إلتجأ إلى تكريت، فقدم له نجم الدين وأخاه المساعدة، وقاما بنقل جنوده بالقوارب إلى الطرف الآخر من النهر، هذه المساعدة أغضبت السلطان مسعود، لهذا وتحاشياً لغضب السلطان فقد أبعدهم بهروز. فخرج الأيوبيون من تكريت ليلاً، وشاءت الأقدار أن يلد صلاح الدين في تلك الليلة، واستقبلهم عماد الدين زنكي في الموصل وأحسن وفادتهم، ثم عين نجم الدين أيوب حاكماً على بعلبك، وعين شيركو قائداً من قواد جيشه[1]. أرسل السلطان نورالدين شيركو (عم صلاح الدين) الى مصر ورافقه صلاح الدين لوضع حد لأطماع الصليبيين وشاور، ودخلا القاهرة فاستوزر الخليفة الفاطمي العاضد شيركو، وحين توفي شيركو، تنافس القواد على منصبه، لكن الخليفة الفاطمي العاضد استوزر صلاح الدين، رغم صغر سنه، مما تسبب في إمتعاض هؤلاء القواد، إلا أن الفقيه (عيسى الهكاري)، صديق العائلة الأيوبية، استطاع بدهائه ترجيح كفة الميزان لصالح صلاح الدين، فتوجه إلى القائد الهكاري سيف الدين علي بن أحمد بن أبي الهيجاء، وقال له: أرى أن جميع أقرانك هم أكثر منك وعياً وتبصراً بأمور الحياة وأحوالها، فاعلم إن لم يتولَ صلاح الدين الوزارة فانها ستكون لواحد آخر غيره، لكن مهما كان فصلاح الدين هو أفضل لنا من غيره، وحينما يصبح صلاح الدين وزيراً، حينها أستطيع أن أزيد في طعامك وراتبك ومصاريفك. ثم إلتقى بخال صلاح الدين شهاب الدين محمود، وقال له: صلاح الدين ابن أختك، من لحمك ودمك، وهناك تركماني أكبر منك سناً، وفي هذه الحال لن تكون الوزارة من نصيبك بحال من الأحوال، ثم إلتقى بقطب الدين خسرو بن طليحة الهذباني قائد اربيل، وقال له: عليك

---

(١)– جكرخوين: تاريخ كردستان/ الجزء الثالث – امبراطورية الكرد الأيوبيين – ترجمة: خالص مسور – منشورات مؤسسة العلم والفكر الحر في روج آفا – ص٣و٤.

أن تعلم بأن هناك من هم أكبر منك سناً، وهم يبتغون الوزارة، ومهما كانت الأمور فصلاح الدين كردي، وهو منا وفينا، ويجب ألا يخرج حكم بلاد مصر من أيدي الكرد. فأقنع الجميع، وأصطف الجميع وراء يوسف صلاح الدين، مما أدى إلى فرار المنافس التركماني من مصر. وهذه هي المرة الأولى التي اتفق فيها القادة الكرد على أمر هام ومصيري، لذا حققوا ما أرادوا، والفضل يعود إلى عيسى هكاري[1]. فاستنجد أهل الشام بصلاح الدين مخافة أن يستغل الصليبيون الوضع، فتوجه الى دمشق، ثم سار شمالاً فدخل حمص فحماه، فاعترف الخليفة العباسي بسلطته على مصر وبلاد الشام، ثم دخل حلب وتوجه نحو طبريا، واسترد بيت المقدس ومدن ساحل بلاد الشام، وكانت تلك الانتصارات بمثابة صاعقة لدى الصليبيين. أقام السلطان صلاح الدين الأيوبي دولة واسعة الرقعة جغرافياً، تمتد من اربيل شرقاً إلى ليبيا غرباً، ومن وان شمالاً إلى اليمن جنوباً[2]، لكنها تأسست خارج كردستان، بخلاف الدولة الدوستكية، رغم أنها كانت تضم أجزاء من كردستان، وقد: (هزّم – صلاح الدين الأيوبي – الصليبيين باثني عشر ألفاً من الأكراد لا أكثر)[3] في معركة حطين، وتكللت جهوده هذه في مواجهة الفرنجة بتحريره القدس عام ١١٨٧م، فاستنفرت فرنسا لاستعادتها وشارك في الحملة الصليبية الثالثة عام ١١٩٠م فريدريك باربَروسا امبراطور ألمانيا، وريتشارد قلب الأسد ملك بريطانيا، وفيليب أوغست ملك فرنسا. وقد عُرف بطل حطين بشجاعته وتسامحه وشهامته، فحين مرض خصمه ريتشارد وأصابته الحمّى أمر صلاح الدين بارسال الخوخ والكُمّثرى إليه، فضلاً عن الثلج من جبال حَرَمون، لتبريد أشربته. توفي صلاح الدين في ١ آذار ١١٩٣م عن عمر ناهز السابعة والخمسين، ودفن الى جوار جامع بني أمية الكبير في دمشق. ثم تضعضعت الأمور بعد موته بسبب الخلافات التي نشبت بين أفراد أسرته، والمخاطر المحدقة من أطراف عدة.

(١)– جكرخوين: تاريخ كردستان/ الجزء الثالث – المصدر السابق – ص ٨/ نقلاً عن ابن شداد.

(٢)– أنظر: خارطة الدولة الأيوبية رقم ١١.

(٣)– فهمي الشناوي(الدكتور): الأكراد يتامى المسلمين – القاهرة – ص٤٩و٥٠.

ثالثاً: امارات العهد العثماني – الصفويي

قبيل جالديران ١٥١٤م، كانت كردستان بمعظمها تحت النفوذ الصفوي، لكن الكرد مالوا إلى العثمانيين، بسبب قساوة سياسة الشاه اسماعيل، وكان للملا إدريس البدليسي دوراً لا يستهان به في هذا الانحياز، حيث اتفق مع ٥٥ أميراً كردياً بأمر من السلطان العثماني، على النقاط التالية: ١– الحفاظ على الامارات الكردية شبه مستقلة تدير شؤونها بنفسها ٢– يخلف الأمير أحد أبنائه أو مراعاة التقاليد المتبعة في حال وفاة الأمير ٣– تقديم الامارات المساعدة للدولة العثمانية في حروبها، بما في ذلك الضرائب والشباب ٤– على الدولة حماية الكرد من أي اعتداء يتعرضون له. كان للكرد دوراً بارزاً في ميل دفة الميزان لصالح العثمانيين في معركة جالديران. دام هذا الحكم اللامركزي، الشبه مستقل فيما يخص الامارات الكردية قرابة قرن ونصف، الا أن العثمانيين سرعان ما خرقوا الاتفاق المذكور، وبدأوا بالتدخل في شؤون الامارات الكردية وفرض الضرائب عليها وتجنيد شبابها، مما دفع ببعض القائمين على هذه الامارات الى التمرد، لكن العثمانينن تلقوا الدعم من بريطانيا وأمريكا وروسيا فتهاوت الامارات الكردية واحدة بعد أخرى[1]. وهنا يتبادر إلى الذهن دوماً دور (الطابور الخامس)[2] في إجهاض أحلام الكرد في سبيل الحرية. من هذه الامارات:

امارة أردلان، قامت في كردستان الشرقية (ايران)، وعاصمتها سنندج (سنه)، وامتد نفوذها في القرن ١٤ الميلادي حتى شملت خانقين وكفري وكركوك في كردستان الجنوبية (العراق)، ثم قضى عليها القاجاريون عليها عام ١٨٦٧. **والدولة الزندية** (١٧٥٠– ١٧٩٤)، أسسها كريم خان الذي بسط سيطرته على ايران بالكامل باستثناء خراسان، واتخذ من شيراز عاصمة له. قضى القاجاريون عليها. **امارة بدليس،** امتدت في منطقتي بدليس وساسون. جدير ذكره أن الباب العالي صمم عام

---

(١)– علي تتر نيروَيي: مجلة كولان العربي – العدد ٢٥/٣٣ شباط ١٩٩٩ – ترجمة: عبدالحميد زيباري – ص٨٨.

(٢)– مصطلح يتم تداوله في عالم السياسة، وينسب إلى الجنرال(ايميليو مولا) ابان الحرب الأهلية الاسبانية عام ١٩٣٦م، فحين سئل في مؤتمر صحفي: أي طابور من الطوابير الأربعة سيناط به تحرير مدريد ؟. أجاب: سيناط ذلك بالطابور الخامس .. فأدهش الصحفيين باجابته، لأنهم لم يكونوا قد سمعوا بهذا الطابور.

١٦٥٥م الاطاحة بالأمير عبدال خان البدليسي، كما يذكر الرحالة والمؤرخ أوليا جالبي في الجزء الرابع[1] من كتابه، الذي خصصه لوصف جمال كردستان وأبدى فيه اعجابه بالكرد، كما تحدث فيه بالتفصيل عن امارة بدليس، مبيناً أوجه التقدم فيها من جهة، والمؤامرة التي حاكها الباب العالي للاطاحة بها من جهة أخرى، بدليل أن السلطان العثماني (مراد الرابع)، كلف الصدر الأعظم آنذاك (ملك أحمد باشا)، الذي أضحى والياً على ديار بكر، بمهمة القضاء على تلك الامارة الكردية وأميرها عبدال خان ذو المواهب المتعددة.

كان عبدال خان يجيد النظم وأنواعاً من الفنون الأخرى، وكان خبيراً في الفلسفة والكيمياء والسيمياء وطبيباً في مداواة العيون ومعالجة الكسور، حتى فاقت شهرته جالينوس وأبوقراط وسقراط وفيلوس[2]. وكان الى جانب ذلك فارساً وخبيراً في فنون الحرب والقتال وفق شهادة غريمه ملك أحمد باشا، وبهلواناً يجيد اللعب بالكرة والصولجان، حتى تحسبه رستم زمانه، ورامٍ قدير وصياد ماهر، وخبير في البناء وصناعة السيوف والساعات، ويجيد اللغتين التركية والفارسية، كما يتقن فن الغناء والمقامات والموسيقى[3]، وبسبب براعته في دق الطبول أقطعه السلطان مراد الرابع خراج موش، وهو حائك وخراط، وقد أنعم عليه الله بالذكاء والوعي والعلم والفهم والعبقرية، فهو جمشيد زمانه، على حد وصف أوليا جلبي. شخص مثل عبدال خان، بمثل هذه المواصفات، هو بديع زمانه حقاً، لكن أغوات وان وبكوات الكرد ووالي أرضروم وصفوه بالملحد والفاسق والفاجر واللوطي والمنجّم والكذاب

---

(١)– كتاب أوليا جلبي كان باللغة التركية/ العثمانية، وهو حصيلة رحلة رسمية قام بها عام ١٦٥٥، ويتكون من سبعة أجزاء، خصص الجزء الرابع لتاريخ الكرد وكردستان. جدير ذكره أن أوليا كان منصفاً فيما كتبه عن الكرد، خصوصاً ما يتعلق بامارة بدليس، التي كان أميرها آنئذ عبدال خان سليل الأمير ادريس البدليسي، رائد المؤرخين الكرد شرف خان البدليسي، وهو من عشيرة Rojkî. قام الاستاذ(سعيد ناكام) بترجمة هذا الجزء الى اللغة الكردية، كما أقدم الاستاذ(رشيد فندي) بدوره على ترجمة الجزء الرابع السالف الذكر الى اللغة العربية.

(٢)– رحلة أوليا جلبي في كردستان عام ١٦٥٥ – ترجمة: رشيد فندي – ط١عام ٢٠٠٨/ مطبعة خانى دهوك – ص ١٣٢و١٣٤. ملاحظة: السيمياء يعني علم المعرفة بالحيل والخدع البصرية، أما علم الكيمياء قديماً فكان يعني تحويل المعادن الرخيصة الى معادن ثمينة.

(٣)– رحلة أوليا جلبي في كردستان – المصدر السابق – ص١٣٥.

وقاطع طريق، لذا طالبوا الباشا اهدار دمه، مما دفع الأمر بأوليا جلبي الى القول بأنها كانت مؤامرة، ووصف هؤلاء الأغوات والبكوات والوجهاء الكرد بالغدارين، لأن عبدال خان – وفق قناعة أوليا جلبي – كان بريئاً، براءة الذئب من دم يوسف[(١)].

هذا من جانب، ومن جانب آخر طلب الباشا من رجال الدين بداية اصدار فتوى باهدار دم عبدال خان، ومنهم رجل الدين في وان، الذي أصدر فتوى شرعية كتابة، وقام بختمها، ثم سلمها للباشا، ومما جاء فيها: (أيها الزعيم، لتكن غزوتك مباركة، فاسحب سيف الغيرة، ونظف الأرض من آثار هذا الشقي)[(٢)]. وكان ملك أحمد باشا قد سبق له أن هيأ جيشاً لمحاربة عبدال خان، لأنه كان قد صمم استئصال الامارة بأي شكل. ثم أرسل اليه رسالة وصفه فيها بالحقير وقاطع الطريق وناهب الناس والكذاب والمرتد عن الاسلام، وحلل دمه وماله واتهمه بالاختلاط (مع أهل الفتنة والفساد والملحدين والرافضة والكرد الايزيدية)[(٣)].

حشد الباشا جيشاً قوامه (٧٠) ألف مقاتل، مسلحين بالبنادق والمدافع (الشاهانية وأخرى من صنف باليومز)، أما عبدال خان بدليس فأعد ٣٠–٤٠ ألف مقاتل وأقام المتاريس. ونبه الباشا قواد جنده قائلاً: عليكم بتنبيه رجالكم، ألا يبادروا لنهب العسل، إلا بعد أن يسحقوا مركز خلية النحل، يعني القبض على عبدال خان بداية، ثم اطلاق أيديهم للسلب والنهب[(٤)].

---

(١)– Kurda ji berêve gotine: go kurmê darê ne ji darê be, felata wê nîne، ويقول الاستاذ رشيد فندي في هذا الصدد: كان هذا هو حال الكرد قديماً، وهم ماعليه الآن، لايحبون بعضهم بعضاً، ويخططون مع الأعداء للنيل من بعضهم البعض، لذا فان وجهاء وان رأوها فرصة مناسبة لهم للقضاء على هذا الأمير الكردي الشهم وهذه الامارة القوية، لذا ألحوا على الباشا العثماني للهجوم على بدليس، وبجيش كردي جمعه لذلك الغرض من الامارات الكردية الأخرى(راجع الهامش ص٢٦٢– رحلة أوليا جلبي في كردستان عام ١٦٥٥– ط١عام ٢٠٠٨ التي ترجمها رشيد فندي الى العربية)

(٢)– رحلة أوليا جلبي في كردستان عام ١٦٥٥ – مصدر سبق ذكره – ص٢٥٤. المقصود بالشقي عبدال خان طبعاً.

(٣)– رحلة أوليا جلبي – المصدر السابق – ص٢٥٦. يقول الاستاذ سعيد ناكام في الطبعة الكردية: كان العثمانيون يصفون كل كردي غير مرغوب فيه بأنه ايزيدي، أي كانت الايزيدية علامة التخوين..!. بهذا الشكل كان العثمانيون يوظفون ورقة الدين أو المذهب لتشتيت شمل الكرد وتأليبهم على بعضهم البعض.

(٤)– رحلة أوليا جلبي – المصدر السابق – ص٢٧٤.

صلى الباشا ركعتين، ثم تضرع وهو يلتمس العون والنصر من الله، ومما جاء في التماسه: الهي..لا تجعل القوم الذي معي مغلوباً في الحرب، ولا تجعل الايزيديين، الذين هم مثل الحشرات يفرحوا بنا.. وردد الباقون (آمين)..!.[1]. وأضاف الباشا: امتثالاً لأمر السلطان، سأقوم بابادتهم[2]، فكانت حصيلة القتلى من جانب عبدال خان ١٠٦٥ شهيداً، ورغم ذلك اعتبر أوليا جلبي بأن ماجرى ماهو سوى قضاء الله وقدره..!. أما ملك أحمد باشا فقد برر جريمته، بأن الدافع لشن تلك الحرب هو عدم اقدام خان بدليس على تقديم التبريكات للسلطان مراد خان عند فتحه بغداد، وإدّعى – كما يروي أوليا جلبي – بأن مراد خان تألم يومئذ، وقال له: بالله عليك يا أوليا ليكن لي دَيناً في ذمتك، أن تأخذ بثأري من خان بدليس. وأضاف الباشا: رأيت السلطان مراد في منامي، كان واقفاً على جبل وان، وفي يده رغيف خبز ملطخ بالدم، وقال لي: هيا يا أوليا اعطِ نصف الرغيف للجبل، والنصف الآخر لخان بدليس.. لذا قمت بشن هذه المعركة وفاءً...!.

بعد التجاء عبدال خان الى الجبال وانتهاء المقاومة، حضر عدد من رجال الدين ووجهاء بدليس يتقدمهم أولاد عبدال خان، فقبلوا يدي الباشا، وكان الملا محمد البوتي أول من بدأ بالكلام، فقال: أيها الوزير المعظم.. نرجو أن تنصب ضياء الدين بن عبدال خان زعيماً. فقبل الباشا شرط دفع مائتي كيس لقوات وان و٤٠ ألف رأس من الغنم لبك ملازكرد، وقبلوا بالشرط، ثم تليت الفاتحة، ونصب ضياء الدين خاناً لبدليس[3]. أما مكتبة عبدال خان التي ضمت مخطوطات، فكانت تملأ ١١

---

(١)– يقول الاستاذ سعيد ناكام: ٩٥٪ من جنود الباشا الذين أسقطوا امارة بدليس كانوا كرداً، ويضيف الاستاذ رشيد فندي: محمد بك ملازكرد كان الخصم الكردي اللدود للأمير عبدال خان، وهو الذي حرض الباشا العثماني على امارة بدليس الغنية بغية الحصول على المغانم واستئصال خطرها، لأنها كانت شبه مستقلة... فما أشبه اليوم بالبارحة !.

(٢)– يقصد الكرد، وحقيقة كان الجيش العثماني يقوم بجز رؤوسهم وآذانهم، كما يفعل تنظيم داعش اليوم.

(٣)– هذه السياسة سادت طوال العهد العثماني، فحين لا ترضى الادارة العثمانية عن أمير كردي، سرعان ما تبادر الى تفعيل التناقضات الداخلية بين الأب والابن أو بين الأخ وأخيه أو تحريض امارة على أخرى.. الخ، بغية اضعاف امارة ما مثلما جرى لامارة بدليس أو امارة بوتان. واتبعت الدولة الصفوية(في عهد الشاه عباس) نفس النهج في التعامل مع الخان البرادوستي ذو الكف الذهبية وصاحب

صندوقاً من بينها: شاهنامة الفردوسي وكولستان سعدي الشيرازي وشرفنامة شـرف خان البدليسي، وهو مـن أجـداد الأمـير المنكـوب عبـدال خـان، ناهيـك عـن دواويـن شعرية[1]. فقد نهبت كلها عن بكرة أبيهـا، ثـم بيعـت في المـزاد بـأبخس الأثمـان (١٧ مجلداً من القرآن و١٣٠٠ مجلد مـن التفاسـير والكتـب الثمينـة و١٣٠٠ مجلـد مـن كتـب الأحاديـث النبويـة، و١٠٠٠مجلـد مـن المخطوطـات، و٢٠٠ مجلـد أطـالس وجغرافيـا، بالاضافة الى ٧٦ مجلداً من تأليف عبدال خان نفسه). وهذا غـيض مـن فـيض، فـلا يتسع الوقت لذكرها جميعاً. وقد تناول أدبنا الشفاهي ((Zargotin هـذه الشخصـية التاريخيـة في العديـد مـن الأغـاني، ومنهـا تلـك الـتي دونهـا الشـاعر والكاتـب صـالح حيدو[2].

أما **امارة بادينان**، كان مؤسسها بهاء الدين وعاصمتها العمادية، وضمت آكرى وزاخو وأجزاء من الموصل واربيل، دخلت في صراع مع العثمانيين والصفويين لكنهـا أسقطت على يد امارة سوران، فالحديد بالحديد يفلح وفق المثل الدارج.

قلعة دم دم عام ١٦٠٨م، بعد أن ذاع صيته في الآفاق. راجع(أصليخان يلـدرم): كردسـتان/الحدود في القرن العشـرين – ترجمـة مـن الكرديـة: ابـراهيم محمـود – مراجعـة وتـدقيق عبـدالفتاح البوتـاني – الأكاديمية الكردية/ اربيل – ٢٠١٦ – ص٥٦و٥٨.

(١)– رحلة أوليا جلبي في كردستان عام ١٦٥٥ – مصدر سابق – ص٣١٠و٣١١.

(٢)– فيما يلي مقاطع من احدى تلك الأغنيات الفولكلورية التي دونهـا الاسـتاذ صـالح حيـدو، وهـي ذات ايقاع بطيء:

Evdal Xanê Bedlîsî
Hey xan e xan e xan e, Evdal begê min xan e
Mîrê bi nav û nîşan e, şêrê sorî bi nîşan e
Şûr kêşayî ji kalan e, şûr kêşayî ji kalan e
Romya lêkir ferman e, romiya lêkir ferman e
Evdal xanê bedlîsî, Evdal begê bedlîsî
Xwe li meydanê nivîsî, xwe bi mêranî nivîsî
Siware li boza sed kîsî, siware li(reba)* sed kîsî
Evdal xanê min mîr re, delal xanê min mîr re
Wek şêrê bi zincîr re, wek şêrê bi zincîr re
Xorta lêkir tekbîr re, lawa lêkir tekbîr re
Çendî bi ra û teqdîr re, çendî bi ra û teqdîr re

ملاحظة: reba نوع أصيل من الفرس.

امارة سوران (١٨١٦– ١٨٣٨) مؤسسها كولوس، حكمتها حيناً من الدهر الأميرة خانزاد، شملت أربيل وكركوك والموصل، وكان أميرها يُدعى (المير محمد)، الذي استلهم تجربة محمد علي باشا، فأنشأ مصانع الأسلحة في عاصمته رواندوز (البنادق، المدافع)، وأسس جيشاً نظامياً قوامه نحو ١٥ ألف مقاتل، وسك عملته على أحد وجهيها اسمه وعلى الآخر اسم الامارة رواندوز. لكنه تصرف مع الايزيديين بقسوة يندى لها الجبين، ورغم ذلك لم يفلح في فرض الإسلام عليهم، ثم قضى العثمانيون عليه في مكيدة بمساعدة ايران وروسيا وبريطانيا، فحواها أن الملا خاتي أصدر فتوى، جاء فيها: (ان من يقاتل ضد قوات الخليفة، يعتبر كافراً)[١]. فالقوى الكبرى بدورها كانت تفضل (الدولة العثمانية المترامية الأطراف والخاوية، على قوى صاعدة مثل المير محمد وبدرخان بك في كردستان ومحمد علي باشا في مصر)[٢].

امارة بابان ثار البابانيون عام ١٨٠٦ تحت قيادة عبدالرحمن باشا، وبنوا عاصمتهم السليمانية في عهد ابراهيم باشا. امتدت امارتهم في المنطقة الواقعة بين نهر الزاب الصغير ونهر سيروان (ديالى)، وكانت علاقاتها متوترة مع السورانيين والبوتانيين والعثمانيين والقاجاريين، وحين توفي ابراهيم باشا، حاولت الدولة العثمانية فرض خالد باشا ابن شقيق ابراهيم باشا أميراً منافساً لعبدالرحمن باشا، فقاتل عبدالرحمن باشا القوات العثمانية والعشائر الكردية المتحالفة معها مدة ثلاث سنوات، لكنه مني بالهزيمة، وانسحب عام ١٨٠٨إلى ايران[٣]. يقول رفيق حلمي: لقد بسطت سيطرتها على رقعة تمتد من بحيرة أورميا الى جبال حمرين، ومن أنحاء الموصل الى كرمانشاه، ودامت زهاء ستة قرون، الى أن قضى العثمانيون عليها عام ١٨٥١م، حين نجحوا في استمالة القائد (بريندار آغا)، رجل الدين الذي اتفق سراً مع قسم من جنود الأمير ودعاهم للانضمام الى العثمانيين إبان القتال، إن لم يتراجع عن فكرة المقاومة ضد جيش الخليفة، وكاد الأمير أن يهزم الأعداء لولا خيانة بريندار وانضمامه مع ثلث جيش الأمير الى جانب العدو[٤].

---

(١)– جيرارد جاليائد: شعب بدون وطن/ الكرد وكردستان – مصدر سبق ذكره – ص٤٧.
(٢)– عبدالباقي صالح اليوسف: الانفجار السوري – دار الزمان/ ط١عام ٢٠١٧ – ص١٢٣.
(٣)– جيرارد جاليائد: شعب بدون وطن/ الكرد وكردستان – مصدر سبق ذكره – ص٤٤.
(٤)– رفيق حلمي: الأكراد منذ فجر التاريخ الى سنة ١٩٢٠م – عام ١٩٣٤ – ص٥٠.

الامارة الداسنية وامارة شيخان أقامهما الكرد الايزيديون. سميت الامارة الداسنية بهذا الاسم نسبة إلى جبل داسن، مركز الامارة (بلد) تُدعى دهوك اليوم[1]، دامت بين ٩١٦– ١٢٣٦، وكان كوهدرز الداسني من أوائل أمرائها، وازدادت نفوذاً في عهد جعفر بن المير حسن الداسني من عشيرة الدمبلية (الدوملية)، وكان المير جعفر يسعى إلى الاستقلال في منطقة بهدينان، لذا دخل في مواجهات مع الدولة العباسية لعدم احترامها حقوق الطوائف والأديان الأخرى، وحين هزمه الجيش العباسي تجرع الأمير جعفر السم وفضل الموت على الاستسلام، واستباح الجيش العباسي النساء والأسرى وخرب البلاد وقتل العباد وسلب ونهب الأموال والممتلكات، وأخذوا جثمان الأمير جعفر إلى سامراء وصلبوه هناك[2]. وبمجيء الشيخ المتزهد عادي بن مسافر الهكاري إلى معبد لالش، اندمجت الامارة الداسنية بامارة الشيخان، وأظهر الداسنيون ولاءهم للشيخ عادي ورشحوه أميراً دينياً، واستطاعت هذه الامارة أن تضم امارات الشيخان والموصل وإربل والسوران فيما بعد.

امارة كلس، يعد عهد (جان بولات) عصرها الذهبي، وعندما توفي ناب عنه في إدارة الامارة ابنه جعفر بك، لكن السلطان العثماني تفضل على حسين بك أحد أبناء جان بولات بتسميته ميرى ميران/ أمير الأمراء (باشا)، وولّاه على إيالة طرابلس الشام وأميراً على كلس وحلب والقصير، لكنه أحجم عن مساندة حملة الصدر الأعظم على الدولة الصفوية، مما أمر الصدر الأعظم بقتله لهذا السبب بعد أن استدعاه إلى الأستانة، وحين وصل خبر مقتله إلى ابنه علي حسين جان بولات، ثار ضد العثمانيين، وأصدر النقود باسمه، وعقد معاهدة مع توسكانا[3] عام ١٦٠٧، فشنت الدولة العثمانية حملة كبيرة عليه، مما اضطر إلى الاستسلام، ومن ثم قتل غيلة، فانسحب من تبقى من أفراد العائلة إلى لبنان، وتزعموا جبل لبنان والمشيخة الدُرَزية[4].

---

(١)– عدنان زيان: مجلة كولان العربي – العدد ٤٢/ ٣٠ تشرين الثاني ١٩٩٩م – ص٧٢.

(٢)– المصدر السابق – ص٧٣.

(٣)– دويلة ايطالية كانت مستقلة آنذاك.

(٤)– نفس المصدر السابق – ص٧٨و٧٩.

انتفاضة الشيخ عبيدالله النهري اندلع لهيبها في شمزينان (شمدينان) بعد الحرب الروسية – التركية (١٨٧٧– ١٨٧٨)، وكان بطلها عبيدالله النقشبندي بن الشيخ طه، ذو الشخصية الكاريزمية التي تجاوز نفوذها الأطر القَبَلية، وقد أضفى الجانب الروحي (الديني) مزيداً من التألق على شخصيته وأهلته لقيادة الانتفاضة ضد ايران القاجارية والامبراطورية العثمانية على السواء، حيث: (ترأس مؤتمر العشائر الكردية في قرية نهري الواقعة حالياً في كردستان الشمالية، وانبثق عن هذا المؤتمر جمعية العشائر الكردية، التي حملت راية النضال)[١]. يجدر الذكر أن نحو ٢٢٠ من زعماء العشائر وبعض رجال الدين اشتركوا في هذا المؤتمر الذي انعقد في آب ١٨٨٠. زحف المنتفضون الذين بلغ عددهم ٨٠ ألف مقاتل، على منطقة أورميا وهددوا تبريز، مما دعا إلى أن تحشد الحكومة الروسية قواتها على الحدود مخافة أن يتخطاها المنتفضون، وبعد فترة وجيزة طوقت قوات الشيخ من ثلاث جهات، ودارت معارك دامية، فتقهقرت الانتفاضة، واضطر الشيخ إلى تسليم نفسه للقوات العثمانية، ونقل إلى الأستانة، لكنه فرّ وعاد إلى شمزينان، غير أن الحكومة العثمانية قامت بتجريد حملة عسكرية ضده وأجبرته على الاستسلام، فسافر الشيخ إلى الحجاز وتوفي هناك[٢].

كانت الانتفاضة ذات طابعٍ قومي تهدف إلى إنشاء دولة كردية مستقلة على أن تكون تحت وصاية تركيا اسمياً كما يؤكد الدكتور شاكر خصباك، شملت مناطق واسعة تضم أجزاء تقع اليوم في كلٍ من كردستان تركيا وايران والعراق. وتشهد العديد من الوثائق البريطانية أن هذه الانتفاضة كانت بداية تبلور الوعي القومي بالمفهوم المعاصر، وأن فكرة الانفصال عن الامبراطوريتين العثمانية والفارسية كانت تستهوي قائد الانتفاضة، فقد كتب رونالد تومسن[٣] رسالة الى ايرل جرانفيل[٤] في

(١)– لمحات من تاريخ الانتفاضات والثورات الكردية – اعداد: أبو شوقي – رابطة كاوا – ط١عام١٩٧٨ – بيروت – ص٥١.

(٢)– محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان – الجزء الأول – مصدر سبق ذكره – ص٢٤١– ٢٤٤.

(٣)– ضابط بريطاني كان في طهران في تلك الفترة.

(٤)– سياسي بريطاني، تولى وزارة الخارجية ثلاث مرات، آخرها بين١٨٨٠– ١٨٨٥.

تشرين الأول ١٨٨١، جاء فيها: (يُصرّح الشيخ بأنه وجميع الزعماء الكرد متفقون الآن على ضرورة اقامة كردستان موحدة ليكونوا في وضع يستطعون فيه ادارة أمورهم الخاصة دون تدخل السلطات التركية أو الفارسية.. المراسلات التي أرسلها [عبيدالله] مؤخراً الى مختلف الزعماء الكرد على طول الحدود الفارسية تفيد بأن خطته هي انهاء ولاء جميع السكان الكرد لتركيا وفارس، واقامة امارة منفصلة ذات حكم ذاتي تحت سلطته هو)[1].

كانت سياسته تجاه المسيحيين (الأرمن والنساطرة) واضحة لا لبس فيها، فحين طلب منه المساهمة في تقتيلهم، أجاب: تريدون الوقوع بيننا، كي يتسنى لكم ابتلاعنا جميعاً الواحد تلو الآخر، ويقال أن نحو ٤٠٠ – ٥٠٠ من النساطرة انضموا الى قواته. كما يُقال أن سبباً آخر كان وراء انطلاقة الانتفاضة، يتمثل في الوعد الذي منحته الدولة العثمانية للأرمن بعد توقيع معاهدة برلين ١٣/ تموز/١٨٧٨، اذ نصت المعاهدة بأن الباب العالي يتعهد باتخاذ الخطوات اللازمة لحماية الأرمن من الشركس والكرد وفق المادة (٦١)[2].

رابعاً: العصر الحديث:

١- **مملكة الشيخ محمود الحفيد:** تأسست في السليمانية، إثر انتفاضات ثلاث:

أ- انتفاضة ١٩١٩: أرسل الحاكم البريطاني الميجر نوئيل إلى السليمانية في ١

---

(١)- هاكان أوز أغلو: أعيان الكرد والدولة العثمانية – ترجمة عن الانكليزية: ا. د. خليل مراد علي – من منشورات الأكاديمية الكردية/ اربيل٢٠١٦ – ص١٢١. ويورد هاكان أوز أغلو مقطعاً من رسالة أرسلها عبيدالله الى أحد أفراد الارسالية الدينية الأمريكية في منطقة هكاري وهو السيد(كوجران)، جاء فيه: ان الأمة الكردية، التي تتكون من أكثر من ٥٠٠.٠٠٠ أسرة، شعب قائم بذاته... نحن أيضاً أمة منفصلة، نحن نريد أن تكون أمورنا بأيدينا... ان هذه غايتنا [من الثورة]...الخ/ نفس المصدر – ص١٢١. ان ما أوردناه لا يترك مجالاً للشك حول الطبيعة القومية للانتفاضة، وهذا ما يؤكده أيضاً: أرشاك سفراستيان و وديع جويدة.

(٢)- هاكان أوز أغلو: أعيان الكرد والدولة العثمانية – المصدر السابق – ص١٢٠. وقد عبر عبيدالله عن عدم رضاه بعد أن تناهى الى مسامعه، بأن الأرمن ستكون لهم دولة مستقلة في وان والنساطرة سيرفعون العلم البريطاني ويعلنون أنفسهم رعايا بريطانيين، فقال: لن أسمح بذلك، حتى اذا اضطررت الى تسليح النساء. نفس المصدر ونفس الصفحة. فالخوف من الهيمنة الأرمنية على أجزاء من كردستان هو الذي دفع عبيدالله الى الاسراع في الاعداد للانتفاضة على حد قول وديع جويدة، الذي وضع دراسة شاملة عن الكرد.

تشرين الأول ١٩١٨، فاجتمع مع الوجهاء الكرد فيها وعين الشيخ محمود حكمداراً على كردستان العراق، لكن بريطانيا استبدلته بالميجر سون المتعجرف، الذي وصل إلى السليمانية في شباط ١٩١٩، وفي ٢٣ أيار١٩١٩ احتلت القوات الانكليزية السليمانية، فتصدى لها الشيخ محمود وألحق الهزيمة بها، لكن الانكليز عاودوا الهجوم كرة أخرى، بتواطؤ من أحد أغوات الهماوند، فأخمدت الانتفاضة وأسر الشيخ في حزيران ١٩١٩، وحوكم بالاعدام من قبل محكمة عسكرية انكليزية، ثم أستبدل الحكم بالسجن المؤبد، ومن ثم بالنفي إلى إحدى جزائر الهند.

ب – الانتفاضة الثانية ١٩٢٢– ١٩٢٧: استدعت بريطانيا الشيخ، الذي نصب نفسه ملكاً على كردستان، ورفع العلم (عبارة عن هلال أحمر وأرضية خضراء) في بداية تشرين الأول١٩٢٢، وشكل وزارة برئاسة الشيخ قادر شقيق الملك. أرسل الشيخ محمود رسالة[١] إلى السوفييت عام ١٩٢٣، يطلب منهم العون، هذه الخطوة نبهت بريطانيا فأخذت تتحين الفرصة للانقضاض عليه. في ٤ آذار ١٩٢٣ قامت الطائرات البريطانية بقصف السليمانية مما اضطر الشيخ إلى الانسحاب إلى ايران. غير أن الشيخ عاد فاستولى على السليمانية في تموز ١٩٢٣، لكن الحكومة العراقية استطاعت السيطرة على السليمانية في تموز ١٩٢٤ باسناد من القوى الجوية البريطانية ولجأ الشيخ إلى ايران مجدداً[٢].

ج – الانتفاضة الثالثة ١٩٣٠– ١٩٣١: عقب المعاهدة العراقية – البريطانية والمجزرة التي ارتكبتها الحكومة العراقية والبريطانية بحق المنتفضين في ٦ أيلول١٩٣٠، والتي أسفرت عن (٧٠) قتيلاً ، فأقسم الشيخ على الثأر[٣]. وجرت الاشتباكات من تشرين الأول١٩٣٠حتى ١٣أيار١٩٣١، وانتهت بتسليم الشيخ نفسه للسلطات العراقية، ووضع قيد الاقامة الجبرية في بغداد، وخابت آمال الشيخ محمود بعد أن قلبت بريطانيا للكرد ظهر المجن.

---

(١)– راجع قسم الوثائق – الوثيقة رقم ١٠.

(٢)– محمد عمر مولود(الدكتور): الفدرالية وامكانية تطبيقها في العراق – ط١عام٢٠٠٠ – أربيل – ص١١٤.

(٣)– لمحات من تاريخ الانتفاضات والثورات الكردية – اعداد أبو شوقي – رابطة كاوا – ط١عام ١٩٧٨ – بيروت – ص١٣٩.

٢ـ انتفاضة كوجكيري١٩٢١: الكوجكيريون علويون، لهجتهم الكرمانجية أو الزازاكية، والكوجكيري اتحاد عشائري، يقطن ما يناهز ١٠٠ قرية الى الشرق من سيواس، من عشائر هذا الاتحاد (باديلان، سارو، بارة كه روا، ئيبو، بالو، زازا)[١]. كان علي شاه شقيق حيدر بك مَنْ أثار الناس للمطالبة بالاستقلال الذاتي لكردستان، واطلاق سراح السجناء، وسحب القوات التركية من المنطقة، وبعد أن توترت الأمور ورفع المنتفضون علم كردستان، أعلنت الحكومة التركية حالة الطوارىء، ثم قُمعت الانتفاضة بمنتهى الوحشية، وكانت هذه الانتفاضة أول انتفاضة كردية مسلحة اندلعت في كردستان الشمالية لتأسيس دولة كردستان المستقلة بعد الحرب العالمية الأولى وانهيار الدولة العثمانية[٢]. ويظهر أن من أسباب اندلاع الانتفاضة: (الكلام المنمق الكمالي عن الوحدة التركية – الكردية القائمة على الاسلام السني)[٣]، خصوصاً كان الكرد السنة مازالوا تحت تأثير خطاب أتاتورك المنمق. ورغم العلاقات الايجابية بين الكرد العلويين والأرمن وحمايتهم للأرمن إبان محنتهم، الا أنهم لم يرضوا بالحاق أجزاء من كردستان بأرمينيا المرتقبة، مما يدل على تقدم وعيهم القومي.

٣– **ثورة الشيخ سعيد بيران ١٩٢٥:** تعد هذه الثورة حدثاً بارزاً في تاريخ الكفاح الكردي لنيل الحرية، ولم تكن عفوية كما يزعم البعض، ففي عام ١٩٢٢ توحدت الجمعيات السياسية الكردية في إطار «جمعية استقلال كردستان»، بجهود يوسف زيا وخالد بك جبري، ثم انضم الى الجمعية الجنرال احسان باشا والشيخ سعيد بيران، وبحثوا وَضْعَ الخطط الكفيلة للمقاومة، رداً على سياسات التتريك التي مارسها الميكيافيلي (مصطفى كمال باشا)، وقرروا أن تكون قوات الثورة تحت قيادة العقيد خالد بك جبري، على أن تكون ساعة الصفر يوم نوروز ١٩٢٥، لكن بعض الأحداث (اشتباك عرضي بين وحدة تابعة للشيخ سعيد بيران والجندرمة التركية)[٤] دفعت القائمين عليها البدء بالانتفاضة قبل موعدها المحدد. وانتخب

---

(١)– د. سروه أسعد صابر: مجلة الأكاديمية الكردية/ اربيل – العدد ٣٢– ص ٥٢٦.

(٢)– د. سروة أسعد صابر: مجلة الأكاديمية الكردية/ اربيل – العدد ٣٢ – ص٥٢٧.

(٣)– جوردي غورغاس: الحركة الكردية التركية في المنفى – مصدر سبق ذكره – ص٢٩.

(٤)– م. لازاريف: المسألة الكردية ١٩٢٣– ١٩٤٥/ النضال والاخفاق – ترجمة: د. عبدي حاجي – مؤسسة آراس/ اربيل – ط١عام ٢٠٠٧ – ص٨٠. يذكر عثمان صبري: قاوم ثلاثة رجال نحو ٢٠من

الشيخ سعيد[1] قائداً عاماً لها، وقدرت صحيفة تايمز اللندنية عدد الثوار بنحو (٢٠) ألفاً، أما مصادر أخرى فقد قدرتهم بنحو (٤٠)ألفاً، واستطاعت قوات الثورة أن تحرر في فترة وجيزة مدناً عدة شملت ١٤ ولاية وحين عجزت تركيا عن القضاء عليها، عمدت إلى الاستنجاد بفرنسا، وطلبت منها نقل (٢٥ ألف جندي تركي عن طريق خط قطار الشرق السريع المار في سوريا إلى المناطق الواقعة خلف مراكز الثوار، ولم يتوانَ الفرنسيون، الذين كانوا يحاولون منذ سنوات التقرب من النظام الجديد في تركيا، في ابداء أي مساندة يرتئيها الكماليون، وبالفعل فتحوا حدود سوريا أمام جحافل القوات التركية، ساعد هذا الموقف من الفرنسيين بشكل مباشر على تغيير ميزان القوى رأساً لصالح القوات التركية، التي كانت حتى تلك اللحظة في تراجع مستمر أمام ضربات الثوار)[2].

لجأت تركيا إلى سياسة الأرض المحروقة وتدمير (٢٠٦) قرية كردية من عام ١٩٢٥ ولغاية ١٩٢٨[3]، ثم الى سياسة التهجير القسري (مليون كردي بين عامي ١٩٢٦و١٩٢٧ هجروا الى غرب الأناضول)، ناهيك عن التتريك وجلب الألبان والبوسنيين من الأصول التركية وتسكينهم في كردستان، ومنحهم أراضي المهجرين وفق اتفاقيات التبادل المبرمة مع دول البلقان كما يذكر لازاريف. سجل الشخصية التركية التقدمية (س. اوستونكول) في مذكراته في المعتقل مأساة الكرد، قائلاً: (في كل يوم كان الجنود يأخذون الأكراد المعتقلين على شكل جماعات إلى ضفاف دجلة المنحدرة، وكانوا يطلقون عليهم الرصاص ثم يعودون ليبيعوا الأحزمة الحريرية المطرزة للشبان الكرد داخل السجن)[4]، ناهيك عن التشريد والاعتقالات العشوائية

الجندرمة، والتجأوا إلى قرية بيران، حين طلب الضابط التركي طالب بتسليمهم، فأرسل الشيخ سعيد – كعادته – رجلاً إلى الضابط يتوسل إليه أن يتركهم، إلا أن الضابط رفض الالتماس، عندئذ طلب الشيخ من أخيه عبدالرحيم بتسليمهم فرفض، لكن الضابط أسمعه كلمات بذيئة، عندها قتله عبدالرحيم، وقتل من معه، هذا بدأت الثورة قبل الأوان(راجع: مذكرات عثمان صبري – ٣٤و٣٥).

(١)– المولود في ناحية بالو عام ١٨٦٥.

(٢)– كمال مظهر أحمد(الدكتور): انتفاضة عام ١٩٢٥ الكردية في تركيا/ دراسة تحليلية – ط١عام٢٠٠١ – رابطة كاوا للثقافة الكردية – ص٥١ و٥٢.

(٣)– م. لازاريف: المسألة الكردية ١٩٢٣– ١٩٤٥/ النضال والاخفاق – مصدر سبق ذكره – ص١٠١.

(٤)– كمال مظهر أحمد(الدكتور) – انتفاضة عام ١٩٢٥ الكردية في تركيا – المصدر السابق – ص ٦٠.

وأحكام الاعدام شنقاً بحق قادة (جمعية استقلال كردستان) ومنهم: الدكتور فؤاد والمحامي كمال فوزي والشيخ عبدالقادر النهري مع ولديه والشيخ سعيد مع نحو أربعين ثائراً. ظل الشيخ سعيد رابط الجأش، وقال للجنرال أمام حبل المشنقة: «تقدم، وقل لعدوك إلى اللقاء». وأضاف عند صعوده المشنقة: «نتشرف بأن نصعد المشانق في سبيل تحرير بلادنا من عبوديتكم. إن نضالنا واجب وطني، أديناه بشرف، وواجب على كل كردي شريف أن يناضل في سبيل تحرير كردستان».

حينما عهدت إلى الشيخ سعيد مهمة القيادة، لم تعهد إليه بسبب تأثيره الروحي النقشبندي، أو نفوذه بين القبائل الكردية أو كونه سليل أسرة عريقة وحسب، بل بسبب: (ثقافته العالية، وحبه للعلم، وسعة اطلاعه، فلقد كان أديباً يجيد الفارسية والتركية والعربية)[1]، ناهيك عن الكردية. يجدر الذكر أن الطبقتين الاقطاعية والبرجوازية الكرديتين، رغم ضعف الثانية، لعبتا دوراً ايجابياً، وهذا لا يعني أن بعض الاقطاعيين لم يلعبوا دوراً سلبياً. كما لعبت فئة المثقفين دوراً بارزاً رغم وزنها الكمي المحدود، جنباً إلى جنب فئة رجال الدين. أما الفلاحون فقد تشربوا الفكر القومي الكردي على يد البدرخانيين والطريقة النقشبندية، بينما طبقة العمال كانت طبقة ضعيفة، ذات جذور ريفية، باستثناء من عمل منهم في المدن التركية.

كانت التهم التي وجهتها تركيا إلى الثورة عبر وسائل الاعلام، تتمثل في الزعم بأنها حركة رجعية، تتسم بالتعصب الديني، ودسيسة من دسائس الاستعمار البريطاني، دون التطرق الى جانبها القومي. وكان الهدف من هذا التشويه لاحدى حركات التحرر الكردية هو تضليل الرأي العام التركي والعالمي. ما من شك أن الشعور الديني قد لعب دوراً في النهوض إبان الانتفاضة، لكن لا يمكن أن يُتخذ الشعور الديني ذريعة لوصف انتفاضة الكرد هذه بأنها متخلفة أو وصمها بالرجعية، لأن بروز أو ظهور "الاحتجاج السياسي تحت غلاف ديني، هو ظاهرة خاصة بجميع الشعوب في مرحلة معينة من تطورها"، كما يقول (لينين). ورغم محاولات الكماليين إثارة النعرات بين الكرد والأرمن لكنها باءت بالفشل، فيقال بأن الشيخ حين تناهت إلى أسماعه أنباء عن سلوك بعضٍ من أتباعه في مضايقة الأرمن، أعلن على الملأ:

---

(١)– المصدر السابق – ص٣٣.

(إنَّ مَنْ يمس الأرمن بسوء سيتعرض لأقسى العقوبات)[١]. وبالتالي لم تلقَ الرواية عن طابعها الديني والاقطاعي، وبالتالي الرجعي للثورة قبولاً لدى الباحثين المهمين والمنصفين[٢]. أما ما يتعلق بتهمة ارتباطها بالاستعمار، فقد بينا من ذي قبل الدور السلبي الذي لعبته فرنسا ودعمها للحكومة التركية، وقل الشيء نفسه بالنسبة لموقف بريطانيا التي لم تدعم الانتفاضة بطلقة واحدة. يقول لازاريف على صعيد تلك التهمة التي ألصقتها تركيا بالثورة، بخصوص علاقتها ببريطانيا، تلك الأوهام الديماغوجية التي روج لها الاعلام السوفييتي طويلاً: في الواقع لم يتم العثور على اثباتات وثائقية تدل على أن الانكليز قد قاموا فعلاً بتحريض الكرد، وثمة دلائل على النقيض من ذلك[٣]، ويمضي لازاريف قدماً في دحض كل الترّهات التي تزعم مساعدة بريطانيا وفرنسا للثورة. أما بخصوص الموقف السوفييتي، فكانت روسيا (قد نجحت للتو في ثورتها البلشفية، فكانت تدعم حركة مصطفى كمال بكل قوتها)[٤]، ولم يستجب السوفييت لطلبات الكرد تحت ذريعة واهية مفادها أنها قضية داخلية. يوضح حسن هشيار في مذكراته المنشورة باللغة الكردية، كيف طرح الشيخ سعيد ذات يوم طلب المساعدة من السوفييت، رغم أن المحيطين به رفضوا ذلك بحجة أنها دولة ملحدة، لكن الشيخ سعيد ردَّ عليهم بالقول: نحن لسنا بصدد تحديد الموقف من مسألة الدين، بل نحن بأمس الحاجة إلى دعم دولي، وأقنعهم بمنطقه السليم وهذا دليل إضافي على أن الانتفاضة لم تتسم بالتعصب الديني، وخير دليل على ذلك تلك الرسالة التي أرسلها إلى مفوضية الشؤون الخارجية للحزب الشيوعي في جيورجيا، فيما يلي بعض مقتطفاتها:

[أنتم دولة جارة لكردستان جغرافياً، وأكثر دراية بالمسألة ومعرفة بتاريخنا... وتعلمون كيف وَفَدَ الترك إلى بلادنا، ثم تَحَكَّموا فينا وظلمونا، وهم لا يعترفون بحقوقنا القومية وتاريخنا... ولايسمحون لنا الكتابة والقراءة بلغتنا الأم،

---

(١)– م. أ. حسرتيان: انتفاضة الأكراد عام ١٩٢٥ – ص٧٢.

(٢)– م. لازاريف: المسألة الكردية ١٩٢٣– ١٩٤٥/ النضال والاخفاق – مصدر سبق ذكره – ص٨٥.

(٣)– المصدر السابق – ص٨٩.

(٤)– نورالد زازا(الدكتور): حياتي الكردية/ صرخة الشعب الكردي – دار آراس – الطبعة العربية الأولى/ اربيل ٢٠٠١ – ص٥.

وحرمونـا مـن جميـع حقـوق الانسـان، وكـذلك أجحفـوا في المجـالين الاجتمـاعي والاقتصادي. ايديولوجيتكم تدعو إلى الوقوف إلى جانب الشعوب المستضعفة... لذا، ننتظر منكم الدعم السياسي، وقبل أن ننهي هذه الرسالة نقدم إليكم جل احترامنـا، وها نحن بانتظار جوابكم[1]].

الجواب:

[نعلم أنكم قوم آري الجذور في الشرق الأوسط منذ القديم... ومن جانب آخر لا أحد ينكر أنكم مضطهَدون، لكننا لا نتدخل بالشأن الداخلي للدول الأخرى، وبالتالي نحن لسنا مستعدون لتقديم الدعم السياسي، لكن حين تطالبون بحقوقكم لن ندعم الحكومة التركية أيضاً[2]].

أسباب فشل الانتفاضة:

١- ضعف التضامن الكردي وعدم انضمام كرد القزلباش وعشيرة لولان وخورميك إليها، وقد بذل الشيخ سعيد جهوده لـ (جر عشائر ديرسم إلى الانتفاضة، إلا أن محاولاته هذه باءت بالفشل)[3]، يضاف إلى بعض الزعماء والبكوات والأغوات الذين لم يدعموا الانتفاضة.

٢- غياب التنظيم السياسي، رغم الدور الذي لعبته جمعية استقلال كردستان في البداية.

٣- غياب الدعم الخارجي كما نوهنا، وتجلى في مواقف السوفييت وفرنسا وبريطانيا وايران أيضاً، فهناك علاقة جدلية بين العاملين الداخلي والخارجي في نجاح أي حركة تحرر وطني[4].

---

(١)- مذكرات حسن هشيار باللغة الكردية - ص٢٤٤.

(٢)- المصدر السابق - ص٢٤٤و٢٤٥.

(٣)- م. أ. حسرتيان: انتفاضة الأكراد عام ١٩٢٥- مصدر سبق ذكره - ص١٧.

(٤)- يسوق(ماو تسي تونغ) فيما يتعلق بالعلاقة الجدلية(الديالكتيكية) بين العاملين الداخلي والخارجي مثالاً من واقع الريفيين، فيقول: بغية الظفر بكتكوت(فرخ)، يتوجب تلازم(البيضة - عامل داخلي) و(درجة الحرارة المناسبة - عامل خارجي). ومضى في تبيان إعطاء الأولوية للعامل الداخلي، قائلاً: لو رقدت الدجاجة على البيضة مدة محددة لأفقصت كتكوتاً، ولو وضعت البيضة ذاتها لنفس الفترة في فاقصة البيوض(حاضنتها)، لكانت النتيجة ذاتها، شرط تأمين الحرارة المناسبة. لكن، لو جئنا بحجر كلسي أبيض على شكل البيضة وفي حجمها، ثم رقدت عليه الدجاجة أو وضع الحجر المذكور في فاقصة البيوض لما حصلنا على كتكوت البتة.

٤– تفوق الحكومة في العدة والعتاد على قوات الثورة. فقد حشدت تركيا ٩ فرق من المشاة و٣ فرق من الخيالة، عدا الفرق الستة في قارص وسعرت وماردين ومدياد، لكن تركيا فقدت زهاء ٥٠ ألف جندي[١].

انعكست آثار هذه الانتفاضة في الأدب الشفاهي الكردي وفي بعض نتاجات الشعراء، ولعل ملحمة الشاعر الكردي الشهير (بيره ميرد) هي أكثرها شهرة، ففيها يُشبّه الشاعر الحكومة التركية بـ (آلة لا تستطيع أن تعمل في كردستان إن لم تدهن بدماء الشعب الكردي)[٢]، وقد أثارت سياسة تركيا البربرية ازاء الكرد شجون جواهر لال نهرو وغيره من الخيرين كما أسلفنا من ذي قبل.

ما من شك ان الكرد استطاعوا إذاً اقامة كيانات عبر التاريخ (قديماً، وفي العصور الوسطى، وكذلك في العصر الحديث مثل كردستان الحمراء وجمهورية مهاباد واقليم كردستان العراق) خلافاً للاعتقاد الشائع. لكن قصر الفترة الزمنية التي قامت فيها الممالك والدول والامارات الكردية وعدم استمرارها عبر التاريخ ملفت للنظر، فالدولة الكاشية مثلاً دامت أكثر من مائتي سنة، والكوتية والميدية أقل من مائة سنة، والمروانية (الدوستكية) قرابة قرن، أما الأيوبية فنحو ٨٠ سنة، وجمهورية مهاباد أقل من سنة.

٤– ثورة ديرسم (١٩٣٦– ١٩٣٩): وصفتها درية عوني بآخر جيب للمقاومة الكردية ضد أتاتورك. حاصر الجيش التركي المنطقة بداية عام ١٩٣٦، وطالب بتسليم ٢٠٠ ألف بندقية، لكن أهل المنطقة قرروا المقاومة من جبالهم الحصينة، إلا أن السطات عبأت ضدهم ثلاث فرق عسكرية، ناهيك عن الطائرات طيلة صيف ١٩٣٨. أخمدت الثورة بمنتهى الوحشية. يذكر الدكتور ديرسمي كيف كانوا يضعون النساء والأطفال في الكهوف ثم يشعلون النيران في مداخلها، أو يشعلون النيران في الغابات كي يقضوا حرقاً على المقاومين فيها، ولبشاعة سلوك الجنود الأتراك كانت النساء والفتيات يقدمن على الانتحار الجماعي أو يلقين بأنفسهن في بحيرة مونزورو لئلا يقعن في أيدي الجنود. من أهم الأسباب التي أدت إلى إخماد الثورة، أنها لم تتلقَ

---

(١)– بله ج شيركو (الدكتور): القضية الكردية – القاهرة ١٩٣٠– ص٧٩.

(٢)– م. أ. حسرتيان: انتفاضة الأكراد عام ١٩٢٥– مصدر سبق ذكره – ص ٧٦.

المساعدة من أحد، وبعد حصار ٣ سنوات نفذت الذخيرة، مما أضحت لقمة سائغة تحت رحمة السلطات التركية[١].

٥- خويبون وثورة آغري داغ: بعد إجهاض آمال الكرد في لوزان، وعقب انتفاضة كوشجيري وثورة الشيخ سعيد وقمعهما بكل وحشية وإجلاء بعض القبائل الكردية إلى غرب البلاد، بغية إفراغ الولايات الكردية من عناصرها الأكثر خطورة[٢]، حينذاك لاحت للكرد بكل وضوح مكيافيلية الثعلب السياسي مصطفى كمال (أتاتورك) على حقيقتها، فقد مضى الموصوف في سياسة التتريك على المكشوف، وأخذ ينكل بالكرد، ومضى القائمون على السلطة في اغلاق: (المدارس والنوادي الكردية وحرموا نشر الكتب والصحف والمجلات باللغة الكردية، ومنعوا استعمال اللغة الكردية نفسها وأنكروا حتى وجودها، وحظروا ارتداء اللباس القومي الكردي، وهجَّروا الآلاف من الأكراد إلى غرب الأناضول)، ومضت الحكومة التركية في تهديم (القرى والقصبات والمساكن بالجملة... ونصبت المشانق للمئات من قادة الشعب الكردي وخيرة أبنائه، وعزلت كردستان عن العالم الخارجي، وجعلتها منطقة عسكرية... ليرفرف عليها علم الموت والخراب، علم التتريك المقيت)[٣]. جرّاء ما سبق ذكره انصب اهتمام كوادر ونشطاء خويبون على كردستان تركيا، خصوصاً وأن معظم مؤسسيه كانوا قد فروا من بطش كمال أتاتورك إلى الجزء الملحق بسوريا، والذي كان يومها تحت الانتداب الفرنسي أولاً، ورغبة خويبون عدم إزعاج السطات الفرنسية ثانياً، لكن بدا التأثير الكردي السوري جلياً، فالكرد السوريين وقادتهم العشائريين، وغيرهم من مكونات المجتمع الكردي السوري (كانوا السند القوي للتنظيم)[٤].

---

(١)- درية عوني: عرب وأكراد خصام أم وئام - مصدر سبق ذكره - ص١١٠.

(٢)- بين عام ١٩٢٥ و ١٩٢٨ تم إجلاء مليون كردي، مات منهم عشرات الألوف على الطريق جراء الجوع والظروف القاسية في الشتاء.

(٣)- صلاح سعدالله: المسألة الكردية في تركيا - بغداد ١٩٩١ - ص ٨ و ٩.

(٤)- علي صالح ميراني: الحياة الحزبية السرية في كردستان سوريا - تقديم ومراجعة: ا. د. عبدالفتاح علي يحيى بوتاني - مركز الدراسات الكردية وحفظ الوثائق/ دهوك ٢٠٠٩ - ص٢٥.

خويبون Xoybûn (١٩٢٧– ١٩٤٦): اسم علم لتنظيم سياسي، والكلمة تتألف من مقطعين، الأول Xwe باللهجة الكرمانجية أو Xo باللهجة السورانية، والثاني bûn. يقصد بخويبون الاستقلال بالكردية، ورغم أهمية هذا المفهوم سياسياً في تاريخنا الكردي، فهو ليس دقيقاً معجمياً كما يقول روهات آلاكوم، لأن (الاستقلال) يعني (سه رخوه بوون Serxwebûn) في اللهجة الكرمانجية و (سه ربه خويى Serbexweyî) في اللهجة السورانية.

عقد المؤتمر التأسيسي الأول في ٥ تشرين الأول ١٩٢٧، تم تأسيس الجمعية الشعبية أو الرابطة الكردية باسم (خويبون) في بلدة (بحمدون) بلبنان في تشرين الأول ١٩٢٧، وانتخب الجنرال احسان نوري باشا قائداً عاماً للجيش، كما انتخب ابراهيم باشا حسكى زعيماً للادارة المدنية[١]. وقد أقر التنظيم في مؤتمره الأول التآخي الكردي – الأرمني، واكتسب تأييد ومساندة حزب (الطاشناق) الأرمني، حتى الصحافة الأرمنية في المهجر ساندت الثورة، بعد جفاء طويل بين الكرد والأرمن، كانت أسباب الجفاء تتمثل في:

أولاً – الموقف الخاطىء لبعض من قادة الأرمن، ممن رفعوا شعار اقامة أرمينيا الكبرى، التي كانت تضم – وفق وجهة نظرهم – معظم كردستان الشمالية (كردستان تركيا).

ثانياً – وقوف الأرمن إلى جانب الجيش القيصري الزاحف على كردستان الشمالية، وما رافق ذلك من مجازر بحق الكرد.

ثالثاً – الامتناع عن دفع الضرائب لخزينة الامارة التي كانوا يعيشون في كنفها.

رابعاً – مساهمة بعض الكرد في المجازر التي خططت لها عن سبق الاصرار والتصميم، ثم نفذتها السلطات العثمانية والتركية بمهنية وتدبير لا لبس فيه[٢].

تألفت اللجنة المركزية لخويبون من التالية أسماؤهم: جلادت بدرخان (١٨٩٢– ١٩٥١)، ممدوح سليم (١٨٨٠– ١٩٧٩)، محمد شكري سكبان (١٨٨١– ١٩٦٠)، حاجو آغا، أمين راماني، علي رضا، مصطفى شاهين (؟– ١٩٣٥)، بوزان

---

(١)– م. لازاريف: المسألة الكردية ١٩٢٣– ١٩٤٥/ النضال والاخفاق – مصدر سبق ذكره – ص١٧٤.

(٢)– راجع الوثيقتين ٣٠ و٣١.

شاهين (١٨٩٥– ١٩٦٨)، كريم رستم بك، توفيق بك، كامل بك، بدرالدين آغا، فهمي اللِّجي (١٨٨٧– ١٩٦٩). وفيما بعد انضم آخرون إلى التنظيم وانتخبوا لعضوية اللجنة المركزية، ومنهم: قدري جميل باشا (١٨٩٢– ١٩٧٣) الذي أصبح في فترة متأخرة السكرتير العام للتنظيم وفق قول نوري ديرسمي، وأكرم جميل باشا (١٨٩٢– ١٩٧٤). فمن عام ١٩٢٧ وحتى ١٩٣٢ قادها البدرخانيون، ثم انتقلت القيادة إلى آل جميل باشا حتى نهايتها ١٩٤٤. وحسب تقرير فرنسي، شارك في المؤتمر الأول لخويبون كلاً من: جلادت بدرخان، ممدوح سليم، محمد شكري سكبان، كريم رستم، كامل بك، الأخوان مصطفى شاهين وبوزان شاهين، وفهمي لجي، حاجو آغا، أمين آغا، وتم فيه انتخاب التالية في اللجنة المركزية: جلادت بدرخان، مصطفى شاهين، ممدوح سليم، حاجو آغا، أمين آغا[1]. كما حضر المؤتمر الأول من قبل الطاشناق: فاهان بابازيان. وتوطدت العلاقات بين خويبون وحزب الطاشناق الأرمني بعد عقد اتفاقية تشرين الأول ١٩٢٧، تنص على تحرير كردستان وأرمنستان، وكانت نسخة عن الاتفاق الموقع بين الجنرال شريف باشا ممثلاً عن الكرد وبوغوص نوبار ممثلاً عن الأرمن في مؤتمر السلام ١٩١٩م[2]. حتى أن الزعماء الكرد والأرمن قدموا إلى سلطات الانتداب مطلباً باقامة دولة كردية أرمنية في الجزيرة تحت الحماية الفرنسية، عاصمتها الحسكة، لكنه أهمل من قبل فرنسا. جدير ذكره أن حزب طاشناق كان أحد مصادر تمويل خويبون، فضلاً عن مصادر مالية خويبون الأخرى المتمثلة في المهاجرين الكرد الأثرياء. وكان الاتحاد السوفييتي يعد خويبون من المنظمات المرتبطة بالدول الامبريالية، كرد فعل على علاقات خويبون الوطيدة مع حزب الطاشناق، ورغم ما لاقاه من تشجيع من فرنسا (الدولة المنتدبة) بداية، لكن حين أثار ذلك قلق القوميين العرب من جهة، وفي أعقاب احتجاجات أنقرة الشديدة على نشاط خويبون، حدّت فرنسا من هذا النشاط[3].

بعد فشل ثورة آرارات عام١٩٣١ تَسَوْرَنَت (من سوريا) خويبون، وعاشت مرحلة الانطواء على الذات وانخرطت في الشأن السياسي الكردي في سوريا عامة وفي

---

(١)– راجع الوثيقة رقم ١٨.

(٢)– جوردي غورغاس: الحركة الكردية التركية في المنفى – مصدر سبق ذكره – ص٢٥٨ و ٢٥٩.

(٣)– ديفيد مكدول: تاريخ الأكراد الحديث – مصدر سبق ذكره – ص٦٩٤.

الجزيــرة خاصــة، أي في حركــة الاســتقلال الــذاتي في الجزيــرة الــتي بــرزت بــين ١٩٣٦و١٩٣٨[١].

ثورة آغري داغ (١٩٢٦–١٩٣٠): قامت الثورة تحت قيـادة خويبـون، رغـم أن الثورة – وفق قول احسان نوري باشا – قد بدأت عقب انتفاضـة الشـيخ سـعيد أي عام ١٩٢٦م، وهناك من يقول بأنها استمرت بعد عام ١٩٣٠ أي إلى عام ١٩٣١ أو عام ١٩٣٢م. كـان الجنـرال احسـان نـوري باشـا (١٨٩٣– ١٩٧٦)[٢]، ضـابطاً كرديـاً في الجـيش التركـي، حـين تنكـرت تركيـا لوعودهـا الـتي قطعتهـا للكـرد في الحريـة والاستقلال، شكل سراً القوات العشائرية وتولى قيادتها عام ١٩٢٤ وأعلن التمرد علـى الدولة التركية[٣]، تقلد منصب القائـد العـام للثـورة وأقـام وأصـدر صـحيفة (آغـري) الناطقة باسم الثورة، ورفع العلم الكردي في الأراضي المحررة، وكان قـد: (أتفـق علـى لون العلم الكردي عـام ١٩٢٠م، مـن قبـل جمعيـة تعـالي كردسـتان، وقامـت جمعيـة خويبون بارساله إلى آغري)[٤]، وزين به احسان نوري باشا هامة جبل آغـري وجبـال جزيرة بوتان ومدياد وساسون وغرزان.

لاقت الثورة تضامناً من كل أجزاء كردستان، وكان للمرأة الكرديـة دوراً كـبيراً فيها، كما أقام تنظيم خويبـون فروعـاً لـه في جميـع أرجـاء كردسـتان، لكـن تركيـا حشـدت لأجـل اخمادهـا ٤– ٦ فـرق عسـكرية مدعومـة بالطـائرات وشـتى صـنوف الأسلحة، وحين عجزت عن اخمادهـا لجـأت إلى طلـب العـون مـن الاتحـاد السـوفييتي وايران. وقد وردت في دائرة المعارف السوفيتية الكبرى، بأن الـدوائر الامبرياليـة مـن وراء هذه الثورة، ربما كان هذا الموقف السوفييتي رد فعل على تحالف خويبون مـع الطاشناق كما أسلفنا. الدعم السوفييتي لتركيـا تجلـى في ارسـال فرقـة مـن قواتهـا: (عبرت نهر آراس، واحتلت الأطراف الشمالية الشرقية من جبل آغري الصغير)[٥]. أما

---

(١)– جوردي غورغاس: الحركة الكردية التركية في المنفى – مصدر سبق ذكره – ص١٧٢.

(٢)– حاز على لقب الجنرال من قبل خويبون عنـد تزعمـه للثـورة/ وفـق قـول المترجـم: صـلاح بـرواري لمذكرات احسان نوري باشا تحت عنوان انتفاضة آغري ١٩٢٦– ١٩٣٠.

(٣)– انتفاضة آغري ١٩٢٦– ١٩٣٠/ مذكرات الجنرال احسان نوري باشـا – ترجمـة: صـلاح بـرواري – ط١ تموز ١٩٩٠/ بيروت – لبنان – ص٢٨.

(٤)– المصدر السابق – ص١٦.

(٥)– المصدر السابق – ص١٠٤.

القوات الايرانية فقد شاركت في شن حربها القذرة ضد الثورة و (انحياز الشاه إلى جانب الأتراك واعانهم في ابادة الكرد والقضاء على ثورة آغري)[١].

وبعد أن مُني الجيش التركي بخسائر جسيمة طوال سنوات: (توجه للانتقام من المدنيين الأكراد العزل، فأحرق القرى الكردية وقتل الشيوخ والأطفال)[٢].

وقد ذكر احسان نوري باشا في كتاب له صدر باللغة الفارسية تحت عنوان: (تاريخ العرق الكردي)، قائلاً: (عندما كان ثوار آغري يقعون في أسر الأتراك، كان هؤلاء يجزون رؤوسهم ويشكّونها بالعيدان ويعلقونها على مداخل الطرق والجسور، لنشر الرعب في نفوس الكرد الآخرين). وكانت القوات التركية تلجأ إلى أبشع الأساليب ضد المعارضين الكرد، حيث كانت تلقيهم وهم أحياء في بحيرة وان، في الوقت الذي كان بحوزة الثوار الأسلحة الخفيفة، وفي إحدى معارك وادي زيلان، كان الثوار يحاربون بالمناجل والمعاول والعصي.

الخلافات وحل التنظيم: علاوة على ما ذكر، بدأت الخلافات تتفاقم والوضع يتأزم داخل خويبون في النهاية بين آل بدرخان من جهة وآل جميل باشا من جهة أخرى، لا بل أقدم علي رضا وأمين راماني تسليم نفسيهما للحكومة. كما وجهت انتقادات للدكتور (شكري صكبان) ذي المكانة المرموقة في خويبون، الذي أنكر وجود الكرد في كتيب نشره عام ١٩٣٣ كما يقول روهات آلاكوم اعتماداً على قول رفيق حلمي وممدوح سليم. وكان الدكتور (أحمد نافذ) يترأس خويبون قبل حله في عام ١٩٤٦[٣]. ويضيف جوردي غورغاس عاملاً آخر تمثل في القطيعة بين خويبون والطاشناق، ففقدت خويبون جراء ذلك مصادر التمويل والدعم اللوجستي والدبلوماسي. بعد انهيار الثورة لجأ إحسان نوري باشا إلى ايران، حتى وافته المنية عام ١٩٧٥، إثر حادث سير، حيث صدمته دراجة نارية بينما كان يقطع الشارع، ويقال أن الحادث كان مدبراً من قبل جهاز مخابرات الشاه المعروف بالسافاك، خشية اتصاله بزعيم الأمة الكردية الخالد مصطفى البارزاني، الذي لجأ بدوره إلى ايران عقب إنتكاسة عام ١٩٧٥[٤].

---

(١)– المصدر السابق – ص١١٥.

(٢)– قدري جميل باشا: مسألة كردستان – ط٢عام ١٩٩٧ – ص١٢٩.

(٣)– راجع: خويبون وثورة آغري – روهات آلاكوم – ط١عام٢٠٠١– رابطة كاوا/ أربيل – كردستان العراق.

(٤)– من مقدمة المترجم، المرحوم صلاح برواري، لمذكرات الجنرال احسان نوري باشا – ص٩.

تُعـزى أسـباب فشـل الانتفاضـات والثـورات الـتي تجـاوزت المئـة، ضـد الامبراطـوريتن العثمانيـة والفارسـية السـالفة الـذكر، وفـق اسـتنتاج صـديق الشـعب الكـردي (جـيرارد جاليانـد) الى أسـباب **خارجيـة**، ومنهـا غنـى كردسـتان وموقعهـا الاستراتيجي، الذي كان محط أطماع الكثير من الدول وتضـارب مصـالحها، وأسـباب **داخلية** تتعلـق بـالبنى الاجتماعيـة التقليديـة (القبليـة – الرعويـة – الاقطاعيـة) ذات الـنمط الشـرقي ، والافتقـار الى الـوعي و التنظـيم، جـراء تخلـف البنـى الاقتصـادية والسياسية، وتأخر ظهور الطبقة البرجوازية وتبعيتها.

خامساً: التاريخ المعاصر:

١– جمهورية كردستان الديمقراطية

مدخل: المستشرقون، الذين كتبوا عن جانب من جوانب التاريخ الكردي، فقد تناولوه وفقاً لمصالح الدول التي يمثلونها على الأغلب، والدليل على ما نقول هو مـا كتبه "ويليام ايغلتن الابن" عن جمهورية مهاباد[١].

في ٢٠ آب ١٩٤١ تدخلت القوات (السوفيتية، الانكليزية، الأمريكية) المتحالفة في ايران، ونصبت حكومة بديلة لحكومة الشاه رضا، فأضحت المنـاطق الشـمالية تحـت النفوذ السوفييتي، على حين سـيطرت القـوات الانكليزيـة والأمريكيـة علـى المنـاطق الجنوبية، وبقيت منطقة مهاباد بمنأي عن أي نفوذ.

مهاباد:[٢] أُعْلِنَ عـن تأسـيس جمهوريـة كردسـتان ذات الحكـم الـذاتي، في ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٦، في ساحة (Çar Çira) أو القناديل الأربعة بمدينة (مهاباد)، الـتي كان عدد سكانها لا يزيد عن ١٦ ألفاً عام ١٩٤٥، والـتي تقـع إلى الجنـوب مـن بحـيرة أورميّة، وأسست قوات البيشمركة، ورفع علم الجمهوريـة المؤلـف مـن (ثلاثـة ألـوان: الأحمر والأبيض والأخضر، وفوقه شمس صفراء وسنابل قمح)[٣]. عاشت في مهابـاد

---

(١)– يجدر الذكر أن ويليام مثلاً كان موظفاً لدى الوزارة الخارجية الأمريكية حين كتب مؤلفه «جمهورية مهاباد»، ويذكر (جرجس فـتح الله) المحـامي كيـف عـرض مسـودته علـى الـوزارة قبـل نشـر كتابـه، فحذفت منها الوزارة الكثير الكثير.

(٢)– اسم آري.

(٣)– د. عبدالرحمن قاسملو: كردسـتان ايـران – ترجمـة: غـزال يشـيل أوغلـو – ط١عـام ١٩٩٩ – دار الشموس/ دمشق – ص٥٢.

أقليات من اليهود والتركمان الأذربيجانيين، إلى جانب الأكثرية الساحقة من الكُرد المسلمين السُّنَة. أما المناطق التي أقيمت فيها الجمهورية فتمتد شمال سقز وتضم مناطق: (مهاباد، شنو، مركه ور، تيركه ور، سردشت، بانه...الخ)، وكانت تضم أقل من ثلث مساحة كردستان ايران (عدد سكانها يومذاك قرابة ١م.ن)[١]، وبعد انسحاب القوات الايرانية أقام الكرد في تلك المنطقة إدارتهم الذاتية ذات الحكم الذاتي، وأظهر السوفييت على لسان باقروف[٢] تعاطفهم مع الكُرد لاقامة منطقتهم تلك رغم استياء الحكومة الايرانية، شرط أن تكون في إطار الحكم الذاتي الأذربيجاني في ايران ! (وهذه بحد ذاتها مفارقة تستدعي التأمل).

القاضي محمد: هو ابن القاضي علي، ورث مهنة القضاء أباً عن جد، وشغل منصب رئيس دائرة أوقاف مهاباد قبل اختياره أول رئيس للجمهورية الفتية، لذا كان يُعَدّ بمعايير ذاك العصر مثقفاً، فقد كان يتقن الكردية والعربية والفارسية والروسية، وملماً باللغتين الانكليزية والاسبانية[٣]، وامتاز – كما يقول وليام ايغلتن الابن – بالعناد والصلابة. دُعيَ القاضي عام ١٩٤٤ للانضمام إلى «الكومله أو جمعية إحياء الكرد»، أما آرشي روزفلت الابن فيقول بأنه هو من طلب الانضمام إليها. حين التقى قاضي محمد مع باقروف في باكو، روى له حكاية القروي الذي أهداه الآغا ذات يوم كلباً سلوقياً، وذهب في اليوم التالي إلى مضافته، وبالغ في شكره ومداهنته. فتساءل الآغا متعجباً: لا حاجة لهذا الاطراء، إنها لهدية بسيطة. فأجاب القروي: مادُمْتَ منحتني كلب الصيد هذا يا سيدي، فلا بد أنك قررتَ إعطائي حصاناً، كي أستخدمه في القنص، ولا بد انك ستُؤمنَ له العلفَ اللازم والمسكن، لهذا تراني مسروراً إلى هذا الحد. ثم توجه إلى باقروف قائلاً: بعد أن وعدْتنا بالحكم الذاتي، فها نحن نتوقع كالقروي أن تدعموننا بالوسائل المادية الضرورية للدفاع عن النفس وضمان بقاء حكومتنا وازدهارها.

وَعَدَه باقروف بارسال الأعتدة العسكرية (دبابات، مدافع، رشاشات وبنادق)، ناهيك عن المساعدات المالية، وتعهد بارسال مطبعة إلى مهاباد. وقد وفى باقروف

---

(١)– جيرارد جالياند: شعب بدون وطن/ الكرد وكردستان – مصدر سبق ذكره – ص١٦٦.

(٢)– رئيس وزراء أذربيجان السوفياتية يومها.

(٣)– جرارد جالياند: شعب بدون وطن – مصدر سبق ذكره – ص٢٠٣.

بوعده جزئياً من باب ذر الرماد في العيون، وذلك بارسال المطبعة إلى مهاباد ونحو خمسة آلاف قطعة سلاح، تضم بنادق ورشاشات ومسدسات وزجاجات مولوتوف، بيد أنه لم يرسل لا المدافع ولا الدبابات، ولم يقدم أية مساعدة مالية للجمهورية الفتية. ولمح باقروف بخبث للقاضي بأن الملا مصطفى البارزاني ما هو سوى جاسوس انكليزي على حد زعمه، من هنا يجب التعامل معه بحذر، كما راودته الشكوك حول دور البارزانيين (عددهم تجاوز ١٢ألفاً) الذين دخلوا كردستان الشرقية (الايرانية) بأسلحتهم الرشاشة التي غنموها من الجيش العراق، لاسيما بعد وضع الجنرال بارزاني[1] تلك القوة تحت تصرف حكومة مهاباد، وترأسه الجيش والحرس الوطني. والجدير بالذكر أن السوفييت كانوا يبدون بين الفينة والأخرى تحفظهم إزاء ما كان الكرد الايرانيون يمارسونه من نشاط سياسي، خصوصاً بعد التحاق البارزانيين بالجمهورية.

الحزب الديمقراطي الكردستاني:عمل الكرد بنصيحة باقروف، وأنشأوا الحزب الديمقراطي الكردستاني – ايران، في ١٦آب ١٩٤٥ عقب عودة الوفد الكردي من باكو، ليكون بديلاً لـ (الكوملة) لأنها كانت ترفع شعار استقلال كردستان ايران الذي كان يقلق السوفييت بحق، وعقب تأسيس الحزب انضم اليه أعضاء الكوملة. وتضمن منهاج الحزب الجديد:١– النضال من أجل تمتع الشعب الكردي بالحكم الذاتي في ايران ٢– أن تكون اللغة الكردية هي اللغة الرسمية ٣– الاسراع في انتخاب مجلس تشريعي كردي ٤– كل موظفي الحكومة يجب أن يكونوا كرداً في المناطق الكردية ٥– الرسوم والضرائب المجباة في كردستان ايران يجب أن تنفق فيها ٦– إقامة علاقات حميمة مع الأذربيجانيين وسائر الأقليات الأخرى ٧– العمل على الارتقاء بالمستوى الثقافي والخلقي والاقتصادي للشعب.

اعلان الجمهورية: في ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٦، كانت الأرض في مهاباد ترتدي حلتها القشيبة، حيث كان الثلج الذي هطل يوم أمس يغطي الشوارع وأسطح المنازل، فتجمع حشد كبير من أصحاب المهن والمحاربين والموظفين ورجال من قبائل كاوورك ومامَش ومنكوور وهركي وبكزادة والشكاك والجلالي في ميدان Çar Çira، وزين الشارعان المؤديان إلى الميدان بالأعلام الكردية، ثم اعتلى القاضي

---

(١)– كان مصطفى بارزاني أحد الرجال الأربعة ممن منحتهم الجمهورية الفتية هذه الرتبة.

المنصة الخشبية وهو يرتدي بدلة جنرال لكنه احتفظ بعمامته البيضاء، رمز الطبيعة يومها ورمزه الديني في آن، وألقى كلمة استغرقت أقل من ربع ساعة، تم فيها الاعلان عن تأسيس الجمهورية، وقدم الشكر فيها للكرملين والأذريين، ثم ترك المنصة وسط تصفيق الجماهير الحادة في ذاك اليوم التاريخي الأغر، واستمر الناس في الرقص على أنغام الطبل والزرنانية على عادتهم. وفي ١١شباط أدى القاضي اليمين بوصفه رئيساً للجمهورية الفتية مع الوزراء، وتلاه في تأدية المراسيم رئيس الوزراء"حاجي بابا شيخ"، وخلا قوام الحكومة من ممثلي منطقة أورميّة في الشمال، وكذلك ممثلي اقليم سَرْدَشت – ساقز في الجنوب، وهذه كانت نقطة ضعف بلا شك. بعد تعيين سيف الدين قاضي (أو سيفي) وزيراً للدفاع كونه كان ضابطاً سابقاً وبرتبة عالية في جهاز الدرك الايراني أثناء الحرب العالمية الثانية، تم تشكيل الجيش، وسبق أن أفتتح رسمياً مجلس وطني (برلمان) مؤلف من مئة عضو وعضو، واتحاد نسائي تترأسه زوجة القاضي، فضلاً عن إتحاد للشبيبة يترأسه علي خسروي، وأصدرت صحيفة "كردستان" اليومية وجريدة "نشتمان" الناطقة باسم الحزب الديمقراطي الكردستاني – ايران، التي تتصدرها صورة صلاح الدين، ومجلات اسبوعية وشهرية، مثل: "هاوار" و "آكر" و "هلاله" و "كلاويز"، ناهيك عن محطة راديو ذات المدى المحدود جداً، تقوم ببث برامجها من الساعة الرابعة إلى العاشرة ليلاً، وتم الاهتمام باللغة والأدب والأدباء (الشاعران هزار وهيمن).

الموقف الأذربيجاني والسوفياتي:عقدت معاهدة بين الجمهوريتين الفتيتين كردستان و أذربيجان في ٢٣ نيسان ١٩٤٦، تضمنت البنود التالية: ١– في المناطق التي توجد فيها أقليات كردية في أذربيجان يعين الكرد في الوزارات الحكومية، ويحدث المثل في كردستان في المناطق التي توجد فيها أقليات أذرية ٢– تشكل لجنة اقتصادية مشتركة لحل المشاكل الاقتصادية بين الحكومتين ٣– تقوم الحكومتان بتبادل الممثلين حين الضرورة ٤– القوات العسكرية في البلدين تساعد الواحدة منها الأخرى عند الضرورة ٥– أية مفاوضة مع طهران، يجب أن تكون في مصلحة الحكومتين ٦– ستتخذ الحكومة الأذرية الخطوات اللازمة لاستخدام اللغة الكردية وتطوير الثقافة الكردية بخصوص الكرد المقيمين فيها، وتقوم الحكومة الكردية بخطوات مماثلة ٧– ستتخذ الحكومتان الاجراءات القانونية اللازمة لمعاقبة أي

شخص يسيء للصداقة التاريخية بين الكرد والأذريين. لكن الأذريين فاوضوا طهران ووقعوا معهم اتفاقاً وخرقوا بنود المعاهدة السالفة الذكر، التي وقعها القاضي محمد رئيس كردستان وبيشافاري رئيس أذربيجان، مما أثاروا غيظ الكرد بعملهم الانفرادي هذا[١].

في ربيع ١٩٤٦ قدمت ايران شكوى إلى مجلس الأمن، طلبت فيه سحب كل القوات الأجنبية من البلاد، وجراء الضغوط البريطانية والأمريكية من جهة وتلويح أحمد قوام رئيس الوزراء الايراني للسوفييت بموضوع امتياز حقوق التنقيب واستخراج النفط والغاز الطبيعي في شمال ايران من جهة أخرى، صرّحَ غروميكو بأن القوات السوفياتية ستجلو قريباً عن ايران، وعقدت اتفاقية بين الدولتين نصت على ذلك، وكانت الاتفاقية واضحة لا لبس فيها، لأنها كانت تؤكد على مقايضة الكيانين (منطقة أذربيجان ذات الحكم الذاتي وجمهورية مهاباد) بامتياز التنقيب عن النفط والغاز السالف الذكر[٢]. وبانسحاب القوات السوفيتية تركت جمهوريتا كردستان وأذربيجان دون سند خارجي وفريسة سهلة القنص والمنال للقوات الايرانية، لقاء منح حق التنقيب عن النفط، الذي سال له لعاب ستالين[٣].

وبالرغم من أن وسائل الاعلام كانت تشيد بالموقف السوفياتي، إلا أن برنامج الحزب كان يخلو من شعارات الاصلاح الزراعي والتأميم وما شابه ذلك من الخطوات الضرورية بغية طمأنة الجماهير الفقيرة، وهذه نقطة ضعف أخرى.

في التاسع من أيار انسحبت القوات السوفياتية لقاء وعد بالحصول على امتياز النفط في الشمال الايراني كما قلنا آنفاً، فوجد السياسيون الكرد بأن الوقت قد حان لضم مناطق كرمنشاه إلى جمهوريتهم الفتية، إلا أن ايران حشدت جيشها نحو ساقز، ورغم أن الجيش الكردي كان يفوق الجيش الايراني في العدد، إلا أن الأخير كان يمتلك المدفعية والدبابات والطائرات، فكانت النتيجة لصالحه في النهاية.

---

(١)– جيرارد جاليان: شعب بدون وطن – مصدر سبق ذكره – ص١٩٨و١٩٩.

(٢)– رينيه موربيس: كردستان أو الموت – مصدر سبق ذكره – ص٤٧.

(٣)– مقال: عند الامتحان يكرم المرء أو يهان – بحوزة صاحبه المحامي مصطفى ابراهيم، السكرتير السابق للحزب الديمقراطي الكردي في سوريا(الحزب الديمقراطي الكردستاني P.D.K.S).

دور البارزانيين في اسناد الجهورية: كان الايرانيون يخشـون بـأس البـارزانيين بعد أن دخلـوا كردسـتان ايـران تحـت زعامـة الشـيخ أحمـد البـارزاني وقيـادة المـلا مصـطفى البـارزاني المحنـك في ١٩٤٥/١٠/١١، لأنهـم كـانوا متمرسـين في القتـال مـع الحكومات العراقية، ناهيك عن أنهم كانوا يجيـدون فنـون القتـال وتكتيكـات الحـرب، وكان بينهم ١٢ ضابطاً سبق أن تدربوا في المعاهد العسكرية البريطانية وشغلوا مراكز قياديـة في الجـيش، ووصـل عـدد المسـلحين الى نحـو ٣٠٠٠ مقاتـل مسـلحين ببنـادق انكليزية ومدافع رشاشة، كانوا قد غنموها من القوات العراقية[١]. بـدخول البـارزانيين – كما يقـول الأخ مسـعود البـارزاني – إلى كردسـتان ايـران، لاقـوا حفـاوة مـن لـدن أخوتهم هناك، الذين هبوا لنجدتهم وقدموا لعـائلاتهم المسـكن والمأكـل، وتم تسـليح ١٥٠٠ منهم في ثلاثة أفواج ونقلوا إلى جبهة سقز بتماس مباشـر مـع القـوات الايرانيـة، ونحو ٧٠٠ مسلح بارزاني آخر كاحتياط. خاض البارزانيون معارك طاحنة دفاعـاً عـن الجمهورية الفتية، منها على سبيل المثال لا الحصـر: معركـة (قـاراوا) الشـهيرة تحـت قيادة آمر الفوج الأول العقيد بكر عبد الكـريم، فقـدَ فيهـا الجـيش الايرانـي ٨٠ قتـيلاً و١٢٠ أسيراً و١٧ رشاشاً ثقيلاً ومدفعان و ٢٠٠ بندقيـة، بينمـا لم يتكبـد البـارزانيون أيـة خسـائر ماديـة أو بشـرية. ومـنح مصـطفى بـارزاني، سـيف قاضـي، عمـر خـان شكاكي، حمه رشيد خان، زيرو بك الهركي على رتبة جنرال[٢].

القاضي في أيامه الأخيرة:عقد القاضي مجلسـاً للحـرب، وعاهـد علـى المقاومـة بأي ثمن، بعد سقوط جمهورية اذربيجان ذات الحكـم الـذاتي، لأن نبـأ سـقوط تبريـز كان وقعه على الكرد كالصاعقة. لكن الأخ مسعود البارزاني يضـيف: بـأن البـارزاني أمر قواته في جبهتي سقز وسردشت بالانسحاب للدفاع عن مهاباد، فلم يعـد ثمـة مـن يدافع عنها، بعد تحول رؤساء العشائر إلى موقف العـداء العلـني للجمهوريـة، وراحـوا يرسلون الرسل إلى الجيش الايرانـي، معلـنين لـه الـولاء، بعـد أن مالـت كفـة الميـزان لصالح ايران.

وفي ١٦ كانون الأول ١٩٤٦ إلتقى بقاضي محمـد رفـاق دربـه في منزلـه الكـائن على نهر سـوبلاخ، ومـنهم المـلا مصـطفى البـارزاني، وطلبـوا منـه أن يغـادر مهابـاد

---

(١)– جيرارد جالي

اند: شعب بدون وطن/ الكرد وكردستان – مصدر سبق ذكره – ص١٩٥.

(٢)– المصدر السابق – ص١٩٧.

تفادياً لوقوعه في أيدي القوات الايرانية الزاحفة نحوها، إلا أن مساعيهم ذهبت أدراج الرياح، فقد أجاب القاضي: إنني أقسمت يميناً أن أدافع عن مهاباد حتى آخر نقطة دم في عروقي. رغم أنه كان يدرك بأن السوفييت قد باعوه مثلما باعوا أذربيجان الايرانية، التي كانت تتبعهم ايديولوجياً، لقاء حفنة النفط والغاز. وحين سقطت مهاباد، قال البارزاني: لمْ يَهْزِمْ الجيش الايراني الكردَ، بل بريطانيا وأمريكا هما اللتان هزمتا موسكو.

وكانت الأمانة التي سلمها القاضي للبارزاني هي (العَلَم) الكردي الذي يرفرف اليوم على مبنى البرلمان والحكومة في اقليم كردستان العراق، لأنه لم يأتمن برجل آخر أكثر منه، وكانت الدموع تنهمر من مقلتيه وهو يقول: (إنه أمانة في عنقك، فاحتفظ به، إلى أن يأذن الله لك برفعه فوق أية بقعة من كردستان). أما الحدث الآخر فيتمثل في تلك (الوصية) التي وجهها للكرد[1].

النهاية الوخيمة:عُلِقَ القاضي محمد وأخوه وابن عمه على أعواد المشانق في ساحة (Çar Çira) في ٣١ من آذار ١٩٤٧، في نفس الموقع الذي أعلنت الجمهورية فيه، فأسدل الستار على الحلم الكردي ولو إلى حين.

سبق للمرحوم فلك الدين كاكائي الاستشهاد بقول أحد المستشرقين الذين لخصوا محنة شعبنا الكردي بما يلي: الكُرد، شعبٌ شديد الشكيمة ومحب للحرية، وتاريخهم حافل بالانتفاضات والثورات ضد الظلم، والسبب الرئيس في هزيمتهم في العصر الحديث يكمن في المواقف الدولية من القضية الكردية، وأكبر دليل على مصداقية هذا القول، جمهورية مهاباد التي دامت ١١ شهراً. ومن أهم أسباب فشل هذه التجربة حقيقة، **أولاً**– نيل طهران تأييد ودعم القوات البريطانية والأمريكية. **وثانياً**– أقناع السوفييت باتخاذ موقف اللامبلاة ازاء هجوم الجيش الايراني على الجمهوريتين الفتيتين في أذربيجان وكردستان من جهة، ونقضهم لوعودهم في مجال المعونات من جهة أخرى، أي تجفيف منابع الدعم الخارجي. **وثالثاً**– ضعف الكادر السياسي والعسكري الكردي. **ورابعاً**– انقسام الصف الكردي بين مؤيد ومعارض ومتفرج، وكره الكرد للسوفييت، وكان للدين دوراً في تحديد هذا الموقف، ناهيك عن العداوة التقليدية بين الكرد والروس والتي تمتد جذورها الى أيام القياصرة. لكن لو

(١)– راجع الوثيقة رقم ٨.

أخذنا بعين (الاعتبار، هشاشة نظام الحكم في طهران، وشعبية جمهورية مهاباد، فانـه كان بمقدور القوات الكردية اظهار مقاومة أشد، كما برهنت على ذلـك وقفـة البـارزاني تجاه القوات الايرانية)[١]. وقد أفصح البارزاني الخالد عن السـبب الـرئيس في سـقوط الجمهورية، حين أجاب عن سؤال طرحه عليه (دانا شمدت) بهـذا الخصـوص، قـائلاً: عليك أن تتحرى عن الأسباب من هاتين الحكومتين: الولايـات المتحـدة وروسـيا. ثـم أضاف البارزاني: عندما طلبنـا مـن الأمريكـان مسـاعدتنا، قـالوا: انكـم شـيوعيون. وعنـدما طلبنـا ذلـك مـن الـروس، قـالوا: انكـم اسـتعماريون امبريـاليون، وانكـم مـع الولايات المتحدة[٢]، كما صـنف السـوفييت البـارزاني كعميـل بريطـاني[٣] !. فحـين ازداد الضغط الدولي على السوفييت، سرعان مـا انسـحبوا وتخلـوا عـن الجمهـوريتين الفتيتين، بعد أن استهوتهم امتيازات النفط في الجزء الشمالي من ايران.

٢– الحركة التحررية الكردية في كردستان العراق:

"يسجل ظهور مصطفى البارزاني قائداً في مطلع الثلاثينات من القرن العشرين مرحلة جديـدة في تـاريخ الحركـة التحرريـة الكرديـة الـتي كانـت تعـاني حينـذاك مـن التشتت والتمزق وتعدد الزعامات، وقد غدا البارزاني، ومنذ ظهوره، واحـداً مـن أبـرز النماذج القيادية الكردية الفذة التي شهدها تاريخ الكرد وكردسـتان، وإن سـرّ شـهرته ووقوفه على امتداد نحو خمسين سنة رمزاً شامخاً لنضال الشـعب الكـردي تعـود إلى حنكته السياسية والعسكرية وإلى واقعيته وحبه لشعبه، فضلاً عن الدعم الذي حظـي به من لدن الشعب الكردي الذي منحه الثقة العظيمـة، ولم يعـد بامكـان أي باحـث في التـاريخ الكـردي المعاصـر أن يتناولـه بمعـزل عـن دور البـارزاني في رسـم ملامحـه ومعالمه الأساسية"

(ا. د. عبد الفتاح علي بوتاني)

دور الفرد في التاريخ: بادئ ذي بدء، أود أن أستهل في معـرض الحـديث عـن دور مصطفى البارزاني وأمثاله (الشيخ محمود، الشيخ سعيد، قاضـي محمـد...الخ) في التاريخ ومكانتهم فيه، بما أفصح عنـه (مـاركس) ذات يـوم في «الثـامن عشـر مـن

(١)– جيرارد جاليان: شعب بدون وطن – مصدر سبق ذكره – ص١٦٨.

(٢)– دانا شمدت: رحلة إلى رجال شجعان في كردستان – دار آراس – ط٢عام ١٩٩٩/ اربيل – ص١٥٤.

(٣)– المصدر السابق – ص ١٥٢.

برومير لـويس بونـابرت»، مـن أن: (النـاس يصـنعون تـاريخهم بأنفسـهم، ولكـنهم لا يصنعونه على هَواهم). فقد أثار هـذا القـول في عموميتـه الرغبـة لـديَّ في أن ألـتمس مصداقية هـذا القـول في كتابـات (بليخـانوف)، الـذي اكتشـف هـو الآخـر سـر عظمـة (الفرد) الذي يلعب دوراً هامـاً ومميـزاً في التـاريخ مـن خـلال عبقريتـه ومقدرتـه علـى الارتقاء بمستوى وعيـه إلى مسـتوى الضـرورة التاريخيـة. وهـذا يقتضـي أن يُسَخّرَ، الفرد المعني بهذا التوصيف، جلّ نشاطه كـي يعـبر عـن التطـور الطبيعـي للأحـداث، ويُعِدَّ نفسه كعامل ايجابي ومؤثر في مثل هذا التطور. لكـنَّ بليخـانوف يـرى في الوقـت نفسه، بأن الفرد مهما تجلت عظمته وقدرته فهـو لا يسـتطيع تغـيير مسـار التـاريخ، وهذا لا ينفي طبعاً من أن بعض العظماء استطاعوا بفضل ذكائهم وطباعهم وملكاتهم في تغيير الصورة الفردية للأحداث وبعض نتائجها الخاصة.

ويمضي بليخانوف قدماً ليقدم لنا أمثلة افتراضية عن فنانين عظام من أمثـال (مايكل انجلو) و (ليوناردو دافينشي)، فيفترض – على سبيل المثال – موتهما منذ الطفولة أو الصبا لسبب ما، حينئذٍ، فإن الفن في ايطاليـا كـان مـن الممكـن أن يغـدو أقل كمالاً، لكن الاتجاه العام لتطوره في عصر النهضة ذاك كـان سـيبقى علـى حالـه مع ذلك، لأنهما – بمختصر القول – لم يصنعا الاتجاه العـام لتطـور الفـن الايطـالي، بل كانا أفضل المعبرين عن هذا الاتجـاه وأكثـر المـؤثرين فيـه، ففـي حـال وفاتهمـا المبكر على سبيل الافتراض، كما سبق أن نوهنا، كان مـن شـأن أنـاس آخـرين مـن ذوي المواهب أن يتصدوا لمثل تلك المهمة العظيمـة. إذاً، نسـتطيع أن نسـتنتج ممـا قيل آنفاً، بأن العبقريـة الـتي سـتغدو قـوة مـؤثرة في الأحـداث التاريخيـة لشـعب مـن الشعوب أو لأمة من الأمم، ما هـي سـوى ثمـرة العلاقـات الاجتماعيـة أولاً، والظـروف المحلية والاقليمية والدولية ثانياً. وفي ضوء هـذا الاسـتنتاج يمكـن فهـم مغـزى عبـارة ماركس، التي استفتحنا بها موضوع الحركـة التحرريـة الكرديـة في كردسـتان العـراق، فقد بدأ الشيخ محمود ومن ثم الشـيخ أحمـد بـارزاني، ومـن ثـم مصـطفى بـارزاني، واستمر نجلا الأخير (ادريس ومسعود) بارزاني على هذا النهج، نهـج الكـردايتي الـذي تم تأسيسه تاريخياً.

إلا أن هذا القول، يشوبه بعض الغموض، مما يـتمخض عنـه أحيانـاً، الانـزلاق إلى مفهوم نقيض وخطير في آن، يتمثل في تلك المقولة التي أدلى بها (بسمارك)، والتي

تقول: (ليس بالمستطاع صنع التاريخ، بل يجب الانتظار حتى يُصْنَع). ولا يخفى أن هذا القول يُضفي على الحدث التـاريخي، في سياق صـيرورته، طابعـاً جبريـاً ويـؤدي بالتالي إلى وهمٍ تجسدَ في مقولـة (الحتميـة التاريخيـة)، الـتي روّجـت لهـا الاشـتراكية المشيّدة طويلاً، والتي لا يرتدي نشاط الفرد وفق دلالاتها أية أهمية تُذْكَر.

جـدير ذكـره هاهنـا، هـو أن إمكانيـة تـأثر وتـأثير الفـرد في مجـرى الأحـداث التاريخيـة تطـرح بحـد ذاتهـا مشـكلة مـا تُسـمى بالمصـادفة، بخصـوص المصـير التاريخي لشعب مـا. فـيردُّ (هيغـل) لازالـة الالتبـاس علـى هـذا الصـعيد: في كـل أمـر نهائي، يوجد عنصر من الصدفة، والمصادفة حقيقة هـي شـيء نسـبي، ولا تظهـر – كمـا يقـول بليخـانوف – إلا عنـد تقـاطع العمليـات الضـرورية، فمـثلاً ظهـور الغـزاة الأوربيين في القارة الأمريكية كان بالنسبة للهنود الحمر في كل مـن المكسـيك والـبيرو مصادفة، لأن هـذا الحـدث لم يـنجم عـن التطـور الاجتمـاعي لهـذين البلـدين، بـل إن انتصار الأوربيين الغزاة في نهاية المطاف كـان محصـلة قـوتين غـير متكـافئتين بكـل تأكيـد، قـوة المكسـيك والـبيرو المسـتولى عليهمـا مـن جهـة، وقـوة الغـزاة المتفوقـة تكنيكياً من جهة أخرى.

أين يكمن إذاً سر عظمة البارزاني، وما دوره في التاريخ ؟: في ضـوء التحليـل السابق يمكـن الاشـارة إلى منـبعين رئيسـيين، اسـتمد منهمـا البـارزاني الخالـد جـل عظمته:

الأول – يتمثل في مقدرته الخلاقة على الارتقاء بوعيه، إلى مستوى ما تقتضيه الضرورات التاريخية لقضيته العادلة؛ هذا الارتقاء الذي تطلب التحرر من أسر النزعـة الجبرية التي كانت رائجة يومذاك، والـتي ظـل الـبعض أسـيرها أو يحـوم في فضـاءات شِباكها، فلولا رؤية البـارزاني النافـذة، لمـا كـان بمقـدوره التحـرر مـن هـذا المفهـوم البسماركي في تناول التاريخ، ولما استطاع أن يخوض نضالاً لا هوادة فيه مـن أجـل انتزاع حقوق شعبه طوال عقود، دون أن ينتابه اليـأس عقب الاخفاقـات والهـزائم أو أن ينال منه الغرور مبلغاً إثر الانتصارات الرائعة، حتى غدا بحق رمزاً قوميـاً شـامخاً في تاريخنا الحديث.

الثاني – وأعني به تلك السمات الثورية، التي اتسمت بها شخصيته من نضجٍ، واتزان، ورباطة جأش، وشهامة، وشجاعة قـل نظيرهـا، واسـتقامة، وأمانـة، وصـدق،

وإباء، وعدل، وثقة بالنفس، و (زهده في الحياة، وعزوفه عن جمع الأموال.. أو الركض وراء الثروة والرغبة في إكتناز المال.. كان يقول: ابعدوه – يقصد المال – فانه يفسد الثورة.. لذا، لم يترك بعد رحيله أية أملاك منقولة أو غير منقولة، كما قال حبيب محمد كريم في جريدة خبات/ العدد ٧١٦ تاريخ ٢ آذار ١٩٩٤م، في خواطر عن البارزاني)[(١)]، ناهيك عن الوفاء والاخلاص والاخاء، ونشره لثقافة التسامح واحترامه وتقديره لكافة الأديان والمذاهب والطوائف...الخ، كان يكيل الثناء للمسيحيين، ويقول: انهم أخواننا، وهم مواطنو كردستان لا شائبة في مواطنتهم، يحاربون كالأسود. ومع أن ظنه خاب جرّاء الصمت الذي لاذ به البابا، إلا أنه كان يأمل بأن الحبر الأقدس لن ينسى كردستان في صلواته من أجل السلام، ولم يكن لديه أي وهم بخصوص اساءة استخدام المبادىء الانسانية، ولم تخطىء بصيرته حقيقة الازدواجية التي تطغى على التعامل الدبلوماسي الدولي[(٢)]. بيد أن هذه السمات كانت عاجزة عن خلق شخصية «كارزمية» كشخصية البارزاني في النهاية، لو لم تتوفر لها تلك الحاضنة أو البيئة التي أنبتتها، بدءاً من تجربة الشيخ محمود ومروراً بتجربة الشيخ عبد السلام والشيخ أحمد، وحاضنتهما (منطقة بارزان)، حتى قيل فيه لقد جمع: (في شخصه صفات كاوا الثورية وحكمة وعقلانية زرادشت)[(٣)].

من هذين المنبعين استمد البارزاني القائد بتقديري سر عظمته وتم فيهما صقل شخصيته الكارزمية وبرزت مكانته في تاريخ الكرد الحديث، حتى نال احترام وتقدير مجموع الشعب الكردي بجدارة، وأضحى تراثه التاريخي مصدر الهام للكرد حاضراً ومستقبلاً، فكان كالمشكاة التي ألهبت مشاعر الكُرد وأنارت الدرب أمامهم، مثله في ذلك كمثل البطل (دانكو) الذي أنار طريق المضطهَدين، بنيران قلبه المتوهج، في رواية من روائع مكسيم غوركي. فمن الطبيعي والحالة هذه، أن يخلد في ذاكرة الشعب الكردي، مثلما خلدت شعوباً أخرى زعماءها القوميين، من أمثال (المهاتماغاندي، نيلسون مانديلا، خوسيه مارتي، هوشي منه ...الخ). ومثلما كان

---

(١)– عبدالفتاح علي بوتاني (الدكتور): الملامح الأساسية لشخصية مصطفى البارزاني القيادية والانسانية – دهوك ١٩٩٦م – ص ٢٠و٢١.

(٢)– رينيه موريس – كردستان أو الموت – مصدر سبق ذكره – ص١٣٤و١٣٥.

(٣)– صلاح بدر الدين يتذكر – التنوير/ بيروت ٢٠١١م – ص ٩٣.

أعداء الكرد يهابونه أو يحقدون عليه، كان أصدقاء الكرد يبجلونه ويحنون هامـاتهم إجلالاً وتقديراً لنضاله، وخير مـا نستشـهد بـه في هـذا المقـام، رائعـة الشـاعر محمـد مهدي الجواهري، تلـك الـتي تغنـى فيهـا بجمـال كردسـتان وبطولـة شـعبها وشـهامة وبسالة البارزاني، وقد اخترنا من أجوائها الأبيات التالية:

قلبي لكردســـتان يُهدى والفمُ ولقـد يجـود بأصــغريه المعدمُ
ودمي وإن لم يبقَ في جسمي دماً غرثى جراح من دمائي تطعمُ
تلكم هديــــة مستميت مغـرم أنا المضـحي والضحيـة مغرمُ
سلّم على الجبلِ الأشم وعنده من "أبجديات" الضحايـا معجمُ
سفرٌ يضمُ المجد من أطرافـــه ألقاً كما ضم السـبائل منجــمُ
يا أيها الجبـل الأشم تجــــــلة ومقالة هي والتجلـــة تـــوأمُ
باسم (الأمين) المصطفى من أمةٍ بحياته عند التخاصم تُقسَمُ
شعبٌ دعــائمـه الجماجم والدمُ تتحطــــمُ الدنيـا ولا يتحطمُ

كما لا بد في مثل هذه العجالة الاشارة إلى القاضي ويليام دوغـلاس، الشخصـية البارزة والمهتمة بالشأن الكردي، وعضو المحكمة العليا الفيدرالية في واشـنطن، الـذي اكتشف في البارزاني تلك الجمرات المتقدة، التي التمسها عند كل أمريكي حينما كـان يعبر عن مشاعره تجاه ثورته. أما دانا آدمز شمدت، فقد سبق له أن وصف عبقريـة البـارزاني العسـكرية في كتابـه «رحلـة إلى رجـال شـجعان في كردسـتان»، تلـك الـتي تجسدت بأروع مظاهرها في تفاصيل التكتيك العسكري لمئات من العمليـات الحربيـة، أي في ميدان حرب الأنصار التي تميزت بها ثورة أيلول. ناهيـك أنـه اعتـبر البـارزاني من رجالات السياسة الواقعيين القلائل في عصـره، لأنـه حينمـا احتـدم الصـراع بـين الشـرق والغـرب (الحـرب البـاردة)، سـادت في الأوسـاط الكرديـة تقييمـات متناقضـة بخصوص القوتين العُظمَيين آنئذٍ، لكنه استطاع أن يزيل الغشـاوة عـن الأعـين، يـوم عجزت بوصلات الآخرين عن تحديد خـط الأفـق بدقـة، وخـير دليـل علـى صـحة هـذا القول، تلـك الشـهادة الـتي أدلى بهـا البـارزاني، والـتي تعـد محكـاً لواقعيتـه ومعيـاراً لحنكته ودهائه، حيث جاء فيهـا: (لقـد خاضـا – يقصـد الشـرق والغـرب – صـراعاً مستميتاً من أجل السـيطرة والنفـوذ، دون إيـلاء أي اهتمـام يـذكر بمصـير الشـعوب الصغرى التي كانت تُسحق بينهما). وهذا مادفع جيرارد جاليـاند الى القـول: لعـل مـن

سخرية الأقدار أن الكرد المضطهَدين، الذين كانوا يخوضون ثورة للانعتاق من القهر القومي، لايحصلون على الدعم، بينما مضطهدوهم كانوا يتلقون الدعم من المعسكر الاشتراكي والقوى التقدمية في العالم[1]، ومما زاد الطين بلة أن الاتحاد السوفييتي عقد مع نظام البعث في بغداد معاهدة الصداقة والتعاون في ٩ نيسان ١٩٧٢، مما دفع بالحزب الشيوعي العراقي الى الانخراط في جبهته العتيدة. عاش صانع سِفْرِ المجد الكردي في القرن العشرين ومهندس نهج الكردايتي حياة حافلة بالمآثر، فقد تمكن من تفجير طاقات الشعب الكردي، أعني الطاقات التي مكنته من ارتياد المسرح السياسي بعد عصور من التيه، وظل يناضل دون أن ينتابه اليأس يوماً، ولم يستسلم للواقع رغم قسوته في ليل كردستان الطويل، ورغم اختلال موازين القوى بينه وبين السلطة التي كانت تسعى جاهدة لإركاعه بأي ثمن ولو تحت ذريعة احترام القانون، لكنْ هيهات، فاحترام القوانين غير العادلة ليس من شيم المناضلين من أمثاله.

الواقع السياسي في كردستان العراق: تأسس الحزب الديمقرطي الكردستاني في ١٦ آب ١٩٤٦، كحامل سياسي لطموحات وآمال الكرد، سيما أن الحزب الشيوعي العراقي كان محكوماً بتعليمات موسكو الى عام ١٩٥٦، حين حسم الموقف في مؤتمره الثاني، وأصدر قرارات نصت على على أن العراق مكون من شعبين رئيسيين هما الشعب العربي والشعب الكردي والعراق يضم جزءاً من كردستان، فالجزء العراقي الذي يقطنه العرب جزء من الوطن العربي والجزء الذي يقطنه الكرد جزء من كردستان[2]. بعد مفاوضات شاقة وعسيرة تم الاتفاق بين قيادة الثورة والحكومة العراقية على وقف الحرب والتوقيع على اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠م للحكم الذاتي، وكانت الاتفاقية ثمرة نضال طويل لعموم الشعب الكردي في العراق، وطليعته الثورية قوات البيشمركة البطلة بقيادة المغفور له ملا مصطفى بارزاني[3].

لكن هل التزمت بغداد بعهودها ؟. في عام ١٩٧١ رحّلت ٤٠ ألف كردي فيلي الى ايران، وفي عام ١٩٧٣ أجبرت الألوف من الكرد الايزيديين في منطقة سنجار على

---

(١)– جيرارد جاليان: شعب بدون وطن – مصدر سبق ذكره – ص٢٧٠.

(٢)– جيرارد جاليان: شعب بدون وطن – المصدر السابق – ص ٢٣٣.

(٣)– راجع بنود الاتفاقية في الوثيقة رقم ٣٠.

الرحيل الى منطقة زاخو، فوراء خُطَب البعث الرنانة كانت تقبع سياسة تمييز وتعريب واستغلال اقتصادي لموارد كردستان[١]، ومـن المفارقـات الـتي تسـترعي التأمـل أن ٧٥٪ من نفط العراق كان من كردستان (كركوك، خانقين، عين زالة)، ورغم ذلك كان النظام يروج لشعار: بترول العرب للعرب !. وأغلقت السـلطة صـحيفة (بـرايتي)، وتم اصدار مرسوم يحظر بموجبه نشاط الأحزاب غير المنضوية تحت لـواء الجبهـة الـتي أقامتها بغداد، وكان المستهدف الأول الحزب الديمقراطي الكردستاني طبعاً.

انتكاسة الثورة كانت مؤقتة: ما من شك أن الفضل في التوصل إلى اتفاقيـة ١١ آذار ١٩٧٠ يعود لدهاء البارزاني ودماء البيشـمركة وعنـاد الشـعب الكـردي، رغـم أن النظام العفلقي في بغداد أجهضها فيما بعد، عبر سلسلة من الاجـراءات الـتي أفرغتهـا من محتواها:

١– تخلي النظـام عـن البنـد الـذي نـصَّ علـى الشـراكة بـين العـرب والكـرد في العراق.

٢– استمر النظام في سياسة تعريب المناطق الكردية.

٣– محاولات النظام المتكررة لاغتيال البارزاني.

٤– تحديد رقعة الحكم الـذاتي بحيـث لاتضـم سـوى ٥٠٪ مـن مسـاحة الاقلـيم جغرافياً.

٥– اعلان قانون الحكم الذاتي في١١/٣/١٩٧٤ من طرف واحـد، وتعـيين هاشـم عقراوي، أحـد المنشـقين، رئيسـاً للمجلـس التنفيـذي، وبـابكر آغـا البشـدري رئيسـاً للمجلـس التشـريعي (مؤلـف مـن ٨٠ عضـواً، ٧٢ مـنهم معيـنين مـن قبـل رئـيس الجمهورية)، وهو رئيس عشيرة لم يلعب في حياته أي دور في الحركة الكردية[٢].

هذه الاجراءات سرعان ما نسفت الاتفاقية وأدت إلى اندلاع المعارك من جديـد، بعد أن جنّد النظام فيها ما لا يقل عن نصف مليون عسـكري، لكـن حـين عجـز عـن سحق الثورة الكرديـة، تنـازل عـن سـيادته علـى شـط العـرب وجـزر الطنـب الكـبرى

---

(١)– جيرارد جالي

اند: شعب بدون وطـن – المصـدر السـابق – ص٢٤٤و٢٤٧. فيمـا يتعلـق بالاقتصـاد مثلاً، من بين ١٥٠ مشروعاً اقتصادياً كانت حصة كردستان ٤ فقـط، فقـد أقيمـت صـناعة الحديـد في المنطقة العربية، بينما خاماتها كانت في كردستان(ص٢٤٩).

(٢)– جيرارد جالياند: شعب بدون وطن – المصدر السابق – ص٢٥٥.

والصغرى وأبي موسى، وكان الرئيس الجزائري هواري بومدين عرّاب هذه الصفقة المخزية، ويبدو أن الدافع الذي دفع بومدين، هو خشية الجزائر من أن يؤدي انتزاع الكرد لجزء من حقوقهم إلى تحفيز البربر (الأمازيغ) للمطالبة بحقوقهم في منطقة القبائل بالجزائر أسوة بالكرد. جدير ذكره أن العوامل التي أدت إلى انتكاسة الثورة كانت تكمن قبل كل شيء فيما يلي:

أ – العوامل الموضوعية (الخارجية):

١– لم تتلقَ الثورة تضامناً من القوى الديمقراطية في العراق، لأنها كانت في تحالف مع نظام بغداد بضغط وايحاء من موسكو.

٢– الموقف المخزي للاتحاد السوفياتي يومذاك، حين تصرف بوحي من مصالحه وليس بوحي من المبادئ المعلنة في مناصرة الشعوب من أجل نيل حقها في تقرير مصيرها، فأغرق العراق بأحدث الاسلحة بين عامي (١٩٧٢– ١٩٧٥) والتي من دونها كان يتعذر على النظام شن حرب الابادة الشاملة على الكرد.

٣– تجاهل الأمم المتحدة والمجتمع الدولي للأعمال البربرية لنظام بغداد ضد شعب أعزل واعتبارها أن القضية الكردية (شأن داخلي) !.

ب – العوامل الذاتية (الداخلية):

١– تخلف الشعب الكردي وقصور وعيه القومي وتأطره في إطار البنى القبلية، تلك التي طبعت النشاط السياسي بطابعها، رغم السخاء اللامحدود لشعبنا في تقديم التضحيات في سبيل الحرية.

٢– بعد الانتقال من حرب الأنصار إلى فتح جبهة مع النظام، تطلب هذا التحول في الاستراتيجية امكانات كبيرة، مما تعذر توفرها، ففقدت القيادة زمام المبادرة، القائمة أصلاً على الاستفادة أساساً من التناقضات الاقليمية والظروف الدولية. فالاتحاد السوفييتي ترك الثورة دون سند وبدأ بتسليح العراق وبمنح النظام شهادة حسن سلوك عبر اتفاقية الصداقة، فلم يجد الكرد بداً في التوجه الى ايران لتلقي المساعدات العسكرية، رغم أن البارزاني لم يكن يثق بالشاه على الاطلاق[1]. واليوم، بعد اقرار الفيدرالية، لابد من التأكيد بأن الكرد لا يعيشون في (جزيرة منعزلة عن العالم كأي شعب في الدنيا، لا بد أن يؤخذ في الاعتبار عند الحديث عن مسألة

(١)– جيرارد جاليان‌د: شعب بدون وطن/ الكرد وكردستان – المصدر السابق – ص٢٦١.

الاستقلال، المعطيات الاقليمية والدولية، بل ان الوضع الكردي لابد أن تضاف اليه المعطيات الداخلية أيضاً، فبكل أسف فان الكرد ليسوا على قلب رجل واحد، حلم الاستقلال يداعب قلوب الجميع، ولكن عند الواقع فان الأمر مختلف.. الخطوة الأولى من وجهة نظري هي ترتيب البيت الكردي من الداخل، والاتفاق على هدف محدد.. هل الهدف هو اقامة دولة قومية على أساس أن القومية الكردية هي القومية الرئيسية في الشرق الأوسط التي لم يتحقق لها دولة، أم اقامة دولة على غير أساس قومي، على أساس أن عصر الدولة القومية قد ولى؛ الطرحان مطروحان بقوة في البيت الكردي)[1]. حقيقة، نجد أن طرح اقامة الدولة القومية هو مطلب أغلبية الكرد، خصوصاً في كردستان العراق، أما الطرح الآخر، أعني الأمة الديمقراطية، هذا المصطلح الفضفاض، فيطرحه اليوم حزب العمال الكردستاني في كردستان تركيا، وفرعه حزب الاتحاد الديمقراطي في سوريا.

هذه باختصار هي فصول الملحمة التي صاغها البارزاني بسواعد ودماء البيشمركة الأبطال، والتي لولاها لما استطاع الشعب الكردي أن يتمتع بالفيدرالية في اقليم كردستان العراق اليوم. فكان البارزاني يقول: (شكلت البيشمركة تلبية لضرورة قومية تاريخية، وقد أصبحت قوة عظيمة للدفاع عن حقوق الكرد، وهي لا تهدف إلى العدوان، وان الذين يريدون حل البيشمركة قبل تحقيق الكرد لأهدافهم وغاياتهم، ينظرون إلى المسألة بطريقة مقلوبة، مثل الذي يضع العربة قبل الحصان)[2].

سادساً : افتقار الكرد إلى كيان سياسي على خارطة العالم:

١ – العوامل الداخلية:

ما من شك ان تخلف الحركة التحررية القومية الكردية، يرتبط بمستوى تطورها (الاقتصادي والثقافي والسياسي والاجتماعي للمجتمع الكردي)[3] المتخلف، مقارنة بحركات التحرر في المنطقة، جرّاء بقاء المجتمع الكردي معزولاً عن العالم الخارجي لقرون، والدليل على هذا التخلف يكمن في عجزها ابان تفكك الدولة العثمانية،

(١)– رجائي فايد: صحيفة كردستان – العدد ٥٤٧– تاريخ: ٢٠١٦/١١/١.

(٢)– سعد ناجي جواد: العراق والمسألة الكردية ١٩٥٨– ١٩٧٠م – لندن ١٩٩٠ – ص١١٧.

(٣)– جيرارد جاليا ند: شعب بدون وطن – مصدر سبق ذكره – ص٢٥.

لاستثمار الفرصة التاريخية عقب الحرب العالمية الأولى، أسوة بالعرب وشعوب البلقان (الألبان والبلغار) وغيرها، فظل الكرد يتهافتون على التشبث بإماراتهم التي نجح العثمانيون والصفويون في دس الأسافين بينها من حين لآخر كلما لزم الأمر أو كلما حصل تقارب بين امارتين. وتمكن العثمانيون من خلال الألقاب الخلبية الممنوحة للباشاوات والأغوات شراء ذمم الكثيرين، واستطاعوا أن يهندسوا تفكير الكرد وفق مقولة " ليس بالامكان أكثر مما كان "، حتى أضحى: (شعورهم بمفهوم أمة الاسلام أقوى من أي شعور بالقومية الكردية)[1]. **فالدين** لعب دوراً كبيراً في كبح الشعور القومي ونموه وارتقائه الى مستوى الوعي القومي مقارنة بالشعوب الأخرى الخاضعة للعثمانيين. علاوة على ذاك فان الدول التي ألحقت بها كردستان كانت تستحضر الشعور الاسلامي كتعويذة لتحقيق مآربها في النيل من خصومها الكرد، ويمكن أن نسوق على هذا الصعيد عشرات الأمثلة من تاريخ الامارات الكردية (سوران، بابان، بوتان.. الخ). فما جرى بين مير محمد، زعيم امارة سوران، والدولة العثمانية، خير شاهد على ما جرى. فحين هاجمت قواته البالغ تعدادها ٤٠ ألف مقاتل نهاية عام ١٨٣٦ القوات العثمانية وأجبرتها على التقهقر، عمد العثمانيون الى المكيدة ذاتها، ألا وهي الاستعانة بالدين (سلاحهم الناجع)، ونجح العثمانيون في بلوغ مأربهم عبر هذه المكيدة، حتى استمال اليهم الملالي وشخصيات دينية من بطانته المقربة مثل الملا خاتي، الذي أقدم على اصدار فتوى حرم فيها مقاتلة جند خليفة المسلمين، وتلخصت فتواه بعبارة: (ان من يقاتل ضد قوات الخليفة، يعتبر كافراً)[2]، فتخلى عنه أبناء قومه، مما اضطر الى الاستسلام للسلطة العثمانية، التي تخلصت منه في كمين نصبته له في طرابزون.

يضاف الى هذا العائق، كان هناك عائقاً آخر لا يقل خطورة عن العامل الديني، أعني الواقع الاقتصادي – الاجتماعي المتخلف، حيث كان: (السواد الأعظم من سكان كردستان من الرعاة والفلاحين، والتنظيم الأساسي فيها كان العشيرة)[3]، ولا يُخفى أن **العصبية القبلية** لعبت عبر التاريخ دوراً لا يُستهان به في كبح نمو الشعور

(١)– المصدر السابق – ص٣٨.

(٢)– المصدر السابق – ص٤٧.

(٣)– المصدر السابق – ص٣٨.

القومي أيضاً والارتقاء به الى مستوى الوعي القومي، بل – على العكس – أدت الى تفاقم التناقضات الثانوية جراء التنافس على الزعامة، في مواجهة التناقض الرئيسي ضد الأعداء الحقيقيين. إن فشل الانتفاضات الكردية في القرن ١٩ وتماهي البعض بأعداء الشعب الكردي، ماهو سوى التعبير الحقيقي عن ظاهرة جسدها المثل الكردي الدارج في أدبنا الشفاهي: "الكل عدو الحجل، والحجل عدو نفسه"، أعني بها على وجه التحديد ظاهرة الخيانة السياسية، من هنا تجد الذاكرة الكردية مسكونة بهاجس النفور أو التطير من طائر الحجل الذي يستدرج عادة نظيره الى فخاخ الآخرين من خلال قبقبته، مما أضحى مضرب المثل، رغم أنه ككائن من فصيلة الدجاجيات مألوف في البيئة الكردية، الا أنه غير مرغوب به اجتماعياً لأدائه – في المخيال الشعبي – دوراً يستهدف الايقاع ببني جلدته للوقوع في شباك الآخرين[١].

تسلط ماريانا خاروداكي[٢] الضوء في هذا المجال على البنية الاجتماعية السياسية القبلية في المجتمع الكردي، المؤطر ضمن قوقعته العشائرية أو القبلية، والمعزول عن عالمه الخارجي وعن محيطه طوال قرون، فكان من الصعوبة بمكان أن ينمو فيه الشعور القومي، ويرتقي بعدئذ إلى مستوى الوعي القومي، سيما أن القبيلة الكردية كانت تتمتع بأشبه ما يكون بالحكم الذاتي أو الادارة الذاتية، وينظر إليها كوحدة اجتماعية/ سياسية يتمتع أعضاؤها بتميز ثقافي نسبي. وترى هذه الباحثة أن هذا التوصيف ينطبق على الامارات الكردية في العصور الوسطى أيضاً، حيث:

---

(١)– يُروى أن الأمير بدرخان، أمير بوتان، قد ألفى ذات يوم أحد أبنائه الصغار شديد الولع والاعتناء بحجل، فسأله عن سر هذا الاهتمام، فأجاب: يا أبتاه، سآخذه الى الجبل، ثم سأنصب حوله الشباك، وحين يبدأ بالهديل(القبقبة)، سيأتيه الحجل من كل حدب وصوب، حينذاك ستصبح كلها أسير مصيدتي(شباكي). فتقدم بدرخان نحو القفص وجزَّ رأس الحجل في التو، دون الاكتراث ببكاء الطفل وعويله. ويبدو أنه كان مدفوعاً بالوجع الذي تسببه أحد أفراد العائلة البدرخانية، أعني(ايزدين شير)، حين طعنه من الخلف بتحالفه مع السلطة العثمانية، مما نجم عن ذلك أن أضحت الامارة لقمة سائغة للعثمانيين. كما يُروى كيف خان القائد الميدي (هارباك) الملك الميدي(استياغ)، الذي كان يتولى عرش المملكة، حين تحالف سراً مع(كورش) الفارسي. مما حدا بالبعض الى التساؤل: أما زال بيننا من يمثل دور الحجل ؟.

(٢)– ورد ذلك في كتابها القيم «الكرد والسياسة الخارجية الأمريكية – العلاقات الدولية في الشرق الأوسط منذ ١٩٤٥».

(كانت الكونفدرالية الكردية أساساً لا متجانسة على صعيد التركيبة الطبقية مع كيانات موحدة سياسياً في ظل سلطة مركزية)[1]. فالأمير الذي كان يترأس الامارة يملك قوة عسكرية، لكن الامارة كانت تتألف من قبائل متنوعة: رحل، أنصاف رحل، مستقرين، لذا شكل الولاء العشائري والذهنية العشائرية وقيمها التقليدية كابحاً أمام نمو الشعور القومي ونضوجه، باستثناء النخبة، وهذا: (يفسر لنا سياسة تشجيع الدول التي تتقاسم كردستان اليوم لبقاء العشائرية فيها، لأن ذلك يؤدي بالنتيجة إلى تأخير اليقظة القومية وولادة الوعي السياسي والاجتماعي والاقتصادي لدى الكرد، وهذا يؤدي بدوره إلى اعاقة ولادة وتبلور الوعي القومي وإلى الحيلولة دون اتفاق الكرد أو اتحادهم، وإلى تأخر بناء الدولة القومية الكردية المستقلة)[2]. أما نيكيتين وبروينسن، اللذين واكبا على دراسة تاريخ الكرد، بما فيه تاريخهم الاجتماعي، فاعتقدا أن البنى القبلية كانت تشكل العائق الأكبر أمام تقدم الكرد وتطورهم الطبيعي، فاعتماد كل عشيرة أو قبيلة على نفسها أدى الى سيطرة النزعة الفردية على ذهنية الكردي ونفوره من كل ما هو خارج عن العشيرة، خصوصاً اذا علمنا أن النظام الاقطاعي القائم على العشيرة ظل الكردي يرزح تحت كلكله لقرون، وغدا الكردي – على حد وصفهما – مسبوكاً في بوتقة العشيرة، بحيث أن النظام السائد فيها، كان يعتبر القانون الأسمى. وفكك النظام الاقطاعي الاقتصاد الكردي عبر الملكية الخاصة للأرض والمراعي، وأضحى عائقاً أمام تطور القوى المنتجة الجديدة ونشوء العلاقات الرأسمالية والسوق القومية، ولعبت الدولتان الصفوية والعثمانية في تقويض علاقات الانتاج الاقطاعية عبر اقامتهما للدولة المركزية التابعة والمرتبطة بالسوق الدولية، مما زاد ذلك الأمر من كبح نمو العلاقات الرأسمالية في كردستان، حتى غدت كردستان بمثابة الحديقة الخلفية في اقتصاد (ايراني – تركي) تابع وطرفي لمراكز القوى الرأسمالية العالمية. لكن نيكيتين أشار في الوقت نفسه إلى جانب ايجابي للنظام القبلي، رغم الجانب السلبي السالف الذكر، يتمثل في الحفاظ تاريخياً

---

(١)– ماريانا خاروداكي: الكرد والسياسة الخارجية الأمريكية – مصدر سبق ذكره – ص ٦٩.

(٢)– من مقدمة د. عبد الفتاح علي البوتاني لكتاب مارك سايكس/ القبائل الكردية في الامبراطورية العثمانية – دهوك ٢٠٠٢م – ص٦.

على الهوية القومية للكرد وكردستان[1]، في مواجهة القوى التي تتهافت لتجريده من هويته. وسبق أن أشار شرف خان البدليسي في «الشرفنامة» إلى بعض المحاسن والمساوىء التي تميزت بها القبيلة أو العشيرة الكردية، المتجسدة في الشخصية الكردية، التي هي محصلة ظروف تاريخية واقتصادية واجتماعية، مثله في ذلك كمثل ابن خلدون الذي تناول في «مقدمته» خصائص البداوة في المجتمعين العربي والبربري. وأشار البدليسي الى الجانب السلبي المتجسد في الشخص القبلي، الذي كان شعوره القبلي يسبق شعوره القومي. لأن القبيلة كانت بمثابة الحكومة في المجتمع الكردي، ففيها يشعر الفرد بالأمن والطمأنينة النفسية والضمان الاجتماعي والانتماء، كما أنها تلبي حاجاته النفسية والمادية[2]، كما أن صفة التنازع حول المراعي تكاد تكون صفة سائدة في الطور القبلي. أما الجانب الايجابي فتجسد في طبيعة القبلي، الذي يكره القيود وكل ما من شأنه تحديد حريته، من هنا فان الكرد لم ينصاعوا للغزاة عبر القرون[3].

يضاف إلى هذه البنية الاجتماعية، طبيعة الأرض الكردية وتضاريسها المعقدة خصوصاً **الجبال**، التي لعبت دوراً مزدوجاً أسوة بالقَبَلية، منه السلبي/ أحال دون تأسيس كيان كردي، ومنه الايجابي/ حماية الكرد في مواجهة الغزو الخارجي. لعبت هذه الحاضنة التي نشأ فيها الكرد – كما أسلفنا آنفاً – دوراً سلبياً فاقعاً على صعيد الكيان الكردي المأمول، لأن الجبال حواجز طبيعية هائلة (تنمّي في ساكنيها خصائص سيكولوجية معيّنة، منها الروح الفردية والاعتزاز المفرط بالنفس)[4]. فالطبيعة الطوبوغرافية والتضاريسية لكردستان وجبالها المنيعة حالت من جهة دون ظهور الدولة المركزية، وهذا ما يدفعنا إلى ترديد قول نابليون، الذي يصح أكثر ما يصح في الشان الكردي: (الجغرافيا هي القدر). رغم أن الجبال الحصينة شكلت

---

(١)– من مقدمة د. هلكوت الحكيم لكتاب: الكرد/ دراسة سوسيولوجية وتاريخية – باسيلي نيكيتين – ترجمة د. نوري طالباني – الطبعة السادسة – الأكاديمية الكردية/ اربيل ٢٠١٢ – ص٢٢ و٢٣.

(٢)– هاشم طه العقراوي: الاسس النفسية والاجتماعية للقبائل الكردية – ص٢٢.

(٣)– ي. ي. فاسيليفا: شرف خان البدليسي/ العصر والحياة والخلود – ترجمة: د. عبدى حاجي – مؤسسة الموكرياني – ط١/ اربيل عام٢٠١٠ – ص١٠.

(٤)– أحمد محمود الخليل: الشخصية الكردية – مصدر سبق ذكره – اربيل ٢٠١٣ – ص٢٩.

سدوداً أمام الجيوش الغازية ومنعتها من فرض سيطرتها على كردستان كاملة أو جعلت من هذه السيطرة سيطرة شكلية، لكنها من جهة أخرى شكلت عائقاً: (في وجه الأكراد أنفسهم، الراغبين في بسط سيطرتهم ونفوذهم على مناطق واسعة واقامة دولة مركزية)[١]، وبالتالي دفعتهم إلى الاستغناء عن الدولة المركزية لحماية نفسها في صد الغزو الخارجي، من هنا ليس عبثاً ما كان يردده الكرد منذ القديم: "لا أصدقاء سوى الجبال".

المناخ السائد والمتنوع والأمطار الكافية، ناهيك عن الأنهار والينابيع...الخ، لعبت دوراً سلبياً أيضاً، رغم دورها الايجابي. فقد كانت الحاجة إلى الري، في بعض المناطق (كما في مصر مثلاً)، من خلال إقامة السدود وقنوات الري والصرف، سبباً أساسياً لظهور الدولة المركزية في وادي النيل الأدنى في العهد العبودي، حيث كانت الدول وحدها هي القادرة على انشاء مشاريع الري الكبرى. لكن طبيعة النشاط الرعوي والزراعي في ظل الظروف المواتية كانت عقبة كأداء في مواجهة الدولة المركزية: فـ (الزراعة في كردستان اعتمدت منذ أقدم العصور على الأمطار للمزروعات الشتوية وعلى عشرات الألوف من عيون المياه والأنهار الصغيرة في المزروعات الصيفية، وكان بامكان كل قرية أو جماعة صغيرة أو عائلة واحدة أن تمارس الزراعة دون الاعتماد على وجود الدولة التي تنشىء مشاريع الري الكبرى)[٢]. وقد سبق أن أشار انجلس إلى أثر الظروف المناخية وأهمية الري في نشوء الدولة المركزية قديماً في رسالة أرسلها إلى صديقه ماركس، الذي كان غافلاً عن تلك الظاهرة، لانكبابه وعكوفه على دراسة الرأسمالية وانصرافه عن دراسة نمط الانتاج (الاسيوي).

ورغم أن الشعب الكردي ناضل بكل عزيمة لرفع النير القومي عن كاهله، من خلال المقاومة المستميتة، والتي تجسدت في العديد من الانتفاضات والثورات، إلا أن هذا النضال كان يجهض في المهد دوماً، ويعزى ذلك إلى إفتقار الكرد إلى التنظيم من جهة، وتشبث زعماء القبائل وكبار الملاكين وبعض رجال الدين المتنفذين بزمامها من جهة أخرى. فمن أنجع الوسائل التي اعتمدتها الأنظمة المتحكمة بالكرد في التاريخ الوسيط والحديث والمعاصر، هو مناهضة التطلعات الكردية واجهاضها، من

---

(١)– فلك الدين كاكائي: القذافي والقضية الكردية – مصدر سبق ذكره – ص ١٧٤.

(٢)– ماجد عبد الرضا: القضية الكردية في العراق – بغداد – ط١ عام ١٩٧٥ – ص ٢٧.

خلال دغدغة مشاعرهم الدينية، عبر شعارات: أخوة الدين، والأمة الاسلامية...الخ، مما أصاب الخدر الجسد الكردي وشلت قواه عن المقاومة، وكبحت نمو وعيه القومي لقرون.

بنية المجتمعات الشرق أوسطية الاقتصادية – الاجتماعية المتخلفة والتابعة التي يعيش فيها الكرد قسراً، لا تشكل أرضية خصبة للديمقراطية وازدهارها. فالطبقة الوسطى المعروفة بمواقفها الليبرالية والطبقة العاملة بنزوعها الديمقراطي، مازالتا ضعيفتين، مما أضحى المجال مفتوحاً أمام الشرائح الطفيلية – البيروقراطية العسكرتارية إلى تسنم مقاليد السلطة، معتمدة على قاعدة ريفية واسعة، لكنها متخلفة، وهذه البنية بسمتيها (التبعية والتخلف) كانت أيضاً من جملة الأسباب التي أدت إلى ضعف نفوذ القوى المتنورة والمناضلة من أجل التقدم الاجتماعي أو أنصار النهج الديمقراطي فيما يتعلق بالقضية الكردية.

٢ ـ العوامل الخارجية:

وهي تلك العوامل التي كان لها تأثيرها الكبير على التطور التاريخي للمسألة الكردية، فعقب دخول الكرد في الاسلام، وتخليهم عن ماضيهم الديني، استطاع المسلمون (الترك، الفرس، العرب) استغلال الاسلام كأداة لتخدير الكرد لقرون كما أسلفنا، حتى غدا الشعور الديني عند الكرد يسبق شعورهم القومي طيلة هذه الفترة، علاوة على فرض اللغة العربية، بعد تلبيسها تلك الهالة المقدسة كونها اللغة التي كتب بها القرآن، أو اللغة التي تؤدى بها الآذان والصلاة. على هذا النحو انصرفت الدول المتحكمة بمصير الكرد استخدام **الدين** كمكبح في وجه نمو وتبلور الوعي القومي الكردي، مما دفع بالكاتب الكردي في دراسته باللغة الكردية «غنجه ى بهارستان = براعم الروض الربيعي» الى القول: ان تأثير الاسلام كان سيئاً لبني وطنه، وان تاريخ شعبه زوّر تزويراً فاحشاً في ظله[١].

تعرض كردستان للغزوات تاريخياً و**السيطرة الأجنبية**، فقد قضى كورش (الفرس الاخمينيون) عام ٥٥٠ ق.م على مملكة ميديا، التي كان من المؤمل أن تكون نواة للدولة في التاريخ القديم على الأقل. ثم أعقب ذلك سيطرة اليونان، بعد

---

(١)– باسيلي نيكيتين: الكرد/ دراسة سوسيلوجية وتاريخية – مصدر سبق ذكره – ص٢٨١.

قضاء الاسكندر المكدوني على الامبراطورية الاخمينية عام ٣٣٠ ق.م، ثم تعرضت كردستان في القرنين (١و٢) ق.م للغزو الأرمني، ومن ثم الغزو الروماني الذي استمر إلى القرن الثالث الميلادي، كما غزاها الساسانيون حتى الغزو العربي الاسلامي عام ٦٤٠م. وتعرضت كردستان إلى غزوات الصليبيين والمغول والتتر، وعاشت فترة طويلة تحت وطأة الصراع الصفوي – العثماني، إلى أن سيطرت الامبراطوريتان الصفوية والعثمانية عليها عقب التقسيم (الأول)، مما أدت الأحداث إلى كبح تطور الانتاج البضاعي، ونجم عن ذلك تأخر بروز الطبقة البرجوازية الكردية والوعي القومي. فكانت كردستان إذاً بمثابة مسرح للصراع العثماني – الصفوي بين القرنين (١٦– ١٩)، حيث مال أغلب الكرد في هذا الصراع إلى جانب العثمانيين باعتبارهم على المذهب السني مثلهم، ومعركة جالديران (١٥١٤) كانت تعبيراً عن هذا الصراع الذي توج بمعاهدة قصر شيرين (١٦٣٩)، التي تمخضت كما أسلفنا عن أول تقسيم لكردستان بين هاتين الامبراطوريتين.

ولن ننسى **الأطماع الاستعمارية** للقوى العظمى (بريطانيا وفرنسا وروسيا ومن ثم أمريكا لاحقاً)، وتدخلها في شؤون كردستان بعد الحرب العالمية الأولى بهدف الحصول على مستعمرات هامة استراتيجية الموقع، ناهيك عن المصالح الاقتصادية (النفط والغاز، المواد الأولية، الأسواق...الخ)، وما نجم عن التقسيم الثالث، أعني اتفاقية سايكس – بيكو وما أعقبتها من معاهدات، تمخضت عن تشتت بلاد الكرد والحاقها بخمس دول، هي: (تركيا، ايران، العراق، سوريا، وجمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق) دون ارادتهم. ففقد الكرد حينئذ أي شكل من اشكال الاستقلال الذاتي الذي كانوا يتمتعون به من ذي قبل، وضاع الأمل الكردي بتحقيق الحلم في إنشاء دويلة في سيفر ناهيك عن التمتع بحق تقرير المصير.

أما الكيانات السياسية (تركيا، ايران، العراق، سوريا) التي ألحقت بها أشلاء كردستان، فكانت مختلفة في كل شيء، لكنها كانت تتفق حول القضية الكردية. إلا أن محور الشر كان يتمثل بشكل رئيسي في تركيا وايران منذ قرون، من عهد الامبراطوريتين الصفوية والعثمانية، اللتين كانتا تتستران تحت جلباب الدين منذ القديم وحتى اليوم. فهذه الدول مجتمعة كانت تعادي تطور الحركة التحررية الكردية

في أي جزء من كردستان أو تمتع الكرد بأية حقوق قومية: (كي لا تسري عدوى هذه الحقوق على كردها)[١].

خاتمة: منذ بداية القرن العشرين، برز الوعي القومي الكردي، مما أدى إلى بروز حركة تحرر كردية تناضل من أجل نيل الحقوق القومية المشروعة بما فيها حق تقرير المصير، مما شهدت العقود الأولى من هذا القرن انتفاضات وثورات تحت قيادة بعض رجال الدين، بسبب عدم بروز الطبقة الوسطى الكردية وتبلورها، وقد تأثر الوعي القومي الموصوف بالطابع الاسلامي بشعارات الثورة الفرنسية[٢] والبلشفية. نظم الكرد أنفسهم في نوادٍ وجمعيات، بعد أفول الامبراطورية العثمانية واحلال القومية التركية المتعصبة محلها بعد تأسيس جمعية الاتحاد والترقي، لكن ما أجهض الحلم الكردي في التاريخ الحديث، التدخل الأوربي المباشر وتكالب القوى العظمى (بريطانيا وفرنسا) على المنطقة وتقسيمها وفق اتفاقية سايكس – بيكو ١٩١٦، ورغم أن معاهدة سيفر (١٠ آب ١٩٢٠) أقرّت بحق الكرد في موادها: (٦٢،٦٣،٦٤)[٣]، إلا أن معاهدة لوزان أدارت للكرد ظهر المجن وأجهضت آمالهم جراء سياسة مصطفى كمال، ثم دخلت القضية الكردية نفقاً مظلماً طيلة فترة الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي.

تهتم الجغرافيا السياسية بدراسة الدولة والعوامل التي ساعدت على نشوئها أو تلك التي كانت من وراء اضمحلالها. ولم تظهر الدولة إلى الوجود وفق ماركس - انجلس إلا بعد نشوء الملكية الخاصة لوسائل الانتاج، أي بعد انقسام المجتمع إلى طبقات، وبناءً عليه فالدولة هي: (المؤسسة السياسية للطبقة المسيطرة اقتصادياً، هدفها الحفاظ على النظام القائم والقضاء على مقاومة الطبقات الأخرى)[٤]. كما إن الدولة وفق ما هو موصوف في «أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة» لـ (انجلس) ما هي سوى منتوج تطور المجتمع في احدى مراحل تطوره التاريخي، وهي: (تنشأ

(١)– صلاح سعدالله: المسألة الكردية في العراق – مصدر سبق ذكره – ص٦.

(٢)– ماريانا خارادوكي: الكرد والسياسة الخارجية الأمريكية – مصدر سبق ذكره – ص ١٠١.

(٣)– راجع الوثيقة رقم ٧ .

(٤)– عاطف عُلبي(الدكتور): الجغرافيا الاقتصادية والسياسية والسكانية والجيوبولوتيكا – ط١ عام ١٩٨٩ – ص ٢٣٩.

وتنمو وتزدهر وتضمحل معرّضة في النهاية إلى البقاء او الزوال. فكم هناك من دول كانت ثم زالت، هذا في حين أن الشعوب والأقاليم تبقى سواء أبقيت وحدتها السياسية أم زالت. هذا بالاضافة إلى كون الدولة، بالرغم من الكينونة والزوال، عرضة للتمدد والانكماش، الأمر الذي يؤدي إلى التغيرات المستمرة في خاريطة العالم السياسية)[١].

إذا أخذنا ما قيل بعين الاعتبار، فان العامل الحاسم في نشوء الدولتين السورية والعراقية بحدودهما الحالية هو العامل الخارجي أو الارادة أو المشيئة الدولية المتمثلة بتدخل الدول العظمى مثل بريطانيا وفرنسا على وجه التحديد، وليس العامل الداخلي أو تطور المجتمع في هذين البلدين أو مشيئة شعوبهما وفق التحليل الماركسي، بل كانت الولادة قيصرية إن صح التشبيه، وهذا ماسنتناوله في الجزء الثاني بشيء من التفصيل.

هناك وهمٌ يتداوله البعض مشيرين إلى العوامل المعرقلة لنشوء الدولة الكردية الموحدة، والمتمثلة عبر اللاتجانس، كون الكرد كانوا عبارة عن خليط من سلسلة من الأقوام الهندو – اوربية التي هاجرت إلى كردستان قبل أربعة آلاف سنة، وامتزجوا مع السكان الأصليين لجبال زاغروس وطوروس. فالكرد وفق هذا التصور من أصول مختلفة، لذا تراهم ينطقون بلهجات مختلفة، وهنا تكمن العلة وفق تصورهم. نقول أجل، كانت جبال زاغروس خاصة المرجل الذي انصهرت فيه كل الأقوام التي تشكل أسلاف الكرد، وأنتجت في النهاية تلك السبيكة التي تدعى اليوم الأمة الكردية، لكننا – رغم ذلك – لا ندعي النقاء العرقي مثل بعض العنصريين الذين يروجون لفرضية "نقاء الدم"، التي لا يثبتها العلم الحديث، فهل هناك أمة في عالمنا تستطيع أن تدعي هذا النقاء باستثناء "شعب الله المختار" أو الشعب الذي يتفاخر بأنه سليل "خير أمة أخرجت للناس" ؟.

---

(١)– المصدر السابق – ص ١٩٩.

الجزء الثاني
كُرْدِسْتان سوريا

(الجزء الملحق بسوريا)

«إني جواد أصيل، لكني رُبطت مع البغل، ووقع عليّ أن أجرّ العربة»

مقطع من قصيدة لشاعر سومري

صمويل كريمر (من ألواح سومر – ص٢١٩)

مدخل:

شهدت منطقة الشرق الأوسط عقب الحرب العالمية الأولى تغيرات في الخارطة السياسية، وتداعيات وأحداثاً هامة، كان انهيار الامبراطورية العثمانية وتقاسم تركة "الرجل المريض"[1] وترسيم الحدود والحاق هذا الجزء الكردستاني بسوريا احداها. ومن المؤسف قوله أن جميع الشعوب التي كانت منضوية تحت هيمنة العثمانيين نجحت في اقامة دول وكيانات خاصة بها، باستثناء الكرد: (بسبب عجز قادتهم السياسيين، ولتأخرهم الاجتماعي، فجرى تقسيمهم)[2] بين عدد من الدول. ما من شك أن الدول التي أنشئت عقب الحرب العالمية الأولى، مثل: العراق وسوريا، لم تتكون نتيجة النضال التحرري لشعوبها، بل تكونت جراء ارادة بريطانيا وفرنسا أساساً، ووفق مصالحهما؛ فلو كانت لكلتا الدولتين مصلحة في اقامة كردستان: (لأوجدتها، لأنها لم تكن بأسوأ من الدول العربية، لقد كانت لدى الانكليز نية لاقامة دولة كردية، ولكن مصالحها الاقتصادية في المنطقة جعلتها تعدل عن نيتها)[3]. ورغم هذه الحقائق التي يعرفها القاصي والداني، مازالت تُروّج تصورات شوفينية زائفة و أطروحات متهافتة عما جرى في كل من سوريا والعراق. فيزعم الشوفينيون في سوريا تارة بأن الوجود الكردي طارىء، وتارة أخرى بأن للاستعمار دوراً في نسج خيوط مؤامرة كانت ومازالت تستهدف زعزعة الاستقرار فيها كلما طالب الكرد بحقوقهم القومية المشروعة، أو يعزفون على وتر الهجرة جراء الظلم الذي لحق بهم على يد

(١)– نجم عن ذلك ماعُرف بـ "المسألة الشرقية"، والمقصود بها تلك الصراعات بين الدول الكبرى آنذاك لاقتسام تركة الدولة العثمانية، والتي ترافقت مع بروز النضال التحرري للشعوب التي كانت تحت هيمنتها.

(٢)– جيرارد جالياند: شعب بدون وطن/ الكرد وكردستان – ترجمة الى العربية: عبدالسلام النقشبندي – دار آراس للطباعة والنشر/ اربيل – ط١عام ٢٠١٢ – ص٧٥.

(٣)– المصدر السابق – ص٦٨.

الطورانيين إثر انتفاضة الشيخ سعيد ١٩٢٥ بغية التهرب من الاستحقاقات تارة ثالثة، مما يترتب على تلك الترهات السالفة الذكر التنكر لوجود أرض تاريخية كردية في سوريا المعاصرة[١]، وتمسيخ الشخصية الكردية وتجريدها من هويتها، بدلاً من تحكيم المنطق في قراءة التاريخ أو تناول القضية في سياقها التاريخي. ومما زاد الطين بلة، تلك التصريحات الهزيلة التي تطلقها بين الفينة والأخرى بعض الأطراف الكردستانية، مفادها: (عدم وجود مشكلة كردية في سوريا)[٢].

لقد ضمت كردستان سوريا (كردستان الجنوبية – الغربية) أو الاقليم الكردي نهائياً بموجب الاتفاقية الفرنسية – التركية، تلك التي وقعت في أنقرة بتاريخ ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢١، تحت تسمية معاهدة فرانكلين بويون[٣]، ومنذ ذلك اليوم نشأت ما تسمى القضية الكردية في سوريا، حيث تم الاتفاق على ترسيم الحدود النهائية بين تركيا وسوريا، التي لم تقسم العشيرة الواحدة فحسب، بل قصمت عرى القرابة في داخل العائلة الواحدة التي تجزأت بدورها بين تركيا وسوريا، وأحدثت شرخاً جديداً في جسد كردستان، كما تمخضت عن اتفاقية مماثلة بين بريطانيا وفرنسا، تم فيها فصل الجزء الملحق بسوريا عن الجزء الملحق بالعراق أيضاً.

ومنذ تلك اللحظة يتعرض الكرد لسياسة تعريب ممنهجة، تستهدف بشتى الوسائل: (تغيير الطابع القومي للمناطق الكردية، تمهيداً للاعلان عن حل المشكلة الكردية في سوريا عبر الغائها)[٤]. وتعرّض الكرد الى جور وقهر شديدين في عهد سلطات البعث على وجه الخصوص، تلك السلطات التي مضت في تنفيذ العديد من

---

(١)– يقول المفكر العراقي(مجيد خدوري): لم تكن كلمة سوريا لتدل في كل العصور التاريخية على بقعة معينة لها حدودها الثابتة.. لقد كانت في كل عصر من عصور التاريخ اما جزءاً من امبراطورية أجنبية عظيمة أو مقسمة الى حكومات اقطاعية. مخطوطة بحوزة د. علي ميراني(نقلاً عن: المسألة السورية – مجيد خدوري – الموصل ١٩٣٤– ص ١– ٢ و ص٨. ويقول المؤرخ البريطاني(ستيفن همسلي لونكريك) في: تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي – ترجمة: بيار عقل – بيروت ١٩٧٨ – ص٧: لم يكن اسم سوريا لقباً لدولة مستقلة واحدة.

(٢)– عبدالباسط سيدا(الدكتور): المسألة الكردية في سوريا – مصدر سبق ذكره – ص٥. المقصود هاهنا: الاتحاد الوطني الكردستاني، وكوران، ويككرتو، وحزب العمال الكردستاني..الخ.

(٣)– راجع الوثيقة رقم ٢٧.

(٤)– المصدر السابق – ص٩.

المشاريع العنصرية، مثل: التعريب[١] والاحصاء الاستثنائي عام ١٩٦٢، كما اغتنمت فرصة بناء سد الفرات لاقامة مشروع الحزام العربي السيء الصيت عام ١٩٦٥، وهو المشروع الذي استولت سلطات البعث بموجبه على أخصب بقعة في الجزيرة على طول الحدود التركية – السورية (بطول ٣٥٠ كم وعرض ١٠– ١٥ كم)، من دجلة شرقاً حتى رأس العين غرباً، ثم أسكنت فيها العرب الذين استقدمتهم من ريفي الرقة وحلب، في مستوطنات، بهدف تعريبها وطمس الوجود الجغرافي – التاريخي للكرد من جهة، وفصل المناطق الكردية في سوريا عن المناطق الكردية في كل من تركيا والعراق، وسلب الكرد السوريين عمقهم الكردستاني الطبيعي من جهة أخرى، وهذا المشروع سبق أن طرحه محمد طلب هلال[٢].

وقد سمينا كردستان سوريا أو كردستان الجنوبية – الغربية أو الجزء الكردستاني الملحق بسوريا بـ "الاقليم الكردي"، رغم أن مفهوم الاقليم (Region) يختلف تبعاً للحقول التي تتناول المفهوم. فنجد مثلاً أن لويس كيبل يقول بأن الاقليم عبارة عن المساحة التي تتوفر فيها صفات خاصة تجعل من السهولة تحديدها وتميزها عن باقي المناطق[٣]. أما كلايسون فيحدد الاقليم وفق سمتين، الأولى هي التجانس والخصائص المميزة عن سائر الأقاليم الأخرى، والثانية هي السمة الوظيفية الترابطية بين أجزائه ومدنه وريفه[٤]، لكن الخطط الممنهجة التي اتبعتها السلطات السورية في العهد الوطني على أقل تقدير، خصوصاً في عهد البعث، نسفت هذه الأسس، وذلك عن طريق تلك السياسة التي اتبعتها في رسم التقسيمات الادارية، تلك التي وزع الاقليم الكردي وفقها بين عدة محافظات، هذا من جهة ومن جهة أخرى سعت بشتى السبل الى ترقيق الاقليم عبر سياسات التعريب السيئة الصيت، بغية سلب المكان (الاقليم) شخصيته المميزة بملامحها الطبيعية والبشرية عبر التغيير الديموغرافي، مما خلفت وعياً ممسوخاً لدى شرائح كردية واسعة باتت تقر بوجود مناطق كردية.

---

(١)– راجع الوثائق ذات الرقم ١و٢ و٣ و٤ و٥ و٦.

(٢)– راجع الوثيقة ٩.

(٣)– نقلاً عن(د. فؤاد قادر أحمد: دراسات جغرا – تخطيطية حول المجتمع الكردي – جامعة صلاح الدين – ط١عام ٢٠١٥ – ص١١٣).

(٤)– المصدر السابق – ص١١٤.

فالاقليم مساحة من الأرض، ذو خصائص طبيعية وبشرية، لا يتطلب مساحة معينة أو حجم وشكل معينين بالضرورة. وبحثنا الجغرافي الذي هو في متناول اليد، يدرس هذا الاقليم من خلال العلاقة الجدلية بين البيئة والانسان في علاقتهما بالمتغيرات السياسية تاريخياً، عبر منهجية البحث العلمي، التي تبدأ بالملاحظة وتنتهي بالاستنتاج.

كل المصادر التاريخية تؤكد بأن قِدَم الكرد في هذا الاقليم يعود الى فجر التاريخ، وإلى أسلافهم من الأقوام التي انصهرت منذ آلاف السنين لتكوِّن الشعب الكردي، مثل: سوبارتو، الميتانيين، الحوريين وغيرهم. وهذا ما أكدته نتائج الأبحاث الأثرية التي أجريت في العديد من تلال الاقليم[1].

كانت امارة بوتان مثلاً تضم الجزء الشرقي[2] من الاقليم، أما امارة ابراهيم باشا الملّي فضمت الجزء الأوسط منه، بينما امارة جان بولات كانت تضم الجزء الغربي من الاقليم الكردي الملحق بسوريا في العهد العثماني، ولهذا نجد مثلاً كيف ينقض بيير رندو الترهات التي تقول مثلاً أن الوجود الكردي في الجزيرة طارىء، لأنها – وفق قوله – كانت مسكونة بالكرد قبل مجيء الفرنسيين اليها، وهذا ما أكده الباحث السوري المنصف أحمد وصفي زكريا، ومثله الدكتور أديب معوض والباحث مجيد خدوري وآخرين كثر. بداية يمكن القول أن هناك تعتيماً حول القضية الكردية في سوريا، ولا توجد احصاءات رسمية عن حجم الكرد الديموغرافي واقليمهم، وحتى المتوفرة لا يمكن الوثوق بها، مما يضطر الباحث أيّ كان، لخوض البحث في هذا المجال معتمداً على التخمين.

---

(١)– راجع جرنوت فيلهلم: الحوريون تاريخهم وحضارتهم – مرجع سبق ذكره – ص٨١. وراجع أيضاً: قسم المواقع الأثرية أو التنقيبات في نهاية هذا البحث.

(٢)– امتد نفوذ قبيلة كوجرى ميران – وهي بوتانية – حتى جبل شنكال(سنجار)، وتصدت للشمر حين أرادوا التوسع على مناطق نفوذها(مخطوطة بحوزة د. علي ميراني). كذلك(راجع امارة بدرخان).

الفصل الأول
الجغرافيــا الطبيـعيــة

مدخل:

لم يكن للعرب الذين يضمهم اليوم الكيان السياسي المُسمّى (سوريا) بحدودها السياسية الحالية، والذي تم تأسيسه بعد الحرب العالمية الأولى أي كيان سياسي طيلة الحكم العثماني (١٥١٧– ١٩١٨) م، بل كان مثلهم كمثل الكرد يعيشون في إطار ولايات تتبع الباب العالي في استانبول، من هنا يتساءل المفكر العراقي (مجيد خدوري): ماذا نقصد بكلمة سوريا ؟. ثم يجيب بنفسه على السؤال: (لم تكن كلمة سوريا لتدل في كل العصور التاريخية على بقعة معينة لها حدودها الثابتة)[١]. ويضيف: (كانت سوريا في كل عصر من عصور التاريخ إما جزءاً من امبراطورية أجنبية عظيمة أو مقسمة إلى حكومات اقطاعية، ولم يظهر السوريون نفوراً من هذا الوضع، ولم يقوموا بثورة عارمة نية في تأسيس دولة متحدة)[٢].

أما المؤرخ البريطاني (ستفين همسلي لونغريك) فيقول: (عبَّرَ اسم سوريا في التاريخ القديم والحديث عن مناطق متفاوتة، وهو لم يكن يوماً لقباً لدولة مستقلة واحدة)[٣].

والأوساط السياسية السورية التي كانت تطالب بانشاء كيان تحت مسمى (سوريا)، وكذلك سلطات الانتداب الفرنسي والمؤرخون العرب كلهم، فكانوا على يقين أن سوريا لا تشمل المناطق الكردية المسماة اليوم كردستان سوريا أو الجزء الملحق بها. بل من المفيد ذكره أن كردستان سوريا ألحقت بالكيان المستحدث ورسمت حدوده الشمالية بعد ذلك مع تركيا وفق اتفاقية أنقرة الموقعة في ٢٠ تشرين الأول ١٩٢١ بين كل من فرنسا وتركيا، والدليل على ذلك مقررات المؤتمر السوري

---

(١)– المسألة الكردية – الموصل ١٩٣٤– ص١و٢.

(٢)– المسألة الكردية – المصدر السابق – ص٨.

(٣)– تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي – ت: بيار عقل – بيروت ١٩٧٨ – ص٧.

العـام في ٣ حزيـران ١٩١٩: (إذ لم تشـمل أو تتضـمن أي اشـارة إلى منطقـة الجزيـرة كجزء من جغرافية سوريا)[١].

بعد أسلمة الكرد عنـوة وصـلحاً، أضـحى الكـرد عامـة مـن رعايـا الامبراطوريـة العربيـة الاسـلامية، وبـدأ العـرب يغـزون أراضـي كردسـتان. وتعـود جـذور الكـرد في الشمال السوري الى فترات موغلة في القدم، الى مطلع الألف الثالث ق.م أو الى أسلافهم الحوريين/ الميتانيين، لأن موطن الحوريين كان يمتد حتى البحر الأبيض المتوسـط، وكان يضم الاقليم الكردي في سوريا[٢]. أما الباحث أحمد وصـفي زكريـا فيرجـح، في (جولة أثرية في بعض البلاد الشامية)، أن أول من جاء بهـم هـو (نصـر بـن مِـرْداس) عام ١٠٣٢[٣]. كما يقول الباحث الجغرافي الدكتور عبدالرحمن حميدة: لقد أجبروا من قبل سلاطين بني عثمان على الاستقرار في شمالي بلاد الشـام في القـرن ١٦م[٤]. كمـا جاء في معجم البلدان بأن وجود الكرد في بلاد الشام يعود الى العهد الأيـوبي. يضـاف الى ما ذكر، كان الشمال السوري يُدار الى عهد قريب (أعني العهـد العثمـاني) و يُحكـم من لدن ثلاث امارات كردية، هي:

أ – امارة بوتان في الشرق ومركزهـا جزيـرة ابـن عمـر (جـزرة)، ضـمت الجـزء الشرقي من الجزيرة السورية.

ب – امارة ابراهيم باشا المللي في الوسط ومركزها ويران شهر، وامتـد نفوذهـا الى الجنوب من رأس العين لمسافة ٥٠ كـم، أي الى جنـوبي جبـل عبـد العزيـز، حتـى الرقة.

ج – امارة جان بولات (جـانبلاط) في الغـرب ومركزهـا كلـس، ضـمت مـنطقتي عفرين وحلب بما في ذلك قضاء اعزاز وقضاء الباب.

---

(١)– الجزيرة العليا/ الحسكة في ضـوء الوثـائق وكتابـات الرحالـة – د. علـي صـالح ميرانـي – ص٢٦– نسخة الكترونية.

(٢)– راجع مملكة ميتانيا وخريطة الدولة الحورية – الميتانية رقم ٩.

(٣) – أحمد وصفي زكريا: جولة أثرية في بعض البلاد الشامية – دار الفكر – دمشـق – ط٢عـام ١٩٨٤ – ص٣١١.

(٤) – عبـدالرحمن حميـدة (الـدكتور): محافظـة حلـب – منشـورات وزارة الثقافـة – دمشـق ١٩٩٢ – ص١٢٨و١٢٩.

علـى كـلٍ، كـل هـذه الشـهادات كافيـة لـدحض ادعـاءات الشـوفينيين، الـذين يزعمون أن الوجود الكردي في سوريا حديث العهـد، يعـود الى السـنوات الـتي أعقبـت ثورة الشيخ سعيد بيران عام ١٩٢٥ وفق زعمهم.

أولاً: الموقع والمساحة والحدود

١- الموقع

أ - الموقع الفلكي (المطلـق): يُقصـد بـالموقع الفلكـي الامتـداد علـى شـبكة الاحداثيات الجغرافية (أقواس الطول ودوائر العرض). تمتد كردستان سوريا من جهة الشمال حتى تلامس دائرة العرض (٣٧) درجة و (٢٠) دقيقة، شمالي خط الاستواء، أما من جهة الجنوب فتلامس دائرة العرض (٣٦) درجة و (٢٠) دقيقـة، شمـالي خـط الاستواء. وتقع بين خطي الطول (٤٢) درجة و (٢٥) دقيقة شرقي خط غرينتش مـن جهة الشرق، حتى (٣٥) درجة و (٤٣) دقيقة شرقي خط غـرينتش مـن جهـة الغـرب. على هذا النحو، نجد كيف تشغل كردستان سـوريا (الجـزء الملحـق بسـوريا) موقعـاً فلكياً متميزاً، ضمن مناخ الشريط الجنوبي للمنطقة المعتدلـة مـن النصـف الشـمالي للأرض.

ب - الموقع الجغرافي[1]: تقع كردستان سوريا (الجزء الملحق بسوريا) في غرب آسيا، ممتدة من مشارف البحر الأبيض المتوسط غرباً وحتى نهر دجلة شـرقاً، ومـن أقدام جبال طوروس شمـالاً وحتـى جبـل سـنجار وعبـد العزيـر وطـوال العبـا مـروراً بجنوب منطقتي كوبانى وعفرين جنوباً. وتحتل الجزء الجنوبي الغربي من كردسـتان الكبرى، من هنا يظهر خطأ التسـمية الدارجـة اليـوم (أي كردسـتان الغربيـة أو غـرب كردستان أو Rojava) لكل ذي بصيرة، فمصطلح كردستان الغربية، الذي كان يتردد قبل سايكس - بيكـو في الأدبيـات السياسـية الغربيـة (الإنكليزيـة والفرنسـية)، كـان المقصود به الأجزاء الغربية من كردستان سـوريا + الأجـزاء الغربيـة مـن كردسـتان الشـمالية (التركيـة). أمـا غـرب كردسـتان الـدارج اليـوم في وسـائل الاعـلام الكرديـة (خصوصاً وسائل اعلام ب. ي. د) فهو يدخل حقيقة في حقل الخطأ الشائع جغرافياً. سـبق أن شـاعت مصـطلحات تخـص كردسـتان سـوريا في نهايـة القـرن العشـرين في

---

(١)- أنظر الخريطة ١٢.

أدبيات (ب. ك. ك)، مثل (Başûrê Piçûk) لتمييزه عن كردستان العراق (Başûrê Mezin)، كما درج المثقفون الكرد في سوريا فترة على استخدام مفهومَي (سَرخت Serxet وبن خت Binxet)، للتمييز بين كردستان الشمالية (تركيا) من جهة وكردستان الجنوبية – الغربية (الجزء الملحق بسوريا) من جهة أخرى.

أرى أن المفاهيم الأقرب الى الواقعية هي:

١ – مفهوم (كردستان الجنوبية – الغربية)، لتحديد الموقع الدقيق أو الجهة بالنسبة لخارطة كردستان الكبرى، وهو ذو دلالة جغرافية جهَويّة.

٢ – مفهوم (الجزء الكردستاني الملحق بسوريا)، ذو البعد التاريخي.

٣ – مفهوم (كردستان سوريا)، ذو الطابع السياسي.

فهذه المصطلحات كلها صحيحة وفق الحقول المعرفية السالفة الذكر، لأن القضية وفق منهجية الجغرافيتين السياسية والتاريخية، سداتها الجغرافيا والتاريخ ولحمتها السياسة. من هنا فرض عنوان الجزء الثاني من هذا البحث نفسه على النحو السابق.

وكردستان سوريا (أو الاقليم الكردي الملحق بسوريا)، محاطة بكردستان تركيا من جهة الشمال والاقليم العربي السوري من جهة الجنوب، والمنطقة الساحلية المطلة على البحر الأبيض المتوسط من جهة الغرب واقليم كردستان العراق من جهة الشرق.

إن هذا الموقع الاستراتيجي (فلكياً وجغرافياً) لكردستان عامة وكردستان سوريا (الجزء الملحق بسوريا) خاصة، قد تسبب في تكالب وتصارع قوى الغزو والاستعمار عليها، بدءاً بالامبراطوريات البيزنطية والفارسية والعربية والعثمانية من جهة، وفرنسا وبريطانيا وروسيا وتركيا من جهة أخرى. وتجلت أهمية هذا الموقع قديماً، كون كردستان كانت تشكل جسراً بين آسيا وأوربا في مجال طرق المواصلات (طريق الحرير مثلاً)، حيث كانت القوافل التجارية المحملة بالبضائع الآسيوية (الحرير، التوابل، العاج) تتجه نحو اوربا لتعود محملة بالأقمشة وغيرها من المواد، لكن كردستان فقدت هذه الأهمية التاريخية لسببين:

أ – اكتشاف الطريق البحري حول رأس الرجاء الصالح، الذي كان يربط بين أوربا وجنوب وجنوب شرق آسيا، عبر المحيطين الأطلسي والهندي بداية.

ب – وافتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ فيما بعد، إذ أضعفت القناة أهمية المواصلات البرية عبر كردستان، وكذلك أهمية طريق رأس الرجاء الصالح.

يضاف إلى العاملين السالفين، وسائل النقل الحديثة، التي نجم عن تطورها تراجع أهمية الحيوان، فضلاً عن الطرق التقليدية التي كانت: (باهظة التكاليف ومبددة للجهد والوقت، عدا الأخطار التي تهددها، مقارنة مع وسائط النقل البحري التي تعبر قناة السويس)[١].

لكن كردستان عامة وكردستان سوريا (الجزء الملحق بسوريا) خاصة سرعان ما استعادت أهميتها لسببين:

أ – مد خط قطار الشرق السريع بين أوربا والعراق عبر كردستان.

ب – اكتشاف النفط والغاز الطبيعي وغناها بمصادر المياه، ناهيك عن التربة الخصبة.

٢– المساحة: تقدر مساحة كردستان سوريا بنحو/١٨,١٠٠كم٢ / وفق بعض المصادر.

– أو نحو /١٨,٣٠٠ كم٢ (الدكتور عبدالرحمن قاسملو).

– أو /٢٥٠٠٠ كم٢ (الدكتور علي ميراني).

– أو قرابة/٣٠٠٠٠ كم٢ (الدكتور اسماعيل حصاف)

٣– الحدود: كردستان سوريا (الجزء أو الاقليم الملحق بسوريا)، مصطلح جديد، ظهر إلى الوجود عقب اتفاقية سايكس – بيكو (١٩١٦) وما أعقبتها من اتفاقيات، أي بعد تقسيم الغنائم. وإن توخينا الدقة قلنا أن كردستان العثمانية تم تقسيمها بين كل من تركيا والعراق وسوريا، فكانت كردستان سوريا من نصيب سوريا المستحدثة أو الناشئة. وجرّاء هذه العملية القيصرية، ان صح التعبير، نشأت ما تسمى اليوم كردستان سوريا، وهي تشكل المناطق الشمالية من سوريا التي تقطنها غالبية كردية، والحدود السياسية هذه بين سوريا وتركيا قطعت أوصال العشائر والعوائل الكردية بين الشمال والجنوب، مثلما قسمت الحدود السورية – العراقية بعد ترسيمها من قبل فرنسا وبريطانيا العشائر الكردية بين الشرق والغرب[٢].

---

(١)– عادل عبد السلام (الدكتور): جغرافية سوريا – الجزء الأول – دمشق عام ١٩٧٧ – ص ١٣.

(٢)– م. لازاريف: المسألة الكردية ١٩٢٣– ١٩٤٥/ النضال والاخفاق – مصدر سبق ذكره – ص١١٨و١١٩.

أ – الحدود الشمالية[١]: لا ترتكز على أية ظاهرة طبيعية مانعة (جبال، أنهار، بحار) أو أسس ومظاهر حضارية معتبرة (قومية، لغوية، ثقافية، دينية)، وبالتالي فهي حدود سياسية محضة، لم يراعَ في وضعها الوجود التاريخي للكرد البتة، فمن الطبيعي أن تكون دائمة التوتر، ولم تنجح تركيا بالحد من هذا التوتر رغم زراعتها الألغام على طوله ووضعها الأسلاك الشائكة ونقاط المراقبة المكثفة، ولن تتمكن في تحصينه رغم شروع السلطات التركية مؤخراً في اقامة الجدار العازل بين كردستان تركيا وكردستان سوريا؛ ويبدو أن تركيا لم تتعظ بانهيار جدار برلين، ومن المفارقات المثيرة للاشمئزاز أن تركيا تحصن هذه الحدود من جهة، وتستميت من جهة أخرى للانضمام إلى الاتحاد الأوربي الذي كاد أن يزيل الحدود بين الدول المؤتلفة فيه، وذلك من خلال تخفيف وتسهيل الاجراءات عبرها. من المفيد ذكره أن انتقال الأفراد والعشائر (بين مصايفها ومشاتيها) قبل ترسيم هذه الحدود كان يُدرج في اطار الهجرة الداخلية جغرافياً، لأن كردستان سوريا كانت امتداداً جغرافياً (ديموغرافياً) لكردستان تركيا والعراق، وبنتيجه ترسيم الحدود انقطعت كردستان سوريا عن مراكزها الحضرية (جزيرة بوتان، نصيبين، ماردين، أورفا، كلس)، وارتبطت مع مراكز حضرية مثل حلب والموصل. ومما زاد الطين بلة، اتهام كل من يتواصل مع أهله وأقاربه عبر هذه الحدود بممارسة التهريب، بعد أن تعذر عليه التواصل القانوني بسبب الاجراءات التعسفية والمتشددة لابتزاز الناس من جهة واجتثاث صلة الرحم من جهة أخرى، بين الأخ وأخيه وبين الابن وأبيه والأم وابنتها، حتى انقسمت العائلة الواحدة والعشيرة الواحدة بين دولتين أو أكثر. المهم أن رسم الحدود مرّ وفق المراحل التالية:

١– معاهدة سيفر ١٩٢٠: بين تركيا والحلفاء، وبموجبها أتفق على أن تكون قمم جبال طوروس هي الفاصلة بين تركيا وسوريا[٢].

٢– اتفاقية أنقرة ١٩٢١ (اتفاقية فرانكلين – بويلون)[٣]: جراء التفاهم التركي – الفرنسي، والتي كانت بمثابة اسفين آخر دق في قلب كردستان، عقدت هذه

---

(١)– راجع المصور ١٥.

(٢)– راجع الخريطة ٣/ أ والمصور ٣/ ب.

(٣)– الوزير المفوض الفرنسي المتواطىء مع الكماليين. راجع الوثيقة رقم ٢٧.

الاتفاقية، وكانت نقطة البداية لتجاوز اتفاقية سيفر ١٩٢٠م والحاق جزء من كردستان الغربية بالكيان السوري الناشئ مجدداً، فبموجبها دفعت الحدود نحو الجنوب لمسافة تتراوح بين/٤٠– ٥٠/كم، بحيث تساير الحدود خط قطار الشرق السريع بين القامشلي وحلب، شرط أن يظل هذا الخط الحديدي داخل تركيا من القامشلي إلى شمالي حلب، ناهيك عن ابقاء منابع جغجغ وقويق وغيرهما تحت رحمة تركيا. ووفق بنود هذه الاتفاقية، ألحق جزء من الشعب الكردي وجزء من كردستان المسماة بكردستان الغربية الخاضعة للدولة العثمانية بسوريا[١]. بموجب هذه الاتفاقية التي وقعت في ١٩٢١/١٠/٢٠، تم فصل جزء من كردستان والحاقه بسوريا أرضاً وشعباً، وهو الجزء الذي يُسمى اليوم كردستان سوريا. لكن تأخر ضم منقار البطة إلى الكيان السوري إلى عام ١٩٢٩ بسبب الخلاف بين تركيا وسلطات الانتداب الفرنسية، لأهمية المنطقة المذكورة من الناحيتين الاستراتيجية والاقتصادية. ففرنسا كانت تراهن على المنطقة كبقعة واعدة بالنفط منذ عام ١٩٢٤، وهذا ما أسال لعابها أكثر، سيما بعد أن أضحت ولاية الموصل الغنية بالنفط تحت نفوذ منافستها بريطانيا، ومع تزايد الأمل باكتشاف النفط القابل للاستثمار في منقار البطة اشتدت وتيرة الخلاف مع تركيا على ترسيم الحدود[٢].

٣– معاهدة لوزان ١٩٢٣: ادّعى عصمت اينونو، ذو الأصل الكردي، أنه الممثل الشرعي للشعبين الكردي والتركي، وكانت معه جوقة من الكرد المتمسخين غاية الانمساخ، وتم الشطب على بنود سيفر نهائياً بعد ابرام هذه المعاهدة.

٤– في عام ١٩٣٩ ألحق لواء اسكندرونة (مقاطعة هاتاي) بتركيا، وفق ترتيب فرنسي وقرار من عصبة الأمم. وهكذا تبدأ الحدود بين تركيا وسوريا اليوم (أعني الحدود الشمالية لكردستان سوريا أو الجزء الملحق بها)، من شمالي قرية البدروسية بنحو ٥ كم، أي من ساحل المتوسط شمالي مدينة اللاذقية من جهة الغرب، وتنتهي قرب قرية عين ديوار على نهر دجلة من جهة الشرق، مارة بميدان اكبس وشمالي

---

(١)– نواف محمد مراد: موقف الحزب الشيوعي السوري من القضية الكردية في سوريا – مصدر سبق ذكره – ص٣٥و٣٦.

(٢)– اسماعيل حصاف(الدكتور): تاريخ كردستان سوريا المعاصر ـ الجزء الأول ـ اربيل ٢٠١٧ـ ص١٥٣.

بلبل وجنوبي كلّس والراعي وجرابلس وكوباني وتل أبيض ورأس العين والدرباسية وعامودا وقامشلي حتى شمالي عين ديوار بحوالي ٥ كم.

ب – **الحدود الغربية:** هناك جدل حول امتداد كردستان سوريا واشرافها على المنطقة الساحلية للبحر المتوسط، بين من يجزم بأن كردستان سوريا محرومة من أي منفذ بحري على المتوسط بعد ضم لواء اسكندرونة لتركيا، مثلها في ذلك كمثل دول قارية، مثل: مالي، زامبيا، فولتا العليا، رواندا، أوغندا، تشاد وغيرها في افريقيا، أو سويسرا في أوربا، وبين من ينفي هذا القول جملة وتفصيلاً، ويقول إن كردستان سوريا تقترب من المتوسط عبر (جبل الأكراد)[١] الذي يقع على مشارفه: وسبق أن أفاد الدكتور أديب معوض بأن الكرد يعيشون في منطقة جبلية: (ممتدة من خليج فارس ... حتى ساحل المتوسط في الاسكندرونة)[٢]. ومن الملاحظ أن هذه البوابة، أعني بوابة لواء الاسكندرونة، سلبت من كرد سوريا بعد ضم اللواء إلى تركيا عام ١٩٣٩ كما بينا، لكن ثمة بوابة أخرى كما بينا، تغدو كردستان سوريا على مشارف البحر المتوسط، فهاهو الدكتور أديب معوض يستأنف في مكان آخر من بحثه المذكور آنفاً، ويتحدث عن الكرد الممتزجين، الذين نسوا لغتهم وكادوا ينصهرون مع غيرهم، قائلاً بأن الكرد يتواجدون في: (دمشق... وحماه... وأماكن أخرى من الجمهورية السورية، مثل قضاء حارم بين حلب والاسكندرون، وجبل الأكراد في العلويين، حيث لا تقل قرى الأكراد عن الثمانين، وجبل الأكراد هذا غير جبل الأكراد الواقع في شمال سوريا من جهة الغرب)[٣].

وقد يتبادر إلى ذهن القارىء سبب التركيز على مثل هذه البوابة، فلأن أهمية المنافذ البحرية تتأتى على صعيدين:

أ– من الناحية الاقتصادية: تسهل التواصل مع العالم الخارجي من خلال الموانىء والمرافىء، ناهيك عن أهميتها في مجال استثمار الثروات البحرية كالأسماك والاسفنج على أقل تقدير.

---

(١)– وهو جزء من جبال العلويين(جبال اللاذقية)، كما يجب القول من باب التنويه أنه غير جبل الكُرد (Çiyayê Kurmênc) الذي عُرِّب إلى جبل حلب في عهد البعث.

(٢)– أديب معوض(الدكتور): الأكراد في لبنان وسوريا – مصدر سبق ذكره – ص٣.

(٣)– المصدر السابق – ص ١٧.

ب– من الناحية السياسية: الأقاليم والدول التي تطل أو تشرف على المنافذ البحرية، تتحرر من تحكم الدول الأخرى بمصيرها، وبالتالي تضفي المنافذ أهمية جيو – استراتيجية على موقع الاقليم أو الدولة التي تتحكم بها.

ج– الحدود الشرقية:أعني الحدود مع اقليم كردستان العراق، التي رسمت وفق ارادة بريطانيا، التي سعت جاهدة لابعاد فرنسا عن منطقة الموصل الغنية بالنفط والتي كانت من نصيب فرنسا وفق معاهدة سايكس – بيكو السرية، وقد أقر خط الحدود الفاصل عام ١٩٣٢م على النحو التالي: تساير الحدود نهر دجلة (أي تساير كردستان تركيا ومن ثم كردستان العراق)، بعد ذلك تتجه بدءاً من خانك السفلي أو بيشابور نحو الجنوب الغربي، مبتعدة عن دجلة مارة بتل كوجر وخودة الدير (التخم ٨٧) ومن ثم ينكسر الخط ليمر من تل الغولي حتى جبل جريبة (أي التخم ٥٧ على ارتفاع ٦٤٦ م)، وجريبة عبارة عن جزء من سنجار يقع داخل سوريا، ولا يفصل بين سنجار وجريبة سوى ممر الساموخة[(١)].

د – الحدود الجنوبية: حينما رسمت الحدود وفق اتفاقية أنقرة عام ١٩٢١، وألحق جزء من كردستان بالكيان السوري، كانت الحدود الفاصلة بين الكرد (في الشمال) والعرب (في الجنوب) تمتد من الشرق الى الغرب على النحو التالي:

تبدأ من جبل سنجار (وامتداده في سوريا/ جبل جريبة) شرقاً، نحو جنوبي جبل عبد العزيز حتى جنوبي رأس العين ليضم بذلك الجزيرة الشمالية. ثم تسير الحدود غرباً حتى جنوبي تل أبيض بموازاة الحدود التركية، وتنعرج نحو الجنوب ماراً بشمالي الرقة حتى نهر الفرات، لتضم كوبانى. ثم تبدأ الحدود بالاتجاه نحو الشمال الغربيً ماراً بشمالي منبج والباب، ثم تنعرج جنوباً لتقترب من سبخة الجبول، وتتجه من جديد شمالاً مارة بشمالي حلب، ثم تنعرج نحو الجنوب الغربي لتضم منطقة عفرين. وتمتد الحدود نحو الجنوب الغربي، قاطعة جبل الأكراد (جزء من السلسلة الجبلية الساحلية في سوريا) متجهة نحو البحر المتوسط.

---

(١)– عادل عبدالسلام(الدكتور): جغرافية سوريا – الجزءالأول – في الجغرافيا الطبيعية والبشرية والاقتصادية – دمشق ١٩٧٣.

لكن سياسات التعريب، خصوصاً في العهد الوطني وفي عهد البعث تحديداً، قضمت مناطق شاسعة من الاقليم الكردي، ومازالت هذه السياسة منتهجة حتى اليوم، بل وتزداد وطأة.

وجراء رسم الحدود الشمالية بين كردستان سوريا وتركيا من جهة، والحدود الشرقية لكردستان سوريا مع العراق من جهة أخرى بشكل نهائي، تم الحاق كردستان سوريا نهائياً بسوريا.

تضم كردستان سوريا (الجزء الملحق بها): منطقة الجزيرة، منطقة كوباني، ريف الشهباء (ريف حلب الشمالي الشرقي) المُرَقّق جراء سياسات التعريب، ومنطقة عفرين، بطول ٨٣٧ كم (راجع الخريطة ١٢ والمصور ١٣). وهذه الحدود التي تفصل كردستان سوريا عن كردستان تركيا وكردستان العراق، هي حدود سياسية حديثة، تدعى الحدود الدولية، أي المعترف بها دولياً ثم أضفت عليها هالة مقدسة، كللتها المعاهدات والمواثيق الاستعمارية غير العادلة. وهذه الحدود السياسية، من أهم موضوعات الجغرافيا السياسية، رغم أنها غير معترف بها من قبل الكرد، كونها حدوداً اصطناعية جائرة، كانت الغاية منها الحاق جزء من كردستان بسوريا الناشئة، وهي في نفس الوقت تضرب بالظاهرات الجغرافية الطبيعية والاختلافات البشرية (الاثنوغرافية) وارادة الشعب الكردي عرض الحائط، ولم تراع بالتالي في وضعها التباين اللغوي والاثني الواضح.

ثانياً: البنية الجيولوجية

البحث الجيولوجي في سوريا مرّ بالفترات التالية:

١- **الفترة الألمانية**: جرت على يد (ماكس بلانكنهورن) و(او. فرانس) و(ك. دينر) و(ل. كوبر) و(أي. كرنكل)، وانصب الاهتمام في هذه الفترة على الجزء الغربي من سوريا.

٢- **الفترة الفرنسية**: قام (دوبرتريه) في فترة الانتداب الفرنسي بمسح جيولوجي لمناطق عدة من سوريا بمساعدة (ا. كيلر) و (هـ. فوتران)، وتم اصدار أول مصور جيولوجي لسوريا بمقياس (١: ١٠٠٠٠٠٠) عام ١٩٣٤، لكن ظل الاهتمام منصباً على المناطق الغربية.

٣- **الفترة السوفياتية**: قامت البعثة الجيولوجية السوفياتية برئاسة (ف. ب. بونيكاروف) بمسح سوريا بالكامل عام ١٩٥٨، بما في ذلك كردستان سوريا، ووضعت مصوراً جيولوجياً بمقياس (١: ٢٠٠.٠٠٠) معتمدة على التصوير الجوي، ناهيك عن طرائق المسح الأخرى، فدلت الدراسات على وجود النفط والغاز الطبيعي في الرميلان (منطقة الجزيرة)، ومناجم الملح الصخري والغاز وخامات الحديد في منطقة عفرين.

فيما يلي الصخورالجيولوجية العائدة إلى مختلف الأحقاب في كردستان سوريا:

١ـ **البريكامبري (ماقبل الكامبري):** صخوره استحالية، تظهرعلى السطح على شكل بقع صغيرة، على طول خطوط الصدوع (الانكسارات)، في منطقة البسيط غرباً، بمساحة تتراوح بين (نصف – ٣ كم٢) فقط، منها المتطبقة (الشيست، الكوارتو، المرمر)، ومنها غير المتطبقة (الصخور البلورية الامفيبوليتية)، لكن أهميتها الاقتصادية محدودة.

٢- **الحقب الأول (الباليوزوييك)**[(١)]: تظهر صخوره في نواة جبل عبد العزيز (جبل كِزوان) في منطقة الجزيرة، وفي جبال الأمانوس (جبال كاور داغ أو جبل الكافر)، وتعود صخور جبل الكافر إلى الكامبري، وتتألف من: (الغضار الرملي الناعم، الكونغلوميرا، الكلس الدولوميتي، الشيست الكلسي).

أما الدور الفحمي (الكربوني) فيظهر في منطقة الجزيرة وجبل عبد العزيز (جبل كِزوان)، وتتألف صخوره من: (الحجرالكلسي، والحجر الرملي الناعم الذي يدخل الغضار الرملي في تركيبه).

أما الدور البرمي فلا أثر لصخوره في كردستان سوريا، مما يدعونا إلى القول باحتمال حدوث انقطاع في الترسيب البحري أثناء هذا الدور، جرّاء النهوض وانحسار المياه.

أصابت الحركات البنائية (التكتونية) في هذا الحقب جبل عبد العزيز، التي أحدثت صدوعاً في سفحه الشمالي[(٢)].

---

(١)- راجع الخريطة ١٦.

(٢)- أنظر: عادل عبد السلام(الدكتور)ـ الجزء الأول ـ مصدر سبق ذكره.

٣– الحقب الثاني (الميزوزوييك): تتألف صخور الترياسي من الحجر الكلسي الرقيق، ولا أهمية اقتصادية لها. أما صخور الجوراسي فتختفي نهائياً في منطقة الجزيرة، أما الجوراسي الأعلى فيظهر في جبل الأكراد (كرد داغ)، وتتألف صخوره من الحجر الكلسي والدولوميت.

في دور الكريتاسي غمر البحر كردستان سوريا، وتظهر في مقاطع الآبار صخور كريتاسية، عدا المناطق الناهضة أو المناطق الجبلية التي أزال الحت عنها الصخور الكريتاسية، ليكشف عن الحشوة الجوراسية أو المناطق التي كانت عرضة للحت والتعرية.

كما تظهر الصخور العائدة للكريتاسي في جبال الساحل وجبل الأكراد وجبال الزاوية وجبل عبد العزيز (جبل كِزوان)، وتتكون من: (الحجر الكلسي والمارن والدولوميت والغضار والحجر الرملي والفوسفوريت والصوان)، بسماكة تتراوح بين عدة عشرات وبضعة مئات من الأمتار. وللكريتاسي الأعلى أهمية اقتصادية، حيث تختزن صخوره المياه الجوفية، كما تحتوي على جيوب نفطية في منطقة الجزيرة.

ولابد هاهنا من الاشارة إلى الصخور الخضراء (صخور الاوفيوليت) الماغماتية (المهلية) التي تظهر في منطقة البسيط وجبل الأكراد والأمانوس (في لواء اسكندرون)، وهي تتوضع فوق الصخور الاستحالية العائدة إلى البريكامبري.

٤– الحقب الثالث: تشغل صخوره معظم المناطق، بدءاً من هضبة حلب وحتى منطقة الجزيرة، أي أن رقعتها متسعة. تظهر صخور الباليوجين في هضبة حلب وجبال الزاوية وبين جرابلس وسد الطبقة وبعض المساحات شمال اللاذقية وجبل الأكراد وجبل عبد العزيز، وتتراوح سماكتها بين بضعة أمتار وعشرات الأمتار في المرتفعات، وتصل سماكتها إلى بضع مئات من الأمتار في المناطق المنخفضة مثل الأحواض البينية والمقعرات كوهدة اللاذقية – عفرين.

وفي عصر النيوجين (خصوصاً في فترة الميوسين)، غمر البحر منطقة (اللاذقية – عفرين – حلب)، فتوضعت رسوبيات بحرية (الحجر الكلسي، المارن، الغضار، الرمل، الكونغلوميرا ، الجص) في الأودية والأغوار. وغمرت مياه الخليج العربي في عصر النيوجين منطقة الجزيرة، مما أدى هذا الأمر إلى توضع رسوبات بحرية تتميز بملوحتها نسبياً، إلى جانب الجص، الحجر الكلسي، المارن، الغضار، ناهيك عن

صخور الميوسين القارية الواسعة الانتشار نسبياً، تتراوح سماكتها بـين ٢٠٠- ٨٥٠م، وقد تصل إلى ١٥٠٠م في وهدة الفرات.

يضاف إلى ما ذكر، هناك الصخور الاندفاعيـة في وادي عفـرين مؤلفـة مـن طـف بركاني مع البازلت، وتقدر سماكة الطف حوالي ٢٠٥م. كما تظهـر الأغشـية البازلتيـة العائدة إلى الميوسين الأعلى بين حلب - السلمية، وتتراوح سماكتها بـين ٣٠-١٥٠م. وفي عصـر البليوسـين ازداد النشـاط البركـاني، فتشـكلت أغشـية بازلتيـة واسـعة في منطقتي عفرين والجزيـرة، وفي منطقـة جسـر الشـغور وجبـل الزاويـة وشمـالي حلـب، وظلت بعض البراكين ناشطة حتى الحقب الرابع.

٥- الحقب الرابع: اهتمت البعثة الجيولوجية السـوفياتية بدراسـة صـخور هـذا الزمن نظراً لأهميتها الجيولوجية والجغرافية، وتمكنت مـن وضـع مصـور للتوضـعات الرباعية في سوريا بمقياس (١: ١.٠٠٠.٠٠٠).

تظهـر صـخور الربـاعي مغطيـة صـخور الحقـبين الثـاني والثالـث في سـوريا بسماكات مختلفة، حيث ترق في السفوح الجبلية والمرتفعات وتـزداد في المنخفضـات، منها ذات أصل لحقـي نهـري، وأخـرى ذات أصـل بحـري، وثالثـة ذات أصـل قـاري. وتشكلت/٤/ مصـاطب علـى طـول نهرالفـرات ودجلـة والخـابور، ناهيـك عـن السـهول الفيضية.

تمتد الصخور الرباعية مـن أقـدام طـوروس نحـو الجنـوب، علـى شـكل ألسـنة واسعة، وتغطي رسوبيات الرباعي الأعلى مساحات كبيرة من أقدام جبل عبـد العزيـز وجبـل كراتشـوك. أمـا التوضـعات اللحقيـة النهريـة العائـدة للربـاعي الأعلـى فتظهـر شمالي الرقة، وتتألف من الحصى واللـوم، مـع أحجـار صـغيرة قليلـة التكـوير، وقـد تتداخل مع الحجر الرملي.

وتغطي الصخور الاندفاعية الرباعية بقعاً صغيرة في الجزيرة وجرابلس وفي وادي النهر الأسود (قره صو)، مؤلفة من صبات لابية من البازلـت، وتتنـدس بـين الصـبات البازلتية أغشية رقيقة من التربة. وبازلت الرباعي الأوسـط واسـع الانتشـار في منطقـة الجزيرة (آليان، ديريك)، لكن النشاط البركاني تراجع في الرباعي الأعلى، ثـم ازداد في الرباعي الحديث ومن ثم توقف.

جدير ذكره أن كردستان سوريا في الحقب الجيولوجي الرابع مرت بمرحلتين:

أ – **عصر البلايستوسين (المطير)**: بدأ منذ نحو مليون سنة، ويضم هذا العصر الرباعي (الأدنى، الأوسط، الأعلى)، وفيه تشكلت الشبكة النهرية (الفرات ودجلة وروافدهما)، وساد فيه مناخ مطير غزير ودافىء، كما حصلت حركات نهوض وحت وترسيب واضحة، وتشكلت المصاطب النهرية الثانية والثالثة والرابعة. ويضم ماقبل الحجري والحجري الأدنى.

ب – **عصر الهولوسين (عصر الجفاف)**: ويضم الرباعي الحديث، ساد فيه مناخ شبيه بالمناخ السائد حالياً، بدأ منذ (١٠– ١٦)ألف سنة ما قبل الميلاد، وتشكلت فيه المصطبة النهرية الأولى فوق مستوى الزور (السهل الفيضي)، ويضم الحجري الأوسط والحديث والبرونزي.

جدير ذكره أن الحركات التكتونية/ البنائية التي انتابت المنطقة في الحقب الجيولوجي الثالث مازالت مستمرة، بسرعة تقدر بنحو (١٦– ٢٠) مم/ السنة، ونجم عن تصادم الصفيحة الجنوبية (شبه الجزيرة العربية) مع الصفيحتين الشمالية الشرقية (الأوراسية) والشمالية الغربية (آسيا الصغرى)، إلتواءات (زاغروس وطوروس وتفرعاته الممتدة في كردستان سوريا في كل من الجزيرة وعفرين)، بينما الجهات الغربية من كردستان سوريا (خصوصاً عفرين/ كرد داغ) تأثرت بالصدع الآسيوي – الافريقي. ومن المفيد قوله أن المناطق الواقعة إلى الشرق من ديريك هي بؤرة للهزات الأرضية المسجلة والتي قد تزيد قوتها عن (أربع درجات)، وكذلك المناطق المحيطة بمدينة الحسكة وجرابلس، أما كرد داغ فقد سبق أن تعرضت إلى العديد من الزلازل عبر التاريخ[1].

ثالثاً: التضاريس[2]

تضاريس كردستان سوريا حديثة النشأة تأثرت بالحركات التكتونية (البنائية) والحت والترسيب. وتنحدر الأرض في كل من الجزيرة وكوباني بشكل عام نحو الجنوب، باستثناء عفرين.

---

(١)ـ راجع:عادل عبد السلام(الدكتور) ـ جغرافية سوريا – الجزء الأول – مرجع سبق ذكره.

(٢)– راجع الشكل ٥: مقطع تضريسي/ طوبوغرافي من الغرب إلى الشرق في كردستان سوريا.

أولاً- الجبال[1]:

جبل الأكراد (جبل كرد داغ/ جبل كُرْمينج Çiyayê Kurmêc): كتلة جبلية، مثلثة الشكل، أضلاعه الحدود السورية التركية غرباً ومجرى نهر عفرين شرقاً. وكرد داغ يشكل النهاية الجنوبية لأحد سلاسل طوروس، طوله ٥٠ كم وأقصى عرضه بين ٢٥- ٢٧ كم، تتخلله الأودية السيلية وبعض المجاري الدائمة، متوسط ارتفاعه ٨٠٠ م، ويزداد ارتفاعه في الشمال والشمال الغربي، أعلى قمة فيه ١٢٦٩م، تقع شمال قرية بلبل عند الحدود السورية - التركية، يمتد كرداغ من الشمال الشرقي - الجنوب الغربي. يشرف على سهل العمق بانحدار شديد.

جبل سمعان (ليلون): يلي نهر عفرين شرقاً، يمتد من الشمال والشمال الشرقي - الجنوب والجنوب الغربي، وسطي ارتفاعه ٦٠٠- ٧٥٠ م، وأعلى قمة فيه تصل إلى ٨٧٠ م. سفوحه غير متناظرة، فالشرقية لطيفة الانحدار، أما الغربية المطلة على وادي نهر عفرين فهي شديدة الانحدار وتكثر فيها الجروف والأودية، وهناك سهل جُومَه الانهدامي بين سلسلتي جبل سمعان (ليلون)[2] وجبل هَشتيا. يمتد جبل ليلون من سهل قطمة وكفر جنة شمالاً إلى سهل زرزيتا جنوباً. كان مأوى الانسان الذي عاش في الكهوف ومهد الحضارة، فيه قلاع (قلعة سمعان مثلاً) لذا يعرف رسمياً بهذا الاسم، وفيه كهف (دو دري)، الذي أكتشفت فيه مستحاثة بشرية تعود إلى انسان نياندرتال.

جبال الجزيرة، وأهمها:

أ- جبل عبد العزيز (جبل كِزوان Kizwana)[3]: سمي بجبل عبد العزيز نسبة إلى عشيرة آزيزان الكردية، وكانت تكلله قديماً غابات الكِزوان (الدُّلب)، من هنا جاءت التسمية (جبل كزوان). يمتد من الشرق إلى الغرب، غرب مدينة الحسكة، طوله ٥٠-

---

(١)ـ راجع: خريطة توزع الجبال رقم ١٧.

(٢)- يسمى بجبل ليلون في الكردية نسبة إلى ثمرة الزيتون الفجة (غير الناضجة) التي تمتاز بمرارتها، وربما التسمية مأخوذة من الزنابق(لالان) أو محورة عنها لغناه بالزنبق وفق المعتقدات الشعبية، ويدعى بـ(شيراوا) نسبة إلى عشيرة شيراوا التي تسكنها، هذه العشيرة التي يعتقد بأنها تنحدر من شيروان في كردستان العراق أو نسبة إلى الالهة شيراوا. راجع: جبل ليلون في مرآة التاريخ/ بحث تاريخي اجتماعي - مروان بركات - دمشق ٢٠٠٦ (عن النسخة الالكترونية).

(٣)- راجع الشكل ٣: مقطع جيولوجي.

٥٥ كم وعرضه ١٥ كم، وسطي ارتفاعه ٧٠٠م، وأعلى قمة فيه تصل إلى ٩٢٠م وتقع في الوسط والشمال من الجبل. سفوحه الشمالية شديدة الانحدار على عكس السفوح الجنوبية. وهو يقع على امتداد جبل سنجار في كردستان العراق. ويُدعى قسم سنجار الواقع في كردستان سوريا جبل (جريبة)، وهناك ممر ساموخة الذي يفصل بين سنجار و جريبة. وإلى الغرب من جبل عبد العزيز ترتفع تلال لاطئة تدعى تلال طوال العبا، لا تتجاوز ٤٨٣م، وإلى الجنوب من جبل عبد العزيز تقع فيضة سينكان، كانت من مراتع عشيرة سينكان (الكيكية) الكردية في العهد العثماني.

ب – جبل كوكب (كوكبى مِلاّنKewkebê Milan): سمي بذلك نسبة إلى عشيرة ملان الكردية، ارتفاعه ٥٣٤م، يقع شمال شرقي مدينة الحسكة، وهو من أصل بركاني – اندفاعي، لذا له مظهر مخروط بركاني، صخوره ذات لون أسود.

ج – جبل كراتشوك (قره جوخ Qere Çox**)**[١] أعلى قمة فيه ٧٦٩م، سفوحه الشمالية والجنوبية تكاد تكون متناظرة في انحداراتها. ويشكل خطاً لتقسيم المياه بين حوضي دجلة والفرات، و (كان يعرف بجبل موسيسانا الايزيدية)[٢].

ثانياً – سهول الجزيرة: تمتد سهول الجزيرة العليا بين دجلة شرقاً والفرات غرباً، تنحدر من الشمال إلى الجنوب بلطف شديد، أي نحو الجزيرة الجنوبية، الواقعة جنوب خط عرض مدينة الحسكة. أما الجزء الواقع بين دجلة وجبل كراتشوك من سهول الجزيرة العليا فينحدر من الغرب والشمال الغربي، نحو الشرق والجنوب الشرقي، أي باتجاه نهر دجلة، فجبل كراتشوك عبارة عن خط لتقسيم المياه بين حوضي دجلة والفرات، وهذا الخط يساير قمم جبل كراتشوك.

من المفيد القول ان مرتفعات طوال العبا وجبل عبد العزيز ونهايات سنجار، تفصل بين الجزيرتين العليا في الشمال والسفلى (بادية الجزيرة) في الجنوب. ترتفع الجزيرة العليا من عين ديوار قرب دجلة شرقاً، وجرابلس على الفرات غرباً كما يلي: ٥٥٠ ـ ٤٥٠ ـ ٤٠٠ –٣٥٠ م، بينما الارتفاع في الجنوب (أي الحد الفاصل بين الجزيرتين العليا والسفلى ٣٥٠م).

---

(١)– راجع الشكل ٤: مقطع جيولوجي.

(٢)– هوزان أحمد ديرشوي: راجع Rêbera Geştûguzariyê ya Devera Dêrikê باللغتين الكردية والانكليزية – ص٣٦.

فروق الارتفاعات في الجزيرة العليا ضعيفة، لكن تكثر فيها التلال الصنعية (الأثرية)، ولا يتجاوز علوها فوق السطح العام المجاور لها (٣٠م)، أهمها تلال: ليلان، تل شعير شيتية، تل موزان...الخ. خددت الأودية النهرية (خصوصاً روافد الخابور) فضلاً عن الأودية السيلية سطح سهول الجزيرة العليا. ويمكن الاشارة هاهنا إلى السهول الفيضية لنهر الفرات.

رابعاً: المناخ

تتميز كردستان سوريا بفصلين رئيسيين وطويلين، هما: الصيف والشتاء، على عكس فصلي الربيع والخريف الانتقاليين القصيرين.

١- الضغوط الجوية والرياح

أ- الصيف (٢١ حزيران - ٢٢ أيلول):

يتركز مركز الضغط الجوي المنخفض الموسمي في الجهة الجنوبية الشرقية من كردستان سوريا (المحيط الهندي والخليج العربي)، أما مركز الضغط الجوي المرتفع فيتركز بدوره على القسم الغربي من البحر المتوسط، مما يؤدي إلى انقطاع المنخفضات الجوية القادمة من الغرب، فيسود الهدوء ويتميز بالجفاف والحرارة المرتفعة، وتكون السماء صحواً.

ب- الشتاء (٢١ كانون الأول - ٢٠ آذار):

تتأثر كردستان سوريا في هذا الفصل بقدوم المنخفضات الجوية القادمة من جهة الغرب (البحر المتوسط)، والتي تسبب هطول الأمطار الاعصارية، وتهب الرياح الغربية والشمالية الغربية والجنوبية الغربية، متأثرة بالعوائق التضريسية (الجبال) والفتحات الجبلية. وهو فصل مضطرب، متقلب، مائل إلى الاعتدال في الجهات الغربية من كردستان سوريا ويزداد قارية في جهاتها الشرقية، كما تتأثر بالرياح الشمالية والشمالية الشرقية، القطبية المنشأ أحياناً (لأيام معدودات)، حينئذ تنقشع الغيوم ويصحو الجو وتنخفض درجات الحرارة إلى مادون درجة الصفر المئوية أحياناً، مما يؤدي هذا الأمر إلى تشكل الصقيع.

ج- الفصلان الانتقاليان (الربيع ٢١آذار - ٢٠ حزيران / **الخريف** ٢٣ أيلول - ٢٠ كانون الأول):

يعتدل الجو نسبياً، وتستمر وصول المنخفضات الجوية بنسبة أقل مما هـو في فصل الشتاء.

٢- الحرارة[١]:

تتأثر الحرارة بعدد الساعات المشمسة وتعاقب الفصول وصفاء الجو والارتفاع عن مستوى سطح البحر والبعد والقرب من البحر المتوسط، فعلى سبيل المثـال عـدد الأيام الغائمـة في مدينـة قامشـلي تصـل إلى ٦١.٤ يومـاً/ السـنة. وفيمـا يلـي جـدول بمتوسطات الحرارة لشهري (ك٢، آب) من الغرب نحو الشرق:

المركز	متوسط حرارة ك٢	متوسط حرارة آب	المتوسط السنوي للحرارة
اللاذقية	١٢.١	٢٦.٢	١٩.٤
جسر الشغور	٨.٣	٢٩.١	١٨.٥
اعزاز	٥.٧	٢٧.١	١٦.٥
حلب	٦.١	٢٨.٤	١٧.٣
منبج	٤.٩	٢٨.٧	١٦.٨
جرابلس	٥.٨	٣٠.١	١٧.٨
كوباني	٤.٦	٣٠.٤	١٧.٢
تل أبيض	٥.٨	٢٩.٨	١٧.٥
حسكة	٦.٠	٣١.٠	١٨.٣
قامشلي	٦.٥	٣١.٩	١٨.٩
ديرك	٥.٧	٣٢.١	١٨.٦

يقـول الـدكتور عـادل عبـد السـلام[٢]: كـان وسـطي حـرارة شـهر آب في الفـترة (١٩٥٢- ١٩٧٠) أشد من تموز، خصوصـاً في المنـاطق البعيـدة عـن المتوسـط وعـن مؤثراته باستثناء القامشلي وقره جوخ وتل علو، لذلك تم اعتماد متوسطات الحـرارة في آب بدلاً من تموز، بعكس ما يجري عادة في الدراسات المناخية.

---

(١)- راجع الخريطة رقم ١٨.

(٢)ـ راجع: عادل عبدالسلام(الدكتور) ـ جغرافية سوريا - الجزء الأول - مصدر سبق ذكره - ص٢٤٠.

ويلاحظ من خلال قراءة الجدول السابق:

– انخفاض متوسطات الحرارة شتاءً كلما اتجهنا نحو الشرق، وإذا ظهر خلاف ذلك فيمكن أن يُفسّر بفروق الارتفاع عن مستوى سطح البحر أو الموقع.

– ارتفاع متوسطات الحرارة صيفاً كلما اتجهنا نحو الشرق، بسبب أثر القرب أو البعد عن البحر من جهة، وكذلك كلما اتجهنا جنوباً بسبب القرب من بادية الشام وخط الاستواء من جهة أخرى.

– تزايد الفروقات الحرارية السنوية (بين أشد الأشهر حرارة وأبردها)، من الغرب نحو الشرق.

٣ ـ الرياح:

إن الفروق الحرارية الناجمة عن البعد أو القرب عن خط الاستواء، أو الناجمة عن البعد والقرب عن البحر، أو الناجمة عن الارتفاع عن مستوى سطح البحر، أو الناجمة عن وضعية التضاريس والفتحات الجبلية، تسببت في خلق فروق في قيم الضغط الجوي كما رأينا تبعاً لتغير الفصول، مما أدت الى تشكل الرياح واختلاف اتجاهاتها وسرعتها في نفس الوقت، على النحو التالي:

أ – في الصيف: تتأثر كردستان سوريا بلسان من الضغط المنخفض الموسمي (L) في المحيط الهندي والخليج العربي، مما يؤدي إلى هبوب رياح غربية وجنوبية غربية وجنوبية حيناً، أما المناطق الغربية، أعني القريبة من البحر المتوسط فتهب عليها الرياح الغربية، وقد تهب أحياناً الرياح الشمالية، وهذه الرياح تتأثر باتجاه التضاريس، لكنها ضعيفة السرعة.

ب – في الشتاء: يقترب مركز الضغط المرتفع السيبيري (الآسيوي) (H) من كردستان سوريا، وتحديداً من منطقة الجزيرة، فتهب لأيام معدودة رياح قارية شديدة البرودة، شمالية وشمالية شرقية، تتسبب في انتشار موجة من الصقيع، حيث تكون السماء مشمسة والجو صحواً، وتنخفض درجات الحرارة إلى مادون الصفر كما أسلفنا. كما تتجه المنخفضات الجوية (L) وفق عدة مسارات من الغرب نحو الشرق، مسببة هطول الأمطار، مترافقة مع هبوب الرياح الغربية والجنوبية الغربية والشمالية الغربية. وتكون الرياح الشتوية جافة وباردة إذا كانت شرقية وشمالية شرقية، وتكون رطبة ومعتدلة وممطرة إذا كانت غربية.

ج – في الفصلين الانتقاليين: قد تتعرض كردسان سوريا (خصوصاً الجزيرة وكوباني) إلى هبوب رياح خماسينية (السموم) قادمة من الجنوب الشرقي أو الشرق أو من الجنوب الغربي والجنوب، وقد تدوم هذه الرياح من (٢–٣) أيام، وتترافق بارتفاع ملحوظ للحرارة وتراجع في الرطوبة النسبية، الى جانب الغبار والرمال.

٤– التهطال (المطروالبَرَد والثلج)(١):

يعد المطر أهم أشكال التهطال في كردستان سوريا، ويعد المطر من أهم عوامل نجاح الزراعة البعلية والرعي فيها، ناهيك عن أهميته في تغذية المياه الجوفية. ترتبط الأمطار (أعني الأمطار الاعصارية) بشكل رئيسي بقدوم المنخفضات الجوية من البحر المتوسط في فصل الشتاء بشكل رئيسي وفي الربيع والخريف نسبياً. وتتركز أكثر الأمطار في (ك١، ك٢، شباط)، وهي الأشهر الشتوية المطيرة المعتمد عليها في الزراعة البعلية على وجه الخصوص، إلا أن المزارعين يعقدون آمالاً كبيرة على الأمطار الهاطلة في شهري (آذار ونيسان) في الزراعة البعلية، كما يؤكد المثل الكردي الدارج (مزنة من مطرات نيسان، أفضل من أموال خراسان Tavek ji tavê (nîsanê, weke malê Xuresanê)

فيما يلي جدول بالمتوسط السنوي لكمية الأمطار والرطوبة النسبية في عدد من المواقع:

المركز	١٩٧٠/١٩٥٥	١٩٧٢/١٩٦٢	الرطوبة النسبية٪
اعزاز	٤٧٧مم	٥٢٤مم	٦١٪
حلب	٣٢٣مم	٤٠٠مم	٦٠٪
جرابلس	٣٣٣مم	٣٨٣مم	٥٤٪
تل أبيض	٣٠١مم	٣٣٧مم	٥٦٪
حسكة	٢٧٩مم	٣١٠مم	٥٣٪
رأس العين	٣١٠مم	٣٤٦مم	٥٣٪
قامشلي	٤٨٠مم	٤٨٩مم	٤٨٪

إن قراءة سريعة لهذه المعطيات توصلنا إلى النتائج التالية:

(١)– راجع الخريطة ١٩. وراجع الشكلين ٦ و٧(منحنيان بيانيان لتبدلات الحرارة والأمطار في القامشلي).

١– تزايد كميات الأمطار في أقصى شرق كردستان سوريا (منطقة ديريك/ المالكية)، بسبب قربها من جبال كردستان الشمالية والجنوبية.

٢– ارتفاع نسبة الرطوبة في غرب كردستان سوريا بسبب قربها من البحر المتوسط، وتناقصها كلما اتجهنا شرقاً بسبب بعدها عن البحر.

٣– تفاوت كميات الأمطار من سنة لأخرى في أغلب المناطق، مما تسبب هذا الاضطراب في عدم الاستقرار في الحياة الزراعية.

الفترات الشحيحة بالأمطار في كردستان سوريا، هي:

١٩٢٢– ١٩٢٥

١٩٣٠– ١٩٣٤

١٩٣٩– ١٩٤٢

١٩٤٥– ١٩٤٧

١٩٥٤– ١٩٦٠

١٩٦٣– ١٩٦٦

١٩٦٩– ١٩٧١

أما الثلوج فتسقط على المرتفعات الواقعة فوق ١٥٠٠م في كل سنة تقريباً، وتتسبب العواصف الرعدية عادة في سقوط البَرَد في الربيع.

خامساً: النماذج المناخية

بالاضافة إلى النموذج المتوسطي الساحلي (المناطق المتاخمة لساحل المتوسط)، والنموذج المتوسطي الجبلي الساحلي (جبال الأكراد: جزء من جبال العلويين)، هناك نموذجان رئيسيان في كردستان سوريا، يشملان معظم مساحتها، وهما:

١– **النموذج المتوسطي (الجبلي – الهضبي) القاري**: يسود جبال (كرد داغ – سمعان – الزاوية – الجزيرة العليا)، صيفه حار (متوسط الحرارة ٢٣– ٢٥) درجة مئوية، شتاؤه بارد (متوسط الحرارة من ٣– ٧) درجة مئوية. والأمطار تتراوح بالمتوسط بين (٣٥٠– ٦٥٠) مم في السنة.

٢– **النموذج المتوسطي شبه الجاف**: ينتشر في القسم الأوسط من كردستان سوريا (كوباني وماحولها). صيفه حار (متوسط الحرارة بين ٢٧– ٢٩) درجة مئوية،

شتاؤه بارد (متوسط الحرارة بين ٥– ٧) درجة مئوية. والأمطار بين (٢٠٠– ٥٠٠) مم[1].

سادساً: المياه

محنة الكرد تكمن في غنى بلادهم بالنفط ومصادر المياه التي تزايدت أهميتهما بعد الحرب العالمية الثانية، ولن تتخلى الدول التي تتقاسم كردستان عن النفط والمياه بملء ارادتها كما يقول ديفيد مكدول، بل سعت وتسعى لاستثمار النفط بشكل فاحش ونهبه، مثلما تسعى إلى استنزاف المياه الجوفية وإقامة المزيد من السدود، في كل أجزاء كردستان.

١– المياه الجوفية (الباطنية): وضع الخبراء السوفييت مصوراً خاصاً بالصخور الحاملة للمياه الجوفية في سوريا عموماً، بما في ذلك كردستان سوريا، بمقياس (١: ١.٠٠٠.٠٠٠)، يظهر أن المياه لجوفية توجد في طبقات جيولوجية مختلفة وفي أعماق متفاوتة، كما تختلف هذه الطبقات من حيث الغنى بالمياه الجوفية.

ومن المفيد قوله أن معظم المياه الجوفية مصدرها الأمطار، لأن ما يتبخر من مياهها قليل جداً، فعامل التبخر في فصل الشتاء (فصل الهطول) ضعيف جداً، فمياه الأمطار عادة إما ان تتبخر أو تجري على السطح أو تغذي المياه الجوفية من خلال الترشح. وحقل التغذية المطرية والثلجية الرئيسي يقع في كردستان الشمالية (تركيا).

جرت أعمال السبر شرقي مدينة القامشلي، ووصلت إلى أعماق تتراوح بين (١٩٠٠– ٢٠٣٥) م، فدلت على وجود الحجر الرملي العائد إلى دور البرمي، إلا أن مياهه غنية بالأملاح، ويرجح وجود طبقة خازنة للمياه الجوفية على عمق (٢٠٧٣– ٢٣٣٢) م بشكل متقطع.

وتم اكتشاف طبقة خازنة للمياه العذبة ضمن صخور الجوراسي بجبل كرد داغ بعفرين، ويعد الجوراسي خزان لا ينضب للمياه الجوفية هناك. كما تتواجد المياه الجوفية في صخور (الكريتاسي) بجبل الأكراد أيضاً.

تعد صخور (الايوسين) في شمال شرق حلب غنية بالمياه الجوفية، كما عثر على المياه الجوفية ضمن صخور (الميوسين الأوسط) في منطقة الجزيرة وحلب

(١)– راجع الخريطة ٢٠(الأقاليم المناخية).

واعزاز وعفرين، وتكثر المياه الجوفية ضمن صخور (البليوسين) في المناطق الواقعة بين دجلة والفرات في توضعات قارية من الكونغلوميرا والرمال، على عمق يتراوح بين (بضعة أمتار – ٦٠) م، ملوحتها منخفضة لا تتجاوز (١غ/ ل).

وأخيراً أكتشفت المياه الجوفية في الصخور الرباعية بمنطقة الجزيرة (بين دجلة والفرات)، خصوصاً شمالي جبل عبد العزيز، ضمن صخور (اللوم، اللوم الرملي، الرمل والحصباء، الكونغلوميرا)، على قاعدة غضارية تعود إلى البليوسين والميوسين الأعلى غير المنفذة، لكن ملوحتها تتراوح بين (٢.٥– ٦.٣)غ/ ل.

وفي أقصى شمال شرق الجزيرة، يغطي البازلت طبقات تحوي على المياه الجوفية على عمق (٤– ١٠) م، ملوحتها تتراوح بين (٠.٢– ٠.٥)غ/ ل على قاعدة من صخور البليوسين.

ما يجدر ذكره هنا، أن هذه المياه الجوفية تتفجر أحياناً لتشكل ينابيعاً غزيرة، ترتبط بأحواض المياه الجوفية ومصادر تغذيتها، وتظهر في مناطق انتشار الصخور الكلسية والصخور المنفذة أغلبها من النوع الكارستي، وعلى رأسها ينابيع رأس العين (غزارتها كانت وسطياً ٤٠م٣/ ثا)، وهي التي تشكل منابع الخابور، وكانت تعد عشرات الينابيع (الأساسية منها بين ١٢– ١٣) نبعاً بما في ذلك النبع الكبريتي أغلبها جفت، وهناك ينابيع على طول حدود كردستان سوريا مع كردستان تركيا، مثل: ينابيع الخابور السالفة الذكر، والبليخ، وجغجغ، وفي منطقة آليان وديريك، لكن جفت الكثير منها الآن[1].

٢– المياه السطحية

أ – البحيرات:

هناك بحيرة الخاتونية (Gola Simoqya) الواقعة قرب الحدود العراقية، وهي من البحيرات الطبيعية، مساحتها بحدود ٦ كم٢، تتسع رقعتها في فصل الشتاء والربيع، لتلقيها مياه السيول والأمطار، وتتقلص صيفاً. فيها عدة جزر، وتكثر أسماكها، وتؤمها الطيور المهاجرة والأليفة (البط) والحيوانات البرية.

---

(١)ـ ما يشير إلى غنى الاقليم الكردي بالمياه الجوفية، عدد الآبار الارتوازية في الجزيرة(محافظة الحسكة) حسب احصائيات ١٩٩٩ـ ٢٠٠٠، التي بلغت ١٩٠٠٦ بئراً(راجع: عبد الصمد داوود: الحزام العربي في الجزيرة ـ سوريا ـ طبعة ثانية معدلة عام ٢٠١٥ ـ ص١٣).

وهناك البحيرات الاصطناعية التي تشكلت خلف السدود، يستفاد من بعضها في توليد الكهربائية وري الأراضي الزراعية وتربية الأسماك وتلطيف الجو والقضاء على خطر الفيضانات. مثل سد ميدانكي (١٧ نيسان) في عفرين، مساحة البحيرة ١٤ كم٢، غمرت مياه البحيرة شلالات كانت قرب ميدانكي. وسد سَفّان Sefan على بعد ٦ كم من ديرك (المالكية)، يخزن ٢٥ مليون م٣ من المياه وطاقته نحو ٤٨ مليون م٣، ويزود القامشلي بجزء من مياه الشرب. وهناك سد الحسكة الشرقي وسد الحسكة الغربي وسد الخابور وسد مزكفت، وسد Çil Axa جل آغا، أقيم عام ١٩٧٤، طاقته التخزينية ١٠ مليون م٣، وسد دمر قابو/ زخيرة أو باب الحديد، طاقته ٢٣ مليون م٣.

ب – **الأنهار:** ورد في تقرير لمركز (الدراسات الاستراتيجية الدولية) في واشنطن عام ١٩٨٧: (بحلول عام ٢٠٠٠م، ستكون المياه وليس النفط، هي القضية الرئيسية في منطقة الشرق الأوسط)[(١)]. وستكون المياه مصدر النزاعات في الشرق الأوسط مستقبلاً، خصوصاً بين الدول المتشاطئة، جراء تحويلها لمجرى النهر أو اقامتها للسدود عليه أو جراء تسببها في تلوث مياهه، سيما أن فقهاء القانون الدولي ذاتهم مازالوا مختلفين حول حقوق الدول المتشاطئة، ويتجلى هذا الاختلاف في النظريات التالية التي مازالت تنظم حق استثمار مياه الأنهار الدولية:

١ـ نظرية السيادة الاقليمية: ووفقها للدولة حق السيطرة على المياه التي تجري في أراضيها، دون اعتبار لحقوق الدول الأخرى.

٢– نظرية الوحدة المطلقة: تنص على حق الدول في الانتفاع بمياه الجزء الذي يجري فيها، دون الحاق الضرر بالدول الأخرى.

٣– نظرية الملكية المشتركة: يعد النهر وفقها ملك الدول المتشاطئة كلها، بحيث تتساوى الحقوق[(٢)]. لكن قرارات مؤتمر هلسنكي ١٩٦٦، تستوجب على كل دولة تعتزم الاقدام على اجراء تعديلات للاستفادة من النهر المتشاطىء (تحويل المجرى، اقامة سد عليه....الخ) التحاور مع الدول المعنية وأخذ موافقتها، كما

---

(١)– خليل اسماعيل محمد(الدكتور): كردستان العراق/ دراسات في الجغرافية السياسية – مصدر سبق ذكره – ص٧٩.

(٢)– المصدر السابق – ص٨٣.

ينبغي على الأخيرة أخذ حاجات الأولى بعين الاعتبار أيضاً. والدول التي تقتسم كردستان (تركيا، العراق، ايران، سوريا) مرشحة للنزاعات التي ستسببها المياه التي مصدرها كردستان، فأهميتها الاستراتيجية لا تقل عن أهمية النفط، الذي أضحى نقمة على الكرد بدلاً من أن يكون نعمة.

١ـ دجلة: طوله (١٨١٧) كم، منابعه في كردستان تركيا، لكنه يرسم الحدود السياسية بين كردستان سوريا من جهة وكردستان تركيا والعراق من جهة أخرى، لمسافة ٤٢ كم، ويُعد جبل كراتشوك خطاً لتقسيم المياه بينه وبين الفرات. يتوزع حوضه وفق النسب التالية:

الدولة	النسبة المئوية
تركيا	١٧
سوريا	٣
العراق	٨٠

من روافده في كردستان العراق: فيش خابور عند دخوله كردستان العراق، الزاب الأعلى أقيم عليه سد بيخمة، الزاب الأسفل أقيم عليه سد دوكان، الشط العظيم، سيروان (ديالى) جنوبي بغداد وأقيم عليه سد دربنديخان. وأقيم سد الموصل على نهر دجلة. من هنا فان اقليم كردستان العراق يعد مرتكز العراق لتحقيق الأمن الغذائي[1].

٢– الفرات: منابعه ايضاً في كردستان تركيا، ويدخل كردستان سوريا عند مدينة جرابلس (على ارتفاع ٣٢٥م). تقدر غزارته الوسطية بنحو ٨٣٥م٣/ ثا، وغزارته القصوى ١٣٠٠م٣/ ثا في الفيضان، والدنيا في الشح نحو ١٤٠– ١٥٠م٣/ ثا. أما تصريفه السنوي فيقدر بـ (٤١ مليار م٣) في السنوات المطيرة ونحو (١٤.٢ مليار م٣) في سنوات الجفاف، بينما وسطي تصريفه السنوي هو (٢٦.٢ مليار م٣). ويدخل العراق بعد البوكمال.

---

(١)– خليل اسماعيل محمد: كردستان العراق/ دراسات في الجغرافية السياسية – مصدر سبق ذكره – ص٤٩.

فيما يلي جدول بطول الفرات والتوزع الجغرافي لحوضه [1]:

الدولة	طول النهر(كم)	النسبة المئوية للطول	النسبة المئوية لمساحة الحوض
تركيا	٤٥٥	١٩.٥	٢٧.٤
سوريا	٦٧٥	٢٩	١٦
العراق	١٢٠٠	٥١.٥	٤٦.٣
السعودية	–	–	١٠.٣
المجموع	٢٣٣٠	١٠٠	١٠٠

تكثر المصاطب النهرية في نهر الفرات، فضفته اليمنى أعلى وأشد انحداراً من اليسرى، كما تكثر فيه الأكواع النهرية والبحيرات المقطوعة الهلالية الشكل.

يتميز الفرات، مثله في ذلك كمثل دجلة في مجال نظام الجريان، بتغذية مزدوجة: مطرية، ثلجية. والتغذية الثلجية تكون في كردستان تركيا، لذا يصل فيضانه الذروة في أيار، وتنخفض المياه فيه إلى أدنى درجة في آب وأيلول وتشرين الأول، في فترة الشح أو الصيهود. وظاهرة الفيضان (الشتوية، الربيعية) فيه كانت مألوفة قبل بناء السدود عليه. ومن أهم روافده في كردستان سوريا[2]:

أ – الساجور: يدخل سوريا عند بلدة (عين عزة)، طوله ١٠٨كم (٦٠كم في كردستان تركيا و ٤٨كم في كردستان سوريا)، يصب في الفرات من جهة الغرب. متوسط غزارته ٣م٣/ ثا (في الفيضان ٢٥م٣/ ثا وفي التحاريق ٠.٥م٣/ ثا).

ب – البليخ: ينبع من عين العروس قرب تل أبيض بنحو ٣ كم، ويصب في الفرات شرقي الرقة، طوله ١٠٥كم، متوسط غزارته ٦م٣/ ثا (في الفيضان ١٢م٣/ ثا وفي التحاريق ٠.٥ م٣/ ثا). وهو يتجه من الشمال إلى الجنوب، ويكاد يجف صيفاً، ليس بسبب انحباس المطر فحسب، بل بسبب استغلال مياهه في الري أيضاً.

ج – الخابور: اهم روافد الفرات، منابعه في رأس العين (العين الكبريتي، عين الحصان، عين الزرقا، عين بانوس)، وينتهي في الفرات عند البصيرة، طوله ٤٦٠كم،

(١)– راجع(د. خليل اسماعيل محمد: كردستان العراق/ دراسات في الجغرافية السياسية – مصدر سبق ذكره).

(٢)– راجع الشكلين ٨ و٩(منحنيان بيانيان لنظام جريان نهري الفرات والخابور).

منابعه على ارتفاع ٣٥٠م ومصبه على ارتفاع ١٩٠م فوق مستوى البحر، ويرفده عند مدينة الحسكة رافده جقجق. ويصب فيه نهرا (جرجب وطوله ١٢٠كم، زركان وطوله ٩٥كم).

د – جقجق: طوله ١٢٤كم (٢٤كم في كردستان تركيا و ١٠٠كم داخل كردستان سوريا)، منابعه تقع في شمالي نصيبين (النبعان: الأبيض والأسود) ومصبه في الخابور، سمي بـ (ميكدونيوس) في عهد الرومان، ثم (ساوكراس) وعرّب إلى (الهرماس). وسمي بـ (جقجق للدلالة على صوت المياه عندما تتكسر فوق الصخور... اشتق الكرد من صوت المياه كلمة جقجق، ومعروف عنهم أنهم يحبذون تسمية الأشياء باصواتها)[1]. أقامت تركيا عليه سداً، دون مراعاة الحقوق وفق القوانين الدولية التي تفصل بين الدول المتشاطئة لتقسيم المياه، ضاربة بحقوق سوريا كدولة متشاطئة عرض الحائط، فضلاً عن ظاهرة التلوث فيه جرّاء مياه المجرور الصحي والقاء القمامة فيه في مدينتي نصيبين والقامشلي، ومضت تركيا في استغلال سلاح المياه للضغط على سوريا منذ ١٩٤١، حين قامت بتحويل (مجرى نهر جقجق.. مما ألحقت ضرراً كبيراً بمساحات واسعة مزروعة بالقطن والرز)[2]، واشتد الخلاف بين الدولتين بعد قطع تركيا لمياه النهر كلياً عام ١٩٥٨، ثم مضت تركيا في اقامة سدود ضخمة على الفرات واستولت على حصة من مياهه تزيد عن حقوقها وفق القوانين الدولية.

وعلاوة عن الأنهار المذكورة آنفاً، هناك نهر الجراح أحد روافد الخابور، الذي يمر في بلدة تربه سبي (قبور البيض/ القحطانية) أقامت عليه الدولة سداً شمالي تربه سبي، ويرفده نهرا سوبلاخ وقَترانية. وهناك نهر سفّان في منطقة ديرك، أقيم عليه سد...الخ.

و – عفرين: طوله ١٥٠كم (٦٥كم في كردستان تركيا و ٨٥ كم في كردستان سوريا)، ينبع من أقدام جبال طوروس. متوسط غزارته ٨.٦م٣/ ثا (١.٤م٣/ ثا صيفاً حيث يعتمد على مياه اليانبيع – وتزداد الى نحو ١٥.٦م٣/ ثا في الشتاء لاعتماده على التغذيتين المطرية والثلجية ناهيك عن الينابيع)، كما هناك النهر

---

(١)– كوني ره ش: تاريخ القامشلي – ط١عام٢٠١٢/ دار الزمان – ص٢٢.

(٢)ـ اسماعيل حصاف(الدكتور): تاريخ كردستان سوريا المعاصر ـ الجزء ٢ ـ ص٥٥.

الأسود. يصب عفرين والأسود في بحيرة العمق، ويخرجان منها تحت اسم العاصي الصغير الذي يصب في نهر العاصي.

م – قويق: كان يعرف بنهر (خاليس)، ولكثرة الحور على ضفتيه، أطلق عليه نهر الحَوْر بالتركية، لأن الحور يُدعى بالتركية قَواق[1]. طوله ١٢٦كم (١٦كم في كردستان تركيا و ١١٠كم في سوريا)، منابعه في مناطق عنتاب وكلّس وشمالها الشرقي، يمر في حلب وينتهي بسبخة المتخ (المطخ)، وسطي غزارته ٥م٣/ ثا، والقصوى في الشتاء ٦٠م٣/ ثا، ويكاد يجف صيفاً. كان نهراً دائم الجريان، لكن تركيا استغلت مياهه في الري وأقامت عليه سداً عام ١٩٥٠، كما أقامت عليه سوريا سد الشهباء شمالي حلب بنحو ٢٥ كم، و: (حولت المياه اليه من الفرات عن طريق قناة في منطقة الحندرات بطاقة ضخ قدرها ٥ متر مكعب/ ثا، فأعيدت له الحياة)[2].

ك – الذهب: طوله ٥٠كم، يشبه نهر قويق، كاد يجف منذ عام ١٩٥٧، قد تصل غزارته في بعض الأحايين إلى ٢م٣/ ثا. منابعه تقع شمالي مدينة الباب، وينتهي في سبخة الجبول جنوباً.

جدير بالذكر أن عدداً من السدود السطحية قد أقيمت على تلك الأنهار السالفة الذكر، عدا الفرات الذي أقيمت عليه سدود ضخمة في تركيا وسوريا، وكذلك نهر دجلة الذي أقامت عليه تركيا والعراق عدداً من السدود الضخمة.

سابعاً: الترب

تدخل الترب الكلسية في تركيب الصخر الأم في أغلب مناطق الاقليم الكردي، لذا نجد أغلب الترب غنية بالكلس ومركباته، ويمكن تمييز أنواع الترب التالية في كردستان سوريا:

١– تربة البحر المتوسط (الحمراء: تيرا روسا): تنتشر في المناطق المجاورة للمتوسط، لونها يتراوح بين البني الضارب إلى الحمرة والحمرة المشوبة بالأصفر، قوامها بين الرملية الطينية والطينية. تنتج الخضار والفول السوداني والتبغ والأشجار المثمرة، مثل: الزيتون والحمضيات، فضلاً عن الحبوب، مثل: القمح والعدس. وتصنف بين الترب الجيدة، إذا توفرت المياه الكافية.

---

(١)– علي مسلم: الكرد في منطقة الباب وأطرافها – تأليف واعداد – ط١عام ٢٠١٥– ص١٧٤.

(٢)– المصدر السابق – ص١٧٦.

٢- التربة الحمراء والبنية الداكنة (كروموزول): تنتشر في السهول الداخلية، لونها أحمر داكن، أو بني، أو بني داكن، أو أسود. قوامها طيني ثقيل. تنتج الحبوب البعلية مثل: القمح والشعير والعدس، وفق الدورة الزراعية، كما تنتج القطن والخضار والأشجار المثمرة والشوندر السكري والفول السوداني، إذا توفرت مياه الري اللازمة.

٣- التربة البنية الصفراء (سينامونيك): تنتشر شرق وجنوبي حلب، وفي الجزيرة. لونها بني مشوب بالأصفر والأحمر، قوامها طُفال طيني. تنتج القمح والشعير والعدس بعلاً، والأشجار والقطن والخضراوات، إذا توفرت مياه الري الكافية.

٤- التربة الجبسية: تنتشر على طرفي نهر الفرات، لونها برتقالي مشوب بالاصفرار أو ابيض أو بني مشوب بالاصفرار، أهم مشكلاتها، ارتفاع نسبة الجبس فيها.

٥- التربة اللحقية: تربة حديثة، تنتشر في الأراضي المجاورة لنهر دجلة والفرات والخابور، لونها داكن، تكون طينية ثقيلة القوام، على ضفاف الفرات يتفاوت لونها بين البني والبني الرمادي القاتم. تنتج معظم الحاصلات، خصوصاً القطن والخضراوات الصيفية والشتوية والأشجار المثمرة، وأهم مشكلاتها التملح.

٦- التربة الملحية: تنتشر شرقي الخابور (جنوب مدينة الحسكة) وفي أطراف الفرات، وهي تربة قابلة للتملح السريع بسبب طبيعة الصخور وطرائق الري التقليدية المتبعة، فيتشكل جراء ذلك غشاء من الملح على السطح. لونها يميل إلى الأبيض صيفاً وإلى اللون الداكن شتاءً[1]. يلاحظ أن انتشار الترب يرتبط إلى حد كبير مع الصخر الأم والنطاقات المناخية، فتربة البحر المتوسط تتفق مع النطاق المناخي المتوسطي (الساحلي والجبلي) في الغرب. وتربة الكروموزول تنطبق في انتشارها على النطاق المناخي الجبلي الداخلي (القاري)، حيث الأمطار بين (٣٥٠- ٦٠٠) مم. والتربة البنية الصفراء تنتشر في النطاق المناخي المتوسطي شبه الجاف ذي الأمطار بين (٢٠٠- ٣٥٠) مم. والجصية (الجبسية) في النطاق المناخي شبه الجاف والجاف، حيث الأمطار دون ٢٠٠مم. لكن تأثير الصخر الأم الذي نشأت منه التربة، ليس بأقل من تأثير المناخ. وفي ظل المناخ مثلاً، تتشكل التربة الحمراء (تيراروسا)

(١)- راجع الخريطة ٢١.

فـوق الصـخور الكلسـية، وتربـة الكرومـوزول الداكنـة المائلـة للسـواد فـوق الصـخور البازلتية[1].

ثامناً: النبات والحيوان

١- النبات: الغطاء النباتي متقهقر، فالغابة المتوسـطية في الغـرب هـي أحـراج ذات أشجار قزمة (من نوع الماكي)، والغطاء العشبي في السـهوب في الـداخل والشـرق (كوباني والجزيرة) عبارة عن بساط هزيل باستثناء الربيع. والأسباب الرئيسـية لهـذا التقهقر هو:

أولاً - الانسان (الاحتطاب)، أعـني قطـع الأشـجار كمـادة أوليـة في التدفئـة أو صناعة السفن قديماً أو تزويد قطار الشرق السريع بالوقود الخشبي قديماً.

ثانياً - الحيوان (الرعي الجائر)، من خلال تربية الماعز في عفـرين والأغنـام في كوباني والجزيرة.

يمكن ملاحظة انتشار الغطاء الشجري في الجـزء الغربـي مـن كردسـتان سـوريا (عفرين وما يليها من جهة الغرب)، بينما الغطاء العشبي من نوع (الاسـتبس) ينتشـر في فصل الربيع في المناطق الداخلية (كوباني) والشرقية (الجزيرة)، حيث تقل الأمطار وترتفع الحـرارة صـيفاً، لكـن هـذا لا ينفـي ظهـور بعـض الأشـجار في منطقـة الغطـاء العشبي أو انتشار الأعشاب في منطقة الغطاء الشجري.

تنتشر الغابة في جبل كرداغ، لكنها متقهقرة، جراء عبث الانسـان والمـاعز كمـا أسـلفنا، وأهـم أنـواع الأشـجار: السـنديان علـى اخـتلاف أنواعـه (الـدائم الخضـرة والنفضي) والصنوبر والبلوط والقطلب والدردار والزعرور والآس. وفي جبل عبد العزيز هناك بقايا من البطم والسويد، وفي وادي الفرات نجد الغرّب والطرفاء.

أما الغطاء النباتي فمنها النباتات الشوكية ومنها الصـالحة للرعـي وأخـرى ذو منفعة طبية شعبية ومنها ما يؤكل من قبل السكان، ومن أنواعها: العاكول، البابونج، الخبيزة، الكعوب، الكزبرة...الخ

٢- الحيوان: لا توجد دراسات دقيقة عن الحيوان حتى الآن، وبعض الأصناف (الأنواع) الحيوانيـة انقرضـت أو هـي في طريقهـا إلى الانقـراض. تقسـم الحيوانـات إلى مجموعة الحيوانات (اللبونة أو الثدييات - الطيور - الحشرات)، ومنها مـثلاً اللـواحم

---

(١)ـ راجع: عادل عبدالسلام(الدكتور) ـ جغرافية سوريا ـ الجزء الأول ـ مصدر سابق.

(آكلات اللحم البرية مثل: ابن آوى/ الواوي المتربص بالدواجن في الريف ليلاً – والثعلب المتربص ببساتين البطيخ وكروم العنب – الذئاب التي كانت تهاجم قطعان الأغنام، لكن أعدادها في تناقص – الأرانب التي تعيش على الحشائش – الفئران والجرذان التي تعيش في البيوت والحقول في الريف ومجاري الصرف الصحي في المدن – والخلد والقنفذ/ كبابة الشوك – الغزلان التي انقرضت وكانت تعتاش على الأعشاب في السهوب وأطراف الصحراء كما في منطقة الجزيرة سابقاً – الخنازير البرية وأعدادها في تناقص كما في منطقة عفرين أو الخنازير الشاردة القادمة من الشمال – الخفاش الذي ينشط ليلاً وينام نهاراً ويعيش في الأماكن الخربة والمغائر وتجاويف الصخور، ويعتمد في الطيران على الأمواج فوق الصوتية، وله أنواع متعددة وبعضه ناقل للأمراض كالخفاش الماص للدم وهو قليل جداً.

هناك السحالي، مثل: الحرباء والضب وأم أربع وأربعين، ومن الزواحف الثعابين وتعيش في الخرائب، وهناك العناكب والعقارب وهي من أقدم حيوانات المعمورة، ناهيك عن الحيوانات المائية (الأسماك).

أما الطيور فأغلبها مفيدة وبعضها مضرة بالمزروعات، وهي من الفقاريات ذوات الأجنحة (منها الطيور المستوطنة والطيور الزائرة والطيور المهاجرة/ العابرة)، كـ: العصفور الدوري، وله أنواع عدة وهو من الطيور المستوطنة – الحجل – القطا وهو طائر زائر – الطرغل وهم من الفصيلة الحمامية لكنه أصغر من الحمام – الحمام البري – الزرزور – البط ، من الطيور المائية – الأوز المائي – السنونو وهو زائر أيضاً – اللقالق وهي أيضاً من الطيور الزائرة ويعرف بالحاج لقلق أو أبو سعد – الشاهين – الباشق – الصقر – الحدأة – العقاب – النسر – البوم – الهدهد – البلبل...الخ.

في الختام يجب القول هناك ضرورة لحماية بعض الأنواع الحيوانية من الأنقراض بغية الحفاظ على التوازن البيئي.

الفصل الثاني
الجغرافيــا التاريخيــة

* « البشر لايحبون سماع الحقيقة، لأنهم لايريدون لأوهامهم أن تندثر»

(نيتشه)

** « هنـاك بـلاد قليلـة في العـالم يوجـد فيهـا هـذا القـدر الكـبير مـن الآثـار والحصون والقلاع القديمة، كالتي توجـد في كردسـتان، الـتي تعتـبر فردوسـاً لعلمـاء الآثار »

عالم الآثار: **(ديكسون)**

*** «ينبغــي علــى علمــاء الآثــار أن يضــاعفوا نشــاطاتهم ووجــودهم في كردستان، ليزودونا بمعلومات وافية عن أسلاف الشـعب الكـردي، لاسـيما في منـاطق دجلـة العليـا وجبـال طـوروس الجنـوبي، حيـث يتفـق الجميـع أنهـا كانـت مـوطنهم الأصلي»

(باسيلي نيكيتين)

أولاً– كردستان سوريا موطن الانسان القديم

أكتشفت الأدوات الحجرية والفخارية وبقايا الكائنـات الحيـة، بمـا في ذلـك بقايـا الانسان القـديم، في العديـد مـن الـتلال الصـنعية والكهـوف الـتي اسـتوطنها الانسـان القديم، خصوصاً في منطقـة الجزيـرة ووادي الفـرات وعفـرين. ففـي منطقـة الجزيـرة، هناك عشرات التلال الصنعية التي أقامها الانسان وسكن فيها منذ القديم، كي يحمـي نفسه من السيول ويترصد منها تحركات القوى المعادية (راجع قسم المواقع الأثرية). فقرب عـين ديـوار عشـر علـى الأدوات الحجريـة (ميزاييـف ١٩٦٢)، وكـذلك في منطقـة القامشلي ورأس العين والسفح (بيرفيه ١٩٤٦– ١٩٤٨)، وكذلك في جبـل عبـد العزيـز وغربي الحسكة (سوزوكي وكوبوري١٩٧٠)، و اكتشفت البعثة اليابانية مواقـع سـكنى الانسان في العصر الحجري القديم عند الأقدام الشمالية لجبل عبد العزيز، علـى شـكل

مغاور (عددها ٨)، كما اكتشفت اللقى الحجرية الصوانية (الظران) في مصاطب نهر الفرات، بدءاً من جرابلس ونحو الجنوب وفي التلال القريبة من الفرات، كلها شاهدة على استقرار الانسان منذ القديم في هذه المنطقة.

كان الانسان يمارس الصيد والالتقاط في العصور الحجرية القديمة والوسيطة، واستخدم النار، وكدليل على ذلك اكتشاف الرماد في تلك المواقع المذكورة، ثم انتقل الانسان إلى الزراعة البعلية بعد ذلك، وتحديداً منذ أواخر العصر الحجري الوسيط وهذا دليل على كفاية الأمطار، ثم بدأ بترويض الحيوانات البرية وتأهيلها وتربيتها.

وأكتشفت في منطقة الجزيرة بعض الآثار التي تعود إلى المملكة (الهورية – الميتانية) من قبل البعثة البريطانية، التي قادها (ماكسويل مالاوان ١٩٣٥– ١٩٣٧) في تل شاغر بازار بين عامودا والحسكة، تعود إلى ما قبل التاريخ (الألف الثاني قبل الميلاد)، وأزاحت التنقيبات النقاب عن خزف منقوش وملون وتماثيل لآلهة الخير ورُقم طينية وعمارة من اللبن، تشير إلى أن سكانها مارسوا الزراعة والصناعة والتجارة (تجارتهم وصلت إلى البحر المتوسط وبحر إيجة والهند). وفي عام ١٩٩٩ استأنفت بعثة بلجيكية – انكليزية مشتركة التنقيب في التل، كشفت عن بناء من اللبن يعود إلى الألفين الثاني والثالث قبل الميلاد، وجزء من منزل دائري يرجع إلى الألف الخامس قبل الميلاد وفرن لصناعة الفخار من الألف الرابع وجرار وأوانٍ وأدوات حجرية وبرونزية وعظمية وتماثيل بشرية وحيوانية من الطين المشوي، فضلاً عن شوارع وقنوات لصرف المياه[(١)]. وكذلك في تل براك بين القامشلي والحسكة، تم اكتشاف معبد يعود إلى مطلع الألف الثالث قبل الميلاد، وفيه أكتشفت مدينة ميتانية والقصر الملكي والكثير من الرُّقُم.

أما البعثة الألمانية التي قادها (أنطوان مورتفات) بين ١٩٥٥– ١٩٥٦ فقد واصلت حفرياتها في تل الفخيرية في أعالي نهر الخابور، واكتشفت آثار مدينة تعود إلى العهد الهوري – الميتاني، أي إلى الألف الثاني قبل الميلاد، وحديثاً تم التأكيد من أن (واشوكاني) عاصمة الميتانيين تقع في ثنايا هذا التل.

واكتشف (جيورجيو بوتشيلاتي) في تل موزان[(٢)] قصرالملك توبكيش الهوري والعاصمة (أوركيش). وما زال ضريح النبي (هورو) قائماً حتى اليوم في جبل كرداغ،

---

(١)– صحيفة روناهي – العدد ٢١٣– ٢٠١٥/٧/٥.

(٢)– قرية كردية تقع بين القامشلي وعامودا.

شمال غرب حلب بمنطقة عفرين، ناهيك عما تم اكتشافه في تل ليلان وتل شعير وغيرهما من التلال.

دلت أعمال التنقيب التي جرت في النصف الثاني من القرن العشرين في مناطق الجزيرة العليا ووادي الفرات الأوسط وعفرين، على حقيقة أنها مهد الحضارات القديمة، حيث عاش فيها الانسان منذ العصور الحجرية، ومارس فيها الصيد والتقاط الثمار وتدجين الحيوان ومارس الزراعة، بمعنى أنه عرف الاستقرار وأقام فيها مستوطناته الأولى، وكانت هناك جملة من العوامل الطبيعية التي ساعدته على هذا التحول إلى الزراعة، ومنها مثلاً: وفرة المياه (الأنهار والينابيع والأمطار الكافية) والتربة الخصبة. فيقال بأن انسان النياندرتال كان قد انتشر في الجزيرة العليا، لكن حل محله الانسان العاقل منذ/٤٠/ ألف سنة تقريباً، أما أسباب اختفاء الانسان النياندرتالي فما زال مجهولاً[١].

يقول الاستاذ عبد الرقيب يوسف: تاريخ استيطان الانسان في كردستان يرجع إلى /١٠٠/ ألف عام، ولاشك في أن كردستان شهدت ولادة أولى بشائر المدنية قبل/١٢/ ألف سنة، ومارس الكردستانيون الزراعة وصهر المعادن قبل/٩/ آلاف سنة، وأكتشفت مدينتان تاريخيتان تعودان لنحو/٧/ آلاف سنة، الأولى (حزة) في الضاحية الغربية لاربيل، والثانية تقع قرب جبل قرجوغ (٥٠كم جنوب غربي اربيل)، وأشار إلى عمليات السلب والنهب والتدمير الممنهج التي تعرضت لها آثار كردستان من قبل الأنظمة الغاصبة، خشية انكشاف الحقائق المودعة فيها[٢].

ثانياً – بدايات الاستيطان البشري (العصور الحجرية)

كانت السلطات التي تتحكم بمصير الكرد تتكتم على كشف استيطان الانسان في كردستان، خشية لفت الأنظار أو ابراز أهميتها التاريخية. وتعد الكهوف[٣] كمأوى

---

(١)– تغريد جعفر الهاشمي(الدكتورة) وحسن حسين عكلا: الانسان/ تجليات الأزمنة – تاريخ وحضارة بلاد مابين النهرين/ الجزيرة السورية – دار الطليعة الجديدة – ط١عام ٢٠٠١ – ص٥٨.

(٢)– طارق كاريزي: مجلة الحوار – العددان٥٨/٥٩ – شتاء/ ربيع ٢٠٠٨ – ص٦٩.

(٣)– مثلاً في كهف شانيدر في محافظة اربيل عثرت البعثة الأثرية الأمريكية برئاسة رالف سوليكي بين ١٩٥١– ١٩٦٠ على بقايا أقدم استيطان بشري يعود الى العصر الحجري القديم أي الى ٧٠٠٠٠ سنة ق.م، فضلاً عن هياكل عظمية لانسان النياندرتال، أظهرت أنه كان على مستوى حضاري محدود،

في مرحلة الصيد من أقدم الشواهد على الاستيطان في منطقة كرد داغ في العصور الحجرية، وحققت حماية الانسان القديم من وطأة الطبيعة ومن الحيوانات المفترسة في مرحلة الصيد، التي دامت ردحاً طويلاً من الزمن. ثم شيدت الأنماط المعمارية البدائية في مواد بنائها، وظهرت المستوطنات الأولى بعد مرحلة الصيد والانتقال منها الى مرحلة الزراعة، لكنها لم تصمد طويلاً أمام عوامل البيئة بسبب مواد البناء البسيطة كالطين وأغصان الشجر وجلود الحيوانات المتوفرة في البيئة، الا أن التحريات في العديد من التلال التي جرت فيها عمليات التنقيب قد كشفت عن العديد من هذه المستوطنات الزراعية في الجزيرة وكوباني وعفرين، فقد ابتدع الانسان تصاميم معمارية لأغراض وظيفية من حيث الشكل والمخطط بهدف حماية نفسه والتخفيف من أثر العوامل البيئية التي كانت تهدد وجوده بعد استقراره في السهول المجاورة للجبال أو بعد انتقاله من الصيد الى الزراعة[1].

هناك علاقة بين عناصر جغرافية البيئة (الحرارة، والضوء، والأمطار والثلوج، والرياح بسرعتها واتجاهها، الرطوبة) من جهة وأنماط العمران من جهة أخرى، فالعناصر السالفة الذكر تحدد شكل البناء وخططه ومادته الأولية (الطين، أغصان الأشجار، الحجارة...الخ) المتوفرة في البيئة، ناهيك عن التضاريس وطبيعتها (جبلية، سهلية). ففي المناطق التي يكون التهطال فيها ثلجياً كان السقف هرمياً، بينما في المناطق المطرية، تكون السقوف مستوية أو مائلة قليلاً. ومنذ العصر الحجري الوسيط بدأ الانسان يهجر الكهوف ويقيم أولى المستوطنات في السهول، بدءاً من أفغانستان شرقاً وحتى البحر المتوسط غرباً. وفي هذه المرحلة الانتقالية، كان البناء يقام بشكل مستدير وعلى أساس حجري، كما في وادي الخابور والبليخ وسهل

لكنه كان قد ابتدع بعض المعتقدات الروحية، اذ مارس شعائر وطقوساً مبكرة خاصة بالدفن، وقل الشيء نفسه في كهفي زرزي وهزار ميرد بمحافظة السليمانية، حيث عثر فيهما على كميات كبيرة من عظام حيوانية وأدوات حجرية كانت تستخدم في مرحلة الصيد، وكذلك في كهوف في لورستان، فضلاً عن كهفي بيستون قرب كرمنشاه، وتامتاما قرب بحيرة أورميا. راجع مجلة الأكاديمية الكردية/ هولير – العدد/٣٥/ – ص٣٠٨و٣٠٩.

(١)– نعمان جمعة ابراهيم(الدكتور): مجلة الأكاديمية الكردية/ هولير – العدد/٣٥/ – معطيات البيئة الطبيعية وانعكاساتها في تطور فن العمارة في كردستان – ص٣٠٦.

سنجار[1]. وفي القرى الكردية بريف الشهباء (ريف حلب الشمالي)، كان النموذج السائد للبناء حتى عام ١٩٥٠، تلك: (القبب الطينية المخروطية، بارتفاع مابين ٣-٤م، حيث كان يستخدم في بنائها اللبن الطيني... فهذا النموذج من البناء كان يتيح لساكنيه برودة مقبولة في الصيف وحرارة معتدلة نسبياً في الشتاء.. وكانوا يقومون أحياناً بطلائها من الخارج بمادة الكلس، وذلك لأن اللون الأبيض يعكس أشعة الشمس.. مما يساهم في الابقاء على برودة نسبية معينة في الصيف)[2]، ثم ظهر نموذج الغرف الطينية المستطيلة والأسقف المستوية المغطاة بالقش والطين والمحمولة على الأعمدة الخشبية بعد عام ١٩٥٠، ثم بدأ الحجر الكلسي الأبيض والاسمنت يدخلان مؤخراً في البناء.

وفي العصر الحجري الحديث، بدأ الانسان الانتقال من مرحلة جمع القوت الى مرحلة انتاجه، وممارسة الزراعة وتدجين الحيوان، وكان هذا الانتقال بمثابة انقلاب أو ثورة اقتصادية في عموم المنطقة بما فيها كردستان، ومن نتائجه ظهور نمط جديد من البناء ذو أشكال هندسية (مستطيلة أو مربعة)[3] وان كان الطين عبارة عن مادة أساسية في البناء، حيث أعتمد في صنع اللبن، لما يتميز به من خاصية العزل الحراري وتحمل الضغط، ومازال (الطين - اللبن) معتمداً حتى اليوم في تشييد البناء، لخصائصه السالفة الذكر ولوفرته، ناهيك عن اعتماده في صناعة الفخاريات. فملامح الفكر الديني بدأت بالظهور، كما تحولت هذه المستوطنات الريفية الى مدن أو مناطق أكثر تحضراً من ذي قبل.

١- العصر الحجري القديم (الباليوليت): أ - الأدنى (٢٣٠٠٠٠- ١٠٠٠٠٠) ق.م: عثر على عدد ضئيل من الشظايا الصوانية في بعض الأحواض النهرية (الفرات، الساجور، أودية فرعية أخرى)، كما عثر على معاول وفؤوس متقنة الصنع، تعود إلى ٤٠٠٠٠٠ق.م، وأدوات حجرية أكثر تطوراً في أودية (الرميلة، شيوخ فوقاني، قره يعقوب) تعود إلى ٣٠٠٠٠٠ق.م، هذه المرحلة من الاستيطان ترتبط بنوع انسان (الهوموراكتوس).

---

(١)- المصدر السابق - ص٣١٧.

(٢)- تأليف واعداد علي مسلم: الكرد في منطقة الباب وأطرافها - ط١عام ٢٠١٥- ص٩٧.

(٣)- مجلة الأكاديمية الكردية/ هولير - العدد/٣٥/ - المصدر السابق - ص٣١٩.

ب – الأوسط (١٠٠٠٠٠– ٣٥٠٠٠) ق. م: حيث ظهر انسان النياندرتال في أنحاء شتى من كردستان سوريا وجوارها، وقد عثر على آثاره ضمن المصاطب النهرية والكهوف، التي تعود إلى العصر المطير، ومنها: نصال وحراب متقنة الصنع في أودية (الفرات، الساجور، عفرين)، وأهم ما عثر عليه في كهف (دو دري) في جبل ليلون جنوبي عفرين بنحو ١٥كم، قرب قرية (برج عبدالو)، وهذا الكهف يعلو فوق مستوى سطح البحر بنحو ٤٥٠م، طول الكهف ٦٠م وعرضه ٤٠م، ودعي بكهف دو دري[1] لأن له بابان، أحدهما في الشمال ويشرف على وادي عفرين وسهل جومة (عرضه ٨م وارتفاعه ٥م)، والآخر في الجنوب، متجه نحو الأعلى ونحو جبل ليلون ومنطقة شيراوا وكأنه مدخنة بداخله حفرة مليئة بالماء العذب الذي يترشح من الصخور الكلسية، وفي منتصف سقف الكهف فتحة دائرية، ربما كانت عبارة عن مدخنة أو هوة للتهوية أو للاضاءة. تم العثور في الكهف على أدوات صوانية (رؤوس رماح ونصال) وبقايا (بذور نباتية وعظام غزلان وماشية وهياكل بشرية لانسان النياندرتال)، وهيكل عظمي كامل لطفل عمره نحو سنتين، وهو في متحف حلب الآن، وبعد التحليل المخبري تبين بأنه يعود لانسان النياندرتال عاش منذ ٨٠٠٠٠ ق. م، لذا سمي طفل كرد داغ، فأحدث هذا الاكتشاف اعادة النظر في فرضيات تطور الانسان، وإلى اعادة النظر في الفرضية التي كانت رائجة ردحاً من الزمن، تلك التي تدعي أن انسان النياندرتال قد انقرض، فقد أثبت هذا الكشف أن وادي نهر عفرين كان بمثابة مفترق طرق لانسان النياندرتال بين آسيا وافريقيا وأوربا. **ج – الأعلى (٣٥٠٠٠– ١٢٠٠٠) ق. م:** لم يعثر في كردستان سوريا على آثار عائدة لهذا العصر، ربما لقلة التنقيبات.

٢– العصر الحجري الأوسط (الميزوليت): ساد منذ (١٢٠٠٠– ٨٠٠٠) ق. م، ظهرت آثاره في وادي نهر عفرين، فقد عثر على أدوات حجرية (نصال، نوى، مكاشط) قرب كهف (دو دري)، وفي مدخل الكهف عثر في سبر آخر على أدوات حجرية، وأدوات ثقيلة من البازلت، وخرز داخل مواقد كبيرة.

٣– العصر الحجري الحديث (النيوليت): ساد منذ (٨٠٠٠ – ٤٠٠٠) ق. م، وفي هذا العصر تحول الانسان من حالة الالتقاط والصيد التي تعتمد التنقل المستمر إلى حالة الاستقرار (التدجين والزراعة)، وتظهر آثار هذا العصر في التلال الأثرية التي

---

(١)– دو: اثنان بالكردية – دري: باب بالكردية.

تضـم القـرى الزراعيـة الأولى في كردسـتان سـوريا في منـاطق الجزيـرة ووادي الفـرات والساجور ومنبج ووادي عفرين، ودلت التنقيبات التي جرت حتى الآن في تلال: اعزاز، تورنده قرب عفرين، عين داره في وادي نهر عفرين، والعديـد مـن الـتلال المنتشـرة في منطقة الجزيرة، على ممارسة الانسان زراعة الحبوب (القمح والشعير) وتربيـة الأغنـام والماعز والأبقار، وصناعة الأواني الفخارية[1].

ثالثاً – الحضارات القديمة في كردستان سوريا

تكثر التلال الأثرية في كردستان سوريا، وتعد بالمئات، لكن لم تجرِ التنقيبـات إلا في عدد محدود منها، فدلت على الحضـارات الـتي تعاقبـت عليهـا، والغـزوات الـتي اجتاحتها ونشرت فيها الخراب والدمار منذ القديم وحتى التاريخ القريب، واخترنا مـن بينها التلال التالية:

١– تل حلف (٥٥٠٠– ٤٥٠٠) ق. م: يقع هذا الموقع الأثري قـرب مدينـة رأس العين (٣ كم إلى الجنـوب الغربـي)، ويعـود إلى العصـر الحجـري الحـديث (النيوليـت)، وشملت حضارتها مساحة كبيرة جغرافياً، امتدت مـن جبـال زاغـروس شـرقاً وحتـى البحر المتوسط غرباً، كما امتدت شمالاً حتـى بحـيرة وان، ويعـزى هـذا الاتسـاع إلى: (الروابط التجارية التي كانت قائمة آنذاك في تلك البقعة الشاسعة، وازدهار الزراعة ومـا رافقها أيضـاً مـن نهـوض في النمـو السـكاني، ممـا أدى إلى تأسـيس قـرى وحواضـر جديدة)[2].

كان البناء من الطين (اللبن) ذو مخطط دائري أشبه بخلايا النحل ويرتكز على أساس حجري، يضم مكاناً لصنع الفخاريات البالغة الجمال، المزينة بصور حيوانـات البيئة (خصوصاً رؤوس الثيران) أو بشتى أنواع الزخارف، كما شـوهدت في المواقـع التي تعود إلى حضارة تل حلف نصال سـيليكونية للمناجـل وأجـران حجريـة، وآثـار باقية للقمح والشعير، وهذا إن دلّ على شيء فانه يـدل علـى الانتقـال إلى الزراعـة إلى جانب الصيد (الثيران والخنازير والغزلان).

يبدو أن التجارة ازدهرت في هذه الفترة، واسـتخدمت فيهـا العربـات، وانتشـرت عبادة الخصب الانثوي، المرتبطة بتقديس الالهـة الأم والثـور، كمـا انتشـرت صـناعة الفخار والأختام، وظهور الأختام دليل على ظهور الملكية الخاصة بالتأكيد.

---

(١)– زكريا حصري/ جيان: صحيفة كردستان – العددان ٥٠٨/ ٥٠٩ – تاريخ ٣/١٥ و ٤/١ عام ٢٠١٥ .

(٢)– تغريد عفر الهاشمي وحسن حسين عكلا: الانسان/ تجليات الأزمنة – مصدر سابق – ص١٠٩.

قام ماكس فون أوبنهايم باجراء أسبار في هذا الموقع الأثري عام ١٨٩٩، بعد أن دله سكان المنطقة على وجود تماثيل فيه، ثم أجريت فيه التنقيبات منذ مطلع القرن العشرين، ونقلت مكتشفاته إلى متحف في برلين، تعرضت هذه المكتشفات إلى تخريب إبان الحرب العالمية الثانية، لكنها رممت، كما نقلت بعضها إلى متحف حلب[١].

٢- تل موزان (أوركيش): أظهرت الحفريات عن اكتشاف مدينة أوركيش عاصمة الحوريين (الهوريين)، تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد، وكانت موطن الأساطير المقدسة وفق اللوحات الكتابية التي وجدت في القصر الملكي الحوري (توبكيش) وزوجته (اكنيتوم) الأكادية (٢٣٠٠- ٢٢٠٠) ق. م، وهذا الاستنتاج تم الوصول إليه في العاصمة أوركيش، بعد: (دراسة موسعة لأكثر من ٦٥٠ طبعة ختم نقشت ١٧٠ منها بحروف مسمارية)[٢].

طول التل ٧٠٠م وعرضه نحو ٤٠٠م وارتفاعه عن السهل المجاور نحو ٢٠م ومساحته ٣٠ هكتاراً، قامت بعثة أثرية أمريكية عام ١٩٨٤م من جامعة لوس انجلوس بالعمل فيه تحت ادارة مارلين وجورجيو، وعثر في التل على تماثيل حيوانية بعضها برية من الطين. وفيه ٣ مستويات استيطانية:

- ٢٧٥٠ ق. م: مصطبة المعبد بطول ٦م والخندق المائي والمقبرة، وأواني فخارية تحمل زخارف هندسية مطلية باللونين الأحمر والأسود، وعثر في هذا المستوى على جِرار ذات قواعد، وكؤوس وأواني.

- ٢٥٠٠ ق. م: بلغت المدينة أقصى اتساعها، عثر في هذا المستوى على الأبنية الادارية.

- ١٥٠٠- ٢٠٠ ق. م: بداية انحسار الاستيطان، كشفت عن بيوت سكنية وبقايا قبور ومخازن.

تل موزان من أهم مواقع الألف الثالث ق.م في الجزيرة العليا، حيث يضم أطلال أول عاصمة للحوريين، كانت مركزاً للاله (كوماري) كبير الآلهة الحثية[٣].

---

(١)- راجع الموقع رقم - ١ - أواني فخارية والموقع - ١٣- تل الفخيرية/ رسالة ميتانية.

(٢)- تغريد جعفر الهاشمي وحسن حسين عكلا: الانسان/ تجليات الأزمنة - مصدر سابق - ص٢٤٤.

(٣)- صحيفة روناهي - العدد ٢٠٠- ٢٠ أيار٢٠١٥.

٣– آزو (تل الحديدي): يقع هذا التل على بعد ٣٠ كم إلى الجنوب الشرقي من منبج قرب الفرات، وفيه مدينة آزو الميتانية. قامت بعثة هولندية بالتنقيب في هذا التل بين عام (١٩٧٢– ١٩٧٤)م، ثم تبعتها بعثة أمريكية برئاسة رودولف دورنمان بين عام (١٩٧٤– ١٩٧٨). ودلت نتائج التنقيبات في التل أن هذا الموقع بلغ: (ذروة أهميته في عصر البرونز الأول ٢٣٠٠– ٢٠٠٠ ق.م، عندما قامت مدينة هامة ذات أسوار تجاوز عرضها في بعض النقاط ثلاثة أمتار، تحيط بها خنادق عميقة لم تكن تملأ بالماء كما هو شائع، لأنها كانت أعلى بكثير من منسوب النهر، لكن يبدو انها أستحدثت لاعاقة تدافع المهاجمين، وجعلت على شكل مسنمات ذات انحدار نحو الخارج ونحو الداخل، وقد غطت هذه المنحدرات بالحصى لتنزلق تحت أقدام المهاجمين وسنابك خيلهم)[1].

أقيم برجان عند المدخل الشمالي للمدينة، لكن لم يبقَ سوى جزء من سوق المدينة بسبب مادة البناء، وعثرت على بعض الأدوات البرونزية في دكاكين السوق. والظاهرة الملفتة للنظر العثور على أطفال دفنوا في الجرار. والرقم التي أكتشفت في التل تضم نصوصاً قانونية تخص حقوق المرأة في الملكية أو الارث. المعبود الرئيسي في آزو هو الاله (دجن).

المنزل يتكون من باحة تحيط بها الغرف وفي احدى زواياها تنور، وهو من طين أما الأساس فهو من حجر. شوهدت في التل جرار وأواني فخارية وأختام اسطوانية تظهر عليها صور بشرية[2].

٤– تل بري (كحت): يقع التل على ضفة نهر جغجغ، أجرت فيه بعثة ايطالية التنقيب منذ عام ١٩٨٠، وأول من اكتشف الهوية التاريخية كان جورج دوسان الذي أكد: (بأن مدينة كحت القديمة أكبر مدن الحوريين خلال القرنين١٥– ١٤ ق.م ترقد في ثنايا تل بري)[3]. كما أكد مارغو سالفيني أن مدينة كحت كانت مركزاً دينياً هاماً في مملكة الميتانيين. عثر فيها على سور طيني يحيط بالمدينة من جهات ثلاث عدا

---

(١)ـ تغريد جعفر الهاشمي وحسن حسين عكلا: الانسان/ تجليات الأزمنة – مصدر سابق – ص٢٤٥.

(٢)– راجع الشكل –٢/ أ – تل موزان/ أوركيش.. أختام والشكل –٢/ ب – تل موزان/ أوركيش.. المعبد.

(٣)– المصدر السابق – ص٢٥٠.

الجهة التي تطل على جغجغ، وعلى حطام الأواني الفخارية، وفي جوف التل معبـد إلـه العاصفة.

٥- تل ليلان: يقع تل ليلان - وهو من أكبر التلال الأثرية في حـوض الخـابور - جنوب بلدة تربة سبي (قبور البيض/ القحطانية)لمسافة ١٥كم على نهـر الجـراح. يتألف من قسم مرتفع (اكروبول) مسـاحته ١٥ هكتـار وقسـم مـنخفض مسـاحته ٩٠ هكتاراً يحيط بالجزء العلوي. قامت بعثة أمريكية من جامعة ييل برئاسة هارفي وايـس منذ عام ١٩٧٨ بالتنقيب فيه، كشفت البعثة الأثرية فيه معبداً ضخماً مشـيداً بـاللبن أقيم على أنقاض معبد قديم مساحته ٦ كم٢، وأكدت البعثة أن تل ليلان هـو مدينـة (شـوبات انليـل) عاصـمة شمشـي حـدد الأول في القـرن ١٨ق.م، وبعـد مـوت الملـك شمشي أدد أعيد اسمها القديم السابق (شحنا) من جديد. انتشرت في المدينة صناعة الخمور وعثر فيها على أدوات فخارية ورقم غنية بالمعلومات والصور وأختام ومعابـد وأبنية سكنية ومخـازن وقبـور نـبلاء الميتـانيين. لـيلان مـن أقـدم المسـتوطنات في شمالي ميزوبوتاميا تعود آثار الاستيطان الى أواخر الألف السادس ق.م، تحولت منذ منتصف الألف الثالث ق.م من قرية الى مدينة. خضعت للسـيطرة الأكاديـة في أواخـر الألف الثالث ق.م ثم للسيطرة الآشـورية، وفي منتصـف الألـف الثـاني ق.م أصـبحت جزءاً من الإمبراطورية الهورية - الميتانية التي أقامهـا أسـلاف الكـرد، شـأنها شـأن باقي مناطق حوض الخابور[1].

٦- تل العطشانة (آلالاخ): قامت بعثة يابانية - سـورية عـام ١٩٧٨، برئاسـة تاكيرا آكازاوا بالتنقيب في منطقة كرد داغ، ناحية شيروان بجبل ليلـون، وتحديـداً في كهف (دو دري)، وفي ١٩٩٣ أكتشف هيكل عظمي للانسان النياندرتالي يعـود لــ ١٠٠ ألف عام، فضلاً عن لقى أثرية من حجر الصوان. يقـول الاسـتاذ مـروان بركـات بـأن العلماء العرب يومها أرادو تغيير اسم الموقع مـن (دو دري أي بابـان) إلى (الحيدريـة) لكن رئيس البعثة الياباني رفض ذلك، لأن اسم الموقع باللغـة الكرديـة، ولأن الكهـف ذو بابين حقيقة، والهيكل العظمي المذكور وضع في متحف حلب.

أقيمت مملكة آلالاخ منذ ٢٧٠٠ق.م، في سهل العمق، واستمرت حتى ١٩٠٠ق.م، وكانت كرد داغ تنضوي في اطارها، وبعد ذلك خضـعت للفراعنـة المصـريين، فبـدأت

---

(١)- راجع الموقع - ٣/ أ - تل ليلان..المعبد والموقع -٣/ ب - ليلان..رقم وكتابات.

الانتفاضات ضد الفراعنة لكنها كانت تواجه بمنتهى الوحشية، ثم خضعت مملكة آلالاخ لأسلاف الكرد الهوريين، وفي ١٧٣٠ق.م أقاموا هناك مملكة (هورية ميتانية)، وكانت تمتد من جبال زاغروس شرقاً وحتى البحر الأبيض المتوسط غرباً، بما في ذلك أوغاريت. يجدر الذكر أن البعثة اكتشفت في موقع آلالاخ ختماً باسم الملك الهوري (شاوشتيار)، ومعبد الاله (ميثرا). الدلائل تشير أنه وفي الفترة (١٤٥٠–١٣٥٠) ق.م، كانت هناك ثلاث عواصم (هورية ميتانية)، وهي: نوزي (كركوك) في الشرق – تل براك (الجزيرة) في الوسط – آلالاخ (تل عطشانة) في الغرب.

في ١٣٤٧ق.م احتل الحثيون آلالاخ، فانتفض الشعب مرتين لكن أخمدت الانتفاضتان، وفي ١٩٠٠– ٧٣٨ ق.م احتلها الآشوريون، وفي ٦١٢ ق.م سيطر الميديون أسلاف الكرد عليها، وشملت الامبراطورية الميدية عاصمة الآشوريين نينوى ومنطقة الهلال الخصيب وجبل الأكراد حتى المتوسط، وفي ٥٥٨ ق.م سقطت الامبراطورية الميدية على يد كورش الفارسي وأنشأ فيها الدولة الاخمينية، وفي ٣٣٢ ق.م غزا الاسكندر المكدوني على البلاد الواقعة تحت سيطرة الاخمينيين، ثم وقعت كرد داغ تحت السيطرة السلوقية حتى ١٨٩ق.م، ثم جاء الرومان ٦٤م، وفي سنة ٦٣٧م غزا المسلمون العرب كرداغ تحت قيادة عبيدة بن الجراح، وفي ١٠٠١م أقام المرداسيون الكرد إمارة في حلب، كانت تضم كرد داغ، وبعد ١٠٧٩م غزا السلجوق هذه المنطقة، ثم الصليبيون، وفي ١١٢٨م الزنكيون، وفي ١١٧٥م خضعت المنطقة للدولة الأيوبية، وسلم صلاح الدين الأيوبي امارة اعزاز لابن أخيه (تقي الدين)، وأثناء اجتياح المغول كانت كرد داغ امارة مستقلة تحت قيادة (مند) الكردي، وكانت تعرف هذه الامارة في المصادر التاريخية بامارة (اعزاز أو كلس)، واستمرت الامارة حتى ١٦٠٧، ثم خضعت للعثمانيين لكن تحت قيادة الكرد، ثم دخلتها دخلتها الجيوش الانكليزية الفرنسية[١].

وهكذا نجد كيف أن الانسان الأول قد ظهر في كرد داغ قبل ١٠٠ ألف سنة، وكان الكرد يقطنونها منذ ثلاثة آلاف سنة على أقل تقدير.

وهناك العديد من الأماكن الأثرية، بدءاً من قلعة النبي هوري في الشمال، والتي تليها مجموعة من التلال جنوباً، منها: تل حلوبية، تل آبرز، تل عين ديبه، تل

---

(١)– مروان بركات: مجلة الحوار – العددان ٤٦و٤٧– شتاء وربيع ٢٠٠٥م – ص١٦.

معراته، تل جنديرس، وهذا التل الأخير قامت بعثة ألمانية بالسبر فيه منذ ١٩٩٣.

أما تل عين دارا، فيقع جنوبي مدينة عفرين لمسافة ٤كم قرب نهر عفرين. قسمه الأول هو تل عين دارا الصغير، يقع في الجزء الجنوبي من الموقع الذي يعود إلى العصر الحجري الحديث، وتم سبره عام ١٩٩٢ من قبل الدكتور أنطوان سليمان، الباحث في مديرية آثار ومتاحف حلب، وأكتشفت فيه اللقى الأثرية، منها مخارز وأواني صوانية وفؤوس حجرية ونسلات الأوبسيديان ورؤوس السهام الصوانية وهياكل بشرية. أما قسمه الآخر فقد عمل به الدكتور علي أبو عساف، المدير العام للآثار والمتاحف السورية يومذاك، وأكتشف فيه معبد عين دارا[١].

كل هذا إن دل على شيء فهو يدل على أن الكرد استوطنوا الجزء الشمالي من سوريا الحالية منذ آلاف السنين، خلافاً للتاريخ المشوه الذي يدّعي أصحابه أن الكرد طارئين على المنطقة.

٧- **تل شعير:** قامت البعثة السورية تحت ادارة الدكتور سليمان إلياس بأعمال التنقيب فيه منذ عام ٢٠٠٦. تقع قرية تل شعير الشيتية بين قامشلي وتربه سبي/قبور البيض أو القحطانية (بعد التعريب الثاني). وفق البعثة ترجع بدايات الاستيطان الى فترة حسونة (بداية الألف السادس ق. م)، التل شكله بيضوي متطاول من الشمال الى الجنوب، مساحته ٦ هكتارات، وارتفاعه عن الأرض المجاورة ٢٩م، كشفت فيه لقى أثرية منوعة تعود الى مراحل مختلفة، ومنها عصر البرونز.

٨- **تل حموكر:** يقع التل غرب تل كوجر بنحو ١٠ كم، وهو من المواقع الهامة في شمالي ميزوبوتاميا، وحموكر احدى أكبر المستوطنات في العصر البرونزي القديم (٢٠٠٠ - ٣٠٠٠) ق.م. تعود بدايات الاستيطان في الموقع إلى حقبتي حلف والعبيد (الألف الخامس ق. م)، وكانت حموكر مدينة مزدهرة في بداية الألف الرابع ق.م، وكانت تجلب الحجارة من الجبال القريبة من بحيرة وان، ثم تصنع منها الأدوات الحجرية وتصدرها قبل استعمال النحاس، وكان يقدر عدد سكانها بنحو/٢٥٠٠/ نسمة في منتصف الألف الثالث ق.م، لكن بدأت تتراجع في العهدين الآشوري والسلوقي.

---

(١)- مجلة الحوار - العددان ٥٨-٥٩/ شتاء - ربيع ٢٠٠٨ - ص٢٣.

بدأت بعثة سورية – أمريكية مشتركة بالتنقيب فيه منذ عام ١٩٩٩[١]. عثر في قبر طفل في تل حموكر على ٨٠ ختماً و١٥ رقماً (لوحاً)[٢].

٩– تل شاغر بازار: تناولت أجاثا كريستي، التي كانت ترافق زوجها ماكس مالوان، الذي كان يقوم بالتنقيب فيه، انطباعاتها تحت عنوان (هكذا عشت في سوريا).

١٠– تل عربيد: يقع جنوب غرب القامشلي بنحو ٢٦ كم، يتألف الموقع من تل رئيسي تحيط به أربعة تلال صغيرة، مساحته ٣٨ هكتار، وارتفاعه عن الأرض المحيطة به ٣٠ م. تعود آثار استيطان هذا الموقع الى الألف الخامس ق.م، ازدهرت فيه المستوطنة في النصف الأول من الألف الثالث ق.م، وفي منتصف الألف الثاني ق.م أصبحت المدينة جزءاً من امبراطورية أسلاف الكرد الهورية – الميتانية، عثر فيه على مجموعة من البيوت الطينية وفق النمط الميتاني وشوارع ومدافن وأختام اسطوانية تعود لهذه الفترة.

قامت البعثة البريطانية تحت قيادة ماكس مالوان بالتنقيب فيه بين ١٩٣٤–١٩٣٦، وفي عام ١٩٩٦ استأنفت بعثة أثرية بولونية – سورية مشتركة التنقيب فيه، كانت برئاسة رفائيل كولينيسكي، كشفت معابد وبيوت للسكن ولقى أثرية ومجموعة من الحلي والخرز وفخاريات، ناهيك عن خناجر ورأس رمح ومنجل وقبور تعود الى العصر البرونزي[٣].

١١– تل بيدر: على بعد ٣٥ كم شمالي مدينة الحسكة، هذا الموقع محاط بسور دائري، له ٧ بوابات. وأكتشف آثار مدينة فيه تعود إلى العهد الميتانيين أسلاف الكرد.

١٢– تل براك: قام عالم الآثار البريطاني ماكس مالوان بالتنقيب فيه بين عامي ١٩٣٧ – ١٩٣٨، ثم أستؤنف التنقيب فيه منذ عام ١٩٧٦ من قبل ديفد أوتس وزوجته هيلين ماكدونيلد.

---

(١)– المعلومات مستقاة من شعبة الآثار في القامشلي. راجع الموقع –٤/ أ – تل حموكر والموقع – ٤/ ب – تل حموكر.. طلقات وأختام.

(٢)– راجع Rêbera Geştûguzariyê ya Devera Dêrikê– هوزان ديرشوي – ص٦٨.

(٣)– المعلومات مستقاة من شعبة الآثار في القامشلي. راجع الموقع – ٥ – تل عربيد.

يقع التل قرب نهر جق جق، وهو أحد روافد نهر الخابور، يقع الى الجنوب الغربي من مدينة القامشلي بنحو ٤٤ كم. كانت المستوطنة من أكبر المراكز المدنية المبكرة في الهلال الخصيب عامة وحوض الخابور خاصة، ومن أهم مدن شمالي ميزوبوتاميا، موقع المستوطنة استراتيجي. طول التل ٨٠٠م وعرضه ٦٠٠م وارتفاعه عما يجاوره ٤٣م، عرفت المستوطنة بـ (ناغار) في الألفين الرابع والثالث ق.م، وعرفت في المصادر الهورية بـ (نوار) المرادف الهوري لناغار، أما براك فهي تسمية رومانية نسبة الى بحيرة براك التي كانت الى جوار المدينة، لكنها جفت. عثر في التل عن آثار حضارة موغلة في القدم سبقت عصور الكتابة، ومن أهم مكتشفات التل: معبد العيون، تمثال العيون، قصر نارام سين، رقم مسمارية وأدوات صوانية وأواني فخارية وأختام اسطوانية، منها ما تعود للعهد الهوري[١].

١٣- **تل محمد دياب:** يقع جنوب تربه سبي/ قبور البيض (القحطانية) بنحو ١٥ كم، وكان الموقع من المستوطنات المهمة في الجزء الشمالي من ميزوبوتاميا في فترتي البرونز القديم والوسيط، مساحة التل ١٢ هكتار، وتصل مساحته مع التلال المحيطة به الى ٥٩ هكتارات، وارتفاعه ٢١م. تعود المراحل الأولى للاستيطان فيه الى بدايات الألف الثالث ق.م، توسعت المستوطنة (المدينة) وازدهرت في بداية الألف الثاني ق.م. بدأ التنقيب فيه منذ عام ١٩٨٧ من قبل البعثة الفرنسية برئاسة جان ماري دوران، وأكتشفت فيه معبداً وأحياء سكنية ومدفن وقصر، تعود الى عصر البرونز الوسيط، كما عثر على رقمين مسماريين وختم اسطواني وفخاريات وجرار وأساور وفأس ودبابيس تعود الى الفترة الهورية - الميتانية، ظلت مزدهرة حتى النصف الثاني من الألف الثاني ق.م[٢].

١٤- **تل بديري:** يقع على الضفة الشرقية للخابور على بعد ١٥ كم جنوب شرق الحسكة، طول التل ٣١٠م (من الشمال الى الجنوب) وعرضه ٢٤٥م (من الشرق الى الغرب) وارتفاعه ١٢م، سطحه العلوي منبسط الشكل. موقع هام في حوض الخابور في فترة البرونز القديم والحديث، وتشير الدلائل على هجرة الاستيطان في فترة البرونز

---

(١)- اقتبست المعلومات من أرشيف شعبة الآثار في القامشلي. راجع الموقع - ٦/ أ - تل براك.. المصور والتل والموقع - ٦/ ب - تل براك..تماثيل.

(٢)- اعتمدت على أرشيف شعبة الآثار في القامشلي. راجع الموقع -٧- تل محمد دياب/ المعبد.

الوسيط، ثم عاد الاستيطان في العهد الهوري – الميتاني. كانت الأبنية الميتانية مبنية على مصاطب بمساحة ٢٥في٢٥م وارتفاع ١م، كما عثرت فيه على فخاريات مرتبطة بثقافة أسلاف الكرد الهورية – الميتانية، وعلى أفران لصناعة الخبز وأختام ميتانية وأجزاء من رقم مسمارية. بدأ التنقيب في هذا الموقع عام ١٩٨٥ واستمر الى١٩٩٢ من قبل البعثة الألمانية تحت اشراف هارتمت كونه[١].

١٥– تل كشكشوك: يقع في حوض الخابور، شمال غربي الحسكة بنحو ١٨كم، هذه المستوطنة شهدت نشاطاً استيطانياً منذ منتصف الألف السابع ق.م وحتى أواخر الألف الثالث ق.م. يتألف من أربعة تلال، التل الثاني مساحته ٨ كم٢ ويرتفع ٤م عن الأرض المحيطة به. بدأت بعثة يابانية – سورية مشتركة بالتنقيب فيه عام ١٩٨٧– ١٩٨٨ تحت ادارة يوشيهيرو نيشياكي وأنطوان سليمان، واكتشفت فيه آنية فخارية تعود الى العصر الحجري الحديث، وأخرى تعود الى فترة حلف (٤٣٠٠– ٥٥٠٠) ق. م[٢].

١٦– تل سكر الاحيمر: يقع على الضفة اليمنى للخابور، قرب تل تمر، على بعد ٤٢كم شمال غربي الحسكة، وهو من أقدم المواقع الأثرية في ميزوبوتاميا التي شهدت الاستيطان، التل له شكل بيضوي، وارتفاعه ١١م، تعود بدايات الاستيطان فيه الى أواخر الألف التاسع ق.م وأوائل الألف الثامن ق.م، لذا يمكن القول بأنه أقدم مستوطنة في حوض الخابور، استمر الاستيطان فيه الى الألف الرابع ق.م. تم مسحه عام ١٩٩١ من قبل فريق ياباني – فرنسي، تحت اشراف بيرتيل ليونيه و نيشياكي، وبدأت البعثة اليابانية بقيادة يوشيهيرو نيشياكي التنقيب فيه عام ٢٠٠٠[٣].

١٧– تل خزنة: يقع على الضفة اليسرى لوادي الخنزير على بعد ٢٠ كم شمال شرق الحسكة، من المواقع الدينية العامة في شمالي ميزوبوتاميا. للتل شكل مخروطي، متوسط قطره ١٥٠م وارتفاعه ١٨م، يعود بداية استيطانه الى أواخر الألف الخامس ق.م، عثر فيه على فخاريات مطلية بالألوان، وبعض الأدوات الصوانية.

---

(١)– من أرشيف شعبة الآثار في القامشلي.

(٢)– راجع الموقع –٨– تل كشكشوك..أواني فخارية.

(٣)– راجع الموقع –٩– تل سكر الاحيمر.

ازدهرت المستوطنة بداية الألف الثالث ق.م، وعثر على معبد وخزان مياه فيها يعودان الى الفترة الهورية – الميتانية، واستوطنت في العهد الهللينستي والاسلامي. بدأت بعثة روسية التنقيب في التل تحت اشراف رؤوف منشاييف.

وعلى الضفة اليمنى هناك تل خزنة الثاني، ويعد هذا الموقع أهم مستوطنة زراعية، واستوطن الموقع في فترة حلف والفترة الهورية – الميتانية والفترة الهللينستية والاسلامية. قامت بعثة روسية بالتنقيب فيه عام ١٩٩١[١].

١٨– **تل فارس الشرقي:** يقع في حوض الخابور، على بعد ٣٦ كم جنوب غرب القامشلي، مساحة الموقع ٤ هكتارات وارتفاع التل ٧م، يعود الموقع الى العصر الحجري النحاسي، استوطن الموقع في أواخر فترة الكالكوليت (٣٠٠٠–٤٣٠٠) ق.م، ومارس ساكني المستوطنة الزراعة (القمح والشعير) ودجنوا (الغنم والماعز والعجول والخنازير) وصنعوا أدواتهم من الحجارة (المجارش والرحى والفؤوس والمطارق)، وأدوات الزينة من الحجارة الكريمة ودمى طينية وأختام حجرية، كما صنعوا الابر والمخارز من العظم، هجرت بداية عصر البرونز ٣٠٠٠ ق.م. جرت فيه التنقيبات عام ٢٠٠٦ على يد بعثة فرنسية تحت اشراف جان دانييل فورست[٢].

---

(١)– راجع الموقع –١٠– تل خزنة.

(٢)– من أرشيف شعبة الآثار في القامشلي. راجع الموقع–١١– تل فارس الشرقي..أواني فخارية.

الفصل الثالث
الامارات الكردية في سوريا الشمالية

تمهيد:

قامت في العهود التي سبقت العهد العثماني دول في الجزيرة العليا، ومنها على سبيل المثال دولة المروانيين، التي أسسها شخص يُدعى (باز). امتدت رقعتها من أرديش (من أعمال أرمينيا) شمالاً، وحتى مشارف بغداد جنوباً، بما في ذلك آمد (ديار بكر) وميافارقين ونصيبين والموصل، لكن جيش الخلافة أجبرته على التراجع نحو الشمال وإخلاء الموصل عام ٩٦٤م، وحل محله ابن أخته أبو علي الحسن بن مروان بعد مقتله، الذي اتخذ من آمد عاصمة له، وبعد مقتل أبو علي عام ٩٩٧م تولى أخوه أبو منصور الحكم، لكن أحد قواته دس له السم فتوفي على الفور، فحل محله في الحكم أحد أقربائه، يُدعى أبو النصر أحمد، الذي حكم نحو نصف قرن، وحكم بعد وفاته عام ١٠٦١م ابنه نظام الدولة نصر، لكن نزاعاً نشب بينه وبين أخيه سعيد الذي استأثر بآمد، بينما انفرد هو بحكم ميافارقين، مما دفع بالسلاجقة إلى الاستيلاء على آمد وميافارقين وجزيرة بوتان، والقضاء على الدولة المروانية التي استمرت قرناً من عام ٩٩٠– ١٠٩٢م[١].

وفي العهد العثماني تمخضت جهود ادريس البدليسي كما أسلفنا عن اقناع أكثرية الكرد بالوقوف الى جانب الأمبراطورية العثمانية في مواجهة الامبراطورية الصفوية في معركة جالديران آب ١٥١٤، ونجم عن هذا التحالف الكردي مع العثمانيين ١٦ امارة كردية شبه مستقلة، ونحو ٥٠ سنجقاً.

وبخصوص كردستان سوريا كانت هناك ثمة امارات كردية وسناجق (مثل سنجق خلف آغا)، كانت تضم كل سوريا الشمالية، امتدت منذ مئات السنين وإلى عهد قريب نسبياً، وهي:

---

(١)– اسكندر داوود: الجزيرة السورية بين الماضي والحاضر – دمشق/١٩٥٩– ص٣٧و٣٨.

١ـ امارة جانبلات (١٦٠٧):

مركزها كلّس، وكانت تضم جبل كرد داغ (عفرين) ومنطقة حلب (قضاء اعزاز وقضاء الباب). وسبقتها في نحو عام ١٢٣٠م، امارة كلس التي تأسست: (بزعامة الأمير مَنْد في عهد الدولة الأيوبية، وبسطت سلطانها حتى حماه وحمص، وانضم إليها أكراد عشائر جومه وكلس من السنة والايزدية على حد سواء، ودام حكم الامارة حوالي ٣٧٠ عاماً، إلى أن انهارت في عهد الأمير علي بك جانبلاط عام ١٦٠٧)[١].

أسرة جانبلاط توارثت منذ القديم الحكم في كلس، وكان عميدها الأمير حسين، وحين توجهت جيوش الصدر الأعظم لغزو ايران، امتنع الأمير حسين عن المشاركة في تلك الحملة، فقتله العثمانيون، مما أدى ذلك إلى أن يذهب أخاه الأمير علي إلى حلب ويعلن العصيان ضد العثمانيين، وأغار على طرابلس الشام، وأخذ في حكم تلك الربوع وسك باسمه النقود، وألقيت الخطب باسمه في المساجد، كما عقد معاهدات مع حكومات ايطالية من بينها توسكانا، فعزم الصدر الأعظم على القضاء عليه، والتقى الجيشان ودارت معارك طاحنة بينهما، فانهزم الأمير علي، وعفا عنه السلطان أحمد وعينه أمير أمراء على إحدى مقاطعات النمسا، لكن هذا العفو لم يرق لمراد باشا، فأرسل من يقتله[٢]. وجراء ذلك تشتت القبائل الكردية في مناطق شتى.

٢– امارة بوتان في عهد الأمير بدرخان (١٨١٢–١٨٨٤):

مركزها (عاصمتها) جزيرة بوتان/ جزيرة ابن عمر[٣]. تولى الأمير بدرخان بن

---

(١)– علي شيخو: جبل الكرد إبان الانتداب الفرنسي – ص٧.

(٢)– محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان – الجزء الأول – مصدر سبق ذكره – ص ١٨٦و١٨٧.

(٣)– كانت تُدعى جزيرة الأكراد قبل أن يُطلق عليها العرب تسمية جزيرة ابن عمر في عهد الخليفة العباسي المأمون. كانت موئل العلم ومنبع الثقافة، ناهيك أنها كانت مركز القيادة السياسية. يجاورها جبل جودي الوارد ذكره في القرآن (واستوت على الجوديّ) (هود: ٤٤)، كان دجلة يحيط بها من ثلاث جهات، ثم حفرت قناة جرت فيها مياه النهر في الجهة الرابعة، فأضحت جزيرة تحيط بها المياه من كل الجهات (معجم البلدان – ج١٣٨/٢). غزاها العرب المسلمون تحت قيادة عياض بن غنم في عهد عمر بن الخطاب عام ٦٣٨م. تضم المدينة المدرسة الحمراء والمدرسة العبدلية المشهورتان تاريخياً، من أبنائها أبناء الأثير الثلاثة (مجد الدين، عزالدين، ضياء الدين)، واسماعيل بن الرزاز أبو العزالجزري الميكانيكي(الانسان الآلي – أسس الحاسوب – الساعات – مضخات رفع المياه..الخ). تشتهر بسورها وقلعتها وبرجا بَلَك والجامع الكبير وجامع النبي نوح.

الأمير عبدال خان[١] مقاليد الامارة عام ١٨٢١ بعد وفاة والده، وعمره لايتجاوز بعد/١٨/ سنة، ورفض دفع الضريبة السنوية للباب العالي أو الإيحاء لشباب الامارة لتعزيز وتوسيع الدولة العثمانية، ليصار الى تجنيدهم في ساحات الوغى التي لا ناقة لهم فيها ولا جمل، كما (جاهد لتأسيس كيان كردي مستقل)[٢]. واستأصل جذور الطائفية بين المسلمين والمسيحيين والايزيديين، كما تحالف مع ابراهيم باشا المصري في معركة نزيب قرب عنتاب، حيث انهزم فيها العثمانيون بداية، لكن تدخل الانكليز والفرنسيين أفسد هذا الانتصار[٣].

بسط الأمير بدرخان نفوذه في المناطق الممتدة من وان وسيرت وديار بكر وسويرك شمالاً حتى الموصل وسنجار جنوباً، ومن أورميا وأشنه و مهاباد وراوندوز والموصل شرقاً ولغاية ويران شهر غرباً واستولى على قلاع (سنجار، سعرد، ويران شهر، سويرك)، كما يقول محمد أمين زكي بك[٤]. وكان أميراً عادلاً بشهادة المؤرخ الأرمني سفرستيان: (لا مع الكرد فقط، بل مع الأرمن والكلدان والآشوريين، وتمتع المسيحيون في ظل حكمه بالحرية الدينية)[٥]، وأكسبته نزاهته وعدالته تلك تأييداً شعبياً قل نظيره، مما دفع مارتن فان برونسن الى القول بأنه جعل الامارة جنة أمن وأمان ورخاء، كما أقام مصنعين لصناعة البنادق و البارود (الذخيرة)، وباشر بصناعة السفن في بحيرة وان وسك العملة (النقود) الكردية باسمه عام ١٨٤٢، وكان أسمه يذكر في خطب الجمعة[٦].

كل ما ذكر دفع بالدولة العثمانية للقضاء عليه بشتى السبل[٧]، وذلك من خلال:١- تجزئة امارته، فالجزء الجنوبي بما في ذلك جزيرة ابن عمر أخضع

---

(١)- ولد في بلدة(الجزيرة) عاصمة امارة بوتان عام ١٨٠٢.

(٢)- خليل علي مراد(الدكتور) وعبدالفتاح علي البوتاني(الدكتور): صفحات من تاريخ الكرد وكردستان الحديث في الوثائق العثمانية ١٨٤٠- ١٩١٥- الأكاديمية الكردية/ أربيل ٢٠١٥ - ص١١.

(٣)- كونى ره ش: الأمير جلادت بدرخان/ حياته وفكره - تقديم: الأميرة روشن بدرخان - مطبعة الكاتب العربي/ دمشق ١٩٩٢ - ص١٤.

(٤)- محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان - الجزء الأول - مصدر سبق ذكره - ص٢٣٦.

(٥)- جيرارد جاليااند: شعب بدون وطن - مصدر سبق ذكره - ص٤٨و٤٩.

(٦)- صفحات من تاريخ الكرد وكردستان الحديث في الوثائق العثمانية - مصدر سبق ذكره - ص١٣.

(٧)- راجع الوثيقة رقم ٢٠.

للموصل، والشمالي لديار بكر، وقامت الدولة بتحريض واليي الموصل وديار بكر ضده. ٢- تحريض وتأليب الآثوريين النساطرة ضده وبالعكس، وتكفل المبشرون الإنكليز والأمريكان بذلك، حتى قيل أنه كان العامل المباشر والحاسم في سقوط الامارة صيف عام ١٨٤٧[١]، وأول خطوة خطاها الآثوريون النساطرة الامتناع عن دفع الضرائب المتوجبة أو المترتبة عليهم، وشقوا عصا الطاعة وتمردوا على بدرخان في ذروة صراعه مع العثمانيين[٢]، بتحريض مباشر من القنصل البريطاني في الموصل هنري لايارد، رغم اشتهار الأمير بدرخان بعدالته تجاه المسيحيين وإلغائه لكل مظاهر التمييز ضدهم كما أسلفنا، حينئذ قام الأمير بحملة تجاههم، فاتخذت أوربا (بريطانيا وفرنسا) الحملة ذريعة للتدخل وضغطت على الباب العالي، الذي انتهز بدوره هذه الفرصة للقضاء على الامارة. ٣- استطاعت الدولة العثمانية (تحديداً عثمان باشا الأعرج) عن طريق المخادعة، فتح ثغرة في الجدار الكردي الصلب عام ١٨٤٧من خلال استمالة قائد الجناح الشرقي لقوات بدرخان، المدعو يزدان شير (يعني أسد الله) [٣]، أو شراء ذمته ان توخينا الدقة، بعد أن اصطف الى جانب العثمانيين ضد عمه، فكان هذا الانشقاق في الصف الكردي من أهم عوامل القضاء على الامارة، ناهيك عن التدخل الإنكليزي - الفرنسي، تحت ذريعة الدفاع عن الطوائف المسيحية كما أسلفنا، مما اضطر بدرخان الى مغادرة عاصمته والتوجه الى حصن أرو[٤]. وبخذلان يزدان شير، ابن عم الأمير بدرخان، وفراره الى الموصل، لقي الترحيب من واليها وكوفىء بأن عين حاكماً على هكاري، كما استطاع العثمانيون في الوقت نفسه استمالة شيخ الطريقة النقشبندية صالح أفندي، والكثيرين من أعيان هكاري وزعماء العشائر وشيوخ آخرين من الطريقة النقشبندية، تحت ذريعة أن بدرخان بك خرج عن طاعة أولي الأمر. وهاهنا تتجلى ضحالة الحجج التي ساقها البعض: (لتبرئه ساحة الأمير يزدان شير من خيانة الأمير بدرخان، بحجة أنه كان سجيناً في الموصل) في تعقيباتهم على كتاب «البدرخانيون في جزيرة بوتان»، ومن

---

(١)- صفحات من تاريخ الكرد وكردستان الحديث في الوثائق العثمانية - المصدر السابق - ص ١٥.

(٢)- جيرارد جالياند: شعب بدون وطن/ الكرد وكردستان - مصدر سبق ذكره - ص ٤٩.

(٣)- ملاحظة: يرد اسمه في أغلب المصادر العربية عزالدين.

(٤)- جيرارد جاليايند - المصدر السابق - ص٥٠.

هؤلاء دلاور زنكي[1]. واضطر بدرخان أخيراً الى الاستسلام أمام الجيش العثماني الذي يفوق قواته عدداً وعدة في ٢٩ حزيران ١٨٤٧، فنفي الى جزيرة كريت، ثم الى دمشق حتى وافته المنية عام ١٨٦٩[2]، دفن في مقبرة الشيخ خالد النقشبندي في حي الأكراد بدمشق.

لم يمضِ وقت طويل حتى قام يزدان شير بشق عصا الطاعة في مواجهة العثمانيين بعد حرب القرم بتحريض من روسيا، واستأنف الثورة التي لاقت تأييداً شعبياً واسعاً ليس من قبل الكرد فحسب، بل من قبل الآشوريين والأرمن والعرب واليونان، وبلغ عدد الثوار (١٠٠) ألف مقاتل عام ١٨٥٥، ودارت بينهما رحى معارك طاحنة، وامتدت سلطة الثورة في المنطقة الفاصلة بين وان وبغداد، لكنها انتهت بالانكسار بعد أن سلم قائدها نفسه على أثر وعد كاذب من نمرود رسام، المبعوث البريطاني بالتفاوض مع العثمانيين حول استقلال كردستان[3]، وبوصوله الى استانبول، على أمل بدء المفاوضات مع الباب العالي تحت الرعاية البريطانية، ألقي القبض عليه. وتحول يزدان شير على أثر ذلك إلى بطل ملحمي، ومُجِّدَ في المخيال الشعبي الكردي، وشق طريقه إلى الأدب الشفاهي الكردي والملاحم الغنائية من الأغاني الفولكلورية.

٣- امارة ابراهيم باشا الملّي (١٨٤٥- ١٩٠٨):

لقب ابراهيم باشا بملك كردستان غير المتوَّج، وهو إبن معمو بن تمو بن محمود بن تمو بن محمود بن بشار بن محمود بن كلش عبدى (تمو تحوير وتصغير لـ: تمر، وهي عادة متبعة لدى الكرد)[4]. وكان التحالف القبلي الملّي يضم:

- الباشوات، خدركان، كوران، كم نقش، جمكان، هاجكان، جبكان، دوكان، مندان، ناصريان، شيخان، صوركان، محليان، متينان، سيدان، جملدينان، مشكوية، رشان، بركمان، ديوان، تركهان، كجان، ايزولا، الطرن، حيدرا، دكرليه،

(١)- د. خليل علي مراد و د. عبدالفتاح علي بوتاني: صفحات من تاريخ الكرد وكردستان في الوثائق العثمانية١٨٤٠- ١٩١٤ - ص٣٢ - مصدر سابق - أنظر الهامش في ذات الصفحة أيضاً.

(٢)- عام ١٨٧٠ وفق كونى ره ش.

(٣)- جيرارد جاليازد: شعب بدون وطن/ الكرد وكردستان - مصدر سبق ذكره - ص٥١و٥٢.

(٤)- أحمد محمود الخليل(الدكتور): الشخصية الكردية - مصدر سابق.

بادلية، برازيـة، خلجـان، قـره كـيج، الايزيديـة (شـرقيان والدناديـة). وعشـائر جـبرا وحسنا وقزلباش تعد نفسها من التحالف الملّي.

– أما العشـائر العربيـة مـن التحـالف الملّـي، فهـي: جـيس، العـدوان، العـبرة، البكارة، البوشعبان، الشرابيون، حرب. وأقسام من شمر مثـل: العمشـات، الصـايح، الغداقة، العامود أيضاً من التحالف الملّي. وكانت علاقـات ابـراهيم باشـا وطيـدة مـع العنزة، السبعة، الحسنة، أما علاقاته مع الشمر فكانت مضطربة، وكانت بينه وبينهـا حروب وعداء، بينما علاقاته مع الجبـور والعكيـدات والطـي كانـت جيـدة، خصوصـاً الأخيرة، حيث صلة الخؤولة، لأنها كانت عشيرة أخواله.

مركز الامارة أو عاصمتها هي (ويران شهر/ كانت تسمى السويداء أيـام الفـتح الاسلامي)، وتقع في كردستان تركيا، على بعد ٤٠ كم شمالي الحدود السـورية، وكـان ابراهيم باشا يقيم فيهـا في فـترات معينـة مـن السـنة وتحديـداً بعـد انقضـاء الشـتاء، فيمكث فيها بعض الوقت ليتوجه إلى مصـيفه في جبـل قـره داغ، وفي الخريـف يتجـه صوب جبل عبدالعزيز والسهول المحيطة به[1]، وكانـت الامـارة الـتي تزعمهـا ابـراهيم باشا في أواخر القرن التاسع عشـر المـيلادي، أو شـبه الامـارة كمـا وصـفها الـبعض، مترامية الأطراف، امتدت حدودها لتشمل الأراضي الواقعة بين أرزنجان شمـالاً وديـر الزور جنوباً والموصل شرقاً ونهر الفرات غرباً[2]، لكنها توزعت فيما بعـد بـين تركيـا وسوريا والعراق عقب سايكس – بيكو وبعد وترسيم الحدود. وكان ابراهيم باشا أكبر ملاك (اقطاعي) في الشرق الأوسط، فقد كانت بحوزته سندات تمليك بما يقـارب سـتة آلاف كيلو متر مربع أي أكثر من نصف مساحة لبنان. بعد ترسيم الحدود بين تركيـا وسوريا، لم يبقَ سوى جزء بسيط منها بحوزته في سوريا.

قاد ابراهيم باشا اتحاد عشائر، تأتي الملّيـة في مقـدمتها، وانخـرط في الفرسـان الحميدية، التي أنشأتها السلطات العثمانية تيمناً باسم السلطان عبـد الحميـد بهـدف (تحويل العشائر الكردية إلى قوة احتياط، للسـيطرة عليهـا، ومـن أجـل الحفـاظ علـى

---

(١)– محمد علي بك ابراهيم باشا: أمير أمراء كردستان(ابراهيم باشا الملّي) – الأكاديمية الكردية/ اربيل ٢٠٠٩ – ص٨١.

(٢)– المصدر السابق – ص١١. راجـع أيضـاً(محمد جمـال بـاروت: التكـوّن التـاريخي الحـديث للجزيـرة السورية ـ المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ـ ط١عام ٢٠١٣/ بيروت ـ ص٩٨).

سطوة السلطان، وضرب الحركات القومية للشعوب غير التركية بما في ذلك نضال الشعب الكردي نفسه، واعدادها للاشتراك في الحرب ضد روسيا.. فكان على العشيرة التي توافق على الانضمام إليها تقديم فارس واحد عن كل عائلة.. وعلى الفارس أن يكون له حصانه أو فرسه.. وكان الفوج يضم من ٣– ٦ كتائب، والكتيبة تضم من ٣– ٤ سرايا، وكل سرية تضم من ٢٠– ٣٠ فارساً.. كل عشيرة تنضم إليها يعفى أفرادها من أداء الضرائب والرسوم لخزينة الدولة، فيما عدا ضريبتي العشر والأغنام اللتين أثقلتا كاهل الفلاح.. وتقرر منح كل عشيرة حميدية أراضي أميرية خالية.. وأمر السلطان عبد الحميد بمنح بعض رؤساء القبائل الهدايا وأوسمة وألقاباً رفيعة كالباشا، وهي بمنزلة ومقام الجنرال/ الزعيم)[1]، وكان ابراهيم باشا يقود خمسة ألوية من مجموع سبعة ألوية – اللواء كان عدد عناصره بين ١٠٠٠– ١٢٠٠ فارس، ونال لقب الباشا، وأخضع عشيرة قره كيج له عام ١٩٠٤، كما يقول محمد أمين زكي بك في كتابه خلاصة تاريخ الكرد وكردستان[2]، إلا أن القوات العثمانية ألقت القبض عليه قرب جبل عبد العزيز وقتل عام ١٩٠٨ (بمساعدة الشمر)[3]. تميزت علاقته بـ (المسيحيين، على مختلف طوائفهم، بطابع الرعاية والحماية وتوفير الأمن، بل وأكثر من ذلك إنقاذ العديد منهم أثناء تعرضهم للمذابح الوحشية)[4]، فقد كان حريصاً على ثقة (المسيحيين المحليين)[5] مما حدا بالمغنين الشعبيين إلى نسج ملاحم بطولية عن سجاياه. وكان نفوذ زوجته (خنسة) خانم الكردية من خلجان يوازي نفوذ زوجها ابراهيم باشا، وكانت تجلس في ديوانها الخاص وتستقبل الضيوف (شيوخ، أغوات، عامة الناس)، وهم يقبلون رأسها تقديراً. كانت عادة جلوس المرأة على كرسي الزعامة جارية في العرف الكردي، فقد اشتهرت نظيرتها خان زاد السورانية مثلاً في القرن السابع عشر في حكم الامارة.

---

(١)– أحمد بشير محمد(الدكتور): دراسة حول عشيرة هَسِنا – مراجعة: د. عبدالفتاح بوتاني – ط١عام ٢٠١٣/ مطبعة جامعة دهوك – ص٢١و٢٢.

(٢)– محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان – الجزء الأول – مصدر سبق ذكره – ص٢٥٦.

(٣)– راجع(لازاييف وآخرون: تاريخ كردستان – ص١٦٧). لكن – وفق أغلب المصادر – توفي.

(٤)– محمد علي بك ابراهيم باشا: أمير أمراء كردستان – مصدر سابق – ص٧٧و٨٧.

(٥)ـ محمد جمال باروت:التكوّن التاريخي الحديث للجزيرة السورية ـ المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ـ ط١عام ٢٠١٣/ بيروت ـ ص٩٨و٩٩.

وفي لقاء أجرته مجلة الحوار[1] مع حفيد ابراهيم باشا، السيد محمد علي، أفاد قائلاً: كان جدي ابراهيم باشا يطمح لانشاء كيان كردي. كما استولت الدولة على ممتلكاتنا، ولم تبقَ في حوزتنا إلا اليسير، ووزعتها على العرب والمغمورين الذين استقدمتهم الدولة من الرقة وحلب والشركة الليبية – السورية. فضلاً عن ذلك – وما زال الكلام لحفيد ابراهيم باشا – كان لجدي (٥٠٠) قطيع من الغنم.

إلتقى أولاد ابراهيم باشا (اسماعيل بك وتمر بك) بالجنرال الفرنسي (ديلاموت) في حلب، وعقد اتفاق بين الطرفين نص على منح الكرد حكماً ذاتياً في المناطق الكردية، شرط قيام الكرد بطرد المخافر التركية التي مازالت في مناطق ديرالزور، وهذا ماجرى فقد أزيلت المخافر التركية، وتمكن الكرد من الوصول إلى البوكمال[2]، ورغم هذا الأمر فقد تراجعت فرنسا عن عهودها، ولم تولِ نص الاتفاق أي اهتمام، جراء معارضة تركيا من جهة بسبب تخوفها من أن يكون هذا الأمر إن تحقق حافزاً للكرد في تركيا للمطالبة بالمثل بعد ترسيم الحدود وفق الاتفاق التركي – الفرنسي ١٩٢١. وهاهي ذي تركيا تعيد نفس السيناريو بعد قرن من الزمن، وتصرح علانية بأنها ستكون بالمرصاد ضد أي كيان كردي قد يُنشأ في الشمال السوري !.

ألا يدل كل ما ذكر على قِدَم الكرد هاهنا ؟ وبأنهم يعيشون على أرضهم التاريخية، رغم تقلصها وترقيقها، جراء سياسات التعريب المنظمة في التاريخ المعاصر؟.

---

(١)– مجلة الحوار: العددان ١١و١٢– ربيع وصيف ١٩٩٦.

(٢)– علي صالح ميراني: الحركة القومية الكردية في كردستان سوريا ١٩٤٦– ١٩٧٠ – ص٦١.

الفصل الرابع
الجغرافيــا الاجتماعيــة

مدخل:

ذكر أحمد وصفي زكريّا – بعد الحاق هذا الجزء الكردستاني بسـوريا الناشـئة وترسيم الحدود بين تركيا وسوريا – في كتابه: «عشائر الشّام»، قائلاً: يكثـر وجـود الكرد في شمالي بلاد الشام على طول الحدود التركيـة ويقـل وجـودهم في وسـط بـلاد الشـام. ويشـير في الوقـت نفسـه إلى الكـرد في (جبـل الأكـراد)، في قضـاء الحفـة مـن محافظة اللاذقية بين جسر الشغور و اللاذقية، ناهيك عـن حـي الأكـراد والصـاحية في دمشق وأكراد ابراهيم في قرى وعر حماه غربي العاصي، موضـحاً بـأن مجـيء الكـرد إلى وسط بلاد الشام قديم: (ربما كان أول من أتى بهم هو عامل حمص شـبل الدولـة نصر بن مرداس سنة ٤٢٤هـ، وأسكنهم في حصن الصفح، ليحفظوه ويصونوا الطريق بين حمص وطرابلس، فسمي الحصن منذ ذلك الحين حصن الأكـراد، وهـو في قضـاء تلكلـخ)[١]، وكـان ذلـك قبـل الغـزو الصـليبي، ثـم كثـر توافـد الكـرد في عهـد دولـتي نورالـدين زنكـي وصـلاح الـدين الأيـوبي، وأغلـب هـؤلاء ذابـوا في المحـيط العربـي (استعربوا). ويذكر أيضاً من أكراد وسط بلاد الشـام آل مرعـب في قضـاء عكـار[٢] في لبنان والذين اسـتعربوا بـدورهم، وكـان جـدهم علـي الأسـعد المـرعبي قـد نـال لقـب الباشا، وكان حاكماً على طـرابلس وأقضـيتها، ويضـيف إلـيهم آل الـبرازي في مدينـة حماه الذين قدموا إليها من نواحي الرها. كما يسكن الكرد شمالي سهل العمق وجبل الكرد (كرد داغ/ عفرين)، وأقضية اعـزاز والبـاب وجـرابلس وكوبـاني والجزيـرة. أمـا علي سيدو كوراني فيشير بدوره إلى الظروف السياسـية الـتي كانـت مـن وراء إلحـاق الكرد ببلاد الشام، ويقول أنهم سكنوا المنطقة منذ القرن الثالث الميـلادي علـى أقـل تقدير.

(١)– أحمد وصفي زكريا: عشائر الشام – الجزء ١و٢– ص٦٥٧.

(٢)– نسبة إلى منطقة هكاريا في كردستان تركيا التي جاؤوا منها.

ويقول الدكتور سعد ناجي جواد: تمتد المناطق التي يسكنها الأكراد في سوريا على طول شريط حدودي شمال سوريا، بمحاذاة الحدود التركية – السورية وحتى الحدود السورية – العراقية – التركية، وهم يشكلون أغلبية ظاهرة في تلك المناطق، بالاضافة إلى ذلك توجد تجمعات سكانية كردية في كل من محافظة حلب ومحافظة دمشق ومحافظة الرقة. ويضيف بأن نسبة الكرد: (في المناطق الكردية تصل إلى ٨٠٪ من مجموع الأكراد العام، في حين أن الـ ٢٠٪ الباقين يسكنون في المدن السورية الكبيرة مثل دمشق وحلب وحماه واللاذقية)[١].

وفيما يتعلق بأصالة الكرد في سوريا، يقول: (الكتابات التي تمثل وجهة النظر الكردية وبعض الكتابات المحايدة تؤكد على حقيقة أنهم شعب أصيل في المنطقة، وعلى أنهم سكنوا هذه البقعة منذ آلاف السنين... في حين أن كتابات أخرى، وفي الغالب تمثل وجهة نظر عربية متطرفة، تؤكد على أنهم تجمعات بشرية قدمت أو نزحت إلى المناطق الشمالية من سوريا على شكل موجات بشرية في الفترة مابين القرنين الحادي عشر والثالث عشر، وخاصة في عهد الأيوبيين)[٢]. ويشير الدكتور سعد ناجي جواد على هذا الصعيد إلى دراسة محمد طلب هلال السيئة الصيت، ويمضي قدماً في الرد على أمثاله فيقول: (هناك من الشواهد ما تؤكد أن قسماً كبيراً من أكراد المنطقة الشمالية في سوريا هم أبناء المنطقة الأصليين الذين توارثوها عن أجدادهم منذ آلاف السنين، فالمنطقة تعتبر جغرافياً منطقة مكملة لكردستان ولا يفصلها عنها أي مانع طبيعي، كما أن هناك بعض المصادر التي تؤكد على ان هنالك بعض العشائر التي تسكن منطقة أعالي الجزيرة، مثل عشيرة الكيكية، كانوا قد وجدوا في المنطقة قبل تأسيس الدولة الأيوبية، هذه الدولة التي تؤكد بعض المصادر أن تأسيسها كان سبباً مشجعاً لعدد غير قليل من القبائل الكردية على النزوح إلى سوريا، فسكنوها، وفي الغالب فان هؤلاء النازحين سكنوا المناطق الشمالية الغربية من سوريا... ولابد من التذكير هنا بأن المجموعات التي نزحت في

---

(١)– سعد ناجي جواد (الدكتور): الأقلية الكردية في سوريا – وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – جامعة بغداد/ كلية العلوم السياسية/ مركز دراسات العالم الثالث – بغداد ١٩٨٨ – ص٦. وراجع أيضاً أحمد باكسي وريبر كرد داغي: مجلة الحوار – العددان ٣و٤/ شتاء وربيع ١٩٩٤.

(٢)– المصدر السابق – ص٦.

عهد الأيوبيين كانت قد فعلت ذلك في الفترة مابين القرنين الحادي عشر والثالث عشر، وبهذا فلا يمكن اعتبارها أقواماً طارئة على المنطقة بأي شكل من الأشكال)[١]، وهذا لا ينفي تلك القلة القليلة من الكرد الذين نزحوا من تركيا هرباً من ظلم العثمانيين وفي عهد أتاتورك، ومعظمهم كانوا مناضلين سياسيين ومثقفين، أي نخبة.

أولاً: البنية الاجتماعية والتوزع الجغرافي للعشائر الكردية

بداية أحب أن أنوه بأن بنية مجتمعنا الكردي تاريخياً كانت قبلية، وهي بمثابة مفتاح لدراسة مجتمعنا في كردستان سوريا وفهمه. وكانت العشيرة كمكون وكيان اجتماعي تمارس دوراً ادارياً وقانونياً وسياسياً واقتصادياً وقومياً تاريخياً، في ظل ضعف دور الدولة، لكن انحسر هذا الدور بشكل مضطرد في العقود القليلة الأخيرة[٢] خصوصاً بعد ضم هذا الجزء إلى سوريا، حيث تضعضعت العشيرة وأصيبت بكثير من التشتت وأصابها الوهن، ورغم أن غسان سلامة يقول[٣] بأن: (الروح القبلية قوية للغاية لدى الكرد، ومن الصعب حتى اليوم على أي كردي أن يلعب دوراً سياسياً بارزاً ان لم يكن في أصوله من شيوخ القبائل)، الا أنني أشك في هذا القول، فهو ان صح قديماً الا أنه اليوم لا يتسم بالدقة خصوصاً في كردستان سوريا، وهو – ربما – ناجم عن الجهل بمجتمعنا والتحولات التي جرت فيه في كافة الميادين.

قامت البنية القبلية على لبنات أساسية تُدعى العشائر أو فيدراسيون (اتحاد)عشائر، وهذه الظاهرة – أعني العشيرة – هي ظاهرة عامة في تاريخ البشرية ولها أهميتها في الدراسات التاريخية – الاجتماعية، من هنا سرُّ اهتمام أمثال مورغان وانجلس بها قديماً، وكذلك اسماعيل بيشكجي حديثاً، وقد تناول الأخير في أطروحته الجامعية عشيرة (آلِكان) إحدى العشائر الـ (كوجرية) الهفيركية/ الرحالة بالدراسة.

هناك ثمة فارق في مجال النسب، كما جاء في عشائر العراق لعباس العزاوي، بين العشيرة العربية ونظيرتها الكردية، وهذا ما أوضحه الاستاذ الدكتورعبدالفتاح

---

(١)– المصدر السابق – ص٧.

(٢)– علي مسلم – مصدر سبق ذكره – ص٧٩.

(٣)– راجع: المجتمع والدولة في المشرق العربي.

بوتـاني مـن أن تنسـيب العشـيرة الكرديـة الى جـد أو سـلف، يخـالف طبيعـة البنـى الاقتصادية – الاجتماعية الكردية، لأن الكردي يرتبط بالمكان أو الجغرافيـا، بمعنـى أن العشيرة هي عشيرة أرض وليست عشيرة نسب كما عند العرب(١).

يضـاف الى ماقيـل، فـان هنـاك ثمـة فـروق أخـرى علـى صـعيد نظـام الهجـرة وطبيعتها، لأن البدو العرب كانت هجرتهم عامة ومستمرة، وغير مقيدة بموسم محدد، وقلما يستقرون في مكان، بل تجدهم دائم الترحال بحثاً عن الماء والكـلأ. أمـا الرعـاة الكرد فكانت هجرتهم جزئية ومؤقتة ومحـددة، فكـانوا يرتـادون المنـاطق الجبليـة أو الهضـبية (زوزان Zozan: المصـايف) في الربيـع ويعـودون إلى منـاطق سـكناهم في السهول والأودية (كرميان Germiyan: المشاتي) في الخريف بحثاً عن المراعي الغنيـة حيث تنتظـرهم البقيـة الباقيـة مـن أفـراد العشـيرة أو القبيلـة، قبـل ترسـيم الحـدود المجزئة لبلادهم كردستان، بين سوريا وتركيا من جهة، وبين سوريا والعراق من جهـة أخرى(٢)، وقبل فرض الرقابة الصارمة وزرع هذه الحدود بالألغام والأسـلاك الشـائكة ومخافر المراقبة على الحدود التركية – السورية خاصة. مامن شك أن العقلية القبليـة كانت تعد احدى أهم العقبات التي كبحت ولادة الشعور القـومي وارتقائـه الى مسـتوى

---

(١)– راجع تقديم وتعليق أ. د. عبدالفتاح بوتاني لكتاب مارك سايكس: القبائل الكرديـة في الإمبراطوريـة العثمانية – ترجمة: أ.د. خليل علي مراد – دار الزمان/ دمشق – ط١ عام ٢٠٠٧.

(٢)– تناول أدبنا الشفاهي هذا الارتحال للرعاة الكرد بين الجبال والسهول. فيُحكى أن كردياً مـرّ أثنـاء عودته من الطاحونة الكائنة في القرية المجاورة بالقرب من شجرة، فلاحَ له عش طائر جبلي مغرد علـى أحد أفنانها، وكان هذا النوع مـن الطيـور لايعشـش ويبـيض أو يفـرخ الا قـرب حلـول الربيـع وايـذاناً بقدومه. فما كان منه الا أن زفّ الخبر لمجايليه، فأجمعوا على الترحال بقطعـانهم الى جبـال هَرَكـول. في الطريق الى الجبال تعرضوا لعاصفة ثلجية دامت لأيام قضت على قطعـانهم، فمـا كـان مـنهم الا أن يلوذوا بالفرار والعودة الى السهول. وفي طريق العودة، مروا بتلـك الشـجرة، فـدفعهم الفضـول الى تفقـد أحوال الطائر، فألفوه متجمداً من شدة البرد مع فراخـه في العـش، جـرّاء موجـه الـبرد القـارس تلـك، حينها تفتقت قريحة أحدهم بهذا المقطع الغنـائي الـذي اقتبسـناه مـن كنـوز أدبنـا الشـفاهي، والـذي لايخلو من الطرفة، ويندرج في اطار الرباعيات:

Teyrê toratanî
Te qenc bi rewşa salê nizanî
Te mala xwe xirakir
Û te ya me li ser danî

الوعي القومي، ومازالت رواسب الذهنية القبلية تؤثر بهذا القدر أو ذاك في مسيرة الحركة السياسية الكردية المعاصرة، من هنا تتأتى أهمية تسليط الضوء على البنى الاجتماعية للمجتمع الكردي، لفهم تاريخنا القديم والحديث.

١ – في الجزيرة:

١– قبيلة كوجر: تعني (Koçer) في الكردية البدو الرُّحَل، حيث كانوا دائم الارتحال بالدواب (ومنها البغال) بين الـ (زوزان: المصايف) في جبال هَركَول وغيرها شمالاً، والـ (كرميان: المشاتي) جنوباً، وصولاً إلى جبل شنكال، إلا أن حركتهم هذه كانت أشبه بحركة رقاص الساعة، بمعنى أنها كانت موضعية جغرافياً، لكن حركتهم تلك أيضاً اختفت، خصوصاً بعد ترسيم الحدود الدولية. والكوجر ينقسمون إلى (ميران)و (شلت). ويقول شرف خان البدليسي بأن ميران من نسل الأمير عفدال بن سليمان كبير أمراء قلعة (فنك). وتنقسم ميران إلى ثمانية أفخاذ، هي:

١– بَرْ كَلَهي: بزعامة آل الباشا

٢– وارَ سَري: بزعامة آل أوسِفى ري سبي

٣– سينِكا: بزعامة آل عمر عليان

٤– عَليوكا: بزعامة مَحْمَه خوخكِا

٥– إيسكا: بزعامة سليمان خالد

٦– أرْمَدَلا وآفدْدَلا: بزعامة اسماعيل أيوب

٧– بَرْزَري: بزعامة حسو رَش آغا

٨– كوتولي: بزعامة كول مَحَمَه

ويقول مارك سايكس بأن (موسى رشان، خيركان، تَيان) تنحدر من الميران، كما يوافق كل من بيير رندو ورجيه ليسكو على أن موسى رشان تنحدر من الميران[1].

تطل منطقة كوجرا شمالاً على دشتا هَسِنا، وجنوباً المناطق العربية، وشرقاً الحدود العراقية، وغرباً عشيرتا بيدارا وآباسا. كان بينهم وبين الشمر عداء سابقاً وبينهم وبين الطي صداقة. تزعمهم مصطفى باشا (مصطفى بن تمر آغا بن ابراهيم آغا الأول بن محمد بن هُسام بن عبدالكريم بن كُم سور آغا بن دَلى)، ودَلى كان

(١)– عيسى ابراهيم قاسم: الميران في إمارة بوتان – ط١ عام ٢٠٠٧– دار الينابيع/ دمشق – ص١٧.

ايزيدياً من عشيرة (دِنّا). جدير ذكره أن مصطفى باشا كان مشاركاً في الفرسان الحميدية التي ساهمت في حرب البلقان، وضد روسيا القيصرية أيضاً. توزعت القبيلة بعد سايكس – بيكو بين كردستان سوريا (٣٠ قرية) وكردستان تركيا وكردستان العراق (زمار وآسكي موصل).

قراهم في كردستان سوريا، هي: بَرّوز (قره جوخ)، كِر كَندال، كَلْهى، تل خنزير فوقاني، تل خنزير تحتاني، كِر خَردَل، قُل دومان، سويدية، كِرَ سور، سَبع جفار (سى كرا)، تَبْكى، بَستا سوس، حمزة بك، كِركى حيولْ، بانى شكَفتى، علي كاميش، شرِّك، كانيا دريز، مَرجى، حنيوية التي أهداها آل باشا لوالد المغني الشعبي الشهير سلو كورو، لكن بعد عام ١٩٤١ منحتها فرنسا للمسيحيين، وهناك قرى باعها آل باشا.

واتحاد عشائر كوجر يُدعى (جوخ سور)، أي أصحاب السترة الحمراء، كانوا يعيشون تحت بيوت الشعر حتى منتصف القرن الماضي.

٢– هَسِنان: تسكن منطقة ديرك على طول الحدود التركية، بين دجلة شرقاً ونهر سفين غرباً، كان آل مصطفى يترأسون العشيرة، ومن أفراد العائلة عمر آغا مصطفى وأولاده، ثم برزت عائلة ميرو، ومنها حجي دهام ميرو[١] من قرية موزلاني. تتوزع العشيرة في ٢٥ قرية في كردستان سوريا منها قرى: زهيرية وخراب رشكى وبليسيى وموزلان وسى كِركا وكرِك ومام شير وزغاط وخان مشك وكاني مطربى وبيدارى وتل دارى وكِرى فِرا Girê vira وحاجي هارون وشَكرخاجي وكاني كَرْكى وحاكامى وحيماتا وتليلون. وفي كردستان الجنوبية على نحو الخصوص والشمالية أيضاً. بينهم من قبائل أخرى (كوجر، جِزَري، سريان...الخ، خصوصاً في مدينة ديرك وعين ديوار). كان أمراء بوتان يعتمدون على الهسنا لضبط أحوال الامارة في الداخل، وكذلك ضد الأعداء في الخارج، وكان: (كجل علي من رؤساء الهسنا البارزين، فقد منحه أمير بوتان أراضي سهلية شاسعة جنوب غرب جزيرة بوتان حيث استقروا فيها منذ أكثر من ثلاثمائة عام، وتسمى بسهل الهسنا/ ده شتا هه سنا، لقاء خدماته واستبساله في محاربة أعداء الامارة الكردية)[٢].

---

(١)– (١٩٢١– ٢٠١٠): ترأس (البارتي) في بداية سبعينيات القرن الماضي، وأمضى سنوات في السجن مع كوكبة من رفاق دربه، جراء تنديد الحزب بالحزام العربي في منطقة الجزيرة، من خلال بيان.

(٢)– أحمد بشير محمد (الدكتور) – مصدر سبق ذكره – ص ١٢.

تميزت هذه العشيرة بالامتناع عن دفع الخوّة إلى قبيلة شمّر التي كانت تمارس الغزو والسلب قبل توطينهم في شمال سنجار في الثلاثينات من القرن العشرين[١]، كما رفضت الانخراط في صفوف الفرسان الحميدية أيضاً، لكن العشيرة وقفت إلى جانب الأمير بدرخان وأمدته بخيرة شبابها، فاضطرت تحت ضغط السلطات العثمانية إلى ترك ديارها في جزيرة بوتان عام ١٨٧٩ والهجرة إلى (منطقة زمار للاستيطان فيها، بنت المساكن والدور، وشيدت القرى، وحافظت على كردية المنطقة، بعكس ما كانت تحدث في المناطق الأخرى، حيث كان التواجد الكردي ينحسر دوماً أمام زحف القبائل العربية القادمة من الجنوب والغرب منذ أيام الدولة العباسية ولغاية تأسيس الدولة العراقية في عام ١٩٢١)[٢]، وشاركت في ثورة الشيخ سعيد وثورة أيلول تحت قيادة الراحل مصطفى بارزاني، لذا انتقمت الحكومة العراقية من أفرادها وقامت بترحيلهم والاستيلاء على أراضيهم عام ١٩٧٤ ووزعت الهَسِنا على القرى العربية بغية صهرهم وتذويبهم.

٣- آباسا: تسكن غربي ديريك، بين هسنان والكوجر شرقاً حتى نهر حليق غرباً، يسكن المنطقة أيضاً (أومركا، بيدارا، سَيّدا)، منطقتها انقسمت بين تركيا وسوريا بعد ترسيم الحدود، عدد قراهم في كردستان سوريا ١٢ قرية.

٤- أومَرْكا: تنقسم كسائر العشائر الكردية بين تركيا وسوريا بعد ترسيم الحدود،بعض المسيحيين يفتخرون بأنهم من الأومركا. قرى أومركا في كردستان سوريا ١٠ قرى، منها كركى لكي، دو كركا، تل جمان...الخ التابعة لديريك، ولهم قرى في أطراف الدرباسية أيضاً. أومركا لهم علاقات مع عرب الشمر و الشرابيين. عشيرة أومركا وعشيرة كاسكا (التي تقطن سنجق خلف آغا)، تزعمان أنهما من أصل واحد.

٥- آليان: ينتشرون بين رميلان شرقاً ونهر قترانية[٣] غرباً، يتوزعون في ٥٥ قرية، ٣٦ منها في كردستان سوريا والباقي في كردستان الشمالية. كان عبدي آغا المرعي يتزعمهم، وكان بينهم وبين شمر الخِرصّة عداوة سابقاً، وكانت تربطهم

(١)- المصدر السابق - ص١٧.

(٢)- المصدر السابق - ص١٦.

(٣)- وهو أحد روافد نهر الجراح، ونهر الجراح هو أحد روافد الخابور، والأخير من أهم روافد الفرات.

صداقة مع الطي. من قراهم ديرونا آغى، شبك، نبي سادي، خرابى رَش، كفرى دَنا، باترزان، خُشيني...الخ.

٦- آشيتي (سنجقا خلف آغا): يقيمون في منطقة تمتد من شرقي نهر الجراح وحتى تخوم مدينة قامشلي غرباً، قراهم كثيرة داخل كردستان سوريا، وتكثر عشائرها، وهي:

- كاسكا: تتزعمها عائلة أحمد اليوسف، قراها: خراب العبد وسيحا الكبيرة وسيحا الصغيرة كِرى سوير ولَيلان ولَيلان الصغيرة (كُندكى حجي عباس) وسوكِيا وبليج وكِركى زيرا وحِمّارا وآرزانا وخراب الجحاش ورِحَيا ومشيرفا وتل حبش وتل طحين وأم دِويل وخربة ديب (أعطيت لعشيرة حجي سليمانا) وزورافا وإزناورى (في كردستان تركيا).

- محلمي: يتزعمها آل غيدا، قراها: سِحل وخزنا كبيرة وخزنا صغيرة وخريجكا وبويرا وتل غزال ومرجان وخزنا أحمدى أوسفى عتمين ونعمتية وفارقين وكندكى خليل وخويتلا.

- الحاجي سليمانا: قراها تل شعير وبياندور وحلوة وخربة الديب وشلهومي وكرديم حليمى وأومريكى ودكشوري وحاصود، يتزعمها آل عَلى.

- دلْ مَمكا: وتتبع قبيلة هفيركا، قراها: كرديمى برو وخزيموك.

- كِرَسا: قراها تنوري وشورك، يتزعمها آل حسن ابراهيم.

- دوركا: قراها دُكِر Dugir وبيازا الكبيرة وبيازا صغيرة وكرداهول ونصران وأبو حجيرا وتل برهم، ويتزعمها آل عبيس (عباس). ولها تواجد واضح في منطقة آليان أيضاً.

- برازا: قرية العنترية التي أضحت الآن جزءاً من مدينة قامشلي.

- جَوْدِكا: قراها تل جيهان وكُطبة، يتزعمها آل ججين (ججان).

- شابزني: قراها جمعايى ونعمتيى.

- سيِّد: قرية كندك سيد.

وهناك أفراد من عشائر مختلفة يتناثرون في قرى سنجقا خلف آغا، مثل: دَيْوانا، مِهاجرا، هَرْمِيسا Hermêsa...الخ.

٧- **هفيركا:** تتوزع دينياً بين الاسلام والايزدية والمسيحية، تسكن قبور البيض (تِربه سِبي) وماحولها، أغلب قراها في كردستان الشمالية وبعضها في كردستان سوريا، وكان حاجو آغا يتزعمها. استولت الدولة في عهد البعث على كل ممتلكات آل حاجو، تحت ذريعة اجراء الاصلاح الزراعي، حتى أضحوا بين ليلة وضحاها صفر اليدين ومجردين من الأرض، وكان اجراءً سياسياً وتعسفياً ومدروساً بلا شك.

٨- **بوبلانا:** في غرب القامشلي، يتوزعون في ١٠ قرى، زعيمهم من بيت كاسو في كردستان الشمالية.

٩- **ميرسيني:** ينتشرون في شرقي عامودا، في ١١ قرية، كان يتزعمهم عبدي خلو.

١٠- **بينار علي:** تنتشر بين القامشلي شرقاً وعامودا غرباً، وهي تتألف من (تَمِكا وميرسيني وبوبلانا وكوجَكا)، وأغلب الكوجَكا يقيمون في كردستان الشمالية.

- تَمِكا: ينتشرون في غرب القامشلي في نحو ٢٥- ٣٠ قرية، منها: خراب كورت، هيمو، تل شعير، نَجِم، كرباوي، عاكولى...الخ.

- ميرسيني: ينتشرون إلى الغرب من تمكا، وكانت العداوة قائمة بينهم وبين الجبور، من قراهم: كوتيا، توبز، أولجيا، علي فرو، كر سور Gir sor، حجي ناصرى، خربى كُرُما.

- بوبلانا: قراهم دودا، جامِرْلو، ألو، آتيش، خاشوكا، ناروز[1].

١١- **ملانى خِدر آغا:** يُقال أن هناك صلة قرابة بينهم وبين مِلانى كلش (باشى) ثم حدث الانقسام بينهما، تنتشر بين عامودا والحسكة لمسافة ٨٠ كم وعرض ٣٠ كم، في تداخل كما قلنا مع عشيرتي دقوريا وكابارا، وهم يسكنون المنطقة منذ أكثر من ٣٠٠ عام، يتوزعون في نحو ١٢٠ قرية، ودينياً هم مسلمون وايزدية، مسلموهم يتوزعون على ثلاثة أفرع، هي:

- بادينا: قراهم سنجقا سعدون، معمُرلى، كرى خليل، كرى خيلد، مستو هندي، خربى حسي.

---

(١)- محمود صبري: الهوية الكردية في سوريا - باللغة الكردية - ص ٥١/٥٣.

– أحفاد خدر آغا الأربعة: قراهم سى متك، تـل بـاتي، عـين قـردى، كـودهى، أفندي، كُندور.

– جمالدينا: خَرَزى، بِشيريى، أسلو، جميليى.

أماالايزيديين فيتوزعون على أربعة أفرع، هي: سوعاني، شرقي، دنّـا، خالـدا. قـراهم: كَرَنكـو، مـوريكى زوريـن (فوقـاني)، جـتلا مـلا، هيشـري، آفكـيرا زيـرين (تحتاني)، بَرزانى زورين Berzaê jorîn، بَرزانى زيرين Berzanê jêrîn[1]...الخ.

١٢– **دقوري:** هم أيضاً يتوزعون بين كردسـتان سـوريا وكردسـتان الشـمالية بعد ترسيم الحدود، كان يتزعمها سعيد آغا، وهي تتفـرع إلى (كَبَكـا، سَـيِّد، دومـزا). قرى الـ: دقوري ومِلانى خدِر وكابـارا تتـداخل بـين عـامودا شمـالاً والحسـكة جنوبـاً بطول نحو ٨٠ كم.

– قرى كبكا: علي كوران، ديكى، زينار، جولما، شرفيى، خربة زِركان.

– قرى دومزا: هَرَم جِمو، بريفا.

١٣– **كابـارا:** تقطـن قـرى عـامودا لتمتـد حتـى جبـل كوكـب جنوبـاً، وقراهـا تتداخل مع قرى عشائر (دقوري وملانى خدر)، ومن زعمائها آل الهَسو. قرى كابـارا: خربى كزىXirbê Kejê (منها الفنان سعيد كابـاري)، بيـزارى Bêzarê، حَسـى أوسـو (منهـا صـالح حيـدو)، كعيـت، جـوخ رَش Çoxreş، كـرى رَش، وَرديـة، جولمـه التحتاني Çolme، كرى فيرسGirê Fêris، شـيقنى، بنـاني، تـل حمـام، كـرى إيـش، سكاكا بَكو، سـنجقا شيخموسـكو، مسـتورا، سـي جـوا Sîçiwa، توبـو Topo، سـيد علي، بير بازن، سِيخُر، مِعيريكا سينو، معيريكا عزيز، قـره تَبـا، جَتَلـى، صَـباحية، كُردو، تل حَبَش، خالد، ماريتى، بَبو Pepo، سنجقا شيخ، كر كَفتار، كِركى دقوريا، سلندر، بلّى بكارا Bellê Begara(منها دحام عبدالفتاح)، بلّـى جـزاع، خربـة شـعيب، سِيحا، توبو Topo، صـباحية، كـوجكى Kûçikê، نجـارى Necarê، شـيقنى Şêqnê، كرى كفتار، كبكا Gebeka، خربة غزال، جِنْوىCinwê[2]. ولهـم عـدة قـرى في منطقـة آليان.

---

(١)– المصدر السابق – ص٦٥/٦٧.

(٢)– مقابلتان مع الدكتور يوسف عبدالله والسيد قاسم كاباري.

١٤- كيكا - خلجا: قدمت منذ القديم من جبال زاغروس وجبال سَردشت ومنطقة بحيرة أورميا إلى كردستان سوريا، استقر بعضهم بين الموصل ودهوك، لكن أكثرهم استقر في سهول ماردين الجنوبية (منطقة الدرباسية)، هذه القبيلة إنقسمت إلى قسمين بسبب خلاف داخلي بين آل رستم وآل داود (ديود) قبل نحو مئتي عام، يُدعى من استقر شرقي نهر زركان بـ (كيكا) يتزعمهم آل رستم، والذين استقروا غرب نهر زركان يُدعون (خَلَجا) بزعامة آل داود[1].

قرى كيكان:

- فرع رَماكا: تل كمبر، كُندِك، خاسي، خراب كورت، نوفلية، هَسِّكى، قرهقويى، أمّ الدبس، ديبك، رشيدية، قاسمية، كُولا، مزيرعة.
- فرع هيزِكا: بَركفرى، سى بيركا، يارمْجى.
- آل رستم: تل كديش، تل غزال، سيحا، بعاجا، أمّ كُبرا، جِنازيى، بَرْبَرا، أمَ سور، شاه منصور، شويحان، مرّات، تل غزالى زيرين (تحتاني)، شونيى.
- فرع موريكا: سَيرانى، خويتلا، كفرا، مَنسَف.
- فرع كُردكا: حميدية، فرهية.
- فرع جِمكا: جُرنك.
- فرع آزيزا: قَرَمانى، غنامية، قُنتر، شَفقَت، سَفَر، سفيرا، بشيرية، شَرَفية، رحانية، زيدية، بيركنيسى، موسا قُتكى، سُندوقلي، دَليكى، مَلَك، شيركى، فَتحِ الله، قِسمية، زيدية، كر بَشكى، خِربى حجي ابراهيم، إدامية، سلام عليك، عاليى.
- فرع سِم إيلا: أبو جرادى، جول بستان، كولا، جَوزات، هَرَم شِداد، خاتونا، كوخ، قاسمية.
- فرع أومَرا: جَتَلا كيكا، سَلام، حَمدانية، خِربه بَلِّك، حَمرا، تل ديك، مِسَلتا، قولان، أم إدام، عرب خان، أمّ شعيفا، جِريبا، خِربه دويش.
- فرع صاروخان: كِر كُندى، هرم رَش، حاج أوغلي، تالعا، جَوزات، شورا روزهلات، شورا روزآفا، تِربه، أم هَرمَلا.
- فرع كوسَكا: تل إيلونى، هَواشيى، نوفلية، بيركى، أمِّ شِوالي، جحفة.

---

(١)- محمود صبري - مصدر سبق ذكره.

– فرع نَجارا: مشيرفا حليمو، نمرود، بوغازى، عاصي، صفاوي، خِربه سودا، خِربه جَمو، تل غزالى أوكسزى.

– فرع شيخان: كا كُرى، وَحْشِك، إعدامية، صالحيى، لِزكا، بِعيرير، خِربه دويش.

قرى خَلَجا:

أغلب قرى خلجا تقع في كردستان الشمالية، أما قراهم في كردستان سوريا، فهي:

– دكوكى، سيحا، دَلّاوية، تل صخر، خربه بِس، رِبيعاتى روزهلات.

وكانت كيكا في نزاع مع الشمر والبقارة(١).

١٥– أومَري: منطقة استقرارهم الرئيسية جبلية، تقع بين ماردين ونصيبين، زعيمهم يُعرف بـ (آل محمد جزيري). يروي الاستاذ محمود صبري في كتابه القيم (الهوية الكردية في سوريا) المطبوع عام ٢٠١١ باللغة الكردية، كيف حل أمير جزيرة بوتان يوماً على والد محمد، فطلب منه أن يستغني عن محمد، لما وجد فيه من قيم الشهامة والنبل وحسن التدبير في مجال الضيافة، ظناً منه أنه من الخدم، فوافق الوالد على الفور، لكن بعد أن علم الأمير بالأمر، رده لأبيه، من هنا صار يُدعى منذ تلك اللحظة بمحمد جزيري.

اشتدت التناقضات الداخلية بين أنصار فرعي الـ (محمودكي) والـ (عتمانكي) الأومريتين، حتى أضحى الأمر بين الكرد في كردستان سوريا وتركيا على السواء مضرب المثل في تناول الخلافات أو العداوة بين شخصين أوحزبين. وقد استقروا قبل ترسيم الحدود بين تركيا وسوريا في عدد من مدن الجزيرة (قامشلي، عامودا، درباسية، الحسكة)، ومنهم من هاجر إلى لبنان وسكن بيروت العاصمة، ومن عوائلهم في القامشلي: كولي، مَتيني، كُركي، كَرسفاني، خاني سوري، تالاتي، تِناتي، سيتي، جالي، خِراب باني. وفي الحسكة: بيرتي، كُرُمي، مَتيني ..الخ.

من قراهم في منطقة القامشلي: قيرا، أوزمْلَر، شَرجي.

وفي منطقة رأس العين: خِربى بيرى، صالحية، خِربه دِبس، جميلية.

وفي ناحية تل تمر: عزيزية، داودية.

وفي ناحية الدرباسية: صالحية آل كُوتي.

---

(١)– محمود صبري – مرجع سبق ذكره.

١٦- ملّى باشى (ملاّ): كانو يقولون عنهم (هـزار ملـت أي ألـف ملـة)، بيـنهم بعض الايزدية (دنّا، شَرقيا). وتتعدد فروعهم ومنهـا: دودكـا، كَـزا، جِمكـا، حاجِكـا، كُورا، جِبِكا، كُم بنَقْشا، آله رَشا، بَر كُهانا، خِدركا، ديوا، مَندا، جَمالدينا، ملّى خِـدرِ (بين عامودا وجبل كوكب)، ملّى كَا وَسْتِيابِي قرب بحـيرة وان. كانـت عائلـة ابـراهيم باشا تتزعمهم جميعاً[١]. ولد ابراهيم باشا عام ١٨٤٥ وتـوفي قـرب جبـل كوكـب عـام ١٩٠٨، ولم يشارك في مذابح الأرمن والسريان، بل قدم لهم المساعدة والعون، وكانـت زوجته خَنْسا خاتون بدورها تساهم في حل المشكلات التي تعـترض النـاس، وكانـت كالرجال لا تهاب المنية. دخلوا في نزاع مع شمر وعنزة والدولة العثمانية.

يُقال أنهم قدموا منذ ٤٠٠ عام من المنطقة الواقعة بين هكاريا وأورميا، وسكنوا منطقـة ويـران شـهر في كردسـتان تركيـا، وامتـدت سـلطتهم حتـى جبـل عبـدالعزيز وشنكال جنوباً، وبين نهر الخابور شرقاً وحتى نهر الفرات غرباً. بعـد ترسـيم الحـدود بين تركيا وسوريا، بقي أحفـاد ابـراهيم باشـا يملكـون نحـو ثلاثـة ملايـين دونم مـن الأرض الزراعية في كردستان سـوريا، لكـن السـلطات السـورية انتزعـت مـنهم الأرض وأسكنت فيها عرباً من الرقة، ومنحـت قسـماً منهـا للشـركة الليبيـة، واسـتولت علـى القسم الباقي تحت شعار الاصلاح الزراعي ووزعته على العرب، وبقي شيء ضـئيل في حوزة العائلة[٢].

٢ - في كوباني:

كانت عشائر (برازا) تستقر في سهل سروج قبل ٣٥٠ عـام، وكانـت تنتشـر مـن بيراجيك على الفرات شمالاً وحتى جعبر جنوباً، وإلى نهر البلـيخ شـرقاً، واسـتقرت في كردستان سوريا في نحو ٣٤٠ قرية. وقد أسكنت الدولة العثمانية بعض التركمـان مـن عشيرة براق في عدد من القرى القريبة من الفرات، وكانوا دائم التحرش بالكرد بتوجيه من الدولـة العثمانيـة، فتصـدى الكـرد لهـم، وممـا زاد الطـين بلـة، أن الكـرد قـاوموا سياسة العثمانيين التي كانت تقوم على التجنيد الاجباري لخوض المعارك في جبهـات خارجية من جهة، ومن جهة أخرى رفـض الكـرد دفـع الضـريبة السـنوية الـتي كانـت تثقل كاهلهم، فشنت الدولة العثمانية حرباً شعواء ضد البرازا، لكنهم قـاوموا ببسـالة

---

(١)- ابراهيم بن محمود بن تيمور بن عبدى بن محمود بن عبدى الملقب بكلش.

(٢)- محمود صبري - مصدر سبق ذكره - ص٨٥/٩١.

نادرة، رغم اختلال موازين القوى بين الطرفين، حتى أن البطل المغوار (حمى موسى Hemê Mûsê) لاقى حتفه، فأضحى مادة ملحمية تاريخية في الأغنية الفولكلورية الكردية[1].

وفي منطقة الشامية (جنوب الفرات وجنوب مناطق البرازا) كان عرب الفدعان الرحل. كان مصطفى بك شاهين ويشاركه أخوه بوزان بك في زعامة البرازا. من أهم فروع البرازا: بيزان، كيتكا، شداد، ميلَكان، شيخان، علاءالدينا، أليجان. وهم يقيمون في مدينة كوباني.

– **مِيلَكان**: من قراهم شَران، **هلَنج**، شيران، تل حاجب...الخ، وينتسب إليهم الكثير من برازية حماه، ممن تقلدوا مناصب رفيعة مثل: الدكتور محسن برازي[2]. كما تقلد حسني برازي منصب رئاسة الوزراء وحقيبة وزارة الداخلية، ونجيب آغا البرازي الذي كان يملك نحو ٦٠ قرية في سهل الغاب (بين حماه ومصياف) حتى استلاء السلطة عليها في الستينات من القرن الماضي، وخالد برازي، وتسلم حمو آغا البرازي ومحمد آغا باكير البرازي قيادة الجيش في منطقة مصياف (المنطقتان الوسطى والساحلية من سوريا)، وكذلك آل برمدا في حارم. وتُعرف منطقة برازا في مدينة حماة باسم حي البرازية (حي المشارقة)، وهو يقع في الجهة الغربية من حماة، بين باب البلد شرقاً وباب طرابلس غرباً، وحارة الجسر شمالاً ومقبرة تل الشهداء جنوباً، وتذكر بعض المصادر بأنهم أستجابوا لنداء صلاح الدين لمقاومة الصليبيين، فأبلوا بلاءً حسناً فسموا برازا[3]، وهذا إن دل على شيء فانه يدل على أن تواجدهم هناك قديم، وهذا لا يتناقض مع وصول بعض أفواجهم فيما بعد في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي. ولعب برازية حماة دوراً متميزاً في ثورة حماة

---

(١)– راجع: علي جزيري – الأدب الشفاهي الكردي – الجزء الأول.

(٢)– المولود في حماة عام ١٩٠٤، كان يحمل شهادة الدكتوراه بالحقوق من السوربون، وعمل استاذاً في جامعة دمشق) الذي كان رئيس وزراء سوريا عام ١٩٤٩، وأعدم رمياً بالرصاص بعد انقلاب سامي الحناوي في نفس العام، لكن (Hirço يعني الدب بالكردية) أحد أقاربه ثأر له فقتل الحناوي في بيروت عام ١٩٥٠.

(٣)– شكري محمد: صحيفة كردستان – العدد ١٥/٥٥٠كانون الأول ٢٠١٦ . هناك من يقول بأن التسمية جاءت من منطقتهم في كردستان تركيا حيث تكثر الخنازيرBeraz فيها، لغناها بمجاري المياه والأحراج.

والدنادشة في تل كلخ والثورة السورية الكبرى ضد الانتداب الفرنسي، وفي الحياة السياسية في البلاد بعد الجلاء.

– **خلجا**: ينتشرون بين الفرات والبليخ، كان يتزعمهم نوح، يدّعون الانتساب إلى آل البيت.

– **علاء الدينا**: كان يترأسهم مصطفى بك، يتوزعون في نحو ٣٦ قرية على الحدود التركية (أي الجزء الشمالي من كوبانى).

– **بيجان**: أكثرهم في كردستان الشمالية وبعضهم في كردستان سوريا، كان مصطفى بن غالب بك المقيم في تركيا يتزعمهم، تمتلك نحو ٢٠ قرية.

– **الشّدادا**: يرأسها أبناء شاهين، يلحق بها فخذ أوخ، أغلبهم في كردستان الشمالية، وفي كردستان سوريا يسكنون شرقي قضاء كوبانى وفي ناحية تل أبيض، يتوزعون في نحو ١٠ قرى، منها قرية خَراب ناز، علي شار..الخ.

– **شيخان**: بعض زعمائهم يدّعون أنهم عرب من آل البيت[١]، لهم ٦٧ قرية، منها على سبيل المثال: جلبي، يارلِي، بوزك...الخ. رزوان: فرع من الشيخان، يقيمون في ٧ قرى قرب الحدود التركية.

– **كيتكا**: بعضهم أيضاً (مثل رئيسهم بصراوي آغا الذي ينسب عشيرته إلى كندة ويزعم أنهم سكنوا جبال الكرد منذ القديم وصاهروهم فغلبت عليهم الكردية) يدّعي الانتساب إلى أصل عربي رغم أنهم كرد أقحاح، وتدعى عشيرتهم بالسودة نسبة إلى رئيسهم السابق (مختار الأسود)، لهم نحو ٥٠ قرية، يقيمون في مركز القضاء وناحية صرين وإيليجق وفي قضاء منبج (في قريتي محسنة وعسلية) وقضاء الباب (في صابويران) وقضاء اعزاز (في قرية قعر القابين). من قراهم: تل غزال، خَزينة، مَخرَج، تفشو...الخ[٢].

---

(١)– سبق أن تناولنا هذه المسألة، أعني دواعي ودوافع وأسباب الانتساب في بعض الأوساط الكردية في هذا الظرف أو ذاك إلى آل البيت أو إلى خالد بن الوليد وغيره من العرب، وبينا خلفية هذه المواقف.

(٢)– راجع: محمود صبري – مصدر سبق ذكره – ص١٧١/١٧٢.

٣ – ريف الشهباء (ريف حلب الشمالي)[1]**:**

ديدان: من أكبر العشائر الكردية في منطقتي الباب واعزاز، عدد أفرادها نحو ٧٠ ألف. ن.

شيخان: تواجدها الواسع في منطقة كوبانى (١٣٠ قرية)، وتنتشر أيضاً في ريف الشهباء و عفرين وجبل الأكراد في اللاذقية. عدد أفرادها نحو ٤٥ ألف. ن.

كيتكان: تشكل امتداداً لقرى كيتكان في ريف كوبانى، عدد أفرادها نحو ٦٠ ألف. ن، يقال أنها احدى عشائر التحالف القبلي البرازي، رغم أن بعض وجهائها ينفون الأمر.

دنان: يقدرون بنحو ٥٥ ألف. ن. تنتشر في منطقة الباب ولها امتدادات في شيروا بعفرين.

البيجان (بيش آلتي): عدد أفرادها ٢٥ ألف. ن، ولها امتداد أيضاً في كوبانى، وفي مدينتي الباب ومنبج.

قره كيج: عدد أفرادها نحو ٥٥ ألف. ن.

البيسك: العدد بين ٥ – ١٠ آلاف. ن، وجودها الأساسي في كردستان تركيا (أورفا، عنتاب، ديار بكر).

علادينا: عددهم نحو ٥ آلاف. ن.

قره بكي: قرابة ١٠ آلاف. ن، ومنها الثائر محمود كُركي ضد الانتداب الفرنسي.

٤ – في عفرين (جبل كرد داغ/ جبل كُرمينج):

في شمال شرقي هذا الجبل تقع مدينة كِلّس التي تقع الآن في كردستان الشمالية بعد ترسيم الحدود بين تركيا وسوريا، كانت مركزاً لامارة جان بولات (جنبلاط) الكردي الدُرْزي، الذي اضطّر أن ينزح نحو لبنان. تضم عفرين نحو ٣٦٥ قرية، وقسمت[2] إلى ست نواحي هي:

– جنـدِريس: تقـع في وسـط سـهل جومـه الخصـب، يسـكنها الجوميـون والشيوانيون، تابعة ادارياً لناحية مركز عفرين، وعلى سفح جبل سمعان تكثر قرى

---

(١)– راجع الملاحق ذات الرقم ٦ و٧ و٨ و٩ و١٠.

(٢)– عفرين وهي مركز منطقة حالياً وتتبع محافظة حلب.

الروباريين، نسبة كبيرة من سكانها من الايزديين.

– شيى (شيخ الحديد): ينتمي سكانها إلى عشيرتي آمكا والشيخان.

– معبطلى: جبلية كلسية، عشائرها: آمكان، الشيخان، بيان، جومي.

– راجو: تسكنها عشيرة الشيخان.

– بلبل: جبلية، تسكنها عشائر (روجكا، بيان، آمكا).

– شرّان: هضبية تتخللها سهول ضيقة، ويسكن عدد لابأس به من الايزديين في قراها (سنكان، قاطمة، بافلون، قسطل جندو) وهم من عشيرة الشكاك[1].

– **شكاكا:** تستقر في شرقي منطقة عفرين، كان يتزعمها آل جِلوس، لكن حل مكانهم في الزعامة آل اسماعيل زاده الذين ينتسبون إلى عشيرة بيان، جراء المصاهرة من جهة وافلاس آل جلوس من جهة أخرى وفق قول روجيه ليسكو. تقطن في ٣٩ قرية، منها: مشكوتى، كورى، سارينجَك، أومر سمو، زيتونك، دير سِيوان، إيكي دام، عرب ويران، أومرا، بليسانك، آلجيا، علي بازان، شَرا، خَرابى شران، سينكا، عرب سِمو، جما، (قطمى، قسطلى: قريتان ايزديتان)، كورتك، كا وَندا، مَشعلا، متينا، ميدانكى، نازا، أستير، أمبارا، كَفَر روم، قره جورنى، كابلكى، ألكى، كفر مز، دراقلية، كمروكى، سى مالا، كازى، وَليكليى، دودى.

– **آمكا:** تستقر في داخل منطقة عفرين بين شكاكا شرقاً وشيخان غرباً، منذ القرن ١٧م، كانوا من الشيعة (قِزِلْباش)، ثم تحولوا. وكان آل شوربا أوغلو وعمر أوغلو يتنافسان على الزعامة، إلى أن آلت إلى آل ديكو. يقطنون نحو ٤٠ قرية منها: جتَلى، ساخر أوباسي، زركا، كيلان، أشونى، حسن ديرا، قوتان، أبِلا، بيباكا، قاشا، قورتانلي، قزلباش، قرميتِلك، شوربا أوغلي، أمارا، سى مالكا، بيلى، أورتا، ديكى، خليلَكا، عرب كرى، قره كول، كُرْزيل، قرقين، بِركا، كوتان، بيباكا.

– **بِيان:** وهي فرع من رشوانا وهناك من يقول من شيخان، سميت بهذه التسمية لشهرة المنطقة بشجرة الصفصاف[2] التي تدعى بالكردية Bî شجرة الصفصاف والجمع Biyan أما an فهي علامة الجمع. تقع في أقصى شمال منطقة

---

(١)– شيخو علي: جبل الكرد إبان الانتداب الفرنسي – مصدر سابق – ص١١و١٢. راجع: موقع تيريز عفرين.

(٢)– تأليف واعداد علي مسلم – مصدر سبق ذكره – ص١٨٠.

عفرين على الحدود التركية، وتتوزع بين كردستان تركيا وكردستان سوريا، ولها نحو ٩٥ قرية (١٦ قرية منها في كردستان تركيا)، تمتد من ميدان اكبس غرباً الىكلس واعزاز شرقاً[(١)]. كان آل حجي عمر يتزعمها، وفي عام ١٨٥٠م حاربوا شيخان تحت زعامة دلى خليل وساعدتهم آمكا، بينما شيخان كانت تتلقى الدعم من العثمانيين، لكن دلى خليل اندحر فضعف آل حجي عمر وحل محلهم آل الشيخ اسماعيل زاده. أهم قرى بيان هي: أبودان، قُرنى، زارى، أوغا، مقداد، شرقانلي، باليكا، بلبلى، أليكرا، هياما، بخجه، علي بكى، سولاقا، خدريانلي، كُرزيلى، آل جولاق، بيكى، محمود أوباسي، بك أوباسي، خايوخلا.

– **شيخان:** وهي كبرى العشائر في منطقة عفرين فناحية راجو شيخانية، تستقر في شمال غرب منطقة عفرين في نحو ٧٥ قرية وهناك ٤ قرى شيخانية داخل كردستان تركيا وفق د. محمد علي عبدو. تنافست عائلتا (آل جعفر وآل رش آغا) على الزعامة، لكنها حالت أخيراً لآل رش آغا. أهم قراها في كردستان سوريا: راجو، حجي خليل، ماسكا، هوبكا، أتمانا، موسكى، حَجيكا، حسن كُل، درويش أوباسي، ماملا، قوداكو، عمر أوشاغي، كُم رَش، كَرى، شَديا، جقلا زورين، جقلا زيرين، مستكو، أرَندى، شيى، سنارى، قَرميتلك، سوركى، كُركا جورين، كُركا زيرين، دُملايا، بادينا، حمشلاكا، شيخ بَلا، كُورا، هوليلو، جَنجَليا، جَقمق صغير، جقمق كبير، حُجه مال، حيدر أوباسي، جَلا، بَلاليكو، فرفركى، قره بابا، تل كَشور، سالجك، بادانلي، كوليا، جارخيتا، حَجَمانلي، كُوسا، ألبيسكى، كُندا، والكَلي، سى مالكا، كُرّى، كُندي غازي، شيخ محمد، دودو، كَلّا، شيخ بلالا، ماملا، حَج بليل عَدوا، وَليكليكى.

– رشوان: موزعة بين سهل جُمَه وجبل ليلون (سمعان)، هناك من ينسب هنانو اليها.

– **جومان:** تستقر في القسم الجنوبي من منطقة عفرين، وتعني جوم السكان القاطنين في وادي عفرين، ومن المجموعات التي تضمها جومان:

---

(١)– المصدر السابق، ونفس الصفحة.

١- روباريا: قراها (أناب، جِلبر، بسلايا، إبين، خِريبه، آقيبـى، جتـل زيـارات، خالدي، دير مشمش، سوغانَك، برج حيـدر، كبيشـين، زوق الكـبير، مَياسـي، زارات، جومك، شيخ سيدي، كارسانتاش، كفر بترى، بينى، جلبرى).

٢- القرى الايزدية: قيبارى، تُرندا، جِديدة، باسوتا، كيمار، قره باش، فقـيرا، كفر زيت، برجـى أفـدالو، غزاويـة، بـرادى، شـيخ خِـدر، إيسـكان، بِيـى، باسـوفان، كبيشين، فافارتين، كفرشين، باشَمرى، كُندي مزن، برج القاس. أما قـرى الايـزديين من عشيرة شكاكا فهي: قِتمى أو قاتمة، سينكا، بافَلون، قَستل حندو. كانت السلطة حتى القرن ١٧ الميلادي للعنصر الايزيـدي، ثـم بـدأوا يفقـدون هـذا النفـوذ تـدريجياً بسبب صراعاتهم الداخلية من جهة، وتحولهم إلى الاسلام من جهة أخرى.

٣- غرزا: قراها (كُندك، غرزا، قُجوما، جولاقا، أشكان شرقي).

٤- هَشتيا: قراها (جوقى، ماراتى، خَلنيرى، داركر، كَوركا، كَفَر دَلى، جولاقا، آشكا، كفر سفر، كوران، كوردا، خالتا، مِسكى، كازى، بويوك أوبا، غازي تبه).

٥- خاستيان: قراها (كاخُرى، ميركا، بِريمجه، روتا، شيتكا، مَرسـكى، غازيـا زورين، غازيا زيرين، رحمانية، دليان، مستو آخُر). وهناك قرى أخرى، ومنهـا: كفـر مِز، قره تبة، جلامه، تل سلور، ديـوا، ديـر بـالوتى، مـلا خليـل، تـربيلان، نصـرية، حجي اسكندر، آلجـى، جنـدريس، يـالانغوز، رفعتيـة، حملكـى، حجـيلار، أبـو كـاب، فريرِيى، زلاق، كوكب، تِلف، تل حمو، كاني كَوركى، قربة، قيلى، سنديان، زيـديى، بابليت[1].

أكراد عثمانو: في قضاء مصياف (قرى عقـرب وحنجـور وأصـيلة) ويشـتون في (تل سلحب والعشارنة)، يترأسهم محمود محمد سعيد.

الجوم: نقلوا إلى قضاء عفرين بـأمر مـن السـلطان سـليم الأول، يسـكنون الآن ناحية الحمام في نحو ٨٢ قرية.

العميقـي: نقلـوا بـأمر مـن السـلطان سـليم الأول إلى عفـرين ومثلـهم عشـيرة الموجلي في نحو ٩ قرى وعشيرة خورمالي الذين اختلطوا مـع العـرب في أنحـاء جبـل ليلون وعشيرة شيقانلي في ناحية راجو في ٥١ قرية.

---

(١)- روجيه ليسكو: عشائر جبل الأكراد/ كرد داغ. راجع: موقع تيريز عفرين.

الايزدية: أصلهم من جبل سنجار، زعموا أن السلطان سليم هو الذي جاء بهم، مـن زعمـائهم (درويـش شـامو/ في قريـة عـرش قيبـار) و (إيبـو أسـقان/ لافي قريـة قراباش).

دنادية: قدموا إلى جنوبي مدينة حلب من أنحاء أورفا والسروج سنة ١٢٦٥هـ، يقطنون تل عرن وتل حاصل وكافر الصغيرة في قضاء البـاب، وأفخـاذهم قـره كـيج وكيتكا وشيخان وبش آلتي.

أكراد ابراهيم: يسكنون قرية أكـراد ابـراهيم في قضـاء حمـاه غربـي العاصـي، وأصلهم من الكرد الايزدية، قدموا من نواحي سروج، وكان يتـزعمهم ابـراهيم فسـموا باسمه، ثم أسلموا ونسوا لغتهم.

ثانياً: المشيخات

يعتنق الكرد السوريون الاسلام، وهـم مسـلمون سـنة، وأربعـة أخماسـهم علـى المذهب الشافعي، أما الخمس الباقي (أي ٢٠٪) فهـم علـى المـذهب الحنفـي. وهنـاك أقلية علوية وايزيدية، لا تتجاوز نسـبتها ٢٪ مـن مجمـوع الكـرد السـوريين. والملفـت للنظر إختفاء التعصب الـديني والمـذهبي بـين الكـرد السـوريين، ولا جـذور للاسـلام السياسي، فرغم تعدد الأحزاب الكرديـة الـتي تتبـاين توجهاتهـا ومواقعهـا، لم يظهـر حتى الآن حزب اسلامي، وهذا يعود الى الاعتدال الديني بين الكرد في هـذا الجـزء مـن كردستان، ناهيك عن مسألة الوعي، وعدم تبني القوى السياسية الاسلامية في سـوريا (وعلى رأسها جماعة الاخوان المسلمين) لمطالب الكرد المشروعة. هنـاك فصـل بـين الدين والسياسة في الحياة العامة، ورجال الـدين قلمـا يتـدخلون بالسياسـة بـل كـانوا يعكفون على ممارسة الشعائر الدينية، لذا ترى أن هذا الأمر له جـانبين متعارضـين، **الأول** ايجابي ويتمثل في تلك الكتاتيب[1] الملحقة بالمسـاجد الـتي قلمـا كانـت تحشـر أنوف مرتاديها في قضايا الاسلام السياسي أو تسييسهم على هذا الصـعيد، **والثـاني** سلبي حين تدير ظهرها لمعاناة الكرد. يضـاف إلى مـا ذكـر أن دور الطـرق الصـوفية

---

(١)– الكتاتيب الدينية، مؤسسات دينية تعليمية، تلحق بالمساجد ويشرف عليها غالباً رجـل دين(مـلا)، تدرس فيها أحكام الدين والشريعة والقرآن وأمور أخرى..الخ، لكن كانت العربية – مع الأسف – لغـة التدريس فيها غالباً، والتي تعد بالنسبة الى العالم الاسلامي كاللاتينية بالنسبة للعالم المسيحي، علـى حد وصف باسيلي نيكيتين.

(المشيخات) متناقض، فمن جهة تحقق لحمة المجتمع ووحدته، ومن جهة أخرى تضعفه وتقسمه، لأن الكرد: (الذين ينتمون إلى الطريقة نفسها، يشعرون برابط مشترك بينهم، بغض النظر عن انتمائهم القبلي، ومن جهة أخرى كان هناك شعور بالتوتر تجاه الطرق المنافسة)[1]. والمشيخات التي نتناولها، هي اليوم في طريقها الى الزوال، فلم يعد لها ذاك البريق أو تلك الجماهيرية التي اتسمت بها في القرن الماضي.

١- المشيخة الخزنوية: نشأت في منطقة الجزيرة، بعد أن أسسها الشيخ أحمد الخزنوي النقشبندي في قرية (خزنة)، الواقعة إلى جنوب شرقي مدينة قامشلي بنحو/٢٠/كم، ثم نقل مركز المشيخة إلى قرية تل معروف، الواقعة إلى جنوبي خزنة بنحو/١٢/كم.

ولد الشيخ أحمد في قرية خزنة المذكورة عام ١٨٨٧ (١٣٠٤هـ)، وسمي بالشيخ أحمد الخزنوي تيمناً بقرية خزنة. والده الملا مراد، والدته آمنة، توفيت بعد ولادته بسنتين أثناء ولادة الملا مصطفى، الشقيق الأصغر للشيخ، فربتهما زوجة أبيهما فاطمة، أم الحاج محمد أمين، أخ الشيخ أحمد من أبيه.

توفي الشيخ أحمد الخزنوي عن عمر يناهز الثالثة والستين، في١١ آذار ١٩٥٠ (١٣٦٩هـ)، ودفن في تل معروف[2].

هاجر الملا مراد، والد الشيخ أحمد، من قرية بانَحِي إلى قرية خزنة. نال الشيخ أحمد اجازته على يد الملا حسين الفارقيني، بعد أن تبنى الطريقة النقشبندية على يد الشيخ عبدالقادر الهزاني. جدير ذكره أن فرنسا، الدولة المنتدبة على سوريا، قد قامت بنفيه إلى دير الزور، وبقي فيها منفياً فترة طويلة. وحين أغارت الطائرات العراقية، في عهد الملك غازي على الأخوة الايزيديين في سنجار، التجأوا إلى تل معروف وقرى أخرى، فأمر الشيخ أحد مريديه باكرامهم والاحسان إليهم وتقديم الدعم المادي لهم[3]، وهذه تسجل له.

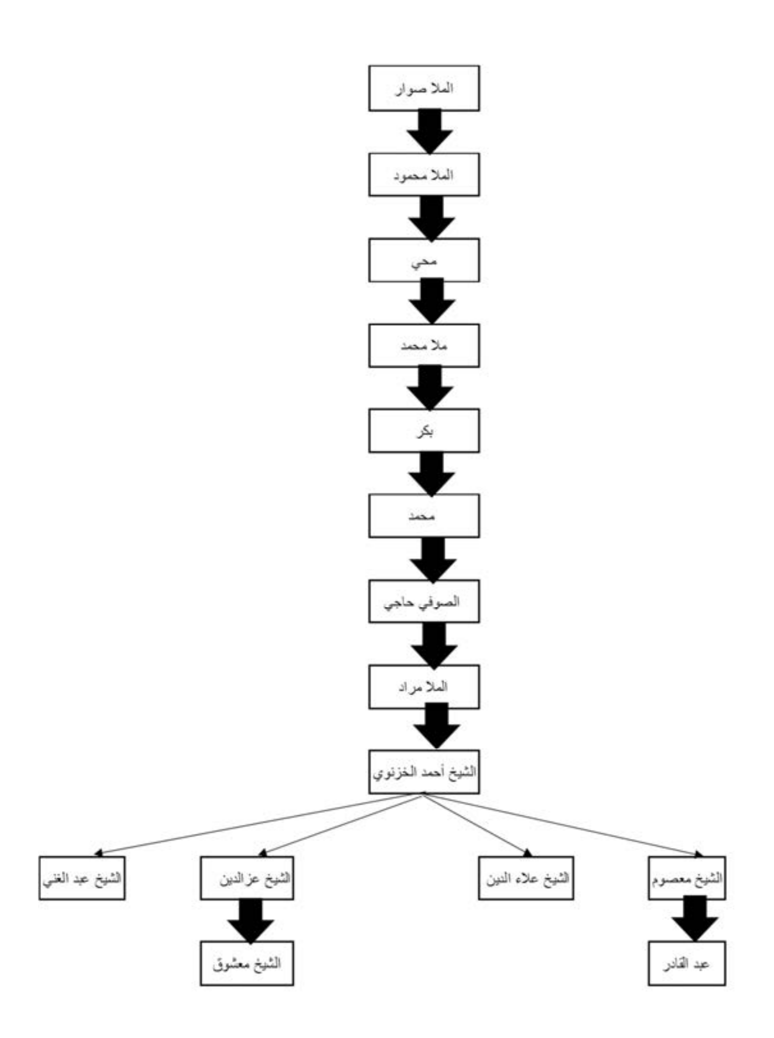
آل الخزنوي من عشيرة رَشِكا، وفيما يلي شجرتهم:

---

(١)- ديفيد مكدول: تاريخ الأكراد الحديث - مصدر سبق ذكره - ص٤٧.

(٢)- عبد القادر الشيخ معصوم الخزنوي: الشيخ أحمد الخزنوي النقشبندي - عام ١٩٩٣- ص ٨ - ٩.

(٣)- المصدر السابق - ص٢٣.



حـين تأسـس الحـزب الـديمقراطي الكـردي في سـوريا (البـارتي) عـام ١٩٥٧/ حاربته – كما يقول الاستاذ عبد الحميد حاج درويش – عدة قـوى/ منهـا: السـلطة، الحزب الشيوعي السوري، وبعض أفراد آل الخزنوي. يقول الاسـتاذ حميـد: (الجهـات الـتي وقفـت بعنـاد ضـد وجـود حزبنـا، هـي رابطـة علمـاء الـدين الاسـلامي الـتي تم تشـكيلها بُعَيْـدَ تأسـيس حزبنـا مـن قبـل المرحـوم الشـيخ عزالـدين الشـيخ احمـد الخزنوي، وكان الهدف من تشكيل هذه الرابطة هو معاداة حزبنا بالدرجة الأولى، وقد انضم عدد كبير من الملالي والشيوخ ورجال الدين إلى هذه الرابطـة، وحـاربوا حزبنـا

بجميع الامكانيات المتوفرة لديهم، واعتمدت الرابطة بشكل أساسي على اتهام حزبنا بخرق قواعد الدين والشريعة الاسلامية)[1].

إن الشيوخ أو زعماء الطرق الدينية (المشيخات الكردية)، كانوا يمارسون نشاطهم الديني من خارج الأطر القبلية المتشظية، لذا تراهم أكثر قدرة: (على لعب أدوار سياسية بالغة الأهمية في المجتمع القبلي)[2]، وهم غالباً لا تربطهم بتلك القبائل التي تسكن مناطق نفوذها بصلة، وهذا ما يمنحهم مصداقية أكبر، هذا من جهة ومن جهة أخرى يتظاهرون بعدم الاهتمام بالمصالح الدنيوية الضيقة، بل يدّعون أنهم يمثلون المصالح الروحية العليا التي تهم المسلمين جميعاً، هذا بالضبط ما ساعدهم في حل النزاعات والصدامات بين مختلف فئات وشرائح المجتمع، وهذا الأمر ذاته هو الذي عزز بالتالي نفوذ الشيخ الاجتماعي والسياسي كما يقول مارتن فان بروينسن.

من هنا اقترح محمد طلب هلال بوضع خطة مُحْكَمَة لنزع الصفة الدينية عن مشايخ الدين الكرد، على أن يحل محلهم مشايخ عرب أقحاح، أو نقلهم إلى الداخل؛ تحت حجة أن مجالسهم ليست مجالس دينية، بل مجالس كردية من جهة ومن جهة أخرى يمتنعون عن ارسال برقيات منددة بالبارزاني... !. يقول هلال في هذا الصدد: (عندما قام تمرد البارزاني، باعتباره بارتياً شيوعياً وليس مسلماً، رفض ذلك الخزنوي وطلب الاثبات على انه ليس مسلماً، وادّعى أن القتال بين الاسلام بعرفه ليس لصالح الاسلام، فهو وإن ترك الأمر له لأرسل برقية يدعو فيها إلى عدم إراقة دماء المسلمين، ولم نستطع إقناعه، بينما اقتنع أكثر المشايخ بالحجة والجدل... أجل، قلت أصبح الخزنوي برسله ووكلائه في الجزيرة والمنتشرين بين الأكراد، الدعامة الثانية والقوية لنشر الفكرة البارتية والشيوعية... فهو شخصية قذرة جداً يجب اقتلاعها من الجزيرة فوراً وابعادها عن مركزها الذي تنشط فيه وخاصة في هذه الأيام لأن خطره قد استفحل وعظم، ولن نستطع عليه اثباتاً لكونه يبشر بالدين والطريقة، وما الزكاة التي يجمعها برسله ووكلائه إلا تبرعات بارتية بحتة تُرسل سراً إلى العصاة البارزانيين، فأستطيع أن اقول جازماً انه البارزاني الثاني المتستر بالدين

(١)– عبد الحميد درويش: أضواء على الحركة الكردية في سوريا – عام٢٠٠٠ – ص٢٣. يجدر الذكر أن رابطة علماء المسلمين السالفة الذكر كانت ضد انتشار الأفكار الشيوعية أيضاً.

(٢)– مارتن فان بروينسن: الآغا والشيخ والدولة – مصدر سبق ذكره – ص١٦٠.

في الجزيرة، نقترح نقله من الجزيرة وفرض الاقامة الاجبارية عليه في منطقة نائية حتى يُفنى)[1].

وزعم هلال أن خطر الخزنوي وطريقته النقشبندية قد عمت الجزيرة، وكثر مريدوه، وادّعى بأن طريقته تلك هي دخيلة على الدين، زاعماً اندساس العناصر"الشعوبية" فيها، تلك التي تكيد للعرب والاسلام، وهي عبارة عن مرض فتاك.

لقد ساق هلال كل هذه التُرّهات التي يشيب لهولها الولدان، وإذا دققنا فيها، فلن نجد فيها ما يمت إلى الحقيقة بصلة سوى إمتناع الشيخين (علاء الدين وعزالدين) عن إدانة البارزاني الخالد، وهذا يسجله التاريخ لهما بحق. وما يؤكد رفضهما على وثيقة الادانة تلك، ما ذكره علانية رمو شيخو الفرحة، عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوري، تحت خيمة عزاء الشيخ عزالدين الخزنوي في تل معروف، حين قال: إني أجلُّ هذا الشخص لموقفه التاريخي، وامتناعه عن توقيع وثيقة العار التي تحدث عنها هلال، في الوقت الذي تهافت فيه الآخرون على التوقيع دون تمحيص.

أما الرجل الشهم الدكتور محمد معشوق بن الشيخ عزالدين الخزنوي، فقد واتته الشجاعة: (كي يهز شجرة الجمود والبلاء الكردية، تلك التي رواها كهنتنا الكرد بترّهاتهم، والتي لم تثمر سوى الثمار المرّة المسمومة والمخَدِّرة عينها، كالتي تفيأ كهنة الهنود الحمر وقساوسة افريقيا السوداء تحت ظلالها، فأُختطفَ وتمت تصفيته بدم باردٍ؛ ولم ينطلِ السيناريو الباهت الذي أقدمت الفضائية السِورية على دبلجته إلا على السذج، أعني ذلك الذي أعدّ على عجل لذر الرماد في العيون وإخفاء قبح ما جرى. فالجريمة البشعة التي أقترفت، وأدرجت بين الجرائم الجنائية المحضة، بعد طمس خلفيتها السياسية، توحي لكل متتبع مدى الاستهتار بحدس الناس السليم، سيما من أمثالنا ممن كان يعرف الشهيد عن قرب.

---

(١)– الملازم أول محمد طلب هلال: دراسة عن محافظة الجزيرة من النواحي القومية والاجتماعية والسياسية – رئيس فرع الشعبة السياسية بالحسكة – ط١ عام ٢٠٠١– رابطة كاوا للثقافة الكردية – كردستان/ اربيل ولبنان/ بيروت – ص١٥٦–١٥٧.

مامن شك أن الشيخ الجليل كان ضحية مؤامرة قذرة، نُسِجَتْ في وضح النهار، في ذات الوقت الذي بدأ فيه بوضع النقاط على الحروف وكشف الستار عن سر الخنوع الكردي وإزاحة ورقة التين عن عورات بعض دعاة الدين، الذين خدَّروا شعبنا بخزعبلات ما أنزل الله بها من سلطان. وحين شرع المغدور في ادانة سياسة الاضطهاد المنتهجة بحق شعبنا الكردي منذ أمد طويل، تلك السياسة التي جَيّرت التاريخ بعجره وبجره وفق مشيئة القائمين عليها، وحين أوضح هول ما يجري، كاشفاً الستار عن واقعنا المزري وواقع شعبنا المسْتَعْبَد، والمكبل بأكثر من قيد، أقلها وطأة هي تلك الأوهام الرائجة، ولسان حاله يردد تلقائياً قول ديستوفسكي:" لا يجب الاستمرار بهذا الشكل"، قرروا التخلص منه بأي ثمن، وكانت هناك أكثر من جهة تجمعها المصلحة المشتركة والقاسم المشترك الذي ينص على ضرورة كتم أنفاسه بأسرع وقت ممكن، رغم اقدام جهة محددة ومعروفة بعينها على ارتكاب الجريمة والاقدام على نسج خيوطها باحكام، وسط صمت كردي مريب، وفي جو شابه قليل من الترقب وكثير من اللامبالاة أثناء إختفائه)[١].

أجل، كان النظام من وراء هذه الجريمة، وكان يقوم بدور المايسترو في الاعداد لها، أما المنفذون (المأمورون)، فكانوا بمثابة بيادق ليس إلا. ثم نتساءل: ألم يكن النظام وأزلامه المرتزقة (جبهة النصرة تحديداً) من وراء دفع تلك القوى الارهابية لتدمير التكية الخزنوية في تل معروف والعبث بها ؟.

٢- **مشيخة ابراهيم حقي الزيباري:** شجرة آل حقي على النحو التالي:

الشيخ خالد الزيباري

الشيخ حسين

الشيخ ابراهيم

أولاد الشيخ ابراهيم هم : الشيخ محمد زكي والشيخ علوان والشيخ عدنان وآخرون.

---

(١)- علي جزيري: حكايات سياسية/ مكاشفات صريحة حول ثنائية السائد والمُهَمَّش - مركز الأبحاث العلمية والدراسات الكردية (يدعى الآن مركز بيشيكجي) - جامعة دهوك - سلسلة دراسات ومواضيع كردية - ص٢٠٩.

يُقال أن الشيخ خالد الزيباري انتقل من منطقة زيبار إلى قرية (رشينة) في منطقة بوتان، ثم استقر في قرية باسرت احدى قرى بوتان، من هنا عرفوا بمشايخ باسرت (شاهي باسرت)، وسار فيها على الطريقة النقشبندية على يد الشيخ محمد العيني ونالها من الشيخ صالح السبكي، الذي نالها بدوره من الشيخ خالد الجزري، وكان هذا الأخير قد تتلمذ على يد مولانا الشيخ خالد النقشبندي المشهور.

أما الشيخ ابراهيم حقي، فهو ابن الشيخ حسين من زوجته صفية بنت الشيخ محمد رشيد الديرشوي. هناك أكثر من مصدر بأن الشيخ ابراهيم قد ولد في قرية باسرت عام ١٣١٠هـ، ثم انتقل إلى جفتك/ زمار[1]، وتتلمذ على يد الشيخ نورالدين البريفكاني ومن أشهر خلفائه، وفي عام ١٩٣٨ استقر في قرية حلوة، وأقام فيها تكيته.

في لقاء لي مع سماحة الشيخ **عدنان بن الشيخ ابراهيم حقي الزيباري**، أفاد بأن الشيخ حسين كان سليل أسرة نقشبندية وبمثابة المرجعية الدينية في امارة بوتان.

ولد الشيخ عدنان في جفتك[2] عام ١٩٣٢، ثم هاجرت أسرته عام ١٩٣٨ إلى كردستان سوريا واستقرت في قرية حلوة، على بعد ٢٠ كم شرقي مدينة القامشلي. كان المرحوم والده شيخاً قديراً في منطقة الجزيرة، وبعد وفاته ترأس الشيخ محمد زكي ابراهيم حقي، شقيق الشيخ عدنان المشيخة، وحين توفي الشيخ محمد زكي عام ١٩٧١، ترأس الشيخ علوان المشيخة، ومن ثم انتقلت المشيخة إلى الشيخ عدنان حتى وافته المنية في ٢٢ أيار ٢٠١٥ في استانبول، ودفن هو الآخر في مقبرة حلوة.

سألت الشيخ عدنان ذات يوم، لماذا كنتم تهابون السياسة، فأجاب: الظروف القاهرة هي التي أجبرتنا على القطيعة مع السياسة، فالنظام كان يُعِدُّ علينا أنفاسنا مثل سائر السوريين، وعيونه كانت مبثوثة في كل مكان.

وحين سألته: أحقاً هناك في عائلتكم من ادّعى ذات يوم بأنه من الأرومة العربية، وبأن اشعال نار نوروز طقس مجوسي؟. أجاب: لقد أثرت شجوني، رغم أنّي

---

(١)– أحمد بشير محمد(الدكتور): دراسة حول عشيرة هَسِنا – مصدر سبق ذكره – ص٦٨.

(٢)– من قرى الهسِنان في كردستان العراق.

لا أستبعد ما قلته، ما عليك إلا ان تطرح السؤال على من زعم ذلك، فلله في خلقه شؤون !.[(١)].

يجدر الذكر أن الشيخ عدنان كان قد سافر إلى القاهرة ودرس في كلية الشريعة والقانون في جامعة الأزهر، وفي عام ١٩٦٠– ١٩٦١ عمل مذيعاً ومقدم برامج في القسم الكردي باذاعة القاهرة، هذا القسم الذي كان يترأسه الشيخ عمر وجدي مارديني، وكانت الاذاعة تلك قد بدأت بافتتاح القسم الكردي في ١٩٥٧/٦/١، بمبادرة من الرئيس جمال عبد الناصر، ابان خلافه مع حكومة نوري السعيد وبغية كسب الكرد. مدة البث ساعة واحدة (من الرابعة وحتى الخامسة بعد الظهر)، واستمرت حتى شباط عام ١٩٦٨، حين أغلقت بسبب الضغوط التي مارستها حكومة شاه ايران محمد رضا بهلوي، والرئيس العراقي، والرئيس التركي جودت صوناي.

جدير ذكره أنه رغم أنني كنت علمانياً، والشيخ عدنان حقي كان رجل دين ،لايشق له غبار، فان هذا الاختلاف أو هذه القضية لم تفسد للود بيننا في يوم من الأيام.

نظم الملا أحمد الكرتويني[(٢)] قصيدة باللغة الكردية من ٢٩ بيتاً، مدح فيها الشيخ ابراهيم حقي الذي كان وقتئذ في العراق[(٣)].

٣– الطرق الصوفية في جبل الكرد (عفرين):

– الطريقة القادرية: كانت تتبع الشيخ عيسى خوجة من قرية ميدانكى.

– الطريقة الرفاعية: كانت تتبع عبد الحنان المقيم في عفرين.

– الطريقة النقشبندية: كانت تتبع الشيخ ابراهيم خليل، وهو من مواليد ١٨٩٧، كردي، سليل عائلة دينية، كان أجداده يقيمون في منطقة بوكان على سواحل بحيرة أورميا، ثم هاجروا غرباً حوالي عام ١٥٧٠، وكان والده الملا سعيد ذو مرتبة عالية في علوم الدين، فتعلم على يد والده في عينتاب، في بداية عام ١٩٢٥ أستدعي للالتحاق بالجيش التركي كضابط احتياط أثناء قمع الكماليين لانتفاضة

---

(١)– راجع: صحيفة كردستان – لقاء خاص أجراه علي جزيري مع الشيخ عدنان حقي في منزله في مدينة القامشلي بصحبة ا. د. عبد الفتاح بوتاني.

(٢)– نسبة إلى Kertiwên، وهو نفسه الملا أحمد نامي.

(٣)– انظر الملحق رقم ٢ حيث أدرجنا فيها بعض أبيات القصيدة المذكورة.

الشيخ سعيد، فرّ إلى سوريا وتابع دراسته على يد عدد من الشيوخ، وألف كتباً بعد تعمقه في التصوف، وله مجموعة من القصائد بالتركية والكردية، وترأس حركة المريدين في منطقة جبل الكرد بعفرين وقراها، سرعان ما تحولت إلى حركة مسلحة ضد الفرنسيين والاقطاعيين على حد سواء، وقد أتهم تارة بأنه عميل تركي محترف[1]، لكن الدارسين لحركة المريدين (منهم علي شيخو وكذلك الشيوعيون السوريون) وصفوها كحركة ذات طابع وطني واجتماعي، ويقول الاستاذ شيخو: (ألقى الفرنسيون القبض على الشيخ ابراهيم خليل في ١٨ تموز ١٩٣٠، وسلموه إلى تركيا... أدخله الأتراك السجن في مدينة عينتاب مدة سنتين ونيّف، ووضعوه في الاقامة الجبرية حتى شباط ١٩٣٨)[2].

---

(١)– شيخو علي: جبل الكرد إبان الانتداب الفرنسي – مصدر سبق ذكره – ص٤٤و٤٥.

(٢)– المصدر السابق – ص ٨٩. ملاحظة: راجع حركة المريدين التي تناولناها في اطار هذا البحث.

الفصل الخامس
الجغرافيــا البشريــة

توطئة:

لم تكـن سـوريا بجغرافيتهـا الحاليـة وبتسـميتها ذات طـابع عربـي، بـل كانـت متعددة الكيانات قومياً ودينيـاً ومـذهبياً، كمـا لم تشـهد وحـدة سياسـية، بـل كانـت مُلحَقة جزئياً أو كلياً طوال قرون ومحكومة بهذا النفوذ أو ذاك، كمـا لم تكـن الجزيـرة وكوباني وعفرين جزءاً من بلاد الشام وفق قـول الجغـرافيين العـرب والمسـلمين، بـل كانت جزءاً من ميزوبوتاميا العليا، لكن تم ضمها سوريا بعد سايكس – بيكو. شكل الكرد الأغلبية في شمالي وشمال شرقي سورية، على امتداد الحدود التركية وجزء من الحدود العراقية بعد تأسيس الدولـة السـورية، ناهيـك عـن تجمعـات كرديـة في دمشـق وحلب وحماه ومناطق أخرى. أما السُّنة فشكلوا الأكثرية في سـوريا، بينمـا العلـويين يشكلون الأغلبية في المنطقة الغربية القريبة من الساحل، وقـل الشـيء ذاتـه بالنسـبة للدروز في السويداء، فضلاً عن التركمان والمسـيحيين بكافـة طـوائفهم، وأقليـات مـن الشـركس والسـريان والأرمـن والايزيـديين. لكـن دسـاتير سـوريا لا تعـترف صـراحة بالتعددية السالفة الذكر التي أثـرَتْ تـاريخ سـوريا الحديثـة التكـوين في كافـة ميـادين الحياة ودافعت عنها ضد قوات الانتداب؛ وما يؤسف قوله، بعـد سـيادة الايـديولوجيا العروبية عقب الاستقلال، خصوصاً في عهد البعـث، أن الملايـين مـن المكـون العربـي راحت تمجد الشعارات القومية المتطرفة وترددها كالببغاء، منها مثلاً: الأرض بتتكلم عربي، ونفط العرب للعرب، وسوريا البعث، وأخيراً سـوريا الأسـد..الخ، دون الشـعور بالذنب حيال المكونات الأخرى، والتي منعت عنهـا ثقافتهـا ولغتهـا، وفرضـت عليهـا الثقافة العربية، بهدف اقتلاعها مـن الجـذور[1]، وهـذه المعضـلة لا تخـص الحكومـات المتعاقبة بما فيها البعث وحسب، بل هي ذي المعضلة الـتي تتمثـل اليـوم في موقـف

---

(١)– سيار الجميل: مدخل لفهم الأقليات في الشرق الأوسط، رؤية مستقبلية .

معظم أطراف المعارضة السورية، التي ترفض تبني مواقف حقيقية وجدية من مسألة حقوق مكونات الشعب السوري[١].

بعد الاستقلال ١٧ نيسان ١٩٤٦، بدأت الأوساط الشوفينية بتطبيق سياسة التمييز العنصري حيال الكرد، سيما في عهد البعث وقبله في عهدي الوحدة والانفصال. فلا يُخفى على أحد، مشروع محمد طلب هلال، الذي أعتمد ونفذ في ضوئه مشروع الاحصاء الاستثنائي في ٥/١٠/ ١٩٦٢، والذي جُرِّد بموجبه (١٢٠ ألفاً) من الكرد في منطقة الجزيرة من جنسيتهم السورية، يضاف إليه مشروع الحزام العربي الذي صودرت بموجبه أراضي الكرد في الجزيرة وأقيمت فيها مزارع الدولة بداية، ومن ثم وزعت على العرب الذين استقدموا من ريفي الرقة وحلب وأسكنوا في مستوطنات (٤٢ قرية) شبيهة بالمستوطنات التي أقامتها اسرائيل في المناطق الفلسطينية، ناهيك عن سياسة التعريب الممنهجة والمدروسة التي طالت البشر والحجر، فليس بخافٍ كيف عُرِّب جبل الكرد (كرد داغ) الى جبل حلب، وجبل (ليلون) إلى جبل سمعان، و (ديريك) عُرِّبَت إلى المالكية و (تربه سبي) عُرِّبَت مرتين، في الأولى إلى قبور البيض وفي الثانية إلى القحطانية... وهذا غيض من فيض. قسمت سوريا ادارياً إلى محافظات ومناطق ونواحي، فتجزأت كردستان سوريا بين عدد من المحافظات، هي: (الجزيرة أو الحسكة، الرقة، حلب، لواء اسكندرونة، ادلب، اللاذقية)[٢]. وكان لالحاق لواء اسكندرونة عام ١٩٣٩ بتركيا أيام الانتداب الفرنسي، أثر سلبي على كردستان سوريا، حيث حُرِّمت من واجهتها البحرية المباشرة، وسهل هذا الالحاق تعريب الشريط الساحلي في شمالي اللاذقية. يذكر (رينيه ديسو) مثلاً بأن سهل انطاكيا كان مأهولاً بالكرد منذ القديم[٣].

سوريا ككيان سياسي – باطارها الحالي بعد إلحاق جزء من كردستان بها عقب الحرب العالمية الأولى – ظهرت إلى الوجود كدولة متعددة الاثنيات (القوميات) والأديان والمذاهب (الطوائف)، شكل فيها غير العرب وغير المسلمين السنة وفق

---

(١)– عبدالباقي صالح اليوسف: الانفجار السوري – دار الزمان – ط١عام ٢٠١٧ – ص٧١.

(٢)– راجع المصور ١٤: التقسيمات الادارية في سوريا.

(٣)– الطوبوغرافيا التاريخية السورية – باريس ١٩٤٧ – ص ٤٢٥ – نقل هذا القول رشيد حمو عن دراسات منظمة فتح الفلسطينية، والموضوع: الأكراد وكردستان – ص٣٠٩.

التقديرات أكثر من ٤٥٪ من سكانها (الكرد بمسلميه وايزدييه ١٥٪، العلويـون ١٣٪، المسيحيون ٨٪، الدروز ٤٪، التركمان ٢٪، الاسمـاعيليون ٢٪، الشـركس والجاجـان ١٪)[1]. لكن بعد استلاب البعث للسلطة، تم تغييـب معظـم مكونـات الشـعب السـوري بمن فيهم السنة، خصوصاً في عهد الأسد (الأب والابن) بشـكل ممـنهج، حتـى طالـت سياسـة البعـث الشـوفينية الكـرد، فوضـعت الخطـط لتغـيير التركيـب الـديموغرافي في المناطق الكردية، وأهدرت حقوقهم القومية، وقامت الحكومة بتنفيذ خططها الخمسية لاعادة توزيع الثروة بهدف تجريد الكرد من خيرات منـاطقهم (اقلـيمهم) الاقتصـادية، وفق خطط شوفينية ممنهجة.

عدد الكرد ونسبتهم[2]: من الصعوبة بمكان إعطـاء رقـم دقيـق بعـدد الكـرد في سوريا أو بنسبتهم، لعدم وجود احصاءات معلنة ودقيقة. فالدسـتور السـوري لا يُقـرّ بوجـود الكـرد أصـلاً، وكـل مـواطن سـوري مجـنس هـو عربـي سـوري بالضـرورة، باستثناء: (الأجهزة الأمنية، فهي تعرف عدد أبناء الشعب الكـردي في سـوريا، وذلـك كونها تجري بين الحين والآخر دراسات – كما يسمونها – في هـذا الميـدان، تتقصـى بموجبها الأصل القومي لكل مواطن، بل أنها تتحرى الى جانب ذلك اسم العشيرة التي ينتمي اليها الفرد، أو كان ينتمي اليها. بالاضافة الى موطنه الأصلي، وما الى ذلك من معلومات تفصيلية دقيقة، يجري جمعها بناء على توجهات أمنية لا يفصح عنهـا، ولا تعلـن نتائجهـا أمـام الـرأي العـام)[3]، كـل ذلـك للحيلولـة دون الوصـول الى الحجـم الديموغرافي الحقيقي لعدد ونسبة كل مكون في سوريا، من خلال:

١– عدم توفير احصاءات رسمية، وفـرض حالـة مـن التكتـيم والتعتـيم عليهـا والحرص على عدم تسريبها، لأنها بمثابة المحظورات أو من الأسرار التي تمس الأمـن القومي في عرفها. ٢– فضلاً عن ذلك فأمانـات السـجل المـدني لا تـذكرعلى بطاقـات (الهوية) للمواطنين السوريين سوى عبـارة (عربـي سـوري)، ورغـم تعـدد الانتمـاءات الاثنية والدينية والمذهبية كما هو معلوم، فان السلطات تحجم عن إعلان نسبة وحجم كل مكون من المكونات السالفة الذكر وثقلها، كما أن ما يُنشر في ميادين أخرى مثـل مراكز الأبحاث يكتنفه الكثير من اللامصداقية.

---

(١)– صلاح بدرالدين: الكرد في الثورة السورية – مصدر سبق ذكره – ص٥٠.

(٢)ـ راجع الخريطة رقم ١٣ (وهي تمثل المناطق ذات الغالبية الكردية).

(٣)– عبدالباسط سيدا (الدكتور): المسألة الكردية في سوريا – مصدر سبق ذكره – ص٥٦.

لذا، لا مجال الا للتخمينات والتقديرات. لكن، لنناقش الأمر بكل روية، طالما أنه من الصعوبة بمكان الحصول على أرقام دقيقة في هذا الشأن في ظل هذا النظام الشمولي الذي يكذب حتى في إعطاء درجات الحرارة (النشرة الجوية) على حد قول أحدهم، ونتأمل التصريح الذي أدلى به للاعلام (ستيفان دي ميستورا)[1] في نهاية شهر حزيران ٢٠١٦، الذي زعم فيه أن نسبة الكرد في سوريا هي ٥٪ من مجموع السكان، ثم مالبث أن اعتذر بعد فترة دون أن يدلي بالمصدر الذي استقى منه النسبة السالفة الذكر، وقد قمت يومها بالرد عليه على موقعي الالكتروني، بلغة الأرقام التي أدرجتها، اعتماداً على تقديرات الفرنسيين عام ١٩٢٣ وتقديرات عصبة الأمم عام ١٩٢٥، وتساءلت من أين استقى الموفد الأممي هذه النسبة ؟. ثم أضفت: يتوجب عليه الاعتذار، ليس منا نحن الكرد بل للحفاظ على ماء الوجه كموفد دولي، أو اصدار تنويه ينص على أن ما زعمه ليس سوى زلة لسان، كي يحافظ على مصداقيته.

فالمعنيون الثقاة بالدراسات السكانية (الديموغرافيا)، يؤكدون بأن نسبة التزايد الطبيعي في سوريا تزيد عن (٣٤ بالألف) سنوياً كبلد شرق أوسطي، لكننا اعتمدنا نسبة (٣٠ بالألف)، كي لا نتهم بالمبالغة. سبق أن أشارت التقديرات الفرنسية عام ١٩٢٣، نفس العام الذي تم فيه عقد معاهدة لوزان تجاوزاً لسيفر وارضاء لتركيا، أن عدد الكرد في سوريا/٢٠٠ / ألف. ن، مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذا الرقم لم يتضمن الكرد الذين يعيشون في مدن: حماه واللاذقية والرقة وادلب وحلب ودمشق وغيرها من المناطق السورية، ولننطلق من هاتين الركيزتين. **أولاً** – أعني نسبة التزايد الطبيعي (٣٠ بالألف)، التي تنص على تضاعف العدد كل عشرين سنة. **ثانياً** – تقديرات عدد الكرد السوريين عام ١٩٢٣ (أي ٢٠٠ ألف. ن)، كي تتوضح الصورة جلية للعيان.

*السنة	تقديرات عدد الكرد وفق نسبة التزايد الطبيعي للسكان
١٩٢٣	٢٠٠ ألف. ن
١٩٤٣	٤٠٠ ألف. ن
١٩٦٣	٨٠٠ ألف. ن

(١)– الموفد الدولي الى سوريا.

١٩٨٣	١٦٠٠ ألف. ن
٢٠٠٣	٣٢٠٠ ألف. ن
٢٠١١ بداية الثورة السورية	٤٨٠٠ ألف. ن

وعلى اعتبار أن عدد سكان سوريا عام ٢٠١١ كان أقل من ٢٣ مليون.ن، فيمكن استخلاص نسبة الكرد بطريقة التناسب على النحو التالي:

تقدير نسبة الكرد الى مجموع السكان= ١٠٠x٤,٨٠٠,٠٠٠ ÷ ٢٣,٠٠٠,٠٠٠ =٢٠.٨٪

*كما يمكن استخلاص العدد التقريبي من مصادر شتى أخرى، منها مثلاً لجنة عصبة الأمم. فوفق تلك اللجنة[1] قدر عدد الكرد السوريين بنحو (٣٠٠) ألف نسمة عام ١٩٢٥، بما في ذلك كرد حماه واللاذقية والرقة وادلب ومدينة حلب ودمشق. وفق هذا التقدير من المتوقع أن يكون العدد على النحو التالي:

السنة	تقدير عدد الكرد وفق نسبة التزايد الطبيعي للسكان (٣٠ بالألف)
١٩٢٥	٣٠٠٠٠٠ ن
١٩٤٥	٦٠٠٠٠٠ ن
١٩٦٥	١٢٠٠٠٠٠ ن
١٩٨٥	٢٤٠٠٠٠٠ ن
٢٠٠٥	٤٨٠٠٠٠٠ ن

وعلى اعتبار أن عدد السكان في سوريا عام ٢٠٠٥ كان أقل من ٢٢ مليون نسمة، فان نسبة الكرد ستكون وفق معادلة التناسب على النحو التالي:

تقدير نسبة الكرد الى مجموع السكان= ١٠٠x ٤,٨٠٠,٠٠٠ ÷ ٢٢,٠٠٠,٠٠٠= ٢١,٨٪

هذا ما صارحت فيه السيد (دي مستورا)..!.

وتباينت التقديرات، فقد قدّر لازارييف نسبة الكرد في سوريا بـ/١١٪/ من سكانها[2]، ووفق تقديرات الدكتور سعد ناجي جواد تتراوح النسبة بين ٨,٥٪ و

(١)– من المفيد أن اللجنة المذكورة جاءت للتحقيق في النزاع على الموصل بين بريطانيا وتركيا.

(٢)– مجلة آسيا وافريقيا اليوم – العدد١٢/١٩٨٣م.

١١,٥٪ ، وتقديرات الاستاذ صلاح بدرالدين تشير إلى أكثر من ١٥٪ من السكان[١]. بينما التقديرات الفرنسية وتقديرات عصبة الأمم السالفة الذكر لاتقل عن ٢٠٪.

أما التقديرات التي تعتكز على الأرقام الرسمية فما هي إلا محض إفتراء، لأنها تتوخى تقزيم نسبة الكرد وعددهم الحقيقي بأي ثمن، وهذا لا يُخفى على المتابع النابه.

١ـ الجزيرة (محافظة الحسكة): لم تكن منطقة الجزيرة جزءاً من بلاد الشام الطبيعية يوماً[٢]، كما تؤكد تلك الرسالة السرية التي أرسلها ميللران، رئيس وزراء فرنسا في ٦ آب ١٩٢٠ إلى الجنرال غورو ذلك أيضاً، ومما جاء فيها: (ان النظام الذي يستجيب بصورة أفضل لمصالح سوريا ومصالحنا أيضاً هو سلسلة دول مستقلة جمهورية الشكل تتناسب مع تنوع الأعراق والديانات والحضارات، وتتحد في فدرالية تحت السلطة العليا للمفوض السامي، ممثل الدولة المنتدبة.. مستبعداً من ذلك الأراضي الكردية في الجزيرة، معللاً ذلك بأنه لا تربطها أية رابطة قومية مع سوريا)[٣]، بل كانت الجزيرة تحديداً تشكل تاريخياً جزءاً من المملكة الحورية/ الميتانية، وتدل الاستكشافات الاركيولوجية على ذلك، خصوصاً بعد اكتشاف عاصمتهم أوركيش في Girê Moza أما عاصمة الميتانيين واشوكاني فاكتشفت قرب رأس العين، ولا يخفى أن الحوريين والميتانيين من أسلاف الكرد القدماء. إن الاقليم الكردي في شمالي سوريا مكمل لكردستان تركيا والعراق رغم ما شهده من انحسار وما أصابه من ترقيق واضح، جرّاء سياسات التعريب الممنهجة من قبل السطات السورية والضغوط التي مارستها القبائل العربية الزاحفة التي وفدت إلى المنطقة حديثاً، وفق شهادة العنصري محمد طلب هلال[٤]، وهي:

أ – الشمر: قدمت من شبه الجزيرة العربية منذ ٣٠٠ سنة، وأقامت بين الرقة وبغداد بداية. ثم قدمت من العراق إلى منطقة الجزيرة في أواخر العشرينيات من القرن

---

(١)– صلاح بدرالدين: غرب كردستان – من منشورات رابطة كاوا – ص٢٢.

(٢)– لوتسكي: تاريخ الأقطار العربية الحديث/ الجزء ١ – دار التقدم/ موسكو ١٩٧٥ – ص ٩٧. راجع الخريطة ٢٢: بلاد الشام الطبيعية.

(٣)– برهان نجم الدين شرفاني: كردستان سوريا خلال الانتداب الفرنسي – ص٥٦.

(٤)– محمد طلب هلال – مصدر سبق ذكره – ص١١١ الى ١٢٠.

الماضي، واصطدمت مع العشائر الكردية، ومنها التحالف القبلي تحت قيادة ابراهيم باشا المللي وكذلك قبيلة كوجر الكردية عام ١٩٣٢م، التي كانت تعيش مابين ديرك وجبل سنجار، على جانبي الحدود السورية – العراقية الحالية، وعلى إثر ذلك قتل أحد أخوة رئيس قبيلة الشمر وكذلك ابن عمه وبعد المصالحة بين القبيلتين تنازل رئيس عشائر الكوجر لهم عن مركز ناحية تل كوجر والعديد من القرى كدية[1].

ب – طي: يقول هلال بأنها قدمت من اليمن الى نجد والحجاز منذ ٥٠٠ سنة، وبعد قرن ونصف وفدت الى العراق، وبعد نصف قرن جاءت الى بلاد الشام.

ج – الجبور: يقال أنها وفدت من اليمن، ومرت بجبل العرب وحوران وحلب فالجزيرة وقطنت منطقة الخابور جنوبي الحسكة بنحو ٢٠ كم، وهاجر قسم منها الى العراق.

د – البقارة: نزلت في منطقة دير الزور قرب الفرات، ثم زحفت نحو الجزيرة.

ويستشهد صبحي عبدالرحمن بكلام الشيشاني (الجاجاني) عزت سليم الشخصية المعروفة، عن واقع الجزيرة التي سماها بكاليفورنيا الشرق في أواخر القرن ١٩م وأوائل القرن ٢٠م، قائلاً: (لا يخفى أن المسافة بين ماردين ودير الزور حوالي ٢٠٠ كم، والمواصلات كانت على بعير وفرس وحمار، ولم يكن اذ ذاك مابين ماردين ودير الزور إلا بضع قرى للأكراد في سهل ماردين الجنوبي في أطراف عامودا ونصيبين والدرباسية القديمة "الواقعة ضمن الحدود التركية حالياً" وقليلاً من الأعراب "الشوايا" مبعثرين على ضفاف الخابور جنوب الحسكة وضفاف الفرات)[2].

فيما يلي طريقتان لاستنباط نسبة الكرد في الجزيرة من وثيقة سبق أن أوردها علي سيدو كوراني:

أولاً– الطريقة الأولى: بعد إلحاق كردستان سوريا (كردستان الجنوبية – الغربية) بالكيان السوري المستحدث، ذكر علي سيدو كوراني أن **لواء الجزيرة** قسم إلى قضاء (دجلة والقامشلي والحسكة)، وكان مجموع سكان هذا اللواء يومها (١٧٣.٨٥٠) نسمة، يتوزعون وفق مكونات اللواء يومئذ كالتالي:

١– ٩٢,٠٠٠ ن كُرد في بلدات وقرى اللواء.

---

(١)– عبدالباقي صالح اليوسف – مصدر سبق ذكره – ص١٦٣و١٦٤.

(٢)– صبحي عبدالرحمن: كاليفورنيا الشرق/ الجزيرة – عام ١٩٥٤ – ص ٤٩.

٢- ٣٨,٠٠٠ ن سريان في بلدات وبعض قرى اللواء.

٣- ٣٠,٠٠٠ ن عرب يقيم نصفهم في قضاء الحسكة وهم ٥,٠٠٠ من البقارة و٥,٠٠٠ من شمر و٥,٠٠٠ من الجبور والنصف الثاني في قضائي القامشلي ودجلة وهم ١٠,٠٠٠من الطي في القضاء الأول و٥,٠٠٠ من الشمر في القضاء الثاني.

٤- ٩,٠٠٠ ن آشوريون على ضاف الخابور.

٥- ٤,٩٥٥ ن أرمن يقطنون القامشلي وعين ديوار وديريك ورأس العين والحسكة)[1].

نستنتج مما سبق أن نسبة الكرد في لواء الجزيرة كانت تصل يومها إلى ٥٣٪ من مجموع القاطنين.

ثانياً- الطريقة الثانية: يتوزع الكرد في لواء الجزيرة على النحو التالي:

القضاء	النفوس	العشيرة أو القبيلة
دجلة	٥,٠٠٠ ن	هَسِنا
=	٢,٥٠٠ ن	آباسا
=	٥,٠٠٠ ن	آليان
=	٢,٠٠٠ ن	حَمِكا
=	٦,٠٠٠ ن	ميران/ كوجر
=	٥,٠٠٠ ن	سكان ديرك وعين ديوار
المجموع	٢٥,٥٠٠ ن	
القامشلي	٥,٠٠٠ ن	هَفيركا
=	١٠,٠٠٠ ن	آشيتا
=	٢,٥٠٠ ن	تَمِكا
=	٣,٠٠٠ ن	علي بينار
=	٥,٠٠٠ ن	ميرسينا
=	٢,٠٠٠ ن	بوبلانا
=	٥,٠٠٠ ن	دقوريا

(١)- علي سيدو كوراني: من عَمّان إلى العمادية/ جولة في كردستان الجنوبية - عام ١٩٣٩ - ص٢٢٥ حتى ٢٢٧.

=	٥,٠٠٠ ن	ملاّنى خدِر
=	١٠,٠٠٠ ن	كيكا
=	٣,٠٠٠ ن	كابارا
=	١,٥٠٠ ن	سكان الدرباسية
=	٦,٠٠٠ ن	سكان رأس العين
=	٥,٠٠٠ ن	سكان عامودا
=	٥,٥٠٠ ن	سكان القامشلي
المجموع	٦٨,٥٠٠ ن	
الحسكة	٥,٠٠٠ ن	كيكا
=	٣,٥٠٠ ن	خَلَجا
=	٨,٠٠٠ ن	مِلاّنى ابرهيم باشا
=	٥,٠٠٠ ن	ايَزديون
المجموع	٢١,٥٠٠ ن [١]	

المجموع العام للكرد في لواء الجزيرة/١١٥,٥٠٠/ ن. وبما أن العدد الكلي للقاطنين في لواء الجزيرة أي لكل مكوناتها بمن فيهم الكرد هو/١٧٣,٨٥٠/ ن، يتبين أن نسبة الكرد **هي ٦٦,٤٣٪** من المجموع العام لسكان اللواء.

كما أورد (ستيفن هسلي لونغرينغ)[٢] احصائية فرنسية تعود إلى عام ١٩٣٧، تظهر أن سكان الجزيرة كانوا يومها يتوزعون على الشكل التالي:

- ٨٢ ألف كردي (٥١٪ من السكان).
- ٤٢ ألف عربي (٢٦٪ من السكان).
- ٣١ ألف مسيحي (١٩,٤٪ من السكان): سريان وأرمن...الخ.
- ٢ ألف ايزيدي (وهم كرد اصلاء).
- ١ ألف يهودي.
- ١ ألف شركسي.

---

(١)– علي سيدو كوراني: من عَمّان إلى العمادية – مصدر سبق ذكره – ٢٢٥حتى ٢٢٧.

(٢)– ستيفن هسلي لونغرينغ: تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي – دار الحقيقة/ بيروت – ص١٧٧.

مساحة محافظة الحسكة (٢٣,٣) ألف كم٢، وعدد سكانها (١,٣٧,٠٠٠) ن وفق عام ٢٠٠٨، وتتـألف مـن/٤/ منـاطق هـي: الحسـكة، القامشـلي، سـرى كانيـه/ رأس العين، ديرك/ المالكية. و/١٦/ مركز ناحية[١]، وعدد قراها ومزارعها/٢٧٥٣/[٢]. وهـي تنتج أكثـر مـن ٧٠٪ مـن نفـط سـوريا، و٣٥٪ مـن قطنهـا و٤٠ – ٤٥٪ مـن قمحهـا، وكميات كبيرة من الشعير، ناهيك عن الثروة الحيوانية.

يوثق الرحالة التركي أوليا جلبي، الذي مر بالجزيرة عام ١٦٥٥م متوجهاً نحـو قلعة الشاه سنجار، أن الجزيرة كانت مسكونة بالكرد من العشائر التاليـة: (أشـدي = آشتي = آشيتي) و (الشقاقي = الشكاكي)[٣]. كمـا نشـر كارسـتن نيبـور الـدانماركي الجنسية والألمـاني اللغـة، عـام ١٧٦٤ كتابـاً، بعـد زيارتـه للشـرق ومنطقـة الجزيـرة بتكليـف مـن الـدانمارك، للكتابـة عـن شـعوب المنطقـة وعشـائرها وعاداتهـا، وأرفـق الكتاب بخريطة دوّن عليها وفي الكتاب أيضاً أسماء العشائر الكرديـة يومـذاك، وهـي: (من الشرق الى الغرب: آشيتي، ملّي، ششاني، كيكي، دقـوري... وذكـر اسـم عشـيرة عربية واحـدة هـي طـي)[٤]. ويـذكر أبـو الثنـاء شـهاب الـدين السـيد محمـود أفنـدي المعروف بآلوسي زادة، في كتابـه (نشـوة الشـمول في السـفر إلى اسـتانبول)، الصـادر عام ١٨٧٦، مايلي: سرنا في طريق وعرة.. فنزلنا في قريـة تسـمى عمـودة/ عـامودا.. وتشتمل من البيوت على نحو سبعين.. سرنا، وحللنا قرية دُكِر/Dugir وتشـتمل مـن

---

(١)ـ تقديرات حول سكان المحافظة بداية ٢٠١١ وفق بيانات المكتب المركزي للاحصاء، كانت كالتالي:

أـ الحسكة ونواحيها (مركز المدينة، تل تمر، شدادة، مركدة، بئر الحلو، العريشة، الهول) نحو ٥٥٦,٣٩٥

ب ـ القامشلي ونواحيها (مركز المدينة، تل حميس، عامودا، القحطانية) نحو ٤٩٢,٩٥٣

ج ـ المالكية ونواحيها (مركز المدينة، الجوادية، اليعربية) نحو ٢٢٢,٤١٩

د ـ رأس العين ونواحيها (مركز المدينة، درباسية) نحو ٢٠٥,٢٢١

مجموع عدد سكان المحافظة (١,٤٧٦,٩٨٨) نسمة أي قرابة ١.٥ مليون نسمة.

راجع:(محمد جمال باروت: التكوّن التاريخي الحديث للجزيرة السورية ـ المركز العربي للابحاث).

(٢)– وفق ماجاء في مخطوطة بحوزة د. علي ميراني.

(٣)– رحلة أوليا جلبي في كردسـتان عـام ١٦٥٥م – ترجمـة: رشـيد فنـدي – ط١عـام ٢٠٠٨/ اربيـل – ص٨٢.

(٤)– من مذكرات د. عصمت شريف وانلي – منشورات مؤسسة زين لاحياء الـتراث الوثـائقي والصـحفي الكردي – السليمانية – ط١عام٢٠١٤ – ص٤٦.

البيوت على نحو مئة بيت، وبينها وبين نصيبين قريتا تـل الـذهب/Girkê Zêra وتـل شعير..ثم جئنا جلغا/Çil Axa وهي قرية تشتمل من البيوت على نحو تسعين[1].

إن ما ذكره (أ. جلبي) وما أورده (ك. نيبـور) في كتابـه وخريطتـه ومـا كتبـه شهاب الدين تُظهـر: **أولاً** – أكذوبـة زعـم الشـوفينيين القائـل بـأن كـرد الجزيـرة قـد هاجروا اليها بعد القضاء على انتفاضة الشيخ سعيد. **ثانياً** – الوجود الكردي سـابق لمرور (ك. نيبور)، لأنه وجد الكرد يمارسون الزراعة يومها. **ثالثاً** – أما الطي فكانت رحالة ١٠٠٪، وتعيش على تربية الجمـال والأغنـام. وهـذا الوجـود سـبق رحلـة أوليـا جلبي أيضاً الذي مر بـالجزيرة عـام ١٦٥٥، وهـذا مـا يـدحض تُرّهـات الشـوفينيين. ناهيك عن المعالم الطبيعية في الجزيرة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: جبل قره جوخ (موسى سانا)، جبل عبد العزيز (كِزوانا)، فيضـة سـينكان جنـوبي جبـل عبـد العزيز وسينكان فخذ من عشيرة كيكا، كبِزى كيكا، كبِـزى مِـلا، سـنجقا خلـف آغـا، ودَشتا هَسِنا، بالاضافة إلى مئات القرى (وهو ما يؤكد قدم تواجد العنصر الكردي في الجزيرة منذ غابر الأزمان)[2].

وفق (لوزان)، قسمت الجزيرة إلى ثلاثة أقسام، القسم الأكـبر (الجزيـرة العليـا) بقي تحت الهيمنة التركيـة، والقسـم الأكـبر (الجزيـرة السـفلى) ألحـق بـالعراق، وآلـت الجزيرة الوسطى إلى سوريا. والجزيرة الوسطى، التي ضمت إلى سوريا، تقسم بدورها إلى جزئين (عليا وسفلى)، يفصل خط عرض مدينة الحسكة بينهمـا، ويشـكل الكـرد الأكثريـة في الجزيـرة العليـا ذات الكثافـة السـكانية العاليـة نسـبياً، خلافـاً للجزيـرة السفلى. وبالرغم من أن مساحة الجزيرة تساوي ضـعفي مسـاحة لبنـان ونيـف، فلـم تؤسس فيها جامعة إلا في الآونة الأخيرة، وأهملت مـن كافـة النـواحي لـيس في مجـال التعليم والخدمات فحسب، بل كـان التخطـيط الاقتصـادي يجـري في خدمـة السياسـة الشـوفينية الـتي اسـتهدفت منـذ مجـيء البعـث علـى اعـادة توزيـع الثـروات (الأرض والمياه على وجـه الخصـوص) لتجريـد الكـرد مـن حقـوقهم الطبيعيـة، تحـت ذريعـة شعارات الاصلاح الزراعي والتأميم تارة والاشتراكية تارة أخرى.

---

(١)– عبدالحميد درويش: لمحة تاريخية عن أكراد الجزيرة – مصدر سابق – ص٢٩و٣٠.

(٢)– المصدر السابق – ص٣٧.

أهم مدن وبلدات الجزيرة:

الحسكة: مدينـة حديثـة العهـد علـى نهـر الخـابور. ففـي بدايـة القـرن الماضـي (العشرين)، أقيمت فيها ثكنة عسكرية على تل في عهد السلطان عبـد الحميـد الثـاني عام ١٩٠٧، ثم سكنتها عدد من الأسـر السـريانية ومجموعـة مـن الأسـر الكرديـة مـن عشيرة (الملّـا) الـتي كـان يتزعمهـا ابـراهيم باشـا الملّـي، وتوافـد إليهـا بعـد ١٩١٥م النازحون الأرمن والسريان، الفارين من بطش الأتراك، وفي أيار ١٩٢٢ دخلتها فرنسـا تحت قيادة الكولونيل بيتغوغرانـدوت، فأقامـت ثكنـة عسـكرية علـى أنقـاض الثكنـة العثمانية، ويمكن القول أن أغلب المراكز الحضـرية في الجزيـرة نمـت حـول الثكنـات، مما يدعو إلى القول أنها بنيت بدوافع عسكرية، بدليل أن النمط العسـكري يتجلـى في هندستها، ذلك أن ضباطاً من جهاز الأمن كانوا هـم الـذين رسمـوا ونفـذوا مخططـات مدينة الحسكة: النقيب مولر والقامشلي: الملازم أول تريبي [١]. وهناك قرى سرعان ما تحولت إلى بلدات على طول خط قطار الشـرق السـريع (رأس العـين ١٩٢٢– ١٩٢٦ و الدرباسـية ١٩٢٦– ١٩٣٠وعـامودا ١٩٢٦وتـل كـوجر). وفي العشـرينات مـن القـرن الماضـي سـكنت مدينـة الحسـكة أسـر عربيـة مـن عشـائر الجبـور والشـمر والطـي، وأشهرها آل المسلط، وفي عام ١٩٢٦ سكنها حاجو آغا وبعض من أفراد أسرته، بعـد أن نقلته فرنسا من منفاه في تدمر[٢]. وبعد عام ١٩١٥ قدمت من تركيا مجموعات من اليهود والأرمن والسريان، ومجموعة من الآشوريين جاءت من العراق في عهد الانتـداب الفرنسي بين عامي ١٩٣٣– ١٩٣٤م، وأسكنت في حوض الخـابور، وكـان الفرنسـيون يفضلون توطين المسيحيين عموماً لأسباب عدة. وبعد الاستقلال، توافد إليها النـاس من الريف والمدن الجزراوية، واليـوم تعـد مدينـة يسـكنها فسيفسـاء مـن الانتمـاءات الاثنية والدينية بأغلبية من الكرد والعرب، ناهيك عن سريان وآشور.

كانت الجزيرة تابعة لـ (ديرالزور) بداية، ثم أقيمت بها متصـرفية (أي محافظـة الجزيرة) بتاريخ ١٩٣٠/٩/١٩، وأتخذت مدينـة الحسـكة مركـزاً لهـا (تعـرف في اللهجـة المحكية لعرب المنطقة بـ: الحِسِجّة/ بتشـديد الجـيم، والتسـمية مشـتقة مـن الحَسَـجّ/

(١)– جوردي غورغاس: الحركة الكردية التركية في المنفى – مصدر سبق ذكره – ص٩٢.

(٢)– المحامي اسماعيل المحمد: مجلة الحوار – العددان ٦٧و٦٨ عام ٢٠١٥ – ص٧٨.

بتشديد الجيم، والحسج نبتة شوكية معروفة تعرف بالخرنوب)[1]، وكان نسيب محمد صادق الأيوبي أول متصرف (محافظ) رسمي لها. وبعد تخطيط الحدود بين سوريا وتركيا عام ١٩٢٨م ألحق بها منقار البطة[2] بعد أن كان هذا الجزء تابعاً لتركيا. يجري في الجزيرة نهر الخابور، وعدد القرى التابعة لمركز الحسكة (٢١٧)، وتلحق بالحسكة النواحي التالية: ناحية تل براك (١١٣ قرية)، وتل تمر (١٣٩ قرية)، العريشة (٣٠ قرية)، أما مركدة (١١ قرية)، والشدادي (١٠ قرى). عدد سكان مدينة الحسكة يقدر بنحو ٣٥٠ ألف. ن، نسبة الكرد في المدينة ٦٠٪ [3] والباقي من العرب والسريان والآشوريين والأرمن والكلدان والجاجان. أقيمت فيها جامعة حكومية مؤخراً.

تل براك: مركز ناحية، وعدد القرى الكردية المحاذية لطريق قامشلي – الحسكة العام من جهة الغرب هي (٢١) قرية ، وهي من الشمال إلى الجنوب: رجم كلش – فايج – أم عظام – كرمسين – كريزيل صغير – خربة الشيخ – قولو – أم حجرة – وردية – قرديسي – بارودي – خربة سرت – خربى سيد – خربة حواس – أصلو – سيحة عبدالكريم – تل شعلان – عتى – شرجي – خاشوكا – سيد علي. أما القرى المختلطة بين الكرد والعرب فهي (٦) قرى: سيحة مبرد – تل زبيب – أم حجرة فوقاني – زوينكات – خبيرات – الباشية. أما القرى الكردية العائدة لها من جهة الغرب باتجاه ناحيتي عامودا ومركز الحسكة فهي (٣١) قرية، فيصبح مجموع القرى التي يسكنها الكرد مع القرى الست المختلطة (٥٨) قرية [4].

---

(١)– هناك رأي مفاده أن الاسم مشتق من اسم عشيرة كردية قديمة تُدعى(حسكية)، الوارد في السجل العقاري العثماني في القرنين ١٦و١٧م وفق ما ورد في مخطوطة للدكتور علي ميراني. وهناك رأي آخر مشابه، فيذكر عالم الآثار الفرنسي(جان ماري دوران)، بأن مملكة كوردا(عاصمتها شنكال)، كانت تضم الجزيرة، كما يعتقد أن هؤلاء الكرد الذين تحدث عنهم العالم(ديفيد أوتس) ماهم سوى العشيرة الايزدية الهسكانية(هَسَكا = حسكا)، التي تمت تسمية(حسكا = حسكة) تيمناً باسمها وفق اعداد المحامي: علي كولو، مثلما أكد له: حسن شنكالي.

(٢)– أقصى شمال شرقي الجزيرة، شبيه بمنقار البطة حقيقة.

(٣)– عبدالباسط سيدا: المسألة الكردية في سوريا – مصدر سبق ذكره – ص٢٣.

(٤)– م. عبدالصمد داوود: جريدة يكيتي – العدد٢٢٦/ نيسان٢٠١٦.

قامِشلي - Qamişlo[(1)]: تتألف من (قاميش+ لي). (القاميش): تعني القصب، الذي ينمو على ضفاف نهر جقجق الذي يخترقها من الشمال إلى الجنوب ويشطرها الى شطرين شرقي وغربي. أما اللاحقة (لي أو لو): فهي كناية عن المكان الذي يتواجد فيه القصب، وبالتالي (قامِشلي أو قامشلو) تعني الأرض الكثيرة القصب. وهي مدينة حديثة يعود تاريخ انشائها إلى سنة ١٩٢٣، عندما شرع أحد وجهاء الكرد، وهو عبدالقادر علي بك في إنشاء أول بناية له في موضع يقع على مقربة من نصيبين، إلى الجنوب منها وإلى الشرق من نهر جقجق[(٢)]، قرب الحدود السورية – التركية، حتى سمي أقدم حي باسمه (حي قدور بك)، وأقام مطحنة مائية، ثم بدأ الكرد يتوافدون إلى القامشلي، خصوصاً بعد إقامة الفرنسيين ثكنتهم العسكرية ومكاتبهم الادارية فيها بتاريخ ٢٠ آب ١٩٢٦ ومن ثم تخطيطها بشكل شطرنجي، وهي تعد بمثابة العاصمة للكرد السوريين. أنشئت كي تعوض عن المراكز الحضرية مثل ماردين ونصيبين وجزيرة بوتان بعد ترسيم الحدود بين تركيا وسوريا، كان عدد سكانها عام ١٩٢٧ (٣٠٠٠) ن، وعام ١٩٣٠ (٧٠٠٠) ن، وعام ١٩٣١ (١٢٠٠٠) ن، وعام ١٩٥٨ نحو (٥٠ الف. ن) والآن قرابة (٤٥٠ ألف. ن) جراء الهجرة الكبيرة من الريف. تتبعها أكثر من ٥٧٥ قرية (منها ١٢١ قرية تابعة لناحية المركز)، بعضها كبيرة مثل تل معروف على سبيل المثال التي اتخذتها عائلة الشيخ أحمد مركزاً لمشيختهم بدلاً من قرية خزنة الواقعة إلى الشمال منها، وقرية حلوة التي تستقر فيها عائلة الشيخ ابراهيم حقي. وتتبع منطقة القامشلي النواحي التالية: تربه سبي (قبور البيض أو القحطانية) – عامودا – تل حميس. أقيم في القامشلي مطار، ثم تطور مؤخراً إلى مطار دولي، وفيها محطة خط قطار الشرق السريع، وهي عقدة السكك الحديدية، فترتبط بالحسكة ودير الزور والرقة وحلب واللاذقية وحماه وحمص ودمشق العاصمة، كما ترتبط عبر خط قطار الشرق السريع مع حلب عبر الأراضي التركية وفق الاتفاقية الفرنسية – التركية ١٩٢١، فضلاً عن ارتباطها مع الموصل وبغداد. ورغم أنها تقع في منطقة زراعية خصبة غنية بحاصلاتها الزراعية من حبوب وبقول وقطن ونفط وغاز ومياه، ناهيك عن موقعها ووظيفتها التجارية والصناعية وثروتها

---

(١)- راجع الشكلين ٦ و٧ (يمثلان منحنيين بيانيين لتبدلات الحرارة والأمطار في القامشلي).

(٢)– مخطوطة أخرى بحوزة د. علي ميراني.

الحيوانيـة، إلا أن الحكومـات المتعاقبـة، أهملتهـا بشـكل مقصـود بـدليل أن مراكـز الفروع الأمنية أقيمت فيها بدلاً من مركز المحافظة (الحسكة)، فأساءت بالتالي لـيس إلى الكرد فحسب بل إلى جميع مكونات المنطقة. أقيمت فيها جامعة خاصة.

عامودا: وهي قديمة جداً (موجودة منذ ٣٥٠ سنة في المدى المنظور علـى أقـل تقدير)، ورد ذكرها في كتاب «نشوة المدام في العودة الى دار السلام»، للعلامة محمـود الآلوسي (١٨٠٢– ١٨٥٤) أثناء رحلة قام بها الى عامودا عام ١٨٥١[١] التي تقع علـى الحدود التركية. كانت تتبع ماردين في العهد العثماني، وهي مركز ناحية تتبـع منطقـة القامشلي اليوم، كانت عام ١٩٥٨ بلدة صغيرة لا يتجاوز عدد سكانها (١٥ ألف. ن)، والآن نحو (٥٠ ألف. ن). من معالمهـا الأثريـة (كِـرى شـرمولا Girê Şermola)، عـدد قراها فوق ١٦٨، ونسبة الكرد في منطقة عامودا نحو ٩٨٪ [٢].

يضاف إلى ذلك، اشتهرت عامودا بكتاتيبها الدينية Hicrik، التي تأسسـت منـذ عام ١٩١٨، ولعبت دوراً تنويريـاً في مجـال تعلـيم روادهـا شـتى العلـوم، مثـل: الفقـه والشريعة والنحو والصرف والبلاغة والمنطق والفلك، على يد الأخوين ملا (عبيـدالله و فتح الله) سيدا[٣].

تربه سبي (قبور البيض/ القحطانيـة): الاسـم مسـتوحى مـن القبـور المطليـة باللون الأبيض، واللون الأبيض له دلالته المعروفة في الديانتين الايزدية والزرادشتية، وكانت جزءاً مـن سـنجق خلـف آغـا[٤] الـذي كـان مركـزه في قريـة ازنـاور الواقعـة في كردستان تركيا بعد ترسيم الحدود، أقام عام ١٨٤٥م آل عجو[٥] في تربه سبي بعض الدور، قبل قدوم آل حاجو آغا الهفيركي إليها فراراً من بطش الأتراك، ثـم سـكنها آل حـاجو آغـا عـام ١٩٢٦، وهـي اليـوم مركـز ناحيـة وتتبـع اداريـاً منطقـة القامشـلي، يخترقها من الشـمال إلى الجنـوب نهـر الجـراح أحـد روافـد الخـابور، أقـيم عليـه سـد مزكفت شمالي البلدة. وكان معظم سكان المدينة من الكـرد (مسـلمين وايـزديين) إلى

(١)– المخطوط بحوزة د. اسماعيل حصاف.

(٢)– عبد الباسط سيدا: المسألة الكردية في سوريا – مصدر سبق ذكره – نسخة الكترونية.

(٣)– اسماعيل حصاف(الدكتور): تاريخ كردستان سوريا المعاصر ـ الجزء ١ـ مصدر سابق ـ ص٢٦٠.

(٤)– مفهوم السنجق كوحدة ادارية في العهد العثماني، يعني القضاء في وقتنا الحاضر.

(٥)– من عشيرة جَوْدِكا.

جانب نسبة كبيرة من المسيحيين السريان وبعض الأرمن، كان عدد الأسر التي تسكنها عام ١٩٥٠ (٢٦٠) أسرة [١] (١٦٠ أسرة كردية و١٠٠ أسرة مسيحية من السريان والأرمن)، لكن الهجرة الممنهجة[٢] إليها في سبعينيات القرن العشرين، واسكان عرب الغمر قربها، أدت إلى تغيير ديموغرافي في تركيبة البلدة على نحو واضح، وتزامن الأمر مع مصادرة أملاك آل حاجو آغا، ناهيك عن سياسة التعريب التي طالت اسم البلدة، فعربت بداية إلى قبور البيض، إلا أن الأمر لم يشفِ غليل الشوفينيين فعرّبت مرة أخرى إلى القحطانية، أي تعريب على تعريب. عدد سكانها نحو ٣٠ ألف. ن وعدد القرى التابعة لها نحو ١١٠ قرى.

تل حميس: عدد قراها/١٧٦/ ، الكثير من القرى التابعة لناحية تل حميس كردية.

ديريك Dêrik **أو ديركا حمكو (المالكية):** تقع في منقار البطة، في المنطقة التي تلتقي فيها الحدود السورية، التركية، العراقية، في أقصى شمالي شرقي سوريا، تقع شرقي القامشلي بنحو ٩٤ كم، تعرف المنطقة بدشتا هَسِنا Deşta Hesinan. قبل وصول الفرنسيين كانت عين ديوار قرية صغيرة، وبعد فترة – كما يقول الدكتور نورالدين زازا – تحولت إلى بلدة صغيرة فيها طبيب ومكتب بريد ومدرسة وسوق ومقهى ومسرح. ثم نشأت مدينة (ديرك)، وكانت عبارة عن قرية سابقاً بهذا الاسم. أما عن التسمية، فيعتقد البعض أن اسمها (ديرك Dêrik) مستمد من (دو رى Dû Rê) أي الطريقان بالكردية، لكن الأرجح أن التسمية مستمدة من دير السيدة العذراء القديم الذي كان فيها، أما اللاحقة (حمكو) فتدل على مالكها. يعود بناؤها إلى منتصف القرن التاسع عشر/١٨٤٠– ١٨٤٨/ وفق السيد اسماعيل اسماعيل، حفيد اسماعيل حسين الذي عمر والده قرية ديرك، وكان مختارها[٣]. بموجب القرار ٣٤٦

(١)– ما يتعلق بعدد الأسر القاطنة في تربه سبي عام ١٩٥٠، الأرقام مأخوذة من أرشيف المهندس الزراعي محمد سليم عثمان، وهو من سكان البلدة الأصليين ومن عشيرة هفيركا.

(٢)– أسكنت السلطات عرب الجوالة (طي) في حي الثورة، بعد أن منحتهم مساحات البناء مجاناً، ناهيك عن بناء مستوطنات لعرب الغمر في محيطها، هؤلاء الذين جاءت بهم الدولة من من ريف حلب والرقة وفق خطة تعريب مقيتة، سبق أن طرحها محمد طلب هلال السيء الصيت، مما تغيرت المعالم الديموغرافية للبلدة.

(٣)– محمد قاسم: مجلة الحوار – العددان ٦٧و٦٨عام ٢٠١٥ – ص١١٤.

في ٣/٢٤/ ١٩٥٧ عُرِّبَتْ إلى المالكية تيمناً باسم عدنان المالكي[(١)]. ضمت ديريك عام ١٩٢٨م إلى سوريا بعد رسم الحدود نهائياً بين تركيا وسوريا في عهد الانتداب الفرنسي، وكانت قبلئذٍ عبارة عن قرية تابعة لجزيرة بوتان. اتخذت ديريك مركز قضاء عام ١٩٣٦، وكانت تسمى بقضاء دجلة، بينما كانت القائم مقامية سابقاً في عين ديوار، حيث مركز المستشار الفرنسي[(٢)].

منطقة المالكية منطقة سياحية خصوصاً في فصل الربيع، لاسيما منطقة عين ديوار وأهم ينابيعها (كانيا غيدا)، وفيها (برا بافِدْ أو الجسر الروماني المؤلف من ثلاثة أقواس أو قناطر)، ومازالت إحدى قناطر هذا الجسر قائمة من أصل القناطر الثلاث.

عدد قرى المنطقة ٢٩٩ قرية[(٣)]، منها ١٣٨ قرية تابعة لناحية المركز، أما ناحية جل آغا (الجوادية) فتتبعها ٥٣ قرية، وناحية تل كوجر (اليعربية) وتتبعها ٩٨ قرية، تقع على حدود العراق، ويمر فيها خط قطار الشرق السريع ، فضلاً عن بلدة رميلان. سكان مدينة ديرك نحو ٧٥ ألف. ن، وفق تقديرات عام ٢٠٠٠م. من معالمها الأثرية جسر بافِتْ أو الجسر الروماني، الذي أقيم على نهر دجلة، (أقيم عام ١١٦٤م، على زمن الأمير جمال الدين، أحد أمراء جزيرة بوتان)[(٤)]، كان الجسر مؤلفاً من ثلاث قناطر، لم تبق منها سوى واحدة.

كركى لكى (معبدة): أقيمت في عام ١٩٣٨ من قبل (حجي حسين بركات وحجي ابراهيم غزالة، اللذين توافدا إليها من قرية كاني كَرْك)[(٥)]. لكنها سرعان ما اكتسبت أهمية استراتيجية، لأنها تجاور مدينة رميلان الحديثة والمشهورة بصناعتها الاستخراجية (النفط والغاز) من جهة الشرق، حتى تجاوز سكانها/٣٢ ألف.ن/. استمدت كركى لكى (تل اللقلق) اسمها من تل كان يتوسطها، كانت اللقالق تقيم

(١)– ارتأى مدير المنطقة يومئذ – كان من أسرة عدنان المالكي على ما يبدو – أن تسمى بالمالكية بعد موافقة الجهات المختصة على مقترحه (راجع د. عبدالباسط سيدا: المسألة الكردية في سوريا – ص١٩).

(٢)– هوزان أحمد ديرشوي – مصدر سابق – ص١٢.

(٣)– وفق بعض المصادر ٣٢٠ قرية ومنها مصدر أورده هوزان ديرشوي.

(٤)– هوزان ديرشوي – المصدر السابق – ص٤٨.

(٥)– لوند كاردوخي: مجلة الحوار– العددان ٦٧و٦٨– ص١٠٤.

عليه عشها، إلا أن القائمين على السلطة لم يستسيغوا التسمية الكردية، فعربوها إلى (مَعْبَدَة)، في اطار سياسة التعريب التي طالت أغلب القرى والبلدان والمدن الكردية. تم اصدار قرار باحداث ناحية فيها تحت: (رقم ٢٤٨/ ن – تاريخ ٢٠٠٨/١٢/٢٣... ويتبعها ٥٤ قرية ومزرعة)[1].

سرى كانيى (رأس العين): كانت مركز ناحية، ثم تحولت إلى مركز منطقة، تتركز فيها عائلة ابراهيم باشا المللي التي كانت مراعيها تمتد بين ويران شهر في الشمال وجبل عبدالعزيز في الجنوب، وكانت ترتبط بـ (ويران شهر) قبل ترسيم الحدود. ينبع منها نهر الخابور، بما في ذلك النبع الكبريتي، ويقع الموقع الأثري (تل حلف) الشهير إلى جوارها، وفي تل فخيرية أكتشفت عاصمة الميتانيين (واشوكاني). عدد سكانها ٤٠ ألف. ن، وعدد قراها يزيد عن ٢٢٠ قرية (٥٥ تابعة لناحية المركز). تتبعها ناحيتا الدرباسية وأبو راسين.

الدرباسية: مركز ناحية منذ عام ١٩٣١، بعد أن كانت القرمانية تحتل هذا المركز (عام ١٩٢٧، وتولى منصب مدير الناحية الملازم جميل كنه/ أبو بحري، الكردي الأصل من جبل كرد داغ/ عفرين، كما أحدث في نفس العام ١٩٢٧ أول بلدية في القرمانية...وقد عهد منصب رئيس البلدية في ذلك الوقت إلى تمر حاج موسى)[2]. تقع على الحدود التركية وتقابلها بلدة الدرباسية من الجانب التركي ولا يفصل بين الدرباسيتين سوى خط قطار الشرق السريع، مثلهما في ذلك كمثل قامشلي ونصيبين. تابعة ادارياً لمنطقة رأس العين، يقع تل ايلون إلى الشرق منها، يعتقد بعض المعمرين أن اسمها محور من الكلمة الكردية (درباس)، لأنها كانت نقطة عبور بين كردستان الشمالية وكردستان سوريا، لكن البعض يقول بأن اسمها مشتق من اسم عشيرة من الخَلَجان الكردية تسمّى درباس أو اسم بانيها درباس[3]، عدد سكانها

---

(١)– المصدر السابق – ص١٠٩.

(٢)– محمد جزّاع: المناضل حمزة نويران/ صفحات من الذاكرة – ط١من منشورات مؤسسة ماركريت – ص٣٦. أنظر أيضاً(ابراهيم يامن: الدرباسية ماضياً وحاضراً – ط١عام ٢٠٠٩ – ص٧٦).

(٣)– مسعود داوود: مجلة الحوار – العددان ٦٧و٦٨عام ٢٠١٥– ص٨٦و٨٧. ومنهم من قال يمكن أن يكون محور من درب آسيا(أنظر ابراهيم يامين: الدرباسية ماضياً وحاضراً – دار ماردين/ حلب – ص٨٥)، لكن هذا الرأي مستبعد وفق قناعتي، ولا دليل على ذلك.

٣٠ ألف. ن أغلبهم كرد وكان يسكنها ٦٠ أسرة من السريان الارثوذكس، وعدد قراها أكثر من ١٦٥ قرية ومزرعة، ٨٠٪ من سكان الناحية كرد.

تل تمر: أقيمت عام ١٩٣٣ قرب تل أثري، على الخابور، أسكنت بالآشوريين الذين جيء بهم من العراق اثر مذبحة سيميل على يد الجيش العراقي، ورفضت سلطات الانتداب تسكينهم في سوريا بداية، وكذلك الكتلة الوطنية، بلغ عددهم عام ١٩٣٨ نحو ٩ آلاف، تم توطينهم على طول الخابور في ١٦ قرية. وهي مركز ناحية تتبع الحسكة، سميت بتل تمر تيمناً بـ (زور تمر باشا) الملّي، تضم ١٣٩ قرية[1].

٢- **محافظة الرقة:** عين الباب العالي تيمور الملّي زعيم القبيلة المليّة حاكماً على الرقة، وكانت حتى نهاية العهد العثماني تتبع امارة ابراهيم باشا المللي حفيد تيمور، وبعد ترسيم الحدود بين تركيا وسوريا بقي القسم الأكبر من القبيلة داخل الحدود السورية، ومازال الكثير من أعيان الرقة يقرون بأنهم ينتمون الى هذه القبيلة، والى جانبها كانت هناك قبيلة رشوانا الكردية قبل القرن ١٨م. يعيش الكرد في شريطها الشمالي المتاخم لتركيا، ناهيك عن الكرد الذين يسكنون مدينة الرقة ذاتها (٥٠ ألف في الرقة، ونحو ١٠ آلاف في الطبقة).

(تل أبيض) كِرى سِبِّي Girê Sipî: تتبع ادارياً محافظة الرقة وهي مركز منطقة مساحتها نحو ٥ آلاف كم٢، ألحقت بالرقة في اطار سياسة التعريب، وهي صلة الوصل بين الجزيرة وكوباني، و (تعود سندات تمليكها إلى عائلة ابراهيم باشا الملّي)[2]، سكانها خليط من الكرد والعرب، أكثر من ٥٠٪ عرب، ونسبة الكرد بين ٣٠٪ و ٤٠٪، فضلاً عن أقليتين صغيرتين جداً من التركمان والأرمن[3]. جاء أسمها من تل كلسي (أبيض اللون) شرقي البلدة، وعلى الجانب الآخر من الحدود التركية – السورية بلدة آكجه قلعة أو القلعة الناصعة أو البيضاء بالعربي وبالكردي كرى سبي أي التلة البيضاء، فمثلما تم تعريبها في سوريا تم تتريكها في تركيا. تكثر ينابيعها

---

(١)- كوني ره ش: تاريخ القامشلي – ط١عام٢٠١٢/ دار الزمان – ص٦٢و٦٣.

(٢)- عبدالباقي صالح اليوسف: الانفجار السوري – مصدر سبق ذكره – ص٤٥.

(٣)- بدرخان علي: مجلة الحوار – العددان٦٧و٦٨عام ٢٠١٥ – ص٧٠. لكن وفق مصادر د. اسماعيل حساف فان النسب على النحو التالي في المدينة: الكرد ٥٥٪ و٣٨٪ عرب و٧٪ تركمان(راجع: تاريخ كردستان سوريا الجزء ١ ـ ص٢٦٨).

ومنها نبع الغزلان الذي يُدعى بعد التعريب بعين العروس، يقع على بعد ٢ كم جنوب البلدة، يؤمها السياح. كانت المناطق الواقعة شرقي نهر البليخ مراعي لعشائر الملية الكردية إلى عهد قريب أما مناطق غربي نهر البليخ فكانت ضمن أملاك البرازا والدن/ الدنا[١]، وكانت قرى مبروكة والدهماء وعالية وغيرها من أملاك أحفاد الباشا المللي، إلى أن تم الاستيلاء عليها في عهد البعث، حيث تم استقدام فلاحين عرب من ريفي الرقة ودير الزور إليها، أما القرى الواقعة إلى شرق كرى سبي، فقسم منها يعود ملكيتها إلى قراج داغ والقسم الآخر للاقطاعي الكردي محمود نديم أورفلي، وتم الاستيلاء عليها من قبل دولة البعث بعد عام ١٩٦٣ وتم توزيعها على الفلاحين العرب فقط وغالبيتهم من ريف حلب والرقة ودير الزور، وبهذا الشكل كان التعريب جارياً على قدم وساق، وهذا ما يتجاهله الكثيرين. عَرَبُ كرى سبي لا يملكون وثائق إلا من دولة البعث، بينما كردها يملكون وثائق بالملكيات الزراعية ليس من العهد الفرنسي بل من العهد العثماني، ورغم السياسات العنصرية المنتهجة من عهد البعث وما قبله، فما زال الكرد يشكلون في كرى سبي الأغلبية[٢]، ويكثر الكرد في سلوك وعين عيسى وما حولهما، ناهيك عن الرقة والطبقة. القرى الكردية نحو (١٠٠) قرية.

٣- **محافظة حلب:** يسكن الكرد مدينة حلب منذ مئات السنين، ومن أحيائها ذات الأغلبية الكردية (الشيخ مقصود، الأشرفية، العزيزية والأحياء الشمالية الشرقية)، ويزيد التجمع الكردي في مدينة حلب عن/٣٠٠/ ألف نسمة. أما ريفها الشمالي والشمالي الشرقي والشمالي الغربي المسمى بالشهباء (من دون كوباني وعفرين طبعاً)، فكان ذو غالبية كردية، بدليل (امتلاك الكرد لقيود الملكية والتي تعود الى العهد العثماني، بعكس التركمان)[٣]، الا أن الدولة العثمانية ولأسباب سياسية عقب الانتفاضات الكردية قامت بترحيل الكرد، واستقدام مجموعات تركمانية وقبائل عربية (العنزة مثلاً)، ولا ننكر الى جانب ذلك الأسباب التي دفعت بالقبائل البدوية العربية أيام العثمانيين، مثل القحط، التي دفعت بها في الزحف نحو الشمال، حيث المراعي الخصبة والمياه (أنهار: الفرات وقويق والساجور). ثم تبعتها

(١)- الأخيرة عشيرة ايزيدية.

(٢)- ينظر: صحيفة روناهي - العدد ٢٠٨ تاريخ ١٧حزيران ٢٠١٥.

(٣)- اعداد وتأليف علي مسلم - مصدر سبق ذكره - النسخة الالكترونية.

الحكومات السورية بعد الجلاء، خصوصاً في عهد البعث، والتي مارست سياسة التعريب الممنهجة، مما أصاب الانحسار والترقيق العديد من المناطق الكردية هناك.

يقسم الكاتب علي مسلم سكان المنطقة الى الفئات التالية:

أ – فئة تتكلم الكردية وتعتز بهويتها الكردية، تقدر بنحو ٢٠٠ ألف. ن (من شمالي حلب حتى الحدود التركية).

ب – فئة تتكلم العربية وتعتز بهويتها الكردية، تقدر بنحو ٥٠ ألف. ن (قرب سد الشهباء).

ج – فئة تتكلم التركية وتعتز بهويتها الكردية، تقدر بنحو ٥٠ ألف. ن (ناحية الراعي وبلدة دوديان).

د – فئة نست لغتها وتنكرت لأصولها رغم وجود قرائن تثبت العكس، تقدر بنحو ١٠٠ ألف. ن.

أما الجزء الشمالي الشرقي (قضاء كوبانى) والشمالي الغربي (قضاء عفرين)، فمعظم سكانهما كرد.

(عين العرب) كوبانى Kûbanê: مركز قضاء (منطقة) بقرار من المجلس النيابي في عهد الرئيس هاشم الأتاسي في ١٩٣٧/١/٤، تتبع ادارياً حلب،٩٠٪ من سكانها كرد، ونحو ٥٪ تركمان و٥٪ عرب. استمدت اسمها من الشركة الألمانية (كومباني)[١] التي كانت تشرف على تنفيذ خط قطار الشرق السريع عام ١٩١٢، وكانت عبارة عن قريتين (كانيا مرشد وكانيا عربا)، وأقيمت محطة بينهما، فتحولت الى بلدة كانت تتبع قضاء سروج سابقاً، ثم عُرِّبَتْ إلى عين العرب، والحكاية معروفة للقاصي والداني، ففي المدينة كان هناك نبعان، الأول (نبع مرشد)، وسمّى الكرد النبع الثاني بـ (نبع العرب)، لأن العرب البدو كانوا ياتون إليه في الربيع والصيف بقطعانهم من بوادي الرقة بهدف سقاية المواشي، فعربتها السلطات إلى عين العرب في إطار سياسة التعريب الممنهجة كما أسلفنا التي طالت البشر والحجر. عدد سكانها نحو ٤٤ ألف. ن/ ٢٠٠٤ وتتبعها ٤٤٠ قرية، وتتبعها ناحيتا (صرين والشيوخ).

---

(١)– ومما يثير الاشمئزاز أن يأتي(ابراهيم يامن) ويزعم في كتابه:(الدرباسية ماضياً وحاضراً – تقديم مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم – ط١عام ٢٠٠٩ – ص٥١) بأن اسمها(عين العرب) يدل على عروبتها..!

تشتهر كوباني بالعمل على الآلات الحافرة (الحفارات) والزراعة (القمح، الشعير، القطن والكمون في الآونة الخيرة)، لأنها تقع في سهل يعد امتداداً جغرافياً لسهل سـروج، إلا أنها تعاني من نقص شديد في المياه الجوفية.

أهم عشائرها (برازا، كيتكا، شيخان، شدادان). وكان فيها أقليـة مـن الأرمـن، لكنها هاجرت إلى حلب أو إلى الولايات المتحدة، وفيها أقلية عربية تنتمـي إلى عشـائر النعيم والطي، دخلتها عصابات داعش بتواطىء تركي سوري، لكن تم تحريرها بهمـة أهلها والبيشمركة وقوات Y.p.k و Y.p.j وبدعم ومساندة من التحـالف الـدولي بزعامـة الولايات المتحـدة، ويسـجل التـاريخ للـرئيس مسـعود البـارزاني دوره المميـز في هـذا التحرير، بعد أن أقنع الحلفاء بذلك.

جرابلس ومنبج: قضاءان يسكنهما مزيج مـن الكـرد والعـرب والتركمـان ولكـن سواد سكانهما من الكرد، أشهر قبائلهما (البرازا)[١]. ويضـيف علـي سـيدو كـوراني: يقطن الكرد شمالي قضاء الباب في ناحية صور سـنباط في ١٥ قريـة، وينتسـبون إلى عشائر القره كيجان وكيتكان وشيخان، فضلاً عن تل حاصل وتل عـران، وفي قضـاء اعزاز قرى كردية عدة. عدد سكان جرابلس ٩٠ ألف. ن، يشـكل الكـرد نسـبة مهمـة، ويشكلون حزاماً سكانياً حول المدينة. وهي كركميش عاصمة الحثيين (الآريين) قبل الميلاد[٢]، أما عن نسبة الكرد في منطقة جـرابلس فـلا نملـك معلومـات دقيقـة في هـذا الشأن.

عفرين: ذكر رينيه دوسود في كتابه (الطوبوغرافيا التاريخية لسوريا القديمـة في القرون الوسطى)، بأن كرد داغ والسهل القريب من انطاكيا كانا مأهولين بالكرد منـذ القديم[٣]. كانت قرية معبطلي مركز قضاء كرد داغ، ثم نقـل المركـز لاحقـاً الى جسـر عفــرين (وفــق قــرار رئــيس الدولــة أحمــد نــامي، ذي الــرقم ٤٩٦، الصــادر في ١٩٢٦/١١/١٠). عدد سكان مدينة عفرين ٨٠ ألف. ن، وهي مركز قضاء تتبـع ادارياً

---

(١)– علي سيدو كوراني: من عَمّان إلى العمادية – مصدر سبق ذكره – ص٢٢٧.

(٢)– تأليف واعداد علي مسلم – مصدر سبق ذكره – ص٢٠١و٢٠٢.

(٣)– جيرارد جاليارد: شـعب بـدون وطـن/ الكـرد وكردسـتان – مصـدر سـبق ذكـره – ص٣٠٢. راجـع أيضاً(عبدالباقي صالح اليوسف: الانفجار السوري – مصدر سـبق ذكـره – ص٥١) نقـل بـدوره عـن برهان شرفاني: كردستان سوريا تحت الانتداب الفرنسي – مصدر سبق ذكره – ص٢٠.

محافظة حلب، معظم سكانها كرد، وهناك أقلية مـن العـرب في مدينـة عفـرين وناحيـة جنديرس. تشكل منطقة عفرين الجزء الغربي من كردستان الجنوبية الغربيـة، يحـدها من الغرب سهل العمق (لواء اسكندرون) والنهر الأسود، ومن الشرق سهل اعزاز، ومن الشمال خط قطار الشرق السريع، ومن الجنوب منطقة جبل سمعان، معـدل ارتفاعهـا مـن (٧٠٠– ١٢٦٩)م، عـرض المنطقـة مـن الشـرق نحـو الغـرب ٥٥ كـم وطولهـا مـن الشمال إلى الجنوب ٧٥ كم، مساحتها ٣٨٥٠ كم٢، وتسمية عفرين مستمدة مـن اسـم النهر (عفرين)، الذي سمي بالاغريقية (أفرينوس) أي رغوة الصابون، منبع هذا النهر نبع يدعى كانيا صابوني أو نبع الصابون أو ماء الصابون[(١)]، وكانت تابعة ادارياً لـ (كلّس). وهي الآن مركز منطقـة، تتبعهـا النـواحي التاليـة: راجـو، بلبـل، جنـديرس، معبطلي، شيخ الحديد، شـران، وناحيـة مركـز عفـرين، وتتبعهـا ٣٦٦ قريـة. تشـتهر منطقة عفرين بزراعة الحبوب (القمح والعـدس والشـعير) والخضـار والقطـن والشـوندر السكري والحمضيات والتفاحيات والعنب، أما الزراعة الرئيسـية فهـي الزيتـون (عـدد أشجارها ١٨ ألف)[(٢)].

فيها غطاء حراجي طبيعي وغابـات صـناعية، أهـم أشـجارها: صـنوبر، سـرو، يستفاد منها في الحصـول علـى الخشـب. وأهـم صـناعاتها: السـجاد واسـتخراج زيـت الزيتون (٢٥٠ معصرة، منها ٩٢ حديثة و ١٥٨ قديمة) وصناعة الصابون (١٠ معامل) والبيرين (١٨ معملاً)[(٣)].

فضلاً عن طبيعتها الخلابة وكنوزها الدفينة ومواقعها الأثرية (مغارة دو دَري – قلعة النبي هوري – عينداره – قرى كفرانو وكيمار وبرادة – قلعة سمعان)[(٤)]. ورغـم امكاناتها السياحية الهائلة أهملتها الدولة في اطار سياستها تجاه الكـرد، فهـي تفتقـر إلى الخدمات السياحية من فنادق ومطاعم أسوة بالمناطق الأخرى التي لا تتوفر فيها مقومات السياحة.

---

(١)– عبدالباسط سيدا(الدكتور): المسألة الكردية في سوريا – مصدر سبق ذكره – ص٢٤.

(٢)– ينظر: بير رستم: مجلة دنكي مه – العدد الرابع.

(٣)– المصدر السابق.

(٤)– المصدر السابق.

ومناطق جرابلس ومنبج والباب واعزاز، نسبة الكرد فيها تتراوح بين ٤٠-٦٠٪، وتتبع كل بلدة منها قرى كردية عديدة، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على الهراء الذي يهندس له بأن المناطق الثلاث (الجزيرة، كوباني، عفرين) تفصلها عن بعضها فواصل.

الباب[(١)]: منطقة تابعة لمحافظة حلب تتبعها نواحي تادف والعريمة والراعي بالاضافة الى ناحية المركز، سكانها ٢٥ ألف نسمة، وربع سكان المدينة من الكرد والباقون عرب[(٢)]. تنتشر قرابة ١٠٠ قرية بين اعزاز وكوباني، منها: أحرز، كفر صغير، تل عرن، تل حاصل، النيربية، دوديان، تل بطال، قباسين، شدود، وغيرها من القرى المتاخمة لكردستان تركيا. ويبلغ عدد القرى ١٢٠ قرية فقط في منطقة الباب ويسكنها ٣٠٠ ألف نسمة معظمهم من الكرد[(٣)]. ينتمي معظم كرد منطقة الباب الى اتحاد عشائر برازا، لكن الدولة العثمانية قامت بترحيلهم وتشتيتهم، تحت شتى الذرائع منها التمرد على السلطة والامتناع عن دفع الضرائب للباب العالي، ناهيك عن اتهامهم بالسلب والنهب، لذا أسكنت آخرين في مناطقهم، من هنا نجد جيوباً عربية تفصل تجمعاتهم عن بعضها، وفي العهد الوطني أيضاً لم توفر السلطات جهداً، خصوصاً في عهد البعث، لطمس المعالم القومية للكرد فيها[(٤)].

اعزاز[(٥)]: يضم قضاء اعزاز قرى كردية عدة[(٦)]، ويبدأ الانتشار الكردي من قرية (أحرص) ويمتد بدون انقطاع على رقعة جغرافية متواصلة، وأبناؤها مازالوا يحتفظون بخصائصهم القومية وانتمائهم العشائري[(٧)].

تل عران (Girê Aran): تحيط بها تلال عدة تقع على بعد ٢٠ كم جنوب شرقي مدينة حلب، وهي تابعة ادارياً لمنطقة السفيرة، تأسست قبل ٢٠٠ عام، عدد سكانها

(١)- راجع الوثيقتين رقم ٢٧ و ٢٨.

(٢)- ينظر: صحيفة كردستان - العدد ٥١٢ تاريخ ٢٠١٥/٥/١٥م.

(٣)- ينظر: صحيفة روناهي - ١٩ نيسان ٢٠١٥م.

(٤)- تأليف واعداد علي مسلم - مصدر سبق ذكره - ص٥٥ و٥٦.

(٥)- راجع الملحق رقم ٧.

(٦)- علي سيدو كوراني من عَمّان إلى العمادية - مصدر سبق ذكره - ص٢٢٩.

(٧)- علي صالح ميراني(الدكتور): القرى الكردية بالريف الحلبي الشمالي - مخطوطة بحوزته.

نحو ٢٥ ألف.ن[١]، معظمهم كرد من عشائر رشوانا ودنان وبيسكي، وأهلها يعتمدون على الزراعة: الخضراوات المبكرة، زراعة الورد في البيوت البلاستيكية.

أهم القرى على سفح جبل الاحص من الغرب الى الشرق: باشوك، برزاني، زنيان، خراب رش. وأهم القرى من جبل الاحص نحو الشمال هي: بلاط كبارة، كور بينكار، تريمان، جي بول، برلهين.

السهل الممتد شرقي حلب حتى بحيرة الجبول، كان مسكوناً بأفراد عشيرة الدنان، وبعض العشائر من كيتكان والقزق وقره كيجان[٢].

تل حاصل: عدد سكانها ١٧ آلاف.ن تتبع منطقة السفيرة، تقع جنوب شرق حلب، سكانها من عشيرة دنان (ايزيدية لكنها تأسلمت)[٣] يمتهنون الزراعة وتربية الماشية، لكن موقعها استراتيجي فهي قريبة من مطاري النيرب العسكري وحلب الدولي. وتحيط بتل حاصل وتل عران عدد من القرى الكردية، منها: تل عابور، وتل شغيب، بلاط، جبرين، كبارة، وغيرها من القرى المختلطة بين الكرد والعرب.

كفر صغير: عدد سكانها ٦ آلاف. ن وهم من الدنان والبرازا والزازا، أقيمت منذ منتصف القرن التاسع عشر[٤]، ذات طبيعة خلابة، تقع على بعد ١٢كم شمالي مدينة حلب، في الجهة الشمالية الشرقية، تتبع ادارياً منطقة جبل سمعان، وتتأتى أهميتها الاستراتيجية من تربعها على سفح تل يطل على المدينة الصناعية في الشيخ نجار جنوباً وكذلك السجن المركزي غرباً ومدرسة المشاة شمالاً، يعتمد سكانها في حياتهم على الزراعة: الكمون والشعير والزيتون والفستق الحلبي/عدد الأشجار ١٢ألفاً.

قباسين: اسمها الكردي (باشكي أو باشكو) ويعني الجميلة أو الجميل، أما الاسم المعرب قباسين، فقد أطلق على البلدة في سياق سياسة التعريب في سبعينات القرن الماضي. تقع شمالي بلدة الباب بنحو ٥ كم، عدد سكانها (٢٢– ٢٥)ألف.ن،

(١)– علي صالح ميراني: مخطوطة بحوزته – مصدر سابق. و(٣٠) ألف. ن وفق علي مسلم، راجع: الكرد في منطقة الباب وأطرافها – مصدر سبق ذكره – ص١٤٨.

(٢)– مخطوطة بحوزة د. علي صالح ميراني – مصدر سابق.

(٣)– تأليف واعداد: علي مسلم: الكرد في منطقة الباب وأطرافها – مصدر سبق ذكره – ص١٤٩.

(٤)– مخطوط بحوزة د. علي صالح ميراني – مصدر سابق.

أغلبهم كرد (نحو ٦٠٪) والباقي عرب وافدون[(١)]، وهـي تتوسـط مجموعـة مـن القـرى الكردية، لذا عانت من الاهمال المقصود ومن الاجراءات التمييزية، خصوصاً في الفترة التي ترأس البلدية زكي الشيخ عبدو قبل ٢٠٠٤م، فقاموا باعداد المخطـط التنظيمـي للبلدة وتخصيص أراضي واسعة إلى حدائق عامة وشوارع تعود ملكيتها إلى مـواطنين كرد. أغلب كردها ينتمون إلى عشيرة الـ (قره كيج)، أما العشائر العربية فهي الجيس والدمالخـة والبغـال. تشـتهر بزراعـة القمـح والشـعير والعـدس والفـول والفاصـولياء والبصل والثوم والخيار والبندورة والباذنجان والفليفلة. كما تشتهر بصناعة الحفارات والآلات الزراعيـة والمضـخات المائيـة وصـناعات خفيفـة أخـرى. قربهـا تـلال أثريـة، أحدها إلى شرقيها أما تل بنان فيقع في غربها على بعد ٣ كم، ومـن المواقـع الأثريـة: جبل الدير، كولا جاليان، خرابة تمو أيضاً[(٢)].

وتتوزع القرى والبلـدات ذات الأغلبيـة الكرديـة علـى طـول الشـريط الحـدودي، ومنها: دوديان، اخترين، الراعي...الخ. إضافة إلى بعـض القـرى الأخـرى الـتي تعتـبر صلة الوصل بين مناطق مختلفة من الريف الحلبي، مثل: قرية أحرز الكردية الصرفة، التي تقع جنوب بلدة تل رفعت، وتبعد عن حلب قرابة ٢٥ كم[(٣)].

٤- محافظة ادلب: تكثر القرى الكردية في جبـل الزاويـة الواقـع شمـالي ادلـب، وأشهر القبائل أو العشائر الكردية، هي: هنانو، كيخيا، برمدا، وكانت هـذه الأخـيرة تملك مدينـة حـارم[(٤)]. هـم في الواقـع لا ينكـرون أصـولهم الكرديـة إلا أنهـم يتكلمـون العربية.

٥- محافظة حماه: كانت حماه تسمى بمدينة أبي الفداء، المولـود في دمشـق عام ٦٧٢ هـ، ولاه ابن عمه الملك الناصر داوود امارة حماه، فلقب بالملـك الصـالح، توفي عام ٧٣٥ هـ ودفن في حماة، وهو من العائلة الأيوبية، يُعرف بالجغرافي والمـؤرخ. ويذكر كلود كاهن، استاذ الدراسات الاسلامية في السوربون، في أطروحته لنيـل درجـة

---

(١)- تأليف واعداد علي مسلم - مصدر سبق ذكره - ص١٥١.

(٢)- ينظر: صحيفة كردستان - العدد ٥١٢ تاريخ ٢٠١٥/٥/١٥.

(٣)- صحيفة روناهي - ١٩نيسان ٢٠١٥.

(٤)- خالد عيسى: الأكراد وتشكل الدولة السورية - طبعة باريس ٢٠٠٣م - ص١٠٧.

الماجستير، بأن مدينة حماه كانت اقطاعية كردية يسيطر عليها علي بن وفا، المعروف بـ (علي الكردي)، الذي توفي عام ١١١٤[١].

ورد في مجلة تصدرها المديرية العامة للآثار والمتاحف في سوريا: (نجد في حماه عدداً كبيراً من المواطنين غير العرب، وأهم طوائفهم الأكراد الشعفية الشامية، وكان زعماؤهم المقدمون: بهاء الدين عمر، عيسى بن يوسف، سينو بن اسماعيل، ابراهيم أحمد. وهناك طائفة الأكراد الجوالكة وطائفة الديسنية الكردية)[٢].

كما نزحت بعض عشائر البرازا الى حماه من كوباني (عين العرب) وما حولها، بهدف البحث عن المراعي، ونزلوا في قرى تقع غرب حماه، منها: خربة القصر، خربة عارف، بولص، ومنهم من أقام في مدينة حماه: حي البرازية، حي عين اللوزة، ومنهم من سكن مدينة السلمية.

ويقطن الكرد في قرى مثل: عقرب وطلف مع التركمان، وفي أكراد ابراهيم من قرى الوعر بين نهر العاصي وسفوح جبال النصيرية (جبال العلويين). ويسكن أكراد عثمانو في أرجاء العشارنة وتل سلحب وما حولها من البقاع الممتدة غربي العاصي في شمالي لواء حماه كما يقول علي سيدو كوراني. أما من كانوا في قرية الدياسنة فقد جلوا عنها في مطلع القرن العشرين إلى قرية مخرم التحتاني من أملاك الدولة في شرقي حمص[٣].

٦- محافظة اللاذقية: يتواجد الكرد في جبل (الأكراد)[٤] منذ العهد الأيوبي على أقل تقدير، ويتبع ادارياً محافظة اللاذقية، وتتجلى أهميته الاستراتيجية في أنه يشكل بوابة (كردستان سوريا) المطلة على البحر المتوسط، كونه على الطريق الواصل بين حلب واللاذقية من جهة، ومن جهة أخرى يعد بمثابة سلة غذائية للمنطقة الساحلية لولا سياسات التهميش الاقتصادية والخدمية للمنطقة، بسبب تنوع الانتاج

(١)- جيرارد جالياند: شعب بدون وطن/ الكرد وكردستان - مصدر سبق ذكره - ص٣٠٢.

(٢)- الحولية الأثرية العربية السورية - المجلد ١٦- عام ١٩٦٦ - الجزء الأول - ص ٧٥، نقلاً عن تاريخ حماه الاجتماعي والاقتصادي والاداري مستمداً من سجل المحكمة الشرعية لعام ١٥٨١ للاستاذ عبدالودود برغوث.

(٣)- علي سيدو كوراني: من عمان إلى العمادية - مصدر سبق ذكره - ص٢٣٠.

(٤)- وهو جزء من سلسلة جبال العلويين(جبال اللاذقية)، وبالمناسبة هو غير جبل الكرد الموجود في عفرين.

الزراعـي، كالفواكـه (التفـاح والخـوخ والـدراق والسـفرجل والمشـمش والكـرز والـتين والعنب والتوت)، والمكسرات (الصـنوبر والجـوز واللـوز والفسـتق الحلـبي) والحبـوب (القمح والشعير) و البقوليات والخضار[1].

من نواحي جبل الأكراد (سلمى و كَنْسَبّا)، معظـم سـكان الجبـل مـن الكـرد، استوطنوا المنطقة منذ الحروب الصليبية، وعددهم يزيد عن/١٥٠ ألف. ن/ عدا الـذين نزحوا إلى المدينة. وهم يتوزعون على العشـائر التاليـة: موشـان، أوجـان/ العوجـان، كيخيا، شيخان...الخ.

١- **الموشان:** أكبر هذه العشائر، تتركز في سلمى والقـرى المحيطـة بهـا مثـل: المريج، المارونيات، ترتياح، مرج خوخة، كفر دلبة، الكوم، الكبانة، عكو...الخ. مـن عائلاتها: الحاجي وشمدين وحمدو وفـاتو وشـاكر وجلالـو وجعفـرو وسـيو وحسـينو وسينو وبريمو...الخ.

٢- **العوجان:** عشيرة كبيرة، تتوزع في القـرى التاليـة: كنسـبا، نحشـبا، أرض الوطى، الحدادة، شلف، وقرى أخرى. من عائلاتها: زهوري وبازيدو وموسـى وخليـل وطبنجة وخليلو...الخ.

٣- **الكيخيا:** أصغر من العشيرتين السابقتين، تتوزع على القرى التالية: مجدل كيخيا، دويركة، بروما، آرا، طعوما. أبرز عائلاتها: حاج بكـري/ كيخيـا، وهـي عائلـة كبيرة تمتد حتى حلب مـروراً بجسـر الشـغور وريـف ادلـب، وهنـاك عوائـل علـي آغـا وبكداش وقنزوعة وبرو وبكور وجولاق وآل رجب والشيخ...الخ.

٤- **الشـيخان:** تتـوزع علـى القـرى التاليـة: وادي الشـيخان ومـزين والعيـدو والقساطل...الخ. وأهم عائلاتها: الشيخاني وأوسو...الخ[2].

من أهم قرى ناحية سلمى: دورين، ترتياح، مـرج خوجـة، كفـر دلبـة، المـريج، ساقية الكرت، الكوم، المارونيات، بسوفا.

ومن أهم قرى ناحيـة كنسـبا: شـلف، عـين القنطـرة، وادي باصـور، العيـدو، مجدل كيخيا، طعوما، كدين، بلّة، آرا، دويركا، الكبانة، بروما، عكو، نهشـبا، كليـى

---

(١)- ينظر: صحيفة يكيتي - العدد ٢٢٠- عام ٢٠١٥.

(٢)- ينظر: صحيفة يكيتي - العدد٢٢٠- تشرين الأول ٢٠١٥.

شيخان، برزه، كباتى[١]، وعرافيت، أبـو ريشـة، مـزين، كفرتـه، الحمـرات، سـحاقير، عين الحور، بـوز الخربـة، شـير قبـور، السـرمينة، الحـدادة، أرض الـوطى، المشـرفة، القساطل. وهناك قرى على طريق ادلب بجوار الجبل، مثـل: الكنـدة، تـردين، أوبـين، اليونسية[٢].

لكن أغلب ساكني جبل الأكراد نسوا لغتهم الأم، باستثناء قلـة مـن المسـنين، ويتكلمـون العربيـة، إلا أنهـم مـازالوا متشـبثين بهـويتهم وفخـورين بكـرديتهم رغـم سياسات التعريب الممنهجة منذ الاستقلال وحتى اليوم.

٧- **لواء اسكندرون:** ينقسم إلى ثلاثة أقضية، هي: (اسكندرونة - قـرق خـان - انطاكيا)، ويقطن الكرد في جرة اللجة شمالي سـهل العمـق، وفي قضـاء قـرق خـان يؤلفون هم والتركمان سكان ناحيتي قرق خان وحاجيلر، وفي قضاء انطاكيا في جبـل القصير على جبل الأكراد في منطقة العلويين[٣].

٨- **مدينة دمشق:** سكنها الكرد منذ القديم، خصوصاً في حي (الأكـراد) الـذي سمي بحي (ركن الدين)، تيمناً بأحد وزراء السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بـن أيوب من جهة، ولتلافي كلمة الأكراد التي لا يستسيغها الشوفينيون مـن جهـة أخـرى، وكان يطلق على المنطقة الممتدة بين سهلي البرزة وقابون مـن جهـة الشـرق ومنطقـة أبي جرش غرباً، وجبل قاسيون شمالاً وشريط من البساتين جنوباً، ومعظـم سـكانه من الكرد[٤].

منهم من قدم إلى دمشق منذ عهد صلاح الـدين الأيـوبي في القـرن الثالـث عشـر الميلادي واستقر هؤلاء في سوق ساروجا، ثم انتقلوا إلى جبل قاسيون[٥]، ومـنهم مـن جاء بقصد التجارة، ومنهم من كان منخرطاً في الجيش العثماني، ومـنهم مـن فـرّ مـن ظلـم الكمـاليين[٦]، لكـن هـؤلاء الـذين فـروا مـن ظلـم الكمـاليين قلـة مـن المـثقفين

(١)- ينظر: صحيفة يكيتي - العدد ٢١٢- شباط ٢٠١٥.

(٢)- ينظر: صحيفة يكيتي - العدد٢٢٠- تشرين الأول ٢٠١٥.

(٣)- علي سيدو كوراني: من عَمّان إلى العمادية - مصدر سبق ذكره - ص٢٢٩.

(٤)- نواف محمد مراد - مصدر سبق ذكره - ص٣٩.

(٥)- جوردي غورغاس: الحركة الكردية التركية في المنفى - مصدر سبق ذكره - ص٥٤.

(٦)- عزالدين ملاّ: حي الأكراد في دمشق - ص١١. انظر أيضـاً: موقـف الحـزب الشـيوعي السـوري مـن القضية الكردية في سوريا - ص٤٠.

المتنورين والسياسيين الملاحقين. حي الأكراد (ركن الدين) في دمشق، وجد منذ العصر الأيوبي (عام ١١٧٤م)، وجاء في كتاب (خالد بكداش يتحدث) بأن الكرد يسكنون دمشق العاصمة منذ القدم (منذ القرن الحادي عشر للميلاد)[١]. يقول عصمت شريف وانلي: كان في حي الأكراد مدرسة ابتدائية تُدعى مدرسة الصاحبة، كانت معمرة من الحجر الصلد درست فيها الابتدائية، وفوق الباب نقش بالعربية يشير الى أن الصاحبة التي عمّرتها واتخذتها وقفاً، كانت أخت صلاح الدين واسمها كما أعتقد ربيعة خاتون، بمعنى أن البناء كان مدرسة منذ سبعة قرون، وهذا دليل آخر على أن الحي يرجع عهده على الأقل الى العهد الأيوبي، وربما أقدم. فهم دمشقيون أقحاح وفق تعبير خالد بكداش، وشاركوا في جميع معارك التحرير، بدءاً من مقاومة الغزو الصليبي وحتى الثورة السورية ضد الانتداب الفرنسي، فقد كان (الحي الذي نشأت وترعرعت فيه، أحد معاقل الثورة السورية). وقد ورد في كتاب «الروضة الغنَّاء في دمشق الفيحاء» لـ (نعمان أفندي قساطلي)، الذي طبع في بيروت عام ١٨٧٦، أن سكان دمشق (١٤٢.٧٥٠) نسمة يومئذٍ، كانوا يتوزعون على النحو التالي:

١٢٦.٧٠٠ عربي
٦.٠٠٠ كردي
٤.٢٠٠ مغاربي
٤.٠٠٠ تركي
٦٠٠ عجمي أو ايراني
٦٠٠ أرمني
٣٥٠ افرنجي ويوناني
٣٠٠ سرياني

٩- الكرد في الجولان: يذكر الدكتور أديب سليمان دباغ[٢] قائلاً: أما الأكراد فعددهم قليل، لكن ينبغي التمييز ضمن الأكراد بين الفئات التالية: **أ - الأكراد الذين تعربوا تماماً:** فهم لا يتكلمون الا العربية، وهم يعيشون في البداوة ويشبهون البدو

---

(١)- من مذكرات عصمت شريف وانلي - مصدر سبق ذكره - ص٢٢.

(٢)- راجع كتابه: الجولان/ دراسة في الجغرافية الاقليمية، المترجم من الفرنسية الى العربية، وهو من منشورات اتحاد الكتاب العرب ١٩٨٣.

العرب، ويدعوهم العرب آغا، وهو لقب كردي قديم، يطلق على السادة، وهو كل ما تبقى من أصلهم البعيد. ب – **الأكراد القرويون والمقيمون في المدن:** ففي القنيطرة عدد محدود حوالي ٥٠ شخصاً تقريباً، وهم يمارسون التجارة الصغيرة، ولهم علاقات طيبة مع البدو، ويمتهن الأكراد في عدد من القرى مهنة البقالة أو الجزارة.ج – **الأكراد الملاكون الكبار:** وهؤلاء لهم ممتلكات واسعة يجري استثمارها بواسطة وكلاء ومرابعين في الجولان، ويقيم الملاكون في دمشق، وهم أكبر ملاكي الأراضي في الجولان. ويكفي أن نشيرالى أن ثلاث منهم فقط يمتلكون /٤٢٥٩٢٥/ دونماً[١].

*** الأقليات الاثنية والدينية في الجزء الملحق بسوريا:**

نزح المسيحيون (السريان والأرمن) واليهود من تركيا عقب المجازر التي تعرضوا لها، أما الآثوريون فقد نقلوا من العراق. فبعد ترسم الحدود بين تركيا وسوريا وفق اتفاقية أنقرة عام ١٩٢١، نزح (٣٠) ألف أرمني إلى سوريا، وفي أواسط ١٩٢٣ نزح (٣٠) ألف مسيحي آخر، وبنهاية ١٩٢٣ بلغ عدد النازحين (١٠٠) ألف مسيحي، استقر نحو (٣٠) ألف في الجزيرة[٢].

١– الآثوريون والسريان: نقل الآثوريون (التياريون)[٣] في ١٧ تموز ١٩٣٣من قبل الانكليز وباتفاق مع الفرنسيين وبتمويل عراقي وبشرعَنَة من عصبة الأمم إلى ضفاف الخابور الواقعة بين رأس العين والحسكة، وأعطيت لهم سندات التمليك وأسكنوا في (١٦ مستوطنة)، هي: تل تمر، تل نصري وتل جمعة وأم كيف وتل كيفجي وتل هرمز وأم عرقان وتل عربوش وتل مخاضة وتل طال وتل سكرة وتل شمران وتل رديات وقرى أخرى، ومنهم من يسكن الآن في مدينة الحسكة، كانوا يعملون في البستنة[٤]، وكان عددهم ٥٠٠ ن عام ١٩٣٣، ثم تزايد إلى ٩ آلاف عام ١٩٣٨الذين أسكنوا في وادي الخابور. وجرى ذلك على خلفية انتفاضتهم وقيام الجيش العراقي تحت قيادة بكر صدقي بقمعهم بشدة، فقتل على اثر ذلك ٦٣٠

---

(١)– زياد اليوسف(الدكتور): جامعة دهوك – نسخة الكترونية، نقلاً عن د. أديب سليمان دباغ، من كتابه «الجولان/ دراسة في الجغرافية الاقليمية».

(٢)– ديفيد مكدول: تاريخ الأكراد الحديث – مصدر سابق – الهامش ص٦٩٦.

(٣)ـ نسبة إلى عشيرة تياري.

(٤)– محمد طلب هلال: دراسة عن محافظة الجزيرة – مصدر سبق ذكره – ص١٤٧و١٤٨.

آشورياً في ٧ آب في منطقة سيميل، واتخذ الآشوريون من هذا اليوم عيداً للشهيد الآشوري[١].

أما السريان، فمنهم سريان أرثوذكس وسريان كاثوليك، هُجِّروا من تركيا أثناء المجازر، وهم يتمركزون في مدن الحسكة والقامشلي وعامودا والدرباسية ورأس العين وديريك وتربه سبية وفي بعض القرى كـ: ملا عباس وروتان وكركى شامو وكر شيران ومحركا وغردوكا وخويتلا التابعة لتربه سبي على سبيل المثال لا الحصر، ولهم كنائسهم ومدارسهم الخاصة. وهناك طوائف مثل الروم الكاثوليك والروم الأرثوذكس والانجيليون البروتستانت والكلدان والنساطرة.

٢- الأرمن: ويتوزعون إلى أرمن أرثوذكس وأرمن كاثوليك، وهم الذين هَجّرتهم تركيا عقب مجازر عام ١٩١٥م، وهم يتوزعون في مدينة حلب والقامشلي والحسكة، يعملون في الأعمال الميكانيكية غالباً. ومن المفيد قوله، بعد وصول الاتحاديين الى الحكم، تبنت حركة الاتحاد والترقي مهمة القضاء على الأرمن والكرد على حد سواء، ووفق ايديولوجيتها الطورانية، التي استلهمت مبادئها الأساسية من الحركة النازية الألمانية على شاكلة حزب البعث في العراق وسوريا، دعت الى اقامة امبراطورية طوروستان[٢]، لكن كانت هناك ثمة عقبة تحول دون تحقيق هذا الهدف، تمثلت في أرمنستان وكردستان اللتين كانتا تفصلان بين تركيا من جهة، والمناطق الطورانية سالفة الذكر من جهة أخرى، فعزم الاتحاديون على فك هذه العقدة بأي ثمن، عبر القضاء على هذين العنصرين (الأرمن والكرد)، والتخلص منهما، وكان السيناريو على النحو التالي: (الأرمن، كونهم مسيحيين، فقد اعتبروا مستعصين على الصهر والتمثيل، لذلك استوجب الأمر القضاء عليهم. أما الكرد، فيجب تهجيرهم وتشتيتهم أو اذابتهم وصهرهم حسب ما يتطلبه الأمر)[٣]. كان السريان يعيشون مع الكرد في: طور عابدين (هزخ، نصيبين، ماردين وقراها..الخ)، أما الأرمن فكانوا يسكنون المناطق الشمالية (خصوصاً شمالي بحيرة وان). لكن ما حصل جراء المذابح التي

---

(١)ـ محمد جمال باروت ـ التكون التاريخي الحديث للجزيرة ـ مصدر سابق ـ ص٢٧١و٢٧٢.

(٢)- تمتد من تركيا الى سهول آسيا الوسطى، والتي تضم: أذربيجان، أوزبكستان، تركمانستان، قرغيزستان.

(٣)- جيرارد جاليان: شعب بدون وطن/ الكرد وكردستان - مصدر سبق ذكره - ص٣٥.

نفذتها السلطة العثمانية بمباركة ألمانيا هو اضطرار السريان والأرمن: (الى النزوح عن مناطقهم، والتوجه نحو الجنوب، حيث استقروا بين الأكراد في الجانب الجنوبي من خط قطار الشرق السريع، الذي كان قد أصبح في عهدة الانتداب الفرنسي، بموجب اتفاقية فرانكلين بويون)[١].

كانت المجازر موجهة خصيصاً ضد الأرمن، خوفاً من ظهور الدولة الأرمنية وفق سيفر، وقد يتساءل القارىء قائلاً: لماذا الأرمن تحديداً وليس الكرد أيضاً ممن أقرت سيفر بحقهم في انشاء كيان لهم أيضاً؟، ثم ينطلق من هذه المقدمة الى نتيجة مؤداها: لقد كانت المجازر تستهدف المسيحيين وحدهم. في ظاهر الأمر هذا صحيح، لكن العامل الديني كان عاملاً ثانوياً وكان العامل السياسي هو الرئيس، بدليل أن السريان كانت محنتهم أخف بكثير من محنة الأرمن، لأن الأرمن كما أسلفنا طالبوا بدولة أرمنية مستقلة، وكانوا يتلقون الدعم الخارجي، لذا حين وصلت: (الدولة التركية الى قناعة صعوبة اذابة العنصر الأرمني في اطار العنصر التركي، اذا جاز التعبير، وذلك لوجود عائقين الأول ديني، بينما الثاني قومي. في حين أن العائق الديني كان غائباً بالنسبة للعنصر الكردي)[٢]. وهذا لا يعني نسيان الدور الذي لعبته بعض الشعارات ذات الطابع الديني، مثل: (ضرورة التخلص من الكفار)، في تحشيد فئة الغوغاء، ناهيك عن الجهل المستشري. وقد تنبه ارنولد توينبي الى هذه الناحية التي وضحها جيمس بريس بدوره في مجلس اللوردات البريطاني، حين قال: ان المذابح المشار اليها لم تكن نتيجة فوران غضب المسلمين ضد المسيحيين الأرمن، بل كانت مطابقة لرغبات الدولة. انها لم تكن نتيجة المشاعر الدينية العمياء وحدها، وانما كانت حصيلة أسباب سياسية. كانت الدولة تريد أن تتخلص من الشعوب غير المسلمة، لأنها كانت عقبة في طريق وحدة عناصر الأمة[٣]. وهناك مئات الشهادات التي تذكر كيف كان الكرد يخاطرون بحياتهم من أجل انقاذ الأرمن، وكيف استقبلوا النازحين الفارين من جحيم الطورانية. ندرج هاهنا بعض الشهادات التي تدل على ما

---

(١)– عبدالباسط سيدا(الدكتور): المسألة الكردية في سوريا – مصدر سبق ذكره – ص١٤٦.

(٢)– المصدر السابق – ص١٥٠.

(٣)– قسطنطين بازيلي: سوريا وفلسطين تحت الحكم العثماني – ترجمة: طارق معصراني – من منشورات دار التقدم/ موسكو عام ١٩٨م – ص٣٢.

قام به الكرد من أجل حماية المسيحيين عامة والأرمن خاصة، على سبيل المثال لا الحصر:

أ– شهادة الطالب الشاب الأرمني (سوغومون تهليريان)[1]**:** كشفت شهادته أمام محكمة برلين الستار عما جرى، وهي كافية لتبرئة الكرد من الدم الأرمني المراق، لأنها – أعني الشهادة – تدين النظام التركي بدون رتوش، خصوصاً هي من ضحية نجا باعجوبة بعد أن أبيدت أسرته بدم بارد وبمنتهى الهمجية، فما كان منه الا أن أقدم على اغتيال طلعت باشا، وزير الشؤون الداخلية في حكومة الاتحاد والترقي أثناء الحرب العالمية الأولى في ١٥ آذار ١٩٢١م في أحد شوارع برلين في وضح النهار.

سأله رئيس المحكمة: ماذا فعلت بعد ذلك ؟. أجابه سوغومون: لجأت الى احدى القرى في الجبال، كانت هناك امرأة مسنة آوتني، وبعد أن شفيت جروحي، قالوا: لا يمكننا ايواؤك لمدة أطول، لأن الحكومة تتعقب من يأوي الأرمن وتحكم عليهم بعقوبة الاعدام. سأله رئيس المحكمة: هل كانوا أرمن، أولئك الذين آووك ؟. أجابه سوغومون: كانوا من الكرد، وكانوا طيبين، فقد نصحوني بالذهاب الى ايران، بعد أن ألبسوني الزي الكردي، وبقيت شهرين أيضاً بين الكرد في ديرسم. لم تعجب شهادة سوغومون حول الكرد بعض عناصر المحكمة، لأنها كانت تدحض التلفيقات التي كانت تروجها تركيا عن مساهمة الكرد في تلك المجازر، ناهيك عن الأوساط الألمانية التي كانت تتلقف تلك الدعاية وترددها، بغية تبرئة حليفتها تركيا من دم الضحايا الأرمن[2] رغم ذلك نحن لا ننكر ما فعلته الهيستيريا الدينية في تأجيج

---

(١) – كان سوغومون في الثامنة عشرة من عمره عندما ساق جنود الجيش التركي وعناصر الجندرمة الأرمن من مدينة أرزنجان في حزيران ١٩١٥م، وكان برفقة عائلته، حين بطشوا بهم واغتصبوا شقيقاته اليافعات، ورأى كيف تهوي البلطة على رؤوسهم واحداً واحداً، وتلقى هو أيضاً ضربة من الخلف فسقط مغشياً عليه بين جثث الضحايا، وظل فاقد الوعي ليومين بين الجثث، وحين استفاق تفقد الجثث، لكن دون فائدة، وقد أدلى بشهادته كيف أنقذه الكرد.

(٢) – مسألة ابادة الأرمن أمام المحكمة أو قضية طلعت باشا/ تفاصيل ابادة الشعب الأرمني – ط٢عام ٢٠٠٨ – من مقدمة المراجع فاضل كريم أحمد – اصدارات مكتب الفكر والوعي في الاتحاد الوطني – ص١٧و١٨.

وتأليب مشاعر البسطاء من كل المكونات في تركيا ضد الأرمن، لقد كانت الجريمة منظمة ومعدة بشكل محبك من قبل السلطات التركية[1].

ب – شهادة الدكتور نورالدين زازا وديفيد مكدول: وردت في مذكرات زازا: أعدّ الألمان بمساندة الشباب الأتراك خطة لابادة الأرمن الذين يعيشون داخل حدود الامبراطورية العثمانية، وبدأ العمل بالخطة في عام ١٩١٥ واستمر حتى عام ١٩١٨، حيث لجأت سلطات استانبول إلى مختلف السبل الشيطانية لانجاح عملية إبادة جماعية لشعب بأسره. وكان كل مرؤوس عثماني يظهر أقل كراهية لهذه السياسة يعد خائناً ويستحق أشد العقوبات، ورغم ذلك بذل الكثير من الكرد أموالهم وأنفسهم في سبيل حماية الأرمن الموجودين في مدنهم أو مناطقهم أو قبائلهم.

كان أبناء مادن (معدن) من بين الذين عملوا على حماية الأرمن في مدينتهم من وحشية الجنود والعساكر والدرك ومجرمي القانون العام الذين يطلق سراحهم في مثل هذه الظروف. وفي عام ١٩١٩م ساعد الكرد الأرمن في اللجوء إلى سوريا، وفي ذلك التاريخ احتضن أهلي الفتاة الأرمنية اليتيمة (جاجو)، التي كان اسمها الحقيقي ماجدة، وبعد رحيل الأرمن عن مادن تحول حيهم إلى كومة من الأنقاض[2].

كما يؤكد مكدول كيف منح الكرد العلويون "القزلباش" الحماية للمسيحيين بمن فيهم الأرمن، وكان ثوريو الأرمن قد أقاموا مع كرد ديرسم علاقات وطيدة[3].

ج – شهادة الحاج درويش: بين عامي (١٩٢٤– ١٩٣١) تدفق جموع من بقايا مذابح سفر بلك الى القرمانية، فاستقبلهم الحاج درويش حاج موسى وكل أهالي القرمانية بالحفاوة، وقدموا لهم المأكل وتمكنوا من ايوائهم في مساكن[4].

لكن هذا لاينفي مشاركة بعض رؤساء العشائر الكردية، ممن نفذوا الأوامر التركية انطلاقاً من مصالحهم المرتبطة مع المؤسسة الحاكمة، وقد ساهمت نفس

---

(١)– راجع الوثيقتين رقم ٢١ و٢٢.

(٢)– نورالدين زازا (الدكتور): حياتي الكردية/ صرخة الشعب الكردي – مصدر سبق ذكره – ص١٠.

(٣)– ديفيد مكدول: تاريخ الأكراد الحديث – مصدر سبق ذكره – ص١٨٠.

(٤)– ابراهيم يامن: الدرباسية ماضياً وحاضراً – مصدر سابق – ص٧٢و٧٣. يجدر الذكر أن الحاج درويش من زعماء الكيكان، فخذ آزيزان، وهو والد الاستاذ عبدالحميد حاج درويش، سكرتير الحزب الديمقراطي التقدمي الكردي في سوريا.

الحفنة في محاربة الشيخ سعيد بيران عام ١٩٢٥م، ونكثت بعهودها التي قطعتها لـه، والتي نصت على تقديم العون له ومناصرة ثورته[1]، وكانت الغاية من تحريك تلك الحفنة استهداف اللحمة التي كانت تجمع بين الكرد والأرمن وسائر المسيحيين، والايقاع بينهم وقد أدرك الكرد والأرمن حجم المؤامرة التي تحاك فتداركوها.

٣- **اليهود:** قدم أغلبهم من نصيبين إلى القامشلي، كانوا يعملون في التجارة، هاجروا إلى اسرائيل بعد عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧.

٤- **الجاجان (الشيشان):** تم توطينهم في رأس العين منذ عام ١٨٧٧ في عهد السلطان عبد الحميد، لكن التيفوس حصدهم، أعدادهم قليلة، وهم مسلمون.

٥- **التركمان:** وفدوا الى بلاد الشام وسوريا منذ العهد الزنكي والعثماني، وينتشرون في ريف حلب الشمالي كقضاء جرابلس ومنبج والباب، في: آق طاش، بك مشلي، وتليله، وحاجي كوسه، وخليصه، وطاشلي هيوك، وهوى هيوك، وقنطرة، وكربيجلي، وميرخان، وميرزا شهيد، وجوبان بك وغيرها، كما يقول أحمد زكريا في كتابه عشائر الشام. وفي مناطق أخرى كمنطقة اعزاز، مثل: حرجلة، دلحة، وتلعار، ودابق، ودويبق، وراعل، وجكة، وصندرة، وحوار كلس[2] وفي حمص وريفها والساحل السوري...الخ.

٦- **التات:** أقاموا قرى مشتركة مع الكرد، يعتقد أنهم سموا بذلك نسبة الى القائد الروماني (تاتليوس)، وهم من بقايا الرومان والافرنج واليونان كما يُقال، ثم اعتنقوا الاسلام، وأغلبهم تعرب، يتواجدون في ريف حلب الشمالي.

---

(١)- المسألة الكردية في سوريا - المصدر السابق - ص١٥١.

(٢)- تأليف واعداد علي مسلم - مصدر سبق ذكره - ص١٩٩.

الفصل السادس

الجغرافيــا الاقتصاديــة

أولاً: الزراعة وطبقات المجتمع الريفي ونظام الملكية

يعتمد سكان كردستان سوريا بشكل رئيسي على الزراعة في حياتهم، وتعد الزراعة وتربية الحيوان من أهم القطاعات الاقتصادية، لأن المنتجات الزراعية والحيوانية تدخل في غذاء السكان أولاً، وتعد مادة أولية في العديد من الصناعات (القطن والصوف على سبيل المثال) ثانياً، فضلاً عن توفيرها لفرص العمل ثالثاً، ومساهمة الفائض في الصادرات رابعاً.

تنتشر الأراضي الزراعية في كل أنحاء الاقليم الكردي، وتتوزع بين الملكية الخاصة إلى جانب ملكية الدولة[1]، وما في حكمها.

وتنقسم الملكية الخاصة بدورها إلى الأرض التي كانت بحوزة الفلاحين والأرض الاقطاعية، وكان الفلاحون يعانون من الاضطهاد والطرد التعسفي من قبل الملاكين، ناهيك عن كل أشكال القهر والحرمان، إلا أن المسألة الزراعية شهدت تطوراً ملحوظاً بعد عام ١٩٥٨م، عقب صدور قانون العلاقات الزراعية والاصلاح الزراعي، الذي خفض بموجبه سقف الملكية الاقطاعية وفق كميات الأمطار، ففي الأراضي البعلية أضحت الملكية على النحو التالي:

المساحة بالهكتارات[2]	كمية الأمطار
٨٠ هكتار	٥٠٠ مم فما فوق
٣٠٠ هكتار	٢٥٠ مم وما دون

---

(1)– أعني الأراضي التي استولت عليها قسراً تحت تسميات مختلفة ومخادعة كمزارع الدولة على شاكلة السوفخوزات في الاتحاد السوفييتي السابق، أغلبها في الجزيرة (بطول ٣٥٠ كم وعرض يتراوح بين ١٠– ١٥ كم).

(2)– الهكتار: مساحة من الأرض تساوي ١٠ دونم.

وفي عام ١٩٨٠ صدر المرسوم رقم/٣١/، الذي بموجبه تم تخفيض سقف الملكية الاقطاعية في الأراضي البعلية والمروية على حدٍ سواء. وفي الأراضي البعلية أصبح على الشكل التالي:

المساحة بالهكتارات	كمية الأمطار
٥٥ هكتار	٥٠٠ مم فما فوق
٨٥ هكتار	بين ٣٥٠– ٥٠٠ مم
١٤٠ هكتار	دون ٣٥٠ مم

ملاحظة: بالنسبة للمناطق التي تتلقى دون ٣٥٠مم من الأمطار تستثنى منطقتا الجزيرة وكوباني، حيث حدد سقف الملكية الاقطاقية بـ/٢٠٠/هـ بدلاً من/١٤٠/هـ كما جاء في الجدول السابق. بهذا الشكل تم الاستيلاء على أكثر من ٤٦٥ ألف هكتار في الجزيرة، ونحو ٣٠٠ ألف هكتار في محافظة حلب (بما في ذلك منطقة عفرين وكوباني) و ١٦٦ ألف هكتار في محافظة الرقة (بما في ذلك القرى والبلدات الكرية فيها).

١ـ البنية الطبقية:

بانتقال الزراعة من عهد المحراث الخشبي القديم الذي تجره الثيران أو البغال والذي يعود إلى القرون الوسطى، إلى عهد الآلات الحديثة (جرارات وحصادات)، ومن عصر الري بالراحة إلى عهد المضخات القادرة على ضخ المياه الجوفية ومياه الأنهار، حدث انعطاف كبير في كردستان سوريا، لاسيما في الجزيرة، وكان أكرم جميل باشا (من الأوائل الذين أدخلوا المحراث الآلي إلى سوريا)[١]، ومن ثم شركة أصفر ـ نجار[٢] التي أدخلت عام ١٩٣٦ جرار (كين) وحصادة (مسيو هارس)، وفي عام ١٩٣٨ أدخلت جرار (كاتربيلر) والحصادة الدرّاسة (جون دير)[٣]. في عام ١٩٤٦ كان عدد الجرارات في الجزيرة ١١٦ جراراً (من أصل ٢٠٢ جرار في سوريا)، وعدد الحصادات الدرّسة ١١٤ (من أصل ١٤٠ حصادة درّاسة في سوريا)، وفي عام ١٩٥٠ بلغ

---

(١)ـ اسماعيل حصاف (الدكتور): تاريخ كردستان سوريا المعاصر ـ الجزء ٢ ـ ص٦٥.

(٢)ـ أصفر ونجار هاجروا من آمد (ديار بكر)، حيث كانوا يمارسون هناك تربية دودة القز (راجع: محمد جمال باروت ـ التكوّن التاريخي للجزيرة السورية ـ ص٥٥٠/ انظر الهامش).

(٣)ـ المصدر السابق ـ ص٧١.

عدد الجرارات في الجزيرة ٤٥٠ جراراً (من أصل ٧٠٠ جرار في سوريا)، بينما انحصر عدد الحصادات كلها (٣٥٠ حصادة) في الجزيرة[١]. وفي عام ١٩٥٣ قام (١٧) مزارع من الجزيرة بتأسيس شركة الآلات الزراعية المساهمة المغفلة في القامشلي لاستيراد الآلات الزراعية وقطع التبديل وانشاء محلات للصيانة والاصلاح، وكانت من أبرز الشركات الخمس الكبرى لاستيراد الآلات في سوريا[٢]. ثم انضم معمار باشي وآل بستاني ورشدوني.. وآخرين لجوقة المستوردين للآلات الزراعية[٣]. وبفضل دخول المكننة إلى الزراعة حدثت طفرة (ثورة زراعية) في الجزيرة: فازدادت المساحات المزروعة بالحاصلات الزراعية، مثل: الرز والقطن واالحبوب البعلية (القمح والشعير) وازداد انتاجها، ونشأت طبقة العمال الزراعيين، وطبقة عمال محالج معمار باشي، إلى جانب الميكانيكيين المهرة من الأرمن، وازدادت الهجرة من الريف إلى المدن وازدهر العمران في المدن والبلدات والريف، وبلغ عدد القرى عام ١٩٤٠ نحو ١٢٥٠ قرية ونحو ١٨٠٠ قرية عام ١٩٤٥[٤]. فعلى سبيل المثال ازدادت المساحات المزروعة بالقمح والشعير من ٧٥ ألف هكتار عام ١٩٣٨ إلى ٢٤٤ ألف هكتار عام ١٩٤٥، ثم إلى ١.٣٤ مليون هكتار عام ١٩٥٣، وازداد الانتاج من الحبوب من ٥ آلاف طن عام ١٩٣٠ إلى نحو مليون طن عام ١٩٤٥ وبلغت انتاجية الهكتار معادلاً لانتاجية الهكتار في الولايات المتحدة وأعلى مما في كندا واستراليا والارجنتين[٥]. جراء جور الاقطاع واستغلال الفلاحين ونمو وتطور العلاقات النقدية ـ السلعية، بدأ الوعي الطبقي في الظهور، وكان للحزب الشيوعي دوراً مميزاً على هذا الصعيد، كل ذلك أدى إلى اشتداد وتيرة الصراع الطبقي وتبلور الطبقات في المجتمع الكردي. إن تأمل واقع الريف الآن يكشف النقاب عن الفئات الطبقية التالية:

أ– فلاحون فقراء: إما مجردون من الأرض ومنهم الكرد المجردين من الجنسية، أو ممن يملكون مساحات صغيرة منها لا تكفي لتأمين الحد الأدنى من

---

(١)– اسماعيل حصاف (الدكتور): تاريخ كردستان سوريا المعاصر ـ الجزء ٢ ـ ص٦٩و٧٠.

(٢)ـ المصدر السابق ـ ص٧٢.

(٣)ـ محمد جمال باروت ـ التكون التاريخي الحديث للجزيرة السورية ـ مصدر سابق ـ ص٥٦٣.

(٤)ـ اسكندر داود ـ مصدر سابق ـ ص٢٠٩.

(٥)ـ محمد جمال باروت ـ المصدر السابق ـ ص٥٦٧.

المعيشة، لذا تراهم يضطرون للعمل في أكثر الأحيان أو يهاجرون إلى المدن طلباً للرزق للعمل في الفنادق والمطاعم، بعد تأجير أرضهم للمستثمرين، وهؤلاء أكثر تعرضاً للاضطهاد جراء نمو وتطور العلاقات الرأسمالية في الريف، وهم يشكلون الأكثرية الساحقة من الفلاحين.

ب – **العمال الزراعيون:** ظهروا إلى الوجود بعد تطور العلاقات الرأسمالية في الزراعة، ودخول الآلة إلى الزراعة كما بينا من ذي قبل. والعمال الزراعيون هم الذين لا يملكون وسائل الانتاج ويعتمدون في معيشتهم على بيع قوة عملهم مقابل أجور بخسة، ويعملون في القطاع الزراعي بشكل دائم أو مؤقت (موسمي)، ومنهم من يعمل في مزارع الدولة أو في المداجن والمباقر في ضواحي دمشق وغيرها. ويدخل في عدادهم الفلاحون المحاصصون، الذين يعملون لدى مالك الأرض مقابل نسبة من المنتوج، وبعض الفلاحين الذين يملكون دونمات معدودة من الأرض لا تكفي لاعاشتهم.

ج – هناك **فئة ميسورة** من الفلاحين تعمل في الأرض أحياناً أو تستخدم عدداً من العمال الزراعيين الموسميين أو الدائمين، مما يؤمن لهم فائضاً يؤدي إلى تحسين حياتهم، خصوصاً بعد دخول الآلة إلى الزراعة.

د – **الملاكون أو الاقطاعيون** الذين شملهم الاصلاح الزراعي، والذين بقيت في حوزتهم مساحات واسعة.

و – **المستثمرون الرأسماليون:** يملكون الأموال والآلات الزراعية ويستخدمونها في استثمار الأرض إلى جانب السماد والمبيدات الحشرية وغيرها من مستلزمات الانتاج، ويستأجرون الأرض لسنوات ويشغلون فيها الفلاحين والعمال الزراعيين ويستحوذون على جهودهم (فائض القيمة)، فضلاً عن شريحة التجار التي تعتاد على شراء الفائض من انتاج الحاصلات الزراعية، ناهيك عن الطبقة البرجوازية الناشئة التي أقدمت على تشغيل اليد العاملة في محالجها، مثل: محالج معمار باشي إخوان في حلب، أو في مشاريعها، كمشروع (مبروكة) لـ: أصفر ـ نجار ومشروع (المناجير) لـ: بطرس معمار باشي، أو مشروع قرية أبو راسين Girbawî[1] لـ: عبدالباقي نظام الدين. وغدا تجار وصناعيي المدن مثل حلب والمهاجرين السريان

(1)ـ بعد التعريب سميت القرية (أبو راسين).

الأوائل وأعيان الكرد المقيمين تاريخياً في الجزيرة قبل نشوء سوريا، مزارعين متوسطين وكبار[1]، كما ترسمل زعماء العشائرالكردية (الشيتية والكابارا وبينار علي) بشكل مبكر، حيث استخدموا منذ منتصف الأربعينات من القرن الماضي الآلات الحديثة في الزراعة[2]. كان عدد الآلات الزراعية في الجزيرة عام ١٩٤٠ لم يكن يتجاوز ٢٠ آلة، و بدخول الآلة وزيادة أعدادها والاستغناء عن المحراث القديم ذو الانتاجية الضعيفة والغراريف الخشبية ومن ثم المعدنية التي تديرها البغال ومن ثم النواعير والانتقال إلى المضخات التي تقوم بضخ المياه من الأعماق أو بضخها من الأنهار أفقياً، تضاعف الانتاج وتضاعفت الانتاجية أضعافاً مضاعفة. كما انتشرت المطاحن في الريف على نطاق واسع (مطحنة قدور بك على سبيل المثال)، وأقام كيفورك كبابجيان أول ورشة لصيانة الآلات الزراعية، وأقامت شركة أصفر ونجار معملاً لتقشير الرز.

٢– الملكية الزراعية:

أ – الملكية الخاصة: توزعت بين الملكيات الكبرى (فوق ١٠٠) هكتار تشكل ٣٤٪ من الأراضي المستثمرة، الملكيات المتوسطة (بين ١٠– ١٠٠) هكتار تشكل ٥٢٪ من الأراضي المستثمرة، والملكيات الصغيرة (أقل من ١٠) هكتار تشكل ٥٪ من الأراضي المستثمرة.

كانت الملكيات الكبيرة تنتشر في الجزيرة وكوباني وعفرين، وهي شكل من أشكال الملكية الفردية تعود إلى العهد العثماني، وتحديداً إلى قانون (دفتر خانة) عام ١٨٥٨م، حيث سجلت الأرض بأسماء رؤساء العشائر والقواد، اضافة لما اقتطعته الدولة العثمانية من أرض للولاة والباشوات، ومنحتهم الدولة سندات تمليك بذلك. واستمرت الأمور في فترة الانتداب الفرنسي حين بدأ تنظيم الملكية بأعمال التحديد والتحرير (الكاداستر)، وسجلت الأرض بأسماء شخصيات العائلات المتنفذة ووجهاء العشائر وشيوخها الذين ارتبطت مصالحهم بالسلطات، ومنهم: المترجم ميشيل دوم والمتعهد جورج معمار باشي وطاهر آغا بن تازا. وبناءً على توصيات المستشار الزراعي العام لسلطات الانتداب، اتخذت الحكومة في ١٩٢٦/١٢/٢ وعداً بتمليك

([1])ـ محمد جمال باروت: التكوّن التاريخي الحديث للجزيرة السورية ـ مصدر سابق ـ ص٥٥٥.

([2])ـ راجع: وصفي زكريا ـ الجزء ٢ ـ مصدر سابق ـ ص ٦٦٠إلى ٦٦٢.

الأراضي، وتحويلها إلى ملك قانوني لمن يستصلحها لمدة خمس سنوات، وتم تحويل معظم الأراضي المشاع إلى أملاك (الطابو)، مما تمخضت عن هذه الاجراءات في العهدين العثماني – الفرنسي الملكية الاقطاعية الواسعة، فعلى سبيل المثال كان لآل البرازي ٤١ قرية في حماه، و٢٢ قرية لآل العظم، فضلاً عن اقطاعات آل ايبش ومردم وقوتلي في ريف دمشق بالغوطة خصوصاً المرج على سبيل المثال لا الحصر، ومساحات شاسعة لآل ابراهيم باشا ومصطفى باشا..الخ، ناهيك عن الملكيات الواسعة لآل نظام الدين تحت اسم وقف مسجد زين العابدين وآل قدور بك على ضفاف جقجق، مما أدت إلى استقرار الاقليم، خاصة بعد مكننة الزراعة وادخال الآلة إليها كالجرارات والحصادات التي تجرها الخيول بداية، ومن ثم ظهور الصناعات الغذائية، فضلاً عن ظهور السيارة، وانجاز خط قطار الشرق السريع، كل هذه العوامل كان لها الفضل في تطور المناطق الكردية وفق تسارع كبير في مجال البناء والاعمار، وازدهار الزراعة والتجارة.

ب – الملكية المشاع وملكية الوقف: والأخيرة هي عبارة عن الأراضي التي تعود ملكيتها لمؤسسة دينية، وقد يستأجر الأرض أحد المستأجرين.

ج – أملاك الدولة ومزارع الدولة: أقيمت مزارع الدولة بعد مجيء البعث وتحديداً عام ١٩٦٤، حيث تمت مصادرة أراضي الملاكين الكبار والصغار وأملاك الفلاحين وأقيمت فيها مزارع للدولة، وهي مازالت قائمة حتى اليوم وإن تآكلت هنا وهناك، يبلغ عدد مزارع الدولة للانتاج النباتي/٩/ مزارع. فمثلاً أقيمت في الجزيرة:

مزرعة ديريك (المالكية) مساحتها ٨٨٣٤ هكتار
مزرعة سرى كانيى (رأس العين) مساحتها ٣٧١١٢ هكتار
مزرعة المناجير مساحتها ٧٣٩ هكتار

وهذه المزارع تدار بأساليب بيروقراطية، ثم أقيمت فيها مستوطنات وأسكنت بعرب جلبوا من محافظتي حلب والرقة.

٣– المناطق الزراعية:

أ – منطقة الاستقرار الأولى: تزيد الأمطار عن ٥٠٠ مم، الزراعة البعلية فيها مضمونة دوماً، وتبدأ من الحدود التركية وتمتد على طولها (منطقتا عفرين وديريك).

ب – منطقة الاستقرار الثانيـة: تـتراوح الأمطـار بـين ٣٠٠– ٥٠٠ مـم، الزراعـة البعلية مضمونة بمعدل ثلاث سنوات من أصل أربع سنوات. وتنتهي عند خط عرض مدينة الحسكة.

ملاحظة: لا امتداد يذكر للاقليم الكردي وفق التصنيف المعتمـد في المنطقـتين الزراعيتين الثالثة والرابعة، باستثناء بقعة صغيرة مقابل جبل سـنجار وجنـوب جبـل كزوان (عبدالعزيز) وبعض أجزاء كوباني.

ثانياً: الحاصلات الزراعية

تتنوع الحاصلات الزراعية بنتيجة تنوع المناخ، والبعد أو القرب مـن البحـر، وطبيعة التربة، وكمية الأمطار أو توفر مياه الري (مـن الأنهـار، أو الميـاه الجوفيـة)، ويعـد الاقلـيم الكـردي بمثابـة سـلة الغـذاء لسـوريا، ومـن غلاتـه الحاصـلات البعليـة والمروية التالية:

أ – الحبوب[١]**:**

كانت الجزيـرة بدايـة منتجـة لـلأُرُز (الـرز)، بسـبب تـوافر مقومـات زراعتـه وفي مقدمتها المياه الوفيرة، وكانت تنتج بين ١٩٤٢و١٩٤٤ نحو ٨٧٪ من الرز في سـوريا، رغم أن الانتاج يومها كان محدوداً لم يكن يتجاوز ٤٤٢٤ طناً/ السنة[٢]، إلا أن زراعته بدأت بالانحسار جرّاء تناقص المياه بعد أن قامت تركا بتحويل مجرى نهـر جقجـق عام ١٩٤١، فألحقت تركيـا ضـربة قاصـمة بمحصـول الـرز الـذي يتطلـب المزيـد مـن المياه، لكن شركة أصـفر ونجـار وجـدت مـورداً مائيـاً بـديلاً نسـبياً تمثـل في بحـيرة الخاتونية[٣] Gola Simoqya.

القمح: توسعت بالمقابل الحاصلات الزراعية الشتوية (القمح والشعير) وارتبطت "ثورة القمح" بالتحول من المحراث الروماني القديم إلى الجـرار والحصـادة ـ الدرّاسـة، الـتي أدت إلى التوسـع في زراعتـه بعـلاً بسـبب كفايـة الأمطـار، فـازدادت المسـاحات المزروعة بالقمح والشعير من ٧٥ ألـف هكتـار عـام ١٩٣٨ إلى ٢٤٤ ألـف هكتـار عـام ١٩٤٥ إلى ١,٣٤ مليون هكتار عام ١٩٥٣، مما أدى إلى زيادة الانتاج مـن ٥ آلاف طـن عام ١٩٣٠ إلى ١ مليون طن عام ١٩٥٤.

---

(١)– راجع الخريطة ٢٣: الحاصلات الزراعية.

(٢)ـ محمد جمال باروت: التكوّن التاريخي الحديث للجزيرة السورية ـ مصدر سابق ـ ص٥٤٥و٥٤٦.

(٣)ـ محمد جمال باروت: التكوّن التاريخي الحديث للجزيرة ـ مصدر سابق ـ ص٥٥٣.

والقمح محصول شتوي تتنوع أصنافه مثل: المكسيكي والحلبي والحوراني والفرنساوي والطلياني، وهو أهم مادة غذائية في الاستهلاك أو في الصناعة، معظمه يزرع بعلاً. تنتشر زراعته في الجزيرة (خصوصاً الجزيرة العليا) ويحتل مساحة قدرها ٥٠٠.٠٠٠ **هكتار**، تليها محافظة حلب (خصوصاً كوباني) بمساحة قدرها ٢٦٠.٠٠٠ **هكتار**. وفي ريف الشهباء (ريف حلب الشمالي)، يزرع القمح رياً اعتماداً على الآبار الارتوازية[١]، ويعتمد المزارعون ري الرذاذ. جدير ذكره أن بعض القرى الكردية في منطقتي الباب والسفيرة استفادت من أقنية الري التي جرّت من الفرات، مثل قرية قباسين وتل حاصل وتل عرن[٢].

متوسط انتاج القمح البعلي في كردستان سوريا نحو (٧٢٩)كغ/هـ، بينما متوسط المردود العالمي يتجاوز (١٤٦٠) كغ/هـ، مما يدل على تخلف زراعته في سوريا، حيث أن معظمه يزرع بعلاً وبالتالي فهذا المحصول مازال تحت رحمة الطبيعة.

الشعير: من الحاصلات البعلية الشتوية التي تتحمل الظروف المناخية القاسية مقارنة بالقمح، يأتي في الدرجة الثانية بعد القمح من حيث المساحة، ويقدم علفاً للحيوان، كما يدخل في صناعة البيرة (الجعة). تنتشر زراعته وفق الدورة الزراعية في الجزيرة (خصوصاً منطقة الاستقرار الثانية) وكوباني، والانتاج متذبذب بسبب الظروف المناخية. متوسط مردوده (٧٩٢)كغ/هـ بينما متوسط المردود العالمي بحدود (١٧٤٠)كغ/هـ. ويزرع رياً في المناطق الكردية بريف الشهباء (ريف حلب الشمالي).

الذرة: محصول مروي، يدخل في الصناعة بينما الصفراء يستخرج منها الغلوكوز في معامل السكر أو استخراج الزيت، كما تدخل في غذاء الانسان، أو يقدم علفاً للحيوان (خصوصاً البيضاء).

الرز: كان يزرع في منطقة القامشلي، لكن زراعته اختفت بسبب متطلبات الرز من المياه.

---

(١)– يتراوح عمق هذه الآبار بين ١٠٠– ١٥٠م.

(٢)– تأليف واعداد علي مسلم – مصدر سبق ذكره – ص١٢٠و١٢١.

ب – البقول:

العدس: من المحاصيل الغذائية الهامة، فهو يزود الانسان بالبروتين ويخصب التربة الزراعية بالآزوت. يزرع في الجزيرة وكوباني وريف الشهباء (يدعى العدس الكردي العريض) وعفرين، تأتي منطقة الجزيرة في مقدمة مناطق زراعته، ويزرع فيها بعلاً. مردوده (٧٠٣)كغ/هـ بينما متوسط المردود العالمي أقل من ذلك، أي نحو (٦٢٠)كغ/هـ.

الحمص: من الحاصلات الشتوية والربيعية، يزرع في الجزيرة وعفرين. وتزرع الكزبرة في السنوات الأخيرة بعلاً في الجزيرة.

ج – الحاصلات الصناعية:

القطن: "ثورة القطن" ارتبطت بدخول المضخة أو محرك الديزل الذي ساعد على رفع المياه من الأنهار لري مساحات واسعة والتي حلت محل الغرافات التقليدية ذات الانتاجية المحدودة ، وكانت شركة (أصفر ونجار) رائدة على هذا الصعيد، حيث بدأت بتركيب خمس مضخات على نهر الخابور[١]، وازدهرت زراعته نتيجة ازدياد الطلب العالمي عليه من جهة، ولأنه مادة أولية في الصناعات النسيجية والغذائية من جهة أخرى، وكان معظم الانتاج يصدر من الجزيرة إلى حلب على متن السكك الحديدية، من هنا ازدادت المساحات المزروعة بالقطن على حساب المساحات المزروعة بالرز والقمح رغم أن الأخير محصول رئيسي واستراتيجي، وارتفعت المساحات المزروعة بالقطن وكذلك الانتاج من ١٢٠ هكتاراً (٦٢ طناً) عام ١٩٤٨، إلى ٦١١٠ هكتاراً (٣٥٠٠ طناً) عام ١٩٥٠[٢].

يعد القطن أو الذهب الأبيض أهم محصول صناعي، فهو محصول نقدي لأنه يدخل في قائمة الصادرات، كما يدخل كمادة أولية في الصناعات النسيجية القطنية والغذائية كاستخراج الزيت من بذوره. تنتشر زراعته في الجزيرة وتحتل المرتبة الأولى بزراعته في سوريا، كما يزرع في كوباني وريف الشهباء. وهو من نوع متوسط التيلة، والمردود ٥٥٠ كغ بينما متوسط المردود العالمي ٣٦٠ كغ. انحسرت زراعته بسبب رفع الدعم الحكومي لزراعته والكلفة الباهظة في السنوات الأخيرة.

---

(١)ـ محمد جمال باروت: التكون التاريخي الحديث للجزيرة ـ مصدر سابق ـ ص٥٥٣.

(٢)ـ المصدر السابق ـ ص٥٥٤.

د – الخضار:

تتنوع، فمنها الصيفية والشتوية، ومنها البعلية والمروية (أغلبها مروية). تؤمن الجانب المهم من غذاء الناس، وبعض أصنافها تعد مادة اولية في العديد من الصناعات الغذائية (الكونسروة/ الأغذية المحفوظة). أهم اصنافها: البطاطا، البندورة، الباذنجان، البصل، الفاصولياء، الخيار، الفليفلة، البطيخ الأصفر والأحمر، الملفوف، القرنبيط، الخس...الخ.

و – الأشجار المثمرة:

الزيتون: شجرة قديمة، تعمر بين (٢٥٠–٣٠٠) سنة، تتوفر مقومات زراعتها في منطقة عفرين وتتمثل في: التربة الخصبة، ومناخها الجبلي المتوسطي (نسبة إلى البحر المتوسط)، ففيها (١٨مليون) شجرة، وهي أهم منطقة لزراعة الزيتون في سوريا والشرق الأوسط، ويعد زيت الزيتون العفريني من أجود أنواع الزيت عالمياً يدخل كمادة اساسية في صناعة الصابون، وتدخل ثمرتها وزيتها في غذاء السكان. وتطورت زراعتها وتوسعت في المناطق الكردية بريف الشهباء (ريف حلب الشمالي) على حساب زراعة الفستق الحلبي (نظراً لطول عمرها الانتاجي وقلة انتاجيتها مقارنة مع الزيتون، حيث يصل العمر الانتاجي للفستق الحلبي الى أكثر من ١٢سنة، يضاف الى ذلك قلة الأمطار، فشجرة الفستق تحتاج الى أكثر من ٣٠٠ مم مطر سنوياً، ناهيك عن المعاومة حيث تنتج سنة وترتاح سنة)[1].

الكرمة: يستهلك العنب بشكل طازج أو بعد تجفيفه على شكل زبيب أو بعد تصنيعه دبساً او بعد عصره خمراً، تنتشر زراعتها في عفرين والجزيرة وكوباني وريف الشهباء.

الفستق الحلبي: تنتشر زراعته في عفرين والمناطق الكردية من ريف الشهباء وكوبانى، وقد تراجعت المساحات المخصصة لزراعته للأسباب السالفة الذكر.

التفاح والمشمش والخوخ والكرز واللوز والسفرجل والدراق والجوز والتوت...الخ، أغلبها في منطقة عفرين وريف الشهباء. كما يزرع الحور للاستفادة من خشبه.

---

(1)– تأليف واعداد علي مسلم – مصدر سبق ذكره – ص١٢٢.

ثالثاً: الثروة الحيوانية

الغاية من تربية الحيوان:

أ – استخدامها في أعمال الحمل والجر والنقل وفي الحراثة وفي الصيد (كلاب الصيد) والحراسة (الكلاب) قديماً.

ب – الاستفادة من منتجاتها (الحليب واللحم والبيض) في الغذاء اليومي أو في الصناعة، ناهيك عن جلودها وأصوافها التي تدخل في الصناعات الجلدية والنسيجية.

ج – الروث الحيواني كان يجفف قديماً ويستخدم كوقود، ومازال يستخدم في التسميد في العديد من المناطق.

أهم الحيوانات التي تربى في الاقليم الكردي:

أ – الأغنام: وتربى بطريقتين:

الأولى – التربية المنزلية، حيث تربي الأسرة الريفية عدداً من الحيوانات بغية تأمين حاجاتها من الحليب ومشتقاته واللحم والصوف...الخ.

الثانية – وفيها تربى أعداد كبيرة من الحيوانات ويخصص لها رعاة يخرجون القطعان إلى المراعي ويعودون بها مساءً لقاء أجر أو لقاء حصة. وقبل ترسيم الحدود كانوا يأخذون القطعان إلى المصافي (زوزان)صيفاً، وإلى المشاتي (كرميان) شتاءً. ومن أنواع النعاج: الكوجري (في الجزيرة)، البرازي (في كوبانى)...الخ، وكلها من ذوات الالية الغنية بالدهن المقاوم للجفاف والحرارة، فهي – أي الالية – تقوم مقام سنام الجمل في مقاومة الجوع والعطش، تربى في الجزيرة وكوبانى وريف الشهباء لتوافر المراعي.

ب – الماعز: ويربى بأعداد أقل، لأنه يشكل خطراً على الأحراج كما في منطقة عفرين، ورغم ذلك يربى فيها في الجرود الجبلية. يستفاد منه في الحصول على الحليب واللحم بالاضافة إلى الشعر.

ج – الأبقار والجواميس: أعدادها قليلة، تربى في الجزيرة وفي المباقر.

د – حيوانات النقل والجر: وكانت تستخدم قديماً في الأعمال الزراعية والحراثة والحمل وجر العربانات، لكن بعد توفر وسائط النقل الحديثة تضاءلت أهميتها وتناقصت بشكل كبير. ومن أنواعها: الخيول والبغال والحمير.

و – الدواجن: تربى بأعداد كبيرة في الريف، إما في المنازل حيث تخصص لها الأقنان أو في مداجن خاصة كما في الآونة الخيرة. يأتي الدجاج في مقدمتها، وهناك الاوز والديك الحبشي والبط والحمام، بغية الحصول على اللحم والبيض والريش. كما تربى الآرانب.

ك – المناحل: وكان النحل يربى في خلايا مصنوعة من الطين أو الخشب في الريف، إلا أن تربيتها تراجعت بسبب رش المبيدات الحشرية في الربيع.

م – السمك: يصطاد من الأنهار أو بحيرات السدود، ويربى في المسمكات. وهناك صيد القطا والأرانب أيضاً. وتتأثر تربية الحيوان بسنوات الجفاف وعدم توفر المراعي وتفشي الأوبئة والأساليب التقليدية.

رابعاً: الصناعة

قام الفرنسيون في عهد الانتداب (١٩٢٠– ١٩٤٦) بالسبر واستكشاف الخامات الباطنية، لكن البعثة الجيولوجية السوفياتية فيما بعد أجرت أبحاثاً عن الموارد والثروات الباطنية لعموم سوريا عام ١٩٦٧، كما قامت البعثة الألمانية في البحث والاستقصاء عنها في عفرين، الا أن هذه الجهود انصبت على الصناعات الاستخراجية، يأتي النفط في مقدمتها. وفي العهد الوطني (١٩٤٦– ٢٠١٧)، كان النظام حريصاً أن يبقى الاقليم الكردي سوقاً لانتاج المواد الأولية أو الخام وتصريف المنتجات المصنعة، وذلك في اطار خطط التنمية الممنهجة، لابقائه متخلفاً عن سائر الأقاليم الأخرى في سوريا في اطار سياسة الدولة الاقتصادية الشوفينية العامة، التي جعلت من الاقليم الكردي اقليماً مستهلكاً للسلع التي تنتجها المصانع السورية أو السلع المستوردة من الخارج، حتى أضحى الاقليم متخلفاً بكل المقاييس مقارنة بالمناطق الأخرى، لحرمانه من المشاريع الصناعية عن سبق الاصرار والتصميم، وزاد الأمر سوءاً جراء ارتفاع نسب البطالة مقارنة بالأقاليم العربية في سوريا، رغم توفر المقومات اللازمة لتقدم الاقليم، مما نجم عن ذلك نزيف من الهجرة من الاقليم الكردي نحو المدن الكبرى كدمشق وحلب واللاذقية وحمص وغيرها، بحثاً عن فرصة عمل أو ظروف معيشية أفضل.

ففي منطقة الجزيرة تتوفر على سبيل المثال لا الحصر مقومات المنشآت الصناعية التالية: مصفاة لتكرير النفط بغية تأمين مشتقات النفط بدلاً من استيرادها

من حمص أو بانياس، ومعمل لتصنيع السماد الآزوتي، حيث حاجة الزراعة الماسة اليها، معمل للاسمنت، وآخر للورق[1]، ومصانع لحلج القطن[2] وغزله ونسجه وأخرى لغزل الصوف ونسجه، معامل الكونسروة والمعجنات واستخراج الزيت من بذور القطن. لكن الدولة تعرقل حتى جهود القطاعين الخاص والمشترك على هذا الصعيد.

أما في كوبانى وريف حلب الشمالي وعفرين، فيمكن اقامة العديد من المشاريع الصناعية غير تلك التي أقامها القطاع العام، مثل صناعة الصابون واستخراج زيت الزيتون وحفظ الفواكه وتصنيعها، وصناعة الدبس، مواد البناء.. الخ، وبذلك سيتم توفير فرص العمل والتخفيف من نسب البطالة المرتفعة أو امتصاصها. تشير التقديرات أن نسبة العاملين في هذا القطاع لايزيد عن ١٥٪ من القوة العاملة. وفيما يلي عرض بأهم الثروات التي تم استكشافها واستخراجها[3]:

أ – الحديد: خاماته كانت معروفة منذ العهد العثماني، وفي مطلع القرن العشرين عثر على خاماته في منطقة عفرين (كرد داغ)، لكنه لم يستثمر. ثم قام السوفييت بدراسة الجدوى الاقتصادية لهذه الخامات في عدة مواقع (راجو – كري – علمدار)، فكانت النتيجة أن سماكة هذه الخامات بين (٧–٢٠)م، وهي ممتدة على شكل أشرطة قد تصل إلى ١١كم، أما عن نسبة الحديد فيها فهي بين (٢١– ٥١٪)، ويقدرالمخزون بـ (١٢– ١٦) م. ط، وقد يصل المخزون إلى (٦٠) م. ط وفق بعض التقديرات.

ب – الكروم: أكتشف في كرد داغ وفي الباير والبسيط منذ العهد العثماني، لكن تبين أن سماكة خاماته بين (٢٠– ٣٠) سم فقط، وعروقه بين (١–٢٠) م، أما نسبة المعدن في فلزه فتتراوح بين (٣٠– ٤٠٪)، لذا استثماره غير اقتصادي.

ج – المنغنيز: كانت مناجمه معروفة منذ العهد الفرنسي في منطقة البسيط، وهي تمتد بضعة أمتار، وسماكتها بين (بضعة سنتيمترات – ١.٥ م)، ونسبة المعدن في فلزه بين (٢٥– ٤٠٪)، والاحتياطي يقدر بنحو (٢٠) ألف طن، لذا فالجدوى الاقتصادية غير ناجعة.

---

(١)– أقامت الدولة معملاً للورق في دير الزور، وكانت تقوم بنقل المادة الأولية أو الخام (القش) اليه من الجزيرة، وكان الأجدر اقامته في الجزيرة.

(٢)– أقيمت محلجة في مدينة الحسكة، الا أن الدولة قامت بفكه ونقله الى الداخل السوري قبل سنوات.

(٣)– راجع الخريطة رقم ٢٤: الصناعة الاستخراجية.

د – الملح الصخري: يوجد جنوب سنام جبل سنجار وامتداده الغربي في منطقة الجزيرة، وفي الجبسة.

هـ – الكبريت: يترافق مع تدفق المياه الكبريتية في رأس العين، حيث منابع الخابور، انتاجه (٦٠) ط/ السنة، ويستخرج من آبار النفط في منطقة الجزيرة أيضاً (السويدية)، ويستخدم في معالجة الأمراض الجلدية وفي صناعات أخرى.

و – مواد البناء: ويأتي في مقدمتها البازلت الذي يكثر في منطقة ديريك وآليان، وهو يدخل في البناء منذ القديم، أما الحجر الكلسي الأبيض فهو الآخر يدخل في البناء في منطقة كرد داغ وريف حلب الشمالي. والطين كان ومازال يدخل في صنع (اللبن) كما في أرياف الجزيرة وكوباني وعفرين. أما الرمال فتدخل في البناء وصناعة الزجاج، وتستخرج من المقالع أو من وادي نهر دجلة. فضلاً عن صخور المارن التي تعد المادة التي يصنع منها الاسمنت، وكذلك الجص الذي ينتشر بين وهدة الفرات وطوال العبا ومنطقة الجزيرة، بسماكة تتراوح بين (١٠– ٤٠)م. ناهيك عن الدولوميت والغضار في أماكن متفرقة، وهي تدخل في البناء (المسكن، الطرق، السدود).

ي – النفط والغاز:

"لعل من السهل التأكيد من أن الصراع على النفط، الذي تزخر به الأرض التي تحت أقدام الشعب الكردي، كان السبب في حرمانه من حقوقه"

(دانيال ميترال/ ورد القول في كتابها: بصراحة تامة)

لقد صدقت دانيال فاحدى محَن الكرد تكمن في غنى بلادهم بالثروات المعدنية وفي مقدمتها البترول، حتى قيل:« بدلاً من أن يكون النفط نعمة، صار نقمة»، جرّاء تكالب القوى العظمى على خيرات الكرد، وتقاسم بلادهم. هناك قول لشاعر عربي يعبر أيضاً عن واقع الكرد المزري هذا:

كالعيرِ في البيداء يقتلها الظمأ والماءُ فوقَ ظهرِها مَحْمولُ

تعد حقول النفط والغاز في الجزيرة من أهم شرايين الاقتصاد السوري الآن، ولأهمية النفط الاستراتيجية يُدعى الذهب الأسود. وأهم حقول النفط: رميلان، السويدية، كراتشوك (قره جوخ)، الجبسة، وقد أكتشفت حقول جديدة في جهة الغرب امتداداً حتى Tirbespî/ قبورالبيض (القحطانية).

ذكـرت المجلـة الأمريكيـة في موقعهـا علـى الانترنيـت في شـباط ٢٠١٣م the national) interest)، كما جاء في دراسة لـ (لوند كاردوخي) والمنشورة في العـدد/٤٠/ مـن صـحيفة Bûyer بـأن احتيـاطي الـنفط في رمـيلان ضـخم، يقـدر بـ (٣١٥) مليـار برميل، ناهيك عن (٦٩) مليـار برميـل مـن الاحتياطـات المكتشـفة. وتمضـي المجلـة المذكورة في القول بأن تـاريخ التنقيـب عـن الـنفط في رمـيلان يعـود إلى عـام ١٩٣٦م (وحسب مديرية رمـيلان إلى عـام ١٩٣٤م)، مـن قبـل شـركة نفـط عراقيـة كانـت قـد حصلت على امتياز للتنقيب عن النفط في سوريا، لكنها توقفت عـام ١٩٥١م وادّعـت أنهـا لم تعثـر علـى الـنفط، وفي عـام ١٩٥٥م بـدأت شـركة منهـل الأمريكيـة عمليـات التنقيـب واكتشـفت الـنفط لأول مـرة عـام ١٩٥٦م في بئـر بمنطقـة (قـره جـوخ Qereçox)، وبعدئـذ منحـت شـركة كونكورديـا الألمانيـة امتيـاز البحـث والتنقيـب، فاكتشف النفط في السويدية عام ١٩٥٩م[1]، وفي عام ١٩٦٢م قام الاتحاد السـوفييتي بعمليات البحث والتنقيب، إلى أن تأسست عام ١٩٦٤م الشركة السورية للـنفط، الـتي بدأت بالعمل بمساعدة الخبراء السوفييت.

وتمضي المجلة الأمريكية في القول: بدأت سوريا عام ١٩٦٨ باستخراج النفط، وكان الانتاج بداية (١٠٠ ألف، ثم ٢٠٠ ألف، ثم ٦٥٠ ألف) برميل/ اليـوم، وبلـغ عـدد الآبار المنتجة في ٢٠١٠/١/١ (١٢٧٧) بئراً. كان النفط يضخ من/١٤/ محطة بعـد عـزل المياه إلى خزانات Gir zîro وعـددها/٢٠/ خزانـاً، ثـم يضـخ الـنفط عـبر الأنابيـب إلى حمص لتزويد مصفاتها بالنفط، والباقي إلى ميناء طرطوس للتصدير. في عـام ٢٠٠٣ عملت شركات كرواتية وكندية وصينية في سوريا. أما انتاج الغاز الحر والمرافـق فهـو بحدود ٨٦٠ مليون متر مكعب، يستخرج مـن حقـول قـره جـوخ، السـويدية، حمـزة، عليان، معشوق، ليلان، رميلان، الجبسة.

حين دشن يوسف زعين رئيس وزراء النظـام في عـام ١٩٦٨ عمليـة بـدء ضـخ النفط من رميلان، كان البعثيون يرددون شعار:«بـترول العـرب للعـرب»، لكـن الكـرد البؤساء كانوا يتهكمون بسخرية:«بترول الكرد للعرب». بطبيعة الحال كان هذا القول رد فعل على السياسات الجارية، لأن نسبة الكرد كانت لاتزيـد عـن ١٥٪ مـن مجمـوع عدد العاملين في الحقل، يضاف إلى ذلك أن المفـارز الأمنيـة في رمـيلان (أمـن الدولـة،

---

(١)- وفق مخطوطة أيضاً بحوزة د. علي ميراني.

الأمن السياسي، والأمن العسكري، والأمن الجوي) والفرق الحزبية للبعث كانت تحصي على الكرد أنفاسهم وتقوم بفصل نشطائهم من أمثال الفنان الكردي الكبير محمد شيخو وأمثاله، خصوصاً بعد الانتفاضة الكردية في ١٢ آذار ٢٠٠٤، لكنه كان رد فعل سلبي، لأن معاناة عرب المنطقة أيضاً لا تقل عن معاناة أخوتهم الكرد باستثناء ثلة من البعثيين والمرتزقة منهم، فالبطالة مستشرية في وسطهم أيضاً، وتم استقدام العاملين وفق خطة جهنمية من المحافظات الأخرى[1].

جدير ذكره أن النفط ومنذ دخوله في قائمة الصادرات السورية لا يدخل في ميزانية الدولة، فحين تساءل أحدهم في البرلمان في عهد الأسد الأب أثناء مناقشة الموازنة العامة: أين هي موارد النفط ؟. أُسْكِتَ على الفور، ورُدَّ عليه بنبرة توحي بالعواقب الوخيمة: إنها في أيد أمينة...!.

الصناعة الاستخراجية الملحقة بها:

١- محطة لتوليد الطاقة الكهربائية: اعتماداً على العنفات الغازية (٦ عنفات تابعة لرميلان، ينتج كل منها ٢٠ ميغاواط ، و٥ عنفات تابعة لوزارة الكهرباء تنتج كل واحدة ٢٤ ميغاواط تزود شبكه الكهرباء السورية العامة).

٢- معمل الغاز: ويعتمد على الغاز المرافق للنفط، ويستفاد منه في تعبئة جرّات الغاز المنزلي بمعدل يومي/١٦/ ألف جرة، منها ما يستهلك في محافظة الحسكة والباقي يصدر إلى سائر المحافظات الأخرى إما عن طريق جرات الغاز أو بواسطة الصهاريج الكبيرة.

٣- الكبريت: وهذا المعمل (معمل الغاز) ينتج يومياً/٢٥/ طناً من الكبريت. علاوة على كل ما قيل، فقد حرّم النظام بسياسته الاقتصادية السيئة الصيت مناطقنا من الصناعات البتروكيمياوية، رغم توفر مقوماتها هنا، وليس في حمص أو الساحل.

جدير ذكره أن السياسة الاقتصادية للبعث المعتمدة عن سبق الاصرار والتصميم، كانت تقوم على تفقير المناطق الكردية، لأنها بالنسبة له ليست سوى

---

[1]- راجع الوثيقة رقم ١١.

بقرة حلوب[1]. فلولا هذه السياسة القائمة على مصالح فئوية ضيقة كان بالامكان اقامة مصفاة للنفط في الجزيرة لتوافر مقومات هذه الصناعة فيها، بغية تأمين مشتقات النفط لأبنائها، وتأمين فرص العمل لشريحة واسعة من المهندسين والفنيين والعمال من أبناء المنطقة من عرب وكرد وسريان وأرمن وايزديين وغيرهم من العاطلين عن العمل والذين تعج بهم أسواق المدن السورية وفي مقدمتها دمشق، هذا من جهة ومن جهة أخرى كان بالامكان اقامة معمل للأسمدة الآزوتية إلى جانب المصفاة، بغية تأمين السماد اللازم للحاصلات الزراعية في الجزيرة وتأمين فرص العمل في ذات الوقت لشريحة أخرى من المهندسين والفنيين والعمال، فيتم القضاء على البطالة من جهة والهجرة الداخلية والخارجية على السواء، لكن وراء الأكمة ما وراءها.

لنتأمل جوانب سلبية أخرى:

١- تعمدت سلطة البعث إلى هدر الاحتياطي من النفط والغاز، غير مهتمة بأنها ثروة ستنضب ذات يوم، دون إيلاء البحث عن بدائل أخرى ونظيفة من الطاقة، لأن هذه الثروة يجب أن تستفيد منها أجيالنا القادمة أيضاً، لذا كان من المؤمل استهلاكها بمنتهى الحكمة لو كانت هناك حكومة رشيدة وفق تعبير الكواكبي، لكن النظام عجول في أمره وكأنه على يقين بأن نهايته آتية عاجلاً أو آجلاً، مثله في ذلك كمثل اللص الذي يدخل منزلاً.

٢- النظام ومنذ البداية بدا مستهتراً بمصير أهل المنطقة، فحين أقيمت مدينة رميلان العمالية اقتطع وعلى سبيل المثال لا الحصر أكثر من/١٠٠/ هكتار من أراضي فلاحي Girkê Legê، دون أي تعويض، تحت ذريعة أن المصلحة العامة فوق المصلحة الخاصة.

٣- أثناء عملية استخراج النفط وتسويقه، وبسبب الأعمال العشوائية تتلف مساحات من التربة الزراعية، أو يتسرب جزء من النفط إلى الأعماق فتتلوث المياه الجوفية.

---

[1]- رسم أحد الفانين التشكيليين ذات يوم صورة معبرة تتمثل في خارطة لسوريا وعليها بقرة، رأسها في الجزيرة حيث تتغذى بمراعيها، وثديها في الساحل حيث تحلب هناك.

٤– أما الغازات السامة المنطلقة من آبار النفط فحدث ولا حرج. يستطيع الانسان العادي أن يستشف ذلك من خلال استنشاقه لرائحة تشبه رائحة البيض الفاسد. من الغازات (الميتان، الايتان، البروبان، كبريتات الهيدروجين، الكبريت، النتروجين...الخ)، ومعادن لا تقل عنها سمومية مثل (الزرنيخ، الزئبق)، مما ينجم عن كل ذلك تفشي شتى الأمراض المؤدية إلى تدرن الرئتين.

جدير بالذكر أن النفط أكتشف في طبقات الكريتاسي (كراتشوك، السويدية، الرميلان)، وكذلك في طبقات الجوراسي والترياسي. نفط السويدية أجود وأخف من نفط كراتشوك، ويحتوي على نسبة أقل من الكبريت والاسفلت، رغم أن المسافة بين الحقلين لاتتجاوز ٢٠كم. احتياطي النفط في السويدية/٤٥٠/ مليون طن، وتقدر مساحة الحقل بـ/٧٢/ كم٢.

واكتشف حقل الرميلان عام ١٩٦٠، أما حقل كراتشوك فهو أقدم حقل نفطي ومساحته تصل إلى (٢٥) كم٢، ومن أقسامه حقل حمزة، فضلاً عن حقول أخرى تم اكتشافهامثل حقل ديريك (زيته ثقيل) وحقل خربة (تل علو).

احتياطي هذه الحقول مجتمعة يقدر بنحو (٧٥٠) م. ط. واستمرت اعمال التحري والتنقيب، لتكشف النفط في مناطق عدة بين ديريك شرقاً وتربة سبي غرباً. أما الغاز الطبيعي فاكتشف في منطقة الجبسة ضمن صخور الميوسين وحتى الايوسين والكريتاسي. يقد احتياطيه بنحو (٣٢٦٧) مليون م٣، وقد يتضاعف هذا الرقم. وكذلك عثر على الغاز الطبيعي في حقول النفط المذكورة آنفاً، وهو يحرق أو يستثمر جزئياً في مجال تعبئة جرات الغاز كما أسلفنا من ذي قبل.

ك – الصناعات الغذائية: تنتشر معاصر زيت الزيتون في منطقة عفرين نحو (٢٥٠) معصرة، منها (٩٢) حديثة و (١٥٨) قديمة. كما تنتشر معاصر الزيتون وبرادات تخزين الخضار والفواكه في المناطق الكردية من ريف حلب الشمالي أيضاً، وصناعة دبس العنب في دوديان بالمعاصر.

م – صناعات متفرقة: في منطقة عفرين نحو (١٨) معمل بيرين (استخراج العرجون أو التفلة من حبة الزيتون)، وأكثر من (١٠) معامل لصناعة الصابون المستخرج من زيت العرجون، بالاضافة إلى عدة معامل لتكرير وفلترة الزيت وتصفيته

من الشوائب[1]. وفي عفرين معمل لصناعة عبوات التنك لتعبئـة الزيـت، وصـناعة آلات الحفر في كوباني وريف الشهباء، ونحو ٥٠٠ منشـرة لتقطيـع حجـر البنـاء في المنـاطق الكردية من ريـف الشـهباء، وصـناعة السـجاد في عفـرين والجزيـرة. واشـتهرت مدينـة دمشق بصناعة الأنسجة الحريرية النفيسة وتطريزها بأجمل الزخـارف والرسـوم منـذ آلاف السنين، وكانت تصدر إلى أنحاء العالم، ومازال هذا النسيج يحـافظ علـى تألقـه رغم دخول المغازل الآلية إلى هذه الصناعة، ويعود الفضل في ذلك إلى الأيدي المـاهرة من النساجين. ومن أروع الأصناف الحريرية (البروكار)، التي سميـت بــ (الدامسـكو) تيمناً بدمشق. وجرّاء ارتفاع تكلفة البروكار، قلّ عدد العاملين في هذه الصـناعة، ولم يبقَ سوى شخصين يعملان في انتاجه بدمشق. قال (الحاج أحمد مهدي اللحام) الذي يملك محلاً لبيع البروكار خلف الجامع الأموي لوكالة الأنباء الكويتية (كونا): عائلتنا تعمل في انتاج البروكار منذ ٤٠٠ سنة، ورثنا هذه المهنة أباً عن جـد. وأضـاف: جـاء وفد إلى والدي عام ١٩٤٨، طالبين تفصيل ثوب عرس مـن البروكـار للملكـة اليزابيـت الثانية، فقمنا أنا وأبي بنسج الثوب من البروكار المطرز. ومضى يقول: كان البروكار يسمى بالدامسكو قديماً، لكن كان (برو: تصغير ابـراهيم، وهـذه عـادة الكـرد سـواء تحببـاً أو تحقـيراً) الكـردي يعمـل في انتـاج هـذا الحريـر وقـد كـان حاذقـاً ومـاهراً في صناعته، فجاء من يسأل عنه من أقربائه ذات يوم، فقيـل لهـم: بـرو في الكـار. لكـن (بروكار) عبـارة عـن كلمـتين (بـرو) و (كـار) والأخـيرة تعـني العمـل أو الصـنعة، أي صنعة برو، فطغى اسم برو الكردي علـى دمشـق. ويبـاع البروكـار بـالغرام كالـذهب، ويقبل السياح على شرائه، خصوصاً الملون. وإلى جانـب البروكـار هنـاك (الأغبـاني) أيضاً.

خامساً: النقل والمواصلات والسياحة

النقلة النوعية في هذا المجال كانت نتيجة تـوافر وسـائط النقـل المختلفـة، تلـك التي اختصرت الزمن، وجراء ذلك تقلص المكان الجغرافي، من هنا كانت عامل وصل، فقد دكت أركان العزلة بين المناطق، خصوصاً بعد ثـورة الاتصـالات عـبر المحطـات الاذاعية والتلفزيونية والصحافة بما في ذلك الالكترونية عبر الأقمار الصناعية، كل هذا التقدم حقق المزيد من الحرية بالنسبة للكرد عموماً، فمن خلال كـل ذلـك لم تتنشـط

[1]- أنظر: صحيفة كردستان – العدد ٥١٩.

حركة السكان ونقل البضائع فحسب، بل ورأس المال والأفكار أيضاً.

أ – الطرق الاسفلتية[1]: كان هناك خلل في التوازن على هذا الصعيد بين سائر المناطق في سوريا، فقد أهملت المناطق الكردية على نحو ملفت وفق سياسة ممنهجة من لدن الأنظمة التي تعاقبت على دست الحكم منذ الاستقلال. ورغم الضعف الواضح في كثافة الطرق المعبدة، هناك شبكة من الطرق المتوسطة النوعية، ومنها تلك التي تربط بين مناطق الانتاج (الجزيرة) ومناطق الاستهلاك (حلب، اللاذقية، دمشق).

ب – السكك الحديدية[2]: وهناك خطان:

– خط قطار الشرق السريع (برلين ـ بغداد) الذي شرعوا في انشائه عام ١٩١١، وفي عام ١٩٣١ امتد الخط إلى الموصل ليربطها بحلب، بعد أن كان ينتهي في نصيبين [3] ويمتد من (تل كوجر/ اليعربية) مروراً بمدينة القامشلي، ثم يمر بنصيبين، ويستمر داخل أراضي كردستان الشمالية بموازاة الحدود السورية التركية حتى شمالي حلب، فيتفرع عنه خط إلى حلب.

– وفي عام ١٩٧٦ أقامت سوريا خطاً جديداً لربط ميناء اللاذقية بحلب والرقة ودير الزور والحسكة والقامشلي.

ج – الملاحة الجوية[4]:

أنشىء مطار في مدينة القامشلي، ثم تم توسيعه قبل سنوات فتحول من مطار محلي إلى مطار دولي.

د – السياحة:

تعد من أهم عوامل التنمية الاجتماعية والاقتصادية على حد سواء، فهي مصدر للعملة الصعبة، فضلاً عما توفره من مجالات التعرف بتراثنا وقضايانا، وما توفره من فرص عمل وامتصاص للبطالة في هذا الميدان. ورغم احداث سوريا لوزارة السياحة عام ١٩٧٢ بغية تنظيمها وتنشيطها، لكنها مازالت تقليدية رغم وفرة الأوابد

---

(١)– راجع المصور رقم ٢٥ : الطرق الاسفلتية.

(٢)ـ راجع المصور رقم ٢٦: السكك الحديدية والموانىء.

(٣)ـ محمد جمال باروت ـ مصدر سابق ـ ص٣٤٢.

(٤)– راجع المصور رقم ٢٥: الطرق الافلتية والمطارات.

الموجودة التي تعود إلى عصور تاريخية موغلة في القدم. ونميز في الاقليم الكردي الملحق بسوريا فترتين للسياحة مرتبطتين بالمناخ، هما: الربيعية (يسود الاعتدال وتلبس الطبيعة حلة خضراء) والصيفية، وهناك سياحة تستهدف التعرف على الأوابد التاريخية والمعالم الحضارية والتراثية والثقافية والأماكن الدينية. وتتميز مناطق عفرين المختلفة على نحو خاص بجماها الفتان التي تدهش الناظرين، وبمعالمها، الا أن خطط وزارة السياحة لم تولِ المنطقة أية أهمية، رغم توفر مقومات السياحة فيها.

الفصل السابع

الشعب الكردي في ظل الانتداب الفرنسي

مدخل:

منذ أن ألحق هذا الجزء من كردستان بالكيان السوري الجديد، والحديث التكوين على الخارطة السياسية للعالم، مارست فرنسا – الدولة المنتدبة – سياسة أقل ما يقال فيها أنها كانت تمتاز بمنتهى المراوغة والازدواجية، ففي الوقت الذي أقدمت فيه على إنشاء كيانات للعلويين والدروز والسنة ناهيك عن دولة لبنان، اكتفت بمنح الكرد بعض الحقوق الثقافية، كاصدار بعض الصحف وتأسيس بعض الجمعيات والنوادي وتدشين بث محدود الزمن باللغة الكردية من بيروت عام ١٩٣٧، والذي استمر حتى نهاية عام ١٩٤١، بغية ذر الرماد في عيون الكرد. إلا أنها لم تقدم على ما سلف ذكره إلا لشحن المشاعر المضادة للأقليات في مواجهة الأكثرية السنية، وأجادت في اتباع تكتيك مكيافيلي لكسب الكرد وتهدئتهم من جهة، ولتخويف تركيا المصابة بعقدة الكردوفوبيا من جهة أخرى، خصوصاً في عهد "الذئب الأغبر" أتاتورك، والتي كانت ترفض ترسيم الحدود بالشكل الذي تم ترسيمه. بدليل أنه في أثناء ثورة احسان نوري باشا: (قامت مجموعات كردية سورية بالتوغل في أراضي كردستان تركيا لضرب القوات التركية ولمساندة الأكراد الثائرين هناك، مما حدا بالحكومة التركية إلى أن تقدم طلباً للمندوب السامي الفرنسي الذي قام بتهجير ونقل بعض القادة العشائريين الأكراد في سوريا من مناطق الحدود مع تركيا إلى داخل سوريا)[1].

هناك وَهْمٌ في الوسط الكردي تنطلق على أساسه شريحة من الكرد، تدّعي بصدق نوايا فرنسا تجاه الكرد السوريين يومئذٍ من جهة، وتتهم في الوقت نفسه بعض الأطراف الكردية بالتماطل في النضال من أجل استقلال ذاتي أسوة بالمكونات

([1])– سعد ناجي جواد(الدكتور) – مصدر سابق – ص١٤.

الأخرى التي ضمتها سوريا الجديدة من جهة أخرى، لكن مجريات الأحداث تدحض هذا الوهم:

١– لم يتضمن دستور عام ١٩٢٨ أي إشارة إلى الكرد، رغم أنه أعطى الحق لبعض المكونات الأخرى بانشاء كيانات مستقلة ضمن الاتحاد السوري، فضلاً عن انشاء مدارس لتعليم الصغار بلغتهم الخاصة. هذه السياسة المزدوجة التي اتبعتها فرنسا، غدت سابقة خطيرة بنت عليها السلطات السورية فيما بعد الجلاء وأضحت: (ركناً أساسياً من أركان سياسات الحكومات السورية المتعاقبة في السعي إلى محو ما يمت إلى الهوية الكردية بصلة)[١].

٢– في عام ١٩٣٧ عقد اجتماع في قرية توبز[٢]، حضرته شخصيات كردية من الجزيرة وكوباني وعفرين، وَعَدَ فيه الفرنسيون بمنح الكرد السوريين الحكم الذاتي، لكن مثل هذه الوعود كانت مجرد تكتيك – كما أسلفنا – اتبعته فرنسا لتهدئة المشاعر القومية الكردية، فالمعروف والثابت تاريخياً أن فرنسا رفضت الالتزام بأي تعهد راسخ إزاء مسألة حقوق الشعب الكردي في سوريا... وقد أدرك الكرد هذه الحقيقة ومنذ زمن مبكر، بدليل مشاركتهم الفعالة في الحركة الوطنية السورية، التي تكللت باستقلال سوريا في ١٧ نيسان ١٩٤٦، على أمل الحصول على حقوقهم القومية[٣].

لكن سلطات الانتداب كانت تقوم بابتزاز تركيا والكرد على حدٍ سواء، خصوصاً الكرد الذين رفضت اقامة ادارة ذاتية خاصة بهم أسوة بالسنة والدروز والعلويين، فقد أنشأت في أيلول عام ١٩٢٠ للسنة دويلتين منفصلتين في دمشق وحلب، وفي آذار عام ١٩٢٢ فصلت جبل الدروز (جبل العرب) وجبل العلويين (جبال اللاذقية) عن دمشق، وأعلنت فيهما إدارتين مستقلتين، وكانت قد اقتطعت قبل ذلك جبل لبنان وأقامت فيه دولة لبنان الكبير، أما سائر المناطق الأخرى فقد خضعت للحكم الفرنسي المباشر. في عام ١٩٢٠ أطلق على المنطقة التي يتواجد فيها العلويون (النُّصَيْريون) (اقليم الحكم الذاتي للعلويين)، وفي عام ١٩٢٢ سمي الاقليم بـ (دولة

(١)– علي ميراني: الحياة الحزبية السرية في كردستان سوريا – مصدر سابق – ص٢٣.

(٢)– قرية تابعة لعامودا(تقع بين القامشلي وعامودا).

(٣)– سعد ناجي جواد – مصدر سابق – ص١٦.

العلويين)، وفي أيار ١٩٣٠ سميت بـ (حكومة اللاذقية)، إذ لم يكن في مدينة اللاذقية على حد قول باتريك سيل قبل استلام الأسد الأب للسلطة سوى بضع مئات من العلويين، بينما كان سكان اللاذقية ٧٥٪ منهم من المسلمين السنة و٢٥٪ من طوائف مسيحية مختلفة، وقد شعر العلويون بالتحرر إبان الانتداب الفرنسي، فمنذ أن وطئت أقدام الفرنسيين هذه الأرض حتى بدأوا بمنح العلويين امتيازات أثارت حفيظة السنة والمسيحيين مجتمعة كما يقول باتريك سيل، وقامت فرنسا بتجنيد الشباب العلويين في قوات المشرق الخاصة التي أنشئت عام ١٩٢١ تحت أمرة ضباط فرنسيين، وانضم العلويون إلى هذه القوات لأنها توفر فرصة عمل لهم جراء فقرهم المدقع، أما غاية الفرنسيين فكانت تتلخص في استعمالهم: (كفرق مطافيء لقمع الاضطرابات في أي مكان من البلاد... وأدت الخدمة العسكرية مع الفرنسيين إلى تأسيس بدايات تقليد عسكري علوي أصبح مركزياً في صعود الطائفة اللاحق فيما بعد)[1].

لكن الحق يقال أن قسماً من الكرد أيضاً لم يقدم على المطالبة بكيان من هذا القبيل بعد أن رأوا بأم أعينهم ماجرى في لواء اسكندرون التي ألحقت بتركيا، فكانوا يتخوفون من الوقوع ثانية: (تحت رحمة وسيادة السلطات التركية، التي لا يحملون تجاهها غير المشاعر المعادية)[2]، ويبدو أن فرنسا تنبهت لهذا الأمر، فلجأت إلى تطمين الكرد في المستقبل المشرق الذي ينتظرهم، وهذا ما أدى إلى أن يخفض الكرد سقف مطالبهم في ظل الممانعة العربية لأبسط مطلب كردي، بدليل أنهم اكتفوا بالمطالبة بمناسبة انعقاد الجمعية التأسيسية (برلمان) في ١٩٢٨/٦/٢٣ فقط بـ:

- تدريس اللغة الكردية في المدارس في المناطق الكردية.
- استبدال الموظفين العاملين في المناطق الكردية بموظفين كرد.
- تشكيل قوة كردية بادارة سلطات الانتداب لحماية الحدود.

رغم أن مطالبة فئات كردية بالحكم الذاتي تعود إلى عام ١٩٢٤، فالنائب الكردي (نوري كندي) من كرد داغ، تقدم بمذكرة لسلطات الانتداب طالب فيها بالاستقلال الاداري لجميع المناطق ذات الأكثرية الكردية، أي على طول الحدود

([1])– باتريك سيل: الأسد والصراع على الشرق الأوسط – مصدر سابق – ص٣٧.

([2])– سعد ناجي جواد – مصدر سابق – ص١٦.

السورية – التركية. كما تقدم التجمع العشائري للبرازية حول جرابلس (علاءالدين وبوزان ومحمد شاهين) بعريضة مماثلة طالبوا فيها بالاستقلال الذاتي، ولهذا القضاء بصورة خاصة حيث شكل الكرد فيه الأكثرية الساحقة. وقدمت مذكرة مماثلة أخرى في آب ١٩٢٨، طالب فيها الكرد بـ:

١– تدريس اللغة الكردية إلى جانب اللغات الأخرى في المناطق الكردية[1].

٢– إبدال الموظفين فيها بموظفين كرد.

٣– إنشاء لواء كردي مهمته حماية الحدود الشمالية[2].

كما أن حاجو آغا وآخرين كانت لهم مطالب حول الاستقلال الذاتي في الجزيرة، كانت تتلخص بـ[3]:

١– نظام خاص تضمنه عصبة الأمم، يشبه نظام العلويين والدروز ونظام اسكندرونة.

٢– إبقاء القوات الفرنسية لتأمين سلامة الأقليات.

٣– تعيين حاكم فرنسي تحت وصاية عصبة الأمم. ناهيك عن مطالب أخرى في المجال الاقتصادي والثقافي والقضائي.

يذكر الدكتور علي صالح ميراني نقلاً عن محمد علي بك باشا كيف إلتقى اسماعيل بك وتمر بك/ من عائلة ابراهيم باشا الملّي الجنرال الفرنسي (دي لاموت) في حلب، وعقد الطرفان ما يشبه الاتفاق، من أبرز بنوده اعتراف سلطات الانتداب مبدئياً بتحقيق نوع من الحكم الذاتي في المناطق الكردية، مقابل قيام العشائر الكردية بطرد المخافر التركية التي كانت ماتزال موجودة في مناطق دير الزور ونواحيها، ولتحقيق ذلك قدمت السلطات الفرنسية كميات من الأسلحة ومستلزمات أخرى كانت تحتاجها العشائر الكردية، التي تمكنت فعلاً من دحر المخافر التركية وازالتها من منطقة دير الزور، ولم تتوقف العشائر عند هذا الحد، بل واصلت تقدمها

---

[1]- ففي عام ١٩٢٧ فرضت فرنسا في قضاء كرد داغ اللغتين العربية والتركية كلغتين رسميتين في التعليم، ولم تدرج اللغة الكردية بينها(راجع: محمد جمال باروت ـ التكون التاريخي الحديث للجزيرة السورية ـ مصدر سابق ـ ص٣٧٩)، هذا هو سبب المطالبة بتدريس اللغة الكردرية في البند المذكور.

[2]– جوردي غورغاس: الحركة الكردية التركية في المنفى – مصدر سابق – ص٧٣– ٧٥.

[3]– راجع الوثيقة رقم ٢٩.

حتى الحدود العراقية ووصلت إلى بلدة البوكمال... لكن حين ظهرت في الآفاق بوادر تفاهم تركي – فرنسي، سرعان ما طالبت السلطات الفرنسية من الكرد بالقاء أسلحتهم والامتناع عن إزعاج تركيا[1]، إن هذا الموقف الفرنسي بعدم إثارة حفيظة تركيا بعد التفاهم المذكور، إنما ينم عن سياسة ميكيافيلية بكل تأكيد، ولايترك شكاً بعدم مصداقية الوعود الخلبية لسلطات الانتداب تجاه الكرد ومطالبهم المشروعة. فالكرد لم ينالوا تأييد سلطات الانتداب الفرنسية مثلما نالته الأقليات المسيحية أو الدرزية (ولم تشأ تقوية الأكراد على حساب العناصر الغير اسلامية التي كانت تعيش بين ظهرانيهم كالأرمن وغيرهم، يضاف إلى ذلك حرصها على علاقاتها بالدول المجاورة، خاصة تركيا)[2].

أنا شخصياً لا أعتقد أن فرنسا كانت بصدد إقامة كيان كردي مشابه للكيانات التي أقيمت لسائر مكونات سوريا، لسبب بسيط هو أن المطالب الكردية المشروعة كانت تصطدم كل مرة بمعارضة شديدة من تركيا، لكن – الحق يقال في ذات الوقت – أن العديد من رؤساء العشائر والقبائل الكردية أيضاً لم تطالب به، ربما لنفس الأسباب السالفة الذكر، فيقال بأن فرنسا اتصلت: (مع رؤساء القبائل في الجزيرة وقامت بتكليف مندوب خاص للقيام باقناع رؤساء القبائل لتنفيذ المشروع؛ إلا أن نايف باشا كان في طليعة الرافضين لهذا المشروع وذلك لقناعته التامة وإدراكه النوايا الحقيقية للفرنسيين والتي هي إثارة النعرات الطائفية والعشائرية وإضعاف الوحدة الوطنية. وفي اجتماع له مع المفوض الفرنسي بحضور الأمير جلادت بدرخان في منزل نايف باشا، قام – المقصود نايف باشا – بالاعلان عن موقفه بالرفض وعدم الاستعداد في الدخول باجراء غايته تجزئة البلاد واضعافها)[3]. مامن شك أن الموقف الفرنسي ازاء المطالب الكردية المشروعة: (كانت تتحكم فيه عوامل متداخلة، تأتي في مقدمتها الرغبة الفرنسية بعدم اثارة الحفيظة التركية.. والتي كانت تراقب أوضاع الكرد في سوريا عن كثب، ولا ترغب في غض الطرف عنهم، لاسيما أن

---

(1)– علي صالح ميراني: الحركة القومية الكردية في كردستان سوريا – مصدر سابق – ص٦٠و٦١.

(2)– حامد محمود عيسى(الدكتور): المشكلة الكردية في الشرق الأوسط – جامعة قناة السويس – مكتبة مدبولي/١٩٩٢ – ص٣٥١.

(3)– عيسى ميراني: الميران في امارة بوتان – مصدر سابق – ص٤٤.

العلاقات التركية – الفرنسية شهدت نوعاً من الهدوء بعد اتفاقية أنقرة، في ٢٠ تشرين الأول ١٩٢١، تلك المعاهدة التي ثبتت الحدود التركية – السورية الحالية)[١].
ويضيف الدكتورعبدالفتاح بوتاني: كانت السياسة الفرنسية إزاء الحقوق السياسية للشعب الكردي في كردستان سوريا غير واضحة، وعلى الرغم من وجود اشارات برغبة بعض دبلوماسييها أحياناً باعطاء الكرد حقوقهم، ومنحهم الكيان السياسي الخاص بهم أسوة بغيرهم، ومن ذلك ما ورد في تقرير بريطاني، ان فرنسا رغبت في سنة ١٩٢٩، باقامة كيان كردي، مؤلف من مناطق سنجار، الى الخابور، وجزيرة بوتان، وسرى كانية (رأس العين)، ومنها الحسكة[٢]. ويختتم بوتاني قوله: مثل هذه الاشارات والوعود الفرنسية، كانت مجرد تكتيك لتهدئة المشاعر القومية الكردية، فالمعروف والثابت تاريخياً أن فرنسا رفضت الالتزام بأي تعهد راسخ ازاء مسألة حقوق الشعب الكردي في سوريا.. وقد أدرك الكرد، رغم غياب حزب سياسي كردي مؤثر هذه الحقيقة منذ وقت مبكر، بدليل مشاركتهم الفعالة في الحركة الوطنية السورية، التي تكللت باستقلال سوريا في ١٧ نيسان ١٩٤٦م، على أمل الحصول على حقوقهم القومية في ظل حكومة وطنية سورية مستقلة، لكن من المثير للتأمل، ان الآمال الكردية لم تثمر ونضالهم لم يتكلل بالنجاح بعد الاستقلال فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار، فقد مارست الحكومات السورية المتعاقبة سياسة اضطهاد الشعب الكردي، وكانت في هذا المجال، أقسى وأشد من سياسة سلطات الانتداب الفرنسي[٣]، مما أخذ السوريون وفي مقدمتهم الكرد يترحمون على العهد الفرنسي حقيقة.

أجل، ذهبت آمال الكرد أدراج الرياح، فالحكومات المتعاقبة في العهد الوطني – كما قال الدكتور عبدالفتاح بوتاني – خيبت آمال الكرد وتجاهلت بدورها وجود الشعب الكردي، وأعتبرت الشوفينية العربية – خصوصاً في عهد البعث (١٩٦٣–

(١)– عبدالفتاح بوتاني (الدكتور): الحركة القومية الكردية التحررية/ دراسات ووثائق – تقديم: ا. د. خليل علي مراد – سبيريز ٢٠٠٤م – ص٩٤.

(٢)– جامعة الموصل، مركز الدراسات التركية، ملف كردستان الغربية، تقرير ضابط الخدمة الخاصة في الموصل عن السياسة الفرنسية في سوريا ذي الرقم:١/١م، في ٢ شباط ١٩٢٩.

(٣)– عبدالفتاح بوتاني: الحركة القومية الكردية التحررية/ دراسات ووثائق – المصدر السابق – ص٩٥.

٢٠١٧) – أن كل من يعيش في سوريا هو عربي، ونفت وجود الشعب الكردي في سوريا؛ ولا يخفى لكل ذي بصيرة أن هذا الزعم يتعارض مع أبسط الحقائق التاريخية والجغرافية، سيما أن سوريا بحد ذاتها ليست سوى كيان سياسي حديث وغير شرعي، ومن انتاج الدول العظمى مثل فرنسا وبريطانيا على وجه الخصوص، التي أملت عليها مصالحها يومذاك إنشاءه، ضاربة بارادة الشعب الكردي عرض الحائط. أجل، ظهر هذا الكيان عقب سايكس – بيكو، وإن توخينا الدقة قلنا بعد مؤتمر سان ريمو ١٩٢٠، الذي أقر بالانتداب الفرنسي على كلٍ من سوريا ولبنان، ثم صادقت عصبة الأمم على صك الانتداب هذا، وعقدت فرنسا مع تركيا اتفاقية أنقرة في ١٩٢١/١٠/٢٠، لترسيم الحدود التركية – السورية، وقعها يوسف كمال من الجانب التركي وهنري فرانكلان بون من الجانب الفرنسي، وبنتيجة هذا الترسيم تم فصل الجزء الجنوبي – الغربي من كردستان وإلحاقه بالدولة السورية الحديثة التكوين[١].

لقد سبق أن أدلت السيدة دانيال ميتران بدلوها على هذا الصعيد، في كتابها الذي نشرته عام ١٩٩٦ تحت عنوان: (بصراحة تامة)، ومما جاء فيه بخصوص الكرد قولها: (لعل من السهل التأكيد من أن الصراع على البترول، الذي تزخر به الأرض التي تحت أقدام هذا الشعب – تقصد الشعب الكردي/ مني – كان السبب في حرمانه من حقوقه). وتمضي قدماً في الاشارة إلى الاتفاقيات التي عقدت بين الضواري، بما في ذلك بلدها فرنسا، بعد الحرب العالمية الأولى، والتي بموجبها رسمت الحدود المجزِّئة وفرضت تقسيماً (لبلاد الكرد، يناسب مصالح الحلفاء المنتصرين في الحرب).

أولاً: مفهوم الشعب

وفق المفهوم العلمي الدقيق تعني كلمة الشعب: (جماعة من الناس تكونت تاريخياً، وتضم كل فئات السكان). والشعب وفق هذا المفهوم، عبارة عن خالق الثروة المادية والروحية وصانع التاريخ بكل تأكيد، رغم أنه قد يختلف إثنياً، لكن تربطه علاقات قانونية وقد تكون قهرية مع الدولة، وهنا يغيب عامل الانتماء السلالي أو العرقي في تحديد هذا المفهوم ويبرز عامل الموطن أو الكيان الحاضن، بخلاف

(١)– علي ميراني: الحياة الحزبية السرية في كردستان سوريا – مصدر سابق – من تقديم الدكتور عبد الفتاح بوتاني – ص١٩.

الأمة التي تعني مجموعة من الناس الذين يشعرون بأنهم يشتركون بهُويّة واحدة تميزهم عن غيرهم من الأمم.

وقد تناول قاموس (روبير) الفرنسي الشهير، هذا المفهوم السياسي بأنه: (مجموعة من الكائنات البشرية، تعيش في مجتمع، وتسكن أراضي معينة، لها عاداتها وتقاليدها)[1]، وانطلاقاً من هذا التعريف يمضي القاموس المذكور في تسمية الباسكيين بشعب الباسك.

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، يمكن في ضوء ذلك أن نسمي مثلاً جميع القاطنين في ايران اليوم بالشعب الايراني، وهذا لا ينفي في الوقت نفسه أن نقول بأن هناك شعوباً عدة تعيش في ايران، كالشعب الفارسي والشعب الأذري والشعب الكردي والشعب البلوشي والشعب العربي. وعلى هذا المنوال يمكن اطلاق مفهوم الشعب السوري على ساكنيها جميعاً، هذا من جهة ومن جهة أخرى نجد أن هذا لا يتعارض البتة حين نقول هناك شعب عربي في سوريا وهناك شعب كردي فيها أيضاً، الأول ينتمي إلى الأمة العربية والثاني إلى الأمة الكردية.

أما ما يتعلق بالاثنيات الأخرى، مثل: الأرمن، التركمان، الشركس، فقد سبق لها أن هاجرت من موطنها الأصلي، جرّاء الحروب أو الأوضاع الأمنية أو الاقتصادية، فليست لها: (جذور تاريخية في المنطقة، كما هو حال الشعب الكردي، الذي هو سابق في استيطانه على العرب)[2].

ويقرُّ الدكتور سعدالدين ابراهيم بالتنوع الاثني مشيراً إلى تواجد الكرد والآشوريين – السريان والبربر والقبائل الزنجية في جنوب وغرب السودان، كـ (جماعات أصلية، بمعنى أنها وجدت في المنطقة وجوداً مستمراً منذ ماقبل الفتوح الاسلامية – العربية في القرن السابع الميلادي)[3]. كما أشار في الوقت نفسه إلى تلك الجماعات الوافدة في فترات متتالية، خصوصاً في القرنين (١٩و٢٠) م، مثل التركمان والشركس والأرمن واليهود الذين هاجروا إلى فلسطين بعد عام ١٩٤٧.

---

(١)– نقولا الزاهر: مجلة الحوار – العددان ٤٦– ٤٧/ شتاء – ربيع عام ٢٠٠٥ – ص٦١.

(٢)– جهاد النصرة: مجلة الحوار – العددان ٤٦– ٤٧ شتاء/ ربيع عام ٢٠٠٥ – ص٣٣.

(٣)– سعدالدين إبراهيم (الدكتور): الملل والنِّحل والأعراق/هموم الأقليات في الوطن العربي – ط٢– ص٤٥.

لكن الخطاب القومي العربي كان يتجاهل هذه الحقائق، ويتغاضى عن التنوع الاثني في سوريا، وكان يربط وجود هذه الاثنيات بالمخططات الاستعمارية وربما الصهيونية، من هنا زعم هذا الخطاب بأن هذا التنوع مصدراً للتوتر وشتى أنواع الصراع الذي يستنزف الطاقات هدراً، فانصب الجهد على تجاهل المطالب المشروعة للشعب الكردي في سوريا، أملاً في تذويبهم عن طريق مشاريع التعريب التي طالت البشر والحجر، وصهرهم في بوتقة العروبة في النهاية. من هنا يمكن القول أن ماذهب إليه لازاريف محض افتراء، حين يقول بأن السلطة العربية في سوريا والعراق لم تقم بالاضطهاد السياسي ضد الكرد، بل كان هذا الاضطهاد آتياً فقط من سلطات الاحتلال (يقصد فرنسا وبريطانيا)، ولهذا – وفق زعمه – اتخذت الحركة الكردية في هذين البلدين (سوريا والعراق) اتجاهاً معادياً للامبريالية[1].

إلا أن الأنظمة المتعاقبة في سوريا لم تعترف في يوم من الأيام بأسط حق من حقوق الكرد، ولا بالوجود الكردي، إنما اعتبرت وجود الكرد ليست سوى مشكلة بعض اللاجئين – وفق زعمها – الذين لجأوا إلى سوريا بعد فشل ثورة الشيخ سعيد عام ١٩٢٥ في كردستان الشمالية، وهذا ما حدا باستاذ الجغرافية السياسية في جامعة دمشق د. محمد الحمادي إلى توصيفها بـ«المشكلة الكردية»، ووصفها بأنها من أخطر مشكلات الأقليات في الوطن العربي، واتهم كرد العراق جزافاً بأنهم كانوا وسيلة وأداة في يد الاستعمار البريطاني[2]. بينما يعرف القاصي والداني كيف تآمرت بريطانيا بالذات على القضية الكردية وحرمت الشعب الكردي من بلوغ فرص النجاح على غرار الشعوب الأخرى، ووضعت حداً لتطلعات الشعب الكردي القومية في العراق خاصة.

([1])– م. لازاريف: المسألة الكردية ١٩٢٣– ١٩٤٥– مصدر سابق – ص١٠٦ وص١١٠. رغم أننا نعتز بما قدمه لازاريف في شأن التاريخ الكردي، لكن يجب التنويه في الوقت نفسه بأنه كان محكوماً بسياسة الاتحاد السوفييتي ومعبراً عنها في النهاية، ولا يمكن تبرير هذا التناقض الذي وقع فيه كردولوجي بهذه القامة الا بهذا الشكل السالف الذكر.

([2])– محمد الحمادي(الدكتور):الجغرافية السياسية – مصدر سابق – ص٢٤٢و٢٤٣.

ثانياً: نضال الكرد في ظل الانتداب

المسألة التي لا يرتقي إليها الشك هي تلك الجذور التاريخية للتآخي الكردي – العربـي، الـتي تمتـد إلى مئـات السـنين، وتحديـداً إلى عهـد صـلاح الـدين الأيـوبي وانتصـاراته في مواجهـة الغـزوات الصـليبية، لكـن بـذلت محـاولات في العهـد الـوطني: (لاعتبار جماهير الكرد أغراباً عن هذا الوطن، وتناسي وتجاهـل، بـل وطمـس دورهـم ومشـاركتهم في النضـالات الوطنيـة والاجتماعيـة، وفي انجـاز الاسـتقلال الـوطني وفي حمايته والدفاع عنه)[1]، رغم ما لعبه الكرد من دور بارز في النضال الـوطني. حقيقـة هذه السياسات التي مورست في العهد الـوطني أسـاءت إلى صـرح التـآخي الكـردي – العربي ونخرته من الداخل وأحدثت فيه شرخاً بعد أن دقت فيه العديد من الأسافين، ومنها علـى سـبيل المثـال لا الحصـر الاحصـاء الاسـتثنائي ١٩٦٢ ومشـروع الحـزام العربي السيء الصيت وسياسة التعريب المقيتة، ضاربة بهذا الصرح عرض الحائط.

أ – المقاومة في الشمال:

١– محو إيبو شاشـو: منـذ أن وطئـت أقـدام الفرنسـيين الأرض تحـت قيـادة الجنرال بيابان عن طريق لواء إسكندرونة، انتفض أهالي كـرد داغ/ عفـرين وشـاركوا في المقاومة الشعبية بزعامة أناس أشداء من أمثال: سيدو ديكـو، مصـطفى جـولاق، أحمد روتو، تك بقلة، بدري بك، رشيد ايبو. وكان أول من أطلـق الرصاصـة الأولى في وجههم محـو إيبـو شاشـو الـذي نـال شـرف الأسـبقية علـى هـذا الصـعيد[2]. والدتـه فاتى Fatê، من مواليد ١٨٨١/ قرية باسْكا بسهل Licê الـتي تقـع في الجانـب التركـي من الحدود الآن، اجتمع محو مع آخرين في حي آغيول بمدينة حلـب، وقـرروا محاربـة الفرنسيين، واتخذوا مـن سـهل العمـق ربيـع عـام ١٩١٩ منطلقـاً للمقاومـة دفاعـاً عـن جنديرس، وجرّاء هذا الأمر أرسلت الحكومة المحلية في حارم قـوة للـدرك لمطاردتـه، لكنه توارى عن الأنظار، فما كان من جنود الدرك إلا أن اعتقلوا زوجته وسـاقوها إلى

---

(١)ـ راجع: رمو شيخو الفرحة ـ مجلـة دراسـات اشـتراكية – كـان يصـدرها الحـزب الشـيوعي السـوري – العـدد١١ تشـرين الثـاني ١٩٨٥ – ص٩٧. كـان الفرحـة عضـواً يومهـا في المكتـب السياسـي للحـزب الشيوعي السوري، لذا هذا القول يسجل له، وقد لاقى التقدير من لدن أبناء شـعبه، الشـعب الكـردي، في ظل صمت حزبه وأمينه العام.

(٢)– راجع: أدهم آل الجندي ـ تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي.

حارم، لكن محو حين بلغه الأمر استأسد للدفاع عن شرفه وطارد رجال الدرك، ودارت معركة حامية الوطيس بينه وبين المجموعة، حيث لاقى بعض أفراد الدرك مصرعهم ولاذ من تبقى منهم بالفرار وأعاد زوجته سالمة. وكوَّن محو مجموعة من المقاتلين الأشداء (نحو ٤٠٠– ٦٠٠ مقاتل) وزودهم بالعتاد اللازم الذي تلقاه من أحمد بك، وقاد هذه المجموعة ذات مرة لملاقاة قافلة عسكرية قادمة من اسكندرونة إلى القطعات العسكرية المرابطة في حارم، وكانت القافلة تجتاز سهل العمق الغني بأعشابه، فكمنت المجموعة بين الأعشاب وهي ترقب وصول القافلة، حتى إذا ما توسطت المكان المعشوشب، أشعلت المجموعة النار من أمامها ومن خلفها ومن الميمنة والميسرة، فأدخلتها وسط الجحيم، وألتهمت النيران وقودها (الأفراد والعجلات والدواب والأرزاق). وشاركه في القتال ضد الفرنسيين العديد من الثوار، بينهم: أخاه علي إيبو شاشو، والثائر باباز، وبطال بكر إيبو، بريم أفندي، ودامت المقاومة من (١٩١٨– ١٩٢٣)، وكان مسرح المعارك الجهة الغربية من جبل الكرد، خاصة مناطق قرق خان وسهول الريحانية، وشملت قرى المنطقة. يجدرالذكر أن محو شن نحو عشرين معركة ضد القوات الغازية. لكنه قُتِلَ: (بمؤامرة دبرها أحمد آغا كينج على يد شقيق زوجة المغدور، المدعو بريم حسن، في كهف قرية تَتَرا)[١]، يجدر الذكر أن محو الكردي كان من سهل جومة (منطقة عفرين) على الأرجح.

كما ظهر مجاهد كردي آخر أقضَّ مضاجع الفرنسيين، يُدعى (تك بيق حاجي)، وتحالف مع محو ورجاله الأشداء وهاجموا سوية حامية (الحمام) الفرنسية، الكائنة جنوبي جبل الأكراد وشمال شرقي سهل العمق فقضوا عليها، وشن الثوار الكرد هجوماً على منزل المستشار الفرنسي في اعزاز، فاستنجد الفرنسيون بحاميتهم في حلب، وشاركت الطائرات الفرنسية في الهجوم على الثوار الذين تمكنوا من اسقاط احداها[٢]. أما (تك) فقد استشهد في احدى المعارك التي دارت بين القوات التركية والفرنسية في مرعش وعنتاب، بعد أن آزرت مجموعة (محو وتك) القوات التركية، فمنحت تركيا الثائر (محو) لقب باشا، وتزوج محو من شقيقة بريم أفندي، إلا أن بريم قتله غيلة، لأسباب مجهولة، ربما كان بدافع من الفرنسيين أو أغوات المنطقة.

---

(١)– شيخو علي: جبل الكرد إبان الانتداب الفرنسي – مصدر سابق – ص٢٤.

(٢)– اسماعيل حصاف (الدكتور): مجلة الأكاديمية الكردية/ هولير – العدد/٣٥/ – ص٢٨٥.

ولما بلغ مسامع الحكومة الوطنية في حلب هذا الخبر، تشاور الكردي ابراهيم هنانو وصبحي بركات ووالي حلب ومدير الشرطة آنئذٍ للقيام بثورة على الفرنسيين[١].

٢- زعيم ثورة الشمال (ابراهيم هنانو١٨٦٩- ١٩٣٥)[٢]:

حياته: أبرز القادة الذين ناضلوا ضد الاستعمار الفرنسي، وهو ابن سليمان آغا بن محمد هنانو، والدته كريمة الحاج علي الصرما أحد أعيان كفر تخاريم التي ولد فيها عام ١٨٦٩. وثمة من نسب الأسرة الى قبيلة رشوانا الكردية، لكن عبدالله يوركي حلاق في كتابه (الثورات السورية الكبرى في ربع قرن) يقول أن أسرة هنانو تنتمي الى الى قبيلة برازيا الكردية، وهذا هو الأرجح[٣]. درس الابتدائية في كفر تخاريم والثانوية في حلب، وسافر إلى الأستانة يقصد اتمام دراسته دون علم والده، لأن والده الثري كان يعتقد بأن الوظائف تليق بالطبقات الفقيرة، وبعد وصوله إلى الأستانة أخبر والده بأنه أخذ مبلغاً من المال كي لا يسيء الظن بالفلاحين، ثم عاد إلى بلده بعد أن نفذت دراهمه بعد أربع سنوات، ثم سافر إلى الأستانة مرة أخرى وأقام فيها ثلاث سنوات أخرى. ثم عين في حلب مديراً لمدرسة، ثم مديراً لناحية في ضواحي استانبول، وتزوج من فتاة مهاجرة من أرضروم في بورسا... وأصبح قائمقاماً بنواحي أرضروم، ثم عين مستنطقاً في كفرتخاريم، وانتخب عضواً في مجلس ادارة حلب، وأخيراً عين رئيساً لديوان الولاية... لكنه ترك الوظيفة وأعلن الثورة ضد الفرنسيين[٤]. جدير بالذكر أن الزعيم هنانو خاض غمار السياسة وهو في استانبول، وقبض عليه، لكنه ابتلع بعض المنشورات السياسية التي كانت بحوزته، ومن الطرائف التي دونها أدهم آل الجندي عنه، أن الزعيم أحرق أثاث بيته ومطحنته التي كانت في احدى قريتيه (الست عاتكة والحامضة)، لئلا تقع غنيمة في يد أعدائه، فيشفون غلهم انتقاماً منه. بعد ولادة طارق باسبوعين توفيت زوجته، فأخذت

---

(١)- أدهم آل الجندي: تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي - ص١٢.

(٢)- الأرجح أن (هنانو) هو تحوير لـ(حنان)، فوفق عادة الكرد حوّر الاسم الى (حنانو) بزيادة الواو للتحبب، وبما أن حرف الحاء غير موجود في الأبجدية الكردية، استبدل الحاء هاءً، فصار يلفظ (هَنانو) مع مر الزمن.

(٣)- تأليف واعداد علي مسلم: الكرد في منطقة الباب وأطرافها - مصدر سابق - ص٢٤٨.

(٤)- رزق بطفلة (نباهت) وطفل (طارق).

شقيقتاه (فطوم وزكية) ترعيان (نباهت وطارق). في عام ١٩٣٢ أطلق (نيازي الكوسا) الرصاص على الزعيم، لكنه أصابه في قدمه، وقبض على الجاني، وزحفت حلب يومها للاطمئنان عليه، ولاقى الأهوال والشدائد والاعتقال، ثم أصيب بمرض السل، فذهب إلى بحمدون في لبنان للمعالجة، وكان صبوراً أمام القدر، لكن الجذوة المتقدة ناراً ونوراً انطفأت في ١٩٣٥/١١/٢١، فسكنت روحه الطاهرة بعد أن أدمى قلوب المستعمرين ببطولاته، وعاشت سوريا مأتماً... لكن مذكراته ووثائقه السياسية السرية اختفت بفعل فاعل[١].

جدير ذكره أن هنانو أقام علاقات مع زعيم الثورة البلشفية، وذكر زياد الملا في كتابه«صفحات من تاريخ الحزب الشيوعي» نقلاً عن يوسف يزبك في مذكراته التي تحمل عنوان:«أول نوار في العالم وفي لبنان)»، إن لينين أرسل ضابطاً من القفقاس عرف هنانو قبل بضع سنوات، وعمل معه في خدمة الدولة العثمانية في ولاية حلب، وكان الضابط يحمل رسالة مكتوبة بالتركية يعرض فيها مساعدة ثورة هنانو وأخوته. يقول يزبك: سألت الزعيم هنانو عن مصير الرسالة، فأجاب (أبو طارق) رحمه الله: إنها عدة رسائل وليست واحدة، تبودلت بيني وبين بطل البلشفيك لأجل إشعال نيران الثورات على الفرنسيين والانكليز في تركيا وسوريا وفلسطين ومصر، وإن لينين كان مخلصاً في عرضه عليَّ. نقل يزبك هذا الكلام عن هنانو عندما زاره في بحمدون للاستشفاء عام ١٩٣٥، ويتابع يزبك قوله إنه جاء ليزور هنانو في مرضه الأخير في حلب عام ١٩٣٥، وسأله عن الرسائل المتبادلة بينه وبين لينين، فأشار الزعيم إلى علبة بسكويت موضوعة على خزانة بنية اللون ويضيف يزبك: إنه لايعرف مصير هذه الرسائل بعد وفاة الزعيم هنانو[٢].

أما ابنه طارق فقد أصيب في حلب بضربة غادرة على رأسه بعصاة كبيرة وبطعنة سكين وجرجر من قبل خصوم والده على الأرض أثناء خروجه في مظاهرة منددة بزيارة النائب في البرلمان السوري (شاكر نعمت الشعباني)، فأصيب على أثر ذلك بارتجاج في المخ، فنقل إلى لبنان للمعالجة، لكن بقيت تنتابه النوبات العصبية.

---

(١)– أدهم آل الجندي: تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب – مصدر سابق – ص١١٦– ١١٨.

(٢)– محمد خالد عمر: مجلة الفكر السياسي – السنة العاشرة – العدد ٣٠– صيف ٢٠٠٧ – دمشق – ص١٣٨.

أما شقيقة الزعيم (زكية) فقد كرست هي الأخرى حياتها للثورة، وارتضت أن تبقى عزباء لتسهر على خدمة أخيها الثائر وبددت في هذا الطريق جل ثروتها، وكانت تجتمع سراً بالشخصيات الوطنية البارزة، وكانت همزة الوصل بينهم وبين الزعيم، كما كانت تترأس المظاهرات النسائية ضد قوات الانتداب، وحين سجن الزعيم كانت تنقل إليه الأخبار عن طريق الرسائل التي كانت تدسها في طعامه الخاص. ومما يحز في القلب أن أخت الزعيم، بنت الثراء والنبل والشرف والحسب والنسب، عاشت أيامها الأخيرة في منزل وضيع في جامع (الحلوية) بحلب، التابع لدائرة الأوقاف، لقاء أجر زهيد[1].

ومن أفراد عائلة الزعيم، هناك أخواه حقي هنانو وعقيل هنانو، وعزت هنانو وعاطف هنانو وعلي هنانو...الخ، لكل واحد من هؤلاء الأساوش أيضاً ملحمته في مقارعة جنود الانتداب.

مرحلة الاعداد للثورة: حضر يوسف العظمة وزير الحربية إلى مدينة حلب وكلف هنانو ورفيقه محمد زين العابدين (وهو أيضاً كردي) بمهمة جمع المتطوعين والأموال والسلاح للدفاع عن سوريا ضد الفرنسيين، فذهب هنانو حالاً إلى كفر تخاريم لتنفيذ هذه المهمة المقدسة وشكلت فيها لجنة لجباية الأموال ودعم الثوار وتسليحهم بالعتاد اللازم، ثم دخل انطاكيا في أواخر تشرين الثاني ١٩١٩ وعهد إلى ابن عمه عزت هنانو القيام بتنظيم الأعمال الادارية فيها، وأوفد الثائر المعروف (نجيب عويد) إلى منطقة المعرة، لمؤازرة الثورة، لكنه عاد خائباً لما لمسه هناك من خور في العزائم. ثم اجتمع هنانو بزعماء أقضية (ادلب، كفر تخاريم، جسر الشغور، حارم) في ادلب، وألقى على الحضور بياناً ألهب فيه نفوسهم وحثهم على المقاومة. وزار هنانو جبل الزاوية في أوائل شهر كانون الثاني ١٩٢٠، فاستقبله البطل المغوار مصطفى الحاج حسين في قرية احسم، فقرر أهالي القرى مؤازرته.

حاصر الثوار قلعة حارم واستمر الحصار إلى ٣ أيار ١٩٢٠، أي نحو ٩٥ يوماً، وفك الحصار جراء وصول نجدة من السنغاليين. وحين دخل الثوار ادلب، اندس الفوضويون والجواسيس بين صفوفهم، وقاموا بحرق السجلات الرسمية، ودخلوا حي النصارى وأمضوا فيه سلباً ونهباً، وقد ظهر أن الفرنسيين كانوا من وراء هذه

---

[1]- أدهم آل الجندي – مصدر سابق – ص١١٨و١١٩.

الفتنة، وحين بلغ الخبر مسامع هنانو أوفد (هاشم جمال) الذي أعاد الأمن إلى نصابه والمنهوبات إلى أصحابها وقبض على فاعلي الأعمال الشائنة.

في ٢٨ كانون الثاني ١٩٢٠، زحفت قوات أعدتها فرنسا وجهزتها بالعتاد نحو منطقة جبل الزاوية (٥٠٠ جندي ووحدات فرنسية)، يتقدمها الرئيس (محاسن محمود) من أهالي اللاذقية والملازم (محمد شفيق اسماعيل جانات) من أهالي حلب، برفقة الدليل الجاسوس (محمد البوم) من أهالي أريحا. دارت المعركة بين الثوار والقوات التي حشدتها فرنسا قرب قرية (الرامي)، وكان الثوار قد نصبوا كمائن عدة، فلما اقتربت القوات الفرنسية أصلوها ناراً حامية، ودامت المعركة زهاء ساعتين تمكن الثوار خلالهما من ابادة معظمهم، مع الضابطين السوريين، أما الجاسوس فقد فرَّ إلا أن الثوار التحقوا به وأعدموه رمياً بالرصاص.

هذه المعركة، كانت نموذجاً لسائر المعارك التي دارت رحاها بين الثوار بقيادة هنانو والقوات الفرنسية.

كان هنانو يقيم أغلب الأحيان في قرية (كللى)، الواقعة شمالي ناحية معرة مصرين التابعة لقضاء ادلب (الآن ادلب مركز محافظة)، لأن القرية ذات موقع حصين بين جبل باريشا والوسطاني وقريبة من الحدود التركية. أما المركز الآخر الذي اتخذه هنانو لمقارعة الفرنسيين فهو جبل الزاوية، لأنه يتصل جنوباً بقلعة المضيق وحماة، وغرباً بجبل العلويين الذي كان الشيخ صالح العلي يتحصن فيه.

كانت قوات هنانو مؤلفة من ٧ ألوية: لواء من الفرسان (لواء كفرتخاريم) يقوده ابراهيم هنانو شخصياً – لواءان في منطقة صهيون – لواء جبل الأكراد – لواءان من الأكراد – لواء جبل الزاوية. مجموعهم نحو ٥ آلاف من المشاة المدربين و٣٠٠ فارس.

صبحي بركات (من أهالي انطاكية) كان مع الزعيم يحارب فرنسا، لكنه استسلم، وحين قررت فرنسا الانتقام من هنانو واحتلال كفرتخاريم، كان صبحي بركات أحد المساعدين للجيش الغازي.

تركيا آزرت ثورة هنانو وقامت بنجدته نكاية بفرنسا التي كانت تحارب الجيش التركي في كيليكيا.

معركة جسر الشغور: في ١٩٢٠/١١/٢٦، أراد هنانو تحرير هذه البلدة لأنها كانت العقبة الوحيدة بين ثورته (ثورة الشمال) وثورة الشيخ صالح العلي في جبال العلويين (ثورة الساحل)، وعندما اقترب الثوار منها، علموا أن قوة فرنسية ترابط في مزرعة (السيجري)، فأوعز هنانو إلى المجاهد البطل الشيخ يوسف السعدون ورفاقه بمهاجمتها، وبقي هنانو ومن معه في مواقعهم، فأضحت القوة الفرنسية بين فكي كماشة، فسرعان ما استسلمت (عددها ٢٥ جندياً فرنسياً وضابط فرنسي برتبة ملازم أول و٧٠ مرتزقاً سورياً). ثم توجهت قوى الثورة نحو جسر الشغور، وأمر رامي المدفع بالقصف بقصد الترهيب، وتقدمت قوة من مجاهدي عشيرة صهيون التي يرأسها الثائر البطل (عمر البيطار) عند الفجر، وحاصرت المدينة، ثم هاجمتها، أما الحامية الفرنسية فحين أيقنت بأن لاجدوى من الدفاع فرَّت، فدخلها الثوار وأسروا ضابطين و٢٥ جندياً وغنموا كمية كبيرة من العتاد.

معركة كفر تخاريم: مامن شك أن الفرنسيين قد ارتكبوا فيها فظائع. كان الثوار في احدى مغارات جبل دويلة. اتجه البطل نجيب عويد على رأس ٣٠ من الثوار صوب البلدة عند الفجر، وأطلقوا نيراناً كثيفة على الثكنة العسكرية، وحين تناهى أزيز الرصاص وأصوات القنابل إلى مسامع الناس في القرى المجاورة، هبوا لنجدة الثوار، فاضطر الفرنسيون إلى الانسحاب من البلدة، بعد أن فقدوا ٢٠٠ قتيل، كما استشهد في هذه المعركة سبعة شهداء. صمم هنانو اقامة حكومة تكون كفر تخاريم مركزها، وتطوع من البلدة ١٢٠ ثائراً.

معركة سلقين: فرض الفرنسيون على أهاليها ضريبة قدرها ٢٠٠٠ ليرة عثمانية ذهبية، فتذمر الناس، فتوجهت قوة تحت قيادة نحيب عويد إليها واشتبكت مع القوات الفرنسية في معركة دامية، فانسحب الفرنسيون، وأعلن سكانها ولاءهم للثورة.

معركة مريامين: جرت هذه المعركة قرب ناحية دركوش، وكانت هناك قوة تركية تساند الثوار. أسفرت المعركة عن مقتل عدد كبير من الفرنسيين والسنغاليين، وغنم الثوار ١٥٠ جملاً و ٣٠ بغلاً و٤ رشاشات، وفقد الثوار زهاء ٢٥ شهيداً وجرحى كثر.

معركة جبل الأربعين: جهزت فرنسا حملة مؤلفة من ١٠٠٠ جندي وزحفت على الجبل، ودارت معركة حامية الوطيس بين الفرنسيين والثوار قرب بلدة أريحا الواقعة

على سفحه، وفي ٣٠ نيسان ١٩٢١م زحفت قوات الثـوار تحـت قيـادة الثـائر مصـطفى الحاج حسين، وخشي أهالي أريحا من التدمير فرفعوا الرايات البيضاء، لأن المدفعية والطائرات اشتركت في هذه المعركة. بنزول الثوار من الجبل ودخولهم المدينـة شـعروا بالالتباس فاضطروا للاشتباك مع الفرنسيين بالسلاح الأبيض، وانتهت المعركة بأسر جنود وضباط فرنسيين (كابتان وهو مستشار سياسي ويوتنان واثنان برتبة مرشـح و٢٤ جندياً فرنسياً وترجمان) ونحو ٧٠ قتيلاً، كما أسرت فرنسا ٦ من الثوار، وكان أمر الأعلام البيضاء قد اختلط على الفرنسيين أيضاً، والملفت للنظر في هذه المعركة الدور الباهر الذي لعبته المرأة. وبعد يـومين فـاوض الفرنسـيون هنـانو حـول تبـادل الأسرى.

على هذا النحو، ومن خلال عشرات المعارك هنا وهناك سيطر هنانو على مراكز حصينة في: جسر الشغور وجبل الزاوية وكفر تخاريم ومنطقة الـروج وصـهيون وجبـل باريشا والجبل الوسطاني.

لجأ الفرنسيون كعادتهم إلى السلاح الفتاك، أعني اثـارة النعـرات الطائفيـة بـين السوريين، فسلحوا أهالي (محردة/ بلدة تابعة لحماه) المسـيحيين، وعـددهم ينـوف على ٧ آلاف رجل.

نهاية الثورة: عقدت هدنة بين تركيا والفرنسيين، فتفرغت فرنسا للقضاء علـى ثورة الشمال، وفي نفس الوقـت بـدأت تركيـا بمقاطعـة الثـورة وعـدم مـدها بالأعتـدة اللازمة، وسعت بشتى الوسائل إلى إطفاء جذوتها، وفي نفس الوقت مضـى العربـان في التعامل مع الفرنسيين، وكانوا يرشدون الفرنسيين على معاقل الثـوار، فقـرر الرحيـل عن سوريا مع الثائرين من أمثالـه، وكـان يمكـن لـه النـزوح إلى تركيـا القريبـة، لكـن غدرها للثورة بعد مؤازرتها لها دفعته إلى شرقي الأردن، فغادر مقـر الثـورة في أواخـر تموز عـام١٩٢١، وكـان عليـه اجتيـاز الصـحراء الـتي تخـيم عليهـا العشـائر الموالية لفرنسا، فعلمت فرنسا بذلك وأوعـزت للعربـان (البـدو) بضـرورة ملاحقـتهم والقـبض عليهم ووعدوهم بالجوائز (٥ آلاف ليرة ذهبية لمـن يلقـي علـى هنـانو حيـاً أو ميتـاً). كان يرافقه نحو ٤٠ ثائراً، وساروا حتى وصلوا جبـل البلعـاس، وكـان دليلـهم الثـائر (هزاع أيوب)، فهوجموا من قبل العربان ولاقوا الكثير من الأهوال، ومنها على سـبيل المثال وصول هنانو إلى خيمة الشيخ الخالـدي، وادعائـه بأنـه أحـد جبـاة الماليـة في

السلمية، وكان هنانو يدرك حقيقة العربان، فرغم ما يتميز به بعضهم من كرم، بينهم طماعون سرعان ما يغريهم المال، سيما أن الشيخ قد يسلمه إلى الفرنسيين لقاء الجائزة المغرية السالفة الذكر، ثم ادعى أنه ضابط تركي فار ويريد الذهاب إلى عمان، وانطلى ذلك على مضيفه، فاستبدل ثيابه وألبسه ثياب العربان، وقال المضيف أن السمسار طلب ٤ ليرات ذهبية سلفاً، ولما أخرج اجرة الدليل، وكان مع هنانو ٤٠٠ ليرة ذهبية، لاحت لمضيفه فسال لعابه، وسرعان ما أدرك هنانو خطأه، ومخاطر ذلك، فرمى له بالحزام وما فيه من ليرات، فألتقطه المضيف، وفي اليوم الثالث جاءه المضيف وادعى بأنه لم يعثر على الدليل وماعليه مغادرة بيته عاجلاً، فأحس هنانو بالغدر، فطلب منه أن يرد له ليراته لكن الشيخ الخالدي رفض، فقال له هنانو: ومن أين سأدفع أجرة الدليل، ومصاريف الطريق؟. فرد المضيف ثلاثين ليرة ونيف، لكن المضيف بالمقابل استولى على سلاحه ومنظاره، لكن أعيدت لهنانو ماله وسلاحه ومنظاره بجهود الحماصنة والحموية، وسلمت إلى نجيب آغا البرازي الحموي (الكردي)، الذي أوصلها إلى هنانو. توجه هنانو إلى حمص متنكراً وقصد منزل أنيس أحمد الدقس، الذي قال: إن لم أكن مخطئاً فان هذا الحصان هو حصان هنانو؟ فرد: أجل، وأنا هنانو. وسار أنيس بضيفه إلى دمشق ثم افترقا، وسار هنانو نحو عمان والتقى هناك مع الأمير عبدالله الذي نصح هنانو بعدم الذهاب إلى القدس، إلا أنه أصر على الذهاب، وحين وصل هنانو نزل في فندق مرقس، لكن الانكليز كانوا له بالمرصاد وساقوه إلى السجن، وحين سمع الأمير بالأمر احتج لدى الانكليز وطالب باطلاق سراحه، وجراء خشية الانكليز من اشتداد وتيرة المظاهرات، سارعوا في تسفيره وتسليمه للسلطات الفرنسية على الحدود السورية، ونقل في منتصف شهر آب ١٩٢١ إلى حلب، وزج به في السجن العسكري.

محاكمته: وَكَّل هنانو المحامي فتح الله الصقال بعد معرفته بأن النائب العام قد اختاره وكيلاً عنه، وتم هذا الاختيار عن سبق الاصرار والتصميم، فصح في محاميه قول الشاعر (أنت الخصم والحكم). سرعان ما أرسل المحامي إلى الجنرال غورو، عن طريق الجنرال ده لاموت مندوب غورو في حلب، كتاباً بين فيه أن هنانو لا يمكن أن يكون مجرماً، لأن هنانو دافع عن حرية بلده وفق البنود الأربعة عشر لـ (ولسون)، ثم أضاف أن القاء القبض على هنانو في القدس وتسليمه لفرنسا

يتعارض وقواعد القانون الدولي، وأسهب الصقال في دفاعه عن الزعيم، ثم طالب إما باعادته إلى القدس أو إخلاء سبيله. وفي ١٩٢٢/٢/٤ بعث كتاباً آخر إلى غورو عن طريق الجنرال رينو، الذي حل محل ده لاموت، جاء فيه: أطالب بتطبيق المادة الخامسة من اتفاقية أنقرة[1]، ومن المفيد قوله أن المادة أقرت العفو العام عن جميع الجرائم السياسية التي أرتكبت أثناء العمليات العسكرية، وأثبت الصقال بالوثائق كيف كان هنانو يتلقى العتاد من تركيا.

بدأت محاكمة هنانو في ١٥/آذار/١٩٢٢، بالنسبة للأمر الأول، أعني تسليم المجرمين، فانه تم بين المفوضين الفرنسي والانكليزي، مع أن المعاهدات الدولية التي وقعت عليها فرنسا ذاتها، لا تنص على ذلك إلا بعد موافقة البرلمان الفرنسي ومصادقة رئيس الجمهورية، عملاً بالمادة (٨) من الدستور الفرنسي المؤرخ ١٦/تموز/١٨٧٥. أما الأمر الآخر فيتعلق بالملاحقين السياسيين، وهنا استشهد الصقال بمشرعي القانون الجزائي الفرنسي، الذين قالوا لايجوز تسليم الملاحقين السياسيين، ممن التجأوا إلى دولة أخرى هرباً من القصاص. وحين طلب رئيس المحكمة من هنانو التكلم، قال بجرأته المعهودة: أنا لست مجرماً بل ثائر سياسي ينشد الحرية، لم أقم في يوم من الأيام بالنهب والفتك، بل قمنا بالدفاع عن أنفسنا ووطننا . هذا ماجرى في جلسة الدفاع الابتدائية، واستمرت الجلسات إلى أن أعلن براءة هنانو وأطلق سراحه، وحملته عربة تجرها حصانان إلى داره في أحد أزقة باب الجنين بحلب، وعلى طول الطريق احتشد أهالي حلب وكانت النسوة يزغردن وهن على الأسطح يمطرن هنانو ومحاميه الصقال بماء الزهر وعطر الورد، ولبست حلب الشهباء زينتها، وجاءته الجموع من كل الأنحاء، بما في ذلك أقطاب الحركة الوطنية. بعد أيام زار الكابتين (لوكلير) أحد أعضاء المحكمة العسكرية إلى مكتب المحامي الصقال ليودعه، وأسرَّ له: غداً سأسافر مع الملازم الأول والملازم الثاني، اللذين كانا معي في محاكمة موكلك ابراهيم هنانو، بسبب براءتنا له، فغضبت السلطة العليا وطلبت منا العودة إلى فرنسا في الحال. وأضاف لوكلير: إن قرار البراءة صدر بأكثرية أصواتنا نحن الثلاثة، بينما كان صوت الرئيس وصوت المقدم ضدكم، وكانا يطالبان بالاعدام. فشكره الصقال، ثم افترقا.

---

(١)– وقعت بين فرانكلين بوبون مندوب الحكومة الفرنسية وأتاتورك.

لقد خاض هنانو ١١٧ معركة، لم نمر إلا على الجزء اليسير منها، فما ذكرناه ماهو سوى غيض من فيض. كتب عنه الكثير، ورثاه الشعراء ومنهم شفيق جبري وبدوي الجبل وأنور شاؤل وعمر أبو ريشة والشيخ فؤاد الخطيب. قال فيه أبو ريشة:

هنانو، أيّ صاعقة أقضّت على صرح من العليا مشيد ؟
هنانو، أيّ سيف أغمدته يد الأقدار في غمد الخلود ؟

أما الشيخ الخطيب فقال فيه:

ومن مثل ابراهيم نفساً وهمّة ومن كهنانو يوم زحف الكتائب؟
سلِ الوطن المفجوع عنه فإنّه ينوء بِعِبْء الحزن جمَّ المعاطب

ب – مقاومة الكرد في الجزيرة والفرات:

١– معركة بَياندور: تعد هذه المعركة من أبرز محطات المقاومة للنفوذ الفرنسي في الجزيرة، وما زالت ذكراها طازجة في ذاكرة الناس أو في ذاكرة الأسلاف. دخلت القوات الفرنسية إلى الجزيرة عام ١٩٢١ تحت قيادة الملازم (تريبيه)، وكانت تضم هذه القوات المرتزقة من السنغال وجنسيات أخرى من داخل سوريا وخارجها (متطوعين من العرب السوريين ومسيحيي المنطقة وأبناء المستعمرات الفرنسية)، وفي أيار ١٩٢٢ دخلت القوات الفرنسية الحسكة بقيادة الكولونيل (بيتغو غرانوت)، وصارت قضاء ملحقاً بمتصرفية دير الزور عام ١٩٢٣[١]. تمركزت القوات الفرنسية فوق تل قيرو[٢]، لكن قائد الوحدة الكابتين (روغان) استأجر بيت عبني[٣] في بياندور، وقرر أن تكون قرية بياندور[٤]، مركز منطقة وأصبح منزل بيت العبني مركزاً للقائمقامية، ثم سمي القضاء باسم قضاء قيرو، وذلك قبل بناء القامشلي[٥]، وأقام الفرنسيون في تموز ١٩٢٣ وحدة هجانة ضمت نحو ٢٠٠ عسكري (من راكبي

---

(١)– اسكندر داود: الجزيرة السورية بين الماضي والحاضر – دمشق ١٩٥٩ – ص٢٠٧.

(٢)– تل صغير قرب نهر الجراح، يقع قرب بلدة تربه سِبيه (قبور البيض/ القحطانية).

(٣)– عائلة عربية أصلها دليمية مصلاوية/ من الموصل.

(٤)– قرية تقع شرقي مدينة القامشلي بنحو ٢٠ كم.

(٥)– سامي نامي: فصول من التاريخ الضائع – نقلاً عن مذكرات والده الملا أحمد نامي، وكان شاهد عيان على هذه الأحداث – ص١١.

الدواب وخاصة الجمال) فوق تل بياندور[1]، وضمت الوحدة (وحدة رشاش/ متريوز مؤلفة من ١٥ عنصراً، وأربع فصائل: ١– فصيلة الملازم أول روبيرتو/ روغان قائد المركز ٢– فصيلة الملازم ريكارد ٣– فصيلة كارير ٤– فصيلة الملازم موريل)[2]، وكان في تلك الوحدة – كما يقول جميل حاجو في مذكراته – متطوعين من مسيحيي قرية مَحَرْكا القريبة من بياندور، كانوا على خلاف مع سليمان عباس (الدّوركي)، آغا قرية دُوكر القريبة من مَحَرْكا، حول المُلكية في محركا، وادّعوا أن سليمان آغا قد تجاوز على حقوقهم فيها، ونقلوا الأمر إلى الكابتين، وزعموا أن سليمان آغا وابن أخيه عباس يقومان بالدعاية ضد فرنسا وأن الكرد يضطهدون المسيحيين، متناسين أن الكرد قاموا بحمايتهم بعد فرارهم من اضطهاد السلطات التركية، وهذا مايذكره الملا أحمد نامي أيضاً[3]، فاستدعاهما الكابتين وسجنهما في بياندور، وقُتل عباس محمد عباس (ابن أخ سليمان عباس) المتهم بقتل قائمقام بياندور، بأمر من الضابط الفرنسي بعد أن زرعوه بشكل قائم تحت الأرض حتى الابطين وبين الفينة والأخرى كانوا يضربونه ضرباً مبرحاً حتى الموت، وقتلوا خليل أحمى من قرية بياندور أيضاً تحت التعذيب، وزرعوا أخاه عبدو أحمى، لكن أحد الجندرمة الفرنسيين أنقذه من الموت المحتم ليلاً، رغم أنه ظل حتى نهاية حياته يعاني من آثار التعذيب الجسدي[4]، أما سليمان آغا فقد أخلي سبيله بعد أن توسط شيخ الطي (نايف عبدالرحمن)، المؤيد لفرنسا، لدى الكابتين الفرنسي، وغرم بدفع ٢٠٠ ليرة ذهبية و٨ أحصنة و٤ بقرات[5].

ويضيف جميل حاجو: استنجد سليمان آغا في رسالة إلى والدي (حاجو١٨٩٦-١٩٤٠)، يطلب فيها منه الثأر لدم عباس، لما بين العائلتين من صداقة قديمة. في بداية حزيران عام ١٩٢٣، أرسل حاجو آغا أربعة من مقاتليه إلى بياندور كي يثأر

---

(١)– قرية تقع على الطريق بين مدينة القامشلي وبلدة (تربه سبي Tirbe Sipî/ قبور البيض/ القحطانية)، شرقي القامشلي بنحو ٢٠كم، أقام فيها الفرنسيون مركز قضاء

(٢)– جمال ابراهيم(الدكتور): المسألة الكردية – عام ٢٠١٥ – ص١٥١و١٥٢.

(٣)– سامي نامي: فصول من التاريخ الضائع – ص١١، نقلاً عن والده ملا أحمد نامي.

(٤)ـ المصدر السابق – ص١٢.

(٥)ـ محمد جمال باروت: التكوّن التاريخي الحديث للجزيرة ـ مصدر سابق ـ ص١٥٤.

لعباس آغا، تسلق المقاتلون القصر الذي استأجرته القوات الفرنسية من بيت عـبني، رأوا في الاسـفل سـريراً محاطـاً بالناموسـية، فظنـوا أن النـائم هـو روغـان، فوجهـو بنادقهم إليه وأطلقوا عليه نيراناً كثيفة، ثم فروا، لكن تـبين فيمـا بعـد بـأن المقتـول كان قائمقام بياندور، المسـلم الشـامي المعـين مـن قبـل فرنسـا[1]. ويمضـي جميـل حاجو قائلاً: جهز والدي ٣٠٠ مسلحاً، ونقلهم إلى قرية تل شعير القريبـة مـن بيانـدور، وفي الليل فرز ١٠٠ رجل من هؤلاء للهجوم على الحامية الفرنسية من جهة الشمال، أما البقية الباقية من القوة المسلحة فقد تمترست وراء خط قطار الشرق السريع الذي يمر بـين بيانـدور وتـل شـعير (يمـر إلى الشـمال مـن بيانـدور)، وفي صـباح اليـوم التـالي اشتركت عشائر الشيتية، في محاصـرة بيانـدور ليـومين، وفي مسـاء اليـوم الثالـث فـرّ الجنود الفرنسيين الناجين من الموت[2]، ودام الحصـار ثلاثـة أيـام ٢٨و٢٩و٣٠ تمـوز عام ١٩٢٣ واستولى المقاتلون الكرد على البئر الوحيد الـذي كـان في الجهـة الشـمالية من التل، مما اضطر الفرنسيون تحت تـأثير العطـش إلى اقتحـام الحصـار والفـرار إلى شيخ الشمر مشعل الباشا، بعد أن تكبدوا خسائر بشرية مـن قتلـى وجرحـى[3]. أمـا أحمد نامي فيقول: السرجان الفرنسي (لياندري) قاوم قـوات حـاجو الـتي هاجمـت بعد مغيـب الشـمس، ودخلـوا مبنـى السـرايا في بيانـدور وأشـعلوا الـنيران فيهـا، ثـم هـاجموا المركـز العسـكري المقـام في أعلـى تـل بيانـدور، وقتلـوا الضـاط والجنـود الموجودين فيه (القتلى ٩، الجرجى ١٤، المفقودون ١ من الفرنسيين) والباقون فـروا تحت قيادة يوتنان موريل إلى الحسكة. في تلك الليلة كنا نراقب الحدث فوق تـل قريـة كرسوار وكنا نرى النيران المشتعلة في سرايا بياندور، وفي صبيحة اليـوم التـالي زرنـا بياندور وكان الدخان مازال يتصاعد من السرايا، وجثث قتلى الفرنسيين مازالت على أرض المعركة.. لكـن روغـان كـان أثنـاء الحـدث مسـافراً إلى عـين ديـوار بخصـوص ترسيم الحدود في منقار البطة بين تركيا وسـوريا وفـق سـايكس – بيكـو، وفي طريـق

([1])– سـامي نـامي ـ المصـدر السـابق – ص١٢. كـان القائمقـام يـدعى(لطفي بـك)، وجـرى الحـدث في ٥ حزيران.

([2])– مذكرات جميل حاجو هَفيركي – من اصدارات جامعة دهـوك – مركـز الأبحـاث العلميـة والدراسـات الكردية – الرقم ٦٢– ط١عام ٢٠١٢ – ص٥٥ / الهامش.

([3])– جمال ابراهيم: المسألة الكردية – عام ٢٠١٥م – ص١٥٢.

العودة إلى بياندور، وعند موقع يُدعى منذ هذا الحدث (ديارى توبى) الواقع شرقي تربه سبي، نظر بالدوربين (المنظار) إلى بياندور، فرأى الدخان المتصاعد، علم أن أمراً سيئاً قد حدث، وتفاجأ بأنه وجنوده أضحوا محاصرين بقوات العشائر الكردية الشيتية وعشيرة الجوالة العربية، وتمركز الثوار في موقع ديارى توبى شرقي نهر الجراح لمنع وصول الفرنسيين إلى مياه النهر، وبدأت المعركة بين الطرفين، وخلال ساعة حقق المقاتلون النصر على القوة الفرنسية، وقتل روغان وعدد من ضباطه وجنوده، ووقع عدد من الجنود الفرنسيين أسرى. في اليوم التالي، وقبل الظهيرة أغارت الطائرات الفرنسية عديدة على قرى (سنجقا آشيتا)، فدافع المقاتلون عن أنفسهم ببسالة، وكانوا لا يمتلكون سوى البنادق، ودام قصف الطيران يومين[1].

وقد يكون ما ذكر – أعني قتل عباس محمد ابن أخ سليمان عباس رئيس عشيرة دوركا – السبب المباشر، أما الأسباب التي دفعت الناس إلى الاشتراك في مواجهة القوات الفرنسية فتكمن بنظري في السياسة التعسفية لـ (روغان) ضد عامة المواطنين والتنكيل بهم والتدخل في شؤونهم واهانتهم واستفزازهم بأعماله المشينة، فتم اعتقال حسن مادو وخلف بادي ونفي الآغا أحمد اليوسف الكاسكي ويوسف حسو مختار بياندور، وهو من وجهاء عشيرة الحاجي سليمانا إلى دير الزور بغية ترهيب الناس. وقد سبق لأحد رجال المقاومة أن تسلل سراً إلى (جاسم أفندي)، قائم مقام بياندور، الموالي للفرنسيين، في مطلع حزيران ١٩٢٣م وطعنه، فنقل على الفور إلى حلب للاسعاف، لكنه توفي في الطريق، مما اضطر الفرنسيون إلى طلب النجدة من الحسكة، فتحركت كتيبة الهجانة بقيادة الكابتين (دوجروال) إلى بياندور، ونتيجة التنكل بالمواطنين المعتقلين إثر مقتل القائم مقام بغرض التحقيق، استشهد اثنان تحت التعذيب[2]، هما (عباس محمد الدوركي وخليل أحمى الحاجي سليماني)، وجرى التخلص منهما بطريقة تثير الاشمئزاز، فقد زرعا في حفرتين، عمق الواحدة تزيد عن نصف قامة الشخص، ثم ردمت الحفرتان بالتراب، ومن ثم صفيا بالرصاص، وهو شكل طريف من أشكال التعذيب حقيقة. وكانت في بياندور لحظة

---

(١)– سامي نامي ـ المصدر السابق – ص١٤و١٥.

(٢)– العمران – دورية كانت تصدرها وزارة البلديات – عدد خاص عن محافظة الحسكة – العدد٤١و٤٢عام ١٩٧٢ – ص٤٧و٤٨.

الهجـوم ٢٨ تمـوز ١٩٢٣ مفـرزة المـلازم (موريـل) ورشاشـة ومـنهم عباسـى مريـد (عشيرة حجي سـليمانا)، عبـدو تيمـار، علـي عبـد المجيـد، حسـو عبـدالله مـن جهـة الجنوب، ومن جهة الشرق حجي حسـو طيـار (عشـيرة حجـي سـليمانا) وحِسّـو علـي مَهْمَد (عشيرة دِل مَمكا) وآخرين[١]، ومن الشمال رجال حاجو آغا، فانهمر الرصـاص من كـل حـدب وصـوب علـى المفـرزة (المخفـر) وأصـابت إحـداها رشاشـة السـرجان (لياندري) فأعطبتها، وقتلت أحدهم وأصـابت أربعـة آخـرين جـراء تطـاير الشـظايا، ومما أسرع من هزيمة الحامية، تحكم الثوار بمناهل المياه، فكان الجنود يسـتميتون من أجل الوصول إلى مصادر المياه بعد أن استبد بهم العطش في ظل الحصار الخانق من الجهات الأربع، لكنهم في كل مرة كانوا يواجهون برصاص الثوار، وقد تمكن أخيراً الملازم موريل في ٢٩ تمـوز أن يشـق طريقـاً للنفـاذ مـن وكـره جـراء نشـوب الـنيران واشـتداد لهيبهـا، لكنـه فقـد ٩ مـن القتلـى و١٤ جريحـاً، ناهيـك عـن العتـاد، ولجـأ الفرنسيون إلى ميشِل باشا وعشائر الطي التابعة للشيخ نايف عبد الـرحمن. أمـا مـن جهة الثـوار فقـد استشـهد (أوسـى) مـن قريـة تـل منـارى Til - Minarê الـتي تقـع في كردستان تركيا بعد ترسيم الحدود، وقد كان مع مجموعة حاجو آغا. في ذلـك الاثنـاء كـان (روغـان) متجهـاً إلى نـواحي نهـر دجلـة علـى رأس قـوة مـن الهجانـة في مهمـة استطلاعية، برفقة الملازمين (كاريل و روبرتو)، وكان قد اصطحب معه بعض الأدلاء من أهل المنطقة من أمثال: علي مستو أوسى وحسن هـزو (مـن قريـة حلـوة) وسـيِّد طاهر (من قرية بياندور)، وبعد أن تناهـت إلى مسـامعه الأخبـار، صـمم الانتقـام مـن الثوار الذين هزموا (موريل)، إلا أن الثوار فاجأوه في موقع دمر قـابو (بـاب الحديـد) تحت قيادة آل حسو بركات بعد أن انضمت عشائر كرديـة (الكـوجر وآليـان وآباسـا) وبعض العشائر العربية (الجوالة والراشد) ومثقال الهادي أحد شـيوخ شمـر خرصـة، لكن الشيخ مثقال انسحب عند قرية القَترانية. كمـن الثـوار لروغـان في موقـع (ديـارى تـوبي – Diyarê Topê) الواقـع إلى الشـرق مـن تربـه سـبي، فاضـطر إلى أن يُنـيخَ جماله، ودارت معركة حاميـة الـوطيس بـين الطـرفين، دامـت ثـلاث سـاعات تقريبـاً، فأصابته رصاصة قاتلة (على يد عباس عموكا الحاجي سليماني) مثلما سمعتـه مـن

---

(١)– نقلاً عن ابن أحد المشـاركين، وهو(محمـد عباسـى مريـد Mihemedê Ebasê Mirêd)، يسـتقر في مدينة القامشلي، وعمره الآن يزيد عن ٨٦ سنة، وفق تقديرات ٢٠١٧.

المسنين الذين أجمعوا على ذلك، كما قَتَلَ الثوار (كاريل، روبرتو، والسرجان براما، والسرجان غوهرن) وعدد من الجنود، حينئذ استسلم الجنود الناجون من الموت والذين كانوا يرافقون روغان، كما استشهد عدد من الثوار وجرح آخرون. يجدر الذكر:

أولاً ـ إن عشائر الشيتية (سِنجقا خلف آغا)، ومنها: كاسكا وحاجي سليمانا ودوركا ودلْ مَمكا وغيرها، كانت مساهمة في تلك المقاومة وساندت حاجو آغا، لكن كان هناك ثمة جفاء بين حاجو آغا الهفيركي والآغا أحمد يوسف الكاسكي، لسببين اثنين: أـ اقدام حاجو على خطف (بيروزة بنت سرحان)، التي كانت مخطوبة لـ (شيخموس بن أحمد يوسف)، وذهب بها إلى قرية كرجوس[١]. ب ـ الجفاء السابق بين حاجو آغا وآل اليوسف[٢] الذين كانوا في قرية ازناورى Iznawirê والتي تتبعها عدة قرى، جراء قيام حاجو مع مجموعة كبيرة من رجاله بمحاصرة قرية تل منارى Til Minarê[٣]. ورغم أن آل اليوسف قاوموا، إلا أنهم لم يتمكنوا من صد الهجوم، بسبب التفوق العددي لدى الطرف المقابل، وتكبد الطرفان خسائر جمة، وأصيب يوسف بعدة جروح، ووقع في الأسر، لكن حاجو عفا عنه، فاضطر أفراد أسرة يوسف ووجهاء العشيرة الى الانسحاب[٤].

ثانياً – بعد معركة بيان دور توجه حاجو إلى القامشلي، وكان مطلوباً من الفرنسيين، ودخل بنفسه على اليوتنانت الفرنسي، وشرح له حاجو الظروف التي دفعته لمقاومة الفرنسيين في بياندور، وقدم ثلاث مطالب للضابط الفرنسي، وهي:

أ)– العفو عن جميع الثوار الذين شاركوا في المعارك التي دارت بين سكان المنطقة الكرد وبين الفرنسيين.

ب)– اعفاء العشائر من الضرائب لمدة خمس سنوات.

ج)– منح عشيرته رقعة من الأرض للاقامة عليها واستثمارها.

---

(١)– مذكرات جميل حاجو هَفيركي – ص٣٨.

(٢)– آل اليوسف يملكون قرى عدة في سنجقا خلف آغا، وشكلوا مع آخرين عقبة في طريق تحقيق طموح حاجو آنئذٍ.

(٣)– القريتان (ازناور وتل منار) واقعتان الآن بعد ترسيم الحدود في كردستان تركيا.

(٤)– نذير جبو: سلاطين هفيركا – ج١ – مصدر سابق – ص٦٤. ملاحظة: الفقرة منقولة من مذكرات جكرخوين ص٣٩و٤٠ من قبل نذير جبو.

ولم يمضِ وقت طويل حتى صدر أمر العفو وقبول المطالب المذكورة[١]. يجدر الذكر أن الأمور لم تهدأ، ففي عام ١٩٣٦ جرى لقاء بين المجاهد الوطني فوزي القاوقجي وأولاد أحمد اليوسف في أزناور لتحشيد الناس ضد الفرنسيين، وعلى اثر ذلك: (قام شيخموس أحمد اليوسف باتصالات مع العشائر الكردية والعربية في منطقة القامشلي وعامودا والدرباسية لتوحيدهم من أجل خوض المعركة الوطنية ضد المحتلين الفرنسيين)[٢].

يقول محمد جمال باروت، من باب تشويه مجريات الأحداث التاريخية، أن أحداث بياندور كانت جزءاً من الصراع التركي ـ الفرنسي على ترسيم الحدود، وما جرى كان بدافع من تركيا[٣]، حيث كان زعيم المقاومة حاجو آغا على تواصل مع الكماليين من خلال الوسيط اسماعيل حقي في نصيبين[٤]. لكن هذا القول يتناقض مع الحقائق التاريخية التي تبلورت على نحو واضح، لأن الهفيركيين كانوا في صراع مع السلطات التركية بخلاف الدكشوريين حلفاء تركيا، ممن كانوا يشاركون الجيش التركي في محاربة الهفيركيين.

استمر النضال في الكثير من بقاع الجزيرة رغم أن الفرنسيين أستطاعوا خلال الفترة المنصرمة تطويع البعض في إطار سياستها القائمة على مبدأ فَرِّقْ تَسُد، ففي عام ١٩٤٢ دارت معركة في قرية حلوة الواقعة بين القامشلي وتربه سبي (القحطانية)، أستشهد فيها حمو رَش وجرح آخرون، وفي عام ١٩٤٤ جرت معركة أخرى في قرية الحناوية قرب ديريك (المالكية) أستشهد فيها مختار القرية رمو فقه، وفي عام ١٩٤٥ استولت الجماهير على الكثير من الثكنات العسكرية في ديريك والقامشلي وعامودا

---

(١)– مذكرات جميل حاجو هَفيركي – ص٥٥/٥٦.

(٢)– رمو شيخو الفرحة: مجلة دراسات اشتراكية – العدد ١١عام ١٩٨٥– ص١٠٨.

(٣)ـ أنا شخصياً أعتقد بأن تركيا كانت تحرض المقاومة ضد فرنسا، وتسعى إلى ابتزازها لترسيم الحدود وضم اللواء، بل كانت تطمع في أكثر من ذلك، فكانت تطالب بضم كل ما يسمى بكردستان سوريا إليها، لكن أن تقوم بدعم حاجو الذي كان يسعى جاهداً مع الآخرين لانتزاع ادارة ذاتية للكرد أسوة بالعلويين والدروز.. الخ، فهذا غير دقيق... وهاهو التاريخ يعيد نفس السيناريو، وإن بشكل مغاير، فتركيا اليوم تدعم الاسلامويين والعروبيين في سوريا الذين يتنكرون لحقوق الكرد، أجل هي مصابة من قرن بعقدة "الكردوفوبيا".

(٤)ـ محمد جمال باروت: التكون التاريخي الحديث للجزيرة ـ مصدر سابق ـ ص١٥٣ و١٥٤ و١٥٦.

والدرباسية وغيرها، حتى أضحت معظم الجزيرة محررة، فكانت بذلك أولى المحافظات التي استقلت.

٢- أحداث عامودا Toşa Amûdê ١٩٣٧: تقدمت القوات الفرنسية نحو عامودا عام ١٩٢٢، لكنها رُدَّت على أعقابها، ثم تقدمت مرة ثانية وأقامت فيها مخفراً للدرك عام ١٩٢٤ بعد موافقة سكانها، شريطة أن يكون الدرك من السوريين حصراً[1]. انقسم أعيان عامودا منذ اليوم الأول بين مناهض لفرنسا من أنصار الكتلة الوطنية (قلة من المسيحيين، وبعض زعماء العشائر الكردية مثل سعيد آغا الدقوري وعيسى رستم/ قطنة الكيكي وعيسى عبد الكريم ونواف آغا الملّيين وحسين الأسعد التّمكي وعبدى آغا رئيس الميرسيني)، أو موالٍ لهم (أكثرية المسيحيين، وبعض زعماء العشائر الكردية). في شهر رمضان من عام ١٩٢٦ وضعت فرنسا ٣٠٠ عنصر من الهجانا تحت قيادة مِشل الشمري، هاجمت القوة عامودا ودارت معركة بين القوة المذكورة وسكان عامودا وقراها، منذ ما قبل السحور وانتهت صباحاً، استشهد ١٢ من الدقوريين وآخرين[2]. فرَّ سعيد دقوري إلى تركيا، وبعد أربع سنوات أصدرت فرنسا عفواً عنه فعاد إلى عامودا عام ١٩٣١، ثم إلتقى بالكتلة الوطنية في دمشق عام ١٩٣٦، وحاولت فرنسا استمالته لكن دون جدوى، إلا أنها نجحت في زرع بذور الفتنة بين أهالي عامودا، وبعودة سعيد آغا من دمشق عام ١٩٣٧ بدأت هذه الأحداث نتيجة شجار بسيط بين كردي وسرياني جرح على أثره شقيق سعيد آغا، وكان بمثابة الشرارة في الهشيم، مما أدى إلى صدامات بين الكرد والسريان (حيهم يدعى حي العسكرية)، وبنتيجة الأحداث أحرق الدقوريين متاجر المسيحيين، فأوفدت سلطات الانتداب من القامشلي الكابتين (ماير) للتحقيق، لكن الدقوريين تصدوا له وهاجموا الثكنة الفرنسية، لكن ميليشيا عبدى آغا ونواف آغا تمكنت من انقاذ المسيحيين ونقلهم سراً إلى قريتي الحاصدة فوقاني وتوبز.. قامت فرنسا بقصف عامودا.. نجم عن ذلك وقوع ٣٦ قتيلاً وتشريد ٦٠٠ عائلة، وجراء

---

(١)- ينظر: بهجت بكي – مجلة الحوار – العددان ٣٤و٣٥/ شتاء وربيع ٢٠٠٢ .

(٢)- المصدر السابق .

القصف فر الكثير من أهالي عامودا إلى تركيا، ومنهم سعيد آغا، ثم لجأ إلى العراق[1].

كانت هناك ثمة أسباب أدت الى نشوبها وانفجار الاحتقان الناجم عن:

١ـ سياسة فرنسا السيئة الصيت، القائمة على مبدأ أو قاعدة «فرق تسد»، وسعيها بشتى السبل لضرب مكونات الجزيرة ببعضها البعض (الكرد والعرب، المسلمون والمسيحيون)، وتفعيل التناقضات بينها، وهي السياسة التي استحسنتها تركيا، لأنها عين السياسة التي اتبعتها من ذي قبل.

٢– تهميش فرنسا للمكون الكردي ارضاء لتركيا، خصوصاً بعد المعاهدة الفرنسية – السورية عام ١٩٣٦م، وتركها الحبل على الغارب للعنصر العربي الدمشقي تحديداً، ليهيمن على مقاليد الأمور والوظائف في الجزيرة.

٣– أثقلت سلطات الانتداب كاهل (الفلاحين)، وذلك بفرض المزيد من الضرائب، ناهيك عن اقدامها على شراء ذمم بعض الزعماء من كافة المكونات كما يقول لازارييف. ولا يُخفى أن سعيد آغا الدقوري استغل هذا الأمر أحسن استغلال، وحرّض الأهالي على الامتناع عن دفع الضرائب للجباة.

٤– ملاحقة فرنسا للوطنيين الكرد ولغيرهم من المكونات الأخرى، وقمعهم وزجهم في السجون أو نفيهم.

٥– اليأس الذي انتاب الكرد، جرّاء الاتفاقيات الجائرة (بدءاً باتفاقية سايكس – بيكو، الالتفاف حول سيفر واستبدالها بلوزان، وانتهاءً باتفاقية أنقرة ١٩٢١) والتي تمخضت عنها الحاق جزء من كردستان الغربية بسوريا (الكيان المستحدث اللقيط أو السفاح ان صح التعبير)، ثم تغاضي السلطات الفرنسية عن المطالب الكردية المشروعة، والتي كانت تتلخص في تلك الآونة باقامة نظام اداري خاص بمنطقة الجزيرة تحت الانتداب، أسوة بدولتي العلويين والدروز...الخ، فضلاً عن امتعاض الناس عن سياسة التسويف والمماطلة التي انتهجتها فرنسا على هذا الصعيد.

٦– تمادي العناصر المسيحية، التي تطوعت في القوات الفرنسية أو التي تعاونت مع سلطات الانتداب، وتماطل السلطات في وضع حدٍ لتجاوزاتهم.

---

(١)ـ محمد جمال باروت ـ مصدر سابق ـ ص٤٥٠.

٧ـ وما زاد الطين بلة عدم استجابة حكومة دمشق التي أنشئت في ظل الانتداب لمطالب أبناء الجزيرة، وانتهاجها سياسة تقوم على الاعتماد على العنصر العربي من خارج المنطقة في الادارة والوظائف. لذا، عُقد اجتماع في تموز ١٩٣٧ في قرية (تـوبز)، برئاسة عبدي خلـو، رئـيس عشـيرة الميرسـينا، حضـره وجهـاء مـن الكـرد والعـرب والسـريان، نوقشـت فيـه الممارسـات التعسـفية للمحـافظ بهجـت الشـهابي وقائمقـام قامشـلو ظـافر الرفـاعي وقائـد درك الجزيـرة عبـد الغـني القضـماني ونائـب رئـيس الجمهورية. كما ناقش المجتمعون امكانية القيام بعصـيان مـدني شـامل في الجزيـرة، والتلويح بالعصيان المسلح، ان لم تقم السلطات بعـزل هـؤلاء في مـدة أقصـاها الأول من تموز ١٩٣٧. وفي الاجتماع الثاني، الذي عقد في ٤ تموز ١٩٣٧ بمدينة (الحسـكة)، قـرروا البـدء بالعصـيان في اليـوم التـالي ٥ تمـوز ١٩٣٧[١]. فالأحـداث وفـق تحليـل المهتمين بها وأهل الاختصاص، لم يكن باعثها لا العامل الديني ولا الاثني بين الكـرد والسريان، لأن الكـرد سـبق لهـم أن اسـتقبلوا الأخـوة المسـيحيين (سـريان، أرمـن) الفارين من جحيم الطورانية بصدورهم الرحبة في عامودا، انما الأمر متعلـق بـالموقف من الاستعمار الفرنسي (ففي حين رأى الأكراد من أهالي عامودا أن الحكـم الفرنسـي هو عبارة عن استعمار جديد، يرمي الى خلافة الاستعمار التركي، لذا قـرروا مقاومتـه. رأى العديد من السريان أن الحكم الفرنسي يعد خلاصاً وصمام أمام بالنسبة لهم)[٢]. ومما يؤكد هذا القول أن بعض الكرد أيضاً تحالفوا مع الفرنسيين، فلب الموضوع أن أهالي عامودا كانوا يقـاومون جـيش الاحـتلال تحـت قيـادة سـعيد آغـا الـدقوري، في الوقت الذي كان فيه الطرف الآخر يراهن على فرنسا في الخلاص.

بدأت الأحداث في ٢٨ تموز ١٩٣٧ بين الحي الموالي للفرنسـيين ومعظمهـم مـن المسيحيين والحي المعارض وهم من الكرد بقتـال شـوارع. في البدايـة هُزمـت القـوات الفرنسية والموالون لها، لكنها استنجدت بالمفوض السامي الفرنسي في بيروت، الـذي أمر بتدخل القـوات الجويـة (الطـائرات) في اليـوم الثالـث (هنـاك مـن يقـول في اليـوم الثاني، المهم أن القصف دام يومين متتاليين) لاخماد نار الاقتتـال والسـلب والنهـب والحرائق، وصبت فرنسا جام غضبها على أهالي (عـامودا) وقراهـا (تـل حـبش، كـر

---

(١)– مخطوط بحوزة الدكتور اسماعيل حصاف.

(٢)– عبدالباسط سيدا(الدكتور): المسألة الكردية في سوريا – مصدر سابق – ص١٤٨.

مير، كرى موزا Girê - Moza، كر كندور، قره قوب وقتل مختارها، تل خنزير، ديكية)، وقصفتها بالطيران والمدفعية ليومين متتاليين فزادت الطين بلة، واستشهد الكثر (بلغ عدد قتلى المناهضين لفرنسا ٣٢ قتيلاً ثم يضيف الكاتب بأن عدد القتلى لا يقل عن ١٥٠[١]. وجرح الكثيرون وهدمت المنازل والدكاكين أو أحرقت وشرد الكثر، مما اضطر سعيد آغا اللجوء إلى جبل سنجار في ظل موازين القوى غير المتكافئة. ويجدر الذكر أن الكرد، وفي مقدمتهم عبدي خلو آغا، زعيم عشيرة ميرسنان ونواف آغا (من عشيرة ملان خضر) وأحمد آغا وغيرهم، مدوا يد العون للمسيحيين وحموهم وتصدوا للمهاجمين، ونقلوا قسماً من المسيحيين سراً الى منازل الميرسينيين في قريتي حاصدة فوقاني وتوبز، خوفاً من انقضاض الغوغاء عليهم، ونقل قسم آخر الى القامشلي تحت حراسة عبدى خلو ورجاله مشياً على الأقدام ... لكن بعض الدقوريين أحرقوا متاجر المسيحيين وحارتهم المعروفة بحي العسكرية[٢]. وفي الصباح قصفت الطائرات الفرنسية البلدة تحت ذريعة حماية المسيحيين، واحتل الفرنسيون البلدة وباشروا بالنهب والسلب و (اتضح بعدها أنها كانت فتنة فرنسية، لأن أهل عامودا، وخاصة نائبها الوجيه السرياني سعيد اسحق لم يوافق على الانفصال)[٣]. وفي الدرباسية أيضاً حاولت فرنسا أن تخلق فتنة بين كردها ومسيحييها، لكن وجهاء البلدة ومنهم الحاج درويش حاج موسى، والد الاستاذ عبدالحميد درويش، سكرتير الحزب الديمقراطي التقدمي الكردي في سوريا، قال: ان مسيحيي الدرباسية هم أولادي.. وكان شهماً وذو كلمة مسموعة، وقد أنقذ البلدة من البلبلة التي تسببتها فرنسا[٤].

ج – كوباني وجرابلس:

ثار أهالي وادي الفرات والجزيرة على الفرنسيين في منطقة جرابلس، بتحالف المكونين الكردي والعربي. وانتفضت عشائر الـ (برازا) في كوباني و حماه ضد

---

(١)– راجع مجلة الحوار: العددان ٣٤و٣٥ عام ٢٠٠٢... أشك في دقة الرقم.

(٢)– مخطوط بحوزة د. اسماعيل حصاف.

(٣)– الدرباسية ماضياً وحاضراً – ابراهيم يامين – تقديم: مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم – ط١عام ٢٠٠٩ – الناشر: دار ماردين/ حلب – ص٣٩.

(٤)– الدرباسية ماضياً وحاضراً – المصدر السابق – ص٩٦و٩٧.

القوات الفرنسية، ففي حماه كان أحمد البرازي يحرك الشباب، أما نجيب آغا البرازي[1] فساهم في الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥. وفي كوبانى برز دور آل شاهين بك، فقاد بوزان بك بن شاهين بك في النضال في سهل سروج ضد الفرنسيين بين (١٩٢٠ – ١٩٢٢)، حتى أضرم الفرنسيون النار في قصر بوزان بك، كما أصدر الجنرال غورو حكم النفي بحقه[2]. اضطرت الادارة الفرنسية التفاوض مع بوزان بك وهنانو جراء استمرار المقاومة، ووعدت كعادتها بانشاء امارة كردية تمتد من الحدود العراقية شرقاً وحتى الفرات غرباً، ومن الحدود التركية شمالاً وحتى الفرات جنوباً، لكن العشائر رفضت الفكرة[3].

د – المقاومون الكرد في دمشق والغوطة:

١ـ يوسف العظمة[4]:

«لن أدع التاريخ يسجل أنهم دخلوا سوريا من دون مقاومة !»

(يوسف العظمة)

حياته: هو ابن عبدالرحمن العظمة، ولد بدمشق في ٢٩ نيسان ١٨٨٤، خريج الكلية الحربية العليا في الآستانة عام ١٩٠٦، ثم أكمل علومه العسكرية في ألمانيا، تنقل ابان الحرب العالمية الأولى في جبهات القتال في كل من بلغاريا وغاليسيا

---

(1)– ولد في حماه عام ١٨٧٨، كان ملاكاً كبيراً في سهل الغاب، يمتلك عقارات واسعة وقرى عديدة، ومن أهم وجهاء حماه في الحياتين السياسية والاجتماعية.

(2)ـ راجع: مجلة الأكاديمية الكردية/ هولير – العدد/٣٥/ – د. اسماعيل حصاف – ص٢٨٨.

(3)–اسماعيل حصاف(الدكتور): تاريخ كردستان سوريا المعاصر– الجزء الأول – ط١عام ٢٠١٧ – ص١٣٦.

(4)– قرأت ذات يوم في أحد المواقع لأحدهم زاعماً أن يوسف العظمة تركماني، لكن كل المصادر التي تناولت أصله، أكدت أصوله الكردية، ولم يشكك أحدهم في هذا الأمر البتة، ومن هؤلاء: د. محي الدين السفرجاني في كتابه(فاجعة ميسلون) ١٩٦٦، ود. رياض نعسان آغا وزير الثقافة السوري الأسبق، ود. شوقي خليل، ومازن بلال في كتابه(المسألة الكردية)، والاستاذ عزالدين ملا في كتابه(حي الأكراد)... راجع(الكرد في في منطقة الباب وأطرافها) للكاتب علي مسلم وكتب الباحث د. أحمد محمود الخليل في هذا الصدد.... ملاحظة: الكثيرون من الكرد أو أحفادهم في سوريا أستعربوا، أو يتنكرون لأصولهم، أو فضلوا الاحتفاظ كسر من الأسرار، تحت هذه الحجة أو تلك، وفي هذا الظرف أو ذاك.. وليس هذا بجديد.

ورومانيا رئيساً لأركان حرب الفرقة العشرين، ثم رئيساً لأركان الجيش في جبهة القوقاز، ثم رئيساً لأركان حرب الجيش الأول في الآستانة. تولى وزارة الحرب (الدفاع) عام ١٩٢٠ بدمشق، وخاض معركة ميسلون، وسقط شهيداً على أديمها (ومعه نحو ٤٠٠ شهيد) يوم الأربعاء في ٢٤ تموز ١٩٢٠، ودفن في ذات الموقع، وله ابنة وحيدة اسمها ليلى(١).

سير المعركة: نصب الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على سوريا في ٨ آذار ١٩٢٠، وفي ٢٤ نيسان ١٩٢٠ قرر الحلفاء وضع سوريا تحت الانتداب الفرنسي وفق مقررات مؤتمر سان ريمو، وسرعان ما أرسل الجنرال غورو انذاراً في ١٤ تموز ١٩٢٠ إلى الحكومة السورية، تضمن مطالب مجحفة، ورغم أن الملك فيصل قبل ما جاء في الانذار، وأرسل برقية بهذا الخصوص، ثم أوفد ساطع الحصري إلى غورو، إلا أن غورو تحجج بأن البرقية قد وصلت متأخرة نصف ساعة عن المهلة المحددة، وأمر الجيش بالزحف نحو دمشق، ولما لاحظ يوسف العظمة أن القوات الفرنسية تزحف دون مقاومة تذكر، بعد تسريح الجيش السوري بايعاز من الملك فيصل، بدأ باعداد الترتيبات اللازمة للمقاومة، حتى لا يُقال أن الجيش الفرنسي دخل دمشق دون مقاومة، رغم معرفته أن قوات العدو تتفوق عدداً وعدة، ناهيك أن فرنسا تمتلك سلاح الطيران، فدارت بين الطرفين معركة حامية الوطيس، أبلى فيها العظمة ورفاقه بلاءً حسناً، لكن قسماً من الخيالة فروا، فتقدم العظمة مترجلاً بكامل لباسه العسكري، إلا أن احدى الدبابات الفرنسية وجهت نيران رشاشها نحوه في اللحظة التي وصل فيها إلى جانب أحد المدافع المضادة للدبابات، فسقط العظمة شهيداً، وزحفت القوات الفرنسية(٢) صوب دمشق، ودخلتها في ٢٥ تموز ١٩٢٠، بعد أن بلغت خسائر الفرنسيين في ميسلون ٤٠٢ قتيلاً و١٥٢ جريحاً(٣).

---

(١)– أدهم آل الجندي: تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي – مصدر سابق – ص١٦٨.

(٢)– كان مع الفرنسيين عدد كبير من اللبنانيين والسنغاليين.

(٣)– يُروى أن غورو توجه إلى قبر صلاح الدين الكائن بجوار الجامع الأموي الكبير في دمشق، وقال: ها قد عدنا يا صلاح الدين. ويبدو أن قوله هذا كان رداً على ما تفوه به صلاح الدين منذ أكثر من ثمانية قرون، حين ردّ الحملات الصليبية على أعقابها خائبة، وقال لهم: ها قد أخرجناكم من الشرق، ولن تعودوا إليه بعد الآن.

٢- معارك دمشق والغوطة:

عبد القادر البارافي: هو ابن أحمد بن محمد البارافي، ولد بحي الأكراد في دمشق عام ١٨٩١، وكان في عام ١٩١٨ قائداً لفصيل درك قطنا، شنَّ مع الثوار الكرد هجمات على الفرنسيين في لبنان، وكانت له علاقات وطيدة مع آل مريود، ولما التحق أخوه أحمد البارافي بالثورة السورية عام ١٩٢٥، أحرق الفرنسيون داره ودار والده وشقيقاته ودار أخيه عبد القادر ونهبوا أثاثها، فظلوا من دون مأوى، لكن رفيق العظمة أمده بمائة ليرة ذهبية عثمانية، لقاء جميل كان قد أسداه يوم أسْرِه. آزر عبدالقادر الثورة علانية بعد استقالته من الدرك.

كان سليمان المرشد عام ١٩٤٥ نائباً في المجلس النيابي، وكان يقوم بأعمال مشينة والدس ضد الثورة، فكلفه سعدالله الجابري[١] بجلب سليمان المرشد من بيروت، فأقل سيارة شيفروليه عائدة لرئيس الوزراء يقودها سائقه مع ثلاثة من الجنود المسلحين بلباس مدنية، وانطلقوا إلى بيروت، حيث كان المرشد في أحد فنادقها (سان جورج)، وانتظروا في السيارة أمام باب الفندق حتى الصباح، وحين خرج المرشد من الفندق أُدْخِلَ إلى السيارة عنوة، وسلم المرشد إلى قيادة الدرك، وبعد أيام حين أصيب البارافي بحادث اصطدام سيارة، زعم المرشد بأنه قد أصيب بسهم من غضبه، لأن المرشد كان يدّعي الربوبية.

أحمد البارافي (١٨٩٨- ١٩٨٨): من أبرز الثوار الكرد في الشام، ولا يقل وزناً عن ابراهيم هنانو في عناده واصراره على المقاومة. في ٢٢ آذار ١٩٢٦ قطع الثوار أسلاك الهاتف في قطنا، فأمر قائد الدرك زكي الجاجة بضرب الثوار، لكن العريف أحمد بارافي امتنع عن ضرب الثوار وقبض على الجاجة وعلى العريف يوسف عيسى الذي وشى بالبارافي وأعدماهما رمياً بالرصاص، وحين أقبل رفاقه على قتل الملازم الثاني صادق المرادي، ردهم البارافي وشفع له. ثم قام الثوار بحرق دار الحكومة واطلاق السجناء، وفتح البارافي المستودعات فاستولى الثوار على كل السلاح والذخيرة[٢].

---

(١)- كان يومها رئيساً لمجلس الوزراء.

(٢)- أدهم آل الجندي - مصدر سابق - ص٣٧٨.

كـان أحمـد البـارافي محكومـاً بالاعـدام[١]، وحـين عـاد إلى داره في ١ آب ١٩٢٦ الكائن في حي الأكراد قادمـاً مـن معربـا كـي يتفقـد أحـوال الحـي والمجاهـدين وأمـه وأقربائه، حاصرته قوة فرنسية في اليوم التـالي مؤلفـة مـن عـدد كـبير مـن العسـاكر الذين تسلق بعضهم الدار، ونصب الباقون رشاشـاً أمامـه، وبـدأوا بـاطلاق رصـاص كثيف وإلقاء القنابل اليدوية، إلا أن البارافي دافع عن نفسه دفاع الأبطال، وقتل أحـد الجنود، وكانت والدته فاطمة بنت أحمد الأومري تشجعه وتحمل معه السـلاح وتهلـل وتقول: إنه يوم الكرامة، الهزيمة ليسـت مـن شـيمنا وليسـت مـن تقاليـد اجـدادنا، لا تخف يا بني، اليوم يومك يا أحمد، ثم قتلَ أحمد جنـدياً آخـر، لكـن الجنـود دخلـوا غرفته، يتقدمهم ضابط فرنسي، فمـا كـان مـن البـارافي إلا أن أطلـق الرصـاص علـى الضابط وأرداه قتيلاً، فارتد الجند، وناولته والدته بندقية الضـابط، وهـاجم الجنـود بعد أن أخرج النساء والأطفال وجرحت زوجـه أحمـد وزوجـة أخيـه، وتسـلق أحمـد الأسطح وألقى بنفسه في جنينة جامع يونس آغا، ونجا من الحصار. في اليـوم التـالي بعـد ان أحـرق الفرنسـيون بيـت أحمـد بـارافي وبيـت أبيـه وأخيـه واعتقلـوا والدتـه (فاطمة)، هددوا باعدامها، لكن بعض الجنود المغاربة في الجيش الفرنسي سـهلوا لهـا بالفرار[٢].

جمـع الفرنسـيون وجهـاء الكـرد في الحـي[٣]، وأمـروهم بتسـليم البـارافي وإلا تم اعتقال جميع رجال الحي، ودام الأمر على هذا المنوال ستة أيـام دون جـدوى، وبعـد فك الحصار خرج البارافي إلى معربا، واجتمع بالثوار. ولما انتهت الثورة، نـزح البـارافي إلى الأردن، ثـم فلسـطين، ثـم عـاد إلى الأردن مـن جديـد، وعـاد مـع السـلطان باشـا الأطرش إلى درعا في ١٩ نيسان ١٩٢٧، ومن ثم إلى دمشق[٤].

لقد شارك في معارك: عين ترما، معربا، جباتا الخشب، والمعركـة الـتي فرضـت عليه وهو في البيت مثلما ورد آنفاً.

---

(١)– جريدة فتى العرب – الرقم ١٥٦٧ – تاريخ ١٩٢٧/٢/١٨.

(٢)– رمو شيخو الفرحة: مجلة دراسات اشتراكية – العدد١١عام ١٩٨٥– مصدر سابق – ص١٠٦.

(٣)– حي الأكراد أو حي ركن الدين بدمشق.

(٤)– أدهم الجندي – مصدر سابق – ص ٤٦٥/٤٦٦.

حينما كان في قرية الغزلانية، كلف باقامة حاجز بين غوطة دمشق وجبل الدروز[١]، لمنع تسلل الثوار بينهما، وقد وجد الفرصة المناسبة لتسهيل انتقال الثوار وأفسح المجال لعبدالرحمن شهبندر بغية العبور بأمان كي يلتقي بالسلطان باشا الأطرش في جبل الدروز.

وضع أحمد مريود وأبو دياب البرازي خطة للتخلص من الجنرال غورو بالاتفاق مع أحمد بارافي، وعندما كان غورو متوجهاً بالسيارة نحو محمود الفاعور، شيخ عشيرة الفضل، أوقف أبو دياب – الذي كان قد ارتدى لحظتئذ بدلة رجال الدرك – سيارة غورو، فسأله سائق الجنرال: ماذا تريد يا دركي؟. أجاب: أنا لست دركياً، بل أحد أحفاد صلاح الدين الأيوبي، وأطلق عليهم النار، فأصاب مرافق الجنرال وقتله، ولاذت السيارة بالفرار، وكانت هذه أول رصاصة كادت أن تقتل الجنرال غورو، فبرز منذ ذلك الحين اسم حي الأكراد كقلعة حصينة للمقاومة لأنه كان يحتضن المجاهدين من أمثال: أحمد بارافي وأبو دياب البرازي، اللذين لا يشق لهما غبار.

وفي أحد الأيام نزل المجاهد أحمد مريود في دار علي آغا زلفو[٢] واجتمعا فيه مع أحمد بارافي، وانضم إليهم شوكت العائدي وخليل مريود، وتوجهوا إلى جباتا الخشب لقطع الطريق على العدو، وفي اليوم التالي وصلوا إلى برزة حيث كان هناك الأمير عزالدين الجزائري والأمير عادل ارسلان وآخرون وقرروا تسليم القيادة إلى أحمد بارافي لقطع طريق دمشق – القنيطرة. توجه أحمد بارافي بعدئذ إلى جباتا الخشب المحاصرة لنجدة الثوار، لكنه وصل بعد أن تمكن الفرنسيون من قتل أربعين ثائراً كان أحمد مريود أحدهم، وحينما بحثوا عن جثته لم يجدوها، وعلموا فيما بعد أن الفرنسيين عرضوها في ساحة المرجة بقلب دمشق ليرهبوا الناس، لذا كان حزنهم كبير[٣].

---

(١)– عُرّب إلى جبل العرب.

(٢)ـ (١٨٧١ـ ١٩٥٧): كردي، ومن كبار أثرياء دمشق ومن أغنى أغنياء سوريا يومها، كان يمتلك أراضي زراعية واسعة في ريف دمشق والجولان والجزيرة، وكان مع الوطنيين ضد فرنسا، ومن ممولي المقاومة الكردية في الغوطة. راجع(محمد جمال باروت ـ مصدر سبق ذكره ـ ص٤٤٢)، نقلاً عن مكدول ص٦٩٢.

(٣)– رمو شيخو الفرحة: مجلة دراسات اشتراكية – مصدر سابق – ص١٠٤/١٠٥.

يقول نجل أحمد بارافي أنه تم تفريغ أشرطة كاسيت بصوت والده، يحكي فيها عن دوره وعن أحداث الثورة كما شاهدها بالأرقام والأسماء، وفيها أسرار لم تنشر قط[1]. ومنذ سنوات بدأ عدنان شيخو بوضع كتاب عن هذا الثائر الذي ولد في حي الأكراد بدمشق وتوفي فيه في الأول من تموز، معتمداً على المذكرات التي كتبها أحمد بارافي بخط يده. يبدو أنه كان أحد مشاعل نور الاستقلال بامتياز، وغني عن القول أنه أول من رفع العلم العربي فوق مبنى السرايا بدمشق، بعد أن أنزل العلم التركي!...أجل، أليست هذه بعض سجايانا ؟!.

هـ – حركة المريدين في جبل الأكراد بعفرين (١٩٣٠– ١٩٤٥):

تدخل هذه الحركة ذات المحتوى الوطني والاجتماعي والديني في إطار المقاومة الكردية للانتداب الفرنسي بمنطقة عفرين، رغم أن الفرنسي روجيه ليسكو سبق أن كتب عنها منذ عام ١٩٤٠ وأعتبرها من دسائس تركيا، مشوِّهاً طابعها الوطني جراء علاقاتها مع قادة الحركة الوطنية في حلب وجبل الزاوية، وكذلك دوافعها الاجتماعية التي أثارت مخاوف الاقطاع. لكن الحقيقة التي يجب أن تقال هي أن تركيا كانت ضالعة فيها وأثارت مشاعر الكرد الدينية لغايات في نفس يعقوب، إلى أن تسنى لها الوصول عام ١٩٢١ لاتفاقية (فرانكلين – بويون) لترسيم الحدود، فأدارت لحركة المريدين ظهر المجن، وهاهو التاريخ يعيد نفسه بعد قرن من الزمن، حيث تدعم تركيا قوى الائتلاف الوطني، بهدف وضع حد للأكراد والعلويين، خوفاً من أن تنتقل العدوى إليها، فـ "الفيتو" مازال مسلطاً كسيف ديمقرتس على رقابنا منذ قرن على أقل تقدير.

ابراهيم خليل (١٨٩٧–١٩٥٢): شيخ الطريقة النقشبندية، ينحدر من ازميت، عرفت طريقته بـ "المريدية"، بعد المضايقات التي سببها مصطفى كمال لسائر الطرق الدينية، انتقل الشيخ ابراهيم إلى جبل الكرد[2]، وكان الانطباع السائد في العديد من الأوساط الكردية أنه عميل الاستخبارات التركية. بدأت المقاومة في جبل الأكراد بعفرين أواخر عام ١٩٣٠، وكان يتزعمها ابراهيم خليل سوك أوغلو الشخصية اللغز، وهو من أصل تركي كما يقول ليسكو، أما المحامي عصمت عمر فيقول: (لم

---

(١)– عدنان شيخو: جريدة الثورة الصادرة في دمشق – العدد ١٠٥٦١– في ١٩ نيسان ١٩٩٨.

(٢)– راجع: علي شيخو ـ جبل الكرد ابان الانتداب الفرنسي ـ ص٦ و٥١.

يُعرَف من حياته سوى ما كشفه هو نفسه من أنه ينحدر من جدٍ كردي من حماه، نفي إلى الأناضول حيث ولد الحفيد وتلقى تعليمه في بلدة ازميت، ثم التحق بالجيش التركي عام ١٩٢٥، وكان في عداد الجنود الأتراك الذين شاركوا في اخماد ثورة الشيخ سعيد... هرب إلى العراق فسوريا واستقر في حمص، وتلقى تعاليم الطريقة النقشبندية على يد الشيخ الجليل خلف الحمصي والشيخ أحمد مراد من حماه، ثم جاء إلى جبل الأكراد لنشر الدعوة عام ١٩٢٧ ... استقر به المقام في قرية دير صوان...كان يتكلم الكردية والتركية بطلاقة، وينظم قصائد المدائح النبوية باللغتين... كانت طلعته بهية وصوته جميل ساحر، كان شجاعاً يتقن استخدام السلاح)[1]. كانت أنقرة تراقب الأمور بروية جراء تنامي المشاعر القومية للكرد، خصوصاً في جبل الكرد (عفرين)، وما جعلها تتمادى في مطالبها من سلطات الانتداب الفرنسية أكثر، أنها أفلحت في ايقاف نشاط فريق كردستان الرياضي في دمشق، فأسرعت (بادخال ضابط الخدمات الخاصة متنكراً بزيٍ زعيم ديني كردي، وتحت اسم الشيخ ابراهيم، الذي استطاع أن يجمع حوله عدداً كبيراً من المريدين/ الأتباع، وأعلن حرباً ضاربة ضد أغوات المنطقة وأسرهم وأنصارهم، وبعد بضعة أشهر، دخل الجبل، الذي يسكنه أكثر من ٢٥٠ ألف نسمة، في لهيب الحرب المدنية/ الأهلية، وبدلاً من تدخل السلطات الفرنسية حينها لوقف المجزرة، فقد كلف رجال الدرك السوريين بهذه المهمة، ولقد إنسحب هؤلاء الدرك بسرعة من ساحة المعركة، وقد خُذلوا تماماً، لأن عددهم لم يكن كافياً، كما إن تسليحهم لم يكن مناسباً، تاركين الطرفين يتذابحان بلا شفقة أو رحمة. وقد دامت حرب الأخوة هذه، التي نشبت في بداية عام ١٩٣٩، أكثر من عامين، وأدت إلى مقتل ١٠ آلاف شخص، ودمرت المنطقة، وزرعت بذور الحقد الشديد بين الأهالي. أما بالنسبة للشيخ ابراهيم، فحينما إنتهى من مهمته، إختفى بصورة غامضة دون أن يترك أثراً، ولم يُعرف أبداً ما إذا كان شيخاً حقيقياً أو ما آل إليه أمره. بعد أن غرقت الثورات الكردية في كردستان تركيا في الدماء بوحشية، كان نظام الحكم في أنقرة يراقب في كل مكان أدنى حركة، ويتدخل فيها بشكل مباشر أو غير مباشر)[2].

([1])ـ راجع: مجلة دراسات اشتراكية – العدد ٥ أيار١٩٨٤– ص١٥٨.

([2])– نورالدين زازا(الدكتور): حياتي الكردية – مصدر سابق – ص٦٨و٦٩.

استطاع الشيخ ابراهيم أن يكتسب شعبية بين الفلاحين الفقراء، وتمكن من تحريضهم ضد الاقطاع وفرنسا. وشى به أحد الأغوات، فاعتقلته السلطات الفرنسية وسلمته لتركيا، وبعد أن أمضى سنتين ونيِّف في سجن عنتاب أطلق سراحه فعاد إلى جبل الأكراد عام ١٩٣٠، متخذاً من جامع النبي هورو مقراً له لنشر دعوته النقشبندية، ولما ازداد عدد مريديه، أقلق الأمر الاقطاع والفرنسيين على حدٍ سواء، مما دفع الاقطاعيين إلى التذمر ومحاربة أنصاره عبر شتى أشكال الضغط أو الاغتيالات السرية، وكان القتلة: (يكافأون بالتطوع في الجيش الافرنسي مباشرة ليتخلصوا من المحاكمة والعقاب)[1].

المعارك: بدأت أولى المعارك عام ١٩٣٤، حين حصل اشتباك بين الثوار ومفرزة فرنسية كانت متجهة نحو (ميدانا) معقل الثوار، أسفر عن قتل فرنسي وفرار عناصرها، ثم اقتحمت قوة فرنسية كبيرة المعقل وعاثت فيه فساداً، واستشهد بعض الثوار تحت التعذيب وقضى المعتقلون ١٥عاماً في سجن بيروت.

أما ثاني معركة فهي معركة (قره بيل) عام ١٩٣٥، أسفرت عن جرح عدد من الفرنسيين وفرار الباقين. في عام ١٩٣٦ إلتقى الحاكم الفرنسي في حلب في وادي (ميدانا) مع الشيخ علي غالب قورط علي والشيخ حنيف عرب، وطلب منهما إلقاء السلاح، فرفضا وقالا: لن نرضى بغير الجلاء. في عام ١٩٣٨ إلتقى ابراهيم خليل مع الزعماء الوطنيين في حلب، منهم سعدالله الجابري وآخرين، بعد تصاعد ضغط الاقطاعيين والفرنسيين على المريدين، فتعهدوا بتقديم المساعدات العسكرية والمادية لهم. فطاف ابراهيم خليل بقرى الجبل وطلب من المريدين بشراء الأسلحة، لمواجهة الاقطاعيين الذين كانوا لا يكفون عن مداهمة القرى من جهة ولهم صلات مع تركيا بغية ضم الجبل إليها.

جرت معركة (هوري) عام ١٩٣٨، وخططت فرنسا للقضاء على حركة ابراهيم خليل ومريديه أثناء اقامة صلاة الجمعة وعهدت الخطة إلى اقطاعيين من بيت الشيخ اسماعيل، وحشدت نحو ٧٠٠ مسلح بمن فيهم جنود فرنسيين، وتمركزت هذه القوة داخل أسوار المسجد والقلعة، كان ابراهيم في قرية أومرسمو، فأرسل دورية استطلاع، فأطلقت القوات الفرنسية الرصاص عليها مما أسفر الأمر عن مقتل الثائر

(1)– أنظر: مجلة دراسات اشتراكية – العدد ٥ أيار١٩٨٤– ص١٥٩.

اسماعيل ددو من قرية أومرسمو، ووصلت النجدة للثوار وكان ابراهيم يقود نحو٦٧ ثائراً وتحكم الثوار برابية تشرف على الموقع فاضطرت القوات الفرنسية إلى مغادرة الموقع تحت ضغط الثوار، فأضحت تحت وابل من الرصاص من قبل الثوار، ففرت القوات الفرنسية المتحالفة مع الاقطاعيين مذعورة وقتل ٤ من الاقطاعيين وأسر ٢٠ وجرح ٢٠ أيضاً منهم. وفي نفس السنة قامت ١٦ طائرة بقصف قرى المنطقة وتدميرها، وكان القصف احدى الوسائل التي اتبعها الفرنسيون للضغط على الأهالي لكي يستسلموا، فاضطر الثوار إلى الاختباء في الغابات أو النزوح إلى تركيا، وفي مطلع عام ١٩٣٩ تم اعتقال مجموعة من المريدين في قرية نازا غدراً وكان بينهم الشيخ حنيف الذي زجَّ في سجن انفرادي بحلب وأفرج عنه بعد سبع سنوات (أي بعد الجلاء) ونقل قسم من المجموعة إلى بيروت، منهم من قُتلَ تحت التعذيب، فكان لهذا الأمر أثره في تهييج الناس ودفعهم إلى مهاجمة المخافر الفرنسية.

جرت معركة جبل باوسي بهجوم الثوار على دار المستشار في اعزاز ليلاً، وقطعوا أسلاك الهاتف، ثم جرت معركة غير متكافئة بين الطرفين قادها من الجانب الفرنسي الكولونيل (دوشه ليون) والقومندان (ماركوى). زجت فرنسا يومها قوات كبيرة وقطعات من الخيالة ومصفحات و٨ طائرات في محاربة ٢٥٠ ثائراً، وأسفرت المعركة التي دامت ١٣ ساعة عن اسقاط احدى هذه الطائرات وقتل ١٥جندياً فرنسياً، واستشهاد أحد الثوار وجرح آخرين تم نقلهم إلى تركيا.

أما معركة بلبل التي جرت عام ١٩٣٩، فقد حشدت فرنسا نحو ١٠٠٠ جندي تحت قيادة القومندان (ماركوى)، دامت من الصباح الباكر حتى ساعة متأخرة من الليل، في مواجهة ٢٠٠ ثائر، قتل من الجانب الفرنسي رقيب ومن جانب الثوار ثائر واحد، وجرحى من الطرفين.

وفي ١٥ آذار جرى لقاء بين القومندان الفرنسي (ماركوى) والشيخ (بكر فهمي) من جانب الثوار، اشترطت فرنسا:

- تسليم ١٥٠٠ ثائر مع أسلحتهم.
- قطع علاقات الثوار مع الوطنيين في حلب ودمشق.
- يتطوع بالجيش الفرنسي كل من لم يتجاوز ٣٠ من العمر.
- تقديم العناصر التي قامت بالاغتيالات إلى المحكمة.

– العفو عن كافة الثوار الذين قاموا بالعصيان المسلح ضد الفرنسيين.

لكن الثوار رفضوا هذه المطاليب، فجرت معركة وادي (به نيره كـا) في نيسـان ١٩٣٩، حين دفعت فرنسا بـ/١٥٠٠/ جندي في هذه المعركـة، بينمـا كـان الثـوار نحـو ٤٧ فرداً، مع الواحد فقط خمس طلقات، تحت قيادة الشيخ بكر فهمي، تـوزع الثـوار داخل الأحـراج الكثيفـة علـى شـكل فـخ، وحـين أضـحت القـوات الفرنسـية يسـاندها الاقطاعيون داخل الفخ، بدأ الثوار باطلاق النار، ثم وصـلت الامـدادات إلى الثـوار مـن (بليلكو)، وتدخلت تركيا إلى جانب الفرنسيين، وأصيب في المعركة الكـابتين (بنيتـو) وقتـل ١٥ جنـدياً، وغـنم الثـوار ٢٦ صـندوقاً للـذخيرة و٢٤ بطانيـة ورشـاش...الخ، واستشهد من الثوار يوسف شيخ ددو، شيخو عمر، حجيك شومي، وجرح ثلاثة.

يجدر الذكر أن المريدين كانوا يقومون بتصفية كل من يتعامل مع فرنسا، عـن طريق الاغتيالات أو وسائل أخرى. وبموجب اتفاق تركي – فرنسي، ألقت قوة تركية القبض على الشيخ ابراهيم خليل، وسيق إلى منفاه بغرب تركيا، تحت الاقامة الجبرية في: (مدينة مانيس وأستملكته الحكومة التركية أرضـاً زراعيـة عائـدة لمـالكين أرمـن سابقاً... وفي أثناء انتخابات برلمانية جرت في تركيا عام ١٩٥٢، زار عصـمت اينونـو مدينة مانيس خلال نشاطه الانتخابي، استقبله الشيخ ابراهيم خليل في مقدمـة حشـد جماهيري كبير في محطة القطـار، وألقـى الشـيخ ابـراهيم خليـل كلمـة رحـب بقدومـه وترشـيحه لهـذه الانتخابـات ودعـا الجمـاهير المحتشـدة للتصـويت لـه، وكـان لهـذا الاستقبال الأثـر البـالغ في نتـائج الانتخابـات لصـالح قائمـة عصـمت اينونـو في ولايـة مانيس، كما دعا جميع مريديـه الموجـودين في تركيـا إلى التصـويت لقائمـة عصـمت اينونو، نشاطه الانتخابي هذا لفت أنظار زعماء حزب خلـق بارتَسـي المعـادين لـه... وفي يوم ٢٧ نيسان عام ١٩٥٢، بينما كان الشيخ ابراهيم خليـل في طريقـه إلى محطـة القطار في مدينة مانيس للسـفر إلى ولايـة عنتـاب لزيـارة مريديـه هنـاك، تقـدم نحـوه شخصان فأطلقا عليه النار وأردياه قتيلاً)[1].

بعـد الاسـتقلال، بـدأت معركـة الانتخابـات النيابيـة، وبظهـور منظمـة الحـزب الشيوعي في جبل الأكـراد وجـد المريـدون في هـذا الحـزب حلـيفهم الطبيعـي، وجـرى تحالف بـين الطـرفين مـثلاً في انتخابـات ١٩٥٤ النيابيـة، وهكـذا أسـدل السـتار علـى

---

(1)– علي شيخو: جبل الكرد إبان الانتداب الفرنسي – مصدر سابق – ص٨٥و٨٦.

الموضوع. لكن جدير ذكره أن الكثير من الغوغاء والمدسوسين انخرطوا في هذه الحركة، كما كانت الحركة تفتقر إلى العناصر الواعية بمن في ذلك الزعماء، يضاف إلى هذا لجوء الحركة إلى سفك الدماء البريئة هنا وهناك والممارسات الخاطئة والتجاوزات والسلوك الفظ في التعامل مع الفلاحين قد لعبت دوراً سلبياً في تطور الحركة جماهيرياً[1].

يلاحظ أن الأولوية عند الكرد تركزت على الهم الوطني في مواجهة جيش الانتداب، ولم يدر بخلدهم المطالبة بكيان كردي إلا نادراً، ومرد هذا جملة من الأسباب التي تناولها الدارسون، ومنها: ١- فقدان الثقة بالوعود الفرنسية التي سبق أن ذهبت أدراج الرياح، بعد التفاهم الفرنسي – التركي، وبدأت السلطات الفرنسية تملي على الكرد ما يُرضي أنقرة، هذا من جهة ومن جهة أخرى فان الوعود الخلبية[2] التي قطعتها فرنسا للكرد لم تكن سوى ورقة ضغط على تركيا والسنة بهدف تقديمهما المزيد من التنازلات للجانب الفرنسي ٢- غياب المشروع القومي، وافتقار الكرد الى وعي سياسي قومي باستثناء نخبة محدودة، وانقسام الصف الكردي بين الكتلة الوطنية من جهة وبين المنادين بالحكم الذاتي أسوة بالدروز والعلويين والسنة من جهة أخرى. ٣- غلبة الهم الديني والنظر الى المسألة من منظار ضرورة توحيد جهود المسلمين من عرب وكرد في مواجهة دولة الافرنج، وهذا ما أذكته تركيا بخبث ٤- الموقف التركي المعارض لأي مطلب كردي في سوريا خوفاً – كما أسلفنا – من أن يشكل هذا حافزاً للكرد هناك للمطالبة بحقوقهم أسوة بأخوتهم الكرد في سوريا، فما أشبه اليوم بالأمس.

وهكذا ذهبت دماء الكرد المراقة هدراً، كما ضربت سلطات ما بعد الجلاء بآمال الكرد عرض الحائط، فكان مثلهم كمثل المستجير من الرمضاء بالنار.

---

(١)- أنظر: مجلة دراسات اشتراكية – العدد ٥ أيار١٩٨٤.

(٢)ـ لا ننكر أن سلطات الانتداب أفسحت للكرد هامشاً ثقافياً محدوداً ومشروطاً في فترات محدودة، فكما يقول د. نورالدين زازا أن(مصطفى بوطي) من عين ديوار قدم طلباً للضابط الفرنسي بغية الموافقة الرسمية على افتتاح مدرسة هناك، لكن باءت محاولته بالفشل وقوبل الطلب بالرفض من قبل السلطات، مما امتعض الضابط الفرنسي بدوره لهذا الرفض، وذهب إلى البوطي يعتذر، لأنه لم يجد تبريراً لهذا الرفض.(راجع: حياتي الكردية ـ ص١٠٢).

رغم هذا الوضع، لم تكف الكتلة الكردية المطالبة بالاستقلال الذاتي عن محاولاتها الحثيثة لنيل حقها في ادارة ذاتية أسوة بدولة لبنان ودولة دمشق وحلب ودولة جبل الدروز ودولة جبال العلويين، أو على غرار نظام الادارة الخاصة في لواء اسكندرون التي أنشأتها سلطات الانتداب الفرنسية، لكن كل محاولاتها باءت بالفشل، نتيجة مصالح فرنسا في المنطقة:

١ـ في عام ١٩٢٩ طالب خمسة من النواب الكرد في البرلمان بمنح المناطق الكردية الحكم الذاتي (الاداري)، لكن محاولتهم باءت بالفشل جراء معارضة الكتلة الوطنية وسلطات الانتداب على السواء.

٢ـ في ٦ شباط عام ١٩٣٠ تقدم حاجو آغا للسلطات الفرنسية في القامشلي بعريضة موجهة للمفوض السامي، تضمنت المطالبة بحكم ذاتي في الجزيرة، لكنها قوبلت بالرفض.

٣ـ وفي حزيران ١٩٣٢ قدمت عريضة موقعة من قبل أكثر من ١٠٠ شخصية معتبرة من وجهاء الكرد والمسيحيين في الجزيرة، منهم: محمود ابراهيم باشا، حاجو آغا، كاميران بدرخان، عبدى خلو،خليل بك، ميشيل دومة، المطران يعقوب حنا حبى وآخرين، طالبوا فيها باقامة ادارة ذاتية كردية ـ مسيحية في الجزيرة، وقدمها كاميران بدرخان وحاجو آغا إلى المندوب السامي الفرنسي في بيروت، لكنها لم تجدِ نفعاً[١].

٤ـ وعقد مؤتمر سى متِك Sêmitik عام ١٩٣٨، حضره كثيرون، ومنهم: حاجو آغا، ميشيل دوم، عبدالكريم منلا، بحدى قريو، محمد العبدالرحمن، طالبوا بالحكم الذاتي للجزيرة ورفعوا إلى سلطات الانتداب أموراً أخرى[٢].

لكن الصراع احتدم بين أنصار الكتلة الوطنية والمنادين بالاستقلال في الجزيرة، ففي الانتخابات النيابية لعام ١٩٣٦ فازت قائمة المنادين بالحكم الذاتي، فرفض أنصار الكتلة الوطنية النتائج متهمين المحافظ بتزوير الانتخابات، وامتنع المجلس النيابي على تصديق النتائج بضغط من دهام الهادي، لكن سعيد اسحق هدد

---

(١)– راجع: محمد جمال باروت ـ التكوّن التاريخي الحديث للجزيرة السورية – مصدر سابق ـ ص٣٩٣، وراجع: برهان نجم الدين شرفاني ـ مصدر سابق ـ ص١١٠.

(٢)ـ اسماعيل حصاف(الدكتور) تاريخ كردستان سوريا المعاصر ـ الجزء ١ـ مصدر سابق ـ ص٤٢١.

بالانسحاب من مجلس النواب إذا استمر المجلس في مماطلته، كما هدد حاجو وحلفاؤه بالتمرد ضد الحكومة إذا لم يُصادق على نتائج الانتخابات، لكن المجلس صادق على تثبيت النواب: خليل ابراهيم باشا، سعيد اسحق، قدور الحاج علي ممن يمثلون المنادين بالحكم الذاتي، وانسحب دهام الهادي من الجلسة مهدداً النائب قدور بتصفية الحساب معه في الجزيرة[١]. وعلى أثر ذلك انقسم السريان، ففي الوقت الذي أيد السريان الكاثوليك وعلى رأسهم المطران يعقوب حبى النتائج، رفضها السريان الأرثوذكس بسبب سقوط مرشحهم يونان هدايا[٢].

واشتد الصراع العربي ـ الكردي في الجزيرة، بين ملّان وشمّر، وكيكان والبقارة، والكوجر وشمّر، وميرسينا والجبور، وبدأ البدو بغزو القرى الكردية. مما يستنتج من كل ما قيل، بأن ضم جزء من كردستان أرضاً وشعباً إلى هذا الكيان العربي الناشئ (سوريا) وفق سايكس ـ بيكو، كان لعنة من بريطانيا وفرنسا حلت على الكرد لن ينسوها على مدى التاريخ.

ثالثاً: الحركة الثقافية في ظل الانتداب

"النابغة، يعيش دوماً بين الشعب كالشرارة في الصوان، حيث يكفي تلاقي الظروف لتندلع تلك الشرارة"

(ستندال)

المدخل:

بعد تقسيم تركة الدولة العثمانية وإلحاق جزء من كردستان بالكيان السوري المستحدث، صار سكان هذا الجزء من الكرد، بمثابة رعايا سوريا الناشئة (فانفتحت أمامهم في مرحلة الانتداب فرصة نسبية للمشاركة والاندماج في الحياة السياسية والادارية والعسكرية في البلاد)[٣].

تأسست قاعدة ثقافية كردية وصرحاً شامخاً في كردستان سوريا في عهد الانتداب الفرنسي (١٩٢٠– ١٩٤٦)، وكان للبدرخانيين – الذين كانوا بمثابة الشرارة

---

(١)ـ محمد جمال باروت ـ مصدر سابق ـ ص٤٢١.

(٢)ـ اسماعيل حصاف (الدكتور): تاريخ كردستان سوريا المعاصر ـ الجزء ١ـ مصدر سابق ـ ص٣٧٥.

(٣)– علي شمدين: الحركة الكردية في سوريا وظاهرة الانشقاقات – ط١عام ٢٠١٦ – ص٣٢.

في الصوان على حد وصف ستندال – الفضل الأكبر في ذلك، خصوصاً جلادت وكاميران، علاوة على أبناء جميل باشا (قدري وأكرم) ونورالدين زازا، يُضاف إليهم روندو، ليسكو، توماس بوا. قول ستندال له وقع خاص في تاريخ البدرخانيين، فهم كالمشكاة التي إهتدى بها المقهورون الكرد في ليل كردستان الطويل.

بعد النزوح الاضطراري للبدرخانيين وأبناء جميل باشا وغيرهم نتيجة بطش أتاتورك وزبانيته، انصب اهتمامهم الرئيس على الشأن الثقافي، خصوصاً اللغة؛ لأن اللغة ليست أداة تواصل فحسب، وإنما لها بنيانها الفكري، وبالتالي تحدد، غالباً، طريقة التفكير والتفاعل فالتأثير على حد وصف الدكتور عبد الرحمن منيف. وقد أفاد جلادت بدرخان وفق توصيف بليغ، قائلاً: إن الأمة الخاضعة لغيرها ولم تنسَ لغتها، تشبه السجين الذي بحوزته مفتاح الزنزانة، يَفتحُ يوماً من الأيام باب السجن ويذهب. لكن مَنْ ينسى لغته، يفقد مفتاح زنزانته، ويغدو أسيراً في حوزة عدوه.

على هذا النحو صارت الثقافة عامة والأدب خاصة هاجس المهَجَّرين من آل بدرخان وأمثالهم، لأنها تجعل الانسان أكثر وعياً وإدراكاً بواقعه، فيحفزه هذا الوعي والادراك على النضال من أجل تغيير هذا الواقع؛ وما شجع البدرخانيين وغيرهم على المضي قدماً على صعيد تكوين الجمعيات واقامة النوادي واصدار الصحف والمجالات، هو أن سلطات الانتداب أفسحت لهم التنشيط في هذا المجال، لكن السلطات في العهد الوطني بدأت بمحاربة اللغة الكردية واغلاق الجمعيات والنوادي واقتحام المراكز التي كانت تطبع فيها الكتب والصحف والمجلات. انصب الاهتمام على المجالات التالية:

١ـ الكُتّاب:

دامت حكمدارية آل بدرخان ما ينوف عن ثلاثة قرون، وبانهيار امارة بوتان، تشرد معظمهم في ديار الغربة هرباً من الطغيان التركي، لكن رغم المعاناة استطاع أفراد العائلة البدرخانية والآخرون أن يقدموا خدمات جليلة لأمتهم في ميادين الثقافة وبث الوعي القومي وتعريف العالم بعدالة القضية الكردية، بعد أن تبددت آمالهم، وانصرفوا إلى جبهة أخرى، أعني جبهة الثقافة، دون أن ينال منهم اليأس.

أ – أمين عالي بدرخان (١٨٥١– ١٩٢٦): أسس مع آخرين في استانبول جمعية (التعالي والترقي الكردية) عام ١٩٠٨م، والتي كانت تصدر مجلة (الكردي)،

لكن الاتحاديين الذين استولوا على السلطة حلوا الجمعية، فأسس جمعية أخرى تحت اسم (جمعية نشر المعارف الكردية)، ولاحقاً أسس مع أولاده (ثريا، جلادت، كاميران) جمعية (التشكيلات الاجتماعية الكردية).

ب – ثريا أمين عالي بدرخان (١٨٨٣– ١٩٣٨): من كتبه (القضية الكردية: ماضي الكرد وحاضره)، نشره باسم (د. بله ج شيركو). أصدر مجلة زين عام ١٩١٦ في القاهرة، وأسس فيها جمعية الاستقلال الكردي عام ١٩٢٠.

ج – كاميران أمين عالي بدرخان (١٨٩٥– ١٩٧٨): ولد في استانبول في ٢١ آب، أصدر كمال أتاتورك بحقه وبحق جلادت وثريا حكم الاعدام بسبب نشاطهم السياسي والثقافي[١]، نال درجة الدكتوراه في الحقوق من ألمانيا، أصدر في بيروت بين ١٩٤٣– ١٩٤٧ جريدة روزا نو/ اليوم الجديد، وجريدة ستير/ النجمة، ومجلة بالفرنسية في باريس. كان يتقن: الفارسية، التركية، العربية، الفرنسية، الألمانية، الانكليزية، اضافة إلى لغته الأم. عين مدرساً في السوربون ودرّس فيها (قسم اللغات الشرقية/ اللغة الكردية)، افتتح مدرسة كردية عام ١٩٤٣ في بيروت، وأصدر جريدة Roja Nû و Stêr، وألف في فقه اللغة الكردية، ووضع تفسيراً لجزء من القرآن بالكردية، كما ترجم بعض الأحاديث النبوية إلى الكردية وترك لنا ٢٨ كتاباً[٢]. في عام ١٩٧٠ التقى بمصطفى بارزاني، وأصبح ممثله والناطق الرسمي باسم الثورة في أوربا[٣]، وافاه الأجل في باريس وأوصى بالتبرع بجسده.

د – مقداد مدحت بدرخان: الذي يعود له الفضل في اصدار أول صحيفة كردية تحت اسم (كردستان) في ٢٢ نيسان عام ١٨٩٨ في القاهرة، وكانت الجريدة تصل إلى كل أنحاء كردستان والمهاجر، وهي تحث الشعب على النهوض والمقاومة، مما حدا بالعثمانيين إلى حظرها وملاحقة موزعيها.

هـ – عبدالرحمن مدحت بدرخان: إلى جانب مساعدته لأخيه مقداد في اصدار صحيفة كردستان، كان: (يساهم في اصدار جريدة العثمانلي، لسان حال حزب الاتحاد والترقي، المعارضة للسلطان، والتي كانت تدعو إلى اللامركزية في الامبراطورية

---

(١)– هياس كاكه يى: مجلة كولان العربي – العدد ٢٥/ ٢٥ حزيران ١٩٩٨ – ص٩٢.

(٢)– هياس كاكه يى – مجلة كولان العربي – مصدر سابق – ص٩٢و٩٣.

(٣)– كونى ره ش: الأمير جلادت بدرخان – مصدر سابق – ص٣٣و٣٤.

العثمانية، وتأمين حقوق الأقليات العرقية والدينية فيها)[1]، لكنه كان يدعو إلى دولة كردية مستقلة، وهذا يتناقض مع مبادىء الحزب المذكور.

و – جلادت أمين عالي بدرخان (١٨٩٣– ١٩٥١): كان يعتقد بأن الخطوة الأولى في وحدة اللغة، تكمن في تنميطها ولتْنَتَتِها، من هنا عقد العزم على وضع الألفباء اللاتينية منذ عام ١٩١٩. أسس مع آخرين الجمعية الخيرية للأكراد المشردين في مدينة الحسكة، ومن مؤسسي خويبون. توجه إلى ألمانيا، وحاز على الدكتوراه في الحقوق، واتجه إلى بلاد الشام بعد مساهمته في ثورة الشيخ سعيد، وبقي فيها إلى أن وافاه الأجل في١٥/٧/ ١٩٥١. أصدر بمساعدة أخيه كاميران بدرخان في دمشق مجلة (هاوار/ الصرخة) الشهرية بالأبجدية اللاتينية بين ١٩٣٢– ١٩٤٣، ثم أصدرها باللغتين الكردية والفرنسية، والتي توقفت عن الصدور عام ١٩٤٥. وفي فترة ١٩٤٢– ١٩٤٥ أصدر مجلة روناهي كملحق مصور لهاوار. كان الأمير جلادت يتقن: الفارسية، التركية، العربية، اليونانية، الألمانية، الفرنسية، الانكليزية، الروسية، بالاضافة إلى لغته الأم. من مؤلفاته: قواعد الألفباء الكردية، صفحات من الألفباء، المولد النبوي، صلوات الايزيديين، رسالة إلى مصطفى كمال باشا، القواعد الكردية، القاموس الكردي – الفرنسي، القاموس الكردي – الكردي، مذكراته، اعرف نفسك، كتاب سينم خان، مسرحية هفند، ديوان شعر..الخ.

ل – عبد الرزاق بدرخان (١٨٦٤– ١٩١٨): ولد في استانبول ودرس اللغات الشرقية والفرنسية، توجه إلى أورمية لعلاقاته الحسنة مع ايران وروسيا، كان يأمل من الأخيرة دعم الكرد، لكنها خيبت أمله. أصدر جريدة كردستان عام ١٩٠٨، ومجلة شهرية باسم كردستان عام ١٩١٢، كما أسس جمعية ثقافية كردية (جيهان زاني/ عالم المعرفة) عام ١٩١٣، وفتح أول مدرسة كردية في خويي. كانت تربطه علاقات مع سمكو شكاك والشيخ عبدالسلام بارزاني.

م – روشن بدرخان (١٩٠٩– ١٩٩٢): زوجة الأمير جلادت، خلفت منه جمشيد وسينم خان، وافاها الأجل في بانياس عام ١٩٩٢، ودفنت في دمشق. عملت في مجال التأليف والترجمة إلى العربية، من كتبها (صفحات من الأدب الكردي/١٩٥٤)، كما ترجمت: مذكرات معلمة (٣ أجزاء)، وغرامي وآلامي، رسالة الشعب الكردي، رسالة

---

[1]– هياس كاكه يى – مجلة كولان العربي – مصدر سابق – ص٩٠.

جلادت بدرخان إلى مصطفى كمال باشا، مذكراتي: صالح بدرخان، مـذكرات امـرأة.. الخ.

٢ـ تنميط اللغة:

وردت في كتاب (شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام) لأحمد بن أبي بكر بـن وحشية النبطـي الكلـداني صـورة للألفبـاء الكرديـة الـتي كانـت رائجـة الاسـتعمال في كردستان قبل ظهور الاسـلام وانتشـاره فيهـا[١]. وفي كردسـتان العـراق جـرت عمليـة التحوير على الألفباء العربية كي تغدو معبرة عن الأصوات في اللغة الكرديـة، بينمـا في كردستان سوريا وتركيا تستخدم الألفباء اللاتينية، وهكذا فان وضـع الألفبـاء عمليـة تاريخية معقدة وذات مراحل، بدأت بألفباء خاصة قبل الاسـلام ثـم بتحـوير الألفبـاء العربية ثم بِلَتْنَتَة (من اللاتينية) الألفبـاء، ومـن ثـم إختيـار المعيـار (اللهجـة)، لكـن مازالت عملية التنميط قاصرة وتنتظر صياغة المعيار وتوطينه (القبول به) أيضاً.

المرحلة الأولى – الألفباء: كان البـدرخانيان (جـلادت وكـاميران) علـى يقـين، ومعهما توفيق وهبي وبيير رندو وروجيه ليسكو، بأن توحيد الأمة يبدأ بتوحيد اللغة وتوحيد اللغة يبدأ كخطوة أولى بتوحيـد الألفبـاء كمـا أسـلفنا. وتوصـلوا إلى نتيجـة مفادها أن الألفباء العربية عاجزة عن التعبير عن الحروف الصوتية في اللغـة الكرديـة، ناهيـك عـن بعـض الأحـرف الجامـدة V - P - J - G - Ç، كـون اللغـة الكرديـة لهـا خصوصيتها كاحدى اللغات الهندو– أوربية، الـتي تتميـز عـن العربيـة في مجـال علـم الفونيتيك والقواعد، من هنا بـدأ جـلادت في وضـع الأبجديـة اللاتينيـة في الجزيـرة وتم اعتمادها في اجتمـاع لخويبـون عـام ١٩٣١ في منـزل علـي زلفـو آغـا بدمشـق. فيـذكر جلادت: (الألفباء التي نكتب بها جاءت نتيجة جهود طويلة، ففي سنة ١٩١٩م عنـدما كنا نجتاز جبال ملاطيى، أصبحنا بين أفراد عشـيرة رشـوانا، وكـان برفقتنـا العقيـد الانكليزي نوئيل، الذي كان يتقن اللهجة السورانية، كان يتوق في الوقت ذاتـه لمعرفـة اللهجة الكرمانجية، لذلك كان يدون كل المفردات الـتي تصـادفنا، وأنـا بـدوري كنـت أدون ما أجده من الأقوال الكردية المأثورة والحكايات، وفي بعض الأحيان كنا نراجع

---

[١]– ينظر: محمد الملا عبدالكريم – مجلة كولان العربي – العدد٤١ تاريخ ٣١ تشرين الأول ١٩٩٩. راجع أيضاً(د. محمود زايد – دولة كردستان المستقلة والمؤامرات الغربية والاقليمية لاجهاضـها – ط١عـام ٢٠١٥/ القاهرة – الناشر: دار الرواق الأزهري – ص٢٨).

ما كتبناه بغرض تشذيبه، وقد لفت انتباهي أن العقيد نوئيل يتلو مخطوطه بسلاسة ولكنة أجنبية واضحة، بيد أنني كنت أواجه صعوبات كثيرة جداً بين قراءتي لكل من الـ(أو – Û) و (و – O) وبين (ي – Î) و (ى – Ê)، وهذا ما دعاني لأن أستفسر عن سر تلكؤي الشخصي في الوقت الذي كنت أنظر إلى لفظ العقيد نوئيل باعجاب بالغ، وقد تبين لي فيما بعد أن السر يكمن في أن العقيد يستخدم الحرف اللاتيني أثناء القراءة والكتابة، أما أنا فأستخدم الحرف العربي، لذلك قررت على الفور أن أعد ألفباء كردية بالحرف اللاتيني)[١]، ومضى جلادت في مشروعه الذي يسهل استخدامه في كافة اللهجات الكردية، ورأى بعد ثلاثة عشر عاماً أن حروف الأبجدية البالغة ٣١ حرفاً (صالحة لاستيعاب الأصوات الرئيسية بكاملها في اللهجات الكردية الثلاث)[٢]، فضلاً عن الاختصارات الاملائية، فبدلاً من الحرفين CH اكتفي بحرف واحد هو Ç، وبدلاً من الحرفين SH (ش) في الانكليزية اكتفى بـ Ş. يضاف إلى ما ذكر، وجد أن الحروف (ص، ض، ط، ظ، ع، ذ، ث) الموجودة في العربية، لا وجود لها في الكردية، من هنا يكمن اشكال الاعتماد على الألفباء العربية. وقد ابتدع جلادت هذه الألفباء قبل أن تصيغ تركيا ألفباءها، لكن لم يتسنَ له نشرها. وقد سبق لآخرين أن بذلوا جهوداً مضنية على هذا الصعيد، ومنهم العالم اللغوي الأرمني موروغولوف، صديق الكرد، الذي أجهد لابتداع ألفباء للكرد القاطنين في أرمينيا، والتي طبعت عام ١٩٣١، لكن في عام ١٩٣٧صدر قرار إلغائها واستبدالها بالحروف الكيريلية[٣]، وكذلك توفيق وهبي وغيرهما.

هكذا بدأت أول خطوة بـ (لَتْنَنَة) الألفباء الكردية، لكن واجهتها عقبتان منذ البدء، تمثلت **الأولى** بالاعتراضات من الوسط الديني الكردي الذي كان ينظر إلى الألفباء العربية بعين من التبجيل والتقديس، كونها الألفباء التي نزل بها القرآن، من هنا فان هذا الاستبدال – وفق زعمهم – ماهو إلا خطوة خطيرة هدفها المساس بعلاقة الكرد بالإسلام، مما أثارت حفيظة المتشددين منهم. فحين دعا عبدالله جودت في مجلة (روزا كُرد) التي كانت تصدرها منظمة هيفي (هيوا)في عام ١٩١٠و١٩١٢في

([١])– كونى ره ش: الأمير جلادت بدرخان – مصدر سابق – ص١١١.

([٢])– جلادت بدرخان: مجلة هاوار – العدد ٢– دمشق١٩٣٢.

([٣])– كونى ره ش: الأمير جلادت بدرخان – مصدر سابق – ص١١٨.

استانبول إلى الكتابة باللاتينية، لأن أصوات الحروف في اللغة العربية غير ملائمة، رُدّ عليه أن هذه الدعوة غير ضرورية، وأن الحروف العربية بعد احداث تغييرات بسيطة يمكن أن تخدم الكرد كما خدمت الفرس، وأعتبرت الفكرة جناية بحق الشرع .. ![1]، كما لاقت في نفس الوقت امتعاضاً من لدن الكرد الذين كانوا يستخدمون الأبجدية العربية المعدلة كما في كردستان العراق. أما العقبة **الثانية** فكانت من جهة الأوساط الشوفينية العربية التي نظرت إلى الأمر بعين من الشك والريبة، كون اللتننة شكل من أشكال التمييز، بل الاستقلالية، ستعمق الهوة بين العرب والكرد، ولا يُخفى تصدي الحكومات العراقية والسورية بكل حزم حتى في العهد الوطني لهذه الحداثة. وقد كان جلادت يشبه اللغة الكردية المدونة بالألفباء العربية بالرجل المتنكر بثوب يخفي حقيقته، وسبق لـ (توماس بوا) أن قال: (إن الكتابة باللاتينية، التي تطمح بأن تكون شاملة، تشجع التبادل الدولي، الثقافي والتقني والتجاري، كما يصير بامكان الشرقيين تعلم اللغات الغربية بسهولة، لينضموا إلى ركب العالم المتمدن، وبالمقابل يصير في وسع الغربيين تعلم اللغة الكردية بسهولة)[2]، وهكذا يظهر أن الفرنسيَيْن (رندو وليسكو) قد شجعا البدرخانيين على المضي قدماً في اللتننة، بوصفها – على حد قولهم – خطوة جريئة نحو العصرنة والحداثة. ويشير جوردي غورغاس إلى المفارقة التي تتمثل في رغبة البدرخانيين في التمايز عن الشعوب السامية (العربية) والمنغولية (التركية) من جهة، ووضع ألفباء لاتينية محاكاة لتركيا الكمالية من جهة أخرى، وأضاف بأن جلادت لم يقدم على هذه المحاكاة إلا ليمهد الطريق أمام الكرد في كردستان تركيا الاقبال على الألفباء الكردية، كونهم يتقنون الألفباء التركية. ولم تلقَ هذه الخطوة الا الامتعاض من الناطقين باللهجات الكردية الأخرى، التي اتخذت الألفباء العربية المعدلة في مجال تنميط اللغة (اختيار الألفباء، والمعيار/ اللهجة)، في كل من كردستان العراق وايران، وكان إبراهيم أحمد من المصرين أن تبقى السورانية لغة التعليم في كردستان العراق، بينما موقف مام جلال كان أكثر ليونة وأقل تشدداً على حد قول عصمت شريف وانلي[3]، ويرى وانلي أن من الصعوبة بمكان الوصول الى اللغة المعيارية الا من خلال توحيد الألفباء بداية[4].

---

(1)- محمد جمال باروت - مصدر سابق - ص٣٩٠.

(2)– جوردي غورغاس: الحركة الكردية التركية في المنفى – مصدر سابق – ص٣٥٤ و٣٥٥.

(3)– من مذكرات عصمت شريف وانلي – مصدر سابق – ص٧٦.

(4)– المصدر السابق – ص٧٣.

وضـع جـلادت الابجديـة اللاتينيـة وهاهنـا تكمـن مأثرتـه، فقـد أنقـذ الكـرد في كردسـتان تركيـا: (مـن خطـر جسـيم كـان يهـددهم بسـلبهم امكانيـة قـراءة الكرديـة والكتابة بها والى الأبد، وذلك حينما فرض مصـطفى كمـال بصـورة قسـرية الأبجديـة اللاتينية في الدولة التركية الحديثة، وألغى بفرمانات صارمة استخدام الأحرف العربيـة التي كانت تكتب بها التركية سـابقاً. فـالخطر كـان يهـدد الكرديـة أيضـاً الـتي كانـت تكتب هي الأخرى في ذلك الحـين بـالأحرف العربيـة المعدلـة)[1]. وبـدأت مجلـة هـاوار تصدر بداية بالحروف العربية واللاتينية في آن من العـدد ١– ٢٣/ أيـار ١٩٣٢– تمـوز ١٩٣٣، ثـم صـدرت باللاتينيـة فقـط بـدءاً مـن العـدد ٢٤– ٥٧/ نيسـان ١٩٣٤– آب١٩٤٣. وتعاون المسـتكرد روجيـه ليسـكو والأمـير جـلادت بـدرخان، علـى وضـع الأبجدية اللاتينية، حروفها هي:

١– الكبيرة:

(A – B – C – Ç – D – E – Ê – F – G – H – I - Î- J – K – L – M – N – O – P – Q – R – S – Ş – T – U – Û – V – W – X – Y-- z)

٢– الصغيرة:

(a – b – c – ç – d – e – ê – f – g – h – I – î – j – k – l – m – n – o – p – q – r – s – ş – t – u – û – v – w – x – y - z)

٣– الحروف الصوتية:

أ – القصيرة: e - I - u

ب – الطويلة: a - ê - î- o - û

المرحلة الثانية – اختيار المعيار: وهي الخطوة الثانية في عملية تنمـيط اللغـة، وتعـني وفـق نمـوذج (إينـار هـوغن) إختيـار إحـدى اللـهجات. ومـن المفيـد قولـه أن الأخوين بدرخان اضطرا إلى اختيار اللهجة الكرمانجية في تنميط اللغة، وكان الرهـان هـو الاعتمـاد علـى كلاسـيكيي الأدب الكـردي (فقهـى تـيرا، الحريـري، الجزيـري، خاني...الخ) والأدب الشفاهي الكردي من جهة، وحجم الناطقين بالكرمانجية من جهة أخرى، ثم اختارا من الكرمانجية (الفرع البوتاني)، كما أعـدَّ المرحـوم توفيـق وهـبي

[1]– عبدالباسط سيدا – المسألة الكردية في سوريا – مصدر سابق – ص٥٩.

والميجر ادموندز بدورهما عام ١٩٣٣ ألفباء لاتينية، لكن وهبي اعتمد هو الآخر اللهجة المحكية في السليمانية.

المرحلة الثالثة – صياغة المعيار: لكن النجاح في عملية تنميط اللغة يقتضي المضي قدماً وفق مخطط (هوغن)، في تحقيق المرحلة الثالثة (صياغة المعيار) التي تستدعي توسيع وظائف اللغة والتكيف مع كافة حقول المعرفة عبر تحديث معاني الكلمات الدارسة وخلق كلمات جديدة أو استعارتها من لغات أخرى في إطار حداثي.

المرحلة الرابعة – توطين المعيار أو القبول به: والتوطين أو القبول به مرهون بالظروف السياسية والاجتماعية التي تهيء الظروف المناسبة لبناء المؤسسات الثقافية[١].

وقد سبق لي أن نشرت مقالة تناولت فيها تنميط اللغة الكردية كعملية غير منجزة، بعد اشتداد اللغط في الوسط الثقافي الكردي، وكانت المقالة تحت عنوان:«لنحتكم أمام الطليان هذه المرة»[٢] ومما جاء فيها:

اننا حقاً نواجه إشكالات عدة على صعيد اللغة المعيارية أعني تنميطها، منها ما هو موضوعي، ومنها ما هو ذاتي محض، ومن هذه الاشكالات: تعدد اللهجات، واعتماد ألفباءات متنوعة، ناهيك عن السياسات المنتهجة من قبل الأنظمة المتحكمة بمصير الكرد، تلك التي لم توفر وسيلة لتبخيس لغتنا وتقزيم هويتنا عبر عصور الظلام التي مرت على أمتنا إلا وجربتها. ما من شك أن الكرد يطمحون من دون شك للوصول يوماً ما لبناء لغتهم المعيارية الموحدة، لأن الاغراق في المحلية (أعني اللهجات) يشكل – دون موارية – خطراً من جملة الأخطار المحدقة بنا، يحمل في طياته العديد من التناقضات. ولا بأس من أن نحتكم أمام الطليان/ الايطاليين، وفي مقدمتهم أنطونيو غرامشي، الذي سبق له أن طرح موضوعاً مشابهاً في كتاباته، وفي ظل ظروف شهدت فيها مناطق شمال ايطاليا تقدماً ملحوظاً، حيث كانت أكثر مناطقها تطوراً في ميادين الاقتصاد، وذلك بخلاف الجنوب الايطالي الأقل تطوراً.

---

(١)– جوردي غورغاس: الحركة الكردية التركية في المنفى – مصدر سابق – ص٣٥٩و٣٦٠.

(٢)– راجع علي جزيري: حكايات سياسية/ مكاشفات صريحة حول ثنائية السائد والمُهَمّش – من اصدارات جامعة دهوك – مركز الأبحاث العلمية والدراسات الكردية – عام ٢٠١٢.

أجل، استطاع غرامشي، بحسه المرهف وبصيرته الثاقبة أن يشخص الواقع، وتمكن من قراءة إشكالية تعدد اللهجات في ايطاليا، معللاً إياها بالتفاوت في التطور التاريخي بين الشمال والجنوب، لكنه في الوقت ذاته، رفض رفضاً قاطعاً فرض لهجة إقليم (توسكاني) على كل ايطاليا، وفق دعوة (مازوني)، وتبنى موقف (اسكولي) المعارض، انطلاقاً من أن اللغة المعيارية لا يمكن فرضها قسراً أو بأمر اداري، رغم أنه كان يُدرك تماماً أن التوسكانية كان لها باعٍ طويل منذ القرن (١٤)م وحتى القرن (١٦)م، ولها كتابها من أمثال دانتي، فضلاً عن التطور الاقتصادي (الصناعي) وازدهار التجارة في اقليم توسكانا، إلى الحد الذي كان فيه تجارها يبيعون منتوجاتهم باسمائها المحلية في كل أنحاء ايطاليا.

ولعل المتأمل يستنتج، في ضوء مقاربة هذه الرؤية العميقة، بأن تعدد اللهجات في لغتنا – رغم ما يشكله من ثراء من ناحية – له أسبابه التي تكمن في التفاوت عبر التطور التاريخي بين منطقة وأخرى، وقد ساهمت عوامل عدة في انتاج هذا التفاوت واستمراريته، منها مثلاً: الجغرافيا الطبيعية لكردستان، خصوصاً تضاريسها المعقدة التي لعبت دوراً على هذا الصعيد، وعمقت من هذا التفاوت **أولاً**، والظروف السياسية المجزِّئة لكردستان من جهة والهيمنة الأجنبية عليها والغزوات التي تعرضت لها من جهة أخرى، تلك التي ساهمت بدورها في صيرورة هذا التفاوت اللغوي **ثانياً**، ناهيك عن تأخر ظهور البرجوازية الكردية، هذا التأخر الذي لعب دوراً مميزاً في ديمومة التفاوت من خلال كبح نمو الوعي القومي **ثالثاً**، وأخيراً اليافطة الاسلامية التي حملت في تضاعيفها بذور تنويم وتخدير الكرد لمئات من السنين، والتي استغلتها الأنظمة المستبدة التي كانت تتمسح برداء الاسلام ايما استغلال **رابعاً**. وفيما يتعلق بهذه النقطة الأخيرة، لا بد من الاشارة إلى أن الشعب الكردي: (منذ عهود ما قبل الاسلام، كان يملك أدباً غنياً، لكنه بعد الدخول في الاسلام، وبالأخص في فترة حكم السلاطين العثمانيين، ونتيجة للتعلق الشديد بمبادىء الاسلام والانقياد وراء الخلافة، نسي هذا الشعب الكثير عن ذاتيته، وكَفَّ عن استخدام لغته القومية المدونة الغنية)[1].

---

(1)– قدري جميل باشا/ زنار سلوبي: مسألة كردستان/٦٠عاماً من النضال المسلح للشعب الكردي ضد العبودية – ط٢– ص٤٧.

مامن شك أن الكرمانجية، كانت اللهجة التي كُتِبَت بها رائعة الكرد (مم و زين)، فضلاً عن اشعار الحريري والجزيري وفقى تيران وغيرهم قديماً وحديثاً، مثلما أضحت السورانية لاحقاً، هي اللهجة التي كتبت بها ابداعات شتى، ناهيك عن اللهجات الأخرى ستظل مبعث الفخر للكرد جميعاً. لكن هذا يجب ألا يدفعنا إلى التخندق أو تسييس الأمر، بل يجب علينا جميعاً أن نتحلى بنفس تاريخي، كيلا نهدر طاقاتنا في معارك هامشية، فأنا على يقين من أن الكثير من مثل هذه الاشكالات اللغوية عانت منها أمم كثيرة غيرنا، ومازالت هناك أمم تعيش في الجوار تسعى مثلنا جاهدة لتجاوزها، فالمستقبل كفيل بايجاد الحلول الناجعة لها بكل تأكيد، سيما إذا ما استطاع الكرد تقرير مصيرهم بأنفسهم. كما أنني أدرك تماماً في الوقت نفسه مدى تمسك كل منا بلهجته وألفبائه التي تربى عليها وهو صغير، ولكن هذا الأمر لا يبرر أن تكون اللغة المعيارية المتوخاة قيصرية بأي شكل من الأشكال.

٣- السلطة الرابعة (الصحف والمجلات):

شاعت تاريخياً عادة استخدام الوسائل البصرية (النار، الدخان، المرايا والرايات) والسمعية (الطبول، الأجراس، ثم المدافع فيما بعد)، في فترات موغلة في القدم كوسائل إعلامية للإخبار عن خطر داهم، أو تبليغ رسالة محددة. ومن ثم ظهر المراسل (راكب الدابة)، فالحمام الزاجل. ويقال بأنه حينما سقطت (طروادة)، انتشر الخبر كالنار في الهشيم عبر رجال المراقبة (الذين كانوا يقضون الليالي في قمم الجبال، وإلى جوار كل منهم كومة كبيرة من الأخشاب، معدة لاشعال النار في أية لحظة)، فيبدأ الأول باشعالها إيذاناً بالحدث المرتقب، ثم يليه الثاني فالثالث فالأخير، حتى ينتشر الخبر في كل المنطقة. وبظهور المطبعة على يد (غوتنبرغ) في القرن ١٥م، دخلت الصحافة مرحلة جديدة، فظهرت أولى الصحف والمجلات إلى النور في مطلع القرن ١٧م في اوربا. أما أول صحيفة كردية، فهي صحيفة «كردستان»، التي أسسها مقداد مدحت بدرخان في المنفى بالقاهرة في ٢٢نيسان ١٨٩٨، وأضحى هذا اليوم عيداً يحتفى به الكرد سنوياً، لاحياء ذكراها السنوية. كانت هذه الصحيفة ومنذ انطلاقتها تعبر عن ضرورة مواجهة الاستبداد العثماني، كما كانت منبراً لكل الأحرار في أرجاء كردستان، وأداة للتعبئة الجماهيرية، ووسيلة لتعريف الآخرين بعدالة القضية الكردية.

الدوافع الرئيسية من وراء اهتمام النخبة الكردية المثقفة (الانتلجنسيا) أو الرواد الأوائل في اصدار هذه الصحيفة، ومحاولتهم للارتقاء بمستواها شكلاً ومضموناً، باعتبارها لسان حال الكُرد، كانت: **أولاً** – مناهضة السياسات المنتهجة من لدن الدول المقتسمة لبلاد الكرد، والتي تتوخى إخضاع الكرد بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى. **وثانياً** – شعور المثقف الكردي بضرورة إيجاد صحافة بديلة للصحافة الرسمية، لأن هذه الأخيرة كانت تتجاهل الشأن الكردي عن عمد أو كانت تمارس دوراً مضللاً تجاه الكرد، بغية هندسة الوعي الكردي بما ينسجم مع مصالح الدول المهيمنة ويخدم مصالحها.

ما من شك أن الصحافة الملتزمة تستأثر بمكانة مرموقة في حياة الشعوب، ولولا ذلك لما قال (نابليون): إني أتوجس خيفة من ثلاث جرائد أكثر مما أتوجس من مئة ألف مقاتل. والصحفي كالأديب، لا يمكن أن يكون متفرجاً أو يروي الأحداث فقط – على حد قول سلامة موسى – غير معني بما يصيب الأمة... لا، ليس هناك برج عاجي في الأدب أو في الاعلام والصحافة. بيد أن حرية الصحافة الكردية مرتبطة بحرية الانسان الكردي ارتباطاً وثيقاً، من هنا يمكن فهم واقع الصحافة الكردية في كردستان سوريا، حيث عانت وما تزال من آفة الرقابة الصارمة، التي كانت تعدُّ على الكاتب الكردي الأنفاس، لذا ظهرت الصحف السرية (الحقيقة أنها كانت مجرد نشرات) أو ظهرت أول ما ظهرت في المهاجر كما أسلفنا. أجل، فالرقابة من أهم مثبطات الصحافة، فهناك رقابة المجتمع، ورقابة السلطة، المؤديتان إلى تفشي النفاق والانتهازية والخوف من قول الحقيقة، فيُروى مثلاً أن (خروشوف) حين كان يلقي تقريره أمام المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي وينتقد الاستبداد الستاليني، قاطعته صيحة من القاعة يتساءل صاحبها: وأين كنتم حين اقترفت تلك الفظائع؟. سأل خروشوف بلهجة مهدِّدة: مَنْ المتكلم؟. لكنْ ساد صمت عميق. عندئذ، قال خروشوف: أنتم تفهمون الآن لماذا بقيت ساكتاً طوال حكم ستالين.

واليوم، في عصر التقدم التكنولوجي وتقنيات الاتصال والتواصل الالكترونية خاصة، فان التحدي الذي كان يواجه الصحافة الكردية لم يعد بتلك القسوة، حيث تقلصت هيمنة الدولة في ظل العولمة، واتسع نطاق جغرافية الصورة المتمثلة في البث عبر الأقمار الصناعية، الذي يتجاوز حدود جغرافية الانتاج بيسر لا مثيل له. وبالرغم

من المعضلات التي تواجه الصحفيين في كردستان سوريا اليوم، في ظل هذا النظام الشمولي وقوى الارهاب، والتي لا يتسع المجال لتناولها، يكفي الصحافة الكردية في سوريا (إن صح لنا أن نسميها صحافة) أنها لعبت دوراً لا يستهان به في نشر الوعي الكُردي، لكنها مدعوة اليوم أكثر من أي وقت آخر، لتفعيل دورها وتجديد آلياتها شكلاً ومضموناً، كي يتاح لها في مستقبل الأيام تذليل العقبات التي قد تحول دون ممارستها لمهامها، لأن صحافتنا ما زالت تحبو، وتواجهها اشكالات تشل من قدرتها، رغم ما هيأته لها ثورة الاتصالات من ظروف لم نكن نحلم بها حتى الأمس القريب، فتحولت مواقع الانترنيت مثلاً إلى ما يشبه حلبات مصارعة الديكة، إن صح التشبيه، بدلاً من أن تكون نوادي للحوار والتفاهم والتواصل، الذي نحن أحوج ما نكون إليه الآن. ان أهمية الاعلام يتأتى من مساهمته في تكوين أو تشكيل الرأي العام.

تعد صحيفة كردستان هي رائدة الصحف الكردية وفاتحتها، أما المجلات والصحف التي أصدرها جلادت وكاميران بدرخان في دمشق وبيروت في عهد الانتداب الفرنسي، غالباً ما كانا يكتبان فيها بأسمائهما الحقيقية أو يلجآن أحياناً إلى الأسماء المستعارة أثناء الكتابة لغزارة انتاجهما، فهي:

أ- مجلة هاوار- Hawar/ الصرخة أو النداء أو النجدة: وهي مجلة سياسية، أدبية، اجتماعية، نصف شهرية، كانت تصدر بالكردية والفرنسية، وكانت تكتب بالألفباء العربية واللاتينية حتى العدد ٢٣ ثم صدرت بعد ذلك أي بدءاً من العدد ٢٤ بالألفباء اللاتينية، رئيس تحريرها جلادت عالي بدرخان، وقد خصص فيها زاوية للأطفال، لكنه اضطر إلى إلغائها بعد فترة لافتقار المجلة إلى الكادر في هذا الميدان. صدر العدد الأول منها في ١٥أيار١٩٣٢ بدمشق، والأخير في ١٥ آب ١٩٤٣، وصدر منها /٥٧/ عدداً. شاركت الأقلام الكردية من العراق فيها وباللهجة السورانية، مما أثار الأمر حفيظة سلطة الانتداب الانكليزي، التي اتخذت تدابير ومنها تشديد الرقابة على البريد الوارد من سوريا[1]. كانت هناك أقلام كثيرة تنشر فيها مساهماتها، مثل: توفيق وهبي، كَوران، الدكتور نافذ، الدكتور نورالدين زازا، جكرخوين، رشيد كرد، قدري جميل باشا، أحمد نامي...الخ. بداية فسحت فرنسا لجلادت باصدار هاوار في

(١)- الحركة الكردية التركية في المنفى - مصدر سابق - ص٣٢٨.

دمشق، لكنها اتخذت اجراءات قسرية ضد الكرد عامة والمثقفين منهم خاصة، فتم توقيف العشرات منهم ونفيهم إلى دمشق وتدمر، بعد مساندة الكرد للقوميين العرب السوريين عام ١٩٣٧[١].

كان يطبع منها وسطياً ٥٠٠ نسخة غير أنها لم تكن منتظمة الصدور، لذا نجد أن الأعداد من: (١– ٢٣) صدرت بين١٥/٥/١٩٣٢و٢٧/٧/١٩٣٣

(٢٤– ٢٦) صدرت بين١/٤/١٩٣٤و١٨/٨/١٩٣٥

(٢٧– ٥٧) صدرت بين١٥/٤/١٩٤١و١٥/٨/١٩٤٣

ب – مجلة روناهي Ronahî/ **النور:** شهرية، أدبية، كانت بمثابة ملحق مصور لمجلة هاوار، صدر عددها الأول في نيسان عام ١٩٤٢ في دمشق بالألفباء اللاتينية، رئيس تحريرها جلادت عالي بدرخان، توقفت عن الصدور عام ١٩٤٥، وبلغت ٢٨ عدداً. كانت تنشر على صفحاتها أخبار الحرب العالمية الثانية وأخرى عن كردستان ومستقبلها، لكنها كانت في سياستها العامة إلى جانب الحلفاء.

ج– صحيفة روزا نو Roja Nû/ **اليوم الجديد:** سياسية اسبوعية، كان كاميران بدرخان يصدرها من بيروت، بين١٩٤٣– ١٩٤٦، صدر العدد الأول في ٣ أيار١٩٤٣، وعددها الأخير (٧٣) صدر في ٢٧ أيار١٩٤٦[٢]. من كتابها: جلادت، قدري جان، عثمان صبري، جكرخوين...الخ، علاوة على القسم الفرنسي في هاوار وروزا نو الذي كان يحرر بأقلام أجانب، ومنهم: روجيه ليسكو، بيير رندو، توماس بوا، جويس بلو، لكن بدأت السلطة تعرقل جهود البدرخانيين، وعلى رأسهم جلادت، حيث وضع تحت الاقامة الجبرية عام ١٩٤٣.

د – مجلة ستير Stêr/ **النجمة:** كانت بمثابة ملحق مصور لـ (روزا نو)، عبارة عن أربع صفحات ، كان الدكتور كاميران بدرخان يصدرها في دمشق عام ١٩٤٣ بالألفباء اللاتينية، استمرت حتى نهاية ١٩٤٥، صدر منها ثلاثة أعداد فقط.

٤– الكتب:

صدر عن مكتبة هاوار (١٧) كراساً تحت اشراف جلادت بدرخان، منها قاموس كردي – فرنسي من قبل كاميران بدرخان وروجيه ليسكو وشاركهما توماس بوا،

---

(١)– نورالدين زازا: حياتي الكردية – مصدرسابق – ص٦٣.

(٢)– كونى ره ش: تاريخ الصحافة الكردية في سوريا ولبنان – باللغة الكردية – ص٣٢.

وكتاب في قواعد اللغة من قبل جلادت بدرخان وروجيه ليسكو، والألفباء اللاتينية لجلادت بدرخان١٩٣٢، ودراسات أخرى حول الفولكلور والأدب الشفاهي، مثل ملحمة Memê Alan لروجيه ليسكو والتي كتب مقدمتها الدكتور نورالدين زازا، وكتب أخرى بالفرنسية تناولت الشأن الكردي من لدن: بيير روندو المولود عام ١٩٠٤ الذي أجاد الكردية وعمل مع آل بدرخان في القسم الفرنسي من مجلة هاوار ودعم مشروعهم، وروجيه ليسكو المولود عام ١٩١٤، درس الكردية ونشر مجلدين ضما الأمثال والحكايات والأحاجي الكردية وقواعد اللغة الكردية واشترك مع كاميران بدرخان في اعداد قاموس كردي – فرنسي، وكان يكتب في هاوار وروناهي وروزا نو باسم مستعار، أما توماس بوا الدومينيكاني الأكثر قرباً وتعاطفاً مع الكرد وقضيتهم، والمولود عام ١٩٠٠ فقد أصدر كتباً عدة عن الكرد، منها كتاب تحت عنوان (الكرد والحق) عام ١٩٤٧م تحت اسم مستعار هو لوسيان "رامبو"، وانتقل بين العراق وسوريا ولبنان وظل صديقاً حميماً للكرد وعلى رأسهم كاميران بدرخان، هؤلاء الكردولوجيين الثلاث جميعاً كانوا بحق رواد علم الاناسة الكردي.

٥– الجمعيات والنوادي:

جمعية التقدم: ترأسها قدري جميل باشا، وكان سكرتيرها قدري جان، هدفت إلى تطمين العرب وإزالة الشكوك الرائجة عن الخطر الكردي، وتوجيه أنظار كرد سوريا إلى كردستان تركيا، من هنا كانت علاقتها جيدة مع الحزب الشيوعي السوري.

كردستان جمعيتي: تأسست هذه الجمعية في حلب أثناء الانتفاضة الكردية ١٩٢٥، من أهدافها دعم حركة الاستقلال الكردية، انحصر نشاطها في كردستان الشمالية (تركيا)، وغضت السلطات الفرنسية الطرف عنها[1].

جمعية التعاون ومساعدة الفقراء الكرد: تأسست في مدينة الحسكة ١٩٣٢/٩/٢٤، كانت خويبون من ورائها، كان يترأسها حاجو آغا، وأمين الصندوق عارف عباس، أما أعضاؤها فهم: قدري جميل باشا، توفيق جميل، الدكتور أحمد نافذ. وأعضاء الاجتماع التأسيسي: أكرم جميل باشا، حمزة بك مُكسي، شوكت زلفي بك، جكرخوين، ملا أحمد نامي، ملا علي توبز، رسول آغا، صادق مارديني،

---

[1]– علي ميراني: الحركة القومية الكردية في كردستان سوريا – مصدر سابق – ص٤٨.

محمد علي شيخموس (شويش)،عبدى تيلو، توفيق جميل مارديني، حجي عبدالكريم ملا صادق، وكان شوكت زلفي بك يترأس الاجتماع[1]. كان للجمعية منهاج ونظام داخلي، وكانت لها فروع في مختلف المناطق، وكان الدكتور أحمد نافذ ممثلها في دمشق، وكانت تموّل عن طريق التبرعات النقدية والعينية.

جمعية الأمل (Hêvî)**:** جمعية طلابية كردية، أسسها نورالدين زازا عام ١٩٣٧ بدمشق، وكان أعضاؤها الطلاب وبعض ساكني ركن الدين (الحي الكردي)، كانت تضم ١٥ عضواً، ولم تدم سوى سنة ونصف. من خلال المذكرات التي سلمتها إلى السفارات وعصبة الأمم، أيقظت الشباب الكرد في سوريا، ونبهتهم إلى ضرورة وجود تنظيم يجمعهم، وحثت على انشاء نوادي أدبية ورياضية، وكذلك روابط وأحزاب سياسية سرية، لتكون منطلقاً لتأسيس الحزب الديمقراطي الكردي في سوريا عام ١٩٥٧[2].

نادي صلاح الدين: تأسس عام ١٩٣٨ في ركن الدين بعد حيازته لرخصة رسمية، وكانت تلقى فيه الدروس المسائية بالألفباء اللاتينية، لكن بسبب الخلافات بين أعضائه انقسم إلى مجموعة من الفرق الرياضية (آكري، زاغروس، جمشيد)، ثم عادت وتوحدت عام ١٩٤٩ تحت اسم نادي (هنانو).

نادي شباب الكرد: تأسس في بلدة عامودا تحت اشراف جكرخوين عام ١٩٣٨، كان نادياً ثقافياً ورياضياً، لتعليم اللغة الكردية وقراءة الشعر وتدريسه، ثم استلم ادارة النادي محمد علي شويش، وتم تأسيس فريق للكشافة (عدد المنتسبين ٣٠٠ كشاف) ترأسه الاستاذ حمزة، وهو من كرد دمشق، وكان أعضاء الفريق ينشدون المارشات ويحيون المناسبات القومية، ويزينون أكتافهم بعلم كردستان، إلا أن سلطات الانتداب أغلقته وصادرت ممتلكاته[3]. وافتتح النادي مدرسة لتعليم اللغة الكردية[4].

نادي شرف خان البدليسي: في عامودا تحت اشراف قدري جان.

---

(1)– سامي أحمد نامي: فصول من التاريخ الضائع – باللغة الكردية – ستوكهولم/ ٢٠٠٠ – ص٥٦.

(2)– نورالدين زازا: حياتي الكردية – مصدر سابق – ص٦٦.

(3)– علي ميراني: الحركة القومية الكردية في كردستان سوريا – مصدر سابق – ص٥٤ و٥٥.

(4)– سامي نامي: فصول من التاريخ الضائع – مصدر سابق – ص٦٣.

نادي كردستان: أسس عام ١٩٣٨ في الحي الكردي بدمشق (ركن الدين)، انتسب إليه شباب الحي بفضل كل من جلادت بدرخان وعثمان صبري، وكانت المناهج التعليمية باللغة الكردية (الألفباء اللاتينية)، إلى جانب ذلك اهتم النادي بالنشاط الرياضي (كرة القدم) فأسس فريق كردستان عام ١٩٣٩، وكان نورالدين زازا أحد أعضائه، أحرز هذا الفريق عام ١٩٤٠ بطولة دمشق لكرة القدم. وصفه زازا بالقول: (كان فريقنا يثير حماساً شديداً، حيث كان الجمهور يأتي من قامشلي لتشجيع اللاعبين. لقد كان ذلك حدثاً عجيباً، حيث تُسمع أصوات آلاف المتفرجين في قلب دمشق يصيحون بأعلى أصواتهم "هيا ياكردستان، اهجم يا كردستان، عاش كردستان" والصحافة التي كانت تهتم بالمباريات كتبت على عناوينها الكبيرة: كردستان المنتصر)[١]، لكن هذه النشاطات أثارت حفيظة الحكومة التركية، مما إضطرت سلطات الانتداب إلى إيقاف نشاط النادي استجابة للضغوط التركية، فانضم الشباب إلى نادٍ جديد (وحدة الشباب)، كان قد أسسه عثمان صبري عام ١٩٣٩م[٢].

رابطة المثقفين الكرد في سوريا: أسست في أواخر الأربعينات، كانت امتداداً لرابطة الطلبة في حلب، من أهدافها النضال ضد قوات الانتداب ونشر الكتب الكردية بالألفباء اللاتينية.

جمعية إحياء الثقافة الكردية: أسسها عثمان صبري، من أهم أهدافها تعليم أبناء الشعب الكردي لغتهم الأم، قراءة وكتابة، حاربها الحزب الشيوعي السوري.

٦- الاذاعة (الراديو):

كان الراديو من وسائل التعبير المهمة يومئذ، بدأ البث في شهر آذار من عام ١٩٤١، وكان البث يتم من راديو الشرق في بيروت مرتين في الاسبوع (من الساعة الخامسة مساءً وحتى الخامسة والنصف مساءً أي نصف ساعة)، لكن مدة البث تقلصت تدريجياً تحت ضغط الحكومة التركية، ففي نهاية ١٩٤١ أضحت ربع ساعة وفي بداية ١٩٤٢ أضحت عشر دقائق (من السادسة مساءً وحتى السادسة وعشر دقائق مساءً).

---

(١)- نورالدين زازا: حياتي الكردية - مصدر سابق - ص٦٨.

(٢)- علي ميراني: الحركة القومية الكردية في كردستان سوريا - مصدر سابق - ص٥٧.

كان كاميران بدرخان يذيع على الهواء مباشرة برنامجه الذي يتضمن نشرة الأخبار باللهجة الكرمانجية، وكان البث يصل إلى أغلب أجزاء كردستان.

٧– المدارس:

لا يُخفى ما للمدارس من دور في تنميط اللغة وتنمية الوعي، مثلها في ذلك كمثل المجلات والصحف والاذاعات والنوادي...الخ. والمثقفون الكرد – ومنهم ممدوح سليم الذي عزل من منصب مفتش التعليم الرسمي بضغط من الحكومة السورية أيام الانتداب – وعياً منهم بأهمية المدرسة، تقدموا في سوريا عام ١٩٢٨ بـ (عرائض متعددة بتوقيع خويبون إلى السلطات المنتدبة، مطالبين بفتح مدارس لتعليم اللغة الكردية. وقد طالبوا في المذكرة الأولى استخدام اللغة الكردية رسمياً في المناطق التي يسكنها الكرد)[1]. واستمرت جهود البدرخانيين، ومنهم كاميران عام ١٩٣٠ في المطالبة ببناء دار معلمين ابتدائية في الحسكة، لكن بسبب مماطلة المفوضية الفرنسية العليا، اقتصرت المطالبة على الدروس المسائية، وفي عام ١٩٣٢ قررت الجمعية الخيرية فتح مراكز من هذا النوع، واتسع نطاق التعليم، ففي عام ١٩٣٨ تم تأسيس مدرسة في دمشق تحت اشراف عثمان صبري، وأخرى في عامودا، لكنها لم تستمر وأغلقت لنقص التمويل.

وعلينا ألا ننسى دور الكتاتيب الدينية (Hicrikê Feqehan) التي كانت تلحق بالمساجد (الجوامع)، وأخص بالذكر تلك التي كان يديرها بعض الملالي المتنورين (منهم على سبيل المثال لا الحصر الملا أحمد نامي في قرية تل شعير التابعة لمنطقة القامشلي)، وقامت بعض هذه الكتاتيب بدور المدرسة الكردية، حتى صارت اللغة الكردية هي الدارجة في نحو (١٠) مدارس، وكانت الكتب الكردية بالألفباء العربية تدرس فيها، وبعض الكتب الصوفية والقصائد فضلاً عن بعض اصدارات البدرخانيين بالألفباء اللاتينية.

---

(١)– جوردي غورغاس – الحركة الكردية التركية في المنفى – مصدر سابق – ص٣٦٤.

الفصل الثامن

كردستان سوريا بعد الجلاء

أولاً: شعار الأخوة العربية – الكردية الخُلّبي

"إن معاناتي الحالية كجواهري هي نفس معاناة المتنبي، رغم أنه بيننا مسافة ألف سنة، لأن المنطق الذي ساد عصر المتنبي هو نفس المنطق الذي يسود مجتمعنا"

هذا ما أدلى به (محمد مهدي الجواهري) في مقابلة تلفزيونية أجراها معه حسن العلوي عام ١٩٧٠

مدخل:

لا مناص من القول بداية بأن شعار التآخي العربي – الكردي كان من جانب واحد، فالطرف الكردي هو الذي رفع هذا الشعار، أما الجانب العربي فلم يولهِ أي اهتمام يذكر. ففي ٨ آذار ١٩٧٠، حين ردد بعض الطلبة الكرد من الحزب اليساري الكردي، في مهرجان خطابي أقيم بسينما دمشق في مدينة القامشلي شعارات تحيي الأخوة العربية – الكردية، مثل: عاشت الأخوة العربية الكردية – على صخرة الأخوة العربية الكردية تتحطم مؤامرات الامبريالية والرجعية والصهيونية – عاش نضال المرأة العربية – الكردية .. الخ، اعتقل هؤلاء الطلبة من قبل الأمن السياسي وتم تحويلهم إلى محكمة عسكرية، بموجب الادعاء بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٧٠، واتهموا بترديد شعارات معادية للقومية العربية، تثير العنصرية والتفرقة بين المواطنين، فما قاموا به يشكل جناية ايقاظ النعرات العنصرية وجريمة يعاقب عليها، والمحكمة العسكرية هي المختصة للنظر بهذه الدعوى..!. هذا ما أدلى به المستشار وحيد الدين الأتاسي/ قاضي التحقيق العسكري. وبعد عام من الاعتقال، فُصِلوا من مدارسهم، وهم: عبدالمجيد خليل/ عامودا، خيرالدين مراد/ قرية كيل حسنات، أحمد جميل محمد/ قامشلي، غربي سليمان يوسف/ قامشلي، أكرم سليمان (أكرم

كنعو)/ قرية ماشوق، عبد الفتاح عيسى (عبد الفتاح فاطمي)، عكيد اسماعيل/ قامشلي.

الكتلة الوطنية ذات التركيبة السنية، كانت تقف منذ عهد الانتداب ضد المشروع الفرنسي لانشاء كيانات فدرالية في إطار الدولة السورية التي كانت قيد التشكيل، وادّعت بأن المحاولة ماهي سوى مؤامرة لتقسيم سوريا، من هنا مارست الكتلة الوطنية حملة ترهيب على المكونات الأخرى (الكرد، العلويين، الدروز، الاسماعيليين، المسيحيين..الخ)، وخوّنت كل من يستجيب للمشروع الفرنسي. وبعد الاستقلال مارست الهيمنه على هذه المكونات واستأثرت بمصير البلاد، إلى أن تمكنت الأقلية العلوية السياسية في إزاحتها عن سدة الحكم، خصوصاً في عهد الأسد. والأمرّ من هذا الشيء أن السلطات الحاكمة في كل من سوريا والعراق بذلت قصارى جهدها لتشويه صورة الكرد أمام الرأي العام العربي، عن طريق التلويح بفزاعة الشعوبية قديماً وفزاعة الانفصال حديثاً أو التمرد لاستقطاع جزء وضمه إلى دولة أجنبية تارة أخرى، كل ذلك بهدف النيل من النضال التحرري الذي خاضه ويخوضه الشعب الكردي هنا وهناك.

١- فزاعة الشعوبية قديماً: وصمت انتفاضات الشعوب التي عانت من وطأة الاضطهاد في العهود الاسلامية بما فيها الشعب الكردي بالشعوبية. جدير ذكره أن كردستان كانت تنعم بالتعددية الدينية قبيل اجتياح جيوش العرب المسلمين لها إبان خلافة عمر، والظاهر أن دخول الاسلام إلى أرجاء كردستان قد تم عنوة على الغالب، بدليل أن معظم المصادر التاريخية تؤكد بأن الكرد أبدوا صنوفاً من البسالة لا مثيل لها، وكانوا ينـدحرون في النهاية أمام جحافل الجيوش الجرارة: (تاركين للفاتحين جميع ممتلكاتهم)[١]، بعد فشلهم في التصدي للغزو، رغم الاستبسال الذي لا نظير له في مقاومة حملة راية الدين الجديد. وكان الهدف من تبني الدين الجديد من لدن الشعوب المغلوبة على أمرها هو التحرر من وطأة الضرائب التي أثقلت كاهلها من جهة، وتزلف الارستقراطيين المحليين للسادة الجدد، لضمان: (امتيازاتهم الطبقية وممتلكاتهم)[٢] التي تعرضت للخطر من جهة أخرى. لم تقتصر دوافع الغزاة على نشر

---

(١)- أرشاك بولاديان (الدكتور): الأكراد حسب المصادر العربية - ص٢٥.

(٢)- المصدر السابق والصفحة نفسها.

مبادىء الدين الجديد، التي نصت على المساواة، بل كان الغرض الرئيس هو: (الاستيلاء، وفرض السيطرة، والحصول على المغانم بالدرجة الأولى)[١]. من هنا يمكن القول بأن النزعة "الشعوبية" كانت منذ البدء دعوة صريحة إلى التحرر والمساواة بين الأمم والشعوب الاسلامية قاطبة، وكانت بمثابة ردة فعل طبيعي على فشل: (السلطة في تحقيق المساواة، حسب تعاليم الاسلام الواضحة)[٢]. نعم ارتبط ظهور النزعة الشعوبية وتبلورها إذاً: (بقضية العدالة أولاً وأخيراً، أو بالأحرى بالهوة الواسعة بين تعاليم الاسلام السمحة ونظرته الانسانية السامية وبين تغاضي الحكام عن تلك التعاليم وإغفالهم إياها في سياساتهم)[٣]. وقد انطلق أحمد أمين من هذا المنطلق بالذات، حين وصف الشعوبية، قائلاً: هي في الحقيقة نوع من الديمقراطية في مواجهة ارستقراطية العرب[٤]. ولا يُخفى أن كثيراً من المؤرخين القدامى والباحثين الجدد قد شوهوا طبيعة الشعوبية هذه، وذلك عن طريق طمس الجانب المناهض للاضطهاد فيها وتضخيم أخطائها، ومنهم على سبيل المثال محمد كرد علي، الذي قال: (الشعوبية قوم متعصبون على العرب، مفضلون عليهم العجم)[٥]. ربما انطلق أمثال محمد كرد علي من رد فعل الموالي تجاه اللامساواة والغبن الذي لحق بهم أو بنوا أحكامهم تلك انطلاقاً من قول شاعر مدافع عن الشعوبية، كالذي كان من ندماء الخليفة المتوكل، حين قال:

أنا ابن الأكارم من نسل جم[٦] وحائز إرث ملوك العجم
فقل لبني هاشم أجمعين هلموا إلى الخلع قبل الندم
فعودوا إلى أرضكم بالحجاز لأكل الضِباب ورعي الغنم
فاني سأعلو سرير الملوك بحد الحسام وحرف القلم

---

(١)– حسين قاسم العزيز (الدكتور): البابكية أو انتفاضة الشعب الأذربيجاني ضد الخلافة العباسية – مكتبة النهضة/ بغداد ودار الفارابي/ بيروت – ص٥٢. راجع الوثيقة رقم ١٧.

(٢)– أميل توما(الدكتور): الحركات الاجتماعية في الاسلام – دار الفارابي/ بيروت – عام ١٩٨٠ – ص١٢٥.

(٣)– الحركات الاجتماعية في الاسلام – المصدر السابق – ص٢٠٦.

(٤)– أحمد أمين: ضحى الاسلام – الجزء الأول – ص٥٩.

(٥)– محمد كرد علي: الاسلام والحضارة – الجزء ١/ ط٢– ص٣٥.

(٦)– المقصود بـ(جَمْ) الملك جمشيد.

لكـن لـن تتوضـح الصـورة ولـن تظهرالحقيقـة الغائبـة جليـة للعيـان إلا إذا استعرضنا التاريخ، ونزعنا الستار عن التناقض الذي تبلور رويداً رويداً، بـين نزعـة التحرر لدى الشعوب المضطهَدة، المغلوبة علـى أمرهـا وبـين نزعـة القهـر والاسـتعلاء القوميين لدى سلطة الخلافة. فمنذ فجر الخلافـة، وفي فـترة خلافـة عمـر بـن الخطـاب تحديداً، وهو المصنف وأعدل الناس في الاسلام، تم الاعتماد على العنصـر العربـي في الادارة، كما يسجل التـاريخ أمـوراً مـن هـذا القبيـل دفعـت النـاس إلى التمـرد في عهـد عثمان، إلا أن والي البصرة أبو موسى الأشعري قمع المتمردين يومئـذ بقسـوة. أمـا تعصب بني أمية للعرب، فلا يختلف عليه اثنان، ولولا هـذا لمـا وصـف ابـن خلـدون الدولة الأموية بأنها كانت عربية اعرابية أو وصفها الدكتور حسن ابراهيم حسن بأنهـا كانت عربية لحماً ودماً. فلا غرو من القول، بأن الموالي – ومـنهم الكـرد طبعـاً – لم يحظوا بالمساواة، بل كانت النظرة إليهم نظرة إزدراء، مما أثار هـذا التمييـز أو هـذه السياسة الفتنة بين المسلمين، وبعثت روح الشعوبية بين المسـلمين مـن غـير العـرب، وكانت العلة تكمن في الاعتقاد السائد بين العرب بـ: (أنهـم أفضـل الأمـم، وأن لغـتهم أرقى اللغات)[1]. ويؤكد الدكتور محمود اسماعيل بأن العروبة كانـت هـي الفيصـل في العصـر الأمـوي: (فـالعرب لهـم السـيادة، وماعـداهم مسـودون. وبـالمنظور الطبقـي، شـكلت بنيـة المجتمـع الاسـلامي مـن طبقـتين أساسـيتين، الأرسـتقراطية العربيـة، وبروليتاريا الموالي، وهم المسلمون من غير العرب. وكـان الـنير العربـي كفـيلاً بـوأد حركات الموالي، فظلوا طوال العصر الأموي شعوباً مقهورة)[2]. وممـا زاد الطـين بلـة فرض الأمويين الجزية على الموالي، وبلغ بهم الأمر إلى حد التفنن في فرض: (ضرائب جديدة عليهم، لم ترد لها أصول في الشريعة، هـذا فضـلاً عـن الهـدايا الـتي وجـب أن تقدم للخلفاء والولاة في عيدي النيروز والمهرجان)[3]. وبـالرغم مـن محـاولات الخليفـة عمر بن عبدالعزيز لاصلاح ذات الـبين، ووضـع حـدٍ لمفاسـد الادارة الأمويـة، وسـعيه

([1])– حسن ابراهيم حسن (الدكتور): تاريخ الاسلام السياسي والـديني والثقـافي والاجتمـاعي – ط٥/عـام ١٩٥٩ – مكتبة دار النهضة المصرية – الجزء ١– ص٣٤٢.

([2])– محمود اسماعيل (الدكتور): الحركات السرية في الاسلام/ رؤية عصرية – دار القلـم/ بـيروت – ط١/ عام ١٩٧٣ – ص٢٠٢و٢٠٣.

([3])– المصدر السابق – ص٦٣و٦٤.

لاسقاط الجزية عن الموالي، بمن فيهم الكرد، إلا أن مَنْ خلفوه، تنكروا لسياسته الرشيدة هذه، والتي رسمها بوحي من مبادىء الاسلام في المساواة بين المسلمين.

ولقي الموالي عامة والكرد خاصة اضطهاداً في العصر العباسي أيضاً، وإن كانت وطأته أقل مما في العصر الأموي، لأن ذات السياسة استمرت وإن بوتيرة أضعف، حتى غدت كردستان مرتعاً خصباً للمعارضة، وكانت الحركات الاجتماعية التي تبلورت، والتي كانت كردستان مسرح العديد منها بحاجة إلى غطاء ديني لاكساب الصفة الشرعية، فظهرت الطرق الصوفية، واستقطبت فقراء الكرد أيضاً من رعاة وفلاحين وحرفيين، مثلما جذبتهم انتفاضة بابك الخرمي، التي شكلت: (الاطار الايديولوجي للمناهضة الثورية ضد الطبقة السائدة وضد السلطة.. بسبب تفاقم الجور والظلم والاستغلال الطبقي والحكومي)[1].

٢- فزاعة الانفصال حديثاً: واليوم حين يطرح الكرد شعار الحوار العربي - الكردي كخطوة أولية في طريق التآخي العربي - الكردي، الذي أصابه الكثير من الترهل والتشويه، نتيجة السياسات العرجاء والارث الكبير جرّاء مواقف التجاهل واللامبالاة تجاه محَن الكرد وقضاياهم، بعد ضم جزء من بلاد الكرد (كردستان) إلى الكيان العراقي وجزءاً آخر إلى الكيان السوري وفق سايكس - بيكو وملحقاتها، دون أخذ طموحات الشعب الكردي وارادته بعين الاعتبار. أعود وأقول حين يرفع الكرد شعار التآخي يقابل بلامبالاة الطرف الآخر، ويتم التعتيم على القضية الكردية في كلا البلدين (العراق وسوريا)، وإذا صادف إلتقاء وفد كردي بممثلين عرب، فان اللقاء يعقد عادة في ظل عقلية ذاك المسؤول العربي الذي سبق أن استقبل وفداً كردياً ذات يوم، وهو يردد: (كلنا أخوة، كلنا عرب)[2]، ولعمري إن هذا القول يذكرني بالموقف التركي واعتبار الكرد بصفتهم أتراك الجبال. وهكذا يتبين أن القوى السياسية العربية لا تقر بالتنوع الاثني في سوريا، وتنظر إلى الكرد كأقلية وافدة، ففي عهد الوحدة المصرية - السورية، تفننت سلطات الوحدة في اعتبار الشعب الكردي وحزب البارتي كبش فداء، فاعتبروا الكرد "خونة" و"مخربين مجندين لصالح الدول الأجنبية" ووصمتهم بـ "الانفصاليين الذين يستهدفون استقطاع جزء من سوريا

---

[1]- البابكية - مصدر سابق - ص١٣٨.

[2]- نزار آغري: كاكا والجدار - ص٣٣و٣٤.

لالحاقه بدولة أجنبية أو بدولة يطمحون لانشائها كي تكون بمثابة اسرائيل ثانية" وهم "شعوبيون لم يتعربوا".. الخ[1]. لهذه الرؤية خلفيتها بكل تأكيد، فأقل ما يقال فيها أنها تستند إلى أطروحات منظري القومية العربية من أمثال: ساطع الحصري ومشيل عفلق وزكي الارسوزي وقسطنطين زريق وغيرهم، الشبيهة بأطروحات أتاتورك وملالي ايران اليوم. يقول جورج طرابيشي في هذا الصدد، بأن بعض المنظرين العرب يذهبون إلى: (انكار واقعة الأقليات، إلى حد اعتبارها من صنع الاستعمار وبيادق لا تتحرك على رقعة شطرنجه إلا بأمره وتنفيذاً لمؤامرة مدبرة. فالأقليات لا ماهية لها في ذاتها، بل هي في أحسن الأحوال مجرد رواسب تاريخية، بله مستحاثات ينبغي أن تخضع من جديد لقانون التفتت والذوبان ثم الاندماج)[2]. ويمضي طرابيشي قدماً في القول بأن: (اخلاص ابن الأقليات هو دوماً موضع شبهة، وإذا خلص فعليه أن يخلص مرتين لاثبات براءته، وإن خان فإنه لايخون بمفرده، بل يجر معه أقليته كلها في الخيانة)[3]. ويتساوق نمط التفكير السائد في الوسط الشعبي غالباً مع الخطاب السياسي الداعي إلى تذويب الكرد في البوتقة العربية، لأن أصابع الاتهام سرعان ما توجه إلى الكردي المطالب بحقوقه، فالدعوة لنيل الحقوق القومية ماهي سوى مؤامرة حيكت في الخارج، وتقف وراءها الدوائر الأجنبية الساعية إلى تمزيق الكيان العربي ليس إلا..!، و (لم تلقَ مأساة الكرد يوماً التعاطف من قبل الشارع العربي، بل عمل هذا الشارع باستمرار على تبرير فظائع الحكومات العربية حيال الكرد)[4].

ويكفي هاهنا الاستشهاد بموقف أحد كبار المثقفين العرب[5] وهو يحذر من خطر قيام اسرائيل ثانية، في مقالة له نشرها تحت عنوان: (من بلفور إلى ميجور)[6]، فمثلما كان بلفور (وراء تأسيس كيان "قومي" للصهاينة في فلسطين، هكذا يظهر

---

(1)- نورالدين زازا: حياتي الكردية – مصدر سابق – ص١٠٩و١١٤.

(2)- أنظر: مجلة الحوار – العددان ١٨و١٩– ص٩.

(3)- المصدر السابق والصفحة نفسها.

(4)- ينظر حسام عيتاني: مجلة الحوار – العددان ٦٠و٦١/ صيف وخريف ٢٠٠٨.

(5)- كان الدكتور علي عقلة عرسان رئيساً لاتحاد الكتاب العرب يومها.

(6)- علي عقلة عرسان(الدكتور): صحيفة الاسبوع الأدبي – دمشق/ ٢ أيار ١٩٩١.

رئيس الحكومة البريطانية "ميجور" ساعياً إلى تأسيس كيان "قومي"، ويضع كلمة قومي بين قوسين للأكراد، وهذا يعني بداية أن الأكراد كالصهاينة، والصهاينة – وفق عرسان – الذين يقفون وراء كل محاولة تفكك عربي واسلامي.. نجد بالمقابل الأكراد مهيئين للعب دور أخطر من الصهاينة، لأنهم بوجودهم الراهن سيهددون دول المنطقة كاملة: تركيا، الاتحاد السوفييتي، ايران، العراق، سوريا)[1]، في محاولة منه لدق اسفين في صرح علاقات الأخوة العربية – الكردية واستنفار كلاً من العراق وسوريا اللتين ألحق بكل واحدة منهما جزءاً من كردستان، وتجييش: (الناس البسطاء في الشارع العربي، وتأليبهم ضد أشقائهم الكرد وقضيتهم العادلة)[2]. إن دلت هذه المواقف على شيء فهي تدل على الافتقار إلى التقاليد الديمقراطية، التي تقوم على التعددية، وتحترم الاختلاف وتشرعن له وتدافع عن حق الاختلاف وفلسفة التنوع وتعترف بخصوصية الكرد وهويتهم.

لكن ما سبق ذكره آنفاً يجب ألا يحجب عنا نحن الكرد تلك المواقف الايجابية لبعض القوى والشخصيات العربية التي تبوأت مراكز القرار في أقطارها، أعني ممن أنصفوا الكرد، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر، الرئيس الجزائري الأسبق أحمد بن بلاّ، والرئيس الليبي معمر القذافي، وعبدالرحمن عزام، أول رئيس للجامعة العربية، الذي صرح في حديث له عام ١٩٤٣ لمجلة الهلال المصرية، قائلاً: (يجب علينا بذل المزيد من الاهتمام بالاخوان، أكراد العراق، إن حبي وتقديري لأكراد العراق في مستوى حبي وتقديري لشعبي. وعليهم – يقصد الكرد – ألا يتصوروا أن الوحدة العربية تلحق الأذى بمصالحهم. إن مستقبل وتقدم العراق، له صلة وثيقة بحل المشكلة الكردية. يجب على الأمة العربية أن توفر لهم إمكانية تقرير مصيرهم بحرية، ويجب ألا تترك المشكلة الكردية في العراق دون حل)[3].

ويبدو للمؤرخين أن أفضل العلاقات وأقدمها كانت العلاقات الكردية – المصرية، والتي تمتد جذورها، ليس إلى العهد الأيوبي فحسب، بل تمتد إلى العلاقات الميتانية – الفرعونية، وما يؤكد مصداقية هذا القول صدور أول صحيفة كردية

---

(١)– ابراهيم محمود: صورة الأكراد عربياً بعد حرب الخليج – ط١عام ١٩٩٢ – ص١٥٦.

(٢)– أنظر: صحيفة خه بات – آفاق الحوار العربي الكردي – العدد ٨٧١.

(٣)– درية عوني: عرب وأكراد خصام أم وئام – مصدر سابق – ص١٨١.

(كردستان) في القاهرة، في ٢٢ نيسان ١٨٩٨م. وتذكر درية عوني بأن الاستاذ محمد حسنين هيكل قد أكد لها ذات يوم، بأن الرئيس المصري الراحل جمال عبدالناصر كان يعترف بخصوصية القضية الكردية، ويدعو إلى حلها سلمياً. وتنقل درية عوني عن فلك الدين كاكائي، الذي أكد بدوره بأن الرئيس ناصر قد قال يوماً، وهو ينظر إلى الأفق: (سيأتي يوم، تكون هناك دولة كردية متوسطة بين العرب من جهة والفرس والترك من جهة أخرى)[1]. وتمضي درية قائلة بأن (هيكل) صرّح لها أيضاً: (في البداية اهتممنا بالقضية الكردية نكاية بنوري السعيد، ثم تعرفنا على الأكراد وقيادتهم وأصبحت مساندتنا لهم عن قناعة)[2]. لكن، في الوقت الذي لاقت مثل هذه المواقف الجريئة تقديراً وتثميناً من لدن الكرد، أينما كانوا، أثارت حفيظة الشوفينيين العرب، إلا أننا كنا ومازلنا بأمس الحاجة إلى أن يتفهم الرأي العام العربي قضيتنا العادلة ويتعرف على حقيقتها، وكلنا أمل أن تلقى المسألة آذاناً صاغية من لدن الخيرين لابراز الوجه الحقيقي للعرب والجانب الانساني لأمتهم، بغية الكشف عن تهافت مواقف الذين يتخذون من نضال الكرد لنيل حقوقهم المشروعة هنا وهناك، فزاعة لاثارة مخاوف الشارع العربي.

من الواضح إذن ان المنصفين العرب لا ينكرون ما كان للكرد من دور هام في صنع تاريخ المنطقة قديماً، بدءاً من عهد صلاح الدين الأيوبي ومروراً بعهد محمد علي باشا، كما من المفيد قوله بأن ثقة الخيرين من العرب تعززت أكثر فأكثر نتيجة الدور الذي لعبه الكرد في تاريخ المنطقة حديثاً. لقد عاش العرب منذ القديم في جوار الكرد، وكان للجغرافيا والتاريخ والاسلام دوراً هاماً في نسج علاقات متبادلة بينهم، وهذه العلاقات مثار فخرنا جميعاً، ويجب أن تتعزز أكثر فأكثر بما فيه خير الأمتين الكردية والعربية.

الدساتير كرست هيمنة المكون العربي: لم تكن سوريا تشكل كياناً سياسياً موحداً بشكلها الحالي قبل سايكس – بيكو، فحتى لفظة (سوريا) ليست عربية. ورغم تعددية المكونات (القومية، الدينية، المذهبية) التي تميزها، نص الدستور الصادر في ١٣ تموز ١٩٢٠ في مادته الأولى بأن (حكومة المملكة السورية العربية،

---

(١)– المصدر السابق – ص١٨٨.

(٢)– المصدر السابق – ص١٨٩.

حكومة ملكية مدنية)، كما جاء فيه بأن المملكة السورية تتبنى اللامركزية، وتتألف من مقاطعات تمثل أقاليم الدولة الفيدرالية. أما الدستور الذي وضعته الجمعية التأسيسية عام ١٩٢٨ والذي نشره المفوض السامي الفرنسي عام ١٩٣٠ فقد ألغى نظام المقاطعات، وحوّل سوريا إلى دولة مركزية موحدة (بسيطة) واكتفى بالنظام البرلماني (مجلس النواب)، وألغى (مجلس الشيوخ)، لكنه لم يصفها بـ (دولة سوريا العربية)، بل اكتفى في عدة مواد بأن سوريا دولة مستقلة أو سوريا واحدة، ونصت المادة الثالثة منه على أن سوريا (جمهورية نيابية، دين رئيسها الاسلام، وعاصمتها دمشق). لكن المادة ٢٤ نصت على أن (العربية) هي اللغة الرسمية في جميع دوائر الدولة، إلا في الأحوال التي تضاف إليها بهذه الصفة لغات أخرى بموجب القانون أو بموجب اتفاق دولي، مثلما نصت المادة ٢٨ على أن حقوق (الطوائف الدينية المختلفة) مكفولة، ويحق لها أن تنشىء المدارس لتعليم الأحداث بلغتهم الخاصة، بشرط أن تراعي المبادىء المتعلقة في القانون، ويلاحظ أن الدستور لم يشر إلى حقوق الكرد القومية كمكون رئيسي، بل تم تجاهلها. إن هذا التجاهل بعد عملية إلحاق جزء من كردستان (أرضاً وشعباً) بالكيان الجديد، غدا سياسة ثابتة لدولة الانتداب (فرنسا)، خلافاً لسياستها المتبعة مع المكونات الأخرى العربية (السنية والعلوية والدرزية)، ومازاد الطين بلة أن سياسة فرنسا المقيتة هذه أضحت (ركناً أساسياً من أركان سياسات الحكومات السورية المتعاقبة في السعي إلى محو مايمتُّ للهوية الكردية بصلة)[1].

أما الدستور الصادر في ٢٧ تموز ١٩٤٩، فنص بدوره على النظام البرلماني و تبني اللامركزية الادارية، لكنه لم يشر إلى دين رئيس الدولة، كما نص على تسمية سوريا بـ (الجمهورية السورية)، ونصت المادة ١٠٧ على أن الأحكام تصدر باسم (الشعب السوري)، بخلاف دستور ١٩٧٣، الذي نص على أن الأحكام تصدر باسم الشعب العربي السوري، وفي عهد الوحدة أصدر الرئيس جمال عبدالناصر في ٥ آذار ١٩٥٨ دستوراً مؤقتاً، وسميت الدولة بـ (الجمهورية العربية المتحدة)، وبعد فشل الوحدة بين مصر وسوريا صدر في عهد الانفصال الدستور المؤقت، وتمت صياغة مسودته عام ١٩٦١، أطلق على سوريا لأول مرة اسم (الجمهورية العربية السورية)،

---

(١)– علي صالح ميراني: الحياةالحزبية السرية في كردستان سوريا – مصدر سابق – ص ٢٣.

وكان هذا نذير شؤم باقصاء المكونات غير العربية وفي مقدمتها المكون الكردي. وفي عهد البعث صدرت دساتير ١٩٦٤و ١٩٦٩ التي نصت المادة السابعة في الأخير على أن (الحزب القائد في الدولة والمجتمع هو حزب البعث العربي الاشتركي).

وفي عام ١٩٧٣ بعد مجي الأسد الأب صدر دستور جديد، أكدت المادة الأولى فيه أن (القطر العربي السوري جزء من الوطن العربي، وأن الشعب في القطر العربي السوري جزء من الأمة العربية ويناضل من أجل وحدتها الشاملة)، كما نص في مادته الثامنة (حزب البعث العربي الاشتراكي هو الحزب القائد في المجتمع والدولة ويقود جبهة وطنية تقدمية)، أما المادة الثالثة فأكدت بأن (دين رئيس الجمهورية الاسلام). أما آخر دستور فقد صدرعام ٢٠١٤ في عهد الأسد الابن، إلا أن الدساتير الصادرة حتى اللحظة تتجاهل الكرد بالمطلق.

العهد الوطني: في ١٧ نيسان ١٩٤٦، غادر آخر جندي فرنسي سوريا، لذا يُعَدُّ هذا اليوم عيداً وطنياً يحتفل به السوريون جميعاً، وشهدت الساحة السورية منذ اليوم الأول من العهد الوطني صراعات بين كتل، تمثل طبقات اجتماعية مختلفة، سعت كل واحدة منها صياغة برنامجها وفق مصالحها الطبقية، منها الطبقة البرجوازية وطبقة ملاكي الأراضي والاقطاعيين وطبقة العمال والفلاحين. تبوأت البرجوازية العربية زمام السلطة، وسرعان ما تبنت الفكر العروبي وأدارت للكرد ظهرها، ورفضت الاعتراف بحقوقهم المشروعة: (مثلما حصل لكل الأقليات القومية والدينية في الدول العربية الأخرى، مثل: البربر/ الأمازيغ في شمال افريقيا والأقباط في مصر والمارونيين في لبنان والدروز والعلويين في سوريا)[1]، وأقوام جنوب السودان. فسرعان ما بدأ عهد الانقلابات العسكرية جراء هذا الصراع، ففي ٣٠ آذار ١٩٤٩ وقع انقلاب حسني الزعيم، وفي ١٤ آب من ذات السنة ١٩٤٩ قام سامي الحناوي بانقلابه، ثم تلاه انقلابا أديب الشيشكلي في ١٩ كانون الأول ١٩٤٩ وفي ٢٨ تشرين الثاني ١٩٥١، ورغم أصوله الكردية من جهة أحد الوالدين، كان مصمماً على خلق دولة عربية – مسلمة متجانسة، فشعر الكرد والآشوريون والأرمن بالتأثيرات المنفرة لسلسلة من المراسيم التي تنص على أن الفنادق والمقاهي ودور السينما مثلاً، يجب

---

(١)– جيرارد جاليانd: شعب بدون وطن/ الكرد وكردستان – مصدر سابق – ص ٣٠٥.

أن تحمل أسماءً عربية خالصة، وأن تكون اللغة العربية هي الوحيدة التي تُستعمل في اللقاءات العامة والمهرجانات والاحتفالات[1].

وفي بداية عام ١٩٥٤ حدث انقلاب آخر، عين على أثره زعيم حزب الشعب ورئيس الجمهورية السورية السابق هاشم الأتاسي رئيساً مؤقتاً، وشكلت حكومة ائتلافية ضمت ممثلين عن الأحزاب الرئيسية، وعين صبري العسلي الأمين العام للحزب الوطني رئيساً للوزراء، وبدأت سوريا الولوج في عهد جديد، توفر فيه هامش أو قدر من الديمقراطية، حيث أجريت الانتخابات النيابية (البرلمانية)، ولأول مرة في تاريخ الدول العربية تمكن نائب شيوعي من الوصول إلى قبة البرلمان عن طريق الانتخاب، وهو خالد بكداش الأمين العام للحزب الشيوعي السوري.

في ٢٢ شباط ١٩٥٨ جرى استفتاء للمصادقة على قيام (الجمهورية العربية المتحدة) من قبل السوريين والمصريين، وترأس جمال عبدالناصر رئاسة الجمهورية، لكن قادة الوحدة لم يراعوا ظروف سوريا (الاقليم الشمالي)، فحصل ارتكاس بعد صدور المراسيم بحل الأحزاب السياسية وعدم ممارسة أي نشاط سياسي بما في ذلك المظاهرات والاضرابات. حزب البعث في سوريا استجاب للمرسوم فحل نفسه، لكن ضباط البعث، الذين نقلوا إلى مصر كونوا هناك لجنة/ خلية سرية عام ١٩٥٩م مؤلفة من: المقدم محمد عمران (علوي)، الرائد صلاح جديد (علوي)، والرائد أحمد المير (اسماعيلي)، والنقيب حافظ الأسد (علوي)، والنقيب عبدالكريم الجندي (اسماعيلي)[2]. ولم يمتثل الحزب (الشيوعي السوري والبارتي) للأمر ورفضا ذلك، مما أدى إلى ملاحقة كوادرهما المتقدمة، وتعرض المعتقلون إلى حملات قمع شديدة يندى لهولها الجبين، كما شمل القمع الضباط ذوي الميول الديمقراطية. وكان للاصلاح الزراعي عام ١٩٥٨عيوبه الكبيرة لأنه لم يأخذ بالحسبان الوضع في سوريا، مما أثار استياء الملاكين والفلاحين على حد سواء وفك كثير: (من الاقطاعين أجهزة الضخ في الأراضي المروية، وحولوا هذه الأراضي إلى أراضي بعلية، كي يتمكنوا من الاحتفاظ لأنفسهم بمساحة أكبر من الأراضي، ومن جراء هذه التصرفات، كانت رقعة الأراضي المروية في سوريا عام ١٩٥٩، أي بعد مرور سنة على اقرار الاصلاح

---

(١)- ديفيد مكدول: تاريخ الأكراد الحديث – ترجمة: راج آل محمد – دار الفارابي/ بيروت – ص٧٠٠.

(٢)- عبدالباقي صالح اليوسف: الانفجار السوري – مصدر سابق – ص٢٢٢.

الزراعي، قد تقلصت بصورة ملحوظة. ومن جراء كل هذا، تردى الوضع في الزراعة كثيراً[1].

وفي الوقت نفسه أغرق التجار المصريين الأسواق السورية بمنتجاتهم الرخيصة، مما أدى إلى مزاحمة الصناعات السورية وتراجعها بالتالي، فتوقفت العديد من المؤسسات الصناعية جراء السياسة الاقتصادية المنتهجة.

أما بشأن موقف الكرد السوريين من الوحدة المصرية – السورية، فكانت هناك جملة من الأسباب التي عكرت الأجواء على هذا الصعيد، منها:

١–عدم استجابة (البارتي) في سوريا لمرسوم حل الأحزاب السياسية، أسوة بالحزب الشيوعي السوري الذي لم يمتثل هو الآخر للمرسوم أيضاً.

٢– في الصراع الدائر بين عبدالناصر وعبدالكريم قاسم، مال الحزبان (الحزب الديمقراطي الكردستاني في العراق والحزب الشيوعي العراقي) الى جانب قاسم. ومن الطبيعي أن يتطابق موقف البارتي في البلدين (العراق وسوريا)، مما أثار هذا الموقف نقمة سلطات الوحدة في الإقليم الشمالي (سوريا) على البارتي في سوريا.

٣–القمع الذي مارسته سلطات الوحدة ضد القوى الوطنية والديمقراطية، فضلاً عن السياسة الشوفينية التي أنتهجت ضد الشعب الكردي، كاقامة العديد من المستوطنات لعرب جيء بهم من درعا والسويداء وحماه واسكنوا في المناطق الكردية (الجزيرة)، مما تسببت في امتعاض الكرد.

وما زاد الطين بلة، تلك التصريحات التي أطلقها مصطفى حمدون، وزير الاصلاح الزراعي في عهد الوحدة، الذي ردد على مسامع الجميع مقولته العنصرية: "الكردي مالو شي عندي" [2]، والذي كان يستثني الكرد من الانتفاع بالأرض أسوة بالعرب.

في ٢٨ أيلول ١٩٦١، أطيح بحكومة الوحدة وحصل الانفصال، وقامت حكومة الانفصال بتجريد عشرات الآلاف من الكرد في الجزيرة من أبسط حقوقهم ألا وهو حق

---

(1)– مجموعة من المؤلفين: تاريخ الأقطار العربية المعاصر – الجزء الأول – دار التقدم/ موسكو – أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي/ معهد الاستشراق – ص١٢٢و١٢٣.

(2)– شفان آشتي: حقوق كرد سوريا بين الماضي والحاضر – مركز آشتي للدراسات والبحوث – ط١عام ٢٠١٣ – ص ٢٢و٢٣.

المواطنة في أول خطوة لها تجسدت في الاحصاء الاستثنائي في ١٩٦٢، والذي نجمت عنه مشكلة الأجانب ومكتومي القيد[١]. وبرزت إلى السطح مظاهر تمييز أخرى بحق الكُرد، بدءاً من محاولات طمس هويتهم وانتهاءً بالمشاريع الشوفينية التي سنتناولها لاحقاً بالتفصيل، حتى أضحى الكُرد أمام خيارين، إما الذوبان والانصهار في بوتقة القومية العربية أو التصدي لتلك السياسات الشوفينية التي كانت تُحاك في وضح النهار، والدليل على تمادي الانفصاليين ضد الشعب الكردي، تلك الصحف التي صدرت في شتاء عام ١٩٦٣ وعلى صدر صفحاتها الأولى بالمانشيت العريض، عبارة: "اسرائيل ثانية في شمال سوريا"، وحرضت الصحف العرب وألبتهم ضد الكرد وطالبت الحكومة بتهجيرهم وكالت بجام غضبها وحقدها الدفين ضدهم وحبكت الافتراءات والأضاليل بشكل صارخ[٢]. وتأزم الوضع أكثر في ظل حكومة الانفصال حين أثيرت ضجة مفتعلة عن تسلل كردي مزعوم من تركيا، وكان سعيد السيد محافظ الحسكة ومن لف لفه من وراء هذا الزعم بأوامر من دمشق، كي يستروا عورتهم أثناء اقدامهم على تهريب اليهود عبر بوابات تركيا مع سوريا، وكان السيناريو على النحو التالي: فُتِحَتْ بوابتا القامشلي والدرباسية وغيرها بمناسبة حلول عيد الأضحى عام ١٩٦٢، كي يتسنى للأهل والأقارب تبادل الزيارات بهذه المناسبة بين تركيا وسوريا، وكانت هذه سابقة لا مثيل لها من قبل مما أثارت استغراب الناس، لكن كان واء الأكمة ما وراءها، فقد عبرت عوائل اليهود بين الجموع وهي تحمل ماخف وزنه وما غلا ثمنه، وتبين فيما بعد أن السيناريو كان محبوكاً باتقان، ومن انتاج واخراج مسؤولي حكم الانفصال لترحيل اليهود من سوريا إلى اسرائيل عبر تركيا. أما الكرد الذين عبروا الحدود إلى تركيا يومها، فأعدادهم كانت محدودة، لكن نسجت تلك المزاعم حول عودتهم عقب تلك الزيارة، وأقدمت الحكومة على اصدار المرسوم التشريعي رقم/٩٣/ تاريخ ١٩٦٢/٨/٢٨م، الذي قضى باجراء احصاء سكاني استثنائي في محافظة الحسكة دون غيرها، وهكذا ضربت عصفورين

---

(١)– أصدر رئيس الجمهورية ناظم القدسي المرسوم، الذي يقضي باجراء احصاء في يوم واحد، وكان الكرد هم الضحية المستهدفة، وكانت الخطوة هذه حلقة في سلسلة المشاريع الاستثنائية بحق أبناء شعبنا الكردي في سوريا.

(٢)ـ عبد الصمد داوود: الحزام العربي في الجزيرة ـ سوريا ـ طبعة ثانية معدلة ٢٠١٥ ـ ص٣١.

بحجرة، فمن جهة قامت بترحيل اليهود، ومن جهة أخرى أجري احصاء استثنائي بتاريخ ٥ تشرين الأول عام ١٩٦٢م وفق المرسوم التشريعي السالف الذكر، وبين ليلة وضحاها جُرِّد نحو/١٢٠/ ألف كردي من الجنسية، بلغ تعدادهم عام ١٩٩٦م حسب مصادر الحكومة السورية (وزير الداخلية الدكتور محمد حربة) المقدمة لمنظمة حقوق الانسان – قسم الشرق الأوسط/١٤٢٤٦٥/ أجنبي و/٧٥/ ألف مكتوم (رقن قيدهم من السجلات)[١].

وقد اتخذت السلطات السورية هذا الاجراء كخطوة استباقية عقب الثورة الكردية ١٩٦١ في كردستان العراق، وذلك للحد من آثارها على أبناء كردستان سوريا، رغم أن سوريا – وفق قول الدكتور سعد ناجي جواد – كانت أقل الأجزاء الكردستانية تعرضاً لمثل هذا الخطر، بدليل أن هذه السلطات مضت قدماً لاقامة الحزام العربي بطول ٣٥٠ كم وعرض ١٠– ١٥كم وعلى طول الحدود السورية – التركية، من ديريك شرقاً وحتى رأس العين غرباً، وأسكنت في هذا الشريط قبائل عربية، يُضاف إلى عامل آخر ألا وهو: (اكتشاف النفط في منطقة الجزيرة كان سبباً هاماً آخر وراء دفع الحكومة السورية لتهجير الأكراد وتبني سياسة الحزام العربي)[٢].

من هنا نستشف أن مصادر الحكومة السورية تفتقر إلى الدقة. وهذا ما لجأت إليه الحكومات المتعاقبة منذ فجر الاستقلال فيما يتعلق بعدد الكرد، فسياسة الانكار والصهر مازالت هي هي. ومما يثير السخرية حقاً أنه وبموجب هذا المرسوم جُرِدَتْ عائلة نظام الدين من الجنسية وتم ادراجهم في عداد الأجانب، ومنهم رئيس أركان الجيش السوري في الخمسينات اللواء توفيق نظام الدين، وشقيقه عبدالباقي نظام الدين عضو البرلمان السوري لدورات ١٩٤٣و١٩٤٧و١٩٤٩و١٩٥٢و١٩٥٨، وشقيقهما زكي نظام الدين عضو البرلمان السوري لدورة ١٩٥٣– ١٩٥٤م إبان حكم الشيشكلي.

---

(١)– ملاحظة: وفق نسبة التزايد الطبيعي (نحو ٣٠ بالألف) حيث يتضاعف العدد كل ٢٠ سنة، كان يفترض أن يكون عدد ضحايا التجريد من الجنسية على النحو التالي:

السنة:	١٩٦٢	١٩٨٢	٢٠٠٢
نسمة:	١٢٠ ألف	٢٤٠ ألف	٤٨٠ ألف

(٢)– سعد ناجي جواد: الأقلية الكردية في سوريا – مصدر سابق – ص١٨و١٩.

وتم تجريد عائلة ابراهيم باشا الملّي من الجنسية السورية، تلك العائلة التي حكمت الجزيرة العليا مئات السنين، فجرد خليل ابراهيم باشا وأولاده من الجنسية، ومن المفيد قوله أن خليل كان قد نال نوط الشرف السوري عام ١٩٣٤ تقديراً لخدماته، يضاف إلى ذلك أنه كان عضواً في البرلمان السوري لعام ١٩٢٨م وعضواً في لجنة اعداد مشروع الدستور السوري عام ١٩٢٨ وعضواً في البرلمان السوري في دورات ١٩٣٢و١٩٣٦و١٩٤٣، و قادت العائلة حملة طرد الأتراك من الرقة ودير الزور. وكان نجله خليل معمو ابراهيم باشا عضو البرلمان لدورة ١٩٥٤– ١٩٥٨ وعضو مجلس الأمة الاتحادي في القاهرة، وكانت له علاقات شخصية مع الرئيس جمال عبدالناصر، هذا غيض من فيض[١].

والكردي **الأجنبي** المجرد من الجنسية وفق المرسوم الآنف الذكر:

أ – يُحرم من السفر إلى خارج سوريا ولا يُمنح جواز السفر أبداً، وإذا ما سافر إلى مدينة في داخل سوريا فعليه مراجعة شعبة الفنادق في تلك المدينة كي يُبات في أحد فنادقها. وهناك طرفة تُروى رغم أنها مثيرة للسخرية، فقد أختيرت عدد من الخيول الأصيلة للمشاركة في المهرجان الدولي لسباق الخيول، أقيم في القاهرة عام ٢٠٠١، وكان يتطلب مرافقة الفارس لجواده إلى هناك، لكن فارس أحد الخيول كان كردياً أجنبياً فمنع من السفر، بينما سمحت الحكومة السورية للحصان بحضور المهرجان وحيداً، ورغم أن (الحصان تُركَ وحيداً...!)[٢] لكنه فاز بالسباق...!.

ب – منع من العمل والتوظيف في مؤسسات الدولة الرسمية، كما حرم من مزاولة مهنة حرة كافتتاح محل تجاري أو صناعي، إلا بعد تسجيله باسم أحد المواطنين، كما حرموا أيضاً من الاستفادة من قوانين الاصلاح الزراعي أثناء توزيع الأرض على الفلاحين.

ج – حرمان الأجنبي من حق التملك (دار سكن أو محل تجاري أو مصنع أو أرض زراعية أو آلية زراعية أو آلية نقل).

---

(١)– م. أوسى: الاحصاء الاستثنائي في محافظة الحسكة – ص٤١– ٤٢.

(٢)– وهو عنوان أحد دواوين الشاعر الفلسطيني محمود درويش، قمت باقتباسه وتحويره هاهنا لدلالاته المعبرة على هذا الصعيد.

أما **المكتومون** الذين تجاوز عددهم عـام ١٩٩٦/٧٥/ ألفـاً، فيسـري علـيهم مـا يسري على الأجانب ولكن وضعهم أسوأ:

أ – المكتوم الذي يتزوج من مواطنة سورية تنتقل المكتومية أوتوماتيكيـاً إلى ذريته.

ب – كون أحد الأبوين مكتوماً تتعدى المكتومية ذريتهما.

ج – كون الأبوين مكتومين تسري المكتومية على أبنائهما.

عهد البعث: بعد الانفصال استمرت اللجنة السرية من ضباط البعث العلـويين و الاسماعيليين الذين نقلوا إلى القاهرة عام ١٩٥٩، الاستمرار في نشاطهم، وانضمت إلى تلك الخلية السرية عدد آخر من الضباط السنة والـدروز، وفي ٨ آذار١٩٦٣ قـادت تلـك الخلية البعثية (سميت: اللجنـة العسـكرية) انقلابـاً عسـكرياً وأسـقطت حكومـة خالـد العظم، وعينت على أثره الفريق لؤي الأتاسي رئيساً للمجلس الـوطني وقائـداً أعلـى للجيش، وشكل صلاح البيطار الحكومـة وأعلنـت حالـة الطـوارىء الـتي اسـتمرت إلى اليوم. منذ اللحظة التي استولى فيها البعثيون على مقاليـد السـلطة في دمشـق، بـدأوا ينسقون مع بغداد للقضاء على الثـورة الكرديـة تحـت قيـادة البـارزاني الخالـد. ففـي نهاية حزيران انسحبت وحدة عسكرية (سميت بفوج اليرموك) من الحدود السـورية – الاسرائيلية (مؤلفة من عشرة آلاف عسكري) وتوجهت إلى العـراق تحـت قيـادة العقيـد فهد الشاعر، لكنها تكبدت خسائر فادحة في الأرواح والمعدات، فعـادت إلى سـوريا في منتصف كانون الأول ١٩٦٣، وهي تجر أزيال الخيبـة والـذل[١]، وكانـت هـذه الحملـة أول مؤشر شوفيني فاقع على موقف البعث السوري من القضية الكردية. ولعل مقالة وزير الثقافة في حكومة البعث عام ١٩٦٤، تكفي للحكم على سياسة البعث الشـوفينية منذ اليوم الأول، والتي جاء فيها: (أيهـا الأخ العربـي اذا زج بـك يومـاً في معركـة مـع العدو الصهيوني، فلـتكن رصاصـتك الأولى الى رأس هـؤلاء الخونـة الأكـراد، الأرمـن، الجراكسة عملاء المستعمرين)[٢].

---

(١)– نورالدين زازا: حياتي الكردية – مصدر سابق – الهوامش ص٢٢١.

(٢)– نشرت المقالة في مجلة الغد التي كانت تصدر في مدينـة حمـاة، حمّـل فيهـا تلـك الاثنيـات مسـؤولية تقسيم فلسطين وسلخ اللواء – راجع شفان آشتي: حقوق كرد سوريا بين الماضي والحاضر – مركـز آشتي للدراسات والبحوث عام ٢٠١٣ – ص٢٧(نقلاً عن علي ميراني).

وصـدر في ٢٥حزيـران ١٩٦٣ المرسـوم رقـم ٨٨ الـذي خفـض سـقف الملكيـة الزراعيـة، كمـا عـدل قـانون العلاقـات الزراعيـة. هـذه الاجـراءات خففـت مـن عسـف الاقطاعيين نسبياً، وفي أيار من نفس السنة أممت المصارف وشركات الضـمان، ممـا اضطرت البرجوازية إلى إغلاق مؤسسـاتها، فتزايـدت البطالـة، وفي أيلـول ١٩٦٣ عقـد مؤتمر للقيادة القطرية لحزب البعث أنتخب فيه الأسد الأب عضواً في القيادة القطريـة، وفي تشرين الثاني ١٩٦٣شكلت حكومة جديدة برئاسة أمين الحافظ، لكن سرعان مـا كشف البعثيون عن وجههم الحقيقي وصار الجيش تحت قبضـة البعثـيين، واسـتمرت الحكومة في تأميم المنشآت الصناعية الكبرى في دمشق وحلـب واللاذقيـة بشـكل أدى إلى تخويف البرجوازية في توظيف رساميلها في الصـناعة أو تهريبهـا وتفاقمـت الأزمـة الاقتصادية، كما اشتد الصراع داخـل حـزب البعـث، فـازداد اسـتياء النـاس عمومـاً، خصوصاً أن تلـك الاجـراءات (الاصـلاح والتـأميم) لم ترافقهـا سـوى التضـييق علـى الحريات الديمقراطية، ثم شكل مجلـس رئاسـة ضـم أمـين الحـافظ كـرئيس، ونائبـاه صـلاح البيطـار ومحمـد عمـرن، والـدكتور نورالـدين الأتاسـي ومنصـور الأطـرش كعضوين، وشكل البيطار الحكومة. وتنازل ميشيل عفلق عـن القيـادة، وصـار اللـواء أمين الحافظ أميناً عاماً للحزب، وشكل أمين الحافظ الحكومة التي استمرت في عملية التأميم حتى شملت منتجي البضائع الصغار، فباتـت الدولـة تسـيطر علـى ٨٠٪ مـن الانتـاج الصـناعي ونحـو ٦٠٪ مـن التجـارة الخارجيـة، واسـتغلت جماعـة الاخـوان المسـلمين اسـتياء الشـارع، وفي أيلـول ١٩٦٥ شـكل يوسـف زعـين المحسـوب علـى "الجناح اليساري" في حزب البعث الحكومة، وصار صلاح جديد وهو الآخـر محسـوب على التيار"اليساري" أميناً عاماً للحزب، لكن الأزمة بدأت تشتد داخل الحـزب، ممـا أدى إلى تشكيل صلاح البيطار حكومة جديدة، بدأت تعتزم على التراجع عن التـأميم والاصلاح، وفي ٢٣ شباط ١٩٦٦، قاد صـلاح جديـد وحـافظ الأسـد حركـة انقلابيـة، مهدت لصعود ضباط علويين إلى المراتب العليا في الجيش والدولـة، واسـتبعاد الكـثير من الضباط السنة والمدنيين[1]، فأقصيت الحكومة وعـين نورالـدين الأتاسـي رئيسـاً للجمهورية، وشكل يوسف زعين الحكومة التي ضمت شيوعياً في قوامها، وبـدأ البعـث

(1)– حنا بطاطو: فلاحو سوريا – ترجمة: عبدالله فاضـل ورائـد النقشـبندي – بـيروت/ المركـز العربـي للأبحاث ودراسة السياسات ٢٠١٤ – ص٢٥.

يأكل بعضه البعض، وفي ٥ حزيـران ١٩٦٧ شـنت اسـرائيل حربـاً مـني فيهـا العـرب (سوريا ومصر والأردن) بالهزيمة، واحتلـت هضـبة الجـولان ومدينـة القنيطـرة، لكـن اعلام البعث – رغم ذلك – زعم بـأن سـوريا انتصـرت لأن اسـرائيل فشـلت في بلـوغ مآربها المتمثلة في اسقاط النظام "التقدمي"...!. بينما كانت: (أصابع الاتهام تشير إلى الأسد لضياع الجولان)[1] في الخفاء.

في سنة ١٩٧١ كانت تعـرض مسـرحية في دمشـق، مـن تـأليف الكاتـب العلـوي سعدالله ونوس، وهي تحت عنوان: "حفلة سمر مـن أجـل ٥ حزيـران"، تفضـح زيـف الرواية الرسمية التي روجتها وسائل اعلام النظام حول حقيقة ما حدث في ٥ حزيـران ١٩٦٧، وكانت محاولة فنية لتصوير الحقيقة المرة عن تلك الحرب بطريقة مستساغة، وكانت المسرحية: (تصور المسؤولين الحكوميين يلقون خطباً حماسـية جوفـاء عـن النصر في ذكـرى الحـرب المحتفـل بهـا رسميـاً، بينمـا يقـاطع الجمهـور خطـبهم هـذه بصرخات احتجاج: كلا! لم يكن الأمر كذلك)[2].

وفي تموز ١٩٦٨ أشارت الأحزاب الشيوعية في البلدان العربية في اجتماع لهـا إلى مكمن العلة حين أكدت بأن التحولات الاجتماعية لم تدعم بتحول سياسـي، ممـا أدى الأمر إلى إقصاء الجماهير عن المشاركة في الشأن السياسي، وفي ٢٩ أيار ١٩٦٩ شكل نورالدين الأتاسي الحكومة التي تقلد فيها اللواء حـافظ الأسـد وزارة الـدفاع بعـد أن كان آمراً في السابق للقوات الجوية.

عهـد الأسـد: في ١٦ تشـرين الثـاني ١٩٧٠ اسـتولت كتلـة حـافظ الأسـد علـى السلطة بانقلاب عسكري، دعي بـ«الحركـة التصـحيحية» زوراً وبهتانـاً، وفي اسـتفتاء صوري أنتخب رئيساً للجمهوريـة وتقلـد منصـب الأمـين العـام للحـزب والقائـد العـام للجيش والقوات المسلحة، ومن ثم رئيساً للجبهة«الوطنية التقدمية» التي كانت إطـاراً لتدجين القوى السياسية حقيقة، على هذا النحو استفرد الأسد بالحكم وبسط هيمنته على مفاصل القرار، بعد أن تسنى له تصفية أو استبعاد أبناء طائفته ورفاق دربـه، ومـنهم صـلاح جديـد، وتربعـت "العلويـة السياسـية" وليسـت الطائفـة في قمـة الهـرم السياسي واتبعت سياسة تقوم على تهميش سائر المكونات الأخرى بما فيها المكون

(١)– باتريك سيل: الأسد والصراع على الشرق الأوسط – مصدر سابق – ص٢٣٨.

(٢)– باتريك سيل: الأسد والصراع على الشرق الأوسط – مصدر سابق – ص٢٧٦.

السـني، وقضـى علـى الحـراك السياسـي، وانـتهج خطابـاً شـعبوياً مخـدراً، سمتـه الديماغوجيا، ألهى به الشارع العربي لعقود، تجسـد في شـعارات براقـة، كـ (الوحـدة، تحريـر فلسـطين والجـولان، الاشـراكية، دولـة العمـال والفلاحـين، جبهـة الصـمود والتصدي.. الخ) وحاول الأسد الأب إضفاء الشرعية على حكمه، وسـار الأسـد الابـن علـى نفـس المنـوال، فأجريـا انتخابـات شـكلية واسـتفتاءات مـزورة، وتحـت يافطـة الشرعية المزيفة هـذه، نهبـا الـبلاد والعبـاد. وحـين خاضـت سـوريا مـع مصـر في ٦ تشرين الأول ١٩٧٣، ادعت الانتصار رغم أنها لم تحرر سوى مدينة القنيطـرة، وكـان الأسد الأب داهية، استطاع التمسح بأهداب الدين في مواقـف عـدة، وذلـك حـين أومـأ لموسى الصدر باصدار فتـوى بـيّن فيهـا بـأن العلـويين مسـلمين شـيعة إبـان وضـع دسـتور عـام ١٩٧٣ والاحتجاجـات الـتي رافقتـه، أمـا المـرة الأخـرى فكانـت أثنـاء مواجهته للاخوان المسلمين. ثـم اشـتدت بعدئـذ قبضـتة الأمنيـة الـتي طالـت أغلـب الشرائح، خصوصاً أن المادة ٨ من الدستور نصت بصراحة على أن حزب البعث هو قائد الدولة والمجتمع، بهذه الصورة تحكم الأسد بالبلاد والعبـاد. واتبـع الأسـد الأب تجـاه الكـرد سياسـة العصـا والجـزرة فـرغم: (غـض النظـر عـن بعـض نشـاطاتهم السياسية والثقافية، ولكن من دون أن يعترف رسمياً بأي وجود كردي، كما أن كلمة الـ "كردي" ظلت محظورة في اعلامـه الرسمـي، فضـلاً عـن تنفيـذه لمشـروع الحـزام العربي وغـيره مـن مشـاريع التعريـب)[1]، ناهيـك عـن اعتقـال النشـطاء السياسـيين، وكانت تهمتهم لا تتعدى عبارة:«اثارة النعرات الطائفية والعنصرية أو محاولة اقتطـاع جـزء مـن سـوريا والحاقهـا بدولـة أجنبيـة»، مثلمـا جـرى لقيـادة الحـزبين (البـارتي واليساري)، ناهيك عن فصل وطرد الطلاب من المدارس والمعاهد، واطلاق الرصـاص الحي على المتظاهرين الكرد بعد أن منعوا مـن الخـروج للاحتفـال بنـوروز في ٢١ آذار ١٩٨٦ في دمشـق، واستشـهد الشـاب الكـردي سـليمان آدى، وجـرح آخـرون، بعدئـذ أصدر الأسد الأب مرسوماً يقضي بجعل يوم ٢١ آذار عطلـة رسميـة في الـبلاد، تحـت عنـوان (عيـد الأم) تأكيـداً لانكـاره لكـل مـا مـن شـأنه الاعـتراف بـالوجود الكـردي وإرضاء الكرد من خلال ذر الرماد في العيـون[2]. وحـين تـوفي الأسـد الأب عـام ٢٠٠٠،

(١)– علي شمدين: الحركة الكردية في سوريا/ ظاهرة الانشقاقات – مصدر سابق – ص٣٦.

(٢)– عبدالباقي صالح اليوسف: الانفجار السوري – مصدر سابق – ص٢٠٦.

عُيّنَ إبنه بشار الأسد رئيساً عبر مسرحية هزلية ساذجة، بعد تغيير بند في الدستور دون مناقشة في مجلس الشعب كي يتناسب هذا الدستور مع مقامه (سِنه)، وفهم بأن ما جري من ترتيبات عبارة عن خارطة طريق رسمها الأسد الأب قبل وفاته. لكن الأسد الابن فشل في إدارة دفة الحكم كأبيه وإن استمر مثله في جعل سوريا مزرعة له ولبطانته الفاسدة، وتراجع عما جاء في خطاب القسم الذي روجت له أبواقه، وبدا ما كان يسمى بربيع دمشق بمثابة الحمل الكاذب، ثم دفع بالبلاد نحو الهاوية، ومآلات الثورة السورية شاهدة على ما نقول، كما استمر على نهج أبيه فيما يتعلق بالقضية الكردية، لكن القبضة الأمنية ازدادت شدتها، فاندلعت الانتفاضة الكردية في ١٢ آذار ٢٠٠٤، على مبدأ الفعل ورد الفعل، وارتكبت قوات الأمن مجزرة أخرى في القامشلي عشية نوروز ٢٠٠٨، وبصدور المرسوم رقم ٤٩ تاريخ ٩/١٠ /٢٠٠٨، سدت أبواب العمل أمام العاملين في قطاع البناء، بمن فيهم المهندسين، وضيق الخناق على الكرد والمكونات الأخرى، لأن الاقليم الكردي المحازي للحدود السورية – التركية صنف كمنطقة حدودية بالكامل، فلم يعد بامكان سكان المناطق الشمالية شراء عقار زراعي أو دار سكن إلا بعد أخذ الموافقة من وزارتي الدفاع والداخلية، ولا توافق الوزارتان على أي طلب إلا بعد أخذ موافقة الجهات الأمنية (الأمن السياسي والعسكري وأمن الدولة)، مما ازدادت نسبة الفقر وزادت البطالة وارتفعت بشكل ملحوظ وتيرة الهجرتين الداخلية والخارجية، ورغم كل ذلك ألقى الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي كلمة على ضريح الأسد الأب، بحضور الرئيسين الدكتور بشار الأسد وأميل لحود رئيس الجمهورية اللبنانية أثنى فيها على الأسد الأب، ومما جاء فيها قوله: "قدرة إضافية تتنزل من عند الله كانت تدعم قدرته البشرية". وأضاف: "السيد الرئيس الدكتور بشار الأسد، لقد آل الأمر في هذا اليوم إليك بمشيئة من الله عز وجل أولاً، ثم ببيعة صادقة صافية من الشوائب من هذا الشعب ثانياً". والمتأمل في هذا الكلام المنمق، سيدرك التناقض الصارخ مع الواقع، فهو من جهة إفتراء على الله، ومن جهة أخرى إفتراء على الشعب المغلوب على أمره من واعظ السلاطين هذا، الذي قام النظام بتصفيته في أحد جوامع دمشق، ولم يراعِ تقدمه في السن، مثلما لم يشفع له تمسحه بأهداب السلطان، وقد سبق للمغفور له علي الوردي أن عنون أحد كتبه تحت هذا العنوان "وعاظ السلاطين" ففيه تشريح لهذه الظاهرة التي ولدتها ثقافة الخوف

وثقافة التملق في ظل الاستبداد المقيت. وخلاصة القول إذا جاز لنا أن نصف حكم الأسد الأب بالاستبداد، فيحق لنا تصنيف حكم الأسد الابن بالطغيان، ولا بأس من توضيح هذين المفهومين على النحو التالي:

أ- الحاكم المستبد: هو الحاكم ذو السطة المطلقة أو المفرطة، والذي يمارس السلطة بمنتهى القمع، وهو - كما يقول الكواكبي في طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد - يتحكم في شؤون الناس بارادته لا إرادتهم، ويحاكمهم بهواه لا بشريعتهم، وهو يتعامل مع المواطنين كرعية تقتضي الضرورة ترويضهم عبر الاقتران الشرطي وفق مبدأ بافلوف. فالاستبداد هو علة العلل، فكل من يعيش في ظل الاستبداد هو مستبد بالضرورة، بدءاً من الوالي في ولايته وانتهاءً بفراش (كنّاس) الشوارع، كما أن الفساد هو أحد افرازات الاستبداد، فكل من يعيش في ظل الاستبداد يمارس الفساد إما كراشٍ أو مرتشٍ أو رائش بينهما، وفق توصيف الحديث الشريف، وقد تفشت ظاهرة الرشوة بشكل علني وفاضح في المناطق الكردية من جانب موظفي النظام، وبشكل خاص في السلك الأمني، وأخذت أبعاداً خطيرة[1]. أما النفاق فهو أيضاً من افرازات الاستبداد، فكل من يعيش في ظل الاستبداد يمارس النفاق بالضرورة على حد وصف الكواكبي، والمداهنة والتملق هي بعض أشكال النفاق. الاستبداد يكمم الأفواه ويقمع أية معارضة ويجبر الناس على الصمت، ويلجأ حيناً إلى سجن المعارضين وأحياناً إلى تدميرهم، لكن: (همه الأول يبقى مركزاً على الحفاظ على زمام السلطة. وبعيداً عن منازعته سلطته يترك الناس يفعلون ما يشاؤون أو هو يترك الناس يقولون ما يشاؤون، على أن يفعل هو ما يشاء في ممارسته للسلطة. الاستبداد يترك للناس حيزاً مدنياً كبيراً للتحرك، ولا يحاول أن يدمجهم في آلته، ماداموا يسلّمون له بسلطانه)[2]. ويختتم الدكتور مصطفى حجازي قوله بعبارة بليغة: " المستبد يستخدم قبضته الحديدية ذات القفاز المخملي".

ب- الحاكم الطاغية: يتجاوز الحاكم المستبد في ارتكاب المعاصي وفي الاسراف في الظلم والقمع، وهو الذي يغتصب السلطة بالقوة، فالطغيان هو أقصى درجات

---

(1)- عبدالباقي صالح اليوسف - مصدر سابق - ص٢٠٥.

(2)- مصطفى حجازي(الدكتور): الانسان المهدور/ دراسة تحليلية نفسية اجتماعية - المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء/ المغرب وبيروت/ لبنان - ط٢عام ٢٠٠٦- ص٧٨.

الاستبداد و: (أشدها بطشاً ومباشـرة وفجاجـة. فالاسـتبداد هـو تفـرد وتسـلّط، أمـا الطغيان فيقوم على سلب السلطة بالقوة، والبغي والظلم والفساد بما يجاوز الحد)[1].

الطـاغي باختصـار – وفـق توصـيف الـدكتور مصـطفى حجـازي – يفـترس المجتمع بما فيه من مؤسسات وهيئات وناس، ومبتغاه هو أن يؤزّل سلطانه. ويقول ياسين الحـاج صـالح: (لا يـترك الطغيـان أصـلاً شـأناً خاصـاً للنـاس، فهـو مخـتص بشؤونهم جميعاً يفعل بهم ما يشاء، وعليهم أن يتقبلـوا مشـيئته قانونـاً لوجـودهم). إذا كان هم المستبد هو ردع الخصوم، فإن هم الطاغية هو تـدميرهم، فالطاغيـة كمـا يقول الحجازي لا يكتفي بالسيطرة على الناس من الخارج بـل يريـد السـيطرة علـيهم من الداخل.. يُكْـرِه النـاس علـى الضـحك في افراحـه والبكـاء في أحزانـه والـرقص في أعياده.

ثانياً: سياسة التعريب والتغيير الديموغرافي

"تشريد المكان عن أسمائه"

(سليم بركات)

ليس في وسع أحد، ممن يخرّطون[2] ويؤرخون تاريخ سـوريا، انكـار دور الكـرد الهام في الدفاع عن المنطقة قديماً وعن سـوريا الحديثـة والمعاصـرة، رغـم المحـاولات التي جرت للتعتـيم علـى هـذا الـدور، فشـهادات المنصـفين تـدحض مـزاعم أصـحاب تهميش دور الكرد التاريخي هـذا. أمـا الـدعوة الى تعريـب المنطقـة عامـة وكردسـتان سوريا خاصة، فهي دعوة قديمة/ حديثة، بدأت منذ فجـر الاسـلام ومازالـت مسـتمرة حتى اليـوم. ففـي القـرنين ١٨و١٩ مـيلادي نزحـت قبائـل عربيـة مـن شـبه الجزيـرة العربية، وتوجهت نحو الأجزاء الجنوبية – الغربية من كردستان (كوبانى وتل أبيض وعفرين وريف حلب والجزيرة) على نحو خاص ثم استقرت في القرن العشـرين، جـراء تـواتر سـنوات الجفـاف في موطنهـا أو بحثـاً عـن المـاء والكـلأ أو نتيجـة الصـراعات القبلية، وكان من نتائج هذا الزحف ترقيق المناطق المسكونة بالكرد تدريجياً، سـيما بعد مجيء التيار القومي العربي واتباعه سياسة تعريب ممهجة.

---

(١)– المصدر السابق والصفحة نفسها.

(٢)– من الخريطة.

ففي ظل الانتدابين الانكليزي في العراق والفرنسي في سوريا استمر التعريب في كلا البلدين، فـ (بعد فوز المطالبين بالحكم الذاتي في الجزيرة بثلاثة مقاعد من أصل أربعة مقاعد مخصصة للجزيرة في المجلس النيابي عام ١٩٣٦، قامت الحكومة السورية بعد الانتخابات بتعيين بهجت سليمان محافظاً جديداً في الجزيرة.. قام المحافظ الجديد بطرد الموظفين من سكان المحافظة ذوي ميول الحكم الذاتي، كما شجع الفلاحين العرب من المحافظات الأخرى، مثل: دير الزور وحلب وحمص على الهجرة إلى الجزيرة، ومنحهم الأراضي بهدف زيادة التواجد العربي في المحافظة)[1]. وبعد أن أضحى سجل النفوس في عهدة الحكومة السورية، لجأت السلطات السورية إلى تقييد/ تسجيل العرب البدو، بينما امتنعت عن تقييد/ تسجيل الكرد[2]. والأدهى من هذا ما كان يدور في جلسات المجلس النيابي (البرلمان)، ففي مداخلته في البرلمان بتاريخ ٢٧ أيار ١٩٥٧ قال علي بوزو[3]: كنت منذ أيام في محافظة الجزيرة... إن مئات، بل وأكاد أقول الآلاف من الأتراك، ومن الأشخاص غير المرغوب فيهم يأتون إليها ويأخذون هويات سورية بسبب عدم وجود سجلات ودفاتر منظمة[4].!. وجراء هذا الزعم ازدادت شراسة النواب البعثيين في البرلمان وتلقفوا هذه الدسيسة، وبدأوا يبنون عليها أحكامهم بغية تجريد الكرد من الجنسية، وهذا ماحصل. وذهب النائب الكردي عن عفرين أحمد جعفر الشيخ اسماعيل إلى أبعد من ذلك، فقد خاطب أعضاء البرلمان، قائلاً: من الواجب عليكم منذ الان أن تعلمونا لغتكم وثقافتكم، لأن هناك في مناطق الحدود ما يقرب من ربع مليون نسمة يجهلون اللغة العربية.. ودعا إلى وضع خطة لصهر هذه الفئات في بوتقة القومية العربية، بنشر اللغة العربية والحضارة الاسلامية العربية[5].

---

(1)- خالد عيسى (الدكتور): الأكراد تحت الانتداب الفرنسي – ٢٠٠٨/ راجع أيضاً: عبدالباقي صالح اليوسف الانفجار السوري – ص١٦٢و١٦٣.

(2)- مجموعة باحثين: مسألة أكراد سوريا – ص٢٥.

(3)- من أصل كردي، لكنه ينتمي إلى جوقة المتمسخين، وكان نائباً عن مدينة دمشق، ومنتمي إلى حزب الشعب. راجع: اسماعيل حصاف - تاريخ كردستان سوريا المعاصر - مصدر سابق - ص١٣.

(4)- الجريدة الرسمية - العدد ٤٣ - تاريخ ١٢ أيلول ١٩٥٧. راجع: محمد جمال باروت - ص٧٠١و٧٠٢.

(5)- راجع: محمد جمال باروت - المصدر السابق - ص ٧٠٥.

واستمر التعريب في سوريا بوتيرة متسارعة في العهد الوطني، خاصة أيام الوحدة المصرية – السورية والانفصال والبعث، حيث أقيمت /١٠/ مستوطنات في الجزيرة بين ١٩٥٩– ١٩٦٠، كما أقيمت/٤٢/ مستوطنة أيام البعث في الجزيرة بين ١٩٧٤– ١٩٧٥، وقل الشيء نفسه في العراق. فقد صدر القرار رقم ٥٢١ في ٢٤ حزيران عام ١٩٧٤ من لدن القيادة القطرية لحزب البعث الحاكم في سوريا، القاضي بتوزيع أراضي مشروع الحزام العربي البالغ (١٣٨.٨٥٣هكتاراً)[1] في شمال الجزيرة على المستوطنين العرب، والذي سبق أن استولت عليه الدولة من ذي قبل، والذي سمي فيما بعد بمزارع الدولة، وأسكنت السلطات فيها، من جاءت بهم من محافظتي الرقة وحلب في قرى نموذجية، تحت ذريعة أن مياه سد الفرات قد غمرت أراضيهم، لكن غاية النظام لم تقتصر على تعريب المنطقة وإحداث التغيير الديموغرافي فحسب، بل كانت تهدف إلى فصل الكرد في الجزيرة عن أخوتهم في كل من تركيا والعراق، مما حدا بالـ(البارتي) إلى إصدار بيان يندد فيه بهذا المشروع العنصري، والمطالبة بايقاف تلك المهزلة، فشنت السلطات حملة اعتقالات شملت أربعة قياديين، هم: سكرتير الحزب دهام ميرو، القيادي محمد نذير مصطفى، القيادي كنعان عكيد، القيادي محمد أمين شيخ كُلين، وثلاثة أعضاء من اللجنة الاستشارية، هم: خالد مشايخ، عبدالله ملا علي، محمد ملا فخري، لأن الحزب كان قد أصدر بياناً بتاريخ أواسط تموز ١٩٧٣ إلى الرأي العام العربي والعالمي، ومما جاء فيه: (يقف على رأس المشاريع العنصرية التي يعاني منها الأكراد في سوريا مشروعان، هما الاحصاء والحزام .. أما المشروع الخطير، الذي يستهدف الوجود الكردي في المنطقة فهو مشروع الحزام .. بدىء بتطبيق هذا المشروع في عام ١٩٦٦، إذ تم الاستيلاء على كافة الأراضي المستثمرة من قبل الفلاحين والفائضة عن احتفاظ المالكين، ولم توزع

---

[1]- لو قارنا مساحة مزارع الدولة في الجزيرة (محافظة الحسكة) والبالغة ١٣٨٨٥٣ هكتار بمثيلاتها في دمشق (٦١٤)هـ وحلب (١٦٧)هـ واللاذقية وطرطوس (٣٠٠)هـ لتبين أنها تساوي ١٣٠ ضعفاً من المساحات الموجودة في المحافظات المذكورة مجتمعة، رغم وجود آلاف العائلات الكردية المحرومة من الأرض، وهذا ما وثقه أيضاً الباحث السوري بو علي ياسين في كتابه (حكاية الأرض والفلاح السوري من عام ١٩٥٨- ١٩٧٩)، حين قال: يوجد في محافظة الحسكة ١٧ ألف فلاح (عائلة) لايملك شبراً واحداً من الأرض(راجع: عبدالصمد داوود - الحزام العربي في الجزيرة - سوريا - طبعة ثانية معدلة عام ٢٠١٥ - ص٢٧).

تطبيقاً لقانون الاصلاح الزراعي، بل باشرت الدولة باستثمارها بالذات، وقد بقي هذا المشروع يسمى في بداية تطبيقه بالحزام العربي لمدة ثلاثة أشهر، إلا أن استنكار الأكراد والعناصر الوطنية الشريفة من اخوتنا العرب له، دفع السلطة إلى تغيير اسمه، وتسميته بمزارع الدولة. وهكذا بقي فلاحو المنطقة محرومين من الأرض، وبعد مدة طويلة حددت لنفر منهم بعض الأراضي دون الحد الأدنى لاستحقاقاتهم في مناطق بعيدة كل البعد عن مناطق سكناهم، وبشكل مفرق مبعثر، ودون أية مساعدة مالية للانتقال وبناء البيوت، الأمر الذي حدا بأجمعهم إلى عدم الانتقال وتفضيل البقاء في قراهم دون أرض على هذا الانتقال المهين.

لقد قوبل مشروع الحزام بالاستنكار من قبل الفلاحين الأكراد .. وبعد أيام من التدشين الكبير لسد الفرات، أبرزت الصحف في صفحاتها الأولى العناوين الكبيرة مشيرة إلى اعداد خطة لاسكان أهالي منطقة الغمر في منطقة مزارع الدولة .. إن مشروع الاسكان هذا ليس إلا الخطوة الثانية من خطوات تطبيق الحزام .. إن الحزب الديمقراطي الكردي في سوريا/ البارتي، إذ يضع أمام الرأي العام السوري والعربي والعالمي، يهيب بكل القوى التقدمية والوطنية والانسانية في القطر وخارجه التدخل في الموضوع .. إن الدول التقدمية، وعلى رأسها منظومة الدول الاشتراكية، وكافة المنظمات الفلاحية والعمالية والطلابية مطالبة برفع صوت الاستنكار لهذا العمل). وأمضى المذكورين في السجون قرابة ثمانية أعوام[1] جراء اصدارهم هذا البيان ومعارضتهم هذا المشروع الشوفيني.

كما سبق للحزب الديمقراطي الكردي اليساري في سوريا أن أصدر نداءً إلى الرأي العام السوري في أوائل حزيران ١٩٧٣ ندد فيه بالمشروع، ومما جاء فيه: (أيها الوطنيون والتقدميون .. في الآونة الأخيرة بدأت المحاولات تجري على قدم وساق من جانب بعض عناصر أجهزة السلطة ترمي إلى تنفيذ المشروع العنصري المعروف "الحزام العربي" في منطقة الجزيرة، فكما هو معلوم حرمت السلطة منذ سنوات المئات من الفلاحين الكرد من الأرض في المنطقة الواقعة على الحدود بطول

(1)– هذا ما أدلى به المرحوم محمد نذير مصطفى وعبدالله ملا علي خلال لقائي بهما في القامشلي مرات عدة، وما أدلى به خالد مشايخ في لقاء بيني وبينه في مقهى(مجكو) بقلعة هولير بتاريخ ١٣ نيسان ٢٠١٧.

٣٧٥ كـم وعـرض ١٥ كـم بغيـة تهجيرهـم واسـكان فلاحـين عـرب محلـهم، وأطلقـت السلطات على المشروع اسم مزارع الدولة، لتغطية صفتها القوميـة العنصـرية .. إننـا نضع هذه الوقائع أمام أنظاركم للتحرك السريع من أجل قطع جذور هذه الخطـة مـن أساسها، ونطالبكم بتحمل مسؤولياتكم التاريخية تجاه هـذه المسـألة الـتي لا تتجـزأ من القضايا الأساسية الملحة والتي يجب معالجتها دون ابطاء).

فاعتقلت السلطات يومها أحمد حاج سعيد من ريف الدرباسـية وحسـن محمـد يوسف موسى المعروف بـ: حسي من ريف عامودا، وسجنا ثمانية أعوام، كمـا سـجن يوسـف ديبـو وعـادل يزيـدي ثمانيـة أشـهر وشـكري بطيخـة مـدة أقـل. لكـن، رغـم الاحتجاجات السالفة الذكر، استمر النظام في تنفيذ مشروعه العنصري، وبدأت قوافل المستوطنين بالوصول شتاء ١٩٧٤- ١٩٧٥، وبنيت لهم القرى، وكان عضوا القيـادة القطرية لحزب البعث جابر بجبوج وعبدالله الأحمد يشرفان بنفسيهما على تنفيذ هـذا المشروع، وقد منحوا كل أسرة بين (١٥٠- ٣٠٠) دونم، وفقاً لتباين الخصـوبة وكميـة الأمطار، وبلغ عدد الأسر أكثر من ٤٠٠٠ أسرة[١].

ورغم المحنة فان ما أثار الاستهجان أن بعض الوجهـاء الكـرد وبعـض رؤسـاء العشائر والملاكين الوصوليين قد باركوا أو غضوا الطرف عـن مجـيء هـؤلاء الغمـر: (إلا أن الطامة الكبرى كانت تكمن في موقف بعض القوى السياسية المحلية ـ الأمميـة والكردية ـ التي باركت أو آثرت السكوت، وكان من بين هذه القوى الحـزب الشـيوعي السوري ومن خلال منطقية الجزيرة التي رحبت بهذا المشروع ودافعت عنه)[٢].

أجـل، لم تتوقـف حمـلات التعريـب لحظـة في العـراق وسـوريا، مثلـها في ذلـك كحمـلات التفـريس والتتريـك السـيئة الصـيت. لا بـأس أن نختـار نمـوذجين، الأول (الموصل) في العراق، والثاني (القحطانيـة) في سـوريا، للـرد علـى الشـوفينيين الـذين ينكرون وجود الكرد التاريخي والجغرافي أو ينفون أسبقية الكرد على الوجود العربي.

* **النموذج الأول:** الرحالة والبلداني الشهير ابن حوقل، وهـو مـن أجـل علمـاء الموصل، وكان فيها عام ٩٦٩م، قال عن سكانها: (كان جـل أهلـها في المئـة الرابعـة

---

(١)- بيان بمناسبة مـرور ٤٠ عامـاً علـى جريمـة تنفيـذ مشـروع الحـزام الاسـتيطاني العربـي في محافظـة الجزيرة/ الحسكة – اللجنة المركزية لحزب يكيتي الكردي في سوريا/ حزيران ٢٠١٤.

(٢)ـ عبد الصمد داوود: الحزام العربي في الجزيرة ـ سوريا ـ الطبعة الثانية المعدلة ٢٠١٥ـ ص٦٥.

للهجرة/ العاشرة للميلاد من الكرد). ويقول الدكتورعبد الفتاح علي بوتاني: كانت الموصل قبل الفتح الاسلامي لها سنة ٦٣٧م، بُلَيْدَة ضئيلة القدر، قليلة العمران، قوامها محلتان: يسكن احداها المجوس، وكان معظم الكرد على هذا الدين حينذاك، وسكن المسيحيون المحلة الأخرى، ومعظمهم كان من المسيحيين الكرد اليعاقبة، الذين كتب عنهم درايفر، قائلاً: ان هناك مجموعة من اليعاقبة المسيحيين الكرد يعيشون في الموصل وجبل جودي. أي أن المدينة لم تكن ذات طابع عربي، فالعرب لم يسكنوا المدينة الا بعد الفتح الاسلامي[١]. ويمضي بوتاني في الاتيان بالوثائق الدامغة على هذا الصعيد، فيستشهد بابن خلدون، الذي سمى جبل حمرين بجبل الأكراد، وبالرحالة الهولندي الدكتور ليونارد راوولف، الذي زار الموصل سنه ١٥٧٥م وقال بوضوح: أن الموصل تقع في بلاد الكرد[٢]. لكن الكرد بدأوا يستعربون تحت تأثير الاسلام وثقافته، وبدأت المناطق الكردية الهامشية تستعرب جراء الزحف العربي وتدفق الهجرات العربية، منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب، مروراً بالعهدين الأموي والعباسي، فقد أصدر الحجاج في عهد الخليفة الأموي عبدالملك سنة ٦٩٧م أمراً يقضي باستعمال اللغة العربية في دوائر الدولة، وحصر الوظائف العامة بالمسلمين، الأمر الذي حمل العديد من غير المسلمين على اعتناق الاسلام، وأن يتعلم العربية قراءة وكتابة كل من يريد العمل في دوائر الدولة. لقد غلب أبناء الجزيرة العربية بفضل الاسلام، غيرهم من الأمم وأذابوهم في بوتقتهم، وأشاعوا بأن كل من يتكلم العربية عربي[٣].

وقد سبق أن دحضنا فرضية الانتماء العربي للكرد، تلك التي بذل المؤرخون جهودهم لترويجها وترسيخها واضفاء الصفة الشرعية عليها، هذا من جانب ومن جانب آخر رأينا كيف أن بعض المؤرخين نسبوا الكرد الى الجان، فها هو ياسين أفندي العمري (١٧٤٤– ١٨١٦) يذم الكرد في هذين البيتين التهكميين:

---

(١)– عبد الفتاح بوتاني(الدكتور): صفحات من الذاكرة الموصلية – ط١عام ٢٠١١ – مركز الدراسات الكردية وحفظ الوثائق – جامعة دهوك – ص٢١.

(٢)– المصدر السابق – ص٢٤.

(٣)– المصدر السابق – ٢٧و٢٨.

رأيتُ في النومِ أبي آدما صلى الله عليه ذو الفضل
فقالَ حواء أمكم طالق ان كانت الأكراد من نسلي[1]

وقد استعربت نسبة لا يستهان بها من أهل الموصل، وادّعت بأن نسبها يمتد الى خالد بن الوليد أو الى العباس عم الرسول جراء السياسات المنتهجة ضد الموالي وأهل الذمة على حد سواء، واستمرت سياسة التعريب على أشدها في العهد الوطني لترحيل الكرد وتجريدهم من هويتهم، عبر أساليب قذرة مثل حرمانهم من التملك وترميم بيوتهم، و: (لكي يتخلص الكرد من طائلة التمييز والاضطهاد القومي في البيع والشراء والتملك والتعيين وما شابه، أخذت السلطات المحلية – في الموصل – وبايعاز من الحكومة المركزية تشجيع – الكرد – على تغيير أو تصحيح – كما سميت – قوميتهم، هذا فضلاً عن أن السلطات أجبرت الكرد الشبك والايزيدية ووالكركرية والكيكان والهسنان والعشائر الكردية الأخرى الساكنة غرب دجلة وشرقها بالتسجيل عرباً في الاحصاءات السكانية الرسمية التي جرت في السنوات ١٩٧٧، ١٩٨٧، ١٩٩٧، ومما يؤسف له أن الكثير من الكرد وخوفاً من الترحيل، أو من العواقب السياسية والاقتصادية، وممارسة التمييز ضدهم وحرمانهم من حقوق المواطنة سجلوا أنفسهم عرباً في الاحصاءات المذكورة، وعندما تجرأت نحو ١٦٣٠ من الأسر الشبكية وسجلت نفسها كرداً في احصاء ١٩٨٧، قامت السلطات في ٢٨ آب ١٩٨٨ بهدم دورهم وترحيلهم)[2]. من هاهنا نجد اليوم العرب في مدينة الموصل يشكلون الأكثرية.

وبالنسبة للايزيدية، فرض على ٩٩٪ منهم في عهد البعث بالعراق ومن خلال احصاء ١٩٧٧ تغيير قوميتهم، علاوة على الترحيل القسري واسكان العرب في مناطقهم، واسكانهم في مجمعات أطلقت عليها أسماء عربية وحرموا من تسمية مواليدهم الجدد بأسماء كردية[3].

---

(١)– ينظر كتابه: صفحات من الذاكرة الموصلية – المصدر السابق – ص٢٩.. نقلاً عن: ذو النون أيوب – قصة حياته بقلمه – القسم الأول(ذكريات الطفولة)/ فينا ١٩٨٠ – ص٥٣.

(٢)– عبد الفتاح بوتاني(الدكتور): صفحات من الذاكرة الموصلية – مصدر سابق – ص٣٧.

(٣)– اضطر الايزيدي ارتداء العقال العربي كشكل من أشكال التقية بدلاً من اليشماغ الكردي، حتى لا يهان عند ذهابه إلى الموصل. راجع: حسوهورمي – محاضرات في الشأن الايزيدي – ص٢٠.

وفي منطقة شنكال مثلاً تم جمع ١٥٦ قرية ايزيدية، في اطار سياسة تعريب المناطق الكردية، واسكان أهلها (بشكل قسري في ١٢ مجمع سكني سميت بأسماء عربية، مثل: العروبة، القادسية، الأندلس، حطين، التأميم، اليرموك، الوليد، الشمال، البعث، العدنانية، القحطانية، الجزيرة)[١]، وتم اسكان العشائر العربية وبعضاً من عرب (البدون) المبعدين من الكويتيين في مناطق شنكال، وكانت للسياسة هذه أثر كبير على احداث التغيير الديموغرافي.

وقل الشيء نفسه بالنسبة إلى كركوك، فجاء في مؤلَف مطبوع عام ١٨٦١ للعلامة والموسوعي اقليمس يوسف داوود، تحت عنوان: (مختصر صغير في الجغرافيا)، أن كركوك وبدليس واربيل وسيرت.. هي من أعظم مدن كردستان[٢].

* **النموذج الثاني:** بلدة (تربه سبي Tirbespî) وهي اليوم مركز ناحية، وتقع على نهر الجراح، شرقي مدينة القامشلي بنحو ٣٠ كم، أهلها وأهل القرى المجاورة سبق لهم أن قاوموا القوات الفرنسية، وبعد الجلاء لم يحصدوا سوى خيبة الأمل، خصوصاً في عهد البعث. في عام ١٩٥٠ كانت تربه سبي بليدة صغيرة، وكان عدد الأسر التي تقطنها ٢٦٠ أسرة (١٦٠ أسرة كردية، و١٠٠ أسرة مسيحية: أغلبها من السريان وأقلها من الأرمن)[٣].

عرب اسمها مرتين، الأولى عربت فيها الى (قبورالبيض)، وهي عبارة عن ترجمة مباشرة لاسمها الكردي، ثم عربت للمرة الثانية الى (القحطانية)، هذا من حيث الشكل أما من حيث المضمون، فقد اتبع البعثيون سياستهم القذرة ضد أهل البلدة الأصليين (الكرد، السريان، الأرمن)، بغية تغيير المعالم الديموغرافية للبلدة. جدير ذكره أن البلدة المذكورة التي دَرَسْتُ فيها المرحلتين الاعدادية والثانوية، وعلّمْتُ فيها بعد تخرجي من الجامعة، لم يكن فيها سوى بضعة أسر عربية منها أسرة

---

(١)– حسو هورمي: محاضرات في الشأن الايزيدي ـ من مطبوعات المديرية العامة لشؤون الايزيدية في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في حكومة اقليم كردستان العراق ـ اربيل ط١عام ٢٠١٣ ـ سلسلة رقم ١٢ـ ص٢٢.

(٢)– عبدالفتاح بوتاني(الدكتور): الحركة القومية الكردية التحررية/ دراسات ووثائق – تقديم: ا. د. خليل علي مراد – سبيريز ٢٠٠٤/ اربيل – ص١٩١.

(٣)– هذه المعلومة مأخوذة من أرشيف المهندس محمد سليم عثمان من أهالي البلدة ومن عشيرة هفيركا.

الكعود كما أذكر، لكن البعث في نهاية الستينيات وبداية السبعينيات من القرن العشرين، منحت الأرض (حي الثورة) مجاناً الى البعثيين والمقربين اليهم والموظفين والعمال العرب وبعض أعضاء جبهته العتيدة من الشيوعيين والناصريين، وفق خطة ممنهجة لاسكان العرب (معظمهم من عشيرة الجوالة) فيها كخطوة أولى. أما الخطوة الثانية فاتخذت بين ١٩٧٤– ١٩٧٥، حين أسكنت المستوطنين (الغمر)، الذين جاءت بهم من محافظتي الرقة وحلب في محيط البلدة، ومارست سياسة التمييز ضد أبنائها، الذين بدأوا بالنزوح إلى القامشلي أو الهجرة الى الخارج تدريجياً، عقب هجرة آل حاجو، بعد أن استولت السلطات في ستينيات القرن الماضي على أراضيهم وممتلكاتهم، في خطوة عنصرية مدروسة، لاستئصال الكرد وزرع العرب فيها.

يبدو أن الأوساط الشوفينية التي تحكمت بسدة الهرم السياسي قد صممت، ومنذ عقود، على تشريد (تجريد) المكان عن أسمائه والشطب على المعالم الديموغرافية لشعبنا الكردي بأي ثمن، وذلك في إطار سياستها الرامية إلى إنكار وجوده أولاً، وطمس الحقائق التاريخية والجغرافية التي تؤكد بأنه يعيش على أرض آبائه وأجداده ثانياً، واحداث تغيير في الثقل الكمي والنوعي الذي يشكله ثالثاً. ومما يلاحظ، أن سياسات التجاهل والتهميش والتعريب الممنهجة والمنتهجه منذ الستينيات على نحو خاص، تسببت في احداث شرخ عميق في صرح علاقات الأخوة العربية – الكردية، أضف إلى ذلك الشعور العميق بالاغتراب الذي خلفته هذه السياسات في وعي الانسان الكردي. أخشى أن يتصور القارىء بأن في مثل هذا القول ثمة مبالغة، من هنا لا بد أن نحيله إلى صحيفة الحياة اللندنية[1] على الأقل، حين تصدى فيها سليم بركات لحملة استهدفت – على حد تعبيره – تشريد المكان عن أسمائه، موضحاً في لفتة ذكية كيف أزيح اسم بلدة "تربه سبي" مرتين خلال فترة وجيزة في سياق السياسة الشوفينية التي استهدفتها، مرة بتعريب الاسم إلى (قبور البيض) وأخرى إلى (القحطانية) كما أسلفنا. ومما يدعو إلى السخرية أن أحد غلاة الشوفينيين، زعم ذات مرة في إحدى صحف النظام الرسمية ما مفاده، أن سكان مدينة (القامشلي) ولفرط وَلَهِهِم وتذوقهم للشعر، أطلقوا على شوارعها أسماء عنترة وأبي نواس والمعري والمتنبي والأخطل والحطيئة.. الخ. وعلى فرض صحة

---

(1)– العدد ١٢٨٠٣ تاريخ ٢٣ آذار ١٩٩٨.

هذا الزعم، أما كان من المتوقع أن يرى صاحب هذا الزعم يا تُرى شارعاً على الأقل باسم شاعر كردي بحجم جكرخوين، الذي استقبلت مدينة القامشلي نعشه عام ١٩٨٤ عن بكرة أبيها في موكب مهيب قل نظيره ؟. بيد أن للانسان، كائناً من كان، ملْءَ الحق في نسج التّرهات، شريطة أن يفسح لأمثالنا – من الغلابة على حد قول المصريين – مجالاً للرد على خزعبلاتهم، التي لم تعد تنطلي سوى على السذج، مهما ارتقى في معارج الديماغوجيا المحبوكة. والطريف في الأمر أن المتصيدين، باتوا يتمادون – في ظل هذا الصمت المريب – لتسويق ترهاتهم تلك، وليس أدل على ما نقول أكثر مما بثه المدعو خليل اقطيني من سموم عجرفته، في زاوية (إلى من يهمه الأمر)[1].

يدعي هذا المراسل أن أسماء غريبة قد استوقفته عقب جولة قام بها إلى قرى المحافظة، ومنها على سبيل المثال اسم قرية تُدعى (كر بطلي) السيء على حد وصفه. ويتضح لكل ذي بصيرة بالرجوع إلى مقالته تلك، التي عنونها تحت عبارة (أسماء عجيبة)، كيف شق عليه الوصول إلى ما يعنيه هذا الاسم ودلالته، فلولا أن هداه الله إلى نفر يفكون له هذا اللغز المحير، لعاد إلى مكتبه خالي الوفاض. من هنا بات يتساءل بنبرة المكتشف: ما معنى أن (الحمار تعب)؟ وما مبرر إطلاق اسم كهذا على هذه القرية ؟ ألم يكن هناك أسم أنسب ؟.

ويتابع هذا العرضحالجي كمن يمارس الأستذة، قائلاً: في اعتقادنا أن الشعوب عندما تقوم باختيار اسم مكان ما، فانها تحرص على اختيار الأسماء الجميلة، المرتبطة بتراث المنطقة..!. ويثني اقطيني – بالمناسة حتى كنيته هذه تعني شيئاً سيئاً نحمد الله أن صاحبنا يجهل ذلك مخافة أن ينتف كنيته نتفاً لو عرف دلالتها – أعود وأقول، يثني على الجهود التي بذلتها الجهات المختصة في محافظة الحسكة ووزارة الادارة المحلية فيما مضى لتعريب المنطقة، ويدعو إلى مواصلة سياسة التعريب هذه والاستمرار على هذا النهج. ولا ينسى أن يوحي لها بأهمية الاسراع في تلبية دعوته هذه، التي تعد إحياء لدعوة سلفه السيء الصيت محمد طلب هلال. نعود لِنُطَمْئِنَ اقطيني، بأن دعوته المجترة هذه قد سبقت للجهات المعنية أن استجابت لنظيراتها من ذي قبل، بدليل أنها لم تترك مَعْلَماً من معالم

---

(١)– الزاوية منشورة في صحيفة تشرين السورية – العدد ٧٧٧٣ – بتاريخ ٢٠٠٠/٨/٨.

فلسطين إلا وأطلقته على قرانا، وهو أعرف بهذا. ونحن لا نورد هذا الأمر من باب القدح – معاذ الله – بل من باب التذكير ليس إلا، فلا يُخفى على أمثاله تلك القرى التي جردت من أسمائها، ثم عربت إلى: حطين والقدس ودير ياسين وحيفا ويافا ونابلس ..الخ. المهم، أن الشيء الذي لفت انتباهي هو أنه تجنب – كمراوغ ماكر – أية اشارة إلى الطبيعة الاثنية لتلك القرى، مثلما تصرف من ذي قبل مع أبناء الأثير وجزيرة بوتان، كل هذا ليحلو له التصيد في الماء العكر. أما فيما يتعلق بادعائه أنه يجهل معاني تلك الأسماء، فاستميحه عذراً إن قلت: الجهل لا يبرىء الجاهل، فلقد ورد في الحديث الشريف: "من تَعَلَمَ لسان قومٍ أمِنَ شرهم إذا كانوا من الأشرار، وأفاد من خيرهم إذا كان فيهم خير وكانوا من الأخيار". كما يتضح – لصاحب النصائح – أنه لم يسمع بنصيحة الشاعر حين قال:

بِقَدرِ لغاتِ المرءِ يكثُرُ نفــعُهُ وتلك له عند الشدائدِ أعوانُ

فبادرْ إلى حِفظِ اللسان مُسارعاً فكل لسانٍ في الحقيقةِ انسانُ

وسيراً في هدى ما قالته العرب في أمثالها الدارجة (خذوا الحكمة من أفواه المجانين)، لا بأس من أن أروي على مسامعه طرفة اشتهرت بها بلدة عامودا، تُنسبُ – على ذمة رواتها وهم كثر – إلى أشهر مجانينها، أعني اسماعيل المجنون، تقول: دخل (اسماعيلو المجنون) بيتاً في عامودا ذات مرة، دون استئذان كعادته، فألفى رجلاً ضخماً يتصدر المجلس، ويتكلم بلغة غير مألوفة لأمثاله (أعني العربية)، فما كان منه إلا أن تساءل: لمَ لا يتكلم ابن... هذا – مشيراً إليه باصبعه – بالكردية يا ناس؟. فقاطعه رب البيت، قائلاً: المسكين لا يجيد الكردية. فتأوه اسماعيلو، ولم يتمالك نفسه، ورد باشمئزاز: يا ويلي، كنت أظن أن مثل هذا البغل يتقن لغات الانس والجن. وعلى أثر ذلك سرت همهمة بين القوم، فتفرقوا زرافات ووحداناً، خوفاً من الفضيحة. فتصور يامن رعاك الله، ماذا كان يمكن أن يتفوه به اسماعيلو – رحمه الله – لوقدر له قراءة مقالتك في زاوية (إلى من يهمه الأمر)؟.

إن كنت ماتزال متوهماً ياصاحبي بأن عورتك مستورة، فمن المؤسف أن نقول بأنك قد فضحت نفسك بنفسك، حين أزحت عن عورتك ورقة التين المهترئة التي كنت تتستر بها طوال الوقت، حين طلبت من الجهات المعنية باعادة الأسماء القديمة إلى القرى العربية جنوب الحسكة في زاويتك في العدد٧٧٧٩ من صحيفة تشرين

بتاريخ ٢٠٠٠/٨/١٥. فهنيئاً لك على هذه الازدواجية في الموقف !. خلاصة القول، إذا كنت مازلت تراهن على تسويق أفكارك الشوفينية هذه على بردعة هذا الحمار التعبان، فالأولى بك أن تحملها على صهوات خيولك إلى مرابع بني الكبابيش والغنامة والعنزة والبقارة والابالة، أو إلى ديار بني حمير وجحيش وكليب، لتدلك على معاني كنية الثعالبي والبرادعي وتنبهك إلى دلالة أسماء الجرو والجربوع، وقد قيل منذ القديم: "وعند جهينة الخبر اليقين". أجل فالأسماء لم تطلق عن عبث كما يتجاهل المذكور، فثمة خبايا تخفيها صفحات التاريخ وتضاريس الجغرافيا، قد يتعذر على أمثاله من العروبيين، المسيئين إلى العرب والعروبة رؤيتها. فالنزوع نحو أسماء كهذه لم يكن مجرد رغبة، بقدر ما كان إجراءً إحترازياً، بدليل أنها كانت ومازالت تعبر بشكل من الأشكال، عن الجهد المبذول، لتخزين معطيات البنية الاعتقادية فيها. ثم ألا يظن بأنه بدلاً من خوض معاركه الدونكيشوتية هذه أو خوض متاهات كهذه، كان عليه تناول ما كانت تعانيه تلك القرى من نقص على صعيد الخدمات ومافيه خير البلاد والعباد ؟. أنا شخصياً لا أتأمل من مغمور مثله القيام بمثل هذه المهمة. ومهما يكن من أمر، هي ذي الحقيقة المرة، فبمنطقه المعوج وسلوكه الحرباوي المعهود، حق عليك المثل العربي:"جَنَت على نفسها براقش"، وكذلك المثل الكردي الذي يضرب به في مثل هذه المواقف: "فلان كالأجرب". وبالمناسبة، لكل من المثلين الآنفين حكايته، وها أنذا أنصحه بمراجعة من فك له لغز (كربطلي)، ليروي على مسامعه حكاية هذا المثل الكردي، ولا أعتقد بأن في مثل هذه الاحالة أية اطالة، فمعاذ الله أن نطيل عليه بعد الآن، مخافة أن نُتّهم بأننا نتوخى ازعاجه أو اتعابه، فنحن حريصون جداً على أمثاله، لئلا يُكنى بعد اليوم بـ (خليل التعبان)، تيمناً بهذا (الحمار الهلكان).

١- تعريب المحال التجارية[1]: نصت المادة الأولى من المرسوم التشريعي/١٩٣٩/ الصادر في ١٦ تشرين الثاني ١٩٥٣: (لا يجوز تسمية المحال العامة والخاصة، مثل النوادي والفنادق والملاهي والمقاهي والحانات والمطاعم والحوانيت وما شابه بأسماء أو بكلمات أعجمية "غير عربية"). أما المادة الثانية فنصت على ضرورة لجوء أصحاب المحال التي تحمل أسماء أعجمية استبدالها

(١)- راجع الوثيقتين رقم ٢٤ و٢٥.

بأسماء عربية، في فترة أقصاها ثلاثة أشهر على صدور المرسوم الآنف. كما نصت المادة الثالثة على الحجز مدة ثلاثة أشهر وغرامة من (٥٠ – ١٠٠) ل.س، أو احدى هاتين العقوبتين، لمن يخالف أحكام المادتين السابقتين[١].

وفي احدى جلسات البرلمان عام ١٩٥٤م حين طالب أحمد جعفر إسماعيل، النائب عن قضاء كرد داغ (عفرين) تحديد بضع ساعات بث بالكردية في الإذاعة السورية، رد عليه (علي بوزو) الكردي الأصل وزير العدل آنئذ بعدم الموافقة، مما يدعونا الى القول: (دود الخل منه وفيه Kurmê darê ku ne ji darê be, felata wê nîne.

٢– مشروع رئيس مكتب الفلاحين:[٢] تضمنت مجلة (المناضل)[٣]، التي كان يصدرها حزب البعث العربي الاشتراكي في سوريا، نص المشروع المقدم من رئيس مكتب الفلاحين، رسم فيه خطوات توطين العرب في الجزيرة من جهة، وتهجير الكرد من الشريط الحدودي. فيما يلي بعض فقراته:«المخاطر التي واجهت وتواجه شعبنا العربي في شمال العراق، والتي خُلقت من قبل الامبريالية، بدأت تهددنا أيضاً منذ بضعة أعوام في محافظة الحسكة، أهملتها الحكومات السابقة، وتحتاج اليوم الى حل جذري وصريح ... ان حجم القسم الذي ندرسه من الحزام العربي، يبلغ حوالي/٣.٠٠١.٩١١/ دونم[٤]، ويمتد من المالكية وحتى حدود محافظة الرقة[٥]... إن أفراداً غير عرب، وأغلبهم أكراد قد هاجروا الى هذه المنطقة من تركيا والعراق، وفقاً لخطة تؤيدها وتشجعها الامبريالية... ولأن المنطقة واقعة بالقرب من الحدود التركية والعراقية المأهولة بالأكراد، وهم مطلوبون للمؤامرات والجاسوسية، التي تحاك ضدنا

---

(١)– نواف محمد مراد: موقف الحزب الشيوعي السوري من القضية الكردية في سوريا ١٩٢٤– ١٩٦٣ – مصدر سابق – ص٩٥. راجع أيضاً جريدة يكيتي(الوحدة) العدد ٣٦/ أيار١٩٩٦.

(٢)– عمر رسول: الوجود الكردي في سوريا بين حقائق الواقع وزيف الايديولوجيا (أسئلة من نار وأجوبة من رماد)، (نسخة الكترونية)، ملاحظة: اقتبست عن الدراسة التي أعدها المذكور، بعد التعذر على تحصيل المجلة السالفة الذكر.

(٣)– العدد/١١/ – كانون الأول عام ١٩٦٦.

(٤)– الهكتار(مساحة الكيس وفق مصطلحات الفلاحين) يساوي(١٠) دونم.

(٥)– من دجلة شرقاً حتى حدود محافظة الرقة غرباً(بطول نحو ٣٥٠ كم وعرض ١٠– ١٥ كم) على طول الحدود السورية – التركية.

في منطقة الحدود، فمن العاجل جداً أن نتخذ الاجراءات الضرورية، لكي ننقذ العرب في المنطقـة... إذا أخـذنا في الاعتبـار أهميـة المنطقـة زراعيـاً وصـناعياً، وخاصـة بعـد اكتشاف النفط. لقد أتخذت هذه الاجراءات من قبل السـلطات والحـزب لتنفيـذ خطـة الحزام:

أ – أصـدر الرفيـق محـافظ الحسـكة انـذاراً نهائيـاً الى السـكان الـريفيين (المزارعين، والفلاحين، والملاكين) يمنعهم فيه زراعة واسـتثمار الأراضـي المصـادرة من منطقة الحزام.

ب – بدأ مكتب الأراضي بتنظيم الأر اضي المصادرة.

ج – بدأ مكتب الاصلاح الزراعي باتخاذ الاجراءات لترحيل/٤/ آلاف عائلـة مـن منطقة الحزام الى مناطق أخرى، لكن من جهة أخرى فان هناك حـوالي/٢٥/ ألـف. ن داخل منطقـة الحـزام، مسـجلين عنـد السـلطات كأجانـب. فكـر الحـزب والحكومـة في محافظة الحسكة بأن هؤلاء الأجانب يجب أن يمنعـوا مـن السـكن في منطقـة الحـدود، وان الطريق الصحيح لتحقيق هذا الغرض هو اجبارهم ومنعهم من الحصـول علـى أيـة وظيفة، لكي يهاجروا بالتـدريج الى الـبلاد الأخـرى خـلال خمـس سـنوات، ويجـب أن تستخدم القوة ضدهم، اذا كان ذلك ضرورياً.

د – ان الحزب ومكتب الفلاحين يحاولان أن يستخدما عناصر عربية شابة مـن بين الذين يؤمنون بالعرب والقومية العربية، لكـي يعملـوا كعمـال مسـلحين في منطقـة الحزام.

هـ – هناك صعوبة كبرى نظراً لتداخل الأراضي الزراعية المصادرة مـع غيرهـا من الأراضي الخاصة، فمن أصـل/٤٩٧/ قريـة كرديـة موجـودة في منطقـة الحـزام، تم مصادرة أراضي /٣٨٥/ قرية، وبشأن الباقي، نقترح:

– اصدار الحكومة لمرسوم تصادر فيه الأراضي الزراعية للقرى الأخرى.
– يجب توسيع منطقة الحزام لتشمل كل المنطقة الكردية مستقبلاً.
– ان التجمع العرقي للسكان يجب أن يبدل بنقل العناصر غير العربية.
– انشاء قرى نموذجية للعناصر المهاجرة من قبل الدولة».

ومما زاد الطين بلة أن الدول الاشتراكية وفي مقدمتها ألمانيا الشـرقية كانـت تؤيد موقف سلطات البعث لتنفيذ هذا المشروع الشوفيني، وكانت تذيع مـن الراديـو:

(إن الحكومة الاشتراكية في سوريا، أوقفت الرجعيين والاقطاعيين الكرد، الذين يقاومون ويعادون التحولات الاشتراكية الجارية في البلاد)[1].

لو تأملنا هذا المشروع، لخطر مباشرة الى ذهننا دراسة محمد طلب هلال من جهة، ومن جهة أخرى سيخطر في بال القارىء الكريم بأنه صيغ في الأقبية الأمنية.

٣- مقترحات محمد كرد علي: كما تمثلت حملات التعريب بشكل فاقع أيضاً في تلك المقترحات التي قدمها محمد كرد علي في زمن الاحتلال الفرنسي، ووصايا محمد طلب هلال في العهد الوطني.

ولد محمد كرد علي بدمشق في آذار ١٨٧٦ في أسرة كردية أصلها من السليمانية (كردستان العرق)، أسس المجمع العلمي العربي بدمشق وترأسه، تولى وزارة المعارف، له عشرات الكتب والبحوث، وتوفي في ٢ نيسان ١٩٥٣. قال عنه جمال الدين الألوسي: يُعَدَّ محمد كرد علي من أبرز رواد النهضة الاسلامية العربية الحديثة ومن رجال الاصلاح والتجديد والمنافحين عن الاسلام والمسلمين. جاهد بقلمه ولسانه، ونصب نفسه رقيباً على من يتصدى للعرب بلمز أو للاسلام بغمز. قال فيه معروف الرصافي:

فلم أرَ في عرب وعجم لقيتهم ككرد عليّ في الرجال مهذّبا
هو العالم الحبر الذي كنتُ مغرماً بآدابه منذ الشبيبة والصبا

حين كان وزيراً للمعارف[2] في عهد الانتداب الفرنسي، كلف من قبل رئيس الجمهورية السورية شكري القوتلي آنذاك بغية تقصي الحقائق، فزار كرد علي العديد من المناطق، ورفع بعد عودته تقريراً إلى الرئيس في ٨ رجب ١٣٥٠ هـ الموافق ١٨ تشرين الثاني ١٩٣١، فيما يلي مقتطفات من تقريره الآنف الذكر، كما وردت في مذكراته[3]. جاء في التقرير:

"لحضرة صاحب الفخامة رئيس دولة سورية المعظم

أوصلني البحث في شؤون البلاد التي فتشتها بأمركم العالي في ألوية الاسكندرونة والفرات والجزيرة وحمص وحماه و (....) إلى أمور رأيت عرضها على

---

(١)- عبد الحميد درويش: لمحة تاريخية عن أكراد الجزيرة - مصدر سابق - ص٤٩.

(٢)- كانت تضم وزارتي التربية والتعليم العالي.

(٣)- ينظر: مذكرات محمد كرد علي - الجزء الثاني - مطبعة الترقي بدمشق - عام ١٩٤٨.

فخامتكم لتنظروا فيها ـ أيدكم الله ـ وتجروا ما يمكن اجراؤه من الأعمال التي تعود بالخير على هذه الدولة[١].

وتعلمون – أيدكم الله – أن معظم من هاجروا إلى تلك الأرجاء – يقصد لواء الجزيرة/ مني – هم من العناصر الكردية والسريانية والأرمنية والعربية واليهودية، وجمهرة المهاجرين في الحقيقة هم من الأكراد، نزلوا في الحدود. وإني أرى أن يسكنوا بعد الآن في أماكن بعيدة عن حدود كردستان، لئلا تحدث من وجودهم في المستقبل القريب أو البعيد مشاكل سياسية تؤدي إلى اقتطاع الجزيرة أو معظمها من جسم الدولة السورية، لأن الأكراد إذا عجزوا اليوم عن تأليف دولتهم فالأيام كفيلة بأن تنيلهم مطالبهم إذا ظلوا على التناغي بحقهم والاشادة بقوميتهم، ومثل هذا يقال في أتراك لواء اسكندرونة، فإن حشد جمهرتهم فيها قد يؤدي إلى مشاكل في الآجل لا يرتاح إليها السوريون، فالأوْلى اعطاء من يريد من الترك والكرد أرضاً من أملاك الدولة في أرجاء حمص وحلب[٢].

ومهاجرة الكرد والأرمن يجب في كل حال أن يمزجوا بالعرب في القرى الواقعة في أواسط البلاد لا على حدودها، اتقاء لكل عادية تطرأ ونحن الآن في أول السلّم نستطيع التفكير والتقدير[٣].

دمشق: ١٩٣١/١١/١٨ – وزير المعارف: محمد كرد علي

لا نغالي إن قلنا بأن محمد كرد علي، قد نال بتقريره هذا قصب السبق، لأن مشروعه كان سابقاً على مشروع محمد طلب هلال بنحو ثلاثة عقود. مِنْ هنا فالسؤال الذي يطرح نفسه: أما زال بيننا (هارباكيون) ممن يمثلون دور الحجل؟. أجل، فظاهرة التماهي بالمضطهِد، تلك التي تناولها الكثر في أبحاثهم، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الدكتور مصطفى حجازي في كتابه (سيكولوجية الانسان المقهور)، وإن كانت ظاهرة عامة، إلا أنها فاقعة في واقعنا الكردي، جراء فترة الاستعباد المديدة وليل كردستان الطويل. واليوم، هاهو التاريخ يعيد نفسه، لكن في المرة الأولى على شكل مأساة/ تراجيديا، وفي الثانية على شكل ملهاة/ كوميديا، وفق

---

(١)ـ المصدر السابق – ص٤٣٦.

(٢)– المصدر السابق – ص٤٤٠و٤٤١.

(٣)– المصدر السابق – ص٤٤١.

توصيف ماركس؛ فقد بات المتهافتون كُثُر، وهم يبيعون ذممهم للعدو بأبخس الأثمان. لكن التاريخ لن ينسى تلك الفئات التي أستُدرِجَت بثمن بخس، كي تمارس كل أشكال التماهي بالمستبد وكالة، من خلال المداهنة والتزلف والعهر السياسي، فكانت أشد بلاءً على الشعب الكردي وأكثر اضطهاداً له من أعدائه، وأعظم تفنناً في التنكر لحقوقه القومية العادلة. ويبدو أن ظواهر سلوكية مماثلة قد دفعت ذات يوماً بـ (مارتن لوثر كنغ) الى القول:"لا يستطيع أحد اعتلاء ظهرك، إن لم تنحنِ له".

٤- وصايا ومقترحات محمد طلب هلال: الملازم أول محمد طلب هلال، رئيس شعبة الأمن السياسي في محافظة الحسكة (الجزيرة)، وعضو حزب البعث العربي الاشتراكي، وعضو القيادة القطرية للحزب بعد انقلابه في ٨ آذار ١٩٦٣، ثم تبوأ فيما بعد وزارة التموين في حكومة يوسف زعين، وبعد بلوغه سن التقاعد أصبح سفيراً لسوريا في بولندا. رفع تقريراً سرياً عن محافظة الحسكة من النواحي القومية والاجتماعية والسياسية، في ١٢/١١/ ١٩٦٣، إلى القيادة العليا، بهدف تعريب المناطق الكردية (خصوصاً الجزيرة)، طالب فيه بتهجير واذلال وتجهيل الكرد بكل السبل بما في ذلك السبل العسكرية، في الوقت الذي يقترح على الجهات المعنية بتوزيع الفائض من أراضي أملاك الدولة في الجزيرة والأراضي المشمولة بقانون الاصلاح الزراعي المستولى عليها على العنصر العربي فقط، وأن يعطى هذا العنصر سندات التمليك دون غيره، ولاتؤجر الأرض إلا للعربي، ناهيك عن مطالبته باستجلاب العناصر العربية من الداخل واسكانها في الجزيرة. ونجد أن هلال يعلنها صراحة بأنه يتوجب على الحكومة الاقتداء بتجربة الحركة الصهيونية في مسائل ترحيل الكرد والتعريب والتجريد وبناء المستوطنات وعسكرة المناطق الكردية، وبالتالي نجد أنه أساء إلى الشعب العربي بدعوته الشوفينية هذه إذْ يقول:

- آن الأوان لوضع خطة راسخة لتنقية المحافظة من العناصر الغريبة، هذه الرقعة ذات الثروة الكبيرة، بعد أن فاحت فيها روائح النفط.

- يحتل الكرد أخصب المناطق في الجزيرة وأكثرها مطراً، ويقابل الشريط الشمالي المأهول بالأكراد شريط مثله في تركيا أيضاً مأهول بالأكراد، فهم أقارب حتى في الدم، حيث نجد العشيرة الكردية مقسمة بين سوريا وتركيا، ومثل ذلك في العراق أيضاً، فهم أخوة وأبناء عمومة.

– ليس هناك شعب بمعنى الشعب الكردي ولا أمة بمعنى أمة كردية.

– الكرد لا تاريخ لهم، ولا حضارة، ولا لغة هم صعاليك الشرق وقطاع الطرق، يعيشون على ما تقدمه الأمم من تراث وحضارات، ليس لهم فيها أي سهم.

– المشكلة الكردية ليست سوى انتفاخ وَرَمي خبيث، يجب بتره.

– القومية الكردية خلقت بوحي من الاستعمار. الكرد قوم يسعون بكل طاقتهم لانشاء وطنهم الموهوم، فهم أعداء رغم الرابطة الدينية، لا فرق بينهم وبين اسرائيل، يهودستان وكردستان صنوان. لم يتفق المعسكران الغربي والشرقي في صراعهما على شيء إلا على مسرحيتين، مسرحية اسرائيل ومسرحية كردستان. وما يحز في النفس موقف حكام القاهرة (المقصود جمال عبد الناصر)، فالكرد وفق رأيهم أخوة في الدين، لذا هم يؤمنون بالحلول السلمية بين العرب والكرد، وهذا المنطق قريب من منطق عبدالكريم قاسم الذي رفع شعار: عاشت الأخوة الكردية العربية.

– تعريبهم بالعلم فكرة خاطئة، فما ان تعلموا حتى اعطوا عكس النتائج المأمول أن يعطوها، وكانت معاهدنا ومدارسنا مصانع لتخريج البارتيين والشيوعيين. قديماً كانوا يقولون: علموهم يستعربون، وكانت النتيجة ان العلم الذي قدمناه لهم أصبح السلاح الأول بين أيديهم. لذا وبناء على ما ذكر نقترح اتباع سياسة تجهيلهم.

– الشيخ أحمد الخزنوي يقيم حلقات الذكر ظاهراً، ويعمل لقوميته الكردية والشيوعية خفية مع أبناء جلدته.

المقترحات:

١– أن تعمد الدولة إلى عمليات التهجير نحو الداخل، بدءاً بالعناصر الخطرة لتنتهي بالأقل خطورة، وعلى مراحل.

٢– اتباع سياسة التجهيل، وعدم إنشاء مدارس أو معاهد علمية في المنطقة، لأن هذا أثبت عكس المأمول بشكل صارخ.

٣– الأكثرية الساحقة من أكراد الجزيرة يتمتعون بالجنسية التركية، فلابد من تصحيح السجلات المدنية، وهذا يجري الآن (هذه اشارة واضحة إلى إحصاء ١٩٦٢ الاستثنائي الذي أجري في الجزيرة وجرد بموجبه يومها نحو ١٢٠ ألف مواطن كردي)، إنما نطلب أن يترتب على ذلك إجلاء كل من لم تثبت جنسيته وتسليمه إلى الدولة التابع لها.

٤- سد باب العمل أمام الأكراد حتى نجعلهم في وضع أولاً غير قادر على التحرك، وثانياً في وضع غير المستقر المستعد للرحيل في أية لحظة، وهذا يجب أن يأخذ به الاصلاح الزراعي في الجزيرة، بأن لا يؤجر ولا يملك الأكراد.

٥- شن حملة من الدعاية الواسعة بين العناصر العربية وتركيزها على الأكراد، بتهيئة تلك العناصر بغية خلخلة وضع الأكراد وجعلهم في وضع قلق وغير مستقر.

٦- نزع الصفة الدينية عن مشايخ الدين عند الأكراد، وارسال مشايخ بخطة مرسومة عرباً أقحاحاً، أو نقل مشايخ الأكراد إلى الداخل.

٧- ضرب الأكراد في بعضهم، وهذا سهل، وقد يكون ميسوراً باثارة من يدّعون منهم بأنهم من أصول عربية على العناصر الخطرة منهم.

٨- إسكان عناصر عربية وقومية في المناطق الكردية على الحدود، فهم حصن المستقبل ورقابة على الأكراد ريثما يتم تهجيرهم، ونقترح أن تكون هذه العناصر من شمر، لأنهم أولاً أفقر القبائل بالأرض وثانياً مضمونين قومياً مئة بالمئة.

٩- جعل الشريط الشمالي للجزيرة منطقة عسكرية، كمنطقة الجبهة، بحيث توضع فيها قطعات عسكرية مهمتها إسكان العرب وإجلاء الأكراد وفق ما ترسم الدولة من خطة.

١٠- إنشاء مزارع جماعية للعرب الذين تسكنهم الدولة في الشريط الشمالي، على أن تكون هذه المزارع مدربة ومسلحة عسكرياً كالمستعمرات اليهودية على الحدود تماماً.

١١- عدم السماح لمن لا يتكلم اللغة العربية بأن يمارس حق الانتخاب والترشيح في المناطق المذكورة.

١٢- منع إعطاء الجنسية السورية مطلقاً لمن يريد السكن في تلك المنطقة مهما كانت جنسيته الأصلية عدا الجنسية العربية. هذا وإن هذه المقترحات ليست كافية، بل أردنا منها إثارة المسؤولين بحسب خبرتنا لتكون تباشير مشروع خطة جذرية شاملة.

٥- الاحصاء الاستثنائي (٥ تشرين الأول ١٩٦٢): جُرّد بموجبه يومها من الجنسية ١٢٠ ألف كردي في الجزيرة، وكان الهدف منه إحداث التغيير الديموغرافي، وقام سعيد السيد، محافظ الحسكة آنئذ بتنفيذه وفق الأوامر التي تلقاها من

دمشق[١]. منذ تلك اللحظة غدا الكرد يصنفون إلى: أ – فئة تتمتع بالجنسية السورية. ب – فئة الأجانب المجردين من الجنسية مسجلين في القيود الرسمية كأجانب. ج – فئة المكتومين المجردين من الجنسية ولم يتم تقييدهم في السجلات الرسمية. ويلاحظ تزايد نسبة الفئة (ج)، لأن المولود من أب أجنبي (الفئة ب) وأم مواطنة (الفئة أ) يسجل في خانة المكتوم (الفئة ج). وكذلك المولود من أب أجنبي (الفئة ب) وأم مكتومة (الفئة ج) يسجل في خانة المكتوم (ج). أما المولود من أبوين مكتومين (الفئة ج) فيسجل في خانة المكتوم (ج). وبنتيجة هذا الاحصاء تم تجريد عثمان صبري (أحد مؤسسي البارتي عام ١٩٥٧) وعبدالباقي نظام الدين (النائب والوزير في حكومات متعددة) وشقيقه اللواء توفيق نظام الدين (رئيس هيئة الأركان السورية ١٩٥٥ـ ١٩٥٧).

ومن الاجراءات الأخرى التي اتخذتها السلطات بهدف تغيير المعالم الديموغرافية للاقليم الكردي، اقامة المستوطنات لعرب الغمر الذين استقدمتهم من ريفي الرقة وحلب، سرعان ما منحتهم سندات التمليك، لكنها حرمت الفلاحين الكرد منها. واستقدام الموظفين من العنصر العربي إلى الاقليم الكردي وتشجيعهم على السكن فيه. كما أصدرت وزارة الداخلية قرارات سرية، يسمح بموجبها نقل موطن العنصر العربي الى الاقليم الكردي، وتقديم التسهيلات على هذا الصعيد، إلا أنها كانت تمنع نقل موطن العنصر العربي من الاقليم الكردي الى الأقاليم العربية. وعلى العكس تسهل انتقال العنصر الكردي من الاقليم الكردي الى الأقاليم العربية، وتعرقل نقل موطنه من الأقاليم العربية الى الاقليم الكردي[٢].

---

(١)– صدر المرسوم الجمهوري رقم ٩٣ بتاريخ ٢٣ آب ١٩٦٢ في عهد رئيس الجمهورية ناظم القدسي ورئيس وزرائه معروف الدواليبي، الذي قرر بموجبه إجراء احصاء استثنائي(في محافظة الحسكة وحدها)، تحت ذريعة التسلل الكردي، بغية تشويه وتزييف الحقائق التاريخية والثوابت الجغرافية. تم الاحصاء تحت اشراف محافظ الحسكة(سعيد السيد)، بعد اعداد ٣٠٠ معلماً أغلبهم من حلب عبر دورة تأهيلية، فتمخض عن تسجيل ٨٥ ألفاً بصفة "أجانب أتراك"، وهم يعادلون ٢٧.٥٪ من سكان المحافظة البالغ ٣٠٩٢٧٩ نسمة وفق أرقام السجل المدني ونحو ٥٣.١٢٪ من اجمالي الكرد في الجزيرة وفق التقديرات الأمنية ١٩٦٣ والمقدر بنحو ١٦٠ ألفاً، وهو ما يعني تحويل الكرد من أكثرية سكانية في الجزيرة إلى أقلية تعادل ٧٥ ألفاً بعد أن كانت تشكل ١٦٠ ألفاً(راجع: محمد جمال باروت ـ التكون التاريخي الحديث للجزيرة السورية ـ مصدر سابق ـ ص٧٢٤).

(٢)ـ راجع الوثيقتين رقم ٢٣ و٢٦.

وقد أفاد عبدالحليم خدام، نائب رئيس الجمهورية الأسبق، في كتابه (النظام العربي المعاصر: قراءة الواقع واستشفاف المستقبل)، والذي نشرته صحيفة الحياة على حلقات، بأن ثغرات هامة كانت موجودة في مبادىء ومناهج الأحزاب العربية، لأنها لم تدرس الواقع الاثني في الوطن العربي، الذي يتميز بوجود أقليات قومية لا تتكلم العربية، شريكة للعرب في تاريخهم وثقافتهم وحضارتهم وقيمهم، سواء في مغرب الوطن العربي أو مشرقه، واستمرت التنظيمات القومية العربية الأخرى بعد عقد الأربعينات في تجاهل هذا الوضع(١).

ثالثاً: الحركة السياسية الكردية

١ـ وعي الذات: بدأ الشعور القومي يتسرب إلى الذات الكردية على صعيد العلاقة مع "الآخر"، الذي همشه وأهدر حقوقه ومارس ضده التمييز على أكثر من صعيد، بعد تكوين الدولة السورية وإلحاق جزء من كردستان بها عقب الحرب العالمية الأولى، وأضحت المواطنة نوعاً من المنة يُمَنُّ بها الآخر على الكردي. في ظل هذا الواقع برزت شريحتان في أوساط الكرد السوريين:

الأولى ـ سلكت طريق التماهي مع المضطهِد وفي نيتها التخلص من دونيتها، عبر آليات الدفاع السلبي، مثل اللامبالاة إزاء الواقع المزري أو الانخراط مع الآخر والانزلاق إلى موقع القاهر الذي يسعى أساساً لامحاء هويته بأي ثمن. من هنا نجد أن الذاكرة الكردية مسكونة بهاجس النفور أو التطير من الحجل(٢)، الذي يستدرج عادة نظيره إلى فخاخ الآخرين، حتى أضحى الحجل مضرب المثل في أدبنا الشفاهي، رغم أنه كائن مألوف في البيئة الكردية، لكنه غير مرغوب اجتماعياً، لأدائه – في المخيال الشعبي – دور مَنْ يَستهدف الايقاع ببني جلدته في شِباك الأغيار أو الآخرين، وحكاية الأمير بدرخان (أمير بوتان) أضحت معروفة.

الأخرى ـ أدركت بحسها السليم وبوعيها المتقدم طريق الخلاص المتثل في نيل الحقوق القومية المشروعة، لكن واجهتها عقبتان، تمثلتا في التخلف الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي من جهة(٣)، ومن جهة أخرى في قومية الأمة السائدة

(١)– أنظر: صحيفة الحياة – صادرة في ١٦ كانون الثاني ٢٠٠٣.

(٢)– من فصيلة الدجاجيات، وينتشر في كردستان على نطاق واسع، ويستوطنها.

(٣)– حيث كانت نسبة الأمية تتجاوز في كرستان سوريا ٩٥٪ وأكثر في خمسينيات القرن العشرين.

(القوميـة العربيـة)، الـتي تصـلب عودهـا ودخلـت في مواجهـة شرسـة ضـد التطلعـات القومية الكردية، ناهيك عن سلطة الانتداب الفرنسي، التي وقفت الى جانـب القـوميين العرب انطلاقاً من مصالحها[1]. المهم، أن الشعور القومي بدأ يتبلور وينضج تدريجياً في هيئة وعي الكردي لذاته المضطهَدة وادراك («أنا»ه) في مواجهة سياسـات الانكـار المتبعة بعد الجلاء، ثم أخذ هذا الوعي يتعزز، ومازال في حالة صيرورة حتى اللحظـة، حتى بدأت تلك الصورة عن "الهويـة الوطنيـة" تتبلـور بشـكل مغـاير عنـد الكـردي، جرّاء نفي الآخر له، وغدا مفهوم الهوية يتغير من حيث المضمون تبعاً لـتغير العلاقـة بين المكونات التي تضمها سوريا، بعد أن وضعت الطبقات الحاكمة مصـالح المكـون العربي (السني بداية ومن ثم العلوي لاحقاً) فوق مصالح المكونات الأخرى، وغرسـت في نفس هذا المكون العربي مشاعر العداء للكرد. بدأ الكرد يعيدون النظر في المفهـوم التقليدي للهوية الوطنية الرديـف للمفهـوم التقليـدي للهويـة الاسـلامية، ذاك المفهـوم الذي ساد لقرون وكان الكردي خلالها يعيش في مرتبة "الرعية"، بعد أن خابت آمالـه في التوقيع على عقد تاريخي بالتراضي بين مكونـات المجتمـع جميعـاً، وأدرك خيانـة المكونات الأخرى لهذا العقد بمـا ائتمنـت عليـه في تحقيـق الكرامـة والحريـة والعـيش اللائق للشعب، وتعزيز الوحـدة الوطنيـة علـى أسـاس العـدل والمسـاواة والـدفاع عـن الوطن وحقـوق المـواطن، وسـرعان مـا خـاب ظنهـا، لأنهـا ظنـت بدايـة بـأن الشـعب سيحاسب مـن يفـرط بتلـك الأمانـة ويطالبـه بالاصـلاح عـبر السـبل المتاحـة، وإن لم يستجب سيثور عليه بالوسائل المشروعة والسلمية، لتقويم الاعوجاج وتحقيق التغيير الديمقراطي المنشود وإعادة بناء الدولة التعددية الجديدة، ولنا اليوم في مآلات ثـورات الربيع العربي خير مثال لتكرار التجربة ذاتها، والحالة السورية نموذج فريد علـى هـذا الصعيد، كي لا نلدغ من ذات الجحر مـرتين. لكـن مـا زاد الطـين بلـة، أن هـذا العقـد بالتراضي بين مكونات سوريا لم يكن موجوداً منذ البداية أصلاً حين ألحق هذا الجزء من كردسـتان بسـوريا قسـراً وفـق مصـالح الضـواري (فرنسـا وبريطانيـا). ببسـيط العبارة، كان اقتطاع هذا الجزء مـن كردسـتان وضـمه لسـوريا شـبيهاً بعـادة الـزواج بالاكراه الـتي سـادت في مجتمعاتنـا، فمـن الطبيعـي أن يحصـل الطـلاق إن لم تسـد العلاقات روح الاحترام المتبادل، إن لم نقل الحب المتبادل.

---

(1)- م. لازاريف: المسألة الكردية ١٩٢٣- ١٩٤٥- مصدر سابق - ص ٨ و ٩.

في ظـل هـذه الأوضـاع، تم تـرويض الكـردي وفـق المقولـة الدارجـة " لـيس بالامكان أكثر مما كان"، وظـل الكـردي حبـيس الواقـع المفـروض والـوعي المزيـف السائد، في مرحلة الانتداب والعهد الـوطني، وبـات تجـاوز هـذا الوقـع يتطلـب بدايـة، ممارسة نقدية لذهنية الكردي التقليدية التي صقلت في مراجل الآخرين، لأن الممارسة النقدية بحد ذاتها فعل اجتماعي يهدف الى الكشف عن الحقائق وتمييزها عن الترهـات عن طريق استقراء التاريخ، وهذه وظيفة المثقف الكـردي، فصـاحب القلـم، مسـؤول اجتماعي – على حد قول رئيف خـوري – عـن تصـوير الحقيقـة علـى واقـع الحـال، وعلى ما ينبغي لها أن تكون[1]. كما من المفيد أن نشير إلى أن تجاوز الوعي الكردي التابع، يتطلب أول ما يتطلب إزاحة الغبـار عنـه بغيـة الكشـف عـن القنـوات الـتي تم عبرها ضخ الخميرة الفاسدة لتخدير الكرد وتشويه وعيهم، وبالتالي هذا يقتضي بداية قطع الخيط المشيمي الذي كان الكردي يتغذى عبره تلك السموم المنوِّمة، بعد إلقـاء الضـوء علـى آليـة (ميكـانيزم) الايـديولوجيا الـتي كـان يتسـتر وراءهـا الـذين كـانوا يستهدفون تطويع الكردي بأي ثمن، واستئصـال العوامـل الـتي اعتكـزت عليهـا تلـك الايديولوجيات، وهذه أولوية الأولويات إذا ما أدركنا بأننا بـأمس الحاجـة للتأسـيس لوعي كردي وفق آفاق أكثر ديمقراطية وانسانية، والارتقاء بـه إلى مسـتوى متطلبـات العصر.

إن الأطـــر التقليديـــة للذهنيـــة الكرديـــة المتخلفـــة، الـــتي أنتجـــت في ظـــل الايديولوجيات الشمولية المسـيطرة والزائفـة تاريخيـاً، أضـحت بحـق عقبـة كـأداء في طريق تجديد الوعي وتقدمه، ففي مرجلها يـتم انتـاج الـوعي الـذي تسـبب في تعميـق أزمة الهوية لدى الكردي. مـن هنـا بـات مـن الضـرورة بمكـان، نقـض تلـك المفـاهيم السائدة الـتي فرّخـت في تلـك الأطـر التقليديـة للذهنيـة الكرديـة عـبر ليـل كردسـتان الطويل، عبر قنوات ثلاث، هي:

أ– القناة الأولى (الاسلام السياسي): أو الفكر المتأسلم الذي يتستر بزي ديني فاقع، لم يعد المرء بحاجة في أيامنا هذه إلى مزيد من الشواهد ليتأكد ما كـان للفكـر الديني هـذا[2] مـن دور هـام في بلـورة ظـاهرة الاغـتراب لـدى الكـرد تاريخيـاً، ومسـح

---

[1]– رئيف خوري: الأدب المسؤول – دار الآداب/ بيروت – ط١عام ١٩٦٨ – ص٤٩.

[2]– تقتضي الضرورة هنا التمييز بين الدين والفكر الـديني المتزمـت، لازالـة أي التبـاس قـد يتبـادر إلى الذهن.

تضاريس حسهم القومي، عبر مختلف العصور، أقلها شأناً تهمة الشعوبية التي كانت تلصق بحركات الكرد في سبيل انتزاع حقوقهم أو رفع الغبن عن كاهلهم، والشعوبية كانت تياراً معادياً للاسلام، كما يتبين في كتابات الزمخشري وابن قتيبة وغيرهما، بيد أن قراءة موضوعية لتاريخ بني أمية مثلاً، تظهر لكل ذي بصيرة تعصب الأمويين ونظرتهم الدونية إلى الموالي، بمن فيهم الكرد، مما تسببت هذه النظرة في ظهور النزعة الشعوبية، الداعية أساساً إلى المساواة بين الأقوام الاسلامية(١)، وتجسيد للحديث النبوي:«لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي إلا بالتقوى».

من الطبيعي أن يغدو الكرد الذين عاشوا في ظل هذه الأجواء الموبوءة منفعلين لا فاعلين، مخافة أن يصنفوا في خانة المناهضين للاسلام، وفق المعايير السلطوية السائدة آنئذ. واليوم، يبدو التاريخ وكأنه يعيد نفس الاسطوانة بنغم جديد، فالنزوع الكردي في القرن العشرين لتكوين دولتهم القومية، نزوع زرعه الغرب وفق منطق المتشبثين بأهداب الاسلام، والقومية فتنة – وفق زعمهم – أوحت بها الصهيونية والماسونية لتفكيك الرابطة الاسلامية(٢)، والقومية وفق إدعاء أحد أعلامهم من صادرات الاستعمار إلى البلدان الاسلامية لتحطيم وحدة العالم الاسلامي(٣)، وأضحت النزعة القومية على حد زعم الامام الخميني مصدراً لجميع مآسي المسلمين، لأنها من الأساليب التي يطرحها المخططون لايجاد الفرقة بين المسلمين، ويقوم عملاء الاستعمار بالتبشير بها، أي القومية والوطنية(٤). إن المتزمتين لا يميزون في خطابهم بين (الأمة الظالمة) و (الأمة المظلومة)، ولا يفرقون بين النزعة الشوفينية للقومية المضطهدة والنزعة التحررية للقومية المضطهَدة، ولا يُخفى لكل ذي بصيرة بأن مساواة الجاني بالمجنى عليه عمداً هو تزوير للحقيقة وتشويه لها عن سبق الاصرار والتصميم، وهذا النهج القديم/ الحديث، يهدف إلى إبقاء الكردي أسيراً في قفصه، وتجريده من إرادة مقاومة الأنظمة الغاشمة التي تقتسم بلاد الكرد اليوم، وتأبيد واقعهم المزري.

---

(١)– اميل توما (الدكتور): الحركات الاجتماعية في الإسلام – مصدر سابق – ص١٢٥.

(٢)– محمد سعيد رمضان البوطي(الدكتور): حقائق عن نشأة القومية – ص١٧.

(٣)– علي محمد نقوي (الدكتور): الاسلام والقومية – طهران– ط١– ص٣١.

(٤)– نجاح عطا الطائي: الفكر القومي اسلامياً وتاريخياً – ط١– ص١١١.

ب – القناة الثانية (الفكر الشوفيني السائد): ساهم أيضاً بقسطه إلى جانب الاسلام السياسي في هندسة سيكولوجية الكردي واستلاب هويته، لكن وفق آلية مغايرة، تعتمد سياسة الترغيب تارة وسياسة الترهيب تارة أخرى، ناهيك عن حملات التضليل والتجهيل، حتى غدا الكردي المقهور متبنياً لرؤية مضطهديه مستسلماً لها، لا حول له ولا قوة، ولسان حاله يردد ليل ليس بالامكان أبدع مما كان، وذلك وفق سيناريوهات معدة على النحو التالي:

– تطبيق سياسة التتريك والتفريس والتعريب، ناهيك عن التهجير وحملات الابادة (الجينوسايد) المبرمجة.

– حملات التضليل التي تمارسها وسائل الاعلام ليل نهار لتجاهل كل ما يخص الكرد أو التنكر لوجودهم أصلاً واعتبارهم أقلية مهاجرة (كما في سوريا)، أو اعتبارهم أتراك الجبال (تركيا)، أو أن لهم حقاً واحداً هو أن يكونوا مسلمين (ايران في عهد الملالي)، أو الاعتراف ببعض الحقوق على مضض تحت ضغط النضال التحرري (العراق).

– أفلحت الأنظمة، عبر أبواق دعايتها، في اشاعة وَهْمٍ بين الكرد مفاده أن القضية الكردية في هذا البلد أو ذاك شأن داخلي، وذلك بالتناغم مع رؤية النظام العالمي القديم (الشرقي والغربي) على السواء.

– أنتجت هذه الأنظمة وعياً مزيفاً عن الحدود السياسية، تلك التي رسمتها القوى الكولونيالية بعد الحرب العالمية الأولى وفق توازن المصالح يومئذٍ، حتى صار المتأمل فيها وكأنها عبارة عن حدود مقدسة، وهذا المنطق بدوره يجر الانسان إلى اعتقاد جازم بعبثية المساس بها تحت أي ظرف من الظروف. ليس هذا فحسب، بل إن اعادة النظر في الجغرافيا السياسية التي أنتجت هذه الكيانات في منطقتنا عبارة عن مؤامرة انفصالية تحيكها القوى الخارجية!.

– في افضل الحالات تصنف الدول التي ألحقت بكل واحدة منها جزءاً من كردستان الشعب الكردي من بين الأقليات الاثنية وتلجأ في الوقت ذاته إلى تشويه وتقزيم القضية الكردية.

– توصم حركة الكرد التحررية بالارهاب تارة (تركيا) وبالتمرد والانفصالية تارة أخرى (العراق)، من خلال تشويه النضال التحرري العادل الذي يخوضه

الشعب الكردي هنا أو هناك دفاعاً عن نفسه في مواجهة أعتى الأنظمة التي تمارس حربها القذرة المعلنة وغير المعلنة وارهابها الفاقع ضده. وتغض دول العالم والأمم المتحدة النظر عن هذا النفاق.

إن الأنظمة المتحكمة بمقدرات الكرد تبذل قصارى جهدها لاخفاء طبيعة الظروف التي رسمت في ضوئها الحدود السياسية المجزئة لكردستان وفق المعاهدات السرية الجائرة من قبل الضواري، التي لم يكن همها سوى اقتسام الغنيمة – كما قالت دانيال ميتران – غير مبالية بمصير الشعب الكردي أو الاختلافات الاثنية، ضاربة إياها عرض الحائط، عبر صفقات لصوصية نجم عنها حرمان شعوب عدة من حقها في تقرير مصيرها بنفسها وتوزيعها بين الكيانات التي أقامتها، ومن هذه الشعوب في منطقتنا (الكرد، الأذريون، البلوش، البشتون، الأرمن، الأمازيغ ...الخ). والمتأمل لهذه الخارطة سيجد كيف ألحقت كردستان بعدة دول، وكيف بدأت هي بدورها تسلك أساليب شتى لتضليل شرائح واسعة من الكرد، حتى أضحت هذه الشرائح أسرى أيديولوجياتها المضللة، وبدأت تقرأ صورتها في مراياها المقعرة، إلى الحد الذي بدأت فيه هذه الشرائح الكردية المثقفة تستخدم أدوات الآخرين ومناهجهم في سبر أغوار التاريخ وتحليل أحداثه، ولا يُخفى ما يترتب على رؤية كهذه من نتائج وخيمة. إن هذا التشويه السافر لحقائق التاريخ وهذا التزوير الفظ للثوابت الجغرافية يتجلى بوضوح للعيان في سياسة ايران قبل وبعد عام ١٩٧٩، ففي ايران حيث يعد الفرس أقلية[1]، ينظر إلى الكرد والعرب والأذريين والبلوش كأقليات اثنية، رغم أن نسبتهم إلى مجموع السكان تزيد عن ٥٥٪.

ج– **القناة الثالثة (الفكر الماركسي):** إن إحدى أهم القضايا التي واجهتها الماركسية ممثلة بأحزابها الماركسية واليسارية في منطقتنا، تمثلت حقيقة في أعادة إنتاج الماركسية في مرجل العقلية الاكليركية المتسمة بالنزعة الكوسموبولوتية أولاً، والموقف من القضية الكردية، ليس على صعيد التنظير فحسب، بل وعلى صعيد الممارسة ثانياً. إن تحليل بنية الخطاب الماركسي في بلدان شرق المتوسط يظهر خواؤه ويكشف النقاب عن تبعيته للفكر السائد فيما يتعلق بتناول القضية الكردية على أقل تقدير، لأنها تتناول قراءة الواقع الكردي من مواقع الأمم الظالمة وعبر

(١)– نسبتهم أقل من ٤٥٪ من سكان ايران.

المنظار الطبقي للأيديولوجيات السائدة. لكن، يقتضي الانصاف هاهنا الاشادة بموقف الحزب الشوعي العراقي، الذي قاده فهد بداية و عزيز محمد فيما بعد، والذي تميز موقفه عن مواقف سائر الأحزاب الشيوعية في كل من سوريا وتركيا وايران فيما يتعلق بالشأن الكردي، والذي يعد بحق مفخرة الشيوعيين العراقيين.

يبدو أن ثمة عامل مهم كان من وراء غياب القضية الكردية في اذهان الشيوعيين السوريين، أعني تلك التشوهات التي أصابت سياسة الحزب الشيوعي السوفييتي في المسائل القومية بعد لينين، خصوصاً في فترة عبادة الفرد (ستالين) والركود (بريجنيف). فقد كرس تبعية هذه الأحزاب تجاه الكومنترن – كما يقول عطية مسوح – اغترابها عن مجتمعاتها، لأنها غدت مع السنين فروعاً لمركز أممي، تنفذ ما يراه لا ما تراه، وتفكر بلغته لا بلغة شعبها واسلوبه[1]. إن التبعية تجاه ايديولوجيا القومية العربية من جهة، وتجاه الكرملين من جهة أخرى، أدت إلى قتل روح الابداع لدى الشيوعيين وانزلاقهم إلى مستنقع الضحالة الفكرية، رغم تبنيهم لفكر عملاق.

يمكن القول – دون تردد – أن مرجعية الطرح المشوه للقضية الكردية على وجه الخصوص في برامج الأحزاب الشيوعية المحلية كانت تلك الأحكام الممسوخة بفظاظة والمبتسرة لتعاليم ماركس وانجلس ولينين التي دونها ستالين في فترة الجمود العقائدي في كتابه (المسألة القومية)، ناهيك عن الفهم الميكانيكي لمقولة أولوية الطبقي (أي الاجتماعي) على القومي، المطروحة في "البيان الشيوعي". فوفق منظور هذه العقلية الدوغمائية أنكر الشيوعيون المسألة القومية باسم الثورة الاجتماعية، وطرحوا في مناقشاتهم مع القوميين الكرد فكرة العدول عن النضال القومي، لأنهم كانوا يجدون فيه شكلاً متخلفاً من أشكال النضال الذي تجاوزه الزمن على حد زعمهم، وكان هذا الطرح بحد ذاته – شاء الشيوعيون أم أبوا – يصب الماء في طاحونة الأنظمة الحاكمة. طبيعي في مثل هذه الحالة أن يتغاضى الشيوعيون عن أساليب الاضطهاد القومي التي مورست ضد الشعب الكردي، حتى غابت المسألة الكردية في برامجهم بشهادة عزيز محمد، الذي قال: لم تعطَ هذه

(1)– راجع: عطية مسوح – مجلة الطريق اللبنانية – العدد ٢عام ١٩٩٤– ص٩٦.

المسألة – يقصد المسألة الكردية – الاهتمام الضروري، بل وحصل تخلف غير مبرر في مواكبة وفهم التطورات التي طرأت على القضية الكردية[١].

لقد عجز متفقهو الماركسية عن مقاربة الواقع الكردي بسبب تبعيتهم من جهة وبسبب تحليقهم في سماوات التجريد وعدم هبوطهم إلى أرض الواقع من جهة أخرى، رغم أن الماركسية على حد وصف مهدي عامل، هي بالضبط حركة المخاطرة في اختيار النظري ونَظْرَنَة الاختباري[٢].

وأخيراً... شاءت الظروف أن يعيش الكرد في مثل هذه المناخات المجهضة لتطلعاتهم، أعني المناخ الذي ساعد على استنبات الفكر التابع، والذي لعب دوراً رئيسياً في ترويضهم وتدجينهم منذ مئات السنين، لكن شعبنا المضطهَد والمهان والمحروم من أبسط حقوقه القومية استطاع أن يكشف أخيراً عن الأسنان اللبنية لدعاة "الوطنية" الفارغة من محتواها، وهيهات – بعد أن اتعظ بدروس التاريخ – أن يلدغ من ذات الجحر مرة أخرى.

كانت هناك ثمة عوامل دفعت بالحس القومي لدى الكرد السوريين إلى النمو ومن ثم النضوج إلى أن تبلور الوعي القومي الكردي، وكانت الخميرة التي أدت إلى وعي الذات مصدرها كردستان تركيا (الشمالية) بداية، بعد أن لعب البدرخانيون وآل جميل باشا ونورالدين زازا وعثمان صبري وأمثالهم، رواد اليقظة في عصرنا الحديث دور مُلَقِّح الوردة، حيث ساهموا في تأسيس خويبون في ٥ تشرين الأول ١٩٢٧ من جهة، ومن جهة أخرى اصدار العديد من المجلات والصحف وفي مقدمتها كردستان (٢٢ نيسان ١٨٩٨) التي كانت تصل إلى الكرد السوريين، ثم هاوار (الصرخة) وروناهي (النور) وروزا نو (اليوم الجديد) وستير (النجمة)، ناهيك عن الجمعيات والنوادي والنشاطات التنويرية المتنوعة. أما العامل الآخر ليقظة الوعي القومي الكردي في سوريا فتمثل في أصداء الحركة التحررية الكردية في كردستان العراق تحت قيادة مصطفى البارزاني. ففي ظل هذين العاملين هُيئت التربة الخصبة لنمو الوعي القومي الكردي في كردستان سوريا.

---

(١)– ينظر: صحيفة طريق الشعب – العدد ٢٥– أواخر تشرين الأول١٩٩٠.

(٢)– مهدي عامل: نقد الفكر اليومي – دار الفارابي/ بيروت – ط٢عام ١٩٨٩ – ص١٠٤.

لكن تعنت الحكومات المتعاقبة في سوريا بعد الجلاء وانكارها لأبسط حقوق الكرد وتطبيقها المشاريع الشوفينية بحقهم، كانت من وراء استنهاض الكرد في النهاية، فكانت الانتفاضة الكردية ١٢ آذار ٢٠٠٤ بمثابة (بروفا)، لأن الجماهير الكردية تجاوزت حينها حاجز الخوف، من هنا يمكن القول أن الشعب الكردي كان سباقاً على جميع مكونات سوريا التي استيقظت أخيراً على نغمات ثورات الربيع العربي.

٢- الضرورات التاريخية لنشوء الحزب الديمقراطي الكردستاني: كان تأسيسه علامة فاصلة أو فارقة بحق في تاريخ الكرد السوريين، لأنه شكل الحامل السياسي لتطلعات الشعب الكردي بعد تجربة خويبون الهشة. سمي بداية (بارتي ديمقراطي كردستاني سوريا)، بسبب الظروف السياسية والاقليمية والأحلاف العسكرية لاسيما حلف بغداد، والتوتر الناجم عنها بين سوريا من جهة وكل من تركيا والعراق وايران من جهة أخرى كما يقول رشيد حمو، ففي تلك الظروف كان هناك ثمة شعور بأن السلطة تشجع صفة الـ (كردستاني)، نكاية بتلك الأنظمة المناوئة، ناهيك أنها، أي التسمية، كانت تحوز على تأييد وتشجيع جلال الطالباني الموجود آنئذ في دمشق[1].

كانت هناك ثمة عوامل مشجعة وراء تأسيس هذا الحزب في ١٤حزيران ١٩٥٧ كأول حزب قومي كردي في سوريا، لا نجد محيصاً هاهنا من الإشارة الى أهمها:

أ - الهامش الديمقراطي والأجواء التي وفرتها في تلك الفترة أجنحة متقدمة من البرجوازية الوطنية[2]، مما أتاحت للناس تنفس الصعداء نسبياً مقارنة بعهد الانقلابات العسكرية الذي سبقتها، ودفعتها لتأسيس أطر تنظيمية تمثلت في الجمعيات والنوادي المختلفة ذات الأهداف السياسية أو الاجتماعية.

ب - تبلور الوعي السياسي القومي، تحت تأثير حركة التحرر الكردية في كردستان العراق تحت قيادة مصطفى البارزاني.

ج - الخميرة التي جاء بها المتنورون والمثقفون الكرد والمناضلون الفارون من جحيم أتاتورك (البدرخانيون، آل جميل باشا، الدكتور نورالدين زازا، عثمان صبري ...الخ)، والمتمثلة فيما بعد بخويبون والصحف والمجلات الصادرة في عهد الانتداب.

---

(١)- علي صالح ميراني: الحياة الحزبية السرية في كردستان سوريا - مصدر سابق - ص ٤٤.

(٢)- صلاح بدرالدين يتذكر - مصدر سابق - ص٢٧.

د – الاحباط الذي أصاب الكرد المنضوين في الأحزاب السورية (الأحزاب القومية العربية والحزب الشيوعي السوري والحزب القومي السوري والاخوان المسلمين)، بسبب تقصيرها وتهربها من تناول القضية الكردية. فالتيارات الشيوعية والإسلامية والقومية العربية، التي كانت تتفاخر لفظياً بتواجد عناصر بين صفوفها من أصول قومية كردية... الا أنها لم تتبنَ الكرد وقضيتهم في برامجها وأجنداتها السياسية والثقافية، الى درجة أن الغالبية الساحقة من هذه القوى لم تعترف بوجود شعب كردي في سوريا يقيم على أرضه، ناهيكم عن حقوقه[1]. فالحزب الشيوعي السوري مثلاً الذي كان يُفترض أن يكون نصيراً لقضية هذا الشعب المضطهد، غابت القضية الكردية في سوريا من برنامجه. ويوضح حمزة نويران[2] السبب الذي دفعه إلى ترك صفوف الحزب الشيوعي السوري والتوجه نحو تأسيس حزب كردي يعبر عن أحاسيسه ومشاعره وقضاياه، فيقول: كان السؤال الملح في ذهني، أين هو موقع القضية الكردية في سوريا في برنامج الحزب الشيوعي؟. ويضيف: مضيت بالمطالبة كتابة حول طلب متواضع جداً، فقط أن يعتمد الحزب كتابة الأدبيات الحزبية، نشرات، بيانات...الخ باللغة الكردية أسوة باللغة الأرمنية، للأسف كان رد الحزب سلبياً وقاسياً وخاطئاً بنظري، وكان الجواب: إن هذه الأفكار والطروحات القومية هي من أفكار البرجوازية الصغيرة، ولا تخدم سوى الاستعمار والامبريالية الأمريكية، وأن الحقوق القومية الكردية ستتحقق عندما تنتصر الاشتراكية في سوريا، لذا يجب تأجيل كل ذلك إلى حينه. ويختتم نويران قوله: فقررت أن أقدم استقالتي والانسحاب من الحزب الشيوعي، والبحث في اتجاه آخر، يلبي تطلعي في النضال دفاعاً عن حقوق شعبي المستلبة[3]. فبدأ، مثله في ذلك كمثل آخرين كُثُر، البحث عن ضالته.

هـ – السياسات الشوفينية المنتهجة بحق الكرد من لدن كل الحكومات التي تعاقبت على السلطة منذ الجلاء، والاحساس بالغبن بعد كل ما قدمه الكرد من تضحيات في سبيل نيل الاستقلال وطرد قوات الانتداب عن سوريا، فالتاريخ يذكر

---

(١)– المصدر السابق – ص٢٨و٢٩.

(٢)– أحد المؤسسين للحزب الديمقراطي الكردستاني في سوريا في ١٤حزيران ١٩٥٧.

(٣)– محمد جزّاع: المناضل حمزة نويران/ صفحات من الذاكرة – مصدر سابق – ص٤١و٤٢.

مساهمتهم الفعالة في النضال الوطني، ولا يتنكر المنصفون العرب من أمثال أدهم آل الجندي لذلك. أعود وأقول بالرغم مما أسداه الشعب الكردي من أجل الجلاء، تنكرت السلطات الحاكمة لأبسط حقوق الكرد: (فلم يعترف الدستور السوري بوجود المكون الكردي، لا تصريحاً ولا تلميحاً... ولم تحترم ثقافته ولغته، بل نظر إليهم أفراداً ورعايا، لا مواطنين لهم خصوصيتهم القومية)[1]. حالة اليأس التي أصابت الكرد بعد أن لدغوا من ذات الجرح مرات، بدءاً من الوعود الفرنسية التي ذهبت أدراج الرياح، والآمال الكردية التي أجهضتها القوى السياسية قبل الجلاء، وفقدان الثقة بتلك القوى التي تحكمت بزمام الأمور بعد الجلاء، ناهيك عن تزايد (الاحساس لدى الكرد بأنهم شعب مقهور، مهضوم الحقوق)[2]. وما يؤكد هذا القول، خلو دستور ١٩٢٨ من أية إشارة الى الكرد، رغم أنه أعطى الحق للمكونات الأخرى بانشاء كياناتها، فضلاً عن مدارسها لتعليم الصغار بلغاتها الخاصة، هذه السياسة الفرنسية غدت سابقة وأصبحت ركناً أساسياً من أركان سياسات الحكومات المتعاقبة بعد الجلاء، ففي ٣ آذار ١٩٥٢م صدر دستور جديد ضم (١٠) مواد، تجاهل فيها الوجود الكردي في سوريا، بل أكد على الطابع العربي لسوريا. كما لم تتطرق مواد دستور ١٥ تشرين الثاني ١٩٦١ الى الكرد البتة[3].

وما زاد الطين بلة، لجوء النظام قبيل الثورة السورية ٢٠١١، الترويج لسن قانون جديد للأحزاب، يُحظَر بموجبه سلفاً تأسيسها على مرتكزات قومية ودينية، والمفارقة المثيرة للسخرية حقاً هاهنا، تتمثل في حزب البعث العربي ذاته، الذي لا يكفُّ عن المباهاة بذاته القومية المتورمة جهاراً نهاراً، ولا يُخفى أن المقصود بالدرجة الأولى الأحزاب الكردية، رغم أن أول تنظيم كردي (البارتي) تأسس عام ١٩٥٧، قبل أن يغتصب البعث السلطة ويستولي على زمام الأمور في انقلاب عسكري صبيحة ٨ آذار ١٩٦٣.

---

(١)– المصدر السابق – ص٤٤.

(٢)– محمد ملا أحمد: صفحات من تاريخ حركة التحرر الوطني الكردي في سوريا – رابطة كاوا للثقافة الكردية – كردستان/ اربيل ولبنان/ بيروت – ط١عام ٢٠٠١ – ص٢٢.

(٣)– نواف محمد مراد: موقف الحزب الشيوعي السوري من القضية الكردية في سوريا ١٩٢٤– ١٩٦٣– مصدر سابق – الصفحتان ٩٤ و ١٦٩.

٣- **التأسيس:** يذكر الدكتور نورالدين زازا بأن الكرد السوريين شعروا بأنهم مهددون من التيار القومي العروبي المتمثل في الكتلة الوطنية وحزب الشعب والحزب القومي السوري، وفي نفس الوقت شعروا بأنهم خدعوا من قبل الحزب الشيوعي السوري، لأن هذه القوى لم تنصف الكرد رغم ما قدموه من تضحيات ضد الاستعمار الفرنسي، أما الأخير - أعني الحزب الشيوعي - فقد جعل من نفسه محامي القومية العرب والمدافع عن ايديولوجيا المواطنة العالمية في الأوساط الكردية، فالكردي الذي كان يُنَظِّم في الحزب الشيوعي السوري، كان عليه أن يقرأ منشوراته باللغة العربية، ويجمع التبرعات لمساعدة الجزائر، ويضحي بنفسه على حدود اسرائيل، لكن عليه ألا يطالب بأي شيء من أجل شعبه !. أجل كان عليه أن يصمت إزاء الحرمان الثقافي والابادة العرقية اللذين كان الكرد ضحيتهما في سوريا وتركيا والعراق وايران، ومن يتجرأ في تجاوز هذا فسرعان ما يتهم بـ "التعصب القومي". كل هذا الأمر جعلَنا نشعر بأن هناك ثمة حاجة إلى منظمة/ حزب يصون هويتنا من الضياع، وهكذا تحقق الحلم ففي عام ١٩٥٧ أضحى الحزب الديمقراطي الكردي في سوريا حقيقة واقعة، فكانت أهدافه تكمن في الدفاع عن الكيان القومي للكرد في سوريا وتأمين حقوقهم الثقافية والادارية في اطار نظام ديمقراطي لمجموع البلاد[١].

منذ ربيع عام ١٩٥٦م كان عثمان صبري[٢]، حمزة نويران[٣]، عبد الحميد درويش[٤]، ومن خلال مساهمات الدكتور نورالدين زازا وتوجيهاته، يقومون بوضع

---

(١)- حياتي الكردية/ صرخة الشعب الكردي - د. نورالدين زازا - دار آراس - الطبعة العربية الأولى - ص١٠٨.

(٢)- (١٩٠٥- ١٩٩٣): ولد في قرية نارنجي/ كردستان تركيا، له دواوين شعرية ومذكرات بالكردية، أعتقل مرات ونفي أيضاً، دفن في قرية بركفرى احدى قرى الدرباسية.

(٣)- (١٩٢٧- ١٩٩٦): ولد بقرية القرمانية القريبة من الدرباسية، أعتقل مرات، وكان شيوعياً قبل تأسيس البارتي، ثم ترك العمل الحزبي بداية الستينيات من القرن الماض، دون الأستاذ محمد جزاع مذكراته.

(٤)- ولد عام ١٩٣٦ في قرية القرمانية القريبة من الدرباسية، وهو سكرتير الحزب الديمقراطي الكردي في سوريا منذ عام ١٩٦٦، أنتخب عضواً في البرلمان في دورته ١٩٩٠- ١٩٩٤، له كتاب: لمحة عن تاريخ أكراد الجزيرة، وأضواء على الحركة الكردية في سوريا.

خارطة الطريق في التأسيس لأول تنظيم سياسي كردي في سوريا، بعد دراسة الظروف الذاتية والموضوعية. يقول نويران: لم يكن لنا – يقصد عثمان صبري وحمزة نويران وعبد الحميد درويش – غنى عن الدكتور نورالدين زازا، الذي وقف إلى جانبنا بملاحظاته الدقيقة، وتوجيهاته الموضوعية القيمة، ومن هذا المنطلق يمكن أن نعتبره واحداً من المؤسسين لمساهمته الفعالة ومساندته لنا)[١].

كما لاقت الفكرة مؤازرة وتشجيع من لدن عبدالرحمن ذبيحي[٢] وجلال الطالباني[٣] وعبدالله اسحاقي[٤]. من المفيد بداية القول: تأسس حزب الديمقراطيين الكرد السوريين صيف ١٩٥٦، ويفيد نويران في مذكراته، كيف إلتقى عثمان صبري فيما بعد بمجموعة عفرين: رشيد حمو[٥]، شوكت حنان [٦]، محمد علي خوجة [٧]،

---

(١)– محمد جزاع: المناضل حمزة نويران/ صفحات من الذاكرة – ط١ مطبعة كمال – من منشورات مؤسسة ماركريت – ص٤٧.

(٢)– من كردستان ايران.

(٣)– عضو اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكردستاني – العراق يومها.

(٤)– سكرتير الحزب الديمقراطي الكردستاني – ايران يومئذٍ.

(٥)– (١٩٢٥– ٢٠١٠): ولد في قرية هوبكا احدى قرى عفرين، كان شيوعياً قبل تأسيس البارتي، أعتقل مرات، دفن في مسقط رأسه.

(٦)– (١٩٢٩– ١٩٩٣): ولد في قرية شيتكا التابعة لناحية معبطلي، كان شيوعياً قبل تأسيس البارتي، أعتقل وبعد اطلاق سراحه ترك الحزب، دفن في قرية تلف بعفرين.

(٧)–(١٩٢٦– ١٩٦٥): ولد في قرية موباتو التي عُرِبَت الى معبطلي، من القرى الكردية التي يعتنق سكانها المذهب العلوي، كان يتقن التركية والفرنسية الى جانب الكردية والعربية، وساهم في تأسيس جمعية الثقافة الكردية بعفرين، بمشاركة رشيد حمو وشوكت حنان(محمد علي خوجة: حياته ونضاله – مخطوط بحوزة د. علي صالح ميراني)، وبعد أن حلت جمعيتهم انتسبوا الى الحزب الشيوعي، ثم ترك الحزب الشيوعي، جرّاء عوامل عدة من بينها المماطلة والتسويف من قبل الحزب والتهرب من تلبية مطالب أمثاله من الكرد في تخصيص صفحة من الجريدة المركزية للغة الكردية(محمد علي خوجة: حياته ونضاله – مخطوط بحوزة د. علي صالح ميراني). وكان أحد المؤسسين والرواد الأوائل للبارتي، ويقال بأن الحزب تأسس في منزله بحلب، وأنه هو من كتب البرنامج السياسي للحزب في ١٩٥٧/٦/١٤"ابراهيم ابراهيم: الرابط www.rojava.net "، عمل في القسم الكردي براديو بغداد وساهم في ثورة ايلول عام ١٩٦١م وكان آمر هيز من البيشمركة/٥٠٠/ شخص أثناء تحرير زاخو، فصل من البارتي بعد عودته بعد أن وجهت له تهمة، واعتقل في سوريا المرة الثانية عام ١٩٦٥، وأصيب في السجن بالسل وبعد وفاته دفن في مقبرة حي الشيخ محي الدين بدمشق. يذكر أن زوجته

خليل محمد علي[1] وبحثوا معهم الأمر، بعد تخليهم عن الحزب الشيوعي السوري، لكنهم اشترطوا أن يكون اسم الحزب«الحزب الديمقراطي الكردي في سوريا» واعتبار يوم الاجتماع التأسيسي ١٤ حزيران ١٩٥٧ في منزل محمد علي خوجة هو يوم التأسيس، وكانت القيادة مؤلفة من: عثمان صبري (سكرتيراً)، وعضوية كل من: عبدالحميد درويش، حمزة نويران، رشيد حمو، شوكت حنان، محمد علي خوجة، خليل محمد علي. ويضيف محمد ملا أحمد (الشيخ محمد عيسى ملا محمود) إلى المجموعة، لكن عثمان صبري وعبدالحميد درويش ورشيد حمو وشوكت حنان ينفون هذا الشيء. فيما بعد تم تغيير الاسم الى«الحزب الديمقراطي الكردستاني في سوريا»، وتم تمرير شعار تحرير وتوحيد كردستان، لكن في بداية عام ١٩٥٨ انضم إلى الحزب الدكتور نورالدين زازا (يسميه نويران بعقل الحزب) والشيخ محمد عيسى (ذو المكانة الاجتماعية). وقد أبدى زازا تحفظه على شعار تحرير وتوحيد كردستان، وأعتبره شعاراً غير موضوعي في تلك الظروف، وذلك في اجتماع للقيادة تم فيه اختيار زازا (رئيساً) للحزب، كما ضم الشيخ محمد عيسى إلى اللجنة المركزية.

واتصل حمزة نويران وشوكت حنان في مدينة القامشلي بجمعية (وحدة الشباب الديمقراطيين الكرد) ومنهم: عبدالعزيز يوسف (أبو جيم)، درويش ملا سليمان، عبدالله ملا علي، خالد مشايخ، محمد ملا أحمد، سامي ملا أحمد نامي، عبد الرحمن شرنخي، أحمد سيد حمو وأكرم محمد، وتمخض اللقاء عن انضمامهم جميعاً للحزب، باستثناء عبدالعزيز يوسف. كما يجدر الذكر أن مجموعة أخرى انفصلت عن الحزب الشيوعي في الجزيرة وكونت حزب آزادي، ثم انضمت المجموعة برمتها إلى الحزب الديمقراطي في سوريا (البارتي) بشكل افرادي، وكان جكرخوين ومحمد فخري من أعضاء هذه المجموعة. يقول محمد ملا أحمد نقلاً عن محمد ملا فخري:

فاطمة تتر شاركت هي الأخرى فيما بعد بالنشاط الحزبي حتى خصها جكرخوين بقصيدة لم تنشر، بعد أن خاطرت بحياتها حين أقدمت على تهريب أعضاء قيادة الحزب المجتمعين ذات يوم في بيتها بحلب، بعد مداهمة الأمن لمنزلها، ثم أعتقلت لاحقاً، بعد عثور الأمن في احدى الحملات على المكان الذي خبأت فيه الآلة الكاتبة الخاصة بالحزب، والتي كانت قد نقلتها ليلاً عبر الأحراش مسافة ٢٠ كم على ظهر حمار من عفرين الى قريتها وخبأتها في مغارة في بيت والدها(مخطوط بحوزة د. علي ميراني).

[1]– كان شيوعياً قبل تأسيس البارتي، هاجر ونال الدكتوراه في القانون الدولي، استقر أخيراً في أمريكا.

إن الخلاف دب بيننا وبين الحزب الشيوعي منذ عام ١٩٥٥ حينما كان الحزب يطبع جرائده باللغة العربية والأرمنية، فطالب، محمد ملا فخري ورفاقه بأن تطبع الجريدة باللغة الكردية أيضاً أسوة باللغتين العربية والأرمنية، وبالأحرف اللاتينية، فتحجج الحزب الشيوعي بعدم توفر الآلات الكاتبة، فما كان من أعضاء المجموعة إلا أن تبرعوا بالمال لشراء الآلات وتعهدوا بالكتابة باللغة الكردية وبالأحرف اللاتينية، لكن قيادة الحزب الشيوعي في الجزيرة لم تلبِ رغبتهم، فاشتد الخلاف بينهم واتسع أكثر، وقدم محمد ملا فخري استقالته، وتبعه آخرون، وشكلوا حزب آزادي، الذي دخل في حوار مع قيادة البارتي، ثم انضموا إليه، فعين جكرخوين عضواً في اللجنة المركزية ومحمد فخري عضواً في اللجنة المنطقية في الجزيرة، وانضم الآخرون إلى الخلايا المختلفة[1]. وفي النصف الأول من عام ١٩٦٣ عاد الحزب من جديد لتبني اسمه السابق (الحزب الديمقراطي الكردي في سوريا)، أما شعار تحرير وتوحيد كردستان فظل حتى انعقاد الكونفرانس الحزبي الثالث في النصف الأول من آب ١٩٦٤، حيث تم حذفه[2].

٤ـ القوى المناوئة للحزب: تنوعت، وهي:

أ – بقايا خويبون: انتابهم وَهْمٌ، كونهم أصحاب المبادرة تاريخياً في قيادة الحركة، ثم جاء الحزب وتجاوزهم ونزع منهم زمام المبادرة. هذا الشعور النفسي يمكن تشبيهه بشعور الأم تجاه كِنتها، حيث تتوهم الأم أن الكنة اختطفت منها ابنها...!.

ب – الحزب الشيوعي السوري: الذي رأى في الوافد الجديد منافساً له في الوسط الكردي، سيما بعد انفصال كوادره وأنصاره الكرد وانضمامهم للحزب الديمقراطي الكردستاني. وأعلن – كما يقول محمد ملا أحمد – حرباً شعواء ضد الحزب، ووصف الحركة الكردية بأنها حركة شوفينية رجعية مرتبطة بالاستعمار، وأنها من صنع المخابرات وتحديداً من انتاج عبدالحميد السراج، رئيس المكتب

---

(1)– محمد ملا أحمد: صفحات من تاريخ حركة التحرر الوطني الكردي في سوريا – مصدر سابق – ص٣٥و٣٦.

(2)– علي شمدين: الحركة الكردية في سوريا وظاهرة الانشقاقات – مصدر سابق – ص٤٩.

الثاني، وغيرها من التهم الباطلة والدعايات المغرضة التي لا تنطلي على أحد[1]. ويبدو أن الحزب الشيوعي اتخذ هذا الموقف كرد فعل في مواجهة البارتي جراء جماهيريته وتوسعه التنظيمي على حساب مواقع الحزب الشيوعي في المناطق الكردية.

ج – رابطة العلماء المسلمين: التي كان الشيخ عزالدين خزنوي يقودها كما بينا ذلك سابقاً.

د – الرموز العشائرية: التي رأت في البارتي تهميشاً لنفوذها، خصوصاً في منطقة الدرباسية، كما يقول نويران.

هـ – السلطات السورية: خصوصاً التيار الشوفيني المتشدد، وفي مقدمته المنتمون إلى حزب البعث العربي الاشتراكي وغيره من الأحزاب ذات الصبغة العربية والاسلامية.

خلافات السجن وتبعاتها: في بداية عهد الوحدة السورية – المصرية، أصدر جمال عبدالناصر مرسوماً بموجبه قرر حل جميع الأحزاب، وقام بحظر نشاطات سائر القوى السياسية، لكن البارتي والحزب الشيوعي السوري لم يمتثلا لهذا الأمر، فلوحقت كوادرهما. وكان نويران أوائل المعتقلين السياسيين الكرد في الجزيرة ، نقل من سجن القامشلي إلى سجن المزة العسكري، ثم أطلق سراحه في أيلول ١٩٥٩، كما تم اعتقال شوكت حنان وآخرين من عفرين. وفي ١٢ آب ١٩٦٠ شنت السلطات حملة واسعة ضد كوادر البارتي في حلب، شملت كثيرين وعلى رأسهم رشيد حمو عضو المكتب السياسي، الذي لم يصمد في مواجهة المباحث كما يقول نويران: (فأفشى بأسماء رفاق القيادة والكوادر المتقدمة في الحزب، وكان من الأسماء التي أفشى بها اسم الرفيق مجيد حاجو، المسؤول عن الآلة الكاتبة والطابعة)[2]. كانت الحملة فرصة لانفجار الدُّمَلة وفتح باب الصراع على مصراعيه، خصوصاً عند قاضي الفرد العسكري في حلب في نهاية آب ١٩٦٠.

---

(١)– محمد ملا أحمد: صفحات من تاريخ حركة التحرر الوطني الكردي في سوريا – مصدر سابق – ص٦٠.

(٢)– محمد جزاع: المناضل حمزة نويران/ صفحات من الذاكرة – مصدر سابق – ص٦٥و٦٦.

يذكر نويران بأن البلبلة والاشاعات التي أثيرت بعد سجن المزة كانت حملة تشهير من لدن: عثمان صبري، رشيد حمو، الشيخ محمد عيسى، ملا محمد نيو، محمد ملا أحمد، محمد علي حسو، واستهدفت تصفية الدكتور نورالدين زازا والتشهير به، ومما زاد الطين بلة أن هذا التشهير انتقل إلى الشارع، فكان السفهاء يرددون على الطالع والنازل(١):

-Nûredîn Zaza, Kurdistan frot bi pîvaza.

-Ji derdê me Kurdan re, xirpo jî textor e.

وقد كنتُ(٢) شاهد عيان حين تفوه ذات يوم أحد هؤلاء المعتقلين، بنفس العبارات عن زازا فما كان في وسعي إلا أن أواجهه بالحقائق، فتنصل من ذلك، وادّعى بأن هذه الأقوال هي من انتاج وترويج الآخرين، فتساءلت: مَنْ هم هؤلاء؟ ألست أحد تلك الأبواق؟. أجل، كانت نقطة الخلاف قد بدأت من هاهنا، حيث كان زازا، رئيس الحزب، أول الداخلين إلى غرفة قاضي الفرد العسكري للتحقيق، وبعد خروجه من غرفة التحقيق همس لباقي المعتقلين في صالة الانتظار: لا تقولوا أن هدفنا تحرير وتوحيد كردستان، فرفض عثمان صبري ذلك، وكانت هذه الشرارة التي دب منها الشرخ والخلاف الذي انتشر كما النار في الهشيم، فانقسم المعتقلون إلى مجموعتين: **الأولى**، يتزعمها زازا ومعه ٣٢ من المعتقلين. **الثانية**، يتزعمها عثمان صبري، وضمت: رشيد حمو، محمد ملا أحمد، ملا محمد نيو، سيدو ارسلان، كمال جميل، محمد علي حسو(٣).

يتذكر صلاح بدرالدين قائلاً: (بعد عام ١٩٦٥م أخبرني الراحل – عثمان صبري – أن الدكتور نورالدين زازا كان على حق)(٤). لكن الاعتراف جاء بعد فوات الأوان، أو كما يقول الكرد في مثلهم الدارج: Helez bihûrt(٥). وحين أنهى قاضي

(١)– الترجمة:(نورالدين زازا، باع كردستان بالبصل... مصيبتنا نحن الكرد، أن هذا المعتوه دكتور).

(٢)– كاتب هذا البحث.

(٣)– محمد ملا أحمد: صفحات من تاريخ حركة التحرر الوطني الكردي – مصدر سابق – ص٨١.

(٤)– صلاح بدرالدين يتذكر – مصدر سابق – ص٣٥.

(5) –Helez rengekî geyê ye, bihara şîntê û gelekî dom nake û zû hişk dibe, lê pez gelekî jê hezdik e,û pê qeleû dibe. Dibê rojekê, Mîrê Bota bi şivanê xwede dixeyide, û wî dixê zindanê de. Demek dibûrê, navmalyê wî dibêjine Mîr: ezbenî, pez roj bi roj lawazdibe û şîr hin bi hin kêm dibe. Mîr bi wan şêwirî, teva got:

الفرد العسكري التحقيق، وأفاد عثمان صبري بأن برنامج الحزب يتضمن تحرير وتوحيد كردستان أحيل الملف إلى النيابة العامة العسكرية بدمشق، لاعداد لائحة الاتهام التي تضمنت (السعي لاقتطاع جزء من سوريا واثارة النعرات العنصرية والانتماء إلى حزب سياسي غير مرخص)، التي تصل إلى حد الاعدام.

قضية أخرى زادت الشرخ بين المجموعتين السالفتين، أعني قضية التصاريح عوضاً عن تقديم المعتقلين إلى المحاكمة، التي أعقبت نقل المعتقلين إلى سجن المزة (الباستل السوري) بانتظار بدء المحاكمات. دار نقاشٍ حامي الوطيس بين المعتقلين، في النهاية رأوا بأن على: (زازا، رئيس الحزب – وعثمان صبري، سكرتير الحزب – ورشيد حمو، عضو المكتب السياسي) اتخاذ القرار المناسب بشأن التصاريح، فوافق عثمان صبري ورشيد حمو على ذلك، في حين رفض الدكتور نورالدين زازا الفكرة، قائلاً: لا وجود لقيادة مركزية هنا في المعتقل، انما القيادة في الخارج، ومن يوم اعتقالنا، لم نعد نتحلى بصفة القيادة.. مَنْ أحب فليوقع ومن لا يحب فليرفض التوقيع[1]، لكن السلطات أحالتهم إلى المحكمة بتاريخ ١٩٦٠/١١/١٢، وما قدمه زازا في مذكرته لرئيس محكمة أمن الدولة العسكرية العليا بدمشق باسمه، والتي طالب فيها اعتبار الكرد، مواطني الاقليم الشمالي، شعباً له حقوقه القومية، على أن يتضمن الدستور ذلك، هو رد على كل التّرهات التي أرادت تشويه صورته أمام الكرد[2].

لكن الحملة الأكثر شراسة هي تلك التي شنها عبدالحميد سرّاج ضد الحزب وكوادره ومؤيديه في ١٢ آب ١٩٦٠، على حد قول محمد ملا أحمد. وبعد الانفصال[3] في ٢٨ أيلول ١٩٦١، سارعت السلطة إلى إعلان موعد انتخابات مجلس الشعب في ١٩٦١/١٢/١، فرشح الحزب الديمقراطي الكردستاني – سوريا (البارتي)، الدكتور

---

ezbenî kes vê pirsgirêkê çareser nake ji bilî şivên. Rabû şande dûv şivanê di zindanê de, şivên gote ê peyamhinêr: heme bêje Mîr, helez bihûrt.

(1)– محمد ملا أحمد: صفحات من تاريخ حركة التحرر الوطني الكردي في سوريا – مصدر سابق – ص ٨٤ و٨٥.

(2)– راجع الوثيقة رقم ١٩.

(3)– المقصود بالانفصال، فشل الوحدة المصرية – السورية، وانفصال الاقليم الشمالي(سوريا) عن مصر.

نورالدين زازا والشيخ محمد عيسى، في حين رشح زعماء العشائر والأغوات فؤاد قدري جميل باشا، لكن السلطات رفعت الحصانة عن مرَشَحَي البارتي واعتقلتهما. وقامت السلطات بتاريخ ٢٠ آب ١٩٦٦ بخطوة استباقية وشنت حملة اعتقالات واسعة في أوساط الحزبيين وغير الحزبيين وذلك للتغطية على تنفيذ مشاريعها العنصرية التي تضمنت مصادرة أرض الفلاحين والملاكين الكرد: (بموجب قرارات لجنة الاعتماد وتحويلها إلى مزارع الدولة، لتتحول هذه الأراضي والمزارع فيما بعد إلى قرى نموذجية يُنقل إليها مواطنون عرب من محافظة الرقة وحلب، وهي ما سميت أولاً بالحزام الأخضر، ثم الحزام العربي ثم مزارع الدولة، وحرمان المالك الكردي والفلاح الكردي من أراضيه التي سقاها بالدم والعرق أباً عن جد، ذلك كان الهدف المستتر والدافع الحقيقي للاعتقالات. لقد شملت الاعتقالات كل مناطق الجزيرة)[1].

كانت أول تهمة توجه لكل كردي يعتقل لأسباب سياسية، هي تهمة إقتطاع أو (سلخ جزء من سوريا وإلحاقها بدولة أجنبية)[2] أو (سلخ جزء من الوطن العربي وضمه الى دولة أجنبية)[3]، وكانت التهمة هذه كالماركة المسجلة، بهدف تأليب الرأي العام العربي على الكرد. يصف نويران أساليب التعذيب السادية التي كانت تمارس في سجون ومعتقلات النظام ضد المناضلين الكرد، والتي تفوق الأساليب الوحشية التي وصفها عبدالرحمن منيف في روايتيه"شرق المتوسط" و"شرق المتوسط مرة أخرى". يروي حادثة جرت معه عام ١٩٦٦، حين اسودّت الدنيا أمام عينيه جراء التعذيب الوحشي، فما كان عليه إما أن يستسلم وهذا محال أو يختار اسلوب الهجوم، فيقول: (في احدى جولات التعذيب، بلغ بي الألم إلى حد عدم الاحتمال. كان لابد من تصرف لوضع حد لهؤلاء الجلاوزة، وأفضل وسيلة في هذا الوضع: الهجوم النفسي المعاكس. في تلك الجولة من التعذيب طلبت مقابلة رئيس طاقم التعذيب، ويدعى أبو رشيد، وهو من حوران. فسارع للقائي منفرداً، ظناً منه أني سأبيح له بسر. بادرته مباشرة بعد إغلاق الباب: أبو رشيد، رأيت الشاب الذي زارني بالأمس؟. قال: نعم. قلت له: هذا ابني وقد أخبرته إن حصل لي مكروه فاعلم إن أبا رشيد هو سبب موتي، ولديَّ أبناء خمس، وقد أعطيته وصيتي أن يلاحقوك أنت

---

(١)– محمد جزاع: المناضل حمزة نويران/ صفحات من الذاكرة – مصدر سابق – ص٩٦و٩٧.

(٢)– أنظر: جريدة الديمقراطي – العدد ٢٥– أواسط حزيران ١٩٦٩.

(٣)– من مذكرات عصمت شريف وانلي – مصدر سابق – ص١٥.

وأهلك، حتى لو خرجتم من البلد، وإن حاولت أن تمسني سأطرق رأسي بالجدار وأحطمه، وستكون أنت وأهلك المطلوبين، والآن أنت حر. صمت ولم يتفوه بكلمة واحدة، إنما قال منزعجاً: اللعنة على السياسة. وفتح الباب وخرج. تقدم الجلاوزة قائلين: هل نعمل له حفلة جديدة سيدي؟. قال صارخاً: ابتعدوا..اتركوه)[١].

واحتدم الخلاف في قيادة الحزب أثناء الاعتقال، حول شعار (تحرير وتوحيد كردستان)، خصوصاً بين القطبين أو المحورين السابقين، كما يروي محمد ملا أحمد، وكان هذا الخلاف بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير. يشير محمد نذير مصطفى[٢]، إلى أحد أهم الأسباب التي أدت إلى تفاقم الخلافات في البارتي، والذي يتلخص في التركيبة الهجينة للمؤسسين، الذين: (لا يجمعهم سوى الانتماء القومي الواحد، إذ كانوا متباينين في مشاربهم الفكرية وانتماءاتهم الطبقية، بين ليبرالي وماركسي وأصولي متنور)[٣].

لم يكن زازا – بحكم كونه المسؤول الأول في الحزب/ رئيس الحزب – من أنصار شعار:"تحرير وتوحيد كردستان"، بل كان يدعو منذ البداية إلى التخلي عنه حين كانوا خارج السجن، لأنه كان يرى فيه شعاراً غير واقعي، واستطاع إقناع الأكثرية الساحقة برأيه، وحتى الذين دعوا – مثل عثمان صبري – إلى التمسك بالشعار داخل السجن، لم يكونوا يوماً من المدافعين عنه خارج السجن قط، وإنما اصرارهم في الدفاع عنه في السجن جاء انتقاماً من نورالدين زازا واحراجاً له أمام القاضي ليس إلا، وقد اقرّ معظم هؤلاء فيما بعد بصوابية موقف نورالدين زازا، ولكن بعد فوات الأوان مع الأسف، وفي مقدمتهم عثمان صبري[٤]، وهذا ما ذكره صلاح بدرالدين أيضاً في مذكراته كما مر معنا. ويضيف محمد ملا أحمد بأن اللجنة المركزية قامت باتخاذ قرار في اجتماعها المنعقد في آذار ١٩٦٤ بـ: (حذف الشعار من البرنامج السياسي، واعتماد الحقوق القومية السياسية والثقافية والاجتماعية بدلاً منه)[٥].

---

(١)– محمد جزاع: المناضل حمزة نويران/ صفحات من الذاكرة – مصدر سابق – ص٩٩.

(٢)– سكرتير البارتي من ١٩٩٨– ٢٠٠٨.

(٣)– أنظر: جريدة دنكي كرد/ صوت الأكراد – العدد ٢٥٦/ شباط ١٩٩٦.

(٤)– علي شمدين: الحركة الكردية في سوريا/ وظاهرة الانشقاقات – مصدر سابق – ص١٨١.

(٥)– محمد ملا أحمد: صفحات من تاريخ حركة التحرر الوطني الكردي في سوريا – مصدر سابق – ص١٩٤.

نتيجة هذه الخلافات واشتدادها خرج حمزة من الاجتماع الموسع الذي عقد في شباط ١٩٦٢م، بمنزل الشيخ محمد عيسى في دمشق، ولم يعد رغم المحاولات الكثيرة، وكانت عودته مشروطة بابعاد رشيد حمو. كما يروي نويران أن جفاء حصل بينه وبين عبدالحميد درويش، ودام سنوات، بخصوص الموقف من النظام العراقي وقيادة الثورة[١]. وكان يختلف مع المكتب السياسي لـ (التقدمي) الذي يترأسه الاستاذ عبدالحميد درويش، لأنه كان يرى أن يقف الحزب موقف التأييد للثورة في هذا الظرف العصيب، ولا يجوز المساواة بين الجلاد والضحية[٢].

كان نويران – كما جاء في مذكراته – يقول: إن البارزاني كان يتسم بالكثير من الواقعية والموضوعية، فقد قال لنا بعد اتفاقية آذار: لا تأخذكم نشوة النصر ببيان ١١ آذار، فهذا مجرد توقيع من ضابط عسكري، كثيراً ما وقعنا على مثل هذه الاتفاقيات، ثم يقود ضابط آخر انقلاباً عسكرياً ويمسح الاتفاقية بكعب حذائه، فلا يبقى لنا سوى بنادقنا وقمم جبالنا.

أول انشقاق تعرض له الحزب الديمقراطي الكردستاني في سوريا كان في ١٩٦٥/٨/٥. يذكر محمد ملا أحمد كيف كان الكرد يدخلون الحزب سنوات ١٩٥٨–١٩٥٩ أفواجاً أفواجاً، لكنه يضيف: كان البارتي خليطاً عجيباً، استوعب كل الايديولوجيات المتناقضة دون أن يتمكن من صهرها في بوتقة واحدة، رغم أنه كان موحداً في الهدف القومي، المتمثل في النضال من أجل الحقوق القومية الكردية، إلى أن شنت عليه حملة اعتقالات كبرى، فظهر ضعف بنيانه الذي تصدع، جراء تركيبه المتناقض، فأدى إلى الشرخ الكبير فيه حتى انهار إلى قسمين[٣]. ويشير صلاح بدرالدين باصبعه الى مكمن الداء، قائلاً: (لم تتأسس الحركة – المقصود الحزب – على أسس متجانسة، وضمت مختلف فئات الشعب من فلاحين وعمال وصغار كسبة ومزارعين ومثقفين وآغوات ورجال دين وبكوات. كان جلياً للعيان أن هذا الشمل سينفرط عقده عاجلاً أو آجلاً)[٤].

---

(١)– مجمد جزاع: المناضل حمزة نويران – مصدر سابق – ص١٣٩.

(٢)– المصدر السابق – ص١٤٢.

(٣)– محمد ملا أحمد: صفحات من تاريخ حركة التحرر الوطني الكردي في سوريا – مصدر سابق – ص٦٨.

(٤)– صلاح بدرالدين يتذكر – مصدر سابق – ص٣٥.

في ٥ آب ١٩٦٥ تعـرض الحـزب – كمـا أسـلفنا – الى أول انشـقاق، عـرف بانشقاق اليمين (عبد الحميد درويش) واليسار (عثمان صبري)، ثـم تأسـس الحيـاد تحت قيادة دهام ميرو عام ١٩٧٢ بعد فشل الحوار بـين الـيمين واليسـار بهـدف رأب الصدع. ولم تنته الانشطارات والانقسامات حتى اليـوم بعـد أن قـارب عـدد الأحـزاب الكردية في سوريا نحو/٤٠/ حزباً، لا تمتلك الكثير منها مقومات الحزب حقيقة.

بعد مؤتمر نـاوبردان عـام ١٩٧٠ في كردسـتان العـراق، بـرزت ثلاثـة تنظيمـات كردية في سوريا عام ١٩٧٢، هي: الحياد، الـيمين واليسـار. وفي ١٩٧٣/٧/١٣ أعتقـل الحاج دهام ميرو سكرتير البارتي وعدد من قياديه على خلفية بيان أصدره الحزب، ينـدد فيـه بتنفيـذ مشـروع الحـزام العربـي السـيء الصـيت. ثـم تتالـت الانشـقاقات والمهاترات، إلى الحد الذي أغرقت: (الجماهير في دوامة اليأس والملـل، وخلقـت لـديها شعوراً بالقرف والتقزز، وبالتالي الانفضاض من حوله)[1].

والمتأمل في ظاهرة الانشقاقات التي أصابت أول تنظيم سياسي عصري كردي في سوريا واستفحالها فيما بعـد، سـيلحظ أن هنـاك ثمـة أسـباب موضـوعية وأخـرى ذاتية تسببت في هذا التشظي ونخرت الهياكل التنظيمية للأحزاب وخلفت آثاراً سـلبية جسيمة وهدرت طاقاتها عبر تفاقم الصراعات العقيمة والمهاترات، ممـا نجـم عـن كـل ذلك انفضـاض الجمـاهير الكرديـة عنهـا بعـد أن أصـيبت باليـأس وأجهضـت الآمـال وفقدت الثقة بالحامل السياسي، ناهيك عن الكـثير مـن الكـوادر الحزبيـة الـتي ارتـأت الانسـحاب بـلا ضـجيج، كـي تصـون علـى الأقـل مـاء الوجـه أمـام المتسـلقين و الوصـوليين. إن قـراءة متأملـة لماضـي وراهـن الحركـة السياسـية تظهـر تلـك الهـوة الحاصلة بين الحامل السياسي والجماهير، جراء أسباب متعددة، منها:

أ – الأسباب الموضوعية: ١– ألقت الظروف السياسية التي مرت بهـا سـوريا بظلالها على الحركة الكردية، فالأنظمة المستبدة والشـمولية الـتي أحكمـت بقبضـتها الأمنية في عهود (الوحدة، الانفصال، البعث)، على القوى الوطنية والديمقراطية عامة والبـارتي خاصـة، بمـا في ذلـك حمـلات الملاحقـة والاعتقـالات والقمـع، وسياسـات الترهيب والترغيب التي أحدثت ثغـرات في الهياكـل التنظيميـة واختراقـات أمنيـة هنـا وهناك. ٢– ظـاهرة التبعيـة تجـاه الأشـقاء في أجـزاء كردسـتان الأخـرى (كردسـتان

---

[1]– علي شمدين: الحركة الكردية في سوريا/ وظاهرة الانشقاقات – مصدر سابق – ص٩٥.

الجنوبية والشمالية على وجه الخصوص)، أي تبعية الأخ الأصغر للأخ الأكبر[1]. وكان للانشقاق الذي تعرض له الحزب الديمقراطي الكردستاني – العراق صدى كبيراً في سوريا، بين الزعيم بارزاني من جهة وبين إبراهيم أحمد وجلال طالباني من جهة أخرى. ٣– التباين في المواقف والشعارات إزاء موضوعات وقضايا مصيرية شتى، مثل: أ – هل الكرد في سوريا أقلية أم شعب؟ وما يترتب على ذلك من مطالب وحقوق وأساليب النضال. ب – تحديد الموقف من النظام. ج – العلاقة مع الأجزاء الكردستانية الأخرى. د – التأثر بالتيارات السياسية والأيديولوجية الدولية، خصوصاً (الماركسية والاشتراكية الدولية)...الخ.

ب – الأسباب الذاتية: ١– فتح أبواب الحزب مشرعة أمام كافة الشرائح وطبقات المجتمع الكردي ذات المصالح المتباينة، حتى أضحى تركيب البارتي عبارة عن خليط هجين وغير متجانس – على حد قول محمد ملا أحمد – يتوافد اليه كل ماهب ودب، مما أدى الى ظهور التعارضات أو التناقضات بين الفئات المنضوية تحت لواء البارتي الذي عجز على صقلها وتوجيهها على صعيد الممارسة. ٢– عجز البارتي في خلق حالة ديمقراطية، أساسها تكافؤ الفرص أمام جميع كوادره، مما تسببت في ظهور تكتلات بداية سرعان ما تمخضت عن انشطارات وتمزقات. ومما زاد من وتيرة الانشقاقات فيما بعد، اعتماد مبدأ المركزية في النظام الداخلي، أسوة بالأحزاب الشيوعية، فالبنية الداخلية لأي حزب: (هي بالضرورة بنية سلطوية، تقوم على الانفصال وتقسيم العمل ما بين القاعدة والقيادة، ومهما يكن من درجة ليبراليتها، فانها تطالب العضو المنتسب اليها بالتخلي عن آرائه الشخصية والالتزام بالخط العام للحزب والتقيد بانضباطيته التي لا خيار لها إلا في أن تكون مركزية، والباب الوحيد الذي تتركه الأحزاب للحرية الشخصية، هو باب الانشقاق أو الفصل أو التجريد من العضوية)[2]، هذه البنية أو الهيكلية التي تقوم على نوع من التراتب الهرمي، هي تقليد معماري للبنية التنظيمية الطوابقية التي كانت تقوم على المركزية المتشددة مثلما كانت عليه الأحزاب الشيوعية، فمن الطبيعي ألا تكون العلاقة متكافئة بين عضوين أحدهما في قاعدة الهرم والآخر في قمته (فكيف لحزب سياسي،

---

(1)– ولات محمد (الدكتور): صحيفة كردستان – العدد ٥٣٥ – الصادرة في ٢٠١٦/٥/١.

(2)– جورج طرابيشي – مقال منشور بتاريخ ٢٠١٤/٤/٢٦.

يناضل من أجل الحقوق القومية للشعب الكردي ويطالب بالديمقراطية للبلاد، أن يكون نظامه الداخلي غير منسجم مع هذه المطالب، لذلك يجب إعادة هيكلية البناء والتنظيم في الحزب السياسي بحيث تصبح العلاقة الحزبية بين الأعضاء علاقة أفقية ودائرية تقيم التوازن بين حرية الفرد/ العضو الحزبي وضوابط العمل الجماعي المؤسساتي، حيث يتم توزيع المهام في الحزب على شكل مكاتب متخصصة، بحيث يكون هناك تحديد للمهام والمسؤوليات)[1]. ٣- غياب الممارسة والآليات الديمقراطية في الحياة الداخلية، وغياب مبدأ المحاسبة والنقد والنقد الذاتي في البنى والمستويات التنظيمية كافة، ناهيك عن الظروف التي جعلت من الأحزاب الكردية تنظيمات سرية للغاية، ولا يُخفى ما في الحياة السرية في التنظيم من منغصات، وفي مقدمتها الممارسات اللاديمقراطية. ٤- طبيعة الشخصية الكردية المتمردة ذات الذهنية الريفية، التي تأبى أن تنقاد من قبل الآخرين، وتخلف وعيها الاجتماعي والسياسي ومستواها المعرفي، وما زرعته أنظمة الاستعباد وفلسفات الشرق المثالية في الشخصية الكردية من تناقضات طيلة قرون من خنوع وتمرد في آن. وقد أجاب يشار كمال عن سؤال طرحته (دير شبيغل) الألمانية عليه ذات يوم، حين سألته: ما سبب تخلف الكرد وتشرذمهم؟. فأجاب: الأمر يكمن ببساطة في طيلة فترة الاستعباد التي ولّفت الكردي على هذا النحو.

تناول محمد نذير مصطفى ظاهرة الانشقاقات هذه في احدى مقالاته، ومما جاء فيها (إن أبرز سمات واقع الحركة الوطنية الكردية، هي تلك الانقسامات المرعبة في صفوفها، وتتجلى خطورة السمة في العدد الهائل من الأحزاب، وفي تلك العلاقات غير الطبيعية بينها التي تندرج بين القطيعة والفتور وبين قيام تحالف – في أكثر الحالات تفاؤلاً – غير متين، ومشوب بالحذر، ومقيد بقلة نقاط الالتقاء، وعدم جوهرية النقاط؛ وتتضح خطورة الوضع أكثر إذا أخذنا بعين الاعتبار إن الوعاء الجماهيري الذي ينشط فيه هذا الكم الهائل من الأحزاب، يعجز عن استيعابها[2]. هذه المقالة تعدُّ تشخيصاً دقيقاً لواقع الحركة، هذا الواقع الذي يمكن وصفه بأنه حالة

---

(١)- سلمان ابراهيم الخليل: حول الدولة والديمقراطية وحقوق الانسان – ط١عام ٢٠١٦ – ص١١٦.

(٢)- راجع: محمد نذير مصطفى - جريدة دنكى كُرد – الحركة الوطنية الكردية في سوريا بين الواقع والطموح – العدد ٢٥٦/ شباط ١٩٩٦.

مَرَضية شبيهة – كما وصفها الاستاذ نذير مصطفى – بالانقسام الحاصل في وحيدات الخلية، حيث ينجم عنه خليتين لهما نفس المظهر والجوهر. لكن هذا لا يعني أن كل انشقاق هو بالضرورة حالة مرضية كما نوه الاستاذ نذير مصطفى، لأنه هناك ثمة انشقاقات تندرج تحت يافطة الظواهر الصحية والمشروعة، بل والضرورية تاريخياً بغية تصحيح المسار أو الحفاظ على الثوابت، في اطار جدلية الصراع بين الثابت والمتغير (المتحول).

سبق أن تَهَكَمَ الشاعر (أحمد مطر) من ظاهرة الانشقاقات الحزبية التي تكاد تشبه الانشقاقات في أحزابنا الكردية في سوريا، في قصيدة له تحت عنوان (المُنْشَقّ!)[1].

رابعاً: الحقوق القومية المشروعة

اطار "الحقوق القومية" اطار فضفاض، فمن الصعوبة بمكان تحديد هذه الحقوق، لأنها في تحول مستمر تبعاً لظروف المرحلة (المحلية والاقليمية والدولية)، ناهيك عن طبيعة النظام الحاكم. لكن في ظل موازين القوى طرحت القوى السياسية الكردية في سوريا، شعار النضال من أجل الحقوق القومية الديمقراطية، انطلاقاً من الحكمة أو المقولة السياسية التي تقول:«السياسة فن الممكن». وحددت هذه الحقوق في العقود الماضية على النحو التالي:

١– الحقوق السياسية:

أ – الاعتراف الدستوري بالشعب الكردي في سوريا، كشعب يعيش على أرضه التاريخية، رغم أن مصيره ارتبط بمصير الشعب العربي في سوريا قسراً ودون ارادته.

ب – التمثيل النسبي للكرد في السلطات الثلاث: التشريعية والتنفيذية والقضائية.

ج – اتاحة الفرصة للقوى السياسية الكردية على صعيد التنظيم والتعبير والنشاط السياسي.

د – ادارة المناطق الكردية من قبل أبنائها.

---

[1]– أنظر نص القصيدة الملحق رقم ٥.

٢– الحقوق الثقافية:

أ ـ تدريس اللغة الكردية كلغة رسمية الى جانب العربية في المناطق الكردية أسوة بمدارس السريان والأرمن، واقامة معاهد أسوة بالآرامية في معلولا وفتح أقسام اللغة الكردية في الجامعات أسوة بالعبرية وغيرها، ويمكن أن تكون الكردية مادة دراسية حتى في المناطق العربية.

ب – السماح بتأسيس أطر كردية، مثل: اتحادات الكتاب والمثقفين والصحفيين والفنانين.

ج – اتاحة الفرصة لتطوير الثقافة الكردية من خلال اقامة المراكز الثقافية الكردية، واصدار الصحف والمجلات وطباعة الكتب باللغة الكردية.

د – تخصيص فسحة للبث باللغة الكردية عبر الراديو والقنوات التلفزيونية المحلية، والسماح بترخيص محطات خاصة كردية.

هـ – الاهتمام بجمع وتدوين الأدب الشفاهي والفولكلور الكرديين.

يذكر الدكتور نورالدين زازا كيف رافع عنا أثناء اعتقالنا أحد المحامين – شخصية مرموقة – بشجاعة مدعمة بالأدلة الدامغة ودافع عنا بمنتهى الحماس والذكاء ، متسائلاً: (لماذا نمنع الكرد من أن تكون لهم مدارسهم باللغة الكردية، في حين أننا نمنح هذا الحق إلى اليهود والأرمن والسريان ؟. إن عدد الكرد في سوريا هو أكبر بكثير من تلك الأقليات، ويسكنون بصورة متماسكة في شمال البلاد، فهل من العدل منح حقوق ثقافية للطوائف الحاملة للطابع الديني ورفضها لكيان قومي هام؟)[1].

٣– الحقوق الاجتماعية:

أ – دعم الجمعيات الكردية في مجال رعاية الأمومة والطفولة أو الجمعيات الخيرية، وتشجيع النوادي الرياضية ومنظمات حقوق الانسان والدفاع عن البيئة.

ب – صيانة التراث الكردي، وعرضه في وسائل الاعلام.

٤– الحقوق الاقتصادية:

أ – النهوض بالمناطق الكردية التي أهملت منذ عقود، واقامة المشاريع الصناعية والزراعة والتجارية فيها، وتوفير فرص العمل للقضاء على البطالة.

([1])– نورالدين زازا(الدكتور): حياتي الكردية/ صرخة الشعب الكردي – مصدر سابق – ص١٣٣.

ب – الاهتمـــام بالجانـــب الخـــدمي (المواصـــلات، المستشـــفيات، المعاهـــد والجامعات.. الخ).

ج – ايلاء المناطق السياحية الاهتمام اللازم.

خامساً: الحركة الثقافية الكردية

سلطات العهد الوطني عامة وسلطات البعث خاصـة، لم تعـترف يومـاً بالثقافـة الكردية، لا بل حاربت اللغة الكردية ومنعت طبـع أو نشـر الكتـب أو اصـدار الصـحف والمجلات الكردية، وكانت الرقابة تلجأ الى منع ادخالهـا حتـى مـن دول الجـوار اذا مـا تناولت الموضوع الكردي، وتلجأ الى نزع أي موضوع من المجلة إذا تنـاول الشـأن أو الهم الكردي أو قاربه تلميحـاً علـى أقـل تقـدير. أمـا النشـرات الـتي كانـت تصـدرها الأحزاب الكردية وتطبع على الآلات الكاتبة، فكانت من الممنوعات ومُحَاربة بصـرامة، وكانت الأجهزة الأمنية تعتقل كل من تجـد معـه نشـرة، وتعتقـل صـاحب المنـزل إن عثرت فيه على واحدة منها. يضـاف الى ذلـك، ان الأجهـزة الأمنيـة كانـت بالمرصـاد لكل من يصغي الى كاسيت أو CD باللغة الكردية، وكانت تمنع طبع بطاقـات الأفـراح باللغـة الكرديـة، باسـتثناء فـترة ١٩٥٤– ١٩٥٨، أعـني الفـترة الفاصـلة بـين عهـد الانقلابـات العسـكرية وعهـد الوحـدة، حيـث تـوفر هـامش ديمقراطـي نسـبي، وكـذلك السنوات الأخيرة من حكم الأسـد الأب، حـين تم غـض النظـر عـن بعـض النشـاطات الكردية دون أن يصدر قرار بذلك. ومثـل هـذا يقـال في شـأن الجمعيـات، الـتي كانـت محظورة كالأحزاب تماماً.

لم تسمح السلطات بحرية التعبير، ليس بالنسبة للكـرد فحسـب بـل للمعارضـة وللمتحالفين مع النظام أيضاً، لما للاعلام من دور في نمو الوعي السياسي وتوجيهـه، ومارست السلطات الحاكمة رقابة صارمة على الاعـلام. ولا يمكـن فهـم هـذا الاحتكـار لوسائل الاتصال والاعلام بمـا فيهـا الصـحافة، إلا مـن خـلال دراسـة طبيعـة النظـام الحاكم الاستبدادي – الشمولي، الـذي حكـم سـوريا بعـد الجـلاء، مـن حيـث امـتلاك المعلومة واحتكارها وتوظيفها في خدمة الحاكم، وتمويل المؤسسات الاعلامية والتحكم بتوظيف الاعلاميين المتحـزبين في مختلـف المؤسسـات، وعلـى هـذا الأسـاس تنتفـي أسس التشاركية بأبسط درجاتها، هذا ما تجلى بوضوح في عهـد البعـث خاصـة، مـن هنا يمكن القول بـأن: (النظـام الاعلامـي في المجتمـع، لـيس سـوى انعكـاس للنظـام

السياسي والاقتصادي والاجتماعي السائد في هذا المجتمع ودرجة تطوره الحضاري)[1]، ويمكن الخروج باستنتاج مفاده أن الصحافة ووسائل الاعلام والتواصل (كالتلفزيون والراديو والانترنيت) تمثل السلطة الرابعة للبعث المحتكر لكافة السلطات، أو تجسد مقولة: "البعث يقود الدولة والمجتمع"، الواردة في الدستور وتعبر عنها بدقة.

١- الجمعيات:

أ ـ جمعية الشباب الديمقراطيين الكرد Civata Yekîtiya Xortên Dîmuqratên Kurd: تأسست في ١٩٥٤/٤/٢١ من قبل: محمد ملا أحمد، سامي ملا أحمد نامي، وعبدالعزيز علي عبدي (أبو جيم)، ودرويش ملا سليمان في مدينة القامشلي[2]. كما انضم إلى القيادة عام ١٩٥٦عبدالله ملا علي وعبدالرحمن شرنخي وأحمد سيد حمو وأكرم محمد، وبلغ عدد أعضائها المئات، لكنها أتهمت من قبل الشوعيين بالعمالة للاستعمار وبالارتباط بالمخابرات زوراً وبهتاناً، ثم شملت كل أنحاء الجزيرة، خصوصاً المنطقة الشرقية (بين القامشلي وعين ديوار). كان للجمعية برنامجها السياسي ونظامها الداخلي، ونظمت الجماهير في خلايا تراوحت الواحدة بين ٣ – ٥ أعضاء، وكانت الخلية تعقد اجتماعها كل اسبوع ويدفع العضو شهرياً ٢٥ قرشاً سورياً، بينما اللجنة المركزية كانت تعقد اجتماعاً كل شهر. وكل من يود الانتساب إلى الجمعية عليه تأدية القسم التالي: (أقسم بالله وبشرفي وشرف كردستان، أن أكون عضواً مخلصاً في جمعية الشباب الديمقراطيين الكرد في سوريا، وألتزم ببنود دستورها وأناضل من أجلها حتى آخر يوم في حياتي)[3]. من أهم أهدافها:

أ – النضال من أجل تحرير وتوحيد كردستان.

ب – النضال ضد الرجعية والاستعمار.

ج – النضال من أجل الديمقراطية.

د – السعي لفتح مدارس باللغة الكردية ونوادي وجمعيات.

---

(1)– عبدالخالق ابراهيم: الصحافة وصناعة القرار السياسي/ دراسة تطبيقية على واقع الصحافة الكردية ودورها في عملية صنع القرارات في اقليم كردستان – اربيل ٢٠١٣– الأكاديمية الكردية – ص٥٢.

(2)– سامي ملا أحمد نامي: فصول من التاريخ الضائع – باللغة الكردية – ستوكهولم ٢٠٠٠ – ص٧٦.

(3)– المصدر السابق – ص٧٧.

هـ – النضال من أجل حقوق المرأة.. الخ

كانت الجمعية تهتم بتعليم ونشر اللغة الكردية، وتحتفل بنوروز بشكل سري، واستمرت في نشاطاتها حتى شباط ١٩٥٨، ثم انضمت إلى الحزب الديمقراطي الكردستاني في سوريا[١].

ب ـ جمعية احياء الثقافة الكردية: أسسها في بداية عام ١٩٥٥ عثمان صبري بالتعاون مع بعض الطلبة في جامعة دمشق وكان مسؤولها. تركز نشاطها حول تعليم اللغة الكردية ونشر نتاجات الأدباء الكرد وطبع الكتب التي تهتم بالشأن الكردي، مثل ديوان (باهوز) لعثمان صبري و (صفحات من الأدب الكردي) لروشن بدرخان وكتاب (رد على الكوسموبولوتية) لعبد الرحمن ذبيحي وكتاب (الأكراد) بالعربية لجمال نبز نُشِرَ تحت اسم صامد الكردستاني المستعار. لاقت الجمعية دعماً من روشن بدرخان وهزار وعبدالرحمن ذبيحي[٢].

ج ـ جمعية المعرفة والتعاون الكردي: أسسها في حلب عام ١٩٥٦ نوري ديرسمي، ضمت روشن بدرخان وحسن هشيار وآخرين[٣]. ورغم أنها قامت ببعض النشاطات، إلا أنها حلت نفسها بعد تأسيس أول تنظيم سياسي كردي في سوريا.

د ـ كتلة آزادي: تأسست عام ١٩٥٨، كان لها برنامج سياسي ونظام داخلي، سموه حزب آزادي. كانت الكتلة وليدة الخلافات بين مجموعة من الكرد والحزب الشيوعي السوري، فقد دب الخلاف حين طالبت الكتلة الشيوعيين – كما بينا من ذي قبل – بطبع منشورات الحزب باللغة الكردية أسوة باللغتين العربية والأرمنية اللتين كانت تنشر بهما مطبوعات الحزب، وكان المسؤولون يتحججون بعدم توفر آلات الطباعة لعملية الكتابة بالكردية، ثم تجاهلوا الأمر عن قصد، مما دفع بالعديد من الكوادر الكردية إلى ترك صفوف الحزب الشيوعي، ومنهم الشاعر جكرخوين الذي كان عضواً في منظمة أنصار السلام، إحدى واجهات الحزب الشيوعي، وشكل المتمردون كتلة آزادي، التي انضمت فيما بعد إلى البارتي، فعين جكرخوين عضواً في اللجنة المركزية للبارتي ومحمد فخري عضواً في اللجنة المنطقية.

---

(١)– محمد ملا أحمد: صفحات من تاريخ حركة التحرر الوطني الكردي في سوريا – مصدر سابق – ص٢٩ حتى٣٣.

(٢)– المصدر السابق – ص ٤٢ و٤٣.

(٣)– علي ميراني: الحركة القومية الكردية في كردستان سوريا – مصدر سابق – ص١٠٢.

هـ ـ جمعية الطلبة الكرد في جامعة دمشق: كان في مقدمة الشخصيات الكردية قدري جميل باشا، الذي حث الطلبة الكرد في تشكيل هذه الجمعية. ففي مطلع عام ١٩٥٧ اجتمع عدد من الطلبة الكرد (من كردستان العراق وكردستان سوريا) وعقدوا اجتماعهم التأسيسي في دار قدري جميل باشا، وترأس الجمعية عزالدين مصطفى رسول من السليمانية، وانضم إليها: فتاح علي دِزَئي، عمر محي الدين شريف، مؤيد عبدالغفار النقشبندي من كردستان العراق، أما الكرد السوريون، فكان أبرزهم: خليل محمد، عبدالحميد درويش، صبحي رشو، اسماعيل عبد الحنان، قاسم مقداد[١]. لكن عقد الجمعية انفرط لسببين:

أ – ظهور البارتي وانضمام الكرد السوريين إلى صفوفه.

ب – مغادرة الكرد العراقيين سوريا بعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

٢– الاذاعة/ الراديو:

أفتتح قسم كردي في إذاعة القاهرة بموافقة الرئيس المصري الراحل جمال عبدالناصر في ١٩٥٧/٦/١. وكان القسم الكردي يقوم بالبث ساعة واحدة (من الرابعة حتى الخامسة بعد الظهر) يومياً. كان البرنامج الكردي يفتتح بتلاوة من الذكر الحكيم، يليها النشيد الكردي Ey Reqîb، وكان البث يسمع في مصر والعراق وايران وسوريا ولبنان والاردن وتركيا وأرمينيا وبعض الجمهوريات السوفيتية، وكان المستمعون يمطرون برنامج (رسائل المستمعين) برسائلهم، فمن الطبيعي أن تترك الاذاعة أثراً طيباً في نفوس الكرد أينما كانوا، وأن تلقى استنكاراً من لدن الدول التي تقتسم كردستان. من برامج القسم: الأدب والشعر الكردي، تحليل الأحداث، طلبات المستمعين ورسائلهم، الأغاني الكردية، الأخبار السياسية، التاريخ الكردي، الفن والثقافة الكردية، أنت وحظك..الخ[٢].

وكان العاملون في القسم الكردي منذ التأسيس، هم: الشيخ عمر وجدي من ماردين، المسؤول عن القسم الكردي في اذاعة القاهرة – هوشيار طاهر بابان من السليمانية – محمد حسين الملا دزيى من اربيل – محمد كريم شيدا من السليمانية.

---

(١)– علي ميراني: الحركة القومية الكردية في كردستان سوريا – مصدر سابق – ص١٠٥و١٠٦.

(٢)– وصفي حسن: مدير الاعلام بمحافظة دهوك، نشرة خاصة بمراسيم تكريم مذيعي القسم الكردي في اذاعة القاهرة ١٩٥٧– ١٩٦٨.

ومن تموز ١٩٥٩ إلى تشرين الأول ١٩٦١: عبدالله معروف من مريوان – عدنان حقي من الجزيرة – عبدالوهاب الملا من عامودا – عوسمان نوغراني من اربيل – عاصم الحسيني من عامودا. ومن تشرين الأول١٩٦١ وحتى شباط ١٩٦٨: الدكتور فؤاد معصوم من كويه، وهو الآن رئيس جمهورية العراق الفيدرالية – الدكتور محمد رمضان عبدالله من كركوك – عبدالله معروف من مريوان – عوسمان نوغراني من اربيل. وفي شباط عام ١٩٦٨ جرّاء الضغوطات من قبل حكومة شاه ايران محمد رضا بهلوي، والرئيس العراقي عبدالرحمن عارف في العراق، والرئيس التركي جودت صوناي، تم اغلاق هذا القسم[1].

٣– الكتاب والأدباء:

لا مناص من القول بأن سر خلود الرسالة التي خلّفها السلف يكمن – قبل كل شي – في حضورها الآني، هذا الحضور المعبّر عما تتضمنه عبارة:«أشهد أنني قد عشت» بدلالاتها المعبرة والمتنوعة. تبوأت العائلة البدرخانية صدارة المشهد الثقافي الكردي في سوريا، إلى جانب مبدعين آخرين.

١– جلادت بدرخان (١٨٩٣– ١٩٥١): من أعماله الألفباء الكردية اللاتينية، قواعد اللغة الكردية، قاموس كردي، مذكراته، ديباجة صلوات الايزيدية..الخ.

٢– روشن بدرخان (١٩٠٩– ١٩٨٦): كانت بمثابة الساعد الأيمن لجلادت، من مؤلفاتها: مذكرات امرأة جزءان، قصة غرامي وايلامي، مذكرات معلم، صفحات من الأدب الكردي، رسالة إلى مصطفى كمال باشا ترجمت من التركية إلى العربية، مذكراتي/ صالح بدرخان ترجمت من التركية إلى العربية..الخ.

٣– عثمان صبري (١٩٠٥–١٩٩٣): من مؤسسي (البارتي) عام ١٩٥٧. من مؤلفاته: الألفباء الكردية اللاتينية عام ١٩٥٤، ديوان شعر بعنوان باهوز ١٩٥٦، قصص ومقالات تحت عنوان معاناتي عام ١٩٥٦، أربعة أبطال عام ١٩٨٤، ومذكرات.. الخ.

٤– جكرخوين (١٩٠٣– ١٩٨٤):

إن صح قول (ستندال) بأن:«النابغة يعيش دائماً بين صفوف الشعب كالشرارة في الصوان، حيث يكفي تلاقي الظروف لتندلع تلك الشرارة»، فله وقع خاص في

---

[1]– نفس المصدر السابق.

ظروف جكرخـوين وأمثالـه، لكونـه وليـد أكاديميـة الحيـاة إن صـح التعـبير وبمثابـة المشكاة التي إهتدى بها المقهورون الكرد في ليل كردستان الطويـل. ولِـدَ شـيخموس بن حسن بن محمد بن محمود بن علي الذي تكنـى بـ«جكرخـوين Cegerxwîn»[1] في قرية هَساري، إحدى قرى كردستان تركيا. هاجر والده إلى عامودا عـام ١٩١٤، نشـأ يتيماً بعد أن فقد والديه وهو غض البنيان، وعاش في كنف أسـرة أخيـه خليـل، ثـم مالبث أن فرّ إلى بيت أخته آسيا وأمضى سنوات تحت رعايتها، لكن ظروفها دفعتهـا إلى زجـه في معـترك الأعمـال الريفيـة بعـد ان صـلب عـوده، مثـل: (الرعـي، الحصـاد بالمنجل، الحراثة بالمحراث الخشبي القديم). تردد على الكتاتيب الدينيـة، فتتلمـذ في قرية تل شعير[2] على يد الملا ابراهيم ونال إجازتـه الدينيـة علـى يـد المـلا فـتح الله. كان في جمعية خويبون وانضم إلى مجلس السلم في سوريا، وترأس فرعه في الجزيـرة، وكلف بتـدريس الأدب الكـردي في جامعـة بغـداد عـام ١٩٥٩. هـاجر إلى السـويد عـام ١٩٧٩ حتى وافته المنية في المهجـر باسـتوكهولم في ١٩٨٤/١٠/٢٢، نقـل جثمانـه إلى القامشــلي ودفــن في باحــة داره الكائنــة في الحــي الغربــي وفــق وصــيته بتــاريخ ١٩٨٤/١١/٥.

ارتاد – كما أسلفنا – الكتاتيب الدينية منذ نعومة أظفـاره، وترعـرع في منـاخ مجبول بالتصوف، فمن الطبيعي والحالة هذه أن يتأثر بالشعراء الكرد الكلاسـيكيين الذين اعتمدوا الأوزان الخليلية من أمثال: الجزيري، خـاني، فقهـي تـيران..الخ. وظـل جكرخوين أسير العقلية الاكليركية والوعي الشرقي، إلى أن نُسِفَت جذور هذه الذهنيـة عنده وحدث الطلاق، لكن بعد مخاض طويل وعسير، ولهذا التحول النوعي في حياتـه ولهذا الارتداد عن المواقع المثالية حكاية لابد مـن الاشـارة إليهـا في مثـل هـذا المقـام بغية توضيح خلفية هذا الانعطاف. فقد سألته قبيـل هجرتـه إلى السـويد عـن دواعـي هـذا التحـول، فأجـاب باسـلوبه البسـيط والمعهـود، المتميـز بدقتـه وعمـق دلالتـه وشموليته، الممزوج بالدعابـة إلى حـد السـخرية علـى طريقـة تشـيخوف: (تـبين لـي بالملموس، أن معظم القـائمين علـى الـدين، يقولـون شـيئاً ويفعلـون نقيضـه، وهـذا يتعارض وآيات الذكر الحكيم، التي لا تـذكر شـيئاً إلا بعـد إقترانـه بالعمـل الصـالح)،

---

(١)– يعني: الكبد الدامي.

(٢)– قرية تل شعير شيتية، تقع شرقي القامشلي بنحو ٢٠ كم.

وهـذه خصيصـة مـن خصـائص العقيـدة الزردشـتية. ثـم أضـاف بعـد تـلاوة سـورة "العصر": (الفكر الديني يعول على اليـوم الآخـر لمحاسـبة الطغـاة والظـالمين، وهـذا يجهض حوافز الانسان المقهور للنضال من أجل نيـل حقوقـه). كنـتُ أقـرأ في ثنايـا إجابته تلـك ذات النتيجـة الـتي توصـل إليهـا مـن قبـل الفيلسـوف والعـالم الرياضـي لابلاس في كتابه«نظـام الكـون»، حـين صـاغها في إجابتـه علـى سـؤال نـابليون: مـا المكان الذي يحتله الله في نظامك ؟. قائلاً: الله فرضية لا حاجة لي بها في نظامي..!.

في معمعان الأحداث الدراماتيكية على الصعيد الكردي، وفي ظل مناخ اجتماعي شاحب من الجهل والفقر المدقع، ناهيك عن القهر القومي، بدأ جكرخوين يشق طريقه الجديـد. وبظهـور حركـة التحـرر الكرديـة في مطلـع القـرن العشـرين وصـيرورة الـوعي القومي ونتيجة الاحساس بالغبن الـذي لحـق بـالكرد بعـد اتفاقيـة سـايكس – بيكـو، وانتشار الفكر الاشتراكي بين المتنورين الكرد بعد ثورة أكتوبر[1]، إنبثـق الأمـل لـدى الكرد بقرب الخلاص من الـنير القـومي، وكـان لاخمـاد ثـورة الشـيخ محمـود الحفيـد ولقمع الثورة الكردية التي قادها الشيخ سعيد من قبل الكماليين بوحشـية ينـدى لهـا الجبين أثراً بارزاً في استيقاظ الوعي القومي وتفتقه. أما فترة مـابين الحـربين فكانـت مرحلة نهوض ثوري تجسد في ثورة بارزان الأولى ونشوء جمهوريـة كردسـتان ١٩٤٦، والتي يعود لها الفضل في: (تنشيط الحركـة الأدبيـة، لا علـى نطـاق كردسـتان ايـران فحسب، بل في جميع أنحـاء كردسـتان)[2]. هـذه التطـورات هـي الـتي بلـورت وعيـه وحـددت آفاقـه ودفعتـه لينسـج مواضـيعه مـن بيئتـه ومـن واقـع النـاس البسـطاء والبؤساء من أمثاله بعد شحنها بمحتوى معاصر، فكان جكرخوين مرآة عصره بحـق وخريج الأدب الشفاهي (الشعبي) الكردي.

وبرحيله خسر الكرد شاعراً تقدمياً في أوج العطاء في شـتى ميـادين الابـداع وفي غاية التدفق الشعري، مثلما فقـدت البشـرية التقدميـة مبـدعاً تميـز باحسـاس عميـق لعلاقات الواقع المقنونة. كان شاعراً ثاقب النظرة وصادق الحس، ومؤمناً بأن رسـالة الفن لا تنتهي بمعرفة الواقع فقط، بل تكمن في تغييره، فمن الطبيعي والحالة هذه أن

---

(١)– هي الثورة البلشفية التي قادها لينين، وأطاحت بالنظام في روسيا القيصرية عام ١٩١٧.

(٢)– عزالدين مصطفى رسول(الدكتور): الواقعية في الأدب الكردي – ص٨٥.

تكون القصيدة بسداتها (آلام الشعب وآهات المضطهَدين) ولحمتها (آمال الكرد)، هي تلك المادة التي صاغ منها أسلحته.

لقد دفعته الحياة إلى هذه المواقع الريادية، كما علمته تجربته الذاتية المريرة كيف ينحت طريقه المتعرجة، ذات المنحى البياني الصاعد، بعد أن عجزت ظروفه القاهرة عن ادخال اليأس إلى كيانه، وكأني به يردد صدى أغنية الألزاس:

"لقد أخذتم ألزازنا ولوريننا
وفي وسعكم أن تُجَرْمِنوا سهولنا
ولكنكم أبداً لن تملكوا قلبنا
أبداً..."[1].

لم تنل من عزمه شراسة بعض رجال الدين والاقطاع، تلك القوى التي لم تبخل في محاربته بشتى الوسائل بغية إطفاء جذوة النضال المتقدة أبداً في أعماقه، فاندفع مقتحماً حلكة ظلام الجهل والتخلف الذي عجز عن اقتحامه سوى القلة من أمثاله، حتى قال فيه قناتي كردو: (من أجل معاناة الشعب الكردي وآلام العمال والفلاحين وكل المناضلين، كان قلبه يتقطر دماً، فاستحق لقب جكرخوين)[2].

بدأ جكرخوين ينهل من منابع الأدب الشفاهي الكردي، وتميز بنزعته الواقعية، وحاول التحرر من أساليب وقوالب القصيدة الكلاسيكية والارتقاء باسلوبه، فتفنن في الشكل لينسجم مع المضمون الجديد في بعض القصائد، مثل: (مَنْ أنا Kîme Ez)، لكن تجربته الفنية لاتخلو من الوهن. كما امتاز أسلوبه بنوع من الخطابية والتقريرية، بينما كان يتوجب عليه الترفع عن هذا الاستسهال، ولايمكن تبرير الأمر بتفشي الأمية، لأن وظيفة الفنان لا تقتصر على مقاربة الجماهير فحسب، بل أن يساهم في امتلاكها القدرة على الارتقاء بمستواها، يضاف إلى ما قيل وما سيقال في هذا السياق، أقول: في الوقت الذي امتلك القدرة على تحويل الحكاية والحدث العادي إلى شعر، فان قصيدته كانت لا تحتاج إلى أي جهد عصبي لقراءتها وادراك كنهها، وكانت في إطار المضمون يغلب عليها طابع الأدلجة والتوفيقية كما في (سالار

---

(1)– سمع لينين ذات مرة خادمة فرنسية تغني أغنية، كانت تلك أغنية الألزاس، فطلب منها أن تغنيها وأن تملي عليه كلماتها، ثم لم يندر له أن غناها بنفسه.

(2)– راجع: من مقدمة الديوان الخامس.

وميديا). ولكـن تكثـر محاسـنه، فقد أجـاد اسـتخدام فـن السـخرية والـتهكم كمـا في قصـيدته Welatê Çirto Û Virto، لتعريـة الواقـع المـزري، وفي الوقـت نفسـه تمثـل الفولكلور من حكايـات وحكـم وأمثـال، وتغنـى بجمـال كردسـتان وعـبر عـن معانـاة الفلاح، كما تحفل قصائده بالقضايا الانسانية ومثلها العليا كقضية الزنوج (قصيدة: أيها الرفيق روبسون)، وآمن بالغد المشرق الذي ستتحرر فيه المـرأة الكرديـة فتغنـى بليلى قاسم. وترك لنا جكرخوين ٩ دواوين من الشعر، هي:

خوەشخوان ١٩٢٧

*Birûsk û pêt/ النار واللهيب – دمشق ١٩٤٥.

*Sewra Azad/ ثورة الحرية – دمشق ١٩٥٤.

*Kîme Ez?/ مَن أنا؟ – بيروت ١٩٧٣.

*Ronak/ النور استوكهولم ١٩٨٠.

*Zend-Avista/ استوكهولم ١٩٨١.

*Şefeq/ الفجر استوكهولم ١٩٨٢.

*Hêvî/ الأمل – استوكهولم ١٩٨٣.

*Aştî/ السلام – استوكهولم ١٩٨٥.

وجمع باقة من الأغاني الفولكلورية معلقاً عليها، وتاريخ كردسـتان، وقاموسـاً كردياً (جـزء ١و٢/ بغـداد ١٩٦٢)، وحكايـة Reşoyê Darê والحكايـة الشـعرية سـالار وميديا، ومذكراته وقواعد اللغة الكردية/ بغداد ١٩٦١.. الخ.

تعودنا أن نتلمس ملامح شاعرنا الكبير جكرخوين من خلال قصيدته الملتهبة للمشاعر وعبر صوره الرائعة المسـتقاة مـن طبيعـة كردسـتان الخلابـة وواقـع النـاس البسطاء، أما تجليات النضال السياسي من أجل الديمقراطية وحقوق الانسـان، فقـد ظلت في الظل، رغم ان هذا الجانب مهم جـداً، ففيـه تتجلـى انسـانية الانسـان في أروع صورها وأبهاها. مـن هنـا تقتضـي الضـرورة تقـديم شـهادة حفظتهـا مجلـة (الثقافـة الوطنية) على صفحاتها، وهي عبارة عن برقية نشرتها المجلة[1]، كان قد أرسلها عدد من أساتذة الجامعة ورجال الصـحافة والكتـاب والأدبـاء السـوريين يومئـذ إلى جمـال عبدالناصر، حين اعتقلت أجهزة الأمـن المصـرية عبـدالرحمن الخميسـي، الـذي كـان

(١)– راجع: مجلة الثقافة الوطنية، العدد/٦٥/ – تاريخ ١٥ تشرين الثاني ١٩٥٤.

يمتهن الشعر والقصة والمسرح والسينما والمسلسل الاذاعي. يقول معين بسيسو عن الخميسي: (كان يكتب بالمسمار فوق حائط الزنزانة، وحين يُنتزع منه القلم ويُرغم على مغادرة مصر كان يكتب بأصابعه فوق أجنحة الطائرات قصائد الحب للوطن والحرية). نعم، لم تلن للخميسي قناة في مواجهة الاستبداد، بل مضى متحدياً، فهاهو يجيب على سؤال وجهته صحيفة "اليوم" البيروتية ذات يوم إليه: لمْ ولنْ أطرح قيثارتي التي حاول البعض أكثر من مرة أن يمزقوا أوتارها فلم يفلحوا.

المهم أن جكرخوين كان أحد الموقعين على تلك البرقية المندِدة بأساليب القمع إلى جانب لفيف من المبدعين (٣١ شخصاً)، كان من بينهم: د. فاخر عاقل، شوقي بغدادي، حسيب كيالي، عبدالرزاق جعفر، سعيد حورانية، حنا مينا، أنطوان مقدسي...الخ. وهذا هو نصها:

البكباشي جمال عبدالناصر، رئس الحكومة المصرية – القاهرة

أدباء سوريا وكتابها ورجال الصحافة فيها الذين روعتهم أنباء الاضطهاد الفظيع النازل بالكاتب المصري عبدالرحمن الخميسي وجميع الكتاب والمفكرين وأساتذة الجامعات والطلاب لمواقفهم الوطنية ودفاعهم عن حق مصر في الاستقلال والحرية، وقد مضى على اعتقال بعضهم مايقارب السنة دون محاكمة، يحتجون على المعاملة الرهيبة التي يتعرض لها رجال الفكر في أرض الكنانة، وينتصرون لزملائهم طالبين اطلاق سراح السجناء منهم ورفع الضغط عن سائر المفكرين الأحرار.

وتحفل قصائد جكرخوين بالمثل الانسانية، من صداقة وتآخي وتضامن ومؤازرة، فيرى أن قضايا المظلومين، مهما اختلفت ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم وأديانهم، واحدة. مجّدَ ملحمة ديان بيان فو، وندد بسياسة التمييز العنصري التي تمارس ضد السود، جسد تنديده في قصيدة: الرفيق بول روبسون، التي غناها الفنان الكبير شفان، فازدادت ألقاً:

"أيها المغني العالمي، يا نجل أبطال السلام
العارف والانسان، البطل والقائد
عدو (دالاس)
عبر البحار، فوق الجبال
يحضرنا لون بشرتك السوداء
****

لا يُضطهَد السود وحدهم
بل ها نحن البيض أيضاً"[1].

لم ينسَ أن يشيد بالمرأة المناضلة، وكأني به يردد القول الكردي المأثور:"الأسدُ أسدٌ، ذكراً كان أم أنثى"، ودعا إلى تحررها، المرهون بحرية شعبها من جهة، وبإرادتها ووعيها الكفيل بالقاء الحجاب والتحرر من أعباء البيت والمطبخ من جهة أخرى، فتمثل حكمة جواهر لال نهرو، التي تقول:"لن يفلح شعب، مادام نصفه في المطبخ"، وعشق فالنتينا وأنديرا وليلى قاسم، بمثل عشق آراغون لـ (إلزا). فهاهو يخاطب الفتاة الكردية باسلوب تهكمي، قائلاً:

"أنظري.. ها قد غزت المرأة الفضاء
إلى متى ستظلين في ثباتك ؟
تقدمي... مثل أنديرا وبندا"[2].

في احدى قصائده يدعو إلى طلب العلم، فيخيل لك أنك إزاء لوحة فنية كالتي أبدعها رسول حمزاتوف في قصته الشعرية الخالدة (داغستان بلدي)، فيقول مخاطباً القلم[3]:

Buhayê te arzane, sê çar firing
Tu çêtir ji tang û ji top û tiving
Çi dermanê top û tivinga ye? Rev
Bi derman birînên te nayêne hev

ثمنكَ زهيدٌ، ثلاث أو أربع فرنكات
لكنك، أمضى من البواريد والقنابل والدبابات
ما دواء القنابل والبواريد ؟ الهروب !
بالدواء لا يمكن أن تلتئم جروحك"[4].

في عهد دكتاتورية الشيشكلي، توسعت قاعدة الحزب الشيوعي، خصوصاً في الجزيرة، وانضم إليه الكثيرون من الكرد فوجد جكرخوين (ضالته في النضال ضمن

---

(1)– راجع: الديوان الثاني.
(2)– راجع: الديوان الثالث.
(3)– القطعة مع ترجمتها.
(4)– راجع: الديوان الأول.

صفوف هذا الحزب.. ايماناً منه بأنه الحزب الذي يحقق آمال الكرد.. لكن سرعان ما تبددت آماله تلك مع الأيام.. وعلى عكس ما كان يتوقع، حيث كان يتوخى منهم بأن يكونوا سنداً وعوناً للكرد.. ومع مرور الوقت وجد نفسه مبعداً خارج نطاق التنظيم)[١]. وقد عانى الكثير من الكرد الذين انتسبوا إلى الحزب الشيوعي نفس المعاناة في تلك المرحلة، لأنهم اعتقدوا أن قوى"اليسار" أو " القوى التقدمية" ستناصر قضيتهم. تغنى جكرخوين مثلاً بستالين، إلا أن المواقف من حركة التحرر الكردية هنا وهناك سرعان ما خيبت آماله بالحليف المنتظر.

ومن المفارقات البليغة تلك الشكوك التي يثيرها جكرخوين عن الشيخ سعيد بيران والشيخ محمود برزنجي من جهة، وطبيعة العلاقة بين القاضي محمد ومصطفى البارزاني من جهة أخرى في مذكراته، فتحققت نبوءة كمال جانبلات التي نطق بها حين إلتقى البارزاني ذات يوم: (حذارِ... حذارِ من أقرب الناس، فإن لم يتمكنوا منك في حياتك... تمكنوا منك بعد مماتك... فتلك مصيبة كل قائد في شرقنا).

زعم جكرخوين أن أمثال الشيخ محمود برزنجي، أخبروا الانكليز بأن الشعب الكردي لا يريد الاستقلال، كما لا يريد الانفصال عن الشعب التركي المسلم[٢]. ويمضي في القول بأن الشيخ سعيد أفندي (الشيخ سعيد) لم يكن الرجل المناسب للقيام بالثورة وحمل عبئها، وعجز هو ورفاقه عن وضع التكتيك المناسب للحركة والسيطرة على الأماكن الاستراتيجية، كان يتوجب عليه تدمير جسر جرابلس، ويزج بجيشه على الحدود السورية، كي يتسنى له تلقي المساعدة من الفرنسيين، لأن فرنسا كانت تود أن تدعم الثورة آنذاك، لكن الشيخ افندي ورفاقه كانوا لا يدرون ذلك، أو أنهم كانوا لا يريدون طلب المساعدة من "الكفار" ومحاربة المسلمين..!

أما فيما يتعلق بالتشويش على العلاقة التي ربطت الشهيد قاضي محمد والخالد مصطفى البارزاني، فيجدر بنا التنويه بداية بأن البارزاني الذي كانت تربطه بالقاضي علاقة وطيدة، راسية وراسخة الجذور، حميمية، ألح عليه بألا يثق بوعود الفرس، حرصاً منه ألاّ يقع أول رئيس لجهورية كردستان بيد الأعداء أسيراً، لكن الرئيس الشهيد أصرّ على التضحية بحياته ليجنب شعبه الأذى، ثم مد يده وأخرج

---

(١)- حسن جنكو: جكرخوين/ من عمق المأساة إلى فضاء الانسانية – ص٥٢.

(٢)- راجع: مذكرات جكرخوين باللغة الكردية – ص٦٧.

من جيبه علم كردستان وسلمه للبارزاني قائلاً: (هذا هو رمز كردستان، أسلمه لك أمانة في عنقك، لأنك في رأيي خير من يحفظه)[١]. إلا أن جكرخوين يورد في مذكراته بالحرف: قلت للبارزاني يوماً، تلك الصورة التي ألتقطت لكما (أنت والقاضي) كانت رائعة. فرد البارزاني: أصلاً ارتكبت في حياتي هذا الخطأ، كوني إلتقطت صورة مع غير المؤتمن هذا[٢].

فيما يتعلق بما أورده جكرخوين في مذكراته الآنفة الذكر عن العلاقة "المتوترة" بين هذين النسرين الكرديين، هناك حقائق دفينة تم الكشف عنها، تدحض القول السالف الذكر. فالملازم كيومبرس صالح، مراسل مجلة "الجيش الشاهنشاهي" الايرانية، الذي حضر جلسات محاكمة (القاضي محمد، وصدر القاضي، وسيف القاضي)، طبع محضر المحاكمة هذه في كراس خاص ووزعه على كبار الضباط ورجال الحكومة، ممن يحظون بثقة الشاه، بصورة سرية جداً[٣]. والملازم كيومرس ابن شقيقة القائد (فريدون جم) زوج السيدة (شمس) شقيقة الشاه. يقول كيومرس: قمت بتدوين أحداث المحاكمة، التي دامت ٤ ساعات، وأصدر قرار الاعدام بعد نصف ساعة من المداولة في (ماهنامه) الشهرية، وطبعتُ الأخبار المهمة في كراس (تاج كياني)، فاتهموني قبل أن تنشر بافشاء أسرار المحاكمة وجردوني من رتبتي وحكموا علي بالسجن لمدة عام. إلا أن كيومرس نشر وقائع المحاكمة بعد خروجه من السجن، في العدد ٧٥ من الـ (ماهنامه) عام ١٩٤٧. فيقول كيومرس: حين أخرج العقيد نيكوزاده قطعة قماش من حقيبته، لونها أحمر وأبيض وأخضر، وعليها شعار المطرقة والمنجل، وسأل: أليس هذا علم حكومتكم التي أعلنتموها؟، وبصق العقيد على العلم وداس عليه. ردَّ القاضي: أولاً– ليست هذه راية كردستان، لأن رايتنا ليس عليها شعار المطرقة والمنجل. ثانياً– إن تصرفك هذا، ينمُّ عن قصور في عقلك وشعورك. إطمئنوا، راية كردستان لن تصلها أياديكم كي تدنسوها، وسيأتي اليوم الذي ستخفق فيه تلك الراية على هذا المبنى الذي أحاكمُ فيه.

---

(١)– مسعود البارزاني: البارزاني وحركة التحرر الكردية – ثورة بارزان ١٩٤٥– ١٩٥٨ – ص٤٥.

(٢)– راجع: مذكرات جكرخوين باللغة الكردية – ص٢٦٧.

(٣)– راجع: مجلة كولان العربي – العدد ٥٥/ في ٣١ كانون الأول ٢٠٠٠ – ترجمة: عبدالله بابان – ص٤٨– ٦٠.

ويمضي كيومرس قائلاً: سُئل القاضي عن صفات ملا مصطفى البارزاني، فرد: لا أستطيع أن أحدثكم عن جميع خصاله... حسناً، الملا مصطفى البارزاني يتصف بكل صفات الرجولة والكرامة والشرف والانسانية والشجاعة والاقدام والكرم والجرأة، تلك التي اتصف بها مَنْ خلدهم التاريخ، كما أنه يتصف بصفات مسلمي صدر الاسلام، من ايمان وصدق وطهر واخلاص لله والدين والناس الفقراء.. واستشهد القاضي محمد ببيت شعر لسعدي الشيرازي.. واختتم جوابه بقوله: أنتم مخيرون أن تصدقوا ما قلته أو لا تصدقوه.

وحين سألته المحكمة عما أوصاه البارزاني، أجاب القاضي محمد: لقد حاول الملا مصطفى البارزاني اقناعي كي أرحل معه، وقال لي بألاّ أعوِّل على براءتي، ووصف لي صورتكم الحقيقية، وأخبرني عنكم وكيف أنتم ومَنْ أنتم... في الحقيقة، لقد عَرَفكم البارزاني أفضل من أي شخص آخر، فقد قال لي الملا مصطفى، بأنه لا يوجد شعب أو أمة مثل العجم (المقصود حكام الفرس)، فهم أشد الناس ظلماً وقهراً عندما يتسلطون، وعندما يكونون محكومين، فلا أحد بامكانه مثلهم أن يُظهِر المظلومية والتوسل، وعندما يقوون فانهم لا يتوانون عن فعل أي عمل مشين، وعلى العكس من ذلك، يسلكون أي سبيل من أجل الخلاص إذا كانوا مستضعفين، لذلك يجب ألا تفكر في أن يصفحوا عنك لأنك بريء. فسألته المحكمة: ألست نادماً لأنك لم ترحل معه؟. أجاب القاضي: لست نادماً، لأني عاهدت الشعب الكردي أن أحيا بينهم وأن أموت من أجلهم، فأنا على يقين بأنه لو رحلت... لقمتم بقتل الكثيرين من الأبرياء من أهالي مهاباد وأبناء الكرد انتقاماً مني، فأنا سعيد لأني أول بريء أُقتل هنا.

وحين سألته المحكمة عن حرصه على البارزانيين ومحبته لهم، أجاب القاضي محمد: لأن الملا مصطفى والبارزانيين هم أمل ومستقبل الكرد، فقد سلمتهم راية كردستان أمانة، وهم يقومون بالحفاظ عليها حتى يأتي اليوم الموعود، راية كردستان بحوزتهم، وليست الراية تلك القطعة التي بصق عليها العقيد نيكوزادة وداس عليها، وأرجو من الله أن يأتي اليوم الذي يرفع فيه البارزاني تلك الراية بيده فوق هذه البناية التي أحاكم فيها، وأن ترفرف عالياً فوق جميع مرتفعات كردستان.

بعد هذا الاسهاب، أليس من الاجحاف وصف العلاقة بين البارزاني والقاضي بمثل ما وصفها جكرخوين في مذكراته؟ وهل يقبل المنطق السليم بمثل هذا الزعم؟. أعتقد أن جكرخوين انزلق بحكمه الجائر إلى موقع تيار سياسي يسهل عليه الاساءة إلى هذين الرمزين التاريخيين في آن ويسيء الظن بعلاقتهما الحميمة بعد موتهما كما قال كمال جانبلاط.

٥- قدري جان (١٩١١؟- ١٩٧٢):

هناك خلاف حول سنة ميلاد هذا الأديب، الذي حكمت عليه المحاكم التركية بالاعدام غيابياً، ففر هو وصديقه رشيد كرد إلى الجزء الكردستاني الملحق بسوريا عام ١٩٢٨، وأعتقل في سجن المزة. كان ماركسياً وعضواً في خويبون، وكان يرى بأن الاتحاد السوفييتي المنقذ الوحيد للكرد في حل القضية الكردية... ففي قصيدة عام ١٩٤٨، التي يعزي فيها الشعب الكردي بفقد الشهيد القاضي محمد، يصب جام غضبه على الانكليز والأمريكان، لأنهما وحدهما، كانا السبب في انهيار جمهورية كردستان، وفق وجهة نظره ... رغم أن اسهام الاتحاد السوفييتي في سقوط تلك الجمهورية لم يكن أقل من دور الانكليز والأمريكان، لأن الصفقة الفاشلة التي عقدها السوفييت مع ايران، أعني قضية امتياز آبار النفط، وخروج الجيش الأحمر... كان السبب في حدوث المأساة[١].

كان يكتب الشعر والقصة والمقالة، فضلاً عن الترجمة، وكانت (هاوار، روناهي، روزا نو) تنشر نتاجاته. يقول روجيه ليسكو، يمكن اعتبار قدري جان من بين مؤسسي الشعر الكردي الحديث[٢]، وأعتبر أديب نادر أن قصيدته (ريا تازه)/ الطريق الجديد عام ١٩٣٦ أول قصيدة كردية حرة في تاريخ الشعر الكردي، حتى بات هذا التاريخ منعطفاً أدبياً فاصلاً في تاريخ الأدب الكردي الحديث، بين مرحلتين من ناحية الشكل والمضمون[٣].

في قصيدة (عودة الأسد) ١٩٥٨، خلّد عودة البارزاني، كما في هذا المقطع:

---

(١)- الكاتب قدري جان - راجع: تقديم د. معروف خزندار - ص١٠.

(٢)- الكاتب قدري جان - دار آراس/ اربيل - ص٢١.

(٣)- المصدر السابق - ص ١٧.

"الأسد قادم إلى الوطن
الأسد قادم إلى الوطن
أشرقت يوم كردستان
بشرى لكم، بارزاني قادم"

٦- أحمد نامي (١٩٠٦- ١٩٧٥):

ولد أحمد بن محمود بن عبدالله في قرية (عربتى Erbetê) التابعة لنصيبين، وتلقى دروسه في الكتاتيب الدينية، ثم انتقل إلى قرية تل شعير الشيتية التابعة للقامشلي، وكان له قصب السبق في تدشين أول مدرسة للبنات فيها عام ١٩٥٠ بدعم من الحاج علي عبدي وآخرين، مما أثار بخطوته الجريئة هذه حفيظة بعض المتزمتين، الذي اتهموه جهاراً: "هاقد أقام نامي وكراً للشيطان"..!. وأسس مدرسة ليلية في أحد صفوف المدرسة الرسمية، كان يعلّم فيها اللغة الكردية قراءة وكتابة، وكان طلبته من الكرد والسريان واليهود[1].

استقر نامي في مدينة القامشلي منذ ١٩٥٢، إلى أن وافته المنية، تاركاً للدهر المخطوطات التالية:

أ - ديوان شعر بالكردية، تحت عنوان (Daxwaz Name). طبع مرتين، الأولى في استوكهولم عام ١٩٨٦، من منشورات (Roja Nû)، والثانية في سوريا عام ١٩٩٤.

ب - قواعد اللغة الكردية.

ج - مشاهداته وسيرته، تحت عنوان (Çiko Li Bîrim) لم تطبع بعد.

د - قصة حريق سينما عامودا بالكردية، طبعت في استوكهولم عام ١٩٨٧، من منشورات (Roja Nû) أيضاً.

و - قاموس كردي - عربي، مخطوط.

حريق سينما عامودا: بدأ نامي بكتابه فاجعة سينما عامودا، التي أودت بحياة/٢٨٣/ تلميذاً في المرحلة الابتدائية عام ١٩٦٠، وهي - أي التراجيديا - أشبه ما تكون بريبورتاج صحفي، يبتغي فيها الوصول إلى الحقيقة التي كانت عرجاء. فيروي كيف أن أهالي عامودا - كعادة أبناء شعبنا الكردي المناصر لقضايا الحرية

---

(1)- سامي أحمد نامي: فصول من التاريخ الضائع Dîmenin Ji Dîroka Winda- مصدر سابق - ستوكهولم/ ٢٠٠٠ - ص٢٢.

في كل مكان – بدأوا بحملة تبرعات لدعم الثورة الجزائرية. قبل الحدث الجلل، اجتمع مدير ناحيتها بمعلمي المدارس وحثهم على توزيع تذاكر السينما لتلاميذ المدارس، ليثبت لأسياده بأنه مبتكر الفكرة في ابتداع هذه الوسيلة/ الطرفة في دعم الثورة في الجزائر. وفي اليوم المشؤوم، المصادف في يوم الأحد ١٩٦٠/١١/١٣، حشرت أفواج من التلاميذ في مبنى سينما شهرزاد[١] لعرض الفلم المسمى (ذئب منتصف الليل)[٢] بدلاً من عرض فلم عن الثورة، وتكرر العرض مرات ومرات، وحين شعر البعض بارتفاع حرارة المحرك، عرضوا الأمر على مدير الناحية، لكنه أبى تأجيل العرض إلى اليوم التالي، واستجاب المعنيون لأمره على مضض. وكان المبنى لا يتوفر فيه الحد الأدنى من المواصفات الفنية. والوجبة كانت هذه المرة مئات التلاميذ من مدرستي الغزالي والمتنبي، وحين اقتربت الساعة من السابعة مساءً بدأ الفلم، ولم تمضِ لحظات حتى علا صراخ أحدهم: إنه الحريق...الحريق...

دب الذعر والهلع في نفوس الأطفال، فلاذوا بالفرار، وحين تعثر الخروج، رمى بعضهم بنفسه من كوة كانت في الحائط من هول الفاجعة، فكان القدر له بالمرصاد، حيث لقي حتفه في البئر التي كانت بجوار جدار السينما، أما الباب (أبعاده ١ في٢م) فقد سدته أمواج الفارين. وبعد برهة انفجر شيء ما داخل المبنى كان ذلك المحرك، واشتد لهيب النار يلتهم وقودها من الأطفال الأبرياء بنهم وبشغف لا مثيل له، أما ذويهم في الخارج فكانوا يحيطون بالمبنى دون جدوى كأنهم يمارسون طقساً زرادشتياً، وسط استغاثة فلذات أكبادهم التي كانت تصم الآذان Yadê yabo Em Şewitîn، وكانت الأصوات تنسج سيمفونية القدر الكردي من جديد..!. كثرٌ هم الذين اقتحموا المبنى وأولهم محمد بن سعيد آغا الدقوري[٣]، الذي خاطر بحياته، فكان كالأسد يقتحم المبنى وينتشل من بين ألسنة النيران طفلين كل مرة، ويقال بأنه أنقذ أكثر من ١٢ طفلاً من ذاك الجحيم، لكن في المرة الأخيرة انهار سقف المبنى، وقضى محمد نحبه قرباناً لأبناء شعبه. أجل، مات المخلِّصُ، لكنه ضرب

---

(١)– المبنى طيني، بطول ١٨م وعرض ٦م، كسائر بيوت البلدة والريف في الجزيرة، بالكاد يستوعب ٢٠٠ تلميذ، لكن القائمين على المشروع كانوا يحشرون فيه ٥٠٠ تلميذ.

(٢)– بطولة محمود المليجي، لم يكن الفلم يناسب أعمار التلاميذ.

(٣)ـ (١٩٢٨ ـ ١٩٦٠).

بتفانيه مثالاً نادراً من نكران الذات قل نظيره. يقال أن الاطفائية وصلت من القامشلي بعد فوات الأوان.. على حين كان صوت (الله أكبر) المنطلق من الجوامع يمتزج بصوت النواقيس، وأمضى أهل البلدة ليلتهم بالاصغاء إلى هذه السيمفونية الجديدة. يقال أن الحريق نجم عن المولد الكهربائي، لكن ثمة شكوك تحيط بالحدث، إذ أن التحقيق اعتبر الأمر عبارة عن قضاء وقدر، ومالبثت أن أغلقت السلطات ملف التحقيق، مما أثار ذلك شكوك الناس واعتبارهم ماجرى عمل مفتعل[1].

بموضوعية الباحث يفسح نامي مجالاً واسعاً للتأمل في مسببات هذه الفاجعة، حيث يستشف القارىء البصير جُلّها من السياق العام للريبورتاج، يأتي الاهمال والأوامر الادارية النابعة من عقلية بيروقراطية في مقدمتها على أقل تقدير، إن لم يكن وراء الأكمة ما وراءها.

محمود جلال، أحد أصدقاء الشعب الكردي، هو أحد رواد الحركة الفنية في سوريا، له بصماته في الفن التشكيلي، ونحت النصب التذكارية والتماثيل، بعد أن صقل موهبته في ايطاليا ودرس الفن هناك بين (١٩٣٤– ١٩٣٩)، بعد أن لمس باحساسه المرهف عمق مأساة هذا الشعب وما عاناه من قهر عبر التاريخ، آلمه ماجرى في سينما شهرزاد، فشهر سلاحه في وجه مدبري الجريمة، وأنطق نصباً تذكارياً خالداً لشهداء عامودا من حجر: (وكانت صرخته الفنية هذه أعظم هدية قدمها للشعب الكردي في مواساته له في محنته... ابتكر اسلوب التمثال الدائري، بحيث يُرى من جميع الجهات)[2].

أحمد نامي الشاعر: بادىء ذي بدء يجب التنويه بأن نامي قد تأثر بالشاعر جكرخوين، أو أنه خرج من تحت معطفه (Ji Bin Kurkê Wî Derketiye)– إن جاز القول – مثله في ذلك كمثل: تيريز، كلش، أوسفى برازي، أحمدى بالو، ملا نوريى هساري، عمر لعلى...الخ. يقال أنه كتب في الغزل، إلا أن هذه القصائد ضاعت، وبقيت في متناول اليد فقط تلك التي نشرت في (هاوار) و (روناهي) أو تلك الأناشيد التي حفظها الناس من مجايليه عن ظهر القلب. فيروى أنه خبأ مجموعة من قصائده ذات يوم حين ضاقت به السبل في بيت احد الأصدقاء، وحين خفت حدة المداهمات

---

(1)ـ اسماعيل حصاف(الدكتور): تاريخ كردستان سوريا المعاصر ـ الجزء ٢ـ مصدر سابق ـ ص٢١٧.

(2)– لقمان عبدالمجيد: مجلة كولان العربي – العدد ٣٧– ٢٥/ حزيران/١٩٩٩.

التي كانت تعد على أمثاله أنفاسهم، بحث عنها ففوجِىء بأن بقرة صديقه قد إجترتها، فعاد إلى البيت خائباً.

تغنى نامي بالأرض وكردستان، وأنشد للحرية، هاهو ذا يتساءل في إحدى قصائده التي كتبها عام ١٩٤٠:

"إن لم يكن الوطن حراً أيها الكرد،
فأي قيمة للحياة حينئذ أيها الكرام؟"

وفي قصيدة أخرى، يخاطب كردستان:

"أنتِ جنة الشرق على الأرض..
أخشى أن يدركني القدر،
قبل أن أكحل عينيَّ برؤيتكِ حرة"

وكأني به يعيد صياغة هذا البيت الشعري:

وللحرية الحمراء باب   بكل يدٍ مضرجة يُدَقُّ

يقول نامي:

"الأرض التي تُروى بالدماء،
سرعان ما تنتج وتثمر
فاعلم، إن الحياة الحرة لا تُهدى،
بل تُشترى بالدم".

وحين انتزعت قيادة الثورة اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠، تغنى بهذا الانجاز الذي حققه الشعب والبيشمركة الأبطال تحت قيادة مصطفى البارزاني، وألقى قصيدة في نوروز ١٩٧٠:

"عش مصطفى،
أقسم بـ (خاني)، أنت البطل الكردي
فليعش البارزاني،
ذاع صيت ثورتك في أرجاء العالم
أيها الزعيم، أيها القائد،
عش أبداً، عش أيها الثوري الكردي
ها قد شاع اسم الكرد بفضلك"

كان نامي إلى جانب ذلك داعية للمساواة بين الرجل والمرأة، حتى لحنت قصائده على شكل أناشيد حماسية (مارشات) تمجد المرأة وتتغنى بكردستان وجمالها... أوصى أن تكتب هذه الأبيات على قبره:

"وطني...
إني آمنت بك،
هيامك جعلني مجروح الفؤاد منذ الصغر،
كثيرون مثلي، أفنوا حياتهم على هذا الدرب
كلهم – بلا شك – كانوا أسود الجبال
أيها الشاب الزائر، كن طموحاً،
لا تكن مثل نامي كئيباً
فليعِش وطني بهيجاً، إلى الأبد".

٦– **رشيد كُرد** (١٩١٠– ١٩٦٨): ولد في قرية رَوشات من قرى ديرك التابعة لماردين، شاعر ولغوي، دخل السجن مرات عدة في تركيا حيث حكم عليه بالاعدام وفرّ من السجن إلى سوريا عام ١٩٤٠، استقر في عامودا، وانتسب الى الحزب الشيوعي السوري عام ١٩٤٨، وأعتقل مرات في سوريا وعذب، وفي عام ١٩٤٩ أصيب بالتهاب الكبد (التشمع)، دفن في مقبرة بلدة عامودا، من مؤلفاته (قواعد اللغة الكردية) عام ١٩٥٦ وديوان شعر (Karwan) باللغة الكردية والألفباء اللاتينية، كتب العديد من قصائده في سجن المزة.

٧– **حسن هشيار** (ملا حَسَنى كُرد): تتضمن مذكراته التي كتبها باللغة الكردية ملفاً عن ثورة الشيخ سعيد بيران عام ١٩٢٥.

٨– **ملا أحمد** Palo (١٩٢٠– ١٩٩١): له مؤلفات عدة تاريخية وقاموس وملحمة شعرية مازالت مخطوطات، كما روى لي عبد الرزاق جنكو وأحمد حسين بأن الملحمة قرابة عشرة آلاف بيت من الشعر الكردي الرصين، نظمها مقتدياً برسالة الغفران للمعري، لكن لم يطبع من أشعاره حتى الآن سوى ديوان شعر بعنوان: (Dewr û Gera Kurdistanê).

٩– **نايف حسو** Tîrêj (١٩٢٣– ٢٠٠٢): ولد في قرية (نجِم) إحدى قرى الجزيرة، درس في الكتاتيب الدينية والتحق عام ١٩٣٨ بمدرسة في عامودا، وتعرف على

جكرخوين وقدري جان ونورالدين زازا وحسن هشيار، وتعلم الكردية على أيـاديهم[1]، من مؤلفاته دواوين (خلات، زوزان، جودي)، وSerpêhatiyên Kurdan.. الخ.

١٠- **حسين محمد حسـين/ كلَش** (١٩٣٠- ٢٠٠٧): ولـد في في قريـة بزكـوري التابعة لماردين، كان يُدعى كَلَشْ منذ طفولته، حين بلغ عمره عشر سنوات هاجر إلى (بِنْ خَتى)، أمضى ٧ سنوات في قرية خالد التابعة لعامودا، وارتاد الكتاتيب الدينيـة، وأمضى ٥ سنوات في قرية تل عربيد ثم عاش في القامشلي، عمل في الرعـي والحصـاد والزراعة[2]، انضم إلى الحزب الشيوعي، بدأ في كتابة الشـعر عـام ١٩٥٠ بالكرديـة، لـه ثمانية دواوين طبع منها خمسة، وأقوال القدماء، بالاضافة إلى مذكراته. دواوينـه (- ١٩٨١Riya Gel) و (Em Û Dijmin – ١٩٨٦) و (Êşa Gel – ١٩٩٨) و (Rojhilat – ١٩٩٩)..الخ. وافته المنية عام ٢٠٠٧ ودفن في مقبرة قدور بك في القامشلي.

١١ – **مـلا نـوري هسـاري** (١٩٣٤- ٢٠١١): لـه دواويـن شـعر، منهـا: ثـورة بارزاني، وقواعد اللغة، وكتب أخرى، منها: قاموس كردي – كـردي وآخـر كـردي – تركي لم يطبعا...الخ.

١٢- **عمر لَعْلى** (١٩٣٥- ٢٠١١): من مؤلفاته دواويـن شـعرية، منهـا: Tewafa Yarê.

١٣- **يوسف برازي** (١٩٣١- ٢٠٠٩): له دواوين شعرية عدة، منها: Zindan.

١٤- **محمد بشير شيخ ظاهر** (١٩٢٥- ١٩٨١): ابن الشـيخ ظـاهر بـن الشـيخ مصطفى البدوي، من أسـياد Kerbenê، وشـارك الشـيخ ظـاهر في ثـورة آغـري، ثـم استقر في قرية شبك (من قرى منطقة ديرك). تعلم محمد بشير على يد الشـيخ محمـد شفيق الزيباري، واختلـف مـع جكرخـوين بسـبب الصـراع الـدائر يومهـا بـين الـيمين واليسار في الحركة السياسية الكردية، له ديوان شعر طبـع في اقلـيم كردسـتان العـراق عام ٢٠٠٤ تحت عنوان: (نداء البؤساء Gaziya Belengazan). يقول الاستاذ تحسـين ابراهيم دوسكي في تقديمه للديوان: من حيث المضمون، الديوان يشير بـأن صـاحبه سـخر شـعره مـن أجـل شـعبه البـائس وقضـيته، والظـاهر أنـه مـن نفس مدرسـة

---

[1]- أفين شكاكي: مجلة كولان العربي – العدد٨١/ شباط ٢٠٠٣ – ص١٣٨.

[2]- سيما عمر: صحيفة روناهي – العدد ١٧١ – ١٤حزيران ٢٠١٥.

جكرخوين الشعرية، رغم أنه لم يبلغ مستوى شعر جكرخوين، لكن الديوان منظوم وفق الشعر الكلاسيكي في القرن العشرين)[1].

١٥– **عبدالرزاق أوسى** (١٩٥٠– ٢٠١٠): من أعماله المطبوعة بالاشتراك مع الدكتور محمد عبدو نجاري الذي ترجم نصوصه الفولكلورية المخصصة للأطفال إلى العربية (Dîk dîko, Lib hinarê, Şengê û pengê, Bavê Hepûn, Finda Şemal, Civîna Pêlavan).

١٦– هناك كوكبة من الكتاب والباحثين المتألقين المعاصرين:

سليم بركات، ابراهيم محمود، دحام عبدالفتاح، محمد ملا أحمد (متوفي)، كونى رَش، ابراهيم اليوسف، أحمد اسماعيل، فرهاد عجمو، د. أحمد محمود الخليل، د. سربست نبي، خالد جميل محمد، صالح حيدو، برزو محمود، خالص مسوّر، ديا جوان، د. اسماعيل حصاف، د. خالد حسين، علي شمدين، عزالدين ملا، تنكزار ماريني، د. علي ميراني، عيسى ميراني، حسن جنكو، د. محمد زازا، بيوار ابراهيم، وجيهة عبدالرحمن، ميديا محمود، وزنة حامد، أفين شكاكي، طه خليل، عبدالقادر بدرالدين، عبدالرحمن آلوجي (متوفي)، موسى أوسكى، محمود حجي صبري، ديلدارى ميدي، عباس اسماعيل، علي مسلم، حيدر عمر، عمر رسول، عدنان بشير،عبد السلام داري، محمد شيخو، صبري رسول، سلمان ابراهيم الخليل، حامد بدرخان، د. علاء الدين جنكو، حسين حبش، د. رضوان باديني، علي شيخو، د. عبدالمجيد شيخو، د. عبدو نجاري، هادي بهلوي، سيف دالبني، د. فاروق اسماعيل، بافى نازى، مروان بركات، د. آزاد علي، سيامند ابراهيم، عمر كوجري، هوشنك أوسي، أحمد الشيخ صالح، لوري تلداري، محمد سيد حسين، د. عبدى حاجي، نزار آغري، جان دوست، بير رستم، د. زياد اليوسف وعلي جزيري مؤلف هذا البحث.. وأعتذر سلفاً عن كل من لم يُدرج هنا اسمه إما بسبب الذاكرة التي لم تسعفني أو جرّاء سهو غير مقصود، فضلاً عن الأقلام الواعدة التي مازالت تشق طريقها إلى العلياء.

([1]) – Dîwana Gaziya Belengazan - Mele Beşîrê Şêx Zahir Çapxana sipîrêz wîzareta Perwerdê - Hewlêr - R.13.

٤- الصحف والمجلات:

الصحافة بمفهومها المعاصر حرفة وفن ومسؤولية ومرآة تعكس الوقائع وتوثقها كتابياً، وتعني: (صناعة نشر الصحف الدورية المطبوعة والكتابة فيها، وهذا العمل ينقسم الى عدة فروع أهمها: التحرير والاخراج والادارة والاعلان والتصوير...الخ)[1]. وتقسم الصحافة الى الصحافة المطبوعة (الصحف والمجلات)، والمسموعة (الراديو أو الاذاعة)، والمرئية (التلفزيون)، والالكترونية. فالصحافة في بلد كسوريا يتحكم بها نظام شمولي، إما أن تكون صحافة النظام أو الموالية له وتمتلكها وتوجهها الدولة و: (الصحفيون والاعلاميون مجرد موظفين في دوائر الدولة، يقومون بتنفيذ كل ما يطلب منهم، من خلال الدعاية للنظام السائد وانجازاته، وتجميل صورته أمام الجماهير)[2]، لذا من الطبيعي ألا تحوز على ثقة الجماهير، بل تؤدي الى عزوف الناس عنها[3]، ومازال النظام يحتكر وسائل الاعلام، ويعمل بعقلية ماقبل ثورة وتكنولوجيا الاتصالات المعاصرة، ويمارس دور الرقابة.

أما الصحافة الكردية في سوريا - ان صح أن نسميها صحافة - فهي تصنف في خانة صحافة المعارضة، التي كانت محاربة ومقموعة دوماً من لدن السلطة وأجهزتها الأمنية، وكانت تقتصر على بعض النشرات الشهرية، التي كانت تدق على الآلة الكاتبة وتنشر على صفحات محدودة، لكنها بدأت تتطور شكلاً ومضموناً في الآونة الأخيرة، ثم كثرت محطات الراديو العاملة على موجات FM ، فضلاً عن بعض المحطات الفضائية، التي توجه برامجها الى أبناء كردستان سوريا.

أ- الصحف والنشرات:

دنكى كُرد (Dengê Kurd): كانت لسان حال أول تنظيم سياسي كردي في كردستان سوريا (الحزب الديمقراطي الكردستاني أو الكردي) بعد تأسيسه في ١٩٥٧/٦/١٤، و صدرت باللغة الكردية (الألفباء اللاتينية) من العدد/١- ٩/، ثم

(١)- عبدالخالق ابراهيم: الصحافة وصناعة القرار السياسي - مصدر سابق - ص٢٣.

(٢)- المصدر السابق - ص٣٩.

(٣)- هناك فكاهة أو طرفة تداولها أهل عامودا منذ سنوات، فحواها أن شبابها حين كانوا يلعبون بالشدة(ورق اللعب) في المقهى، يحكمون على الخاسر الاستماع الى القناة التلفزيونية السورية ساعة كشكل من أشكال العقوبة، لعدم مصداقيتها ولبرامجها المملة.

بدأت بالظهور باللغة العربية عام ١٩٦٣ وتحت نفس الاسم. كانت بسيطة (على شكل نشرة مؤلفة من بضع صفحات)، وبعد الانقسام الأول في الحزب عام ١٩٦٥، استمرت (دنكى كرد) في الصدور تعبر عن رأي الفصيل الأول (اليسار) ومن ثم (الحياد) بعد ١٩٧٠. أما الفصيل الآخر (اليمين) فأصدر جريدة (الديمقراطي) بعد ذلك. ثم صدرت جرائد عدة تحت تسمية (دنكى كرد) جراء الانشقاقات الحاصلة في البارتي. لكن الحزب الديمقراطي الكردستاني في سوريا، أخذ مؤخراً يصدر صحيفة تحت عنوان (**كردستان**) بحلة جديدة، وهي نصف شهرية ولها ملحق يصدر باللغة الكردية.

الديمقراطي: لسان حال الحزب الديمقراطي التقدمي (عبد الحميد درويش)، صدر العدد الأول من هذه الجريدة عام ١٩٦٦ باللغة العربية ومازالت مستمرة حتى الآن.

اتحاد الشعب Hevgirtina Gel: لسان حال حزب اتحاد الشعب (صلاح بدرالدين)، سميت الجريدة بهذا الاسم منذ ١٩٧٥، أما قبل ذلك كانت تصدر تحت اسم (دنكى كرد).

يكيتي Yekîtî: لسان حال حزب يكيتي الكردي في سوريا، صدر عددها/٢٢٦/ في نيسان ٢٠١٦، ومازالت مستمرة في الصدور.

الوحدة Yekîtî: لسان حال الحزب الديمقراطي الكردي يكيتي/ الوحدة (شيخ آلي)، مازالت تصدر حتى الآن.

الاشتراكي: لسان حال الحزب الاشتراكي الكردي في سوريا، توقفت هذه الجريدة عن الصدور.

آزادي: لسان حال حزب آزادي الكردي في سوريا، لكنها متوقفة عن الصدور، بعد انضمام الحزب بشطريه إلى الحزب الديمقراطي الكردستاني، لكن جناحاً آخر لم ينضم، واستمر في اصدار جريدته.

المساواة: لسان حال حزب المساواة الديمقراطي الكردي، مستمرة في الصدور.

الاتحاد الديمقراطي: تصدر بحلة جديدة، وهي لسان حال حزب الوحدة الديمقراطي (PYD)، صدر عددها الأول في عام ٢٠١٢، وهي نصف شهرية وتصدر باللغة العربية.

روناهي: تصدر باللغة العربية بحلة جديدة، ولها ملحق باللغة الكردية (الألفباء اللاتينية)، وهي أيضاً تتبع (PYD).

BÛyer: صحيفة تصدر بحلة جديدة باللغتين العربية والكردية وهي ممولة من قبل PYD.

ب – المجلات:

*باللغة الكردية (الألفباء اللاتينية):

Gulîstan: أدبية، صدر عددها الأول عام ١٩٦٨، كان الشاعر جكرخوين رئيس تحريرها، ثم ترأسها عزيز داوود، وفيما بعد أشرف فرهاد جلبي وصالح حيدو على اصدارها، ثم انضم إلى هيئة التحرير درويش غالب وفواز كانو، جدير ذكره أن الحزب الديمقراطي التقدمي يصدرها.

Gelawêj: أدبية، صدرت عام ١٩٧٩، وكان يصدرها الحزب الديمقراطي الكردي في سوريا، كانت هيئة تحريرها بداية مكونة من ملا طاهر ومجيد حاجو، وفيما بعد تغيرت هيئة التحرير، وهي الآن متوقفة عن الصدور.

Stêr: أدبية وثقافية، صدرت منذ نوروز ١٩٨٣ من قبل حزب الاتحاد الشعبي، صدر منها ٢٤عدداً، ثم توقفت عن الصدور عام ١٩٩٤، بداية كان يشرف عليها رزو أوسى وزاغروس حاجو.

GurzekGul: صدر العدد الأول منها في آذار ١٩٨٩، وصدر منها ١٥عدداً، ثم توقفت عن الصدور ربيع عام ١٩٩٢، وهي مجلة أدبية ثقافية، كان كونى ره ش وعبدالباقي حسيني يصدرانها.

Zanîn: مجلة أدبية وثقافية، كان عبدالباقي الحسيني وفرهاد جلبي يصدرانها، صدر عددها الأول في تموز ١٩٩١، وصدر منها ١٢عدداً قبل أن تتوقف عن الصدور في صيف ١٩٩٧.

Xunav: مجلة أدبية وثقافية، كانت تصدر من قبل الحزب الديمقراطي الكردي في سوريا، صدر عددها الأول في آب١٩٨٦ وعددها الأخير/١٩/ صدر في عام ١٩٩٥.

Pirs: أدبية ثقافية، صدر عددها الأول في ربيع ١٩٩٣، وكان يصدرها حزب الوحدة، مازالت تصدر ولكن بوتيرة أضعف، فقد صدر العدد ٥١ عام ٢٠١٢.

Aso: أدبية ثقافية، أصدرها سيامند ابراهيم وعبد السلام داري وعبد الحفيظ بداية ثم أصدرها سيامند فيما بعد وحده، صدر عددها الأول عام ١٩٩٢، توقفت عن الصدور.

Bihar: أدبية وتهتم بالفولكلور، صدر عددها الأول عام ١٩٩٤، وتوقفت عن الصدور بعد عددها السابع عام ٢٠٠٢، وكان التحالف الديمقراطي الكردي (خمسة أحزاب) يصدرها.

Helez: مجلة فصلية ثقافية وتهتم بالفولكلور، صدر عددها الأول في ٢٠٠٧، وقد توقفت عن الصدور.

وهناك مجلات وجرائد أخرى كانت تصدر بالكردية (الألفباء اللاتينية)، منها على سبيل المثال: Newroz - Deng....الخ.

*باللغة العربية:

أدب القضية: مجلة فصلية، ثقافية وسياسية، صدرت عام ١٩٨١، توقفت عن الصدور. كان يصدرها الحزب الديمقراطي الكردي في سوريا.

الحوار: فصلية، ثقافية سياسية، صدرت من قبل حزب الوحدة عام ١٩٩٣، ومازالت تصدر بغير انتظام.

المثقف التقدمي: كان يصدرها الحزب الديمقراطي التقدمي الكردي، لكنها توقفت عن الصدور.

قضايا وحوارات: فصلية كان حزب يكيتي يصدرها منذ ١٩٩٨، توقفت عن الصدور.

المنبر: فصلية كان التحالف الديمقراطي الكردي في سوريا يصدرها، توقفت عن الصدور. صدر عددها الأول عام ١٩٩٩.

مواسم: صدرت عام ١٩٩٣، أصدرتها منظمة الحزب الشيوعي في الجزيرة، أشرف عليها ابراهيم اليوسف فترة، وهي متوقفة عن الصدور[1].

---

(1)– ملاحظة: كانت هناك العشرات من النشرات والصحف والمجلات التي صدرت ثم مالبثت أن توقفت. وجدير بالذكر أن هذه المعلومات حول الصحف والمجلات الآنفة الذكر اعتمدت فيها على:«تاريخ الصحافة الكردية في سوريا ولبنان» للكاتب كونى ره ش – ٢٠١٣، و «موجز مسيرة الصحافة الكردية في الجزء الغربي (سوريا)» للكاتب عبدالقادر بدرالدين – ١٩٩٨، ومن بعض مواقع الانترنيت، ومن نشاطي الميداني في هذا المجال.

الصحافة الالكترونية: العابرة للحدود والقيود والحاضرة من دون استئذان، التي تتصف أيضاً بالسرعة وقلة التكاليف، فتحت آفاقاً رحبة أمام الناس عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

٥- دور النشر:

تأسست **رابطة كاوا** للثقافة الكردية عام ١٩٧٦ تحت اشراف صلاح بدرالدين، وهي غير مرخصة، واستطاعت أن تطبع عشرات الكتب التي تُعنى بالشأن الكردي.

٦- الروابط الثقافية والأدبية:

أ ـ منتدى جلادت بدرخان الثقافي: أنشئت المنتديات ولجان احياء المجتمع المدني غير المرخصة في معظم مناطق سوريا بعد تنصيب بشار الأسد وفق مسرحية هزلية، أي بعد عام ٢٠٠٠، أعني بداية الفترة التي أطلقت عليها تسمية (ربيع دمشق)، وكانت دليلاً على تنفس السوريين الصعداء وتعطشهم لمناقشة القضايا السياسية العالقة منذ عقود، وفي مقدمتها الحرية والديمقراطية وكرامة الانسان السوري المهدورة وقانون الطوارىء وغيرها من القضايا. وكان أشهرها منتدى الحوار الوطني لرياض سيف ومنتدى جمال أتاسي الذي أسسه ابنته سهير الأتاسي.

تم تأسيس منتدى جلادت بدرخان الثقافي في مدينة القامشلي، في دار علي جزيري، وكان المؤسسون: علي جزيري، مشعل تمو، عبدالقادر بدرالدين، ومحمد أمين جمال، ومحمد شيخو، ثم انضم إليه كثيرون. لكن سرعان ما أقبلت النهاية الدرامية لربيع دمشق، حيث وئد هذا الربيع الذي كان أكذوبة شبيهة على ما يبدو بالحمل الكاذب، فسرعان ما أغلقت كل المنتديات في سوريا بما في ذلك منتدى جلادت، وأهين النشطاء وأعتقل (رياض سيف والدكتور عارف دليلة ومأمون الحمصي وآخرين، وحكموا بأحكام تراوحت بين عامين وعشرة أعوام، بتهمة التحريض على التمرد المسلح وإثارة النعرات الطائفية وبث أخبار كاذبة وتقويض الشعور الوطني)(١).

ب – اتحادات الكتاب: عقد مؤتمره التأسيسي في الصالة الملكية بمدينة القامشلي بتاريخ ١٠/١١/ ٢٠١٣ بحضور ١٤٣عضواً. انتخب المؤتمر هيئة ادارية مؤلفة من ١٥ عضواً، هم: علي جزيري، دلاور زنكي (ابراهيم عمى)، لقمان يوسف،

---

(١)– عبدالباقي صالح اليوسف: الانفجار السوري – مصدر سابق – ص٢٤١.

محمد أمين سعدون، وجيهة عبدالرحمن، صالح حيدو، محمد عبدى، يونس حمى، ماريا عباس، برزان حسين، هيبت معمو، زيندا محمود، أكرم تحلو، محمد شيخو، أحمد أبو آلان. كما أنتخبت الهيئة الادارية علي جزيري رئيساً لاتحاد الكتاب الكرد – سوريا بالأغلبية المطلقة، ودلاور زنكي نائباً له، بموجب مسودة النظام الداخلي، التي لم تستكمل مناقشتها واقرارها في المؤتمر. ثم انفصلت مجموعة ضمت من الهيئة الادارية (دلاور زنكي، محمد شيخو، أحمد أبو آلان) من الاتحاد وشكلت اتحادها بمباركة وتشجيع وتنسيق من P.Y.D .

كما عقد الاتحاد مؤتمره الاستثنائي يوم السبت في ٢٠١٥/١٠/١٧ في مدينة ديرك، تحت شعار: القلم الحر أمل الشعب. وأتخذ المؤتمر قراراً بتعديل اسم الاتحاد إلى (اتحاد كتاب كردستان سوريا)، وانتخب المؤتمر هيئة ادارية جديدة مؤلفة من: ابراهيم ملا قاسم، أحمد صوفي، برزان حسين، تورجين رشواني، جمال مرعي، شفان ابراهيم، عبدالحكيم أحمد، عبد الصمد محمود، علي ابراهيم، عيسى ميراني، لقمان يوسف، محمد أمين سعدون، هيبت معمو، وزنة حامد، يونس حمي. وانتخبت الهيئة الادارية بدورها وزنة حامد رئيساً للاتحاد خلفاً لـ: علي جزيري الذي لم يرشح نفسه رغم الحاح أعضاء المؤتمر جميعاً واصرارهم على ترشيحه كي يتسنم رئاسة الاتحاد ثانية. كما أنتخب عبدالصمد محمود ولقمان يوسف نائبين لرئيس الاتحاد.

سادساً: مقاومة الاستبداد

١– الانتفاضة الكردية:

انطلقت شرارتها من مدينة القامشلي، يوم الجمعة الواقع في ١٢/آذار/٢٠٠٤، قبل بدء المباراة التي كان من المزمع أن تُجرى بين فريقي الجهاد (قامشلي) والفتوة (ديرالزور)، على أرض الملعب البلدي في القامشلي. أخذ جمهور الفتوة قبل بدء المباراة – وفي خطوة استفزازية – في ترديد شعارات تمجد بطاغية العراق، وهتافات منددة بالزعماء الكرد في اقليم كردستان العراق، على مسمع ومرأى من السلطات في شوارع القامشلي التي كانت تصغي إليهم بانتشاء لا مثيل له. وقبل بدء المباراة بنحو ربع ساعة، بدأ أنصار فريق الفتوة بقذف جمهور الجهاد بوابل من الحجارة، جرى ذلك داخل الملعب، في الوقت الذي كان جمهور الجهاد معزولاً حتى من الصحف التي كان يفترشها عادة كي يتسنى له الجلوس عليها، في الوقت الذي فلّتت فيه

الشرطة لأنصار فريق الفتوة الحبل على الغارب، وحين بدأ أنصار فريق الفتوة برشق جمهور الجهاد بالحجارة، دبت موجة من الفوضى أرض الملعب، وذهل جمهور الجهاد بداية، ولم يصدق ما يراه، لأن ما يجري لا يمت إلى الأخلاق الرياضية بصلة، وجرح الكثير من جمهور الجهاد، حينئذ ردّ الجمهور برد حجارتهم عليهم والدفاع عن نفسه قدر المستطاع، بعد تقاعس أجهزة الأمن التي لم تحرك ساكناً، وهذا دليل على أن وراء الأكمة ما وراءها، وعلى النية المبيتة مسبقاً، بعد أن تلقت الضوء الأخضر لافتعال فتنة بين الكرد والعرب، وهو دليل في الوقت نفسه على تقاعسها في أداء واجب حفظ الأمن حين تغاضت عن اطفاء فتيل النار منذ البدء، وكان الأمر متاحاً عن طريق استخدام خراطيم المياه أو الغاز المسيل للدموع مثلاً أسوة بالدول التي يتوفر فيها الحد الأدنى من الديمقراطية.

تدخلت الشرطة كطرف، إلى جانب المعتدي، وأخذت بضرب الجمهور المغبون بالهراوات وأعقاب البنادق، وتعززت قوة الأمن بوصول موكب المحافظ سليم كبول السيء الصيت، وهو بدلاً من فض الاشتباك، صب الزيت على النار آمراً رجال الشرطة باطلاق الرصاص الحي، فقتل من قتل وجرح الأبرياء من جمهور الجهاد بالعشرات، وحين وصل الخبر إلى أهالي مشجعي فريق الجهاد توجهوا نحو الملعب، إلا أن أجهزة الأمن والشرطة مارسوا ارهاباً فاضحاً ضد أبناء المدينة العزل وضد عشاق الرياضة.

ومما يلفت النظر أن القتلى جميعاً كانوا كرداً، وهذا الأمر ليس صدفة، بل مؤشر آخر على تورط أجهزة الأمن في نسج خيوط المؤامرة التي حيكت في أقبيتهم الشوفينية[١].

في اليوم التالي، أي السبت، احتشد عشرات آلاف المتظاهرين في القامشلي[٢] لتشييع الجنازات، في تمام الساعة الحادية عشرة، إلا أن أجهزة الأمن التي استعدت عدداً وعدة وتزودت بتعزيزات من دير الزور وحلب، سرعان ما بدأت باطلاق الذخيرة الحية، وبدأت بعرض عضلاتها مرة أخرى. سقط على اثر ذلك شهداء وجرحى آخرون، وعمت بنتيجتها انتفاضات كل أنحاء الجزيرة، التي يشكل الكرد أكثرية

---

(١)– راجع الوثيقة رقم ١٣.

(٢)– من أهالي القامشلي وريفها.

سكانها، بدءاً مـن ديريك إلى تربـه سـبي وعـامودا ودرباسـية وسـرى كانيـه وانتهـاء بالحسكة.

ثـم عمـت الانتفاضـة كوبـانى وعفـرين وحلـب ودمشـق وكـل منـاطق التواجـد الكردي، ولاقت تضامناً من كرد الأجزاء الأخرى مـن كردسـتان، وكـذلك المهجـر، إلا أن أجهزة اعلام النظام وصفت يومها الانتفاضة الكردية بأنها مـؤامرة حاكتهـا القـوى الدولية المعادية لسوريا، على عادتها في الترويج لنظرية المؤامرة البائسة التي روجـت لها وسائل اعلام النظام على الطالع والنازل حتى أضـحت بمثابـة الماركـة المسـجلة. وصرح عبدالحليم خـدام، نائـب رئـيس الجمهوريـة يومهـا واللـواء علـي حمـود وزيـر الداخلية في لقاءاتهما الصحفية بأن ما حصـل لـيس سـوى فتنـة بايحـاء مـن الخـارج بهدف زعزعة الوضع الداخلي، بينما أفاد رأس النظام بشار الأسد في مقابلـة أجرتهـا معـه صـحيفة تشـرين[1]، حـين سُـئل: هنـاك مَـنْ يقـول إنهـا كانـت مـؤامرة، أجـاب: بالتحقيقات التي جرت مع الموقوفين، لم يثبت أي تـدخل خـارجي، وهـي فعـلاً كمـا رأينا مباراة ثم أحداث غوغائية. وأضـاف: هـم مواطنـون سـوريون يعيشـون بيننـا، والقومية الكردية جزء أساسي من النسيج السـوري ومـن التـاريخ السـوري ومندمجـة بشكل كامل. وكانت الغايـة مـن المقابلـة هـذه تهدئـة الوضـع، خوفـاً مـن أن تنتقـل العدوى إلى سائر أنحاء سوريا، لكن لم تلقَ الانتفاضة تجاوباً من لدن الشارع السوري المـدجّن، بـل كـان حبـيس فخاخـه، كمـا بـررت المعارضـة السـورية بطـش النظـام وانحازت إلى جانبه.

ـ أصدرت مجموع الأحزاب الكردية في سوريا في اليوم الأول للحدث ٢٠٠٤/٣/١٢ بياناً إلى جماهير الشعب الكردي في سوريا وكل القوى الوطنية والديمقراطية، وضّـحت فيه حقيقة ما يجري وأدانت المخطط الذي تنتهجه السلطة وحمّلها كامل المسؤولية.

ـ كما أصـدرت في اليـوم التـالي نـداءً نـددت فيـه بسـلوك النظـام ودعـت فيـه الجمـاهير إلى التحلـي باليقظـة والحـذر وابـداء أقصـى درجـات ضـبط الـنفس وعـدم الانجرار نحو الأعمال العبثية الضارة، كما طالبت فيه العرب بالتضـامن مـع أخـوتهم الكرد، لكن دون جدوى.

---

[1]– راجع: صحيفة تشرين – العدد ٨٩٢٧ – تاريخ ٢ أيار ٢٠٠٤.

ـ و في ٣/١٥ أصدرت تصـريحاً، ثمنـت فيـه اسـتجابة الجمـاهير لنـداء مجمـوع الأحزاب الكردية بوقف المظاهرات و الاعتصامات، الأمـر الـذي لعـب دوراً ايجابيـاً في تهدئة الأوضاع رغم الأعمال الاستفزازية التي قامـت بهـا بعـض الجماعـات والعناصـر المسلحة التابعة لحزب البعث وخاصـة في الحسـكة والقامشـلي ورأس العـين، حيـث تم نهب وسلب المحال التجارية، وطالبت فيه السطات بـ: (إطلاق سراح جميع المعـتقلين – ووضع حد للأعمال الاستفزازية التي تقوم بها قوات الأمـن والميليشـيات المسـلحة ونـزع اسـلحتها – سـحب القـوات ورفـع الحصـار عـن ضـاحية دمـر وزورافـا ووادي المشاريع بدمشق واعادة المياه والكهرباء المقطوعة عنها منذ أيـام – اجـراء تحقيـق عادل وشامل ومحاسبة المسؤولين عما حصل – تعويض المتضـررين)، وناشـدت في نفس الوقت القوى الوطنية والديمقراطية في البلاد لادانة ما تعـرض لـه أبنـاء الشـعب الكردي من قتل وقمع، ووجهت كتاباً بحقيقة ماجرى ويجري إلى رئيس الجمهورية.

ـ وأصدرت في ٣/١٧ بياناً أعلنت فيه الحداد العام في نوروز على أرواح الشهداء الأبرار، طالبت فيـه بوضـع شـارات سـوداء علـى الصـدور يـوم العيـد ورفـع الرايـات السوداء على المنازل.

ــ وفي ٣/١٨ أصـدرت بيانـاً جديـداً طالبـت فيـه السـطات بوقـف المـداهمات والملاحقات والاعتقالات في صفوف أبناء الشعب الكردي والافراج عن كافة المعـتقلين الذي تجاوز عددهم/٢٠٠٠/ معتقل.

ـ وتلاه تصريح في ٣/١٩ وتعمـيم في آن، وفي٣/٢٠ ردت في تصـريح علـى مـزاعم نائب رئيس الجمهورية عبدالحليم خدام ووزير الـدفاع اللـواء علـي حمـود بخصـوص ادعائهما أن وراء الحدث قوى خارجية، وطالبت بسحب قوات الجيش والأمن من مدن محافظتي الحسكة وحلب ونزع أسلحة الميليشيات واطـلاق سـراح الموقـوفين وإلغـاء كافة سياسات التفرقة والاضطهاد القومي والمشاريع العنصرية المطبقة بحـق الشـعب الكردي وبذل الجهود الجادة لايجاد حل ديمقراطي للقضية الكردية في سوريا.

ــ وأصـدرت تصـريحاً في ٣/٢٢ أكـدت فيـه علـى الثوابـت السـابقة، وفي ٣/٢٣ نشرت بياناً إلى الرأي العام، أعلنـت فيـه: استشـهاد أكثـر مـن ثلاثـين وجـرح أكثـر من/١٥٠/ واعتقال الآلاف من الناس منذ بداية الأحداث، ونوهـت كيـف أن السـلطات صعدت من ممارساتها الاستفزازية وكثفت من مداهماتها الارهابية قبيل فجر كل يوم،

وأظهرت تعرض المعتقلين إلى أبشع أنواع التعذيب الوحشي على أيدي أجهزة الأمن، وبينت كيف تدفع السلطات بوحشيتها هذه الوضع نحو التأزم، ثم أكدت على نفس الثوابت السابقة، بالاضافة إلى مطالبتها بفتح الملف الكردي والبدء باجراء حوار مع قيادة الحركة الوطنية الكردية لايجاد حل ديمقراطي للقضية الكردية في سوريا ضمن إطار وحدة البلاد.

ـ وفي ٣/٢٨ أرسلت نداءً إلى اتحاد الطلبة العالمي ومنظمة اليونسكو وغيرها بشأن اعتقال عدد من طلاب وطالبات جامعة دمشق ومن مختلف الاختصاصات وفصلهم بشكل تعسفي بايعاز من الأجهزة الأمنية، وطالبت هذه المنظمات للتدخل بغية ايقاف هذه القرارات التعسفية، مادام هؤلاء لا ذنب لهم سوى التعبير السلمي للتضامن مع ذويهم في القامشلي.

ـ وفي ٣/٢٩ أصدرت نداء إلى منظمة العفو الدولية، ناشدوها للتدخل العاجل لدى السلطات السورية لايقاف الانتهاكات الصارخة والتعذيب الوحشي بحق المعتقلين.

ـ وفي تصريحها الصادر في ٤/٢ بينت كيف يسعى النظام لتبرير أعماله القمعية ضد أبناء شعبنا تحت زعم نظرية المؤامرة، وأن ماحصل كان بتخطيط وتوجيه من الخارج، من هنا كان اعلام النظام وأبواقه لاتكف عن تكرار هذه التهم الباطلة، بهدف تأليب الرأي العام ضد الكرد، وأكد التصريح بأن ماجرى كان سببه تلك السياسات والمشاريع الشوفينية التي طبقت بحق شعبنا منذ عقود. واستمرت مجموع الأحزاب الكردية في سوريا في اصدار بياناتها وتصريحاتها ونداءاتها، مثلما ساهم الكتاب والمثقفون الكرد ومواقع الانترنيت التي كان يديرها كل من: بافل علي جزيري، وسيبان سيدا، وغيرهما ممن كان يعمل من داخل الوطن، في نقل الحقائق إلى الرأي العام في الخارج. كما أن الاعتصامات استمرت في جميع أنحاء العالم، وساهمت الجالية الكردية في المهاجر بقسط كبير في مؤازرة أبناء شعبهم الذين تعرضوا لأبشع حملة بربرية وفضح أكاذيب النظام، ولاقت الانتفاضة تضامناً من كل أجزاء كردستان، وفي مقدمتها رئيس اقليم كردستان العراق.

وكان موقف الشارع العربي سلبياً إلى حد كبير كما أسلفنا، فقد بدا لا مبالياً على المستوى الوطني، أما محلياً فقد مارست الميليشيات التابعة لـ (محمد فارس/

من الطي) دور الجنجويد في السودان بايعاز من أجهزة الأمن. وكان لهذه القاعدة استثناءات، منها على سبيل المثال لا الحصر، ذاك التصريح الذي أصدره الناطق الرسمي باسم لجان الدفاع عن الحريات الديمقراطية وحقوق الانسان، المحامي أكثم نعيسة في ١١ نيسان ٢٠٠٤، استنكر فيه وأدان الممارسات الارهابية والغير قانونية بحق الكرد، وأكد فيه أن الحل الأمني المبني على نظرية المؤامرة لن يحل الأمر بل سيزيد من الاحتقان، وطالب باجراء إصلاحات ديمقراطية فورية لمعالجة كافة الأزمات. استشهد في هذه الملحمة البطولية ٣٥ مناضلاً كردياً من مختلف المناطق.

٢– الثورة السورية:

"لأول مرة تنجح التكنولوجيا في اسقاط الايديولوجيا"

(جورج طرابيشي)

أدلى أحد المنفيين السوريين يوماً بما كانت تنتابه من هواجس، قائلاً: دعيتُ إلى مؤتمرات وندوات لا تُعدّ ولا تُحصى، وفي كل دعوة كنت واثقاً من قدرتي على الاجابة عن أي سؤال أو استفسار محتمل يتعلق بالشأن السوري. وأضاف: لكنني كنت أتهرب دوماً من تساؤل الحضور، عن فحوى الصمت المريب في ظل هذا الاستبداد المقيت الذي يلف السوريين طوال هذه العقود (خصوصاً في عهد الأسدين الأب والابن)، وكنت أتوجس خوفاً وأتردد في الاقدام على الاجابة عنه.

هذا التوصيف كان يتردد حقيقة على لسان كل سوري قبل ١٥ آذار ٢٠١١، بعد أن بلغ اليأس مبلغه وعمت ثقافة الخوف لدى السوريين بكل مكوناتهم القومية والدينية والمذهبية (من عرب وكرد، مسلمين ومسيحيين، سنة وعلويين ودروز... وآخرين)، بعد أن ضمهم هذا السجن الكبير الذي يُسمّى سوريا، والذي كابدوا في ظله القمع والذل والهوان وعانوا من الفقر المدقع بصبر من دونه صبر أيوب.

الشرارة الأولى للثورة في ١٥ آذار ٢٠١١ انطلقت من العاصمة دمشق، بدأت أول ما بدأت بتجمع احتجاجي محدود وفي نطاق ضيق (سوق الحميدية، الجامع الأموي، الحريقة)، وكان الناشطون – وتحت تأثير الربيع العربي – قد دعوا للخروج الى الشارع عبر وسائل التواصل الاجتماعي، مما حدا بجورج طرابيشي إلى القول: "لأول مرة تنجح التكنولوجيا في إسقاط الايديولوجيا". من هنا اعتبر هذا اليوم هو بداية الثورة السورية (ثورة الحرية والكرامة المهدورة)، وتلت تلك الاحتجاجات في ١٨ آذار

محنة أطفال درعا الذين أقتلعت أظافرهم، تحت ذريعة الكتابات التي كتبت على حيطان المدارس، تلك التي عبرت عن براءة التلاميذ ومطالبتهم باسقاط النظام تساوقاً مع شعارات الربيع العربي كـ: (الشعب يريد اسقاط النظام، جاك الدور يا دكتور)، لأن بشار الأسد بدا حتى تلك اللحظة واثقاً من أن نظامه محصن وبمنأى عن ثورات الربيع العربي لأنه يجسد آمال وطموحات الشعب[1]. تمخضت محنة أطفال درعا عن احتجاج في الجامع العمري فيها، لكن النظام قمع المحتجين بمنتهى القسوة، مما تسبب في امتداد لهيب الاحتجاجات في عموم مدن حوران وبلداتها، ثم انتقلت العدوى الى حمص، اللاذقية، بانياس. وعلى اثر خطاب الرئيس بشار الأسد المخيب للآمال في ٣٠ آذار ٢٠١١، الذي اجترّ فيه تلك الأسطوانة الممجوجة منذ عقود، حين وصف الاحتجاجات بالفتنة والمؤامرة، مهدداً الناس بحلوله القمعية وشاهراً بقبضته في وجوههم، رغم أن شعارات المحتجين كانت لا تتعدى بعض القضايا المطلبية ومحاسبة مسببي المحنة في درعا. وكردة فعل على غلو رأس النظام وتماديه في قمع السوريين عامة، وجرّاء المشاريع الاستثنائية التي طبقت بحق الشعب الكردي في سوريا في عهد الأسدين الأب والابن، شارك الشباب الكرد في كل من عامودا و القامشلي وكوبانى في ١ نيسان ٢٠١١ في تنظيم مظاهرات احتجاجية جراء عقود من التهميش واللامساواة والقمع، أما عفرين فقد جرى فيها أول تظاهرة في ٢٧ ك٢عام ٢٠١٢، مما اضطر رأس النظام إلى التراجع عن المرسوم التشريعي رقم ٤٩ تاريخ ١٠ أيلول ٢٠٠٩ الذي سن بهدف تشديد الحصار على الجزء الملحق بسوريا من كردستان، فضلاً عن انهاء مشكلة الكرد المجردين من الجنسية في محافظة الحسكة، في خطوة وصفها المحللون بأنها بمثابة "رشوة" أستهدفت تحييد الكرد أو الحد من مشاركتهم في الزخم الثوري، لكن المتظاهرين الكرد نددوا بهذه المناورة مرددين شعار: (واحد، واحد، واحد، الشعب السوري واحد)، ورفعوا لافتات كتبت عليها عبارة: (مطالبنا الحرية وليست الجنسية).

في البدء وقفت القوى السياسية الكردية حائرة مترددة، لكن النظام لجأ كعادته الى هذه المناورة، خوفاً من مشاركة القوى السياسية الكردية في هذه الاحتجاجات التي بدأت شرارتها ترعبه حقيقة، فسعى بكل السبل الى احتواء الأمر مستفيداً من

---

[1]- هذا ما أدلى به لمجلة وول ستريت الأمريكية في ٢٠١١/١٢/١٣.

تجربتـه الخاسـرة في درعـا، فـالتقى الـرئيس بوجهـاء العشـائر في ٥ نيسـان ٢٠١١، ووعدهم بحل مشكلة أجانب ١٩٦٢، وأصدر كما أسلفنا في ٧ نيسان ٢٠١١ المرسـوم التشريعي رقم/٤٩/ الذي يقضي بمنح المسجلين في سجلات أجانب الحسكة الجنسية العربية السورية، علماً أن النظام كان يماطل ويمارس التسويف في حل هذه المشكلة طوال نصف قرن، ثم عدل الرئيس القانون رقم/٤٩/ الصـادر في ١٠ أيلـول ٢٠٠٨م[١]، واستبدله بالمرسوم/٤٣/ في ٢٦ آذار ٢٠١١، كل هذه الخطوات أتخذت بهدف احتـواء الكـرد، بـدليل أن النظـام لم يقـدم علـى اطـلاق النـار علـى المتظـاهرين في المنـاطق الكردية، باستثناء الجريمة التي ارتكبهـا بحـق المغفـور لـه مشـعل تمـو في ٧ تشـرين الأول ٢٠١١، بتنسيق وتخطيط مسبق الصنع مع ثلة من عملائه الكرد. وتسـاوقاً مـع نبض الشارع والحراك الوطني قاطعت[٢] الأحـزاب الكرديـة، باسـتثناء حـزب الاتحـاد الديمقراطي، دعوة رئيس الجمهورية، ولسان حالها يـردد: لقـد فـات الأوان، بعد أن خبرت طبيعة النظام وملّت وعوده التسويفية الكاذبة، فاعتبرت الـدعوة منـاورة منـه، يستهدف النظام من ورائها الايقاع بين الحركة الكردية والقوى الوطنية السـورية، كمـا أن خطـاب بشـار الأسـد الـذي ألقـاه في ٣٠ آذار ٢٠١١ كـان مخيبـاً للآمـال، فسـارت الأحزاب الكردية في هدى المثل الكردي (Helez bihûrt)[٣].

---

(١)– كان يستهدف الكرد، فنص علـى منـع نقـل أو بيـع أو شـراء أو اجـار أو رهـن أي عقـار في المنـاطق الكردية الا بعد موافقة الجهات المختصة(وزارة الدفاع – وزارة الزراعة – وزارة الداخلية)، التي يصعب الحصول عليها. وتوقف القطاع الانشائي نهائياً وازدادت نسبة البطالة بين العاملين فيه. راجع: حقوق كرد سوريا بين الماضي والحاضر – شـفان آشـتي – مركـز آشـتي للدراسـات والبحـوث عـام ٢٠١٣– ص٣٠و٣١.

(٢)– راجع الوثيقة رقم ١٦.

(٣)– ولهـذا المثـل الكـردي حكايـة مشـوقة سـبق أن أدرجتهـا في كتـابي: الأدب الشـفاهي الكردي(ثلاثـة أجزاء)، ملخصها: ذات يوم حكم أمـير بوتـان علـى راعـي الرعـاة(أعني كـبير الرعـاة) بالسـجن، لكـن قطعانه – رغم الربيع المزدهر حـول جزيـرة بوتـان – خيبـت الآمـال، فلـم تعـد تـدر الحليـب كمـا في السابق، فاستشار الرعاة واحداً واحداً عن السبب، فأجابوه: ما عليك الا أن تخلـي سـبيل كبيرنـا مـن السجن، فعند جهينة الخبر اليقين كما يقول المثل العربي الدارج. فأرسـل الأمـير أحـدهم في الحـال الى السجن كي يبلغه أمر سيده للامتثال أمامه في الحال، لكنه أبى الرضوخ للأمر ورد علـى رسـوله بكـل هدوء: قل للأمير هَلَز بِهورت. و(هَلَز) نبتة تزدهر في مراعي كردستان ربيعاً، لاتـدوم الا أسـابيع قليلـة ثم تذبل، تقتاتها الأغنام بنهم، فتدر حينئذ المزيد مـن الحليـب، وتكتنـز الشـحم واللحـم، والمقصـود بالمثل الكرد السابق الذكر، أن(هَلَز) قد ذبلت، وبالتالي فات الأوان ولم يعد لخروجي مـن فائـدة علـى هذا الصعيد.

لكن السوريين بكل مكوناتهم استطاعوا أخيراً أن ينتفضوا في وجه الآلة القمعية للنظام الشمولي (التوتاليتاري)، ودكوا بسواعد الشباب جدار الخوف الذي أقامه هذا النظام منذ عقود، ورددت الحناجر الشعار التاريخي: (الشعب يريد اسقاط النظام). وكان الحي الدمشقي (الحريقة) هو الذي انطلقت منه الشرارة الأولى للثورة كما أسلفنا، حين تطاول أزلام النظام وجلاوزته على أهله وأهانوا أحدهم بكل فظاظة، لكن وزير الداخلية استطاع يومها الحضور إلى موقع الحدث في الحال، وأجهض الحراك بوعوده الخلبية، ثم تلى هذا الحدث مظاهرة جامع بني أمية الكبير بدمشق، وتلتها اعتصامات هنا وهناك، إلى أن تفجرت الثورة في حوران (درعا) في ١٨ آذار ٢٠١١ ايذاناً بخروج المارد من قمقمه، ثم عمت الثورة كل أرجاء سوريا من أقصاها لأقصاها.

كانت الثورة عفوية بداية، أوقدها الشباب وحملوا شعلتها بمنأى عن القوى السياسية التقليدية، وفي مقدمتها جماعة الاخوان المسلمين، التي تخلفت عن ركب المسيرة، لكنها حاولت ركوب الموجة لاحقاً أو التحكم في مسارها بهذا الشكل أو ذاك، واستطاعت حركة الاخوان المسلمين أن تهيمن على المجلس الوطني السوري ومن ثم الائتلاف لقوى الثورة والمعارضة، من خلال امتلاكها للكادر والتنظيم والتمويل، مما حدا يومها: (بالحزبين الكرديين "يكيتي وآزادي" إلى الانسحاب من المجلس)[1]. كانت الثورة بمثابة صرخة احتجاج على المظالم التي تقترف بحق الأبرياء، ثم تحولت تدريجياً إلى ثورة شعبية عارمة تنشد الحرية واستعادة الكرامة المهدورة، إلى أن تمحورت أهدافها على مسألتين في غاية الأهمية، **الأولى** اسقاط النظام الشمولي، **والثانية** بناء سوريا جديدة. لكن طبيعة ثورة الحرية والكرامة (ثورة الاستقلال الثاني) إن صح التعبير تختلف عن طبيعة ثورة التحرر الوطني (ثورة الاستقلال الأولى) ضد الانتداب الفرنسي، تلك التي وحدت يومذاك معظم طبقات المجتمع وفئاته المختلفة الأهداف، فوقفت جميعاً في خندق واحد ضد المستعمر. أما ثورة الاستقلال الثاني، فهي تعبر في النهاية عن مصالح طبقية وفئوية وتيارات مغايرة ومتناقضة في آن، منها تيار يؤمن بالديمقراطية والتعددية واسقاط نظام الاستبداد

---

(1)– عبدالباقي صالح اليوسف: الانفجارالسوري – مصدر سابق – ص٢٦٥.

ويناضل من أجل ذلك، أما التيار الآخر فيختلف في رؤيته مع الأول حول هوية سوريا المستقبل، من هنا نجده يسعى إلى تقليص دور الشباب بأي ثمن والتفرد بالثورة.

منذ بدء الثورة احتل كرد سوريا موقعهم الطبيعي بين صفوفها، لأن لهم مصلحة مزدوجة في انتصارها، فمن جهة كانوا يأملون التخلص من نظام الاستبداد الذي طبق مشاريع شوفينية في حقهم والانعتاق من نير الاضطهاد القومي، ومن جهة أخرى كانوا كغيرهم من أبناء سوريا ينشدون الديمقراطية والعدالة الاجتماعية. ولكن المتتبع للمشهد السوري الثائر منذ انطلاقة ثورة (الاستقلال الثاني) - إن صح التوصيف - في ١٥ آذار ٢٠١١، سيلحظ أن زخم المظاهرات في كردستان سوريا كان أضعف من حيث الثقل النوعي والكمي، مما هو في ضواحي دمشق ودرعا وادلب وحمص وحماه ودير الزور، رغم قسوة المشاريع الاستثنائية المطبقة بحق الكرد ومعاناتهم المضاعفة (قومياً وطبقياً) في ظل الاضطهاد والاستبداد. ولا يحتاج المرء إلى كثير عناء لاماطة اللثام عن خلفية هذا الوهن وتشخيص مسبباته، رغم أن هذا القول لا يقلل البتة من شرف مشاركة الجيل الكردي الناشىء في الحراك الشعبي والتأسيس له، سواء على صعيد الاعداد للتظاهرات عبر لجانه التنسيقية من جهة أو القيام بالمسيرات المسائية التي شهدتها كل المدن والبلدات الكردية من جهة أخرى، بل يقتضي الأمر الاشارة، لا بل الاشادة بالشباب الذين أبلوا بلاء حسناً، وأعادوا الاعتبار من جديد للشعب الكردي كمكون أساسي من مكونات سوريا، وسجلوا اسم الكرد في تاريخها المعاصر بأحرف من نور، سواء عبر شيوع مفردة (آزادي Azadî/ الحرية) في عموم سوريا أو من خلال حناجر المحتجين السوريين التي كانت تحيي الكرد في سائر المحافظات السورية. لكن، رغم ما سبق ذكره، ورغم الخط البياني الصاعد، كانت وتيرة التظاهر دون المستوى المطلوب بكل المقاييس في نظر المراقبين والمتابعين والمحللين، نتيجة عوامل متعددة، ولعل القمع والقبضة الأمنية وانتهاكات حقوق الانسان من لدن النظام الشوفيني تأتي في مقدمتها، ناهيك عن كبح عزائم الشباب من قبل (بعض) أطراف المعارضة الكردية التقليدية وتشرذم التنسيقيات، فضلاً عن ضعف الحراك العربي في مناطق الجوار الكردي (في محافظات حلب والرقة والحسكة)، ناهيك عن الدور الذي لعبه حزب الاتحاد الديمقراطي الـ(P.Y.D) في انهاء الحراك في الشارع الكردي. العوامل الآنفة الذكر كانت عوامل

كابحة بكل تأكيد، ولا يمكن غض الطرف عنها لكل ذي بصيرة، بيد أن هناك أسباباً أخرى في نظري تستدعي التأمل، ولعل العامل الأهم يكمن في ثنايا وحيثيات وفضاءات التاريخ (القريب منه والبعيد)، فالذاكرة الكردية الطازجة مازالت تستحضر السلوك المخيف لبعض المرتزقة في الأمس القريب (أعني إبان انتفاضة الكرد في ١٢ آذار ٢٠٠٤)، هذا السلوك الشبيه بسلوك ميليشيات جنجويد السودان التي ارتكبت المجازر في حق سكان دارفور في السودان أو ميليشيا الهوتو في رَوَنْدا، ممن نهبوا المحلات التجارية الكردية في مدينتي القامشلي والحسكة من المرتزقة (ميليشيا محمد فارس وأمثاله)، وهددوا الكرد تحت مسمع ومرأى السلطات وبضوء أخضر منها. جدير ذكره أن مناطق التواجد الكردي قاطبة شهدت يومها (١٢ آذار ٢٠٠٤) انتفاضة عارمة، قمعتها السلطة بمنتهى الوحشية، وسط صمت مشين للرأي العام العربي في سوريا يندى له الجبين، خلا بعض المنددين العاملين في مجال حقوق الانسان أو المثقفين الأحرار، ممن لم يضللهم الاعلام الرسمي الممجوج والمجتر والمتخشب، مما تسبب هذا الصمت/ الموقف في احداث شرخ عميق في التلاحم والنسيج الوطني السوري، ولا أظن بأن الذكرى المريرة هذه ستمحى من ذاكرة الضحايا، أو أن هذا الجرح النازف سيطيب عاجلاً بعد أن خلف دُمَلاً.

ومما زاد الطين بلة أن أحفاد صلاح الدين الأيوبي ويوسف العظمة وابراهيم هنانو، الذين استبسلوا في تاريخ سوريا الحديث لنيل الاستقلال الأول في (١٧ نيسان ١٩٤٦)، أضحوا في العهد الوطني مواطنين من الدرجة الثانية، إن لم نقل من الثالثة أو الرابعة، ومما يؤسف قوله أن معظم النخب السياسية والثقافية والاجتماعية العربية السورية قد وقعت في شِباك البعث، وحبذا لو آثرت هذه النخب الصمت، لكنها مارست الدجل وقدمت نفسها كشاهد زور بأبخس الأثمان، لذا ترانا نحن الكرد لا نقيم وزناً لهذا التاريخ الذي جيروه وفق ايديولوجية البعث التي تقوم على إقصاء الكرد بأي ثمن، تلك الايديولوجيا التي أضحت بحق موضعاً للاشمئزاز والسخرية ومادة للتندر في آن.

أما الحركة السياسية الكردية التي تعاني من التشرذم، فانقسمت إلى طرفين:

الأول – مثلته مجموعة من الأحزاب الكردية، التي انضمت في إطار (المجلس الوطني الكردي E.N.K.S) الذي بدا قلقاً ومتردداً بداية في المشاركة بالمظاهرات التي

كانت تحت قيادة الشباب، هذا التردد كان سببه الأخذ بنصيحة السيد جلال الطالباني، رئيس جمهورية العراق: (القاضية بوقوف الكرد السوريين بعيدين عن الثورة ومحايدين، وعن أن النظام وعد بمنح الحقوق القومية)[١].

الثاني – ومثله بداية حزب الوحدة الديمقراطي (P.Y.D) الذي كان من المؤمل أن ينضم إلى الطرف الأول، لكنه تراجع في اللحظات الأخيرة، ويبدو أنه تلقى تعليمات من قنديل بهذا الصدد، ثم عقد مجلساً آخر ضم مجموعة أخرى من الأحزاب، وبدأ هذا الطرف في تطويق المظاهرات والحد من زخمها، إلى أن قضى على الحراك الشبابي بالقوة، وبدأ يمارس سلطته الممنوحة بالوكالة في عموم كردستان سوريا، وفق اتفاق ضمني بينه وبين النظام.

العوامل السالفة الذكر، كانت وراء القلق الذي يشوب الحراك الكردي بقناعتي، وهي ذاتها التي تحول دون بلوغ الحراك الشعبي المستوى المأمول منه. لكن – كي لا نجانب الصواب – يقتضي القول، إن كل هذه المسببات ليست تبريراً، ولا تعفينا من مسؤوليتنا التاريخية في المشاركة الجادة في ثورة الحرية والكرامة، لأننا – عرباً وكرداً – بتنا اليوم بأمس الحاجة إلى ثقافة قادرة على قراءة الأسباب الحقيقية لاخفاقات الماضي وتلمس سبل النهوض وإعادة بناء سوريا ديمقراطية تعددية، تقوم على الاعتراف بالحقوق القومية لشعبنا الكردي، وهذا يتطلب بداية نسف أنماط التفكير البالية.

منذ بدء الثورة السلمية في سوريا، بدأ النظام يصد الآذان عن النصائح التي لم يبخل الموالون له أو المسبحون بحمده بتقديمها له، بل سارع بدفع البلاد نحو شفير الهاوية واعتمد الحل الأمني الذي كان يتوخى من ورائه وأد الحراك الشعبي وإطفاء جذوته أو إجهاضه في المهد، أما اعلامه الرسمي فدأب كعادته على فبركة " نظرية المؤامرة " واجترارها من جديد، وجند طابوراً من سدنته (أحمد صوان، أحمد الحاج علي، شريف شحادة، خالد عبود، طالب ابراهيم، بسام أبو عبدالله وآخرين، كما استعان بالمرتزقة من اللبنانيين على هذا الصعيد من أمثال ميخائيل عوض)، وبلغت الوقاحة ببسام أبو عبدالله – وهو استاذ العلاقات الدولية بجامعة دمشق – إلى وصف المعتصمين بحثالة المجتمع في اتصال مع قناة الجزيرة (جمعة حماة الديار –

---

(١)– صلاح بدرالدين: الكرد في الثورة السورية – مصدر سابق – ص٢٩٩.

٢٧ أيار ٢٠١١)، ومنهم من نعتهم بالمندسين أو قذفهم بتهم ما أنزل الله بها من سلطان. ومضى هذا الطابور برفقة فقهاء النظام المتصلفين، ينعق بخطاب متخشب في لقاءاته المتلفزة، المستفزة، وهو يستميت في الدفاع عن رأس النظام بنفاقه ونقيقه ويخوض حملة تضليل لا مثيل لها، بغية تغييب الحقيقة بأي ثمن أو تزييفها على أقل تقدير أمام الرأي العام العربي والعالمي. لكن فريقاً آخر من خيرة الاعلاميين والكتاب والمفكرين ورجال الدين والفنانين ولجان حقوق الانسان وقف لهم بالمرصاد، لئلا يكتب التاريخ عنهم:« لماذا تركتم الشعب وحيداً ؟»، وتطوع هذا الفريق يدافع عن الشعب المغلوب على أمره، ومضى قدماً في فضح زيف ادعاءات أبواق النظام، عبر وسائل التواصل الاجتماعي ووسائل الاعلام المختلفة، أعني تلك الوسائل التي انتزعت من النظام ورقة احتكار انتاج المعلومة وضخها، والتي أزاحت بذلك عن عورته ورقة التين التي كان يتستر بها من ذي قبل.

انتهج النظام منذ البدء سياسة مزدوجة، سداتها الترغيب ولحمتها الترهيب؛ تجسدت **الأولى** في حزمة من الاصلاحات الخُلبيّة والمُضَلِّلة بغية كسب الوقت عن طريق المناورة أو المراوغة للالتفاف على الثورة، أما **الثانية** فتمثلت بالترويع (حملات الاعتقال التي طالت النشطاء في طول البلاد وعرضها) أو البطش (تجنيد الشبيحة وزج الجيش في مواجهة الاحتجاجات السلمية). وكانت " نظرية المؤامرة " التي تلقفها النظام أو أعاد اجتراها وتفعيلها، وسيلته لتبرير إرهاب الدولة المنظم، فعلى أنغامها ووفق مقاساتها نسجت فتاوى الشيخين البوطي وحسونة.

إن الشعب السوري – بكل مكوناته – الذي خبر ترهات النظام، مضى قدماً إلى أمام في نسف أسس فلسفة الخوف التي أشاعها منذ تسنم البعث زمام السلطة في انقلابه المشؤوم في ٨ آذار ١٩٦٣، ورأى بأم عينيه كيف واظب اعلامه الرسمي كعادته في نسج يوتوبياه وتلفيق الحقائق، عبر خطابه النتن الذي يزكم الأنوف وفي نفس الوقت الذي بدأت جوقة حسن نصرالله بالتغني بشعارات المقاومة والممانعة دفاعاً عن الطاغية، تلك الشعارات التي لم يسبق لها أن قتلت ذبابة، والمضي قدماً في تلميع صورة النظام الذي حول سوريا إلى مقبرة، ضارباً بمسألة الفساد الذي نخر كل خلية في الجسد السوري والافقار الاقتصادي الذي أحال الشعب السوري إلى متسولين، ناهيك عن خنق الحريات والاذلال المعنوي المنظم عرض الحائط.

والنظام في الوقت الذي مارس فيه أبشع أنواع الاستبداد ضد المواطنين، لعب عبر عقود من الزمن في أداء دور الحمل الوديع في سياسته الخارجية، وسعى جاهداً إلى استمالة القوى العظمى أو مهادنتها، وتغاضى عما قامت به اسرائيل حين اخترقت بطائراتها الأجواء السورية مرات ومرات، مما خلق لدى أبسط الناس شعوراً ببطلان ترويجه لشعار المقاومة والممانعة، الذي كان النظام يتشدق به كوسيلة لذر الرماد في العيون. ففي الوقت الذي مارس النظام فيه دور الوصي على لبنان طوال عقود، وأرسل المفخخات والارهابيين إلى العراق وعاث فساداً على الساحة الفلسطينية وقام بشراء الذمم حتى: (تحولت القضية الفلسطينية بكل عدالتها ومشروعيتها إلى أداة للمتاجرة وأصبحت – المعركة مع العدو وإقامة التوازن الاستراتيجي معه والشعار الاعلامي المضلِّل لا صوت يعلو فوق صوت المعركة – ذريعة لتضييق الخناق على الداخل وانتهاك الحريات وتطبيق الأحكام العرفية وقانون الطوارىء وممارسة القمع والاضطهاد ضد معارضيه)[1]، وفي الوقت الذي زود القذافي في محنته الأخيرة بالأسلحة والطيارين، ظلت جبهة الجولان هادئة مستقرة. وكيلا نُتَّهَم بالتجني على النظام، يمكن التذكير بما أتحفنا به رامي مخلوف – أحد اعمدة نظام القمع – مؤخراً، حين أماط اللثام عن حقيقة النظام جَهاراً نَهاراً، بأن أمن واستقرار اسرائيل من أمن واستقرار سوريا...!.

وحين تعثرت الحلول الأمنية للنظام، بدأ يسلك طريق الخديعة من جديد، هذا الطريق الذي هو من صلب ايديولوجيته. أعود فأقول، حين تعثرت خطته الأمنية، أشارت إليه طهران باختيار خطة بديلة، فاعلن على الملأ دعوة لاجراء الحوار وفق وصفة نظام الملالي في طهران، لكننا نتساءل: أيُّ حوار يا تُرى يمكن الحديث عنه بين الجلاد والضحية ؟. ألف باء مقومات الحوار الحقيقي – بقناعتي – يتمثل في التكافؤ بين طرفي الحوار. ويقتضي بداية تخلي النظام عن الحل الأمني واللجوء إلى الحل السياسي وإلغاء مسببات إنسداد الآفاق على الفور والمتمثلة في انسحاب الجيش والأمن وتبييض السجون والمعتقلات ومحاسبة مرتكبي الجرائم والسماح بالتظاهر السلمي من دون قيود، ناهيك عن المادة الثامنة من الدستور والتي تنص على أن حزب البعث يقود الدولة والمجتمع، والتمهيد لاجراء انتخابات نيابية حرة وشفافة

---

(1)– صلاح بدرالدين: الكُرد في الثورة السورية – مصدر سابق – ص٢١.

تحت مراقبة واشراف دوليين، تكون مقدمة لوضع دستور جديد وعصري لتنظيم الأحزاب، يقوم على حل القضية الكردية حلاً سلمياً وديمقراطياً. أما الاملاءات التي خبرناها وزهقناها، أو تبويس اللحى واللقاءات التي تتم من وراء الكواليس وعبر القنوات الأمنية، فلا تمت إلى الحوار بصلة. خلاصة الحكاية أن النظام يعلق اليوم "لافتة" الحوار – والحوار كلمة حق يراد بها باطل – على منشأته القديمة المتصدعة والمتداعية، كي تنهار في النهاية على رؤوس المعارضة الحقيقية، من هنا يمكن وصف الدعوة بالمناورة. حقيقة، تبين أن النظام كان يسعى إلى حوار شكلي مع نفسه، ضارباً بارادة الشعب السوري وقواه الحية عرض الحائط عبر مسرحياته الهزلية تلك التي كان يوحي للرأي العام بأنه يقبل بمبدأ الحوار مع من هم على شاكلة قدري جميل على سبيل المثال.

إن الثورة السورية المباركة كانت تستهدف حقيقة المنظومة الأمنية الشمولية التي أقامها الأسد الأب والابن، لكن النظام وعبر أربعة عقود ونيف استطاع استمالة بعض القوى السياسية نحو حضنه السلطوي وتدجينها، من خلال جبهته الخلبية (الجبهة الوطنية التقدمية) بواسطة سياسته السيئة الصيت، سياسة العصا والجزرة، فسمح لها بافتتاح مكاتبها هنا وهناك، ومنحها بعض فتات موائده وبعض الحقائب الوزارية، أغلبها وزارات خلبية بلا حقائب، وكراسي في البرلمان والنقابات، وأشرف على صحفها الصفراء شكلاً ومضموناً، طباعة ونشراً وتمويلاً، فتمكن من الاستيلاء عليها وتأميمها ودس مخبريه بين صفوفها.

رغم أن مكونات الشعب السوري حققت الجلاء في ١٧ نيسان ١٩٤٦، لكن القوى السياسية (العروبية) أخفقت في بناء دولة المواطنة، مثلما أخفقت في إنجاز التنمية الاقتصادية – الاجتماعية، كما عجزت عن حل القضية الكردية، وبالتالي فشلت في تحقيق الوحدة الوطنية المنشودة. كل هذه الاخفاقات أدت فيما بعد إلى بروز تيارات الاسلام السياسي، وفي مقدمتها جماعة الاخوان المسلمين، وتيارات أكثر تشدداً وتطرفاً وتزمتاً مثل: داعش وجبهة النصرة الارهابتين، تلك وغيرها التي ابتلى بها الشعب السوري والمعارضة الحقيقية اليوم.

من التحديات التي تواجه الثورة السورية الاسلام السياسي، ورأس حربته (جماعة الاخوان المسلمين) التي تستقوي بكل من تركيا وقطر والسعودية، التي

تدعمها وتمولها وتسلح ذراعها المسلح "لواء التوحيد" مثلاً. يُضاف إلى ذلك أن جماعة الاخوان المسلمين تعد أحد أهم مكونات المجلس الوطني السوري، والأخير بدوره مكون رئيسي في الائتلاف السوري المعارض. والجماعة وإن كانت تدّعي بأنها مع أهداف الثورة، إلا أنها لا تؤمن بالتعددية ولا بحل القضايا السياسية بالسبل الديمقراطية، وفي مقدمتها القضية الكردية ومبدأ الشراكة الوطنية وتحرر المرأة...الخ، وهي تؤمن حقيقة بشعار:«الاسلام هو الحل». كما أن الدول الداعمة لها، قد تتفق مع قوى الثورة في اسقاط الطغمة الحاكمة، إلا أنها تختلف معها حول سوريا المستقبل، وطبيعة النظام السياسي وهويته، فلكل منها أجنداتها، بما في ذلك تركيا التي يُخيفها نيل الكرد السوريين لحقوقهم القومية خوفاً من انتقال العدوى إليها حيث التواجد الكردي والعلوي فيها، لذا سعت تركيا في بداية الثورة لاقناع: (النظام باجراء بعض الاصلاحات، واشراك الاخوان المسلمين في الحكم لانهاء الأزمة، وعندما فشلت الحكومة التركية في اقناع النظام، تحول الموقف التركي إلى العمل والمراهنة على إحداث إنقلاب عسكري يحافظ على الدولة المركزية في سوريا، وبالتوازي عملت على دعم الأحزاب الكلاسيكية، وبشكل خاص حلفاءها من التيار الاسلامي بهدف خطف الثورة)[١]، وهكذا نجد اليوم أن الائتلاف الوطني السوري يخضع للاملاءات التركية والخليجية.

جماعة الاخوان المسلمين ترفض مبدأ فصل الدين عن الدولة وتغض الطرف عن مقولة:«الدين لله والوطن للجميع»، بل تسعى بكل السبل إلى أسلمة الثورة وتسييس الدين في بلد تتعدد فيه القوميات والأديان والمذاهب مثل سوريا. لذا، لا نأمل من الاسلام السياسي دوراً ايجابياً البتة، رغم خطاباته المنمقة، فهو يسعى إلى استبدال استبداد باستبداد وامتطاء متن الموجة وافراغ الثورة السلمية من محتواها الديمقراطي عبر عسكرتها، كي تفقد زمام المبادرة وتغدو مطية لتركيا ودول الخليج ويغدو قرارها رهناً بارادة الدول الاقليمية، وهذا ما يثلج قلب النظام التابع لطهران، وتجربة الربيع العربي (مصر وتونس وليبيا) تشهد على ما نقول، من هنا قلنا أن أسلمة الثورة يعني إجهاضها أو وأدها وهي في المهد. وقد هادنت النظام، بل فاوضت مبعوث نظام الأسد الابن في استانبول من وراء ظهر المعارضة عبر وساطة تركية،

---

(١)- عبدالباقي صالح اليوسف: الانفجار السوري – مصدر سابق – ص٢٦٩.

وأعلنت تجميد نفسها على الملأ تحت ذريعة أحداث غزة، ففقدت الثقة. لكن، هذا لا يعني الدعوة إلى إقصاء هذا الطرف، بل نقول يجب أن تكون الأطراف الأخرى حذرة من أن يتبوأ هذا الطرف زمام المبادرة في قيادة المعارضة، انطلاقاً من تجارب دول الربيع العربي الأخرى.

أما هيئة التنسيق، فهي مجموعة يمكن توصيفها بـ: "المؤلفة قلوبهم" رغم تبجحها بمناهضة النظام، إلا أن أغلب مكونات هذا الاطار مدجنة أصلاً من قبل النظام، وتأتمر في النهاية بأوامره مثل ثائر أحزاب جبهة النظام، ولا تستطيع من خلال شعاراتها الديماغوجية وأساليبها الملتوية إخفاء حقيقتها وتهافتها – إذا ما أسقط النظام – لتقاسم الكعكة قبل أن تنضج في التنور، بمختصر القول أنها معارضة شكلية تمثل الوجه الآخر للنظام.

وقد نجح النظام في عسكرة الثورة، من خلال ممارسة العنف المفرط ضد الآمنين، بهدف تحريف الثورة عن مسارها السلمي الذي اختارته طيلة ستة أشهر من اندلاعها، وخلال تلك الفترة القصيرة كسبت الثورة تأييداً واسعاً من الداخل والخارج، ونتيجة تمادي النظام في قمعه وتوافد الجهاديين (النصرة وداعش وغيرهما من القوى الظلامية) وتدخل الدول الاقليمية في الشأن السوري واستقدام النظام الميليشيات الشيعية بدعم من ايران (ميليشيا حزب الله اللبناني وجيش العباس..الخ)، تسارعت قوى الثورة بدورها نحو العسكرة[1].

سابعاً: الموقف من القضية الكردية

١ـ خارجياً (القوى العظمى):

أ – عصبة الأمم والأمم المتحدة: يتناول الدكتور نورالدين زازا هذه المسألة بمنتهى الصراحة والوضوح، منوهاً أنه في عام ١٩٦٣، حين كان النظام في بغداد يقصف المدنيين الكرد والقرى الكردية بالنابالم، طالبتْ منغوليا بادراج القضية هذه في مجلس الأمن، حينئذٍ هددت الدول العربية وتركيا بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع الاتحاد السوفييتي ما لم تلغِ منغوليا طلبها فوراً، وهكذا سُحِبَ الطلب دون مناقشة[2].

---

(١)– عبدالباقي صالح اليوسف: الانفجار السوري – مصدر سابق – ص٢٧٢.

(٢)– نورالدين زازا (الدكتور): حياتي الكردية/ صرخة الشعب الكردي – مصدر سابق – الهوامش ص٢١٨و٢١٩.

وحين استدعى أمين المحفوظات في منظمة الأمم المتحدة زازا، أبلغه: تعلمون بأن قوانين الأمم المتحدة لا تسمح بالتدخل في الشؤون الداخلية للدول الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة، فلا نستطيع إذاً التدخل في شؤون تركيا والعراق وايران وسوريا. أنتم بشكل رسمي أتراك وعراقيون وايرانيون وسوريون، وحين تُقصفون وتُقتلون وتتعرضون للابادة الجماعية، فان الأتراك والعراقيين والايرانيين يقولون لنا إنها مسألة داخلية لا تخصكم أبداً. وهكذا، ولسوء الحظ، لا تستطيع منظمة الأمم المتحدة أن تفعل أي شيء، ولكن الآن وأنت تحمل ملف القضية، حاول أن تضخمه بقدر ما تستطيع، وذات يوم – مَنْ يدري – ربما يتغير الوضع[1]. على هذا النحو كانت القوى الدولية منذ البدء مسؤولة عن اجهاض تطلعات الكرد المشروعة، فقد سبق لـ (جون ستيوارت مل) أن طرح فكرة تقتضي استعباد شعوب برمتها، تحت حجة واهية، ألا وهي أنها – أي الشعوب – لم تبلغ بعد سن النضج..!. ولا يُخفى بأن مثل هذه الاطروحة استوقفتني، لأنها تتضمن ذات الحجة التي روجت لاحقاً أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها، أعني تلك الفكرة التي بررت الاستعمار، لا بل وشَرْعَنَته، إلى أن اقتضى الأمر من هيئة دولية كعصبة الأمم أن تنساق وراء مآرب المستعمرين وتسنَّ قوانين الوصاية والانتداب والالحاق المعروفة تاريخياً بحق شعوب شتى، تحت حجة التخلف، ومنها شعبنا الكردي.

لسنا هنا بصدد استعراض دور عصبة الأمم أو الأمم المتحدة فيما بعد وتقييم دورهما على هذا الصعيد، بقدر ما نود إزاحة الستار عن البنية القانونية لعصبة الأمم التي كانت بمثابة الذراع (الشرعي) للنظام العالمي آنذاك، تلك البنية التي كانت لها أبعادها السياسية غير العادلة بكل تأكيد، لأنها كانت قائمة على مبدأ ينطلق من مصالح الدول العظمى يومها. إن مبدأ حق تقرير المصير مكفول وفق العهود والمواثيق الدولية، ومنها ميثاق الأمم المتحدة الذي وافقت عليه الجمعية العامة بموجب القرار رقم ٢٦٢٥ بتاريخ ٢٤ اكتوبر ١٩٧٠، وكذلك وفق المؤتمر العالمي لحقوق الانسان (فينا ١٩٩٣)، فكلها تنص على أن لجميع الشعوب الحق في تقرير مصيرها بنفسها، لكن على أرض الواقع يُنتهك هذا الحق وسط صمت مطلق لدعاته، حتى غدت المؤسسات الدولية (سابقاً عصبة الأمم، واليوم الأمم المتحدة) عاجزة عن

---

(1)– المصدر السابق – ص ١٠١.

حماية الانتهاكات التي تُرتكب بفظاظة ضد الشعوب المضطهَدَة مثل الشعب الكـردي، بذريعة عدم التدخل في الشأن الداخلي للدولة التي تمارس الانتهاك.

ولو تأملنا قوة كالفاتيكان، التي تتباكى على مصير المسيحيين، لوجـدناها تصم الآذان عن حقيقة واقعة، وهي أن كردستان بدورها تحتضن أقليات مسيحية من كاثوليك وأرثوذوكس ونساطرة وغيرهم[1]، بحاجة هـي الأخـرى كسـائر المكونـات إلى الحماية في مواجهة الانتهاكات المرتكبة من لدن الدول التي تقتسم كردستان.

ب – الدول العظمى: "لعل من السهل التأكيد من أن الصراع على النفط، الذي تزخـر بـه الأرض الـتي تحـت أقـدام الشـعب الكـردي، كـان السـبب في حرمانـه مـن حقوقه"

(دانيال ميتران)

الشعب الكردي هو أحد الشعوب التي أضحت فريسـة القـوى الدوليـة المتنفـذة وضحية مخططاتها الاستعمارية السيئة الصيت لتقاسـم تركـة "الرجـل المـريض"[2]. حيث شاءت مصالح تلك القوى التي كانت تكمن في تقسيم كردسـتان بـين دول عـدة والحاق أشلائها بالكيانات المجاورة، بما فيها سوريا ككيان تم اسـتحداثه وألحـق بـه جزء من كردستان أرضاً وشعباً، أعني الجزء الذي يُدعى اليوم "كردستان سـوريا"، ووضعت سوريا تحت الانتداب الفرنسي والعراق تحـت الانتـداب الانكليـزي، بحجـة أن هـذه الشـعوب غـير قـادرة علـى ممارسـة حريتهـا علـى النحـو الـذي يتوجـب عليهـا ممارستها.

وما زاد الطين بلة أن الكيانـات الجديـدة المصـطنعة، الـتي ألحقـت بهـا أجـزاء كردستان، سرعان ما تلقفت غنيمتهـا بـنهم. ومـن المفارقـات المذهلـة أن الكيانـات الجديدة التي أنتجتها المشـيئة الدوليـة في أروقـة مكاتبهـا الدبلوماسـية عقـب الحـرب العالمية الأولى، بدأت باضـفاء هالـة مـن التقـديس علـى الحـدود السياسـية الجديـدة، جاهدة في الوقت نفسه التشطيب على هوية شـعبنا الكـردي بـأي ثمـن، خصوصـاً في سوريا وكان من جراء هذه السياسة اللعينة أن تحول الشعب الكردي إلى أقلية في كـل دولة منها، ناهيك عـن السياسـات الاسـتثنائية الـتي طبَقَـت بحقـه، والـتي اسـتهدفت

[1]– رينيه مورييس: كردستان أو الموت – مصدر سابق – ص٢٠.

[2]– مصطلح متداول، أول من استخدمه نيقولا الأول(القيصر الروسي)، للاشارة إلى الدولة العثمانية.

بشتى الوسائل صهر الكرد وتذويبهم في بوتقة الأكثريات (الترك، الفرس، العرب) وامحاء هويتهم. أجل، بدأت الأغلبية العربية الحاكمة في سوريا في انتهاج سياسة التعريب ضد الكرد ومارست منذ عهد الانتداب سياسة التمييز العنصري ضدهم، علاوة على تحريمهم من تعلم لغتهم الأم.

إزاء وضع كهذا، حيث ضُرِبَ بارادة الكرد عرض الحائط، تَوَجَب على شعبنا الكردي التشبث بهويته القومية رغم المحن. واليوم تبرز القضية الكردية من جديد – خصوصاً بعد الثورة السورية ١٥ آذار ٢٠١١م – كأهم واسخن القضايا التي تواجه السوريين بعد ازاحة النظام الشمولي (التاتوليتاري)، وباتت تتطلب حلاً واقعياً وعادلاً وعاجلاً، فقضايا الشعوب لا تموت بالتقادم، وسياسة الانكار والتجاهل مآلها الفشل شاءت الأنظمة المستبدة أو أبت، مثلما فشلت من قبل سياسات التذويب والصهر.

لا مناص من القول بأن شعبنا الكردي – بسبب الوضع الآنف الذكر الذي خلفته ارادة الدول العظمى – قد أبتلي بداء الاستبداد السياسي الفتاك أكثر من سائر مكونات سوريا الاثنية والدينية والمذهبية، فلا غرابة من أن يكون عنيداً في طلب الحرية ومتعطشاً للديمقراطية أكثر من غيره. فبالرغم من سجالاتنا التي لا تفضي إلى نتائج مثمرة في الحال، إلا أن النخب السياسية والثقافية والاجتماعية الكردية سرعان ما تقر بأهمية الحوار واستمراريته. ومن الملاحظ في الآونة الأخيرة تزايد اهتمام الكرد بمسألة الديمقراطية بجانبيها السياسي والاجتماعي، وبدأ هذا الهاجس يخترق الأطر المعرفية التقليدية أخيراً، نتيجة استفحال القهر القومي من جهة، وتزايد الاحساس بالاضطهاد والنير القومي من جهة أخرى.

لم تفِ الدول العظمى (انكلترا وفرنسا وألمانيا وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية) بوعودها تجاه الكرد، بل كانت انكلترا وفرنسا شريكتان في اتفاقية سايكس – بيكو (١٩١٦) والتي مضى عليها قرن من الزمن، وما زلنا أرضاً وشعباً نعاني من التجزئة بين تركيا وايران والعراق وسوريا. كما تنصلت الدول العظمى نتيجة تواطئها مع تركيا عن معاهدة سيفر (١٠ آب ١٩٢٠) التي كانت تضمن إقامة كيان كردي على جزء من كردستان الشمالية، واستبدلتها بمعاهدة لوزان ١٩٢٣ المخيبة لآمال الكرد، ويجدر الذكر أن مصطفى كمال استغل بدهائه قلق الغرب إزاء

الثورة البلشفية، فتقرب من السوفييت، مما أثار مخاوف بريطانيا وفرنسا، فمضتا لارضاء تركيا بأي ثمن، وقد كان الثمن باهظاً بحق الشعب الكردي، هو التراجع عن وعودها للكرد بتلبية مطلبهم المشروع في انشاء كيان كردي أسوة بالسُّنة والعلويين والدروز تحت ضغط تركيا والكتلة الوطنية في آن.

بعد إنشاء منظمة الأمم المتحدة عقب الحرب العالمية الثانية، تم التحدث عن حقوق الانسان وحرياته الأساسية في الاعلان العالمي لحقوق الانسان ١٩٤٨ ومعاهدة منع إبادة الجنس عام ١٩٤٨ وفي العهدين الدوليين الخاصين بالحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية عام ١٩٦٦، ورغم أن سوريا دولة عضو في الأمم المتحدة إلا أنها تنتهك حقوق الانسان السوري عامة والكرد على نحو الخصوص بشكل متعسف، ناهيك عن اتباعها سياسة تعريب المناطق الكردية واسكان العرب فيها، لكن الأمم المتحدة لا تبالي بما يجري تحت ذريعة احترام مبدأ السيادة، مدعية أن مثل هذه القضايا شأن داخلي محض..!، فظلت هذه المبادىء المعلنة أو التي تتضمنها المواثيق الدولية مجرد حبر على ورق.

روسيا: كانت تبذل قصارى جهدها للوصول إلى المياه الدافئة (البحر المتوسط والخليج العربي)، وهذا يقتضي بداية الهيمنة على كردستان ذات الموقع الاستراتيجي والغنية من الناحية الاقتصادية. وكان للكرد (الشيخ عبدالسلام البارزاني وزعماء الهماوند والجاف والشيخ محمود الحفيد) اتصالات مع الروس، وسبق لهم أن طلبوا من روسيا العون ضد العثمانيين، لكن الحكومة الروسية لم تستجب لأنها رأت في طموحات الكرد ما يتعارض وطموحات حلفائهم الأرمن[1]، مما أثار هذا الموقف استياء قناصلها.

السوفييت بدورهم أداروا ظهرهم للكرد عامة بعد الثورة البلشفية ١٩١٧، وتنصلوا عن مبادئهم التي كانت تنص على دعم حركات التحرر، وفي مقدمتها حركة التحرر الكردية انطلاقاً من مصالحهم، ضاربين بتلك المبادىء عرض الحائط، خصوصاً بعد حلول شهر العسل بينهم وبين تركيا الكمالية، مما ذهبت آمال الكرد أدراج الرياح.

---

(1)– محمود زايد(الدكتور): دولة كردستان المستقلة والمؤامرات الغربية والاقليمية لاجهاضها – ط١ القاهرة ٢٠١٥ – الناشر: دار الرواق الأزهري – ص٦٧و٦٨.

والحق يقال، بادىء ذي بدء انتهج البلاشفة سياسة أممية حكيمة حيال الأمم والشعوب والقوميات غير الروسية، بما في ذلك الأقليات القومية، ومنحوها جمهوريات أو مقاطعات مستقلة ذاتياً، خاصة بها. ويحضرني في هذا الصدد سعي لينين إلى تأسيس كردستان الحمراء ذات الحكم الذاتي عام ١٩٢٣، لكن خَلَفَه ستالين – ولسوء الأسف – نسفها فيما بعد كما أسلفنا من ذي قبل، وأعقب ذلك عمليات تهجير قسرية للكرد من أذربيجان وأرمينيا عام ١٩٣٨ ومن جيورجيا عام ١٩٤٤، تحت مختلف الذرائع الواهية.

كان الكرد يعتبرون أن الاتحاد السوفييتي هو حليفهم المفترض ويعتقدون أن الحزب الشيوعي السوفييتي هو نصيرهم، لذا كان من المؤمل – وفق هذه الرؤية – أن يؤازر المعسكر الاشتراكي وفي مقدمته الاتحاد السوفييتي قضيتهم العادلة إنطلاقاً من المبادىء الأممية المعلنة في مساندة الشعوب المضطهَدة قبل أي إعتبار آخر. لكن ما يؤسف قوله أن مواقف الاتحاد السوفييتي كانت تثير الاشمئزاز، فالمتصفح لمذكرات الجنرال إحسان نوري باشا، قائد إنتفاضة آغري (١٩٢٦– ١٩٣٠)، والتي امتدت من جبال آغري شمالاً وحتى الحدود العراقية – السورية جنوباً سيتأكد من حجم المساعدة التي مدّ بها السوفييت الجيش التركي، الذي أجهز بفضل تلك المساعدة على تلك الانتفاضة وأجهضها في النهاية. يذكر الجنرال إحسان نوري باشا في مذكراته أخباراً عن تمكن الثوار الكرد على مدينة باشكند، وما أوقعوه من خسائر فادحة في صفوف الجيش التركي، مما إضطر هذا الجيش الفار إلى أن يلوذ بضفة نهر آراس على الحدود السوفيتية، ولولا تدخل القوات السوفيتية ورشقها للثوار الكرد بنيران بنادقها ورشاشاتها، لتعذر على الجنود الأتراك النفاذ من قبضتهم. وعلم بعد لجوء هؤلاء إلى الاتحاد السوفييتي كيف: (أن حكومة الاتحاد السوفييتي قد رحبت بهؤلاء الجنود كثيراً، وأعادتهم مع كامل أسلحتهم وأعتدتهم إلى مدينة أخدر)[1].

ويمضي الجنرال في سرد فصول الملحمة التي كان هو ذاته أحد أبطالها، مؤكداً بأن ثوار آغري قد توصلوا فيما بعد إلى قناعة تامة بعدم جدوى المقاومة، بعد أن تبين بالملموس ما تقدمه الدولتان السوفيتية والايرانية من مساعدة لتركيا

---

(1)– مذكرات الجنرال إحسان نوري باشا: انتفاضة آغري ١٩٢٦– ١٩٣٠ – ط١عام ١٩٩٠ – بيروت – ص١٠٧.

المصممة على سحق الانتفاضة بأي ثمن، والتي جندت لأجل تحقيق هذا الغرض مابين (٣٠– ٤٠) ألفاً من جنودها، وزودتهم بأسلحة متطورة، بما في ذلك الطائرات. وبوصول فرقة من القوت السوفيتية لمساعدة القوات التركية، أصبح الثوار بين فكي كماشة، ايران من جهة والفرقة السوفيتية التي عبرت نهر آراس واحتلت الأطراف الشمالية الشرقية من جبل آغري الصغير من جهة أخرى[١].

وكان هذا وحده كافياً لكل ذي بصيرة للحكم على موقف السوفييت السلبي إزاء تلك المقاومة الباسلة التي أبداها ثوار آغري في مواجهة جيش جرار، بعد أن كان النصر قاب قوسين أو أدنى بالنسبة لهم لولا المعونة التي تلقتها تركيا من الاتحاد السوفييتي وايران. ومما زاد الطين بلة، تلك الصفقة التي أبرمها السوفييت عقب الحرب العالمية الثانية، والتي بموجبها تم سحب الجيش السوفييتي من كردستان الشرقية (الايرانية)، حتى أصبحت جمهورية مهاباد دون سند خارجي، وأضحت هدفاً مستساغاً وسهل المنال لايران التي منحت بعض الامتيازات المتعلقة بالنفط والغاز لقاء ذلك للاتحاد السوفييتي. ولا يحتاج موقف السوفييت من ثورة أيلول في كردستان العراق وقيادتها التاريخية إلى مناقشة، لأن السوفييت كانوا حريصين كل الحرص على عدم التفريط بصداقتهم مع النظام المستبد في بغداد[٢]، ولو كان ذلك على حساب الشعب الكردي وقضيته العادلة. والسؤال الذي مازال يراود القارىء: أما زال الحزب الشيوعي الروسي يسير على نهج سلفه الحزب الشيوعي السوفييتي ؟. للاجابة على هذا السؤال سنحيل القارىء إلى التقرير السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي، الذي قدمه غينادي زوغانوف في المؤتمر الرابع، ومما جاء فيه: (المسألة الأهم هي الجمع بين مبدأين مفتاحيين في السياسة القومية، وهما حق الأمم في تقرير مصيرها وحق الدولة في وحدة أراضيها. فمع الاعتراف بحق كل شعب بتقرير مصيره، كان الحزب دائماً وهو الآن كالسابق، يقف ضد المثال البرجوازي الصغير في إقامة الدول الصغيرة المنكفئة على ذاتها وانعزال الشعوب عن بعضها بعضاً). ويمضي التقرير في وصم محاولة الشيشان بالمغامرة المجرمة... بهذا الشكل السافر، يتخذ التقرير الانكفاء والعزلة كذريعة لنسف شعار حق الأمم في تقرير مصيرها،

---

(١)– المصدر السابق – ص ١٠٤.

(٢)– عقد الاتحاد السوفييتي مع العراق اتفاقية الصداقة عام ١٩٧٢، وعقد اتفاقية مماثلة مع سوريا.

ويثبت بأن الحزب الشيوعي الروسي خير خلف للحزب الشيوعي السوفييتي ونهجه، لذا لا نامل منه جديداً في المستقبل إذا ما استلم السلطة.

الولايات المتحدة الأمريكية: اهتمت بكردستان بغية توسيع نفوذها الاقتصادي، ففي عام ١٩٠٨ عقدت اتفاقية مع الدولة العثمانية، تقضي باقامة ثلاثة خطوط حديدية تمر كلها في كردستان، وبموجب تلك الاتفاقية يحق للولايات المتحدة التنقيب عن المعادن لمسافة ٢٠ كم على جانبي الخطوط السالفة الذكر، إلا أن حرب البلقان والحرب العالمية الأولى حالت دون تنفيذ المشروع[١].

المانيا: تركز اهتمامها أيضاً على الجانب الاقتصادي، بعد أن فاحت رائحة النفط، ناهيك عن اعتبارها كردستان سوقاً رائجة، من هنا نجحت عام ١٩٠٣ في الحصول على امتياز مشروع خط قطار الشرق السريع (برلين – بغداد – البصرة: B.B.B) المار بكردستان (تركيا وسوريا والعراق).

بريطانيا: تضاعف اهتمامها بكردستان لموقعها الاستراتيجي على طريق مستعمراتها (الهند خاصة) وغناها بالنفط، لذا أخذت بريطانيا تبذل قصارى جهدها للهيمنة على كردستان (خصوصاً ولاية الموصل) وجعلها ضمن نفوذها. وحين دخلت القوات البريطانية بغداد عام ١٩١٧، ظن الكرد أن الظفر بالاستقلال وتشكيل دولتهم المستقلة قد أضحى قاب قوسين أو أدنى، ولأن الشيخ محمود الحفيد رفض أن يكون ألعوبة في أيدي قادة الاحتلال وأداة لتنفيذ مآربهم، وبما أن البريطانيين قد فشلوا في اصطناع بديل له، من هنا بدأت عملية التصادم التي قضت على الآمال الكردية في الدولة المستقلة آنذاك في العراق[٢].

فرنسا: وهكذا، نرى أن (ظهور النفط بغزارة في المناطق الكردية في جنوب وشرق كردستان، من الأمور الأساسية التي أدت إلى التنافس الاستعماري بين الدول الأوربية عليها، وذلك منذ أن تم التأكد من تواجده في كردستان في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي)[٣]، لأهميته كوقود في تسيير السفن بدلاً من الفحم. وقبل بدء الحرب العالمية الأولى ١٩١٤– ١٩١٨ سعت الأطراف المتكالبة على نيل ثقة الكرد

---

(١)– المصدر السابق – ص٧١.

(٢)– المصدر السابق – ص٤٣٩و٤٤٠.

(٣)– المصدر السابق – ص٨٢.

وكسـبهم إلى جانبهـا واسـتخدامهم كورقـة ضـغط ضـد الطـرف المنـافس، فالدولـة العثمانية أعلنت فتوى الجهاد المقدس، وفي الاطار ذاته بدأ الاتحاديون يعزفـون علـى وتر تحقيق الحكم الذاتي للكرد، وسـعت المانيـا أيضـاً لكسـب الشـعب الكـردي بـأي شكل من خلال دعم مشروع الجهاد[1]. فاعلان الجهاد أقلـق الحلفـاء، مـن هنـا سـعوا لابطال مفعول هذا (السلاح) عن طريق الاغراءات، فمضوا في ذر الرماد في عيون الكرد والتلويح ببعض الوعود الخلبية لكسب ولائهـم، لخشـية الحلفـاء أن ينجـروا وراء هـذا الاعلان وهم معروفون بالتشبث بالاسلام.

٢- داخلياً (بلاء الاستبداد):

ما من شـك أن الديمقراطيـة (Demos)/ الشـعب و (Kratia)/ الحكـم، بوصـفها مصطلحاً سياسياً، قد ظهرت إلى الوجود أول ما ظهرت في بلاد الاغريق، إلا أن هـذا لا ينفي وجود أشكالها الجنينية في تاريخ الأمم والشعوب الأخرى، بمـا في ذلـك تاريخنـا الكردي، من هنا تقتضي الضرورة البحث عن تلك الأشـكال وتسـليط الضـوء عليهـا، شرط ألا ننسى بأن الديمقراطية، مفهوماً وممارسة، كانت ومازالـت في حالـة صـيرورة شكلاً ومضموناً، لأنها أولاً وأخيراً، ليست سوى تجربـة انسـانية متطـورة باسـتمرار، فلم (يبقَ يونانياً منها، سوى الكلمة)[2]. ومن تلك الأشـكال الـتي يزخـر بهـا تاريخنـا الاسلامي مبدأ (الشُّورى)، فلو قُيِّضَ له أن يسـتمر ويرتقـي لمـا كـان وضـعنا بمثـل ماهو عليه الآن على الأقل. أجل، لم يُمَارس المبدأ إلا فترة قصيرة، ثم غُيِّبَ لمئـات السنين، حتى لم يتبقَ منه أثـر إلا في تـنظير المعارضـة الـتي اتخـذت ألوانـاً متعـددة ومتنوعة عبر التاريخ، ومما يؤسف له أن كـل المحـاولات الـتي توخـت الارتقـاء بهـذا المفهوم قد أجهِضَتْ. وليس أدل على ما قلناه أوضح من غزوة أحـد، الـتي استشـار فيها النبي قومه، وخيّرهم يومها بين الخروج لمواجهة جيش قـريش المحتشـد خـارج المدينة وبين البقاء داخل المدينـة والتحصـن فيهـا: (وكـان الرسـول نفسـه يميـل إلى البقاء... إلا أن جموع القوم وشـبانهم ألحـوا علـى الرسـول بـالخروج. وبالفعـل فقـد إمتثل الرسول لرأيهم ولبس بـذة الحـرب. ولمـا هَـمّ بـالخروج نـدموا وشـعروا بالـذنب

(1)- عثمـان علـي: دراسـات في الحركـة الكرديـة المعاصـرة ١٨٣٣- ١٩٤٦/ دراسـة تاريخيـة وثائقيـة - ط١عام ٢٠٠٣/ اربيل - ص٨٨.

(2)- إمام عبد الفتاح إمام(الدكتور): عالم الفكر - الكويت - المجلد ٢٢- العدد ٢عام ١٩٩٣ - ص٧.

وطلبوا إليه أن يبقى في المدينة كما كان يرغب. رفض الرسول رأيهم الثاني ومضى بتنفيذ ما ارتأوه من قبل، وخرج إلى جبل أحد لملاقاة قريش، فالأمر من حقهم... فقرارهم الأول هو الذي يمثل حقيقة رأيهم، أما موقفهم الثاني فقد أملته العاطفة والحب لرسول الله... ونزل الوحي مؤكداً الشورى، وضرورة الالتزام بنتائجها)[1].

إذن تتمثل المشكلة بداية في عدم تجذير الديمقراطية في مجتمعاتنا، ومن ثم تباين مدلولها تبعاً لاختلاف الأنظمة تاريخياً وجغرافياً، وقد يكون مفهوم (الشعب) هو أكثر المفاهيم إلتباساً، فديمقراطية أثينا كانت تتميز بخصائص تستحق التأمل، تجلت كما هو معروف بشكلها المباشر، حيث يجتمع الذكور الأحرار حصراً، ممن بلغوا سن العشرين، ويمارسون حق الاقتراع، بمعنى أن هذا الشكل البدائي – إن صح القول – من الديمقراطية، كان يفتقر إلى الكثير من المصداقية، لأنه ببسيط العبارة كان يستبعد النساء اللواتي يشكلن (٥٠٪) من السكان، ناهيك عن العبيد، وقل الشيء نفسه بالنسبة لتجربة روما في الديمقراطية. بينما يُقْصَد بمفهوم الشعب، وفق وجهة النظر الديموغرافية، مجموع السكان ذكوراً وإناثاً، وبضمنه كل فئات الأعمار، فضلاً عن المرضى والسجناء والمعتقلين...الخ. أما القاسم المشترك لمختلف الأنظمة حالياً، هو استثناء الأطفال والمجانين من الادلاء بأصواتهم في الانتخابات، الفئة الأولى بسبب عدم بلوغها سن الرشد أو البلوغ، والثانية لافتقارها للقدرات العقلية.

عود على بدء... الشعب الكردي كأحد ضحايا المشيئة الدولية، يفتقر اليوم في سوريا إلى أبسط حقوقه القومية المشروعة، لأن الأنظمة التي تتالت على سدة الحكم في سوريا منذ الاستقلال، لا تدخر جهداً لطمس هوية الكرد وممارسة أبشع أساليب الاستبداد ضدهم. وبما أن الاستبداد هو: (أصل لكل فساد)[2]، على حد وصف الكواكبي، فهو – أي الاستبداد – ينمي في الانسان طلب التسفل بدلاً من الترقي، بعكس المناخ الديمقراطي الذي يفجر طاقات الشعب. يُروى مثلاً بأن شداد قال لابنه عنترة في حرب داحس والغبراء، عندما دارت الدائرة على قومه بني عبس:

---

(١)– محمد علي الأغا: الشورى والديمقراطية – ط١عام ١٩٨٣ – ص٢٤.

(٢)– عبدالرحمن الكواكبي: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد – دار النفائس – ط٣عام ١٩٩٣/ بيروت – ص٥٦.

– ويلك عنترة كرّ. أجابه العبد الأسود:

– إن العبد لا يحسن الكر والفر.

فقال له والده، الذي كان حتى ذلك التاريخ يرفض الاعتراف بابنه الأسود: كرّ، وانت حر.

عند ذلك انقضَّ عنترة على الأعداء، غير مبالٍ بالموت، فردهم عن قومه.

والسلطة المستبدة، كما يقول الكواكبي، لا بد أن تكون مستبدة: (في كل فروعها، من المستبد الأعظم إلى الشرطي إلى الفراش إلى كناس الشوارع)[1]. يختتم الكواكبي كلامه في الاستبداد في مبحث السعي للتخلص منه، قائلاً: (الأمة التي لا يشعر أكثرها بآلام الاستبداد، لا تستحق الحرية. إن الأمة التي ضربت عليها الذلة والمسكنة، حتى صارت كالبهائم أو دون البهائم، لا تسأل قط عن الحرية، وقد تنتقم ضد المستبد وذلك طلباً للانتقام من شخصه، لا طلباً للخلاص من الاستبداد، فلا تستفيد شيئاً، إنما تستبدل مرضاً بمرض، كمغص بصداع. وقد تقاوم المستبد بسوق مستبد آخر)[2].

المسألة التي باتت تسترعي انتباه القوى الديمقراطية على إختلاف منابتها، تتمثل في تذرع النظام القائم في سوريا بحجج واهية لتحرم الكرد من حقوقهم القومية المشروعة، بما في ذلك حق الترشيح والتصويت، ناهيك عن تجريد شريحة واسعة من حق المواطنة، وممارسة التمييز ضدهم، وقد تجرأ الصحفي علي محمود جديد فوضع الاصبع فوق الجرح، ولو بعد طول وقت، حين نشر مقالة في صحيفة الثورة، تناول فيها معاناة الأجانب والمكتومين من الكرد السوريين منذ عقود، مشيراً إلى/١٥٠/ ألف كردي: (يعيشون بحالة حرمان للحقوق المدنية والعسكرية، دون أن يقترفوا أي ذنب إطلاقاً)[3].

وفي الختام، لا بد من القول بأن الكرد قد ساهموا تاريخياً في بناء حضارة الاسلام والدفاع عن أرضهم وعرضهم في مواجهة الغزو الخارجي، وآخرها غزو (داعش) وأخواتها، مما يدعونا إلى تكرار القول بأن ما يجمع الكرد والعرب، بات يرقى بكل

---

(١)– عبدالرحمن الكواكبي – طبائع الاستبداد – مصدر سابق – ص٦٥.

(٢)– المصدر السابق – ص١٤٠و١٤١.

(٣)– راجع: صحيفة الثورة – العدد/١٠٩٤٣/ بتاريخ ١٩٩٩/٨/٥.

المقـاييس إلى مسـتوى الأخـوة التاريخيـة بحـق، وإدراك هـذه الحقيقـة يتطلـب مـن الطرفين تضافر الجهود للقضاء على الاستبداد وإقامة نظام تعددي ديمقراطي يتمتـع في ظله شعبنا الكردي بحقه في تقرير مصيره بنفسـه. فأمـة تضـطهد أمـة أخـرى، لا يمكن لها أن تكون حرة، وهذا عين ما قصده الخليفة عمـر بـن الخطـاب، حـين نطـق بقولته الشهيرة:«متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً». لكن مـا يؤسـف قوله، هو أن غالبيـة الفعاليـات السياسـية العربيـة في سـوريا، لا بـل وحتـى الثقافيـة والاجتماعية، لم تتخذ موقفاً يخالف مواقف النظام إزاء الكرد، وهـذه القضـية باتـت تؤرق الكرد اليوم، لكن في الوقت نفسه يقتضي الانصاف أنه كانت وفي كـل الظـروف أصواتاً، ولو خافتة، لم تتردد في قـول كلمـة الحـق، أنصـفت شـعبنا الكـردي، فلكـل هؤلاء، نقدم هذا الجهد المتواضع، عربون وفاء وتقدير ومحبة.

٣- مواقف القوى السياسية السورية:

كل الأحـزاب الـتي سـنلقي الضـوء علـى سياسـاتها تجـاه القضـية الكرديـة في سوريا تصنف في خانة الأحزاب العقائدية، ومنها: البعث، والحزب الشيوعي، وجماعة الاخوان المسلمين، والحزب القومي السوري الاجتمـاعي، وسـائر الأحـزاب المنضـوية تحت لواء«الجبهة الوطنية التقدمية»، والتي تدور في فلك البعث اليوم، فهي مازالـت لا تستسيغ مفاهيم "الشعب الكردي في سوريا" أو"المسألة التاريخية: الحـاق جـزء مـن كردستان بسوريا"..الخ، وتعبترها مفردات ومفاهيم دخيلة، وكانت تغض الطرف عن ممارسات النظام بحق الكرد وقضيتهم العادلة، بمـا في ذلـك أحـزاب المعارضـة اليـوم التي تلجأ إلى التسويف أثناء تناول القضية الكردية إلى مابعـد اسـقاط النظـام، وهـذا التسويف ماهو سوى مصيدة جديدة مخيبـة للآمـال حقيقـة. ويجـدر الـذكر اسـتثناء حزب العمل الشـيوعي والتنويـه بموقفـه المتميـز والايجـابي والجـريء والواضـح مـن القضية الكردية عامة وفي سوريا خاصة.

أ ـ حزب البعث العربي الاشتراكي: أسسـه (ميشـيل عفلـق المسـيحي الرومـي الارثوذكسي، وزكي الارسوزي العلـوي مـن انطاكيـا، وصـلاح الـدين البيطـار المسـلم السني) في ٧ نيسان ١٩٤٧. ولا يخفى أنهم جميعاً قد نهلوا من معـين النازيـة وكـانوا من المعجبين بمُنَظِّرها ألفرد روزنبرغ ومن المشـبعين بفكـر نيتشـه، فقـد كـان عفلـق

(مروجاً نشطاً للنازية قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩– ١٩٤٥)[١]. في البداية أنشأ عفلق والبيطار حركة الاحياء العربي، ثم استبدلا التسمية بحركة البعث العربي، وقال الارسوزي أنهما قد سرقا كلمة البعث منه[٢]. وحين التقى عفلق والبيطار مع أكرم الحوراني، قرروا عام ١٩٥٣ دمج حزبي (البعث) و (العربي الاشتراكي) لتكوين حزب البعث العربي الاشتراكي.

وصاغ مؤسس البعث شعار:«أمة عربية واحدة، ذات رسالة خالدة»، كما حدد عفلق أهداف البعث في: الوحدة، والحرية والاشتراكية. وكان عفلق يؤكد بأنه يجب النظر إلى الاسلام في الواقع: (على أنه أسمى تعبير عن العروبة، وأن أحدهما قد تولّد من الآخر، فلا تناقض بينهما، وجادل في أن الاسلام كان من بدايته الأولى ديناً عربياً نزل بقرآن عربي، ويلبي حاجات عربية، وجاء مجسّداً لقيم عربية، وأطلق العرب لفتح العالم المعروف آنذاك)[٣]. وكان موقف عفلق متشدداً تجاه المكونات الأخرى كالكرد (ففي مؤتمر الحركات الوطنية في دول ساحل البحر المتوسط عام ١٩٥٧، أبدى عفلق موقفاً معارضاً لكلمة ممثلة الكرد في ذلك المؤتمر "روشن بدرخان"، رافضاً الاعتراف بوجود الشعب الكردي، وبوطن أسمه كردستان، الأمر الذي أدى برئيس الجلسة إلى التدخل قائلاً: كردستان موجودة، ونحن الانكليز قسمناها)[٤].

مرت على السوريين فترة تنفسوا فيها الصعداء، فبين ١٩٥٤– ١٩٥٨ شهدت البلاد تجربة ديمقراطية نسبياً، أجريت فيها انتخابات برلمانية، وانتعشت فيها الحريات الديمقراطية، مما انعكس بشكل ايجابي على الكرد. وفي الجلسة (١١) للبرلمان ١٢/١١/ ١٩٥٤طالب فيها النائب الكردي أحمد جعفر اسماعيل بتحديد بضع ساعات للبث باللغة الكردية يومياً من الاذاعة السورية، وكان من الممكن أن يتحقق: (لولا الضغوطات التي مارستها بعض الأحزاب السورية، ويأتي في مقدمتها حزب البعث العربي الاشتراكي)[٥].

---

(١)– نورالدين زازا (الدكتور): حياتي الكردية/ صرخة الشعب الكردي – مصدر سابق – ص١٠٧.

(٢)– باتريك سيل: الأسد والصراع على الشرق الأوسط – مصدر سابق – ص٥٦.

(٣)– المصدر السابق – ص٥٨.

(٤)– عبدالباسط سيدا (الدكتور): المسألة الكردية في سوريا – مصدر سابق – ص١٢٠.

(٥)– علي ميراني: الحركة القومية الكردية في كردستان سوريا – مصدر سابق – ص٩٥.

وفي حديث لميشيل عفلق، مؤسس حزب البعث والذي ينحدر من أسرة يونانية كما أسلفنا، قال: يحق للأكراد العيش مع العرب، دون المطالبة بأية حقوق أخرى. ويجدر الذكر أن اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ قوبلت بالاستنكار من قبل حزب البعث في سوريا، والذي اتّهم مثيله العراقي بالتنازل عن جزء من الأرض العربية والسعي لخلق اسرائيل ثانية...!. وكان عفلق يزعم أن كل مَنْ يسكن العالم العربي (الوطن العربي)، ويتكلم اللغة العربية، هو عربي، وهذا يذكرنا بموقف القذافي الذي أنكر وجود الأمازيغ من خلال عبارته المشهورة (كلنا مسلمون، كلنا عرب)..! وقد ألقى عفلق خطاباً في ١٠ حزيران ١٩٦٩ في بغداد، زعم أن الحركة الكردية في العراق على وجه التحديد جزء من المخطط الامبريالي..!

كما اعتاد البعثيون في سوريا والعراق على اجترار مقولات، مفادها:

١ـ كل انسان فان (مقدمة كبرى)

٢ـ سقراط انسان (مقدمة صغرى)

٣ـ اذن سقراط فان (نتيجة)

وعلى غرار هذه الخطاطة السالفة الذكر، بدأ غلاة الشوفينيين يضربون أخماساً بأسداس و نسج مقدمات كبرى وصغرى، بغية الوصول الى نتائج مشتهاة، تكون في النهاية على مقاسات ايديولوجيتهم المضللة، من قبيل:

١– الوطن العربي بلاد العرب (مقدمة كبرى)

٢– سوريا أو العراق جزءان من الوطن العربي (مقدمة صغرى)

٣– اذن كل من يسكن سوريا أو العراق عربي (نتيجة)

لستُ الآن بصدد مناقشة هذه الترهة غير المستوفاة للشروط التي يتطلبها المنطق السليم، والتي سبق أن نقضها من ذي قبل الدكتور علي الوردي، لكن يتضح لكل ذي بصيرة مدى التناقض الذي يكتنف الخطاطة الأخيرة، لأنها تبدأ من مقدمة خاطئة فمن الطبيعي أن تكون النتيجة خاطئة. وبعد استيلاء البعث على السلطة بانقلاب عسكري في كل من العراق وسوريا، تركزت سياسته على (صرف أنظار الشارع العربي عن قضاياه الداخلية و المعاشية، وعن حرياته الفردية والجماعية تضحية لأهداف "سامية كبيرة". أبدع هذا الحزب ونظامه الحاكم في سوريا، وكذلك في العراق، بخلق أعداء إفتراضيين، وغرس نظرية المؤامرة في تفكير الانسان العربي،

ليس في سوريا فقط، بل وعلى مستوى العالم العربي.. ولكون هذا الحزب لا يعترف في منطلقاته الفكرية بالدولة الوطنية، ويعمل على توحيد الأقطار العربية، بالتالي لم يكن لهذ الحزب برنامج وطني خاص بسوريا، وخلت أدبيات وبرامج هذا الحزب من عبارة الوطن السوري، فهو يستخدم القطر العربي السوري، كما أنه يرفض أن يعترف بأي مكون في المنطقة التي يسميها بالوطن العربي، بل ويعمل على صهرها بالقوة)[1]، وقد استهدف الكرد بغية صهرهم وتجريدهم من هويتهم في كل من سوريا والعراق، مثلما دعا إلى صهر المكونات الأخرى (الأمازيغ، الأقباط، الآشوريين، والسريان، والأقوام في جنوب السودان وغيرها).

أما زكي الارسوزي، المعلم الرائد للحزب وصاحب الدور الأبرز في انبثاقه، تضمن كتابه«الجمهورية المثلى» المطبوع في دار اليقظة العربية عام ١٩٦٥ آراء عنصرية وحاقدة ضد الكرد، فيزعم أنهم: (يقتاتون من فضلات الموائد على المزابل، وهم كالكلاب السوقة التي تصالبت في بنيتها شتى العروق، وهم دخلاء وأقذار، لكنهم ملة ضربت عليها الذلة والمسكنة)[2]، وسبق لمنظر البعث هذا أن تمادى في اتهام ابراهيم هنانو بالعمالة لفرنسا..! وقد تولى حافظ الأسد طباعة ونشر الأعمال الكاملة للأرسوزي، ومن ضمنها الكتاب المذكور عام ١٩٧٣ في مطابع الإدارة السياسية للجيش والقوات المسلحة بدمشق.

فحزب البعث، كحزب عقائدي انقلابي، منطلقاته النظرية تتسم باللاتاريخية وبالنزعة الشوفينية تجاه الكرد منذ نشأته، فمن الطبيعي أن يشعر الكرد في سوريا بأنهم مهددون ومستهدفون من حزب البعث منذ اليوم الأول[3]، فهاهو وزير الثقافة سليمان الخش في أول حكومة شكلها البعث، يكتب قبل تسنم البعث للسلطة محملاً الكرد والأرمن والشركس مسؤولية تقسيم فلسطين وسلخ اللواء عن سوريا، ويتنصل كعربي مما حدث، ويناشد الشباب العرب قائلاً: (أيها الشباب العربي، اذا زج بك يوماً في معركة مع الكيان الصهيوني، فلتكن رصاصتك الأولى الى رأس هؤلاء الخونة الأكراد – الأرمن – الشركس، عملاء المعسكرين ومكمن داء الأمة العربية ومصدر

(١)– عبدالباقي صالح اليوسف: الانفجار السوري – مصدر سابق – ص١٠٤.

(٢)– صلاح بدرالدين يتذكر – مصدر سابق – ص٧٠.

(٣)– نورالدين زازا (الدكتور): حياتي الكردية/ صرخة الشعب الكردي – مصدر سابق – ص١٠٨.

بلائها وعوامل نكبتها)[1]. ويسعى البعث منذ وصوله الى الحكم، الى تطويع الواقع وفق ايديولجيته بأي شكل، فأساء الى العرب والأمة العربية بممارساته وتدابيره الشوفينية. واستهدف البعث أول ما استهدف الهوية الكردية وقام بتهجير الكرد وجردهم من أرض آبائهم وأجدادهم من خلال: (مصادرة الأراضي الكردية تحت شعارات شتى، مثل الاصلاح الزراعي وتحديد سقف الملكية ومشاريع الري، والى ما هنالك من ذرائع ترمي جميعها الى نزع الأراضي من الأكراد وتسليمها الى العرب الذين جلبوا – بصرف النظر عن رغباتهم – من مناطق الرقة وحلب.. الخ)[2]، وأسكنهم في الأراضي التي سبق للسلطات أن استولت عليها، تحت اسم (مزارع الدولة) على شاكلة (السوفخوزات) السوفيتية، مما دفعت بالحزب الشيوعي الى التطبيل والتزمير لها، ولم يقتصر الأمر على الجزيرة فحسب، بل شملت كوبانى وعفرين وريف حلب الشمالي – الشرقي (مناطق الشهباء). ففي كوبانى (تم نقل المئات من الأسر العربية من منطقة تل أبيض وأسكنوا في قرى كردية أو أنشئت لهم قرى جديدة، وذلك في سعي أكيد للتحكم بغلبة العنصر العربي تحسباً لاحتمالات قادمة. من هذه القرى: حرية – ٨ آذار – هوالكو – عبدو كوي – أحمدية – جارخ عبدي – جبرلي – كوبرلك – بير كنو. أما في منطقة عفرين، فقد جلبت المئات من الأسر العربية من منطقة الباب وأسكنت في سهول جنديرس الخصبة حيث أنشئت لهم ١٨ قرية[3]. ومن نافل القول أن كل ذلك تم تساوقاً مع مقترحات محمد طلب هلال، الذي اتخذ من المنطلقات النظرية لحزب البعث دليل عمل له.

فدستور عام ١٩٧٣، الذي سنه البعث، وفرضه بالقوة على القوى السياسية والشعب بكل مكوناته، نص في مادته الأولى على المضي قدماً بتسمية سوريا بالجمهورية العربية السورية، ووصفها بالدولة الديمقراطية الشعبية والاشتراكية، والثانية بأنها جزء من الوطن العربي، والثالثة نصت على أن الشعب السوري جزء من الأمة العربية، أما الثامنة فأقرت على أن حزب البعث العربيي الاشتراكي، هو الحزب القائد في الدولة والمجتمع، ويقود جبهة وطنية تقدمية تعمل على توحيد

(١)– أنظر: مجلة الغد – الصادرة في حماه بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني ١٩٥٣.

(٢)– عبدالباسط سيدا(الدكتور): المسألة الكردية في سوريا – مصدر سابق – ص١٢١.

(٣)– المصدرالسابق – ص١٠٦.

طاقات جماهير الشعب ووضعها في خدمة أهداف الأمة العربية. من يتأمل هذه المواد فقط، سيتأكد من الطبيعة الشمولية لنظام البعث، ومدى تماديه في حجب الواقع. باختصار أقام البعث دولة شمولية، وكانت القضية الكردية تتبدى وفق منظوره كورم سرطاني يجب استئصاله، واختزل حقوق الشعب الكردي في خطابه الديماغوجي في حق المواطنة فقط، لكنه حتى على صعيد حق المواطنة جرده من حقه في المشاركة وتكافؤ الفرص مقارنة بالمكونات الأخرى، ومن مجرد مواطن في دولة الى مجرد ضيف وافد في نظر الشيوعيين والاخوان المسلمين، وضيف وافد وثقيل في نظر البعث يجب تجريده من هويته أو استئصاله بأي ثمن، وما زاد الطين بلة على هذا الصعيد ترسيخ هذه المفاهيم في ذهن عامة المواطنين السوريين وفي مقدمتهم العرب، حتى بات المفهوم الدارج للمواطنة هو المفهوم الذي صاغه البعث وفقاً لأيديولوجيته الشوفينية. أما المعارضة فان سقف الحقوق التي تقرها لشعبنا الكردي في سوريا لا يتعدى سقف المواطنة المجردة من الخصوصية القومية[١]، مما دفع بالجباعي الى القول: ان المشاركة في الوطن ينبع من اختيار حر وارادة حرة، والتي هي أساس العقد الاجتماعي، هذا العقد الذي ليس ولا يجوز أن يكون عقد اذعان، أو اجبار، أو قهر أو تذويب أو صهر، كعمليات التعريب الحمقاء التي مورست على غير العرب وخاصة الكرد[٢]. وما زال خريجو مدرسة البعث ويتاماها كسابق عهدهم يتنكرون لأبسط حقائق التاريخ، وفق منطقهم الشوفيني – الغوغائي، ويبدو أنهم لم يتعظوا بعد بما يجري في سوريا اليوم، ففي مؤتمر المؤرخين العرب الذي عقد في القاهرة في تشرين الثاني ٢٠١٣، قدم أكاديمي سوري بحثاً زعم فيه أن الكرد عرب وكردستان عربية، واعتكز في زعمه على فقه اللغة[٣].

ب – **الحزب الشيوعي:** حزب عقائدي آخر، لم يكترث يوماً بحقوق الكرد القومية، وكان يتهم الكرد المطالبين بحقوقهم القومية بالتعصب القومي، رغم أن

---

(١)– شفان آشتي: حقوق كرد سوريا بين الماضي والحاضر – مركز آشتي للدراسات والبحوث – عام ٢٠١٣ – ص٦(ينظر: الهامش).

(٢)– جاد كريم الجباعي: في المواطنة – موقع سؤال التنوير http: www.assuaal.net – تاريخ ٢٠١١/١٠/٨.

(٣)– محمود زايد(الدكتور): دولة كردستان المستقلة والمؤامرات الغربية والاقليمية لاجهاضها – مصدر سابق – ص٦.

أمينه العام خالد بكداش كان كردياً، وكان يوصف بعميد الشيوعيين العرب. وعن العوامل الداعمة لتأسيس هذا الحزب منذ البدء، جاء: (لابد من القول ان نشوء حزبنا – المقصود الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان – عام ١٩٢٤، لم يكن بفعل نشوء طبقة عاملة ثورية في ذلك الحين، بقدر ما كان صدى لثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى واشعاعها الكبير)[١].

ويمكن القول أن موقف الحزب الشيوعي السوري من القضية الكردية اكتنفه منذ البدء (الغموض والتجاهل والاهمال المتعمد)[٢]. وزعم الحزب في أول وثيقة له بأن الثورات الكردية في العراق، هي من نسج ومساعي الاستعمار. يُضاف الى هذا، بدأ الحزب يتعرب من حيث الجوهر، وكان فؤاد الشمالي من أبرز وجوهه قديماً، ولاقت مساعي تعريب الحزب دعماً من الكومنترن[٣].

وقد كتب خالد بكداش عام ١٩٣٥ تحت اسم حركي بتوقيع (رمزي) مقالة في مجلة (ريفيو ليوتسيوني فوستوك) السوفيتية، تحت عنوان (في سبيل صحافة عربية ثورية جماهيرية) ومما جاء فيها: (من الضروري مقاومة سياسة الامبريالية التي تستخدم الأقليات القومية لأهدافها الخاصة ضد حركة العرب الوطنية التحررية)[٤]. ويمضي بكداش قدماً في وصف سوريا المستقبل منذ عام ١٩٤٣، بأن سوريا الغد لن تكون: (الا وطناً مستقلاً ديمقراطياً يحيي الدور الذي قام به أجدادنا العرب في بناء المدنية الانسانية من مشرق الدنيا الى مغربها.. نحن بذلك أمناء لتاريخنا العربي، أمناء لبطل مثل خالد بن الوليد)[٥]. يضاف الى ذلك أن عميد الشيوعيين العرب لم يطالب إلا بـ: (الحقوق المدنية والثقافية للأقليات القومية) في سوريا، وكان هذا هو سقفه النهائي قبل أن يوارى الثرى..!. أجل، كان بكداش – فضلاً عن نزعته الكوسموبولوتية – يجهل تاريخ الكرد وجغرافيتهم، بدليل أنه قبل الوفاة، وفي كتابه

---

(١)– قضايا الخلاف في الحزب الشيوعي السوري – من منشورات دار ابن خلدون – بيروت ١٩٧٢– ص ٣٢١.

(٢)– نواف محمد مراد: موقف الحزب الشيوعي السوري من القضية الكردية في سوريا – مصدر سابق – ص٤٠و٤٨.

(٣)– المصدر السابق – ص٥٠.

(٤)– أنظر: مجلة دراسات اشتراكية – العدد٩– السنة السابعة٣٦– دمشق ١٩٨٤ – ص١٨١.

(٥)– أنظر: مجلة الطليعة/ السلسلة الجديدة – العدد٦٦/ العدد الثالث – دمشق ٢٠٠٧.

(خالد بكداش يتحدث)، يقول لـ (عماد نداف): أنظر الى الأكراد، لهم كيان سياسي في الاتحاد السوفييتي، عندهم حكم ذاتي[1]..!.

قد يتبادر الى ذهن القارئ سؤال مفاده: ما مسوِّغ التركيز على الحزب الشيوعي؟، أجيب: المسوغ الوحيد هو أن الكرد ومنذ البداية انخرطوا في صفوفه أفواجاً أفواجا، على أمل أن يكون مدافعاً أميناً عن قضيتهم كشعب ويدفع بالدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي الى مؤازرة القضية الكردية العادلة.

عود على بدء، لا مناص من القول أن أحد أهم الاشكالات التي واجهتها الماركسية، ممثلة بأحزابها الشيوعية في منطقتنا[2]، يتمثل قبل كل شيء في الموقف من القضية القومية عامة، والقضية الكردية على وجه الخصوص، ليس على مستوى الطرح النظري فحسب، بل على صعيد الممارسة العملية على نحو خاص. ولا نجانب الحقيقة إن قلنا بأن ثمة مفارقة كانت تكمن هاهنا على وجه التحديد، ألا وهي ان كل الكتابات التي تناولت موقف الشيوعيين المحليين والاقليميين أو السوفييت من القضية الكردية كانت رهن أساليب الاطراء والمداهنة أو المجاملة على أقل تقدير، وليس سبب هذه المفارقة هو جهل ممن تناول سياسة الشيوعيين إزاء قضية شعب مضطهَد كالشعب الكردي بتلك المواقف، بل يكمن بتقديري في تهيبهم من رد فعل المتزمتين من الشيوعيين ونظرتهم التي كانت تتسم بالعنجهية والتعالي إزاء حركة التحرر الكردية وقياداتها. وهاهو الوعي المعرفي اليوم يزداد رويداً رويداً بحقيقة تلك المواقف في أوساط الجماهير الكردية، كاشفاً القناع عن تلك النزعة الوصائية للشيوعيين، تلك التي كانت تتحصن بدرع ايديولوجي يصعب اختراقه في الماضي. إن النزعة المشار إليها آنفاً، أحجمت بسبب سطوتها الكثيرين عن الجهر بالحقيقة التي وصفها لينين بأنها وحدها ثورية. رغم أننا لا نعدم فيما مضى وجود أناس هنا

---

(١)– صح النوم يا أبا عمار، فأنت تتحدث عن تجربة كردستان الحمراء، التي نسفها ستالين منذ عام ١٩٣٧م (أحيل القارئ الكريم الى كردستان الحمراء التي تناولتها بالتفصيل في هذا البحث: الجزء الأول).

(٢)– المقصود هاهنا منطقة الشرق الأوسط، فرغم الاختلاف في تحديد هذا المصطلح جغرافياً، نود تحديد الاطار الجغرافي للشرق الوسط وفق العرف البريطاني بالمنطقة المحصورة بين مصر غرباً وأفغانستان شرقاً، والتي تتضمن فيما تتضمن أرض الكرد/ كردستان. للاستزادة بالمعلومات حول هذا المفهوم يمكن العودة إلى العدد/١٢٦/ من مجلة السياسة الدولية – القاهرة – ص٢٠٢.

وهناك، وقفوا من سياسة الشيوعيين والاتحاد السوفييتي ومنظومة الدول الاشتراكية تجاه القضية الكردية موقف المساءلة أو النقد إن لم نقل النقض ومورست ضدهم أساليب، أقل ما يقال فيها، أنها كانت صورة طبق الأصل عن ممارسات الأنظمة التاتوليتارية.

لا أريد أن أستطرد كثيراً، لكن أحب أن أنوه بأن الصمت السائد في الأوساط السياسية الكردية حيال مثل هذه المواقف هو الذي حفزني على خوض غمار هذا الموضوع الشائك، رغم معرفتي المسبقة بما يسببه تناول موضوع كهذا من رد فعل مصحوب بشتى العبارات ذات العيار الثقيل، تلك التي تزخر بها قواميس دعاة ذهنية التحريم وأصحاب الجمود العقائدي عادة، والتي عهدناها من ذي قبل. على أي حال سأمارس حقي في الاختلاف رغم معرفتي بأن ممارسة هذا الحق صعب المنال: (لا بسبب الخطاب السائد فحسب – كما يقول سيد البحراوي – بل لأن مجتمعنا الحديث قائم على نفي المختلف أو قمعه أو تهميشه؛ وهذا المجتمع هو نفسه الذي أنتج الخطاب السائد في ثقافتنا الحديثة والمعاصرة)[١]. يضاف الى النزعة الدوغمائية السالفة الذكر، التي أبتلي بها الحزب الشيوعي السوري (بجناحيه بكداش ويوسف فيصل). هناك مسألة أخرى في غاية الأهمية، أعني مسألة تبعيته المطلقة تجاه الحزب الشيوعي السوفييتي، في كافة القضايا، خصوصاً في بدعة مسألة التطور اللارأسمالي، فهذا المصطلح ربما كان له مبرره في واقع منغوليا، التي انتقلت من مرحلة ما قبل الرأسمالية الى الاشتراكية، وهذه التجربة بحاجة الى مزيد من البحث والتقييم من قبل أهل الاختصاص، فهي – أي التجربة – لا تصح في الواقعين السوري والعراقي، لأن البلدين قد قطعا شوطاً في طريق التطور الرأسمالي. إن فحوى مفهوم التطور اللارأسمالي كان يعني بناء الآمال على تحول هذه الأنظمة البرجوازية الى أنظمة اشتراكية، حتى وصل الأمر بالشيوعيين المصريين حل حزبهم عام ١٩٦٤[٢]، فرغم تعويل السوفييت على دور البرجوازية في هكذا تحول، لم يمس جوهر العلاقات الاجتماعية القائمة على الاستغلال الطفيلي – البيروقراطي، وتبين فيما بعد خرافة هذا الوهم وسذاجته.

---

(١)– أنظر: مجلة الآداب البيروتية – العدد ٥/٦عام ١٩٩٧.

(٢)– بهاء نوري: في تقييم سياسة الحزب الشيوعي العراقي(١٩٥٨– ١٩٩١)/ مأزق الحركة الشيوعية في العراق ـ ط ٤ كانون أول ١٩٩١ – ص٧٧.

بالرغم من تعرض بلاد الكرد/ كردستان لشتى الغزوات من قبل الطامعين من حين لآخر، إلا أن القبائل الكردية حافظت على شبه استقلال ذاتي في العصر الوسيط (الاسلامي)، إلى ان تعرضت كردستان لمؤامرة مزدوجة: **الأولى** – اقليمية تمثلت في اقتسام كردستان لأول مرة بين كل من شاه ايران (عباس الصفوي) والسلطان العثماني (مراد الرابع) عقب معركة تشالديران، وكانت الدولتان (الصفوية والعثمانية) تقمعان باستمرار الانتفاضات الكردية بقسوة وبمنتهى الوحشية وتحسنان استغلال التناقضات القَبَلِيّة على أحسن مايكون. **الثانية** – دولية تجسدت في ابرام اتفاقية سايكس – بيكو وملحقاتها، والتي بموجبها أعاد الضواري اقتسام المنطقة إلى مناطق نفوذ وفق ماتقتضيه المصالح السياسية والاقتصادية والاستراتيجية وتوازن القوى، وكان لموقع كردستان الهام وغناها بالثروات الباطنية وفي مقدمتها النفط أثر خاص في اهتمام الدول العظمى بهذه المنطقة ذات الأهمية الجيوبولوتيكية المتزايدة، وبنتيجة ذلك ألحقت كردستان بالكيانات السياسية المجاورة غير مبالية بما سيسببه هذا الانتهاك للوحدة الجغرافية لأرض الكرد من توزعهم بين عدد من الكيانات السياسية، وفق الجدول التالي:

الدولة	المساحة الملحقة بها	عدد الكرد فيها (تقديرات١٩٩٠)	نسبتهم
تركيا	٢٢٥ ألف كم٢	١٨.٠٠٠.٠٠٠ ن	٣٠٪
ايران	١٥٠ ألف كم٢	٦.٤٠٠.٠٠٠ ن	١٦٪
العراق	٧٥ ألف كم٢	٥.٦٠٠.٠٠٠ ن	٢٨٪
سوريا	١٨ ألف كم٢	١.٧٥٠.٠٠٠ ن	٢٠٪

إن إقتسام المنطقة (ومن ضمنها كردستان) وفق حدود سياسية لم تراع في وضعها لا ارادة الكرد ولا الاختلافات الاثنية، أدى إلى:

أولاً– إلى تشتت عدد من الشعوب بين عدة كيانات سياسية، مثل: الكرد، الأرمن، البلوش، البشتون، العرب، الأذريين، الأمازيغ ..الخ.

ثانياً– ظهور دول متعددة القوميات، مثل: تركيا، ايران، العراق، سوريا، أفغانستان..الخ.

إن هذا الوضع عقد سائر القضايا القومية وفي مقدمتها القضية الكردية من جهة، وساعد على بروز التناقضات وتفاقمها مع مر الزمن من جهة أخرى، وهذا ما

يجب أخذه بالحسبان أثناء رسم تكتيك واستراتيجية حركة التحرر الكردية في هذه الساحة أو تلك.

يظهر لكل متتبع لتاريخ الحزب الشيوعي التركي تجاهله للقضية الكردية طيلة ستين سنة خلت، ويبدو أنه أعارها في الآونة الأخيرة اهتماماً ملحوظاً، هذا ما تبينه على الأقل تلك المقابلة التي أجرتها مجلة النهج مع حيدر كوتلو، التي دعا فيها إلى ضرووة ايجاد حل عادل للقضية الكردية في تركيا، على أن: (يتمتع الشعب الكردي بحق تقرير المصير)[1]، لكن الحزب الشيوعي التركي الذي تعرض للانشقاق، بدأ يتراجع بشقيه عن مواقفه وانكفأ على ذاته. ولم يكن موقف حزب تودة الايراني أفضل من موقف الحزب الشيوعي التركي البتة، لأنه هو الآخر اتخذ موقفاً يشوبه الغموض حتى أمد قريب، إلى أن حدد برنامجه عام ١٩٧٥، بأن الاضطهاد القومي هو نفي للديمقراطية، وطالب بالاعتراف بحقوق الأقليات القومية وضرورة منحها كافة الحقوق القومية والثقافية. أما الحزب الشيوعي العراقي فقد امتاز موقفه من بين مواقف سائر الشيوعيين المحليين بنوع من الموضوعية، لأنه أعار القضية اهتماماً ملحوظاً منذ تأسيسه، ويعد هذا الموقف بحق مفخرة الشيوعيين العراقيين. فمنذ مؤتمره الثاني ١٩٥٦، أكد الحزب الشيوعي العراقي بأن العراق يضم شعبين رئيسيين هما العرب والكرد، كما أقر أن العراق يضم جزءاً من كردستان، من هنا كان اعترافه بحق تقرير المصير للشعب الكردي واضحاً ومنسجماً مع مبادئه الأممية، أما عن خلفية هذا الموقف الرائع فليس هاهنا متسع من الوقت للاجابة على سؤال من هذا القبيل، بل يكفي القول أن لكل من فهد وعزيز محمد دورهما الايجابي في هذا الخصوص. لكن بالنسبة للأحزاب التي تجاهلت قضية شعبنا أو استصغرتها، فإن خلف موقفها تكمن بكل تأكيد، التبعية تجاه الأنظمة الحاكمة في دولها والتبعية المطلقة تجاه موسكو والكومنترن، لأن مثل هذه التبعية المزدوجة كرست – على حد قول عطية مسوح – اغتراب الاحزاب الشيوعية المحلية عن مجتمعاتها. ويمضي مسوح في إضفاء الضوء على التبعية تجاه موسكو والكومنترن، حيث غدت هذه الأحزاب: (مع السنين فروعاً لمركز أممي، تنفذ مايراه لا ماتراه، وتفكر بلغته واسلوبه لا بلغة شعبها واسلوبه، وتتيح له أن يتدخل حتى في أدق شؤونها الداخلية

(1)– أنظر: مجلة النهج – العدد ٧ – شباط ١٩٨٥.

وتقبل منـه الثـواب والعقـاب)[١]، ومـن الطبيعـي ان تـؤدي هـذه التبعيـة، كمـا يقـول الكاتب، إلى: (قتل روح الابداع في هذه الأحزاب وتدمير الوعي في صفوفها، فوقعت في مستنقع الضحالة الفكرية وهي تعلن تبنيها لفكر عملاق حقاً هو الفكر الماركسي)[٢].

مما يؤسف له أن النضال القومي الكردي وفق منظـار الشـيوعيين الأصـوليين في سـوريا وفِقْهَهـم، يُعَـدُّ نضـالاً متخلفـاً تجـاوزه الـزمن، وبـات PYD و PKK اليـوم يسيران على هذا النهج وفـق تحليـل عبـدالله أوجـلان في مانيفيسـتو الحضـارة (الأمـة الديمقراطية)، حتى باتت فكرة العدول عن النضـال القـومي تـراود أذهـان الكـثيرين. ومازلت أذكر ما كان يطرحه الشيوعيون الكرد في سـوريا مـن مفـاهيم وترّهـات علـى الكرد من بني جلدتهم حين يحتدم النقاش[٣] وينظرون بعين من الشك والريبـة لـدعاة القومية الكردية، زد على ذلك إن حدث و: (أفصح كردي عن نزعته القوميـة، إتّهمـوه بالتعصب وضيق الأفق)[٤]، أو بالعمالة لصالح الغرب والدوائر الامبريالية. ولـيس أدل على ما سبق ذكره ما قيـل في المجلـس الـوطني للحـزب الشـيوعي السـوري المنعقـد بدمشق عام ١٩٧١ في مناخ الجدل الدائر بـين مختلـف أطـراف النـزاع والكتـل داخـل الحزب يومئذ، التي أخذت تكيل تهماً لبعضها البعض ما أنـزل الله بهـا مـن سـلطان، مـن أبرزهـا علـى الاطـلاق تهمـة العمـل لصـالح الأقليـات الاثنيـة (الكـرد) والدينيـة (المسيحيين: الأرمن والسريان) بعـد أن ظهـر جليـاً لمـا لأبنـاء الأقليـات مـن دور لا يستهان به في تأسيس الخلايا الماركسية الأولى في العديد من الـدول، مثـل: اليهـود في مصـر، الأرمـن في لبنـان وسـوريا، الكـرد والآشـوريين في العـراق، الكـرد والأرمـن في سوريا...الخ. وليس بخافٍ أن الدافع من قبـل أبنـاء الأقليـات للانخـراط في صـفوف التنظيمات الشيوعية هنا وهناك، هو محاربـة الماركسـية للنزعـة العنصـرية ودعوتهـا للتآخي والمساواة ورفضها لأساليب الاضطهاد القومي والاستغلال الطبقي. وسنسوق

---

(١)- أنظر: مجلة الطريق اللبنانية - العدد ٢- آذار ١٩٩٤ - ص٩٦.

(٢)- المصدر السابق - ص٩٨.

(٣)- لا أخفي على القارىء بأنني كنت شيوعياً بـين عـامي ١٩٧٠- ١٩٨٨م، أي في مرحلـة شـبابي، ثـم تركت الحزب بمحض ارادتي لأسباب عدة، يعـد الموقـف مـن القضـية الكرديـة عامـة وحلبجـة بشـكل خاص أولاً، وتبعية الحزب وفقدانه لاستقلاليته بعد انضمامه للجبهـة الوطنيـة التقدميـة الـتي يقودهـا البعث ثانياً، من بين أبرز تلك الأسباب.

(٤)- نزار آغري: كاكا والجدار - مصدر سابق - ص٣٤.

هاهنا موقفين تم اتخاذهما في المجلس الوطني للحزب الشيوعي أثناء احتدام الصراع في الحزب الشيوعي السوري عقب مؤتمره الثالث ١٩٦٩، بين كتلتين: **الأولى** تزعمها بكداش و**الثانية** رياض الترك، بغية دفع التهمة عن بعض الشخصيات القيادية، وبالأخص خالد بكداش، الأمين العام للحزب الشيوعي السوري، الذي كان من بين مَن طالتهم سهام المنتقدين. إن الموقفين كفيلان بازاحة ورقة التين عن عورة كان صاحبها لا يكفُّ عن التبجح بطهارته الأممية (خصوصاً الشيوعيين من الأصول العربية)، وكشف النقاب عن وجه كوسموبولوتي مستتر تحت قناع اممي مزيف (خصوصاً الشيوعيين من الأصول الكردية):

أولاً- جاء في كلمة رمو شيخو الفرحة: (كلكم تعلمون أنه لولا وجودنا كمنظمة قوية في الجزيرة - المقصود هنا منظمة الحزب الشيوعي السوري في الجزيرة - لكان القوميون الكرد أقوى بكثير مما هم عليه الآن)[١]. وكان الحزب من المطبلين لتطبيق الحزام العربي في الجزيرة، كونه يهدف الى بناء الكولخوزات (المزارع التعاونية) والسوفخوزات (المزارع الحكومية)، وأدار ظهره أثناء توطين العرب الذين جيء بهم من الرقة وحلب في أخصب الأراضي الكردية في الجزيرة. وبما أن الشيء بالشيء يُذكر، فان الفلسطينيين سبق لهم أن رفضوا مشروعاً لتوطينهم في كردستان العراق وكردستان سوريا، وهذا ما أفصح عنه صلاح بدرالدين، قائلاً: (في احدى لقاءاتي مع الراحل ياسرعرفات بتونس، أبلغني معلومات في غاية الخطورة، مفادها أنه كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية، رفض طلبين منفصلين في أوقات مختلفة لكل من القيادة العراقية في عهد صدام حسين والقيادة السورية في عهد حافظ الأسد، لتوطين الفلسطينيين في المناطق الكردية بالبلدين. وأكد على أن النظامين كررا تقديماتهما لمرات عديدة، ولكننا رفضنا بشكل قاطع أن نتحول من موقع الضحية الى موقع الجلاد، لأن شعبنا عانى من الاقتلاع واحتلال الأرض وطرد السكان الأصليين، ونعلم خطورة وتبعات مثل هذه القضايا)[٢].

---

(١)- أنظر: المجلس الوطني للحزب الشيوعي السوري - دمشق ١٩٧١ - مقتطف من الكلمة التي ألقاها رمو شيخو/ كردي في المجلس.

(٢)- صلاح بدرالدين يتذكر - مصدر سابق - ص ١٨٨.

ثانياً– وتضمنت كلمة يعقوب كرّو العبارة التالية: (إن منظمة الجزيرة منظمة باسلة نمت وتطورت من خلال صراع طبقي حاد وحتى من خلال صراعها ضد الأفكار والميول القومية الكردية التي يحملها البارتي)[1]. وهذا يؤكد ماذهبنا إليه، حين صنفنا الحزب الشيوعي تحت يافطة القوى المناوئة للبارتي بعد تأسيسه عام ١٩٥٧.

وهكذا لعب ذينك الموقفين دور القشة التي قصمت ظهر البعير، فغدت تلك الصيغ الفضفاضة فيما يتعلق بالقضية الكردية في سوريا عاجزة عن حجب الحقائق التي أشارت بما يقطع الشك باليقين بأن الشيوعيين السوريين بكافة فصائلهم ومللهم ونحلهم قد لجأوا إلى أشكال الفكر العربي المسيطر وأيديولوجيا البعث السائدة، باستثناء حزب العمل الشيوعي ومنظمات القاعدة في فترات محدودة. والظاهر أن الخوف من أن يُرمى الشيوعي من أبناء هذه الأقلية او تلك بتهمة العمل لصالح الأمة المظلومة هو أحد أسرار تنكر الشخصيات القيادية ذات الأصل الكردي خصوصاً لكرديتها بمناسبة وبغير مناسبة وتشدقها بالقضايا العربية على حساب قضاياها. والمضحك المبكي – وشر البلية ما يُضحِك – إن المسخ العفوي للذات الكردية من قبل هؤلاء كان يجري في ظرف عصيب تهتز فيه: (دكة دفن الموتى)[2] دون أن تهتز لهم قصبة. لكن، بما أن النقد البناء يقتضي أول ما يقتضي النظر إلى النص المنقود – مهما بدا هزيلاً ومبتذلاً – بموضوعية، والحكم عليه بتَروٍّ؛ من هنا إرتأينا أن نستنطق الوثائق بداية، ليكون القارىء الكريم في صورة الموضوع. فالمتمعن في أدبيات الشيوعيين السوريين سيلفت نظره تجاوز الشيوعيين السوريين القضية الكردية، تحت حجة أولوية المهام الطبقية (أعني المسألة الاجتماعية) تارة أو أولوية المهام الوطنية (أعني السورية) والأممية تارة أخرى، لأن أول وثيقة برنامجية للحزب الشيوعي السوري طبعت عام ١٩٣١ كانت تحت عنوان: (لماذا يناضل الحزب الشيوعي السوري – غايته وشيء من بروغرامه)، لم تتضمن سوى بعض الحقوق المدنية، مثل: المساواة والتآخي بين المواطنين. وإذا ما تصفحنا كتاب (خالد

---

[1]– أنظر: المجلس الوطني للحزب الشيوعي السوري – دمشق ١٩٧١ – مقتطف من الكلمة التي ألقاها يعقوب كرو/ مسيحي في المجلس.

[2]– استعارة من الشاعر العراقي مظفر النواب.

بكداش يتحدث)، فسرعان ما ينكشف الستار عن خواء الاجابات التي أدلى بها عميد الشيوعيين العرب على أسئلة الصحفي عماد ندّاف، والمتميزة بنوع من الفجاجة، لأسباب ثلاثة: **الأول** – لتغاضيه عن أساليب التمييز العنصري بحق الشعب الكردي في سوريا وتجاهلها. **الثاني** – النظر إلى الشعب الكردي في سوريا بمنظار الأقلية أو مادون ذلك. **الثالث** – حصر حقوق هذا الشعب في بعض الحقوق الثقافية والمدنية في أفضل الأحوال.

ونظراً لتجاهل الشيوعيين السوريين وانحرافهم عن تعاليم ماركس ولينين فيما يتعلق بالمسائل القومية، وحق الشعوب في تقرير مصيرها، تناول عبدالرحمن ذبيحي[1] في كتيبه:«الرد على الكوسموبوليتية»، موقف الحزب الشيوعي السوري وتجاهله لمعاناة الشعب الكردي منذ عقود.

إن أكثر المواقف خسة، هي تلك التي تعتمد الازدواجية في المعايير أو الكيل بمكيالين مختلفين أثناء تناول قضايا متشابهة، كأن يتحدث أحدهم بوضوح مابعده وضوح عن الانتهاكات التي ترتكب في مكان ما، ويغض الطرف في الوقت نفسه عما يجري في مكان آخر. فالمشكلة، أية مشكلة كانت، لا يمكن تجاوزها من خلال الديماغوجيا مهما بلغ صاحبها من الفطنة والدهاء السياسي أو البلاغة وشقشقات الخطابة. لذا، أعتقد بأن عدم مراعاة خصوصية القضية الكردية من قبل الشيوعيين السوريين أو تناولها ضمن الأطر العامة والتعبير عن بعض الحقوق في هذا الظرف أو ذاك، بعبارات مقتضبة ومبهمة وتحتمل التأويل، أدى فيما أدى إلى ضعف الروح الأممية لدى الشيوعيين **أولاً**، وتسبب أيضاً في تراجع شعار التآخي العربي – الكردي في وعي الجماهير **ثانياً**، وأوقع الحزب في إرباكات مخجلة أثناء مواجهة الجماهير الكردية التي كانت تستفهم مستغربة عن أسباب انتهاج الشيوعيين السوريين سياسة كانت ترمي دوماً إلى استصغار الشأن الكردي هنا أو هناك إنسياقاً وراء الوصفات السوفيتية أو البعثية بعد دخوله الجبهة **ثالثاً**.

وتباينت المواقف حتى إزاء مسألة الفيدرالية التي أعلنت في كردستان العراق أشد التباين وتعارضت إلى حد التناقض، رغم أن وقائع التاريخ عراقياً وعالمياً قد أثبتت لكل ذي بصيرة بأن الحل الأمثل للمشكلة الكردية في بلد كالعراق، وحتى في

---

(1)– من كردستان ايران.

بلد مثل سوريا يتطلب قبول الفيدرالية بالصيغة المطروحة حالياً: (على اعتبار أن العراق بحدوده الدولية الحالية يضم جزءاً من الوطن العربي، وجزءاً من الوطن الكردي، وهذا يستلزم وجود إقليمين عربي وكردي، ضمن الكيان العراقي الفيدرالي الموحد)[1]، ويصح مثل هذا القول في الشأن السوري، لأن تجربة الدولة المركزية الفاشلة المقامة منذ الجلاء، تدحضها اليوم ثورات الربيع العربي منذ انطلاقتها، وإن تعثرت بفعل التدخل الخارجي وما واكبتها.

ومن المعلوم أن هذه المواقف المتباينة في الأوساط الشيوعية قد توزعت مابين موقف شوفيني متشدد (ميشيل كيلو وجناح يوسف الفيصل)، وموقف دوغمائي يضرب بارادة الشعب الكردي عرض الحائط (الدكتورعبدالرزاق عيد وجناح خالد بكداش)، وموقف منصف على صعيد الأفراد أو بعض المجموعات هنا وهناك، ممن استبعدوا عن مراكز القرار. ويأتي كيلو – وهو المتوهم بأنه منظّر لا يشق له غبار – في طليعة الاتجاه الأول، وبدا فاقداً لتوازنه ورزانته المعهودتين فور الاعلان عن الفيدرالية في العراق. حقيقة يبدو الارتهان لمنطق العصر ولعبر التاريخ في عرف أمثاله شيئاً غير منطقي، ولولا ذلك لما مضى – وهو الذي استبدت به الهيستيريا – مهدداً: (على أن يكون واضحاً لاسرائيل وايران والكرد والبابا وأمريكا وبريطانيا وفرنسا..الخ، أن العرب لن يسمحوا لأحد باستفراد أي بلد من بلدانهم، ولن يفرطوا بحبة تراب واحدة من أية أرض عربية أو بذرة من سيادة أية دولة عربية، تحت أية ذريعة كانت)[2]. وفي نفس السياق جاءت في مقالة له[3]: (كيف يمكن والحالة هذه، طرح شعار الفيدرالية والمباشرة بتطبيقها منذ الآن، بدلاً من العمل على توطيد وحدة العراق، في هذا الظرف بالذات، لمواجهة مخاطر النظام الديكتاتوري والتصدي له ؟. إن قراراً من هذا النوع، أي تحويل العراق إلى بلدٍ اتحادي مع دولة كردية اليوم وربما مع دولة شيعية غداً، هو قرار في أعلى درجة من درجات الخطورة، وهو يمس المصالح العليا لحركة التحرر الوطني العربية، ويهدد التوازنات القائمة في المنطقة،

---

(1)– أنظر: مجلة الثقافة الجديدة العراقية – العدد ٢٦٠– تجارب في النظام الفيدرالي – ص٨١.

(2)– أنظر: مجلة الوحدة – العدد ٩٩– كانون الأول ١٩٩٢.

(3)– أنظر: الأتراك يستبيحون شمال العراق، المنشورة في العدد ٤٧٤ من صحيفة نضال الشعب، لسان حال جماعة يوسف الفيصل عام ١٩٩٢.

ويخلق جرحاً جديداً نازفاً إلى جانب الجراحات التي تثخن جسد الوطن العربي).
يتجلى مما سبق قوله:

أ – أن كيلو وجماعة يوسف الفيصل يسيرون برؤيتهم الآنفة الذكر في أثر صاحب المقالة السيئة الصيت«من بلفور إلى ميجور» – علي عقلة عرسان – ويرددان ذات العبارات[1].

ب – إن وضع اسرائيل وايران والكرد..الخ في خانة واحدة، ماهو سوى تلك الاسطوانة المشروخة التي تردد صداها في عقد الستينات من القرن الماضي، تلك التي أكل عليها الدهر وشرب.

ج – أقل ما يقال في مثل هذا الموقف هو أنه يعد طعناً بشرعية المجلس الوطني الكردستاني/ البرلمان المنتخب، الذي أقر كشكل متطور من أشكال علاقة الاقليم بالعراق. ولست أدري ما وجه الخطر في مثل هذا الاجراء على المصالح العليا لحركة التحرر الوطني العربية ؟ وهل يعد تمتع الشعب الكردي بحقه في تقرير مصيرة أسوة بالشعوب الأخرى خطراً كما يتوهم هؤلاء ؟. وهاهم يعلنونها حرباً شعواء ضد الفيدرالية في سوريا أيضاً.

د– تبدو القطيعة مع الطرح اللينيني مما يتعلق بالمسائل القومية هاهنا جلية للعيان، من هنا يراودني سؤال مفاده: أما زالت الماركسية هي مرجعية الكثير من أدعياء الماركسية ؟.

أما المستعرب خالد بكداش[2]، فيقول: عندما ذهبت الى موسكو لأول مرة عام ١٩٣٤، وكان عمري ٢٢ سنة، سُئلت: ماهي قوميتك ؟ فقلت: أنا عربي[3]. كما تفتقت قريحته هو الآخر فيما يتعلق بموضوع الفيدرالية، فأخذ يدلي بدلوه، حين أجاب عن أحد الأسئلة الموجهة إليه فيما يتعلق بكردستان العراق بالقول: (نحن من أنصار الحكم الذاتي للكرد)[4]. أجل، كان بكداش يتحدث عن الوضع في العراق

---

(1)– علي عقلة عرسان، رئيس اتحاد الكتاب العرب يومئذ مقالته تلك، صحيفة الاسبوع الأدبي الدمشقية.

(2)– عذراً، فقد سبق أن صرح بعظمة لسانه بأنه من العرب المستعربة. راجع: خالد بكداش يتحدث – عماد نداف – ص٨٦ و٨٧.

(3)– عماد نداف: خالد بكداش يتحدث – دمشق عام ١٩٩٣ – ص٨٦.

(4)– المصدر السابق. عزيزي القارىء: مثل بكداش في ذلك كمثل أحد حراس إحدى البنايات التي دهنت جدرانها، والذي كان يردد كالببغاء: أوعا بويا، أوعا زيت، وهو ينبه المارة خوفاً من أن يتلطخوا

متناسياً أن الشعب الكردي في كردستان العراق، ومن خلال برلمانه المنتخب كان قد أعلن شعار الفيدرالية كشكل من أشكال ممارسة حق تقرير المصير وكأسلوب من أساليب التعايش بين الشعبين العربي والكردي، متجاهلاً موافقة ومباركة وتشجيع الفعاليات السياسية المعنية في العراق، بما في ذلك الحزب الشيوعي العراقي. إن الطرح البكداشي يعد بكل المقاييس طرحاً متخلفاً على الصعيد التاريخي في التحليل الأخير، وفي الوقت نفسه يعد خروجاً عن المنظومة النظرية للماركسية وخرقاً فظاً للشعار اللينيني:«حق الأمم في تقرير مصيرها».

إن دراسة الواقع الكردي بخصوصياته في كل من العراق وسوريا، وعبر صيرورته التاريخية، تجعلنا نستنتج كم من السذاجة في مثل هذا القول لاستيعاب معالم الرؤية الماركسية للقضايا القومية، وكم فيه من الذرائعية التي شكلت عقبة ردحاً من الزمن في وجه تطلعات شعبنا الكردي وإرادته الحرة. فالخطر، كل الخطر، يتهدد العراق وسوريا وغيرهما جراء الديكتاتورية والاستبداد، فهما علة العلل كما جاء في القرآن الكريم من تنديد بفرعون – على اعتبار أن الفرعونية كمصطلح قرآني يعادل الاستبداد والديكتاتورية – كما في الآية التالية: (إنَّ فرعونَ علا في الأرضِ وجعلَ أهلها شيَعاً يستضعِفُ طائفَة منهم يذبِّحُ أبناءهم وهو يستحي نساءهم إنه كان من المفسدين)[1].

إن الحل في رأي محمد عبد الجبار يكمن في الديمقراطية والفيدرالية، وأي تحفظ على هذين المفهومين يعني: (الموافقة على إعادة إنتاج الدولة العراقية، كما هي، وبصيغتها الحالية)[2]، ومثل ما صح هذا القول في العراق، يصح في سوريا أيضاً. وبعيداً عن المنطق الذي ينسج أفكاراً من وحي مخيلة مسكونة بنزعة شوفينية أو وصائية، أقول بعيداً عن ذلك كله، يطرح محمد عبدالجبار شكلين من أشكال الوحدة، **الأول** – تذوب فيه الخصائص الذاتية، مثل ذوبان خصائص الهيدروجين والأوكسيجين أثناء اتحادهما لتكوين الماء؛ وهو على يقين بأن هذا الشكل من

بالدهان، رغم أن سنوات مرت على التدهين، لكنه كان مواظباً على ترديد العبارة لأن شرف المهنة يتطلب ذلك..!.

([1])– سورة القصص – الآية: ٤.

([2])– أنظر: صحيفة الحياة – العدد ١١١٠٩– تاريخ ١٤ تموز ١٩٩٣.

الوحدة لم يتحقق في أي عصر من العصور وفي ظل أكثر الأنظمة شمولية (مثل الاتحاد السوفييتي في التاريخ المعاصر). **الثاني** – الشكل الطوعي، المبني على أساس حق تقرير المصير، أي حق الاتحاد وحق الانفصال في آن. يذكر التاريخ كيف طرحت الرأسمالية حلولاً لبعض القضايا القومية قديماً وحديثاً أكثر تقدماً وديمقراطية من حلول شيوعيينا للقضية الكردية. لا بأس أن نستشهد بمثالين في هذا الشأن:

الأول – يعود إلى عام ١٩٠٥، حين أجري استفتاء وبنتيجته انفصلت النرويج عن السويد.

الثاني – الفيدرالية القائمة بين كندا ومقاطعة كيبك. فالمقاطعة تتمتع بحكومتها وبرلمانها ولغتها الفرنسية التي تدرس في كافة مراحل التعليم إلى جانب الانكليزية، فضلاً عن نيلها لحقوقها الثقافية. كل هذا ولا أحد يتصور بأن هذا الأمر ينطوي على مخاطر تهدد الوحدة الوطنية؛ وحتى الانفصال ذاته لا يُعَدُّ في عرف الكنديين: (شبحاً أو مدعاة رعب، فمسألة الانفصال تناقش هناك في البرلمان والصحف والاذاعة والتلفزيون كحقيقة بديهية وكاحتمال قائم في أية لحظة)[1]. والأدهى من ذلك أن كندا قد عمدت إلى إجراء استفتاء حول إرادة الكيبكيين في الانفصال عنها أو بقائهم في ظل الفيدرالية، وكانت نتيجة الاستفتاء الذي جرى في ١٩٩٥/١٠/٣٠ بطريقة سلمية وديمقراطية رغبة ٥١٪ من الكيبكيين البقاء ضمن كندا الفيدرالية، بيد أن شيوعياً يدعي بأنه من أنصار الديمقراطية مثل الدكتور عبد الرزاق عيد يتهرب من الاجابة على سؤال يتعلق بالموقف من القضية الكردية طرحته عليه مجلة الحوار في أحد أعدادها الأخيرة.

قبل العودة إلى الجذور أقول، من الصعوبة بمكان أن يكون المرء بصورة الغبن الذي لحق بشعبنا جرّاء المواقف الآنفة الذكر قبل الاحتكام لكل من ماركس ولينين. من هنا رأيت في العودة إلى كليهما ضرورة لا مناص منها لكشف النقاب عن خواء منطق أدعياء الماركسية هاهنا وهشاشة مواقفهم إزاء القضية الكردية. فأين تكمن الاشكالية ؟. في المقاربات النظرية لكل من ماركس ولينين تجاه المسألة القومية أم في عوامل أخرى ؟.

---

[1]– نزار آغري: كاكا والجدار – مصدر سابق – ص٦٩و٧٠.

بداية يستدعي القول بأن موقف ماركس ولينين حيال المسألة القومية لم يخلُ من وهن رغم مرونة المنهج، لسببين إثنين: **أولهما**، هو الافتقار إلى نظرية حول الأمة، وهذا الأمر بحد ذاته لا يقلل من أهمية تلك المقاربات النظرية حول هذه المسألة من لدنهما. **وثانيهما**، هو أولوية الاجتماعي/ الطبقي على القومي، تلك الموضوعة المطروحة في البيان الشيوعي المذيل بتوقيع ماركس وانجلس، والتي تلقفها الشيوعيون وعمموها بشكل ميكانيكي على امتداد الزمان/ التاريخ والمكان/ الجغرافيا. أعود فأقول، بالرغم مما سبق ذكره، اتّسم موقف ماركس، ومن ثم لينين بقدر كبير من المرونة حيال المسألة القومية؛ فالمستجدات التي طرأت على وضع الأمم المضطهِدة والأمم المضطهَدة في آن جعلتهما يعيدان النظر في موقفيهما باستمرار في ضوء تجارب محددة طبعاً. لذا، نجد أن ماركس الذي الذي كان يعتقد جازماً في بداية الأمر بأن مهمة تحرير ايرلندا تقع على كاهل الطبقة العاملة الانكليزية، سرعان ما طالب فيما بعد بضرورة تأييد انفصال ايرلندا، نتيجة تغير الظروف ووقوع الطبقة العاملة الانكليزية تحت تأثير الليبراليين، ناهيك عن الحركة القومية الايرلندية ذاتها التي أضحت أقوى من ذي قبل واتخذت أشكالاً ثورية؛ فكان الاستمرار في الموقف الأول من أفدح الأخطاء وفق قول ماركس. أما لينين، فقد أقر بحق الأمم والشعوب – كبيرها وصغيرها – في تقرير مصيرها، والمقصود هاهنا بحق تقرير المصير كما يراه لينين، هو: (انفصالها كدول عن مجموعات قومية أخرى، وبالطبع تأليفها دولاً قومية مستقلة)[1]. ومن هذا المنطلق أيد لينين انفصال النرويج عن أسوج/ السويد عام ١٩٠٥، مؤكداً بأن الاشتراكيين ـ الديمقراطيين (المقصود الشيوعيين آنئذٍ) الأسوج كانوا سيخونون قضيتي الاشتراكية والديمقراطية لو لم يدافعوا عن حق انفصال النرويج، لأنه – أي الانفصال – تجسيدٌ للمساواة الحقيقية على حد قوله، فالشيوعي في الأمة الظالمة عليه أن يربي نفسه تربية أممية، وعليه أن يدعو إلى حرية انفصال الأمم المظلومة، وإلا: (يحق لنا ويجب علينا – والكلام للينين – أن ندعوه امبريالياً ونذلاً)[2].

([1])– لينين: المختارات في ١٠ مجلدات بالعربية – دار التقدم/ موسكو – المجلد ٥ – ص١٤٦.

([2])– لينين: المختارات في ١٠ مجلدات بالعربية – دار التقدم/ موسكو – المجلد ٦– ص١٢١.

وأحب أن أنوه أخيراً، في الوقت الذي كانت فيه الثورة البروليتارية هي المعيار الذي كان ماركس يحدد موقفه من أية حركة قومية على أساسه، نجد أن لينين قد اتخذ الموقف من الامبريالية أساساً للحكم على تلك الحركات، منوهاً في الوقت ذاته بأن الاقرار بحق الطلاق لا يعني وجوبه بالضرورة، من هنا يمكن فهم موقفه المؤيد لحق الأمم المضطهَدة (بولونيا، أوكرانيا، فنلندا) في الانفصال عن روسيا من جانب، وحثه أبناء تلك الأمم المذكورة على النضال من أجل الوحدة من جانب آخر. فرغم الاشكالية التي رافقت تجربة لينين فيما يتعلق بالمسألة القومية جرّاء تبدل الظروف، فانها – أي تجربة لينين – كانت ذات قيمة تاريخية لا يستهان بها. في الوقت نفسه نجده يحذر شيوعيي البلدان الأخرى من مغبة اتباع: (النموذج الروسي ميكانيكياً ودون إعمال الفكر)[1]، وعارض تلك المحاولات المبتذلة التي كانت تبذل لاضفاء صفة الاطلاق على تجربة البلاشفة.

أن العرض المسهب السابق لمواقف كل من ماركس ولينين بصدد موقفيهما من المسألة القومية على صعيد النظرية ومن ثم التطبيق كان ضرورياً بقناعتي ليس لتلمس مواطن الخلل في موقفيهما فحسب، بل بغية الاشارة إلى ماتراكم من صدأ على أسنان شيوعيينا ممن أنكروا المسألة القومية باسم الثورة الاجتماعية وتمادوا في ذلك، وكانت الخلفية المرجعية لمثل هذه المواقف في نظري هي تلك الأحكام المبتسرة التي دونها ستالين في كتيبه "الماركسية والمسألة القومية"، ذاك المؤلَف الذي يُعَدُّ مسخاً فظاً لرؤية ماركس ولينين التاريخية للمسألة القومية وفهماً ميكانيكياً لها؛ ولعل مصدر الخطأ الذي ارتكبته الماركسية المحلية هو استخدامها لتعاليم ماركس ولينين: (كقوالب جامدة، جاهزة، ونقل بعض خبراتها التطبيقية نقلاً آلياً، خروجاً عن حقيقتها كمنهج للدراسة العينية المحددة للواقع العيني المحدد، واستلهام هذه الدراسة واختبارها وتنميتها بالنضال الجماهيري)[2].

ورغبة مني في تحليل خلفية هذه المواقف غير المتسقة تاريخياً من قبل الشيوعيين تجاه القضية الكردية محلياً واقليمياً وعالمياً، لابد من التنويه بأن العجز الذي حال دون مقاربة الواقع الكردي، سببته معضلتان أساسيتان تتمثلان في:

---

(1)– أ. ويزنيكوف: الكومنترن والشرق/ الاستراتيجية والتكتيك – مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي – ط١عام ١٩٨٧ – ص٢٦٠.

(2)– محمود أمين العالم: ماركيوز أو فلسفة الطريق المسدود – دار الآداب/ بيروت عام ١٩٧٢ – ص١٥.

أولاً – تلك النظرة الشمولية إلى النصوص الماركسية وقراءتها قراءة ايمانية ومن ثم إضفاء هالة من القداسة عليها، حتى إرتقت إلى مصافي النصوص المقدسة، بعد أن أستلت من سياقها التاريخي، إلى الحد الذي غدت تلك النظرة **"مُسَتْلَنة"**[1] بحق، وأضحت القراءة المذكورة أحد أشكال القطيعة الابستمولوجية مع الفكر الماركسي، مما انعكس سلباً على الخطاب الشيوعي الذي اتصف بالكثير من الضحالة في الآونة الأخيرة من جهة وبالتبريرية إلى درجة الافتقار وإلى الحد الأدنى من الدقة والصراحة والاستقلالية من جهة أخرى، ناهيك عن آلية (ميكانزم) التناول، التي كانت بمثابة تأويل ساذج للمادية التاريخية وقوانينها وتنم عن قصور معرفي في فهم كينونتها.

ثانياً – اللجوء إلى الايديولوجيات السائدة، أعني أيديولوجيات الأمم المضطهِدة أو السائدة ذات النزعة الشوفينية والارتواء من معينها أو وفق وصف الدكتور نورالدين زازا كانت الأحزاب الشيوعية (تنتهج شوفينية الأغلبية في البلدان التي كانت تضم كردستان)[2]، فكان هذا اللجوء في أفضل الحالات إنزلاق إلى مواقع الفكر المسيطر مما ترتب على ذلك انهيار كل المقومات التي ارتكز عليها الشيوعيون للتباهي بأمميتهم[3]، فكان مثلهم في ذلك كمثل انصار الأممية الثانية الذين وقفوا إلى جانب أنظمتهم في الحرب العالمية الأولى.

بالنسبة للحزب الشيوعي السوري، انصب اهتمامه على القضايا العربية وحسب تصور زعيمه خالد بكداش[4]، أنه يجب: (على الكرد أن ينسوا ذاتيتهم، وينخرطوا في الحزب الشيوعي، ويناضلوا من أجل وحدة وعظمة الأمة العربية)[5]. ومما يؤخذ أيضاً على الشيوعية المحلية هو قصورها في استيعاب الماركسية نتيجة العقلية الدوغمائية التي سادت مجموع الحركة الشيوعية والعمالية في مرحلة الحرب الباردة على نحو خاص، ومحاولاتها الحثيثة لاقناع المضطهَدين الكرد بانتظار اليوم

---

(1)– الكلمة مشتقة من اسم ستالين.

(2)– نورالدين زازا (الدكتور): حياتي الكردية – مصدر سابق – ص١٠٢.

(3)– مرة أخرى نستثني الحزب الشيوعي العراقي وحزب العمل الشيوعي في سوريا.

(4)– كان ستالينياً وعنيداً، ذو شخصية قوية وكان خطيباً موهوباً – وهو دمشقي من أصل كردي.

(5)– نورالدين زازا (الدكتور): حياتي الكردية – المصدر السابق – ص١٠٢.

الذي ستحل فيه الاشتراكية وتتحقق فيه الجنة الموعودة تلقائياً، وهذا كافٍ لوصم هذه الرؤية بـ (اليوتوبيا) الشبيهة تماماً باليوتوبيات الدينية. مما يدفعني هذا الأمر إلى ترديد مقولة أدونيس: "الماركسية تصبح متخلفة، حين تمر في ذهن متخلف".

إن آلية التفكير هذه في قراءة وتأويل النص الماركسي والتي اقترنت باهدار السياق التاريخي للنص واضفاء هالة من القداسة عليه كما أسلفنا، سهل على الأنظمة التي تقتسم كردستان ذاتها توظيف النصوص الماركسية التي تناولت المسائل القومية لخدمتها واعتكزت عليها لتبرير الواقع المزري للشعب الكردي وديمومته.

يقتضي الانصاف هاهنا الإشارة الى موقف حزب العمل الشيوعي[1]، هذا الفصيل الذي قارب القضية الكردية في سوريا وتناولها بروح وطنية وأممية في برنامجه وحسم موقفه على هذا الصعيد بشكل إيجابي، لكنه – وبعد الضربات التي كالها النظام له – بدأ بالتراجع عن هذا الموقف.

ج – **أحزاب الوحدويين الاشتراكيين والاشتراكيين العرب والاتحاد الاشتراكي العربي (جناح صفوان قدسي):** أحزاب ناصرية عقائدية، مواقفها لا تختلف عن مواقف حزب البعث العربي الاشتراكي، باستثناء جمال الأتاسي الذي تميز بموقفه الايجابي بخلاف مواقف هؤلاء جميعا، فلم يبالِ بمحاولات الترغيب والتهديد من قبل لنظام، كما كان عبدالغني قنوت ايجابياً فيما يتعلق بحقوق الكرد مقارنة بالآخرين.

د – **الحزب القومي الاجتماعي السوري:** حزب عقائدي تزعمه انطوان سعادة، وهو مسيحي من أصل لبناني، يدعو إلى اقامة سوريا الكبرى (الأمة السورية أو القومية السورية). وتوجهات هذا الحزب في المآل الأخير تخدم القومية العربية، رغم اخفاء الحزب لمقاصده وأهدافه، فهو يجيد أداء مهارات بهلوانية على شاكلة لاعبي السيرك، فوفق منظوره: (يتحرك الأكراد من خلال قومية كبرى هي القومية السورية، داخل مفهوم يجسدها هو الأمة السورية، وبهذا الشكل الساذج، ولكن المبتذل أيضاً يجرِّد الأكراد من حضورهم القومي كشعب، ويظهر القومي السوري حاضنَ قضيتهم)[2].

---

(١)– رابطة العمل الشيوعي سابقاً.

(٢)– ابراهيم محمود: صورة الأكراد عربياً بعد حرب الخليج – مصدر سابق – ص١٢٤.

هـ – الاخـوان المسـلمين: حـزب عقائـدي، مـن أقـدم وأهـم أحـزاب الإسـلام السياسي في سوريا، تجاهل القضية الكردية طيلة أكثـر مـن نصـف قـرن، وهـداه الله مؤخراً في وضع ما سمي بالمشروع السياسي لسوريا المسـتقبل، وأعـد وثيقـة/ رؤيـة عام ٢٠٠٥ نشـرها في ١٤ أيلـول ٢٠١٣. الوثيقـة/ الرؤيـة، تتنـاول القضـية الكرديـة في سوريا، وتنص على النقاط التالية:

١ـ ادانة السياسات العنصرية التي مورست وتمارس ضد الأخوة الكرد.

٢– انهاء معاناة الآلاف من المواطنين الأكـراد، الـذين حرمـوا مـن الجنسـية أو جرّدوا منها.

٣– الاعـتراف بالخصوصـية الكرديـة والحقـوق الثقافيـة للأخـوة المـواطنين الأكراد، في اطار وحدة الوطن وتماسكه.

٤– التعويض على المتضررين من السياسات والإجراءات العنصرية.

٥– اطلاق سراح جميع المعتقلين والموقوفين على خلفية أحداث ١٢ آذار ٢٠٠٤ وتداعياتها.

والمتأمل في نص الوثيقة/ الرؤية، يلحظ ما يلي:

أ ـ تناول القضية بصفتها قضية مواطنة ليس أكثر، وبالتالي تم التركيـز علـى بناء دولة المواطنة (التعاقدية، التعددية، المؤسساتية، التداولية)، وخلـت مـن صـفة (الديمقراطيـة)، مدعيـة أن الانتمـاء الإسـلامي للكـرد يعـزز انتمـاءهم الـوطني، وهـذا يخالف واقع الكرد في الماضي والحاضر، الذين كـانوا ومـازالوا مهمشـين، وتمـارس في حقهم سياسات التمييز، ويصنفون كمواطنين مـن الدرجـة الثانيـة علـى أقـل تقـدير. وخلت الوثيقة من مفهوم (الشعب الكردي)، ولم تتطرق الرؤيـة الى حقوقـه باسـتثناء حقوق المواطنة والحقوق الثقافية، مثلـهم في ذلـك كمثـل الحـزب الشـيوعي، حيـث تم التغاضي عند الطرفين عن الحقـوق السياسـية. ب ـ أمـا الجانـب الإيجـابي فتمثـل في اعتبار (المواطنين الأكراد)[1] مكون أصيل مـن مكونـات الشـعب السـوري، يعيشـون على أرضهم التاريخية، وهذا ما تفوه به الرئيس السوري بشار الأسد أيضاً أكثر مـن مرة، حين قال: ان الكرد جزء من النسيج السوري، وهم متواجدون على هذه الأرض

(1)– رغم تحفظنا على هذا المفهوم (أقصد الأكراد)... وقد سبق أن أوضحت ذلك في نهاية الفصـل الأول من الجزء الأول لبحثنا هذا، لذا يرجى العودة إلى الفقرة المتعلقة بالأمر تجنباً للتكرار.

منذ مئات السنين. كما أدانت الوثيقة السياسات العنصرية التي مورست وتمارس بحق الكرد، وأكدت على انهاء معاناة الكرد الذين جردوا من الجنسية، والتعويض على المتضررين من الإجراءات العنصرية، واطلاق سراح المعتقلين والموقوفين على خلفية أحداث ١٢ آذار ٢٠٠٤، رغم أن الوثيقة حين نشرت على الملأ كانت مشكلة المجردين قد حلت، وسبق أن أطلق سراح معظم الموقوفين.

وهكذا ترى أن القوى السياسية العربية والاسلامية في سوريا مازالت تعزف تلك المقامات التي أنتجها البعث ومازالت أسيرة سياساته، ولا تمتلك مشروعاً وطنياً ديمقراطياً واضحاً فيما يخص القضية الكردية في سوريا، وتخلو برامجها حتى من الاشارة الى الحقوق القومية للكرد، مما يدعو هذا الأمر الى القلق.

٤ـ مواقف النخب الثقافية والفكرية العربية:

"إنْ ناقشت شاعر الأمير أو أحد مثقفي السلطة، سيجدُ ألف تبرير لأخطائها، ويظل يهذي، ويثرثر، فهو يعتبرُ أدنى نقد للسلطة التي ترعاه، تهديداً لمصلحته الخاصة"

(عبدالكريم يحيى الزيباري)

إن قراءة التاريخ من موقع الايديولوجيا السائدة وعبر منظارها البائس، ستظل عاجزة عن مقاربة الواقع وتشخيصه، مهما ادّعى صاحبها الموضوعية أو مهما تستر تحت يافطة العقلانية وما شابههما، لأن قراءة أي حدث تاريخي من هذا الموقع ستجرده من كامل شروطه التاريخية، ولا يُخفى ما في مثل هذا التناول من إفقار للواقع أو إبتذال للقضية موضوع البحث، سيما إذا كانت قضية سياسية شائكة بحجم القضية الكردية؛ ذلك هو الاطار العام لاشكالية تناول القضية الكردية من لدن شريحة واسعة من النخب الثقافية والفكرية العربية بوصفها منتجة للايديولوجيا كسلاح في مواجهة الآخر (الكردي)، لوأد طموحه المشروع من أجل الانعتاق القومي، حتى قيل فيهم أنهم كالخفافيش تستنسر في سماوات الكرد. ولئلا نسترسل في هذا المجال، والذي أظن أنه يدخل في باب البديهيات لكل ذي بصيرة، سنسلط الضوء على عدد من القراءات المؤدلجة، تخص ثلة من متفقهي النظام أو الدائرين في فلكه، سبق لها أن تناولت قضية شعبنا العادلة وفق منظار المستعبِد والمستبِد، باسلوب ديماغوجي قل نظيره، ونحن إذْ نعرّي النوايا الخبيثة لأصحابها والمغلفة بأنسجة

سداتها دموع التماسيح ولحمتها الايديولوجيا المزيفة، لا نتوخى من وراء ذلك سوى استنباط العِبَر، بغية استشراف المستقبل على أحسن ما يكون الاستشراف، لأن تجاهل دور تلك الخفافيش التي تستنسر في سمائنا، كان السبب المباشر في استمرارنا في المتاهة التي أوصلتنا إلى ذات الجحر الذي لدغنا منه مرات ومرات. وقد أجاد ابراهيم محمود في بحثه (صورة الأكراد عربياً بعد حرب الخليج) في إماطة اللثام عن هذه المهزلة، حين قال: (كان الكردي في عصور التاريخ المديدة، الشاهد والشهيد، الشاهد على ما كان يجري في "كردستان:ـه"، من نهب لخيراتها، ومحاولة تغيير معالمها الطبيعية والسياسية، والمدافع عنها)[1]، وأشار إلى جغرافية كردستان التي أغرت الآخرين لجعلها مجالاً حيوياً لأطماعهم، ولم يتأتَ لهم التحكم بها بيسر إلا بعد تفتيتها أو بلقنتها وصَوْمَلتها، فكانت مساعي الامبراطورية الأرمنية تستهدف (أرْمَنَة) كردستان وفرض المسيحية على سكانها، والساسانية تسعى لفرض المزدكيه على الكرد، والجيوش العربية التي اقتحمت أرض الكرد في ظل راية الاسلام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب استهدفت بدورها تعريبها وأسلمتها، ثم الصراع العثماني – الصفوي، لفرض التسنن أو التشيع على سكانها؛ باختصار، أراد كل غازٍ تجريد الكردي من كرديته عنوة، من هنا تحولت كردستان إلى ساحة صراع بين قوى شتى على مدى قرون، فواجه الكردي هذا العنف بعنف، على مبدأ الفعل ورد الفعل (ولهذا يبرز عنف الكردي لا تعبيراً عن همجية فيه، وانما لتصفية كل عنف يبتغي انهاءه)[2]، وكان الكرد ومازالوا منذ قرون محَارَبون ومَقموعون تحت شتى الذرائع، من خلال تشويه التاريخ وتزييف الواقع وتغييب الحقيقة. فهاهو الدكتور سهيل الزكار[3]، يقول في محاضرته التي ألقاها تحت عنوان: (مفهوم الأقليات ومدى انطباقه على الوطن العربي)[4]: (تعيش على أرض الوطن العربي بامتداد جغرافي

([1])– ابراهيم محمود: صورة الأكراد عربياً بعد حرب الخليج – مصدر سابق – ص١٢.

([2])– المصدر السابق – ص١٨.

([3])– الذي كان يومها نائب رئيس اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة وعضو لجنة كتابة التاريخ بسوريا واستاذ التاريخ بجامعة دمشق، وكان يحاضر في المركز العربي للدراسات الاستراتيجية بدمشق، الذي كان الرئيس السوري حافظ الأسد يرعاه.

([4])– نشرت المحاضرة في جريدة المستقلة الاسبوعية، التي كانت تصدر في لندن/ العدد ٧٣ تاريخ ١٩٩٥/١٠/٢.

متجانس أمة متجانسة.. انها خير أمة أخرجت للناس .. كثيراً ما شخصت لها من الخارج أمراض كثيرة تباينت في تقدير خطورتها، كان آخرها ما دُعي بمشكلة الأقلية.. الحقيقة، نحن كأمة عربية لا نعاني في داخل الوطن العربي من وجود جيوب قومية، وانما نعاني من وجود أقليات عربية، وجدت على الطرف الآخر من بعض أطراف الحدود.. مثلاً مشكلة اسكندرونة). ويمضي الزكار في تُرّهاته: (بعض الناس يظنون أن الأكراد في سوريا من أيام صلاح الدين، وهذا خطأ.. مشكلة الأكراد في سوريا تعود إلى أواخر العصر العثماني، وجُلّها إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى .. لم يكن في الجزيرة أكراد، ولم يستقر الأكراد في الجزيرة قط. في الثلاثينات قامت بالأناضول ثورة شيخ سعيد.. وبدأوا سياسة تنكيل ضد الأكراد وضد الأرمن، سوريا فتحت أبوابها واستقبلت عدداً كبيراً من الأرمن ومنحتهم المأمن والملجأ، وأيضاً استقبلت الأكراد.. ولما أعلن عن تقسيم سوريا إلى دويلات، طالب عضو مجلس النواب من الأكراد السلطات الفرنسية باعلان جمهورية كردية في عفرين.. واذا بنا نفاجأ بمشكلة اسرائيل جديدة[1].. ليس هناك الآن دولة أو أمة قومية كردية ولن يكون، أولاً الأكراد لا يشكلون وحدة اثنية، ولا وحدة لغوية، ولم يُنشئوا قط حضارة ولا ثقافة.. وفكرة الأقليات في الوطن العربي، ليست إلا وهماً مستورداً) !. هذا القول هو تعبير عن الأزمة التي تعيشها "دولة البعث"، الدولة المركزية والنظام الشمولي في سوريا، وتعبير عن الرؤية الأحادية الشوفينية المقيتة التي ورثناها طوال عقود من الاستبداد، وتعتكز على الايديولوجيا الاسلاموية – العروبية التي تنفي الآخر، وعلى ثقافة التخوين والتهويل التي أكل عليها الدهر وشرب. ويبدو أن الزكار: (لم يتقن الدرس الذي تلقاه كما يجب، لذا فهو يثير الغبار الكثيف حتى تنعدم الرؤية، ولا يتبين الخطأ من الصواب، ليغطي على أطروحاته الهادفة إلى الاساءة للكرد وخلق جو من الكراهية القومية إزاءهم بين أوساط الرأي العام العربي)[2].

فيما يلي مقاربة لكتابات بائسة ومواقف سلبية، لنخبة من السياسيين والمفكرين والمثقفين والفنانين العرب، على شاكلة مَعْتوه المؤرخين العرب السالف

---

(1)– ملاحظة: هنا يتحدث عن كردستان العراق التي انتزعت الفيدرالية. نتساءل: ألا يعيد صاحبنا نفس اسطوانة محمد طلب هلال ؟.

(2)– عبد الحميد درويش: لمحة تاريخية عن أكراد الجزيرة – مصدر سابق – ص٤٣و٤٤.

الذكر، تمتاز بقدر من الهشاشة وكثير من الخواء تجاه الكرد وقضيتهم العادلة، في الوقت الذي يتباكون فيه على قضايا جرت في بلاد الواق واق، أو يتباهون ببطولات طاغيةٍ دمّر الحرث والنسل، بصفته المهدي المنظر، وفق زعمهم. فهل هذا ناجم عن قصور معرفي بحقيقة التاريخ وجوهر القضية الكردية ؟. أم هو ناجم عن ترهل فكري وذهنية سداتها الدوغمائية ولحمتها الديماغوجيا ؟. أم هو ناجم عن هيمنة ايديولوجيا سلطوية لا تختلف عن ايديولوجيا أتاتورك ؟.

أـ الانتلجنسيا العربية و (نظرية المؤامرة)المزعومة: في مقالة عنوانها (أوجلان والقضية الكردية)[1]، يعيد ميشيل كيلو على مسامع القراء من جديد تلك الاسطوانة المشروخة التي اتخذ منها – هو وأمثاله – تعويذة لا يكفون عن ترديدها، كلما أرادوا دسَّ السم في العسل كعادتهم، ثم يمضون في إجترار مقولة باتت حتى الأنظمة الشمولية تخجل عن ترديدها في وسائل اعلامها بعد أن فاحت رائحتها النتنة، أعني تلك التي كانت توصم حركة التحرر الكردية هنا وهناك بالغدر والعمالة تارة وبالارهاب تارة أخرى، وما نحو ذلك مما في جعبة دعاة الفكر الشوفيني، ممن يستميتون من أجل تأبيد الواقع المزري الذي يعيشه الكردي، وإلا ما معنى قوله بأن أمريكا تسعى لاستخدام الكرد كأداة ضد بعضهم البعض، كما ضد جيرانهم وأخوتهم العرب ؟. هذا يعيد إلى الأذهان ما قاله أبا دلامة في أبي مسلم الخراساني، حين أراد الأخير تحقيق نوع من الاستقلالية عن الخلافة العباسية:

أفي دولة المنصور حاولت غدره ألا إن أهل الغدر آباؤك الكُرد

ولأن كيلو مازال أسير أوهامه الايديولوجية المسبقة الصنع، نراه يمضي قدماً في حبك أقصوصته المزيفة الساذجه إلى حد البلاهة، مدعياً بأن ما يدل على حجم تحكم أمريكا بقادة الأكراد، أن لهؤلاء حقاً وحيداً هو أن يكونوا أدوات أمريكية ضد أكراد البلدان الأخرى، وضد وطنهم وشعبهم. ويستوقفنا كعادته لاسداء النصائح لقيادة الحركة التحررية الكردية باسهاب لا تخلو من نزعة الأستذة، بعد أن عانى طوال حياته كماركسي منبوذ من سلطة معلميه، فكأني به يؤكد صدق مقولة: الضحية تقلد الجزار. وإذا جاز لنا أن نستشهد بما في جعبته من الوصايا المعلبة، توجب علينا أن نقدم للقارىء الكريم زبدة كلامه، التي يقول فيها: (هل يفهم قادة

---

[1]– أنظر: المقالة منشورة في صحيفة (الكفاح العربي)، بتاريخ ٢٣ شباط ١٩٩٩/ العدد (٢٢١٣).

أكراد العراق معنى ما حدث، فيراجعوا نهجهم الراهن، ويرجعوا إلى وطنهم مناضلين في سبيل حل توفيقي يضع حداً لنظام ذوي القربى، ويجنبهم تلاعب أمريكا بشعبهم وبحقوقه، والسمعة الشخصية السيئة التي عادت عليهم بتهم من العيار الثقيل ؟). يدعو كيلو صراحة إلى عودة الكرد إلى حضن صدام، كي ينقذوا سمعتهم ويتجنبوا ألاعيب أمريكا..!. لا يسعني في هذا المقام إلا أن أستميحه عذراً كي أحيله إلى التمعن في مغزى الاصحاح السابع من إنجيل (متى) وتأمله، حيث الحذر كل الحذر من الكيل بمكيالين، سيما أنه ارتمى في الأزمة السورية في أحضان الأمريكان: (لا تُدينوا لكي لا تُدانوا. لأنكم بالدينونة التي بها تُدينون تُدانون. وبالكيل الذي به تُكيلون يُكالُ لكم. ولماذا تنظر القذى الذي في عيني أخيك. وأما الخشبة التي في عينيك فلا تفطن. أم كيف تقول لأخيك دعني أخرج القذى من عينك وها الخشبة في عينك. يا مرائي أخرج أولاً الخشبة من عينك. وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك).

انني أدعو الكاتب الامتثال فقط لما جاء في الانجيل، لكن بعد أن يتطهر من لوثة الايديولوجيا النتنة التي نخرت كل شيء حي فيه، فأمثاله باتوا بأمس الحاجة إلى من يهديهم إلى الصراط المستقيم، قبل أن يقدموا على إملاء وصفاتهم المهترئة على الآخرين.

أما الدكتورة سحر المجالي فقد أدلت هي الأخرى بدلوها على هذا الصعيد[1]. وتشبثت بأذناب نظرية المؤامرة، تلك التي باتت الانتلجنسيا العربية ترددها هذه الأيام بكثافة، في الوقت الذي بدت فيها وكأنها ناطقة رسمية باسم النظام العراقي. فهاهي تقول: (كان الموقف العراقي ومازال يدعو إلى التنبه من قبل الأكراد بأن هناك هدف/ لعبة دولية اقليمية لتمزيق وحدة الأراضي العراقية، وذلك لتقسيم العراق إلى دويلات صغيرة يسهل السيطرة عليها ودعت – تقصد الحكومة العراقية – الأكراد إلى العودة إلى الوطن الأم لينعموا بخيراته ووحدة أراضيه).

وتختم الكاتبة مقالتها الآنفة الذكر بنشوة المنتصر مؤكدة بأن: (الأكراد العراقيين قد حصلوا على كثير من حقوقهم القومية ضمن الوطن العراقي، في حين حرم عليهم نطق حرف من لغتهم في الدول المجاورة، فهل يعي الأكراد بأنهم ضحية

(1)– أنظر: صحيفة البيان الاماراتية – العدد/٦٣٠٩/ – صادرة في ٢٦/ أيلول/ ١٩٩٧.

مؤامرة دولية ؟). أجل، لا جديد يذكر في هذا الخطاب، فهو قولٌ – أقل ما يقال فيه – أنه مجتر، والظاهر أننا نمر بفترة لم يعد بامكان أحد أن يتهرب من تبيان موقفه على نحو واضح، حتى إن اقتضى الأمر بالبعض إلى تبرئة الطغمة الحاكمة وتبرير أساليبها البربرية بالضد من مئات الوقائع الصارخة التي لا تحتاج إلى من يستنطقها، لأن واقعة واحدة مثل حلبجة أو الأنفال كافية لدحض ترهات أبواق النظام. ألم يقل مهدي عامل ذات يوم: (ما كانت الأعمال، في منطق التاريخ بالنيات، وإن كان للمرء في منطق الغيب، ما نوى)[1].

ومما زاد الطين بلة أن كاتباً مثل عبد الاله بلقزيز زعم[2] بأن القوى الغربية – على حد قوله – لا تتورع في الجهر بنواياها لأكراد العراق بصورة معادلة سياسية تجارية تنطق بالابتزاز: (إن ثمن حمايتكم من النظام العراقي هو مساهمتكم الميدانية في حماية تركيا من أكرادها).

وما العجب في مثل هذه المواقف، مادام حزباً شيوعياً كالحزب الشيوعي اليوناني يعتبر القضية الكردية إحدى القضايا التي خلقها الاستعمار. لكن الباحث هادي العلوي تصدى لمثل هذا التفسير الساذج لقضية شعب يعيش على أرضه التاريخية منذ زمن يقارب وجود الاغريق على أرضهم، ويزيد تعداده على تعداد اليونانيين أنفسهم، منوهاً في الوقت نفسه بأنه من المعيب أن يدرج هذا الشعب في عداد الأقليات القومية. فالمتمعن فيما سبق ذكره سيلاحظ أن الحزب الشيوعي اليوناني – مثله في ذلك كمثل الأحزاب الشيوعية في سوريا – مازال يواصل ذاك التقليد الخاطئ في الحركة الشيوعية، يقوم – على حد تعبير العلوي – على الاستهانة بالحقوق القومية المشروعة، بدعوى أولوية الصراع الطبقي على القومي، والتي هي: (أولوية واردة وصحيحة بالنسبة للقوميات المستقلة السيدة في بلادها، لأن الصراع عندئذ ينحصر في الجانب الطبقي).

ب – المفكرون العرب والسعي لتذويب الكرد: في إطار أبحاثه على صعيد المسألة الثقافية، يقرُّ الدكتور محمد عابد الجابري – رغم أنه لا يتناول مصطلح الوطن العربي في صيرورته التاريخية كرقعة جغرافية محددة بالحدود الحالية – بأن

---

(١)– مهدي عامل: في نقد الفكر اليومي – ط٢عام ١٩٨٩ – دار الفارابي – بيروت/ لبنان – ص٢٢٦.

(٢)– أنظر: جريدة المستقلة، العدد/٢٥٧/ الصادرة في ١٩ نيسان ١٩٩٩.

الـوطن العربـي مـوطن لجماعـات إثنيـة مختلفـة[1]. ثـم يعـود ليخـوض غمـار معركـة خاسرة، لأنه استهدف إجراء عملية تسطيح تضاريس وعي الانسان الكردي، واعـادة هندسته وتشييده، وفق مفاهيمه المؤدلجة، بعد أن توهم بأنه قادر على صهر شـعب عريق كالشعب الكردي، بعد أن فشلت سياسات الأنظمـة المضـطهدة في تحقيـق هـذا الأمر. يقول: (لكن، مع هذا الاختلاف... هناك وحدة، أو على الأقل هناك نـزوع دائـم إلى الوحدة... فليس هناك "عرق" في الوطن العربي يريد فعلاً الانفصال والخروج عـن هـذا الـوطن، بـل كـل مـا هنالـك، وهـذا شـيء طبيعـي تمامـاً، هـو المطالبـة بحـق "الاختلاف" داخل الوحدة وهو الحق الـذي يعـبر عنـه عـادة بــ "حقـوق الأقليـات"، حقوقهـا الاجتماعيـة والسياسـية والثقافيـة، وهـي حقـوق يـؤول أمرهـا إلى المسـألة السياسية، مسألة الديمقراطية)[2].

ويمضي قائلاً: (هناك على صعيد الوطن العربي وداخل الكثير من أقطاره، كما هو الشأن في أقطار أخرى في العـالم، ثقافـات " أقواميـة"، ثقافـات أقليـات إثنيـة أو دينية أو لغوية تعيش مع الثقافة العربية التي تشـكل في كـل الأقطـار العربيـة الثقافـة القومية الرسمية. والحل لمشكلة التعـدد الثقـافي الراجـع إلى تعـدد الأقليـات في الـوطن العربي لن يكون حلاً قومياً حقاً إلا بتوسيع دائرة الثقافة العربية القومية كيمـا تضـم بين جنباتها الثقافات الأقوامية تلك. وهذا يتطلب مراجعة مفهوم " الثقافـة القوميـة" العربيـة. فكيـف ينبغـي أن تـتم هـذه المراجعـة ؟)[3]. يجيـب الجـابري علـى سـؤاله بنفسه: (نعم طرح حالياً في بعض الأقطار العربية مسـألة اللغـة، لغـة بعـض الثقافـات المحلية. ونحن نعتقد أن الحل الطبيعي لهذه المسألة يجب أن يمر عبر تعميم التعلـيم ونشر المعرفة العلمية. إن لغة العلم في الوطن العربي من الخليج إلى المحـيط، لا يمكـن أن تكون إلا اللغة العربية، ليس فقط لأنها كانت كذلك في الماضي، وهي كذلك إلى حد ما في الحاضر، بل أيضاً لأن أية لهجة داخل الوطن العربي لا تسـتطيع أن تتحـول إلى لغة علمية تطال اللغة العربية، هذا فضلاً عـن انتشـار هـذه الأخـيرة واحتلالهـا مكانـة

([1])– محمد عابد الجابري(الدكتور): المسألة الثقافية – مركز دراسات الوحـدة العربيـة – ط١عـام ١٩٤– ص٢٢٦.

([2])– المصدر السابق – ص٢٣و٢٤.

([3])– محمد عابد الجابري – المصدر السابق – ص٣٥.

مرموقة بين اللغات الحية في العالم. فالتعددية في هذا المجال تنفي نفسها بنفسها، وتبقى اللغة العربية هي وحدها القادرة على الاحتفاظ بالتعددية وتجاوزها. وفي إطار هذا الاحتفاظ بالتعدد من أجل تجاوزه لا بد من تعميم منتجات الثقافات المحلية الشعبية، ولتعميمها لا بد من تعريبها. إن الثقافة الشعبية والاثنية في كل قطر عربي يجب أن تكون حاضرة في جميع الأقطار العربية بأصالتها وابداعاتها، وهذا يتطلب بطبيعة الحال تعريبها، وفي تعريبها تحقيق لها، وبالتالي إزالة صفة "الأقوامية" عنها، الصفة التي ترتبط غالباً بمفهوم الأقلية السلبي الذي يعني الانكماش والتقوقع والتشبث في مراحل دنيا من التطور)[١].

لا يحتاج القارىء الحصيف – كما أظن – إلى عناء جهد ليستنتج بأن مشروع الجابري يقوم في الأساس على تذويب الآخرين، ومنهم الكرد، في بوتقة القومية العربية، فدعوته إلى التعريب عبر قناة "اللغة" تستند إلى وهم مازال شبحه يخيم في العديد من الأوساط العربية، بما فيها الأكاديمية، وهذه الدعوة تستمد ديمومتها وأحقيتها من تلك الذهنية التي أضفت ومنذ القديم صفة القداسة على اللغة العربية، وهاهو الجابري اليوم يتشبث بأهداب تلك الذهنية التي عفى عليها الزمن، لتبرير خطابه التنظيري هذا.

إن مشكلة الشعوب التي تعيش مع العرب (الكرد، الأمازيغ...الخ)، لا يكون حلها في إطار هذه المفاهيم التي ترتكز على أحد هذين المرتكزين أو كليهما:

الأول – الاعتقاد بوجود أمة متجانسة، الناجم أصلاً عن تبني الايديولوجيا العنصرية، التي تتنافى مع المنطق السليم وروح الاسلام السمحة، تلك التي عبر عنها عمر بن الخطاب ذات يوم:«متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحراراً».

الثاني – النظر إلى الآخر نظرة دونية، فالآخر لا يحق له أن يطالب بالمساواة إلا في حالة واحدة وهي أن يتخلى عن هويته طوعاً أو قسراً، وهذا التصور هو عين تصور الغزاة، فكولمبوس مثلاً، كان ينظر إلى الهنود الحمر، سكان أمريكا الأصليين، نظرة دونية، لأنهم بالنسبة له مجرد: (كائنات أقل شأناً، ولن يصبحوا مثل الاسبان إلا بعد أن يتخلوا عن جلودهم وعاداتهم وتقاليدهم ويدخلوا في المسيحية، فالمساواة التي كان يدعو إليها، تقود بلا شك إلى إلغاء هوية الآخر)[٢].

---

(١)– المصدر السابق – ص٣٩و٤٠.

(٢)– محمد جمال باروت: أطياف الحداثة – ط١عام ١٩٩٦ – دار الصداقة – حلب/ سوريا – ص٧٢.

لا أعتقد أن شخصاً بمستوى الجابري يجهل تاريخ وجغرافية المنطقة أو شرق المتوسط، والملابسات التي رافقت تأسيس الكيانات السياسية الحالية، فمثلما يعتقد أن الاستعمار قد قام بتجزئة المنطقة العربية (الوطن العربي)، عليه ألا يتناسى بأن الاستعمار كان أيضاً وراء تجزئة بلاد الكرد وإلحاق أجزائها بالكيانات الأخرى (عربية كانت مثل سوريا والعراق أو تركية أم فارسية)، وهذا بحد ذاته – كما نوه المغفور له هادي العلوي من ذي قبل – ينفي عنها صفة الأقلية، لأنها تعيش على أرض آبائها وأجدادها، ولا أظن أن الجابري يجهل ذلك. إن أمثال الجابري يكيلون بمكيالين، مثله في ذلك كمثل ميشيل كيلو السالف الذكر، ففي الوقت الذي نجده يندد بالتطهير العرقي الذي يمارسه الصرب في حق شعوب الكوسوفو والبوسنة والهرسك، ويلوم وينتقد وسائل إعلام الغرب التي (تتجنب تماماً طرح جوهر القضية، أعني حق أهل البوسنة والهرسك في تقرير مصيرهم وانشاء دولة خاصة بهم)[1]. أعود واقول، تَرى الجابري – حين يتعلق الأمر بالشعوب التي تعيش في الجوار الجغرافي وتتقاسم مع العرب التاريخ مثل الكرد والأمازيغ...الخ – يسوّق برنامجاً لتذويبها عبر تجريدها من لغتها وثقافتها بداية أي تجريدها من هويتها، لأن في تعريبها كما يزعم تحقيق لها، وهذا لعمري تناقض صارخ لا يمكن تبريره أو تأويله، فقط سنكتفي بترديد القول المأثور «شر البلية ما يضحك»[2].

ج – اشكالية الخطاب العربي المؤدلج: أتساءل عقب قراءة أي كتاب أو بحث أو مقالة لكُتّاب أو باحثين عرب عند تناول القضية الكردية في سوريا أو خارجها، أو تناول أي جانب يمس الكرد، لماذا يلجأ معظم هؤلاء إلى هذا القدر من التشويه المتعمد أو التزوير الفظ للتاريخ أمام الرأي العام العربي ؟. ويهون الأمر في اعتقادي، لو كان هذا الموقف مجرد رؤية قاصرة أو استنتاجات منبثقة عن محراب انطباعي

---

(1)– محمد عابد الجابري – مصدر سابق – ص١١٣.

(2)– ولا باس من سرد هذه الحكاية الفولكلورية الكردية، التي تفضح إطروحات الجابري وأمثاله، عبر لجوئهم إلى ازدواجية المعايير والكيل بمكيالين إزاء قضايا متشابهة. يُحكى أن امرأة فرشت سطح دارها كعادة الكرد أيام الصيف، إلا أنها كانت لا تكفُّ عن تقديم النصح لابنتها وتطالبها أن تتدثر جيداً مع زوجها مخافة البرد، وفي نفس الوقت كانت تطلب من ابنها أن يزيح الغطاء عنه وعن زوجته لأن الحَرّ لا يُطاق وفق زعمها، فما كان من الابن إلا أن أجابها: أماه، صيف وشتاء على ذات السطح. لا يسعنا إلا أن نقول لهؤلاء جميعاً: كفاكم نصحاً، لأن أهل مكة أدرى بشعَابها.

محض، لكن الأمر – ولسوء الأسف – خلاف ذلك تماماً. فالقراءات المؤدلجة والمبتذلة التي طالت القضية الكردية من قريب أو بعيد، ترتد في النهاية إلى نسق مفاهيمي بلا مواربة، وهي في النهاية تستهدف أول ما تستهدف، دق اسفين في صرح الأخوة العربية – الكردية، المُشَيَّد عبر القرون.

هذا الاستهلال كان في اعتقادي ضرورياً قبل تناول كتاب:"القضية الكردية/ من الضحاك إلى الملاذ" لمؤلفه زبير سلطان، لأن الكتاب صورة ممسوخة عن كتاب:"عرب وأكراد" لمنذر الموصلّي؛ فرغم أن هذا الأخير لم يتردد من خلال كتاباته المتعددة عن الكرد في وضع القضية الكردية والتاريخ والجغرافية الكرديتين على سريره المسبق الصنع، والشبيه بسرير بروكروست[1]، إلا أن لغته كانت مع ذلك لا تخلو من بعض التوابل إن صح التوصيف. أما زبير سلطان، فقد لجأ إلى اسلوب شبيه بلعبة الاستغماية، وهو إن دل على شيء إنما يدل على منتهى الغباء، لأنه راهن – ومنذ البداية – على جهل القارئ العربي، جرّاء التعتيم الممنهج المخيم من قبل الحكومات المتعاقبة على قضايا الكرد العديدة في سوريا أو في أجزاء كردستان الأخرى، فعقد صاحبنا العزم عن التحدث على هواه، ومضى يضرب أخماساً بأسداس، وكأنه يتحدث عن شعب بائد أو عن بلاد الواق واق، عبر خطاب موَّلَف وفق ايديولوجية البعث، في الوقت الذي دغدغ المشاعر السطحية للقارئ العربي وفق اسلوب ذرائعي وتضليلي رخيص، منطلقاً من توهم مسبق بامتلاك الحقيقة، كل الحقيقة. ولعمري إن الافراط في افراز مثل هذه السموم الايديولوجية كفيل بنسف أبسط أشكال الحوار الديمقراطي بين أبناء الشعبين الجارين (العربي والكردي).

جدير ذكره، وقبل مناقشة المؤلف فيما انتهى إليه من أحكام أقحمها في كتابه، القول بأن الثقة بأية معلومة أو أي مرجع، ترتبط مبدئياً بمقدار الثقة بمصدر المعلومة أو المرجع، وليس بخاف أن زبير سلطان اتخذ من الموصلّي مرجعاً، والأخير – كرجل أمن – لم ينصف الكرد، رغم بعض الحقائق الواردة في كتاباته.

---

(1)– تُروى حكاية اسطورية عن قاطع الطريق هذا، بأنه كان يمدد ضحيته على سريره المسبق الصنع، فان كانت الضحية أطول من السرير جزَّ الزائد، وإن كان أقصر من السرير شده كي يكون على مقاس السرير، وفي الحالتين يتخلص من الضحية.

يتكشف لكل ذي بصيرة، ممن تسنى له قراءة كتاب (القضية الكردية) لزبير سلطان، الطابع الديماغوجي لنبرة خطابه والاسلوب التبريري لكل الممارسات الشوفينية في حق الشعب الكردي في سوريا، وليس بخاف دفاعه عن الاحصاء الاستثنائي الذي أجري في الجزيرة (محافظة الحسكة) عام ١٩٦٢، ونجمت عنه مشكلة المجردين من الجنسية (الأجانب والمكتومين)، لا بل نجده يمضي قدماً في وصم الموظفين العاملين في أمانات السجل المدني، لأنهم سجلوا الكرد كمواطنين سوريين، بذوي الذمم الضعيفة...!.

وفضلاً عن ذلك، امتاز خطابه بنبرة ذات طابع قمعي/عنفي، تجلت واضحة في ألفاظه النابية وعباراته الفاضحة التي تكررت من باب التشفي والتجريح، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: الغلاة الكرد، التمرد الكردي، الحرب الانفصالية في شمال العراق...الخ. والمقصود هنا بالشمال، كردستان العراق، وقد سبق لـ (دانا شمدت) أن أورد في كتابه«رحلة إلى رجال شجعان في كردستان»، كيف أن النظام العراقي كان يلجأ دوماً إلى استخدام مصطلح الشمال، ويورد طرفة ذات دلالات معبرة على هذا الصعيد، ألا وهي أن وزارة الزراعة العراقية بدلت اسم القمح المعروف بـ (الحنطة الكردية) وأسمته (حنطة الشمال)، لكن الحملة الشعواء سرعان ما باءت بالفشل، لأن العبث بارادة الشعوب تدخل في خانة الترّهات. كما طالت ألفاظه النابية الزعيم التاريخي ملا مصطفى البارزاني، وهي مبثوثة في ثنايا كتابه، ومنها وصمه بالأمي وزاعماً بأنه كان يمتاز بالصلافة معتكزاً في حجاجه على ويليام ايغلتن الابن. وبالعودة إلى كتاب«جمهورية مهاباد» لمؤلفه (ويليام ايغلتن الابن)، تبين بأن ويليام وصفه بالصلابة لا بالصلافة، وأعتقد أن الأمر كان يحتاج إلى بعض الأمانة، فالبون شاسع بين الكلمتين، وهذا لا يحتاج إلى المزيد من التوضيح. ويستشف القارىء بأن المؤلف قد تناول هذه الشخصية التاريخية الكردية بروح مشبعة بالتحامل بقصد الاساءة، إلا أن وهن أسانيده قد فضحت تهافت خطابه، وفي النهاية عجز هذا الخطاب عن حجب الشمس بغربال. فهل يعقل تناول شخصية كهذه بهذا القدر من الاستخفاف؟، وقد قال فيه عدوه (رازم آرا) الجنرال الفارسي: (إن هذا الرجل أدهى من نابليون)، كما تغنى به شاعر العرب الأكبر محمد مهدي الجواهري في احدى قصائده المشهورة:

باسم الأمين المصطفى من أمة بحياته عنـــد التخاصم تُقْسَمُ

أما فيما يتعلق بالأمية، التي وردت في لائحته والتي أوردها بقصد الاساءة إلى البارزاني باي ثمن، فأقول إن هذا القول محض افتراء واختلاق، لأن البارزاني سبق أن قضى ست سنوات من تحصيله الابتدائي على يد معلمين خصوصيين، ثم تابع دراسة الشريعة والفقه الاسلاميين لمدة أربع سنوات في بارزان، ثم استمر في اكمال دراسته في السليمانية اثناء نفيه، إلى الحد الذي أجيز فيه بالتفسير والحديث، وبعد لجوئه إلى الاتحاد السوفييتي، انتسب إلى أكاديمية اللغات في موسكو، ودرس إلى جانب اللغة الروسية، الاقتصاد والجغرافيا والعلوم، كما تدرب في أكاديمية الحرب السوفياتية. هذه النبرة تذكرنا حقيقة بنبرة الخطاب السياسي للشقيري وأحمد سعيد في ستينيات القرن العشرين.

وإذا ما تناولنا مضمون خطابه، نراه يمضي في استقراءاته المبتذلة لحجب الحقائق واعادة انتاجها بما يتناسب مع الأطر الايديولوجية البائسة، التي تعبر في الاساس عن مواقف النظام الشمولي – الشوفيني السائد في دمشق.

فهاهو يعلنها على الملأ، وفي نشوة المكتشف والمنتصر، بأن الكرد شعب خليط، ولولا ذلك – حسب زعمه – لما تنوعت طوائف الكرد وتعددت لهجاتهم واختلفت سيماؤهم، أو تفاقمت صراعاتهم..!. المتمعن أو المتأمل في هذا القول، سيعي لا محالة فجاجته دون عناء؛ ولا يخامرني الشك بأن صاحب هذه الأحكام سيصل إلى ذات النتيجة بخصوص بني قومه العرب، إن كانت هذه هي معاييره وتلك هي مشرحته، إلا إذا كال بمكيالين مثل السيد ميشيل كيلو ومجايليه. إن مثل هذه القراءة التي تمتاز بضحالتها وسذاجتها لا تنطلي على أحد، فالصراعات العربية الداخلية (داخل القطر الواحد) أو الخارجية (أعني العربية – العربية) ليست دليلاً على اختلاف الأصل. كما أن العلم لا يُقرّ بالنقاء التام لأية أمة من الأمم، وإلا فالأولى بالذي يتغنى بالدماء النقية أن يتبنى مقولة (شعب الله المختار).

يلجأ سلطان إلى تقزيم مساحة كردستان وسكانها، ومن المفارقة أنه يقول بأن عدد الكرد في كردستان الشمالية (تركيا) نحو ٢.٥مليون نسمة، في الوقت الذي أقر الرئيس التركي تورغوت أوزال بوجود (١٢ – ١٥) مليون نسمة كما أسلفنا ذلك. وقد دار نقاش ذات يوم حول مواضيع كهذه وكان بيننا المحامي محمد نذير مصطفى سكرتير"البارتي"، فتساءل: وهل هناك نصاب قانوني عن عدد سكان شعب أو

مساحة موطنه كي يحق له تشكيل دولته؟. فوضـع حداً بتساؤله هـذا لكـل اللغـط الذي كنا فيه.

ثم يدّعي بنشوة المنتصر بأن الكـرد نزحـوا مـن مـوطنهم الجبلـي إلى السـهول المجاورة، فما العيب في ذلك ؟. ألم تتدفق الهجرات العربية من شبه جزيرتهم القاحلـة نحو بلاد الرافدين والشام ومصر ؟. أليس الكرد أقدم وجوداً في المنطقة من العرب؟.

ويمضي في تكفير زيـد وتمجيـد عبيـد، وتصـنيف النـاس إلى أهـل النـار وأهـل الجنة، ففي الوقت الذي يشيد بموقف الشيوعيين السوريين، تجده يـتهم الشـيوعيين العراقيين بالتطرف حيال القضية الكردية. وهنا ينبغي القول أن احدى أهـم القضـايا التي واجهتها الماركسية، ممثلة بأحزابها في منطقتنا، تمثلت – كما قلنا من ذي قبل – في الموقف من القضايا القومية عامة والقضية الكرديـة بشـكل خـاص، لـيس علـى صعيد النظرية فحسب، بل على صعيد الممارسـة العمليـة أيضـاً. والحـزب الشـيوعي العراقي حين اتخذ هذا الموقف المشرف من القضية الكردية وناضـل مـن أجـل حلـها كان ينطلق من أمانته لمبادئه الأممية، في الوقـت الـذي تغاضـى فيـه الآخـرون عـن سياسة اضطهاد الكرد التي مورست لعقود وعقود.

كما يَزعم الدكتور عبدالرزاق عيد – أحد يتـامى الحـزب الشـيوعي السـوري – بدوره أن الكرد لم يخلّفوا تراثاً فقهيـاً أو كلاميـاً، أو دينيـاً، أو أدبيـاً وفلسـفياً لا في اللغـة الكرديـة، ولا في اللغـة العربيـة الـتي تمثـل الوعـاء الحضـاري للتعـدد الثقـافي والأقوامي الاسلامي[1]. هذا التوصيف مقتبس مـن قـاموس محمـد طلـب هـلال نصـاً وروحاً ومن منهج البعث، لأنه يتجاهل حقائق التاريخ عن عمد، ويحجب دور الكـرد في بناء الحضارة الاسلامية في كافة المجالات، وبالتالي لا يسـعني إلا أن أحيـل القـارىء الكريم إلى تلك الشخصيات الكردية التي ساهمت في إغناء التراث العربـي – الاسـلامي قديماً وحديثاً في كافة الميـادين، والـتي لفتـت انتبـاه ابـن خلـدون، ممـا حـدا بـه إلى تدوين ذلك في مقدمته الشهيرة تاريخياً.

فيما يلـي بعـض الشخصـيات الكرديـة الـتي كانـت لهـا اليـد الطـولى في إغنـاء حضارة المنطقة قديماً وحـديثاً، في مجـالات اللاهـوت والفلسـفة والتـاريخ والجغرافيـا

---

(1)– عبدالرزاق عيد (الدكتور): الأكراد ومستقبل الديمقراطيـة في سـوريا – صـحيفة النهـار – الأحـد ١٩ أيار ٢٠٠٢.

والأدب والفن والموسيقى، واللائحة لا تضم سوى غيضاً من فيض، أوردناها للرد على عبدالرزاق عيد وأمثاله:

١- في العصور الوسطى:

ـ **ابن الرزاز الجزري** (بديع الزمان الجزري) (١١٣٦- ١٢٠٦): ولد في جزيرة ابن عمر (جزيرا بوتا)، من أعظم الميكانيكيين والهيدروليكيين في العصر الاسلامي، برع في مجال صناعة الساعات الميكانيكية والمائية، والنافورات ورفع المياه وصمامات مانع الرجوع، من كتبه: الجامع بين العلم والعمل والنافع في صناعة الحيل، الذي ترجم الى لغات عالمية، وألف كتابه (الآلات)، قبل عصر النهضة الأوربية في ديار بكر عام ١٢٠٦م، يذكر فيه الجزري المعارف المتراكمة في مجال الهندسة الميكانيكية، ناهيك عن ابداعاته في هذا الاختصاص، ومنها على سبيل المثال: الآلات الأوتوماتيكية (ذاتية الحركة) كالساعات المائية والأوعية البارعة وأوعية استطراق السوائل وأدوات قياس الفصد والنافورات والآلات الموسيقية ذاتية التحكم والمضخات وآلات رفع المياه في مجالات الري والطواحين..الخ[١]، وهذا غيض من فيض.

ـ **جابان** (أبو ميمون): صحابي جليل، عاصر النبي في المدينة وروى الحديث عنه، وابنه ميمون، الذي روى بدوره الحديث عن أبيه. وقد أورد ابن الأثير في (اللباب في تهذيب الأنساب)، بأن هناك (عشرات من أسماء علماء الكرد من رواة الحديث النبوي)[٢]، كما أورد بن الأثير ذكر جابان في (أسد الغابة في معربة الصحابة)، وكذلك ابن حجر العسقلاني في (الاصابة في تمييز الصحابة).

ـ **ابن خلكان** (١٢١١- ١٢٨٢): عالم وفقيه ومؤرخ وأديب، أشهر مؤلفاته (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)، ولد في اربيل ودفن بدمشق في سفح جبل قاسيون.

ـ **أبناء الأثير**: عرفوا بأبناء الجزري نسبة إلى جزيرة بوتان، ذاع صيتهم الآفاق، وهم: أ ـ مجدالدين (١١٥٠- ١٢٠٩)، اجتهد في علوم الدين: جامع الأصول في

---

(١)- دونالد ر. هيل: سلسلة عالم المعرفة الكويتية - العلوم والهندسة في الحضارة الاسلامية - ترجمة: أحمد فؤاد باشا - العدد ٣٠٥/ يوليو ٢٠٠٤ - ص١٣٤-١٤٢وص١٦٦- ١٩٤.

(٢)- درية عوني: عرب وأكراد خصام أم وئام - مصدر سابق - ص٢٧.

أحاديث الرسول، مجلدات – النهاية في غريب الحديث، مجلدات.. الخ. ب – عزالدين (١١٦١– ١٢٣٢) أو (١١٦٠– ١٢٣٣)، اجتهد في علوم التاريخ، من أعماله: الكامل في التاريخ/ ١٢ مجلد – أسد الغابة في معرفة الصحابة – اللباب في تهذيب الأنساب – آداب السياسة..الخ، ولد في جزيرة بوتان وتوفي في الموصل. ج ـ ضياء الدين (١١٦٤– ١٢٣٩)، اجتهد في مجال الأدب، من أعماله: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر/ مجلدان – الوشي المرقوم في حل المنظوم – المعاني المخترعة في صناعة الانشاء ..الخ.

ـ **ابن تيمية** (١٢٦٣– ١٣٢٨): فقيه حنبلي لقب بشيخ الاسلام، ولد لأبوين كرديين في حران وتوفي في السجن، من كتبه (منهاج السنة النبوية)...الخ.

ـ **أبو حنيفة الدينوري** (٨٢٨– ٨٩٥): من علماء الفلك والنبات واللغة وراوية للحديث، ولد في دينور (بين همدان وكرمنشاه) بكردستان ايران، من كتبه: الأنواء في الفلك والطقس، والنبات، تفسير القرآن، الشعر والشعراء، البلدان في الجغرافية، الأخبار الطوال في التاريخ، الجبر، البيان...الخ.

ـ **ابن النديم** (محمد بن أبي يعقوب أبو الفرج): من مؤلفاته: الفهرست، ولد في بغداد.

- **ابن فضلان** (أحمد بن العباس): رحّالة مشهور، زار بقاع شتى.

ـ **ابن شداد**: مؤرخ وسياسي، ولد في الموصل، اتسم بالحكمة ورجاحة العقل، رافق صلاح الدين في حروبه ودون تلك الأخبار والوقائع، أشهر كتبه: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، وهو في وصف سيرة صلاح الدين.

ـ **زرياب**: ولد في بغداد، أكبر موسيقي في العصر الاسلامي، أعجب هارون الرشيد بموهبته، ابتكر شكل الموشح والعديد من المقامات، وأضاف وتراً خامساً للعود، وأحدث في أساليب التلحين والايقاع، تأثرت أوربا بموسيقاه.

ـ **ابراهيم الموصلي**: من يهود كردستان المتأسلمين. كان ابراهيم من أشهر المغنين، توفي في بغداد. أما ابنه اسحاق الذي ولد في الري، فقد برع في التلحين والايقاع، ووضع تصنيفاً للمقامات الشرقية، وألف كتباً عدة.

ـ **أبوالفداء** (اسماعيل بن علي الأيوبي) (١٢٧٣– ١٣٣١): جغرافي ومؤرخ وسياسي وشاعر، ولد في دمشق وولي على حماه، من آثاره: تقويم البلدان، وهو من

أهم الكتب في علم الجغرافيا في العصر الوسيط، وكتاب: المختصر في أخبار البشر. نُقِشَ أسمه على جدران الجمعية الجغرافية الفرنسية وسمي أحد جبال القمر تيمناً باسمه. وقال كراتشكوفيسكي: الكتب التي أثارت اهتمام الغرب (القرآن، ألف ليلة وليلة، وتقويم البلدان لأبي الفداء)، وهي شهادة كبيرة من لدن هذا العالم.

ـ **صلاح الدين الأيوبي** (يوسف بن أيوب) (١١٣٨– ١١٩٣): ولد في تكريت وتوفي في دمشق ودفن فيها. البطل الأنقى في الاسلام، مؤسس الدولة الأيوبية التي ضمت بلاد الشام ومصر وليبيا والحجاز واليمن، قائد عسكري وبطل معركة حطين، محرر القدس، اشتهر بتسامحه، اتخذت مصر ودول عربية أخرى من نسر صلاح الدين رمزاً لها. يقول ديفيد مكدول في وصفه (لقد نالت كردستان سمعة مشابهة لسمعة اسكتلندا كموطن معترف به للقادة، والأشهر من بين هؤلاء القادة هو صلاح الدين الأيوبي، الذي تمكن من هزيمة الصليبيين بشكل نهائي واقامة السلالة الأيوبية)[1]، كما يشهد التاريخ على الروح السمحة التي تميز بها، يقول القاضي (وليام . و. دوغلاس): عندما استولينا على القدس قطعنا آلاف الرؤوس، وحين حررها واستعادها صلاح الدين، بدا في رأيي – مازال الكلام لـ: دوغلاس – أكثر مسيحية من المسيحيين، لأنه لم يضرب عنقاً واحداً[2].

– **ابن الصلاح الشهرزوري**: عالم وفقيه شافعي، ولد قرب شهرزور بكردستان العراق، توفي بدمشق عام ١٢٤٥، من كتبه: طبقات فقهاء الشافعية، مقدمة ابن الصلاح...الخ.

٢– في التاريخ الحديث والمعاصر:

ـ العائلة التيمورية في مصر:عائشة التيمورية وأحمد تيمور ومحمد تيمور ومحمود تيمور. والشيخ محمد عبده، ومحمد أمين زكي، ومحمد كرد علي وقاسم أمين رائد الدفاع عن تحرر المرأة من القيود التي كانت تكبلها في مصر، والشاعر جميل صدقي الزهاوي، وهو رائد حركة تحرر المرأة في العراق بشهادة علي الوردي، والشيخ عبدالباسط عبدالصمد وابنه في تلاوة القرآن.

---

(١)– ديفيد مكدول: تاريخ الأكراد الحديث – مصدر سابق – ص٦١.

(٢)– دانا ادمز شمدت: رحلة إلى رجال شجعان في كردستان – ترجمة وتعليق: جرجيس فتح الله – دار آراس – ط٢عام ١٩٩٩/ اربيل – من المقدمة ص١٠.

ـ الممثلون الكرد السوريون: نهاد قلعي (نهاد قلعي الخربوطلي، نسبة الى خربوت في كردستان تركيا، كان يلقب بحسني بورزان)، عبد الرحمن آل رشي، منى واصف (جليمران مصطفى واصف)، خالد تاجا، طلحت حمدي، زهير رمضان، لقمان ديركي، سوزان نجم الدين، كاريس بشار، عبير شمس الدين، جيان عيد، جيني اسبر، محمد أوسو نجم، وائل رمضان، أحمد مللي. والمخرجون الكرد السوريون: هيثم حقي، رياض دياربكرلي، بسام الملا. والكاتب المسرحي وليد مارديني. الفنانون: في الفن التشكيلي عمرحمدي (مالفا)، بهرم حاجو، وقد نالا شهرة عالمية، الكاريتير كاميران شمدين، والكاتب والشاعر سليم بركات.

ـ يلماز غونى (١٩٣٧– ١٩٨٤): أشتهر عالمياً في مجال الانتاج والاخراج الفني السينمائي، أمضى سنوات طوال (١٣سنة) في السجن، ودفن في المنفى بباريس في مقبرة العظماء، وكان في مقدمة المشيعين وزير الثقافة الفرنسي جاك لانك، ورثاه الروائي الكردي الكبير يشار كمال في اللوموند، قائلاً: (لم يكن يلماز مخرجاً جيداً فحسب، بل كان أديباً كبيراً). له خمس روايات من بينها (ماتوا ورؤوسهم محنية)، وله مائة قصة وسيناريو فيلم، وثلاثة وعشرين فيلماً من بينها الطريق والقطيع، ومثّل في مائة وعشرين فيلماً.

هذا، ناهيك عن الذين أبدعوا في اللغة الكردية. أما آن لأمثال عبدالرزاق عيد[1] أن يكفوا عن هذا الهراء والتجني على الكرد ؟. وأتساءل: عن أي تراث يتحدث إن لم يكن المذكورين سالفاً من صانعي التراث ؟.

د – **أكثر من فرض الوصاية:** نشر محسن سراج[2] مقالاً بعنوان:«الوعي العراقي المعاصر/ نظرة عبر الجذور والتحولات الحضارية»، أبدى فيه مزيداً من القلق، إن لم نقل الامتعاض حول اشكالية استبدال الحرف العربي أو الاستغناء عنه من لدن الكرد، ومضى يسدي جملة من النصائح بعدم استخدام الحرف اللاتيني وأهمية اعتماد الحرف العربي، على غرار سلفه منذر الموصلي، وتتلخص وجهة نظر الكاتب حول أهمية الكتابة بالحرف العربي في نقطتين اثنتين، هما:

---

(١)– وهو بالمناسبة من حملة درجة الدكتوراه في العربية، على ذمة الأكاديمية التي منحته اياها.

(٢)– أنظر: صحيفة (بغداد)، صحيفة الوفاق الوطني العراقي – العدد/١٢٦/ – الصادرة في ١١/أيار/١٩٩٣.

أولاً – لأن اللغة الواحدة (هكذا...!، يبدو أنه يقصد الألفباء الواحدة)، تجعل امكانات التواصل في الحاضر والمستقبل، في هذه البقعة الجغرافية مفتوحة.

ثانياً – لأن الأبجدية العربية – وفق زعمه – تمتاز بكونها أسرع في الكتابة والطبع من الحروف اللاتينية وأقل تكلفة في الحبر، فضلا عن قوله – وهو بصدد وصف اللغة العربية – بأنها: (تلفظ كما تكتب، وهذه ميزة فريدة فيها). ويضيف: (يمكن، ومن خلال اضافات بسيطة – يقصد تعديل الحروف كما جرى في كردستان العراق وايران – تطويعها لتوافق اللسان والتلفظ الصوتي الكردي والفارسي والتركي، اضافة إلى كونها قادرة ومن خلال الحركات أن تعطي مترادفات عديدة، كما هي قادرة على تصوير الأشياء تصويراً دقيقاً). وقد سبق أن طرح منذر الموصلّي رؤية مشابهة، وكتب يقول هو الآخر: (تكتب اللغة الكردية بالحرف العربي عموماً، فهو الأعم والأرسخ، ولأنه حرف القرآن في الوقت نفسه، وقد جرت محاولات سابقة لاعتماد الحرف اللاتيني، لكنها فشلت)[1]. لن نسترسل في عرض المزيد من الآراء، لأن كل من تناول المسألة يقول هذا القول، ولأن البحث لا يحتمل ذلك. إنما أود بداية أن أنوه بأن هذا الاصرار حول أفضلية استخدام الحرف العربي لا يمكن أن يفهم إلا في ضوء عدة اعتبارات ذات خلفية مفهومة:

الاعتبار الأول، ناجم عن الاعتقاد بأن اللغة العربية هي أفضل اللغات، ولا يُخفى ما لهذا التصور من حضور ديني. فالعربية – وفق هذا المنظور – هي لغة مقدسة كونها لغة القرآن، لذا يستدعي فهم وتفسير الآيات القرانية والحديث النبوي واتقانها اتقاناً جيداً. ما من شك، أن أحد الأسباب التي دفعت قديماً الكرد والفرس وكذلك الترك وغيرهم إلى الاهتمام بالعربية واهمال لغاتهم الأم هذا الاعتقاد بأفضلية العربية للأسباب الدينية المذكورة آنفاً، وهو – أعني الاعتقاد – يوازي اعتقاد البعض بأن العبرية والسريانية، التي هي أيضاً من عائلة اللغات السامية كالعربية، لغة يهوا أو الله، إذ نزلت أو كتبت بهما التوراة والانجيل، فهما مقدستان كتحصيل حاصل.

الاعتبار الآخر، فهو ذو صلة وطيدة بعدم دراية علماء اللغة العرب قديماً باللغات الأخرى ومنها الكردية. إن هذا الجهل مثلاً دفع (ابن فارس) إلى القول

([1])– منذر الموصلّي: الحياة السياسية والحزبية في كردستان – رؤية عربية للقضية الكردية – ص٣٢.

بأفضلية العربية، لأنها على حد قوله: (تحتوي على الكثير من المترادفات، وأنها تتميز عن غيرها باستخدام الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير)[1]. وإذا ما تغاضينا عن هذا الحكم الناجم عن الجهل بالنسبة للقدامى، فهل يمكن مجاراة كاتب معاصر– أعني محسن سراج – وغض الطرف عن نصائحه وجهله باللغة الكردية أو تجاهله لخصائصها ؟.

من المعروف أن واقع الكرد السياسي وتجزئة بلادهم، قد حالا دون انتشار أبجدية موحدة. ورغم هذا الواقع المزري استطاع العلامة جلادت بدرخان، وبعد بحوث مستفيضة، اعتماد اللاتينية في الكتابة بدلاً من السريلية والعربية، لأن الكردية من أسرة اللغات الهندو – اوربية، فمن الطبيعي أن تناسب اللاتينية فونوتيكها، وحتى الفرس أخذوا يتنبهون مؤخراً لهذا الاشكال، أما الترك فقد سبق أن اعتمدوا اللاتينية من ذي قبل. إن التخلي عن السريلية والعربية لم يكن ناجماً حقيقة عن دوافع شخصية أو مزاجية كرد فعل أو اجتهاد فردي كما يظن للوهلة الأولى، بل كانت هذه النقلة ضرورة اقتضتها طبيعة اللغة الكردية، فالسريلية تخلو من عدة حروف، منها صامتة ومنها صوتية، وكذلك العربية رغم تطورها منذ فجر الاسلام، لكنها للأسف ظلت عاجزة هي الأخرى عن تلبية احتياجات الناطقين بالكردية، فهي تخلو مثلاً من الحروف التالية: V - G - P - Ç - J، وخلاصة القول، أن اللغة الكردية – كسائر لغات العالم – تتطور شكلاً ومضموناً، وستلفظ خلال هذه الرحلة أشياء وستزداد حاجة ناطقيها لتلبية المتطلبات الجديدة باستمرار، فالكتابة باللاتينية مثلما هو معتمد لدى الكرد في كل من تركيا وسوريا وأوربا، هي بكل تأكيد إحدى الاحتياجات التي فرضها منطق التطور. من الملاحظ أن الكاتب حريص فيما سبق طرحه (أعني اعتماد الحرف العربي) بمسألة سبل التواصل والتفاهم بين العرب والكرد في العراق، وهو بلا شك حرص مشروع، لولا أنه نسي أو تناسى مسألة التواصل والتفاهم بين الكرد ذاتهم على صعيد كردستان ككل في ظل تعدد الأبجديات، فمن الصعوبة بمكان تسويق الحرف العربي في كردستان الشمالية (تركيا) التي تشكل من حيث المساحة والسكان أكثر ٥٠٪ من مساحة كردستان العامة وسكانها.

---

[1]– علي فرغلي(الدكتور): عالم الفكر– المجلد ٢١– العدد ٣– ص٢٩٩.

ما من شك أن طريق التواصل والتفاهم بين الكرد والعرب يمر بقناعتي عبر الاقرار بحق الشعب الكردي في تقرير مصيره بنفسه وممارسته لهذا الحق بعيداً عن الذهنية الوصائية التي تتباكى على تأبيد واقع الكرد المزري الراهن بشتى السبل.

و – تزييف الحقائق: منذر الموصلّي، هو أحد أبرز من تناول القضية الكردية من جوانبها المتعددة في كتبه(1) من بين سائر الكتاب العرب المعاصرين السوريين. وبغض النظر عن طريقة تناول القضية من قبل كاتب عربي، فان مجرد تناولها هو محط تقديرنا نحن الكرد، لأن مصير الشعب الكردي المغلوب على أمره – أينما كان – قلما يكترث له الاعلام العربي والنخبة العربية المثقفة، لأسباب معروفة للقاصي والداني، خصوصاً في ظل الاستبداد السائد الذي يحصي على الناس أنفاسهم.

ورغم محاولات موصلّي الساعية لتشويه الوقائع وتجميل الواقع المزري، فهي تفتح الأبواب مشرعة للحوار بين أبناء الأمتين العربية والكردية على أقل تقدير. لكن، أشد ما أدهشني أن أجد كاتباً سورياً مرموقاً مثل منذر الموصلّي وهو يضع – منذ أن تخصص في الموضوع الكردي بعد تقاعده من سلك الأمن – الحقائق رأساً على عقب، جاعلاً من الجاني مجنياً عليه ومن المجنى عليه جانياً، بهدف تشويه صورة الكردي في ذهن أخيه العربي، وذلك عن سبق الاصرار والتصميم. ما من شك، أن مثل هذه الأقلام التي تمادت في بث السموم بين الفينة والأخرى قد أفلحت في تعكير الأجواء السائدة بين شعبين جارين يجمعهما ماض مشترك ومجيد، رغم معرفتهم المسبقة بحقائق الأمور وبتاريخ العلاقة التاريخية الحميمة بين الشعبين العربي والكردي منذ القرن السابع الميلادي، تلك التي صقلتها معارك المصير المشترك والتي تصلح كقاعدة متينة لبناء مستقبل مشرق لأجيالنا القادمة، تتجلى فيه إنسانية الانسان العربي والكردي على حدٍ سواء.

لا شك ان المتتبع لكتابات الموصلّي، يصل دون عناء إلى حقيقة أنها كتبت تحت هيمنة هاجس سياسي ورؤية مؤدلجة في آن، لأنها تعكس بوضوح تلك الذهنية الشوفينية التي تئن تحت كلكلها – لسوء الأسف – أوساط واسعة من الانتلجنسيا العربية. فيما يلي سنستعرض بعض الحقائق التي شوهها الموصلّي عمداً في مقالته

---

(1)– راجع رد: بوشكين/ محمد جزاع على الموصلي، سبق أن نشره الجزاع في كتيب.

الموسومة تحت عنوان:«العرب و"البعث" و... الأكراد»[1]، لنؤكد بالملموس حقيقة ما ذهبنا إليه:

أولاً: يقول بالحرف: (هبت وسائل الاعلام العالمية لتصوير العراق وحكام العراق كما لو كانوا غيلاناً تفتك بالشعب الكردي، فاخترعوا مذبحة حلبجة، إذ جعلوا منها مأساة إنسانية غايتها التشكيك بانسانية الأمة العربية، ولقد انخدع أكراد كثيرون بالقضية).

ثانياً: يدّعي بأن الكرد عاشوا على قدم المساواة مع العرب، وأن أنظمة الحكم في بغداد، اتخذت من الكرد، منذ فيصل الأول وحتى الآن موقفاً مشرفاً. ثم يمضي قدماً في تبرير الحروب التي شنتها هذه الأنظمة ضد الكرد، متبجحاً: (نعم، كانت تقع صدامات، ويلعلع الرصاص في جبال كردستان، ولكن ضمن موجبات الأمن وحده)...!.

ثالثاً: ومما زاد الطين بلة، أنه أعدّ الكرد الرافضين للقهر القومي، بأنهم محيكو المؤامرات – وفق منطقه السقيم – وضد: (وطنهم المشترك، العراق)، لأن الحركة الكردية المسلحة – ومازال الكلام للموصلّي – في العراق: (لا تعبر بصدق عن ارادة الشعب الكردي)، ناهيك عن وصمه لانتفاضة آذار المجيدة ١٩٩١، بانها لم تكن سوى مسرحية مفتعلة على حد تعبيره.

هذه – باختصار – بعض الموضوعات التي تضمنتها مقالة الموصلّي السيئة الصيت، والمنشورة في مجلة سوراقيا السالفة الذكر، وهي في الحقيقة ليست سوى ترّهات لا تنطلي على القارىء المنصف أو الحصيف، مهما كانت مستوى ثقافته أو حدود معرفته بتاريخ العراق وسوريا والأنظمة التي أبتلي بها جميع مكوناتهما من كرد وعرب، شيعة وسنة، مسلمين ومسيحيين وايزديين وغيرهم. سأكتفي هاهنا بالاستشهاد بالصحف السورية حصراً لدحض ماذهب إليه الموصلّي، الذي اتخذ من الانتساب الشكلي للبعث جواز مرور لنشر آرائه التي تناقض وجهة نظر دمشق الرسمية. فصحيفة البعث الدمشقية مثلاً نشرت[2]: (يشن حاكم العراق صدام حسين حرب إبادة ضد المواطنين العراقيين في الشمال العراقي، ففي عام ١٩٨٨، وفي بلدة

---

(١)– أنظر: مجلة سوراقيا – العدد/٦٧٧/ بتاريخ ١٩٩٦/٨/٢٦.

(٢)– راجع صحيفة البعث: العدد الصادر بتاريخ ١٩٨٩/٦/٢٨.

حلبجة وحدها، قتل أربعة آلاف مواطن مدني نتيجة غازات سامة، شنتها الطائرات الحربية على البلدة الآمنة التي لفتها غيمة من الغازات السامة، قضت على كل شيء حي فيها). وأضافت في ذات العدد: (ومنذ عام ١٩٨٧ وحتى الآن، بلغ عدد القرى التي أزالها صدام حسين عن وجه الأرض أكثر من أربعة آلاف قرية، وبلغ عدد المشردين أكثر من مليونين).

أما صحيفة الثورة السورية[١] فقد ادانت بدورها جلاد العراق الذي دمر مدن وقرى كردستان واستخدم الأسلحة المحرمة دولياً ضد سكانها الآمنين. كما أشارت صحيفة تشرين السورية بدورها[٢] إلى أساليب التنكيل والتصفية الجسدية التي لامثيل لها في التاريخ، وأعمال التهجير الممنهجة التي كان الشعب الكردي ضحيتها.

لست أدري حقيقة عن أية مساواة يتحدث الموصلّي، تلك التي ادّعى بأن الكردي كان ينعم تحت ظلالها مع أخيه العربي؟. ثم هل من الانصاف وصم انتفاضة آذار ١٩٩١ بأنها كانت مفتعلة ؟. وكيف لا يشعر الموصلّي بتأنيب الضمير حين يقوم بلي عنق الحقائق زوراً وبهتاناً ويدعي بأن حلبجة ليست سوى مأساة مختلقة؟. لا شك ان الاطار الايديولوجي الذي يمارس فيه الموصلّي ديماغوجيته المعهودة منذ فترة وبوحي من مخيلة مسكونة بفكر بعثي عفلقي قد غدا عارياً لكل ذي بصيرة، فمحاولة الخلط بين النضال التحرري الذي يخوضه الكرد ضد النظام من جهة ومحاولات النيل من العراق من جهة أخرى تستهدف أول ما تستهدف تمرير المواقف التي تصب الماء في طاحونة ديكتاتور العراق وتلوح بحياء مستتر إلى ضرورة بقائه، هذا البقاء الذي هو وحده يستهدف العراق بعربه وكرده وأقلياته القومية والدينية الأخرى.

إن الموضوعات المعلبة التي يسوقها الموصلّي ماهي سوى موضوعات استهلاكية تبرر السياسة النتنة التي تنتهج ضد شعبنا من قبل غاصبيه من جهة، وتدخل اليأس إلى نفس الكردي ليتخلى طوعاً عن حقه ككردي طالما ما ناله الكرد في العراق يتجاوز ما نالوه في كل من سوريا وتركيا وايران، وكأن ما انتزعه الكرد من حقوق نتيجة نضالاتهم وتضحياتهم في كردستان العراق هي هبة من نظام صدام. إن

---

[١]- راجع صحيفة الثورة: العدد الصادر بتاريخ ١٩٨٩/٦/٨.

[٢]- راجع صحيفة تشرين: العدد الصادر بتاريخ ١٩٨٩/٧/٤.

تمرير هـذه الموضـوعات الـتي تحـاول اعـادة ترتيـب الأمـور بهـدف صـياغة وجـدان الكردي وفق ما ذهب إليه ابن خلدون من أن المغلوب يقتدي بالغالـب، إن مثـل هـذه المحاولة المكشوفة المفضوحة التي يتصور فاعلها أن الكرد ماهم سـوى أرانـب علـى مرمى مصيدته أو قاب قوسين أو أدنى منها، لهي محاولة فاشلة رغم انبهـار الـبعض بها؛ من هنا باتت المواجهة مع المتسللين من هذا الصـنف ضـرورة لا منـاص منهـا. وإذا ضربنا صفحاً عن ذكر أسماء مـن يسـيئون للأخـوة العربيـة الكرديـة ويحـاولون عبثاً النيل من صرحها الشامخ، وهم بالمناسبة كثر، فلابد من القول بأننا كنا نأمـل أن ترسخ هذه الأقلام قيم الاخاء والحق، لا أن تروج ما تبثه وسائل اعلام النظـامين في بغداد ودمشق ليل نهار أو أن تعيد انتاج مورثاتها البائسة، فقد حان زمـن التحـرر من منطق فقهاء الظلام من أمثال مَن حاكموا غاليلو حين واتته الجرأة للتأكيـد علـى كروية الأرض ودورانها حول نفسها وحول الشمس!.

م – عمداء الفـن العربـي: ابتلـى الفنـانون العـرب أيضـاً بلوثـة الايـديولوجيا، فالفنان المصري صلاح السعدني، حاول تبرئة نظام الطاغية صدام من تلـك الجـرائم التي اقترفتها يداه بحق الكرد، بـدءاً مـن الأنفـال (١٨٢) ألـف ضـحية، ومقتـل (١٢) ألف كردي فيلي، و (٨) آلاف من البارزانيين، وإبـادة (٥) آلاف في حلبجـة بالأسـلحة الكيمياوية المحرمة دولياً، ناهيك عن المقابر الجماعية و تـدمير آلاف القـرى الكرديـة، ورغم ذلك تنطح ليكون: (محامياً عتريساً، وهو يبرىء نظـام الطاغيـة ومـن معـه مـن الجرائم المنسوبة اليه)[١]. أما عادل امام، المقموع والمستهدف من القوى الأصـولية، رفض بدوره: (استلام مجموعة من أعماله مدبلجة بالكردية، طبعاً لأنه – ببساطة – اعتبرها اهانة له وللفن)[٢]. أليسـت هـذه المواقـف تعـبيراً عـن الكـرد – فوبيـا، هـذا الشبح الذي يصول ويجول منذ عقود في مخيلة هذه النخب، التي أضحت أسيرة وَهْـمٍ أنتجته الأنظمة الحاكمة الى الحد الذي غدت النخب متماهية مـع أنظمتهـا، بمـن فيهـا شـريحة رجـال الـدين الـتي آثـرت الصـمت المريـب ازاء محنـة الكـرد، ولا يُخفـى أن:«الساكت عن الحق شيطان أخرس»، وفق ما ورد في الحديث الشريف ؟.

(١)– ابراهيم محمود: طريدو التاريخ/ الكرد في خضم حروب الآخرين – من اصدارات جامعة دهوك/ مركز بيشكجي للدراسات الانسانية – دهوك ٢٠١٦ – ص٢١.

(٢)– المصدر السابق – ص٢٢.

وخير مانختتم به قولنا ما جاء في محكم تنزيله:«.. فأمَّا الزَّبَدُ فيذهبُ جُفاءً وأمّا ما يَنْفَعُ الناسَ فيمكُثُ في الأرض..»[1].

مواقف أنصفت الكرد: منذ تأسيس سوريا، كانت مقاليد السلطة بيد العرب السنة (وهم الأكثرية بالنسبة إلى مكونات سوريا)، ثم انتقلت هذه المقاليد ليد الأقلية العلوية (نسبتها بين ١٠– ١٢٪)، وأضحى السنة في ظل حكم آل الأسد أقلية سياسية في سوريا وإن كانت أكثرية ديموغرافياً. عكس العراق الذي كانت زمام الأمور بيد العرب السنة وهم أقلية ديموغرافياً، حتى تمت الاطاحة بنظام صدام حسين، فانتقلت زمام الأمور ليد الشيعة. المهم، أن الممسكين بالسلطة في كلتا الدولتين وقفوا بالمرصاد ضد طموحات الكرد في ممارسة حقه في تقرير مصيره بنفسه. وفي مؤتمر فينا/ حزيران ١٩٩٢ أقرت المعارضة العراقية بحرية الكرد في تقرير مصيرهم، لكن ضمن جمهورية العراق، والموافقة هذه كانت بحق إلتفافاً على مبدأ حق تقرير المصير، رغم أن البرلمان الكردي قد سن في ٤ تشرين الأول ١٩٩٢ قراراً بتبني الفيدرالية كنمط من أنماط حق تقرير المصير. أما المعارضة السورية، المتمثلة في الائتلاف الوطني السوري، فقد رفضت مبدأ الفيدرالية الذي أقره المجلس الوطني الكردي في سوريا.

فيما يلي قمنا بتقصي مواقف بعض المثقفين العرب ومفكريهم وسياسييهم، كي تكتمل الصورة، لأن اللوحة ليست قاتمة كلياً. فكم يبدو موقف أمثال: منذر الموصلّي وزبير سلطان والدكتور محمد عابد الجابري ومحسن سراج وغيرهم من القضية الكردية متخلفاً عن مواقف بن بلا وعبد الناصر التي أنصفت الكرد، فكان الأول يشبه بين الثورتين الجزائرية والكردية، وكان في الوقت نفسه يحذر العراقيين من مغبة ارتكاب الخطأ الذي اقترفه الفرنسيون في الجزائر. أما جمال عبد الناصر – والحق يُقال – فقد أقرّ بحق الشعب الكردي، بما فيه حقه في التمتع بالحكم الذاتي، وكان هو الآخر يلوم المسؤولين العراقيين قائلاً: (لست أدري لماذا يخيفكم الحكم الذاتي، فقد اعتمدت بلدان أوربية كثيرة نظام الادارة اللامركزية، دون أن يلحق أية مخاطر بوحدة تلك البلدان). كما تحضرني أسماء كوكبة من الأخوة العرب ممن ساهموا بمواقفهم النبيلة وأصواتهم الجريئة في اذابة الجليد بين أبناء الأمتين العربية

---

(1)– سورة الرعد – الآية: ١٧.

والكردية، فكانت بمثابة مشكاة أنارت سماء ليل كردستان الطويل، من أمثال: الدكتور فهمي الشناوي، صاحب كتاب«الأكراد يتامى المسلمين»، والأستاذ القدير فهمي الهويدي، الذي سمّى الكرد بشعب الله المحتار أو شعب الله المصلوب، والأستاذ اللامع صالح القلاب، وصديق الكرد الدكتور منذر الفضل، وجلالة الملك عبدالله الثاني ملك الأردن، والبابا الذي سبق أن أشاد بتجربة كردستان العراق في الحفاظ على السلم الأهلي، وذهب هو والملك عبدالله الثاني الى أبعد من ذلك، حين صرحا بأنهما أول من سيعترف باستقلال كردستان العراق في حال إعلانه، تحت زعامة رئيس الإقليم مسعود بارزاني، وآخرين كثر، ممن تناولوا القضية الكردية من منطلق أخوي، بعيداً عن التعصب.

لقد قارب **غسان سلامة** الهم الكردي، حين أشار إلى الاخوة العربية – الكردية الحقيقية في مقابلة مع اذاعة مونتي كارلو قائلاً: دافع الأكراد منذ فجر الاسلام وحتى اليوم عن الاسلام والقضايا العربية العادلة، وقدموا على هذا الدرب قادة عظام وتضحيات جسام، والآن يتعرضون إلى سياسة تقوم على القمع والاضطهاد والتنكيل، ناهيك عن الجينوسايد، وها قد جاء دور العرب للوفاء لهذا الشعب للبحث عن حلول عادلة للقضية الكردية في كل من العراق وسوريا، ومساندته للحصول على حقوقه القومية كاملة، بهذا الشكل سنحافظ على تلك العلاقات التاريخية بين الشعبين الشقيقين، نحافظ على نقاوتها وأصالتها ومكانتها[1].

وكان لـ: **شفيق الحوت**، عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، موقفاً متميزاً، حين مضى إلى أبعد مما سبق، حين قال: كنت آخذ على المفكرين القوميين العرب أنهم لم يعوا في أدبياتهم السياسية قضايا القوميات الأخرى، ولاسيما القضية الكردية، ولم يولوها ما تستحقه من عناية واهتمام، فبدت العروبة والفكر العربي قومية استعلائية، عنصرية في بعض المراحل. لكن في الوقت نفسه وانصافاً للحقيقة، كانت هناك أصوات في الماضي وتوجد الآن في الحاضر، ربما ليست بالحدة المطلوبة، ولكنها تؤكد على أهمية تلبية الحقوق القومية للشعب الكردي سواء في العراق أو في سوريا. ومضى يقول: نحن نطل على القرن الحادي والعشرين، ونمر في عهد يسمى عهد حقوق الانسان، من حق الشعوب أن تقرر مصائرها... فالشعب من

---

(1)– عبد الحكيم بشار(الدكتور): أية قضية، أي ضحاك وأي ملاذ ؟ – ص١٢٢و١٢٣.

حقه أن يكون ضمن هذا الكيان أو لا يكون، ولم يعد من الممكن أن تكره شعباً على وحدة، كما أنه من غير الممكن أن تكرهه على انفصال لا يريده. إن هناك اليوم دولاً تتفكك وأخرى تتشكل حديثاً، والسبب في ذلك أن الشعوب في هذه البلدان لم تكن قد سُئلت في شأن تقرير مصيرها في السابق. والفيدرالية، نوع من أنواع الخيارات المطروحة في أكثر من مكان في العالم، بما في ذلك منطقتنا... فيما يتعلق بوضع الأخوة الأكراد، إذا كان الأمر ينطلق من مبدأ حق تقرير المصير، وإذا كانت الظروف الذاتية والموضوعية تسمح بذلك، فهذا قرار صائب. ثم يقول: كثيراً ما عمدنا إلى حل مشاكلنا – نحن العرب – إما باسلوب القمع أو باسلوب التجاهل والانكار (اسلوب النعامة)، وقد حان الوقت لتغيير ذلك. ربما هناك عند العربي وَهْمٌ بأن الكردي إنسان غريب قادم ليعتدي على أراضينا وخيراتنا، ولايعرف أنه قائم على أرضه وخيراته، وأنه محروم من أرضه وخيراته، وأنه يلقى الظلم والاضطهاد، لأنه يتشبث بأرضه ولغته وتاريخه[1].

وقال الكاتب المصري **محمود عزمي**، رئيس تحرير مجلة (الفكر العربي): إن المطلوب هو خلق مناخ ديمقراطي سلمي لحل القضية الكردية، لقد رأينا كيف انفصلت تشيكوسلوفاكيا إلى دولتين منفصلتين بطريقة هادئة ومن دون عنف. إن رفض تلبية حقوق القوميات المضطهَدة هو الذي يولد العنف، والحال أنه لا يمكن خلق المناخ السلمي المطلوب إلا من خلال توافر الديمقراطية، وهي المشكلة المزمنة في الشرق الأوسط، وخاصة في الوطن العربي. ومضى يقول: هناك فراغاً ملحوظاً في مشروع عربي شامل لحل القضية الكردية، على الأقل في العراق وسوريا، وهذا يعود، كما قلنا، إلى غياب الديمقراطية. والواقع أنه ليس الأكراد فقط يعانون الظلم، بل أن الشعوب العربية نفسها تعاني من اضطهاد أنظمتها. صحيح أن الأكراد يعانون أكثر ويلقون اضطهاداً شاملاً، قومياً وثقافياً واقتصادياً وسياسياً، لكن الشعوب العربية بدورها ليست حرة ولا تملك إرادة التعبير... إن هناك غياباً لمنظور عربي بالنسبة للمسألة الكردية على جميع المستويات الشعبية والعليا. والجامعة العربية بدورها تفتقر إلى أي دور في هذا المجال، وهي على أي حال جامعة أنظمة وليست جامعة الشعوب العربية... هناك من يشبه قيام دولة كردية باسرائيل، وهذا خطأ جسيم.

---

(1)– أنظر: صحيفة الحياة – العدد/١٠٩٩٧/ – الاثنين ٢٢ آذار ١٩٩٣.

فالأكراد في وضع مختلف تماماً عن وضع اسرائيل. فهم ليسوا جسماً غريباً في المنطقة، إنهم من تاريخ المنطقة وساهموا في الحضارة العربية والاسلامية بقوة... على النخب العربية أن تعي أهمية استيعاب الخصوصية الكردية وأن لا تنظر إليها على أنها بعبع أو مؤامرة، وما إلى ذلك من تصورات مشبوهة وخاطئة رسختها الممارسات والتصورات المعيبة للأنظمة.. إن جوهر الحل يكمن، قبل كل شيء، في توفير الديمقراطية[١].

أما **عبد الرحمن الراشد** فقد كتب مقالة[٢] تحت عنوان«الشوفينية العربية في أحدث معاركها»، انتقد فيها الصمت العربي وتخاذله إزاء مأساة الكرد في العراق إبان هجرتهم المليونية واحتمائهم بجبالهم في أجواء يسودها القرّ والزمهرير هرباً من الأسلحة الكيمياوية وآلة الفتك العراقية، وانتقد فيها حَمَلة الراية الاسلامية الذين لم ينبسوا ببنت شفة، رغم أنها لا تكلفهم ثمناً، كي يعبروا بها عن تعاطفهم مع الذين يموتون في الجبال. واختتمها قائلاً: هذه الجماعات – يقصد حَمَلة الراية الاسلامية – التي تمثل قمة الوصولية والرغبة في الحكم باسم الدين، تتخلى اليوم عن أحفاد صلاح الدين.. هاهم أحفاده أمام سمع العالم، مشردون مُلاحقون في الجبال، لم يسمعوا كلمة تعاطف واحدة ينظرون إلى السماء في انتظار أن يهبهم الغرب وقلة من العرب خبزاً وخياماً وبطانيات من أجل البقاء على قيد الحياة.

ومضى الراشد[٣] يدين الصمت العربي في حق الكرد، قائلاً: محنة الأكراد في العراق تعرّي بكل أسف وضعنا " الأخلاقي". وانتقد بشدة صمت المثقفين العرب من المحيط إلى الخليج، ممن اعتادوا أن يتحدثوا عن حقوقهم كعرب، ثم لاذوا بالصمت إزاء قضايا الكرد العادلة، خصوصاً تلك القضايا التي يشكل العرب طرفاً فيها. وقد سبق أن تناول **جبران حايك** هذه القضية الشائكة – أعني القضية الكردية – منذ عام ١٩٦٤، منوهاً أن المبادىء المتطرفة التي نادى بها البعث وسواه من الأحزاب العروبية، ترتكز على تصورات عنصرية ومفاهيم نقاوة الدم العربي، مما أوقعت القومية العربية في منزلق خطير، شوهت سمعتها. وقال الحايك

---

(١)– أنظر: صحيفة الحياة – العدد/١٠٩٩٨/ – الثلاثاء ٢٣ آذار ١٩٩٣.

(٢)– أنظر: مجلة(المجلة) – العدد/٥٨٤/ – بتاريخ ١٧– ١٩٩١/٤/٢٣.

(٣)– أنظر: مجلة(المجلة) – العدد/٦٢٥/ .

يومها: في البلدان العربية التي لم تكن عربية قبل الاسلام، والتي أصبحت عربية اللغة والدين، لا تزال تعيش أقليات كبيرة غير عربية... لا يجوز اللجوء إلى إرغامها على التنكر لقومياتها كما حصل مع الأكراد. وأضاف: كان الأكراد يتكلمون كأكراد ويطالبون بأخوة عربية كردية... فيجيبهم البعثيون: أنتم عرب !.

ويحذو الدكتور **صلاح المنجد** حذو جبران حايك فيقول: لعل من العجائب في هذه الأيام – الحديث يعود إلى عام ١٩٦٤– أن القومية العربية نفسها بعد تحولها من قومية انسانية إلى قومية عنصرية، كلما أرادت أن تفخر أو تباهي، ذكرت عظماء كانوا لا يمتون إلى العروبة بصلة قومية قط، من طارق بن زياد البربري حتى صلاح الدين الأيوبي الكردي.. أما في حقول العلم والفلسفة فالحديث يطول. هناك شرفاء كثر دافعوا عن الكرد ومازالوا يدافعون عن قضيتهم العادلة، وتطول القائمة على هذا الصعيد، فأعتذر ممن أسدى بواجبه تجاه شعبنا ولم نذكره.

ثامناً – القضية في ظل حكم تركيا وايران (الاسلاميتين):

هناك تساؤل: هل يكمن الحل إذاً في الاسلام السياسي يا تُرى ؟. ثمة تجربتان اسلاميتان معاصرتان على هذا الصعيد، فشلتا في ايجاد أي حل مناسب حتى الآن للقضية الكردية رغم مضي سنوات عليهما، بل اكتفتا بالدعوة إلى التمسك بحبال الوهم، عبر شعارات من قبيل: الاسلام هو الحل، الأولى في تركيا والثانية في ايران، لامناص من تناولهما كي تزداد الصورة وضوحاً.

أ – الاسلام (الطوراني ـ السني): وصف يشار كمال (تركيا) في مقابلة صحفية له بأنها تعيش اليوم أسوأ أيامها. والحق يقال أن تركيا لم تشهد استقراراً سياسياً منذ قيامها ولن تنعم بالأمن مادامت شتى القوى السياسية التركية، المشبعة بالروح الطورانية إلى حد الثمالة، هي في سباق من أجل حل التناقضات المتفاقمة في الداخل بأعقاب البنادق. من المعروف أن حزب الرفاه الاسلامي بقيادة نجم الدين أربكان قد أحرز تقدماً ملحوظاً في الانتخابات البرلمانية التي جرت في ١٩٩٥/١٢/٢٤، واستطاع كسب أوساط كردية واسعة عن طريق تلك الشعارات المبهمة وانتزع/١٥٨/ مقعداً في البرلمان، ونجح في ١٩٩٦/٦/٢٩ لتشكيل حكومة ائتلافية مع جيلر، لكنه لم يطرح برنامجاً محدداً لحل المشكلة الكردية في تركيا، وما العبارات الفضفاضة التي كان يدلي بها بين الفينة والأخرى سوى محاولة لدغدغة المشاعر الدينية للكرد وتضليلهم

بغية كسبهم في المعركة الانتخابية. وقد صرح نائب أربكان في الحوار الذي أجراه معه نبيل ملحم في العدد/٩٢١/ من مجلة الكفاح العربي، مفصحاً عما بداخله ومكشفاً النقاب عن جوهر موقفهم، حين نفى نفياً قاطعاً من أن تكون هناك ثمة مشكلة كردية في تركيا، وأعتبر الكرد أتراكاً، فكشف بقوله هذا عن جوهر الايديولوجيا الكمالية التي كانت وماتزال تقوم على وهمين: **الأول** – يعتكز على زعم باطل، مفاده أن العنصر التركي هو أصل الحضارات البشرية. **والثاني** – يرتكز على ترهة سخيفة تزعم أن اللغة التركية هي أم اللغات. بهذا الشكل كانت الكمالية: (ترى أن أية حضارة إنما نبعت من تركيا، وأية لغة إنما خرجت من تركيا)[1]. ويمضي نبيل ملحم في استدراج نائب رئيس حزب الرفاه إلى موضوع الحرب التي تدور رحاها بين الروس والشيشان، فيجيب الأخير: هؤلاء – يقصد الشيشان – يريدون الحرية ولهم الحق في تقرير المصير. يقاطعه نبيل ملحم: مادمت منحت هذا الحق للشيشان، فلِمَ لا تمنحه للكرد الذين مازالوا يعيشون تحت وطأة الطورانية؟. من الواضح أن زعماء حزب الرفاه بالأمس وحزب العدالة والتنمية الذي يتزعمه اليوم أردوغان يقومون بعرض بضاعتهم هذه على الملأ، ووصل بهم الأمر إلى حد استغفال الكرد وتوظيف الدين على هذا الصعيد لأجل تمتين سياسة التتريك. ومن المفيد قوله أن جواهر لال نهرو كان سباقاً لتعرية سياسة أسلاف الرفاه وحزب العدالة والتنمية القائمة على الكيل بمكيالين حين كتب رسالة إلى ابنته أنديرا غاندي منذ ٨ أيار ١٩٣٣ أزاح فيها الستار عن طبيعة الطورانية وايديولوجيتها العنصرية منوهاً بأن الأتراك الذين حاربوا مؤخراً للحصول على حريتهم، سحقوا الأكراد لمطالبتهم بحريتهم. ومضى يقول: فما أغرب تحول القومية من دفاع عن الوطن إلى هجوم لسلب حرية الغير. إنه سلوك مريب حقاً، وضمن هذا السياق أيضاً يمكن فهم موقف نيلسون مانديلا، حين رفض استلام وسام تركي رفيع المستوى، وأجاب حين سئل عن سبب احجامه، قائلاً: على مَنْ يود معرفة السبب عليه ان يتخيل نفسه كردياً ولو لساعة واحدة.

ب – الاسلام (الفارسي ـ الشيعي): التشيع في جوهره في البدء كان تياراً فكرياً معارضاً تمتد جذوره إلى أيام الرسول، ثم تبلور كنزعة لها أنصارها عقب مقتل عثمان وعلي، ومالبث أن استقل كاتجاه سياسي على أثر فاجعة كربلاء التي

---

[1]– درية عوني: مجلة المستقبل العربي – العدد١/١٩٩٨.

كان من نتائجها ظهور ما يسمى بالتأويل الشيعي للنص المقدس، هذا التأويل الذي اتسم بنزعة ثورية متمردة ازاء تأويلات السلطة المحافظة (بني أمية) آنئذ، وليس أدل على ذلك ما اختلف بصدده كل من معاوية وأبي ذر الغفاري حول دلالة الآية الكريمة: (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم)[1]. ففي الوقت الذي كان فيه معاوية يرى أنها نزلت في أهل الكتاب، وأنه لا ضير بالتالي على المسلم أن يكنز الذهب والفضة، كان أبو ذر الغفاري يؤكد قائلاً: انها نزلت فينا وفيهم.

ما أود الوصول إليه حقيقة هو أن الاسلام السياسي في ايران إتكأ أول ما إتكأ على هذا الارث أصلاً في مناهضة الشاهنشاهية وتسلح بالنصوص الواردة في القرآن والحديث النبوي والتي تجيز للمسلم الحق في مقاومة الحاكم المستبد. لقد شكل الاسلام ايديولوجية الثورة التي تزعمها آية الله الخميني، تلك التي أطاحت بصروح الشاه عام ١٩٧٩، وهذه الميزة – أعني اليافطة أو الغلالة الدينية – أكسبت الثورة زخماً جماهيرياً كبيراً من لدن الطبقات والفئات المسحوقة والشعوب الايرانية المضطهَدة (الكرد، العرب، الأذريين ..الخ)، لأن ظهور الاحتجاج السياسي تحت غلاف ديني هو ظاهرة خاصة بجميع الشعوب في مرحلة معينة من تطورها، كما يقول لينين. لكن الوعود التي قطعها قادة الثورة سرعان ما ذهبت أدراج الرياح جرّاء تبلور النزعة المحافظة بعد الوصول إلى السلطة، والدليل هو افتقار النظام الايراني حتى اليوم لبرنامج سياسي لحل المسألة القومية، ناهيك عما تمارسه السلطات الايرانية من ارهاب في الداخل وتصفية خصومها في الخارج (اغتيال الشخصيتين الكرديتين البارزتين قاسملو وشرفكندي)، حتى باتت الجماهير التي دفعت بسخاء فواتير المعارك في مواجهة الشاهنشاهية وآلتها القمعية (السافاك) تتساءل: تُرى بأي حق تأكل الثورة أبناءها ؟. ثم تمضي في التساؤل قائلة: أهذا هو ذا الاسلام حقاً ؟.

لا يُخفى على المراقب السياسي أن استراتيجية التعامل مع الشعوب الايرانية ومن ضمنها الشعب الكردي تراوحت بين: (استخدام الدولاب العسكري لقمع أي محاولة احتجاجية والتفاوض التكتيكي من اجل شراء ولاء قادة الأقليات وتبريد

---

(١)– سورة التوبة: ٩.

مطالبهم القومية)[1]. ولا نتوقع من القيادات التي تتربع اليوم في واجهة المشهد عن إحداث أي تغيير جوهري لأنها خرجت من رحم النظام.

المتأسلمون من الكرد كثيراً ما يستشهدون بقول ابن الخطاب: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً). لكن مسألة التلازم بين القول والفعل، أعني العلاقة الجدلية بين النظرية والتطبيق كانت تؤرق الانسان منذ القديم، ولولا ذلك لما أشار القرآن في قوله: (يا أيها الذين آمنوا، لِمَ تقولون ما لا تفعلون، كبُرَ مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)، من هنا قال هادي العلوي: (المبادىء ليست سياج عصمة لأصحابها). فالمتتبع للسياسة الايرانية لابد أن يلفت نظره الفصل الفظ بين القول والممارسة وفصم عرى العلاقة بينهما، والذي ما هو إلا شكلاً من أشكال النفاق السياسي لا يحتاج إلى من يستنطقه. فالقوى الاسلامية (دولاً كانت أو أحزاباً) في شعاراتها الديماغوجية المؤيدة لقضايا البوسنة والهرسك وكشمير...الخ تتوخى كسب الحد الأدنى من التأييد الجماهيري، عبر دغدغة عواطف بسطاء المسلمين. لكن الازدواجية في المعايير إزاء القضايا المتشابهة فاقعة، ففي الوقت الذي تتسابق فيه تركيا وايران للتضامن مع الفلسطينيين بهدف التقرب من العالم العربي والاسلامي، نجد انهما تتجاهلان القضية الكردية. فالشعارات البراقة والخطب البليغة لا تستطيع حجب الحقائق، مثلما لا تستطيع الهالة التي يتحصن – المتشدقون بفكر الإسلام السياسي – وراءها أن تخفي الواقع، ففي التجربة أظهر هذا الفكر تهافته وخواء منطقه المغلف بغلالة دينية، وها قد بدأت صرخة الضحية المدوية (وا.. اسلاماه) التي أطلقت منذ مئات السنين تضعف وتخبو تدريجياً.

في العالم قرابة ١.٣مليون مسلم (١ مليار سني يتوزعون بين الشافعية والمالكية والحنبلية والحنفية.. الخ، ونحو ٣٠٠مليون شيعي يتوزعون بين الاثني عشرية والعلويين والعلي إلهي والزيديين والاسماعيليين والهزارة.. الخ). واتت الفرصة بعد ثورة الخميني عام ١٩٧٩ الشيعة (كي يثأروا لماضيهم)[2]، وباتت ايران حاضنة الشيعة في العالم، وأعد الخميني نفسه ممثلاً لكل الشيعة، بعد أن نجح في إحياء الأمل الشيعي في الوصول إلى السلطة. ومن المفيد قوله أن نظام ولاية الفقيه يعتمد مبدأ (تصدير الثورة)، من هنا نجد أن طهران تتدخل في كل الدول التي تتواجد فيها

---

[1]– أنظر: مجلة السياسة الدولية المصرية – العدد ١٣٠.

[2]– أنور حسين(بازكر): نفوذ الهلال الشيعي في الشرق الأوسط – ترجمة: علي شمدين – ص٤٠.

أقليات شيعية، ويمكن تفسير دعمها لـ (P.K.K) من خلال الأسباب التالية: **الأول**: الصراع التركي – الايراني على النفوذ، الذي يمتد بجذوره إلى الصراع العثماني – الصفوي. **الثاني**: وجود ١٦ مليون علوي في تركيا بمن فيهم الكرد العلويين، لذا تحاول طهران العمل على الخط المذهبي وتعزيز دورها على هذا الصعيد، ومن هذا المنطلق تحاول دعم دور الشخصيات القيادية الكردية العلوية في حزب العمال الكردستاني، ويمكن القول بأنه كان لها تأثير ملفت في المؤتمر الأخير للحزب (في انتخاب جميل بايك وبسي هوزانت، كرئيسين مشتركين لـ: KCK)[١]. **الثالث**: إقامة هلالها الشيعي الممتد من الخليج إلى البحر المتوسط على أقل تقدير، من هنا يفسر تشبثها بالأسد وعدم تركه ليلقى نفس مصير القذافي وحسني مبارك وغيرهما، مما استدعى الأمر كسب حزب الاتحاد الديمقراطي ليصطف إلى جانب النظام. وتركيا بدورها لعبت نفس هذا الدور في محاربة القضية الكردية من خلال كسب القوى السنية لتصطف إلى جانبها، فاستثمرت المؤتمر العالمي لاتحاد علماء الدين الاسلامي، الذي عقد في استانبول، وزجت القرضاوي في هذه المشكلة، حين دعا بدوره كل القوى لشن حملات الشجب والاستنكار ضد ممارسات حزب العمال الكردستاني P.K.K ارضاءً لأردوغان، فوضع: (نفسه في مأزق أخلاقي وانساني، كان بغنى عنه، حين وضع الجيش التركي بعديده وعتاده وأجهزة مخابرات الدولة التركية، المشهود لها بالبطش والارهاب والتصفيات الجسدية في خانة الملائكة.. ومقاتلي الكردستاني في خانة الشياطين الأشرار والعابثين في الأرض فساداً)[٢].

قال الشيخ القرضاوي: من حق تركيا أن ينعم أهلها بالأمن والاستقرار[٣].. إن الذين يقومون بأعمال العنف والارهاب، يخدمون أعداء الأمة الاسلامية..!، في ازدواجية قل نظيرها، وكان حرياً به ألاّ يغض الطرف عن ارهاب الدولة المنظم. لكن الاستاذ مصطفى ابراهيم أحسن في الرد على القرضاوي قائلاً: (لكن يجب أن يكون ممارسة هذا الحق متلازماً ومتزامناً مع حق الشعوب والقوميات التي تعيش بين ظهرانيها)[٤].

---

(١)– المصدر السابق – ص٦٢.

(٢)– مقال: ما هكذا تورد الابل يا قرضاوي – بحوزة صاحبه المحامي مصطفى ابراهيم، السكرتير الأسبق للحزب الديمقراطي الكردي(البارتي)، حالياً يدعى الحزب الديمقراطي الكردستاني في سوريا.

(٣)– كلمة حق يُراد بها باطل.

(٤)– نفس المصدر السابق.

الفصل التاسع

رؤية الحركة السياسية الكردية لمستقبل سوريا

(مشروع الفَدْرَلَة)

"لن يستتب الأمن في هذه المنطقة الحيوية مـن آسـيا، مـن دون حـل المشـكلة الكردية"

(**باسيلي نيكيتين**/ نيسان ١٩٤٣)

مدخل:

يُعَرِّف هاكان أوز أغلـو **القوميـة** بأنهـا عبـارة عـن: الحركـة السياسـية لجماعـة اثنية، يقوم تماسكها على أساس اللغة والـدين والقرابـة والأرض المشـتركة. وتصـبح الحركة قومية الطابع فقط عندما تنتظم جماعة من الناس، تؤمن بأنها تشـكل كيانـاً اثنياً مميزاً، سياسياً وتكافح من أجل اقامة الدولة القومية، أو على الأقـل، الحصـول على حكم ذاتي في وطن"تاريخي"[١]. وبالتالي يمكن تمييزها عن مفهوم **الوطنية** الذي يعني الانتماء لدولة ما مثل سوريا.

أمـا **الهويـة** فـتعني احسـاس جماعـة (قوميـة، دينيـة.. الخ) بـذاتها وانتمائهـا المختلف، من خلال خصائص مميزة (العرق، اللغة، الدين، المذهب، التراث، العـادات والتقاليـد، الأرض والتـاريخ ..الخ). لـذا، فالهويـة موضـوع أخـذ ورد في الأدب السياسي، وهي متعددة الأوجه (قومية، سورية، اسلامية..الخ)، وفي حالة تحول، وقد بـرزت القضـية جليـة في الآونـة الأخـيرة، عقـب الانهيـار الـذي أصـاب "المنظومـة الاشـتراكية"، ونتيجـة تطـور تكنولوجيـا الاتصـالات في عصـر العولمـة الـتي ألحقـت الهزيمة بالايديولوجيا. هذه المتغيرات كشفت للقاصي والداني معاناة المكون الكردي

[١]– هاكان أوز أوغلو: أعيان الكرد والدولة العثمانية – ترجمة عن الانكليزية: ا. د. خليل مـراد علـي – من منشورات الأكاديمية الكردية/ اربيل ٢٠١٦ – ص٢٤و٢٥.

من سياسات التعريب والتهميش والاستعلاء وسياسات الالغاء والانصهار والتهجير القسري والقمع في ظل النظام الشمولي، وتجريده من أبسط حقوقه والمساس بخصائص هويته المختلفة، تحت شتى الذرائع الواهية. وبما أن تلك الأنظمة الشمولية والدكتاتورية – ومنها تلك التي تحكمت بسوريا منذ الجلاء – فشلت في تحقيق المساواة وبناء دولة المواطنة، التي تعد من أهم أركان الدولة العصرية وهذه إحدى نقاط ضعف الدولة السورية، فنمت نزعة رفض التعايش المشترك مع المكون المسيطر، بعد انكفاء طويل في ظل القهر والطغيان والاقصاء، مما دفع الكرد إلى الانغلاق أو الاغتراب عن الواقع من جهة والتشبث بهويتهم من جهة أخرى، جرّاء القمع والاضطهاد لعقود ونتيجة المشاريع الشوفينية التي طالت المكون الكردي على نحو خاص واستهدفت هويته في الصميم، وحين واتت الكرد الفرصة المناسبة، بدأوا يطالبون بحريتهم في مواجهة الهيمنة، وعبروا عن ذلك في انتفاضتهم في الثاني عشر من آذار ٢٠٠٤، في مواجهة القوى السياسية السورية التي تشدقت بهويتها القوموية والاسلاموية والماركسوية وكان الاقرار بالتنوّع أو التعددية في إطار النوايا الحسنة لشريحة محدودة الحجم، وغالباً ما كانت تنظر إلى الهوية الكردية نظرة شك وريب بزعم النقص في ولائها أو خروجها على الهوية الوطنية العامة، واتهامها بتهم ما أنزل الله بها من سلطان، ويُنظر إلى منتسبيها كرعايا لا كمواطنين، وإن كان المواطنون ككل مهدوري الحقوق. لكن الكرد، اضطهادهم كان مركّباً ومعاناتهم مزدوجة، والأمر لا يحتاج إلى دليل أو نقاش.. مما بات الأمر يتطلب إقرار مبادىء المواطنة الكاملة والمساواة التامة وعدم التمييز، فذلك هو السبيل لتعزيز الهوية الوطنية.. وتأمين حقوق الهويات الفرعية القومية والدينية وغيرها.. ولا بدّ من اقرار ذلك دستورياً[1].

تعد سوريا دولة غير متجانسة اثنياً ودينياً ومذهبياً، بمعنى أنها متعددة المكونات، لأنها تضم الآن: العرب والكرد ، المسلمين والمسيحيين، السنة والعلويين والدروز وأقليات أخرى كالتركمان والسريان والكلدو – آشور والايزيديين (وهم كرد)..الخ. ولا تميز الكرد السوريين عن سائر المكونات الأخرى اللغة والثقافة فحسب، بل الاقليم الجغرافي الذي يعيشون فيه تاريخياً، مما يضفي هذا الأمر على

---

(1)– عبد الحسين شعبان(الدكتور): الهوية والمواطنة/ البدائل الملتبسة والحداثة المتعثرة – مركز دراسات الوحدة العربية – ط١عام ٢٠١٧/ بيروت – ص٦٧.

هويتهم ومطالبهم طابعاً مميزاً ينفي عنهم صفة الأقلية، فهويتهم الرئيسية هي الكردية، ثم اكتسبوا هوية أخرى (أعني الهوية السورية أو ما تُدعى الوطنية)، بعد أن ألحقوا أرضاً وشعباً بالكيان الناشىء (سوريا) قسراً، فالهوية السورية التي يحملونها منذ سايكس – بيكو مُرْغَمين لم تتأصل بعد، لكن هذا لا يعني أن الشعب الكردي في سوريا يناضل من أجل الانفصال، رغم القناعة التي تراودهم بضرورة نيلهم لحقوقهم غير القابلة للانكار، بما في ذلك حق تقرير المصير. هم اليوم، يطالبون بعقد سياسي جديد في سوريا المستقبل، بعد أن خيبت الحكومات السورية المتعاقبة منذ الجلاء ولاسيما في عهد البعث آمالهم، وضربت بمطالبهم عرض الحائط، فلا سبيل الى الاستقرار السياسي في سوريا غير المتجانسة والتي أنشئت عبر ولادة قيصرية الا بعقد اجتماعي جديد، هذا من جهة أما من جهة أخرى، فاننا إن أردنا ألا تتكرر الأخطاء التاريخية بعد ضم هذا الجزء من كردستان إلى الكيان السوري الجديد، يجب على المكونات السورية الأخرى وفي مقدمتها المكون العربي نبذ الانطباع الذي رُوّج له طوال عقود من أن المكون الكردي عبارة عن أقلية وافدة، لأنهم من السكان الأصليين، وهذا يقتضي الاحتكام إلى مواقف المنصفين من أمثال الدكتور جمال الأتاسي وليس ترديد تلك الاسطوانة المشروخة التي سبق أن أعدها أمثال محمد طلب هلال، والتي ترمي إلى تذويب الكرد، عبر نسف مكونات هويتهم من خلال: (عدم تسجيل الأسماء الكردية للمواليد الجدد في أمانات السجل المدني – تطبيق سياسة التعريب ومحاربة اللغة الكردية – ترقيق المناطق الكردية عبر تهجير الكرد واسكان العرب فيها – كبح جماح الحركة السياسية الكردية وملاحقة نشطائها .. الخ). ولهذا، خلت كل الدساتير السورية، منذ عهد الانتداب وإلى اليوم، من أي إشارة إلى المكون الكردي من قريب أو بعيد، والأمرُّ من كل ما قيل باتت السلطات الحاكمة في سوريا، طوال عقود، تمارس ارهاباً "مكارثياً"[1] ضد الكرد، انطلاقاً من نظرية المؤامرة التي كانت تعشش في أذهانهم.

([1])– نسبة إلى السناتور الأمريكي(جوزيف مكارثي) الذي شن حملته ضد الشيوعيين في بلاده، بهدف النيل من خصومه. فالمكارثية تعني في دلالتها المجازية، ممارسة الارهاب الثقافي، أي توزيع التهم جزافاً، دون إثباتات كافية تدعم الادعاء. واليوم توسعت دلالة المصطلح لتضم كل الاتهامات الغوغائية، المتهورة، وغير المؤكدة، التي تمارس على المعارضة السياسية خصوصاً. راجع:

أ – المشروع الكردي: انطلاقاً من هذه الرؤية السالفة الذكر، طرح المجلس الوطني الكردي في سوريا (ENKS) مشروع الفيدرالية، وناضل من أجل اقامة سوريا ديمقراطية، إنطلاقاً من واقع سوريا المتعددة والمتنوعة المكونات (إثنياً، دينياً، مذهبياً)، متجاوزاً بذلك شعارات النضال من أجل الحقوق (السياسية والثقافية و الاجتماعية)، التي طرحت طوال نصف قرن مضى.

ضم المجلس الوطني الكردي[١] ENKS عند التأسيس (٢٠١١/١٠/٢٧) الأحزاب التالية: البارتي/ حكيم بشار – التقدمي/ عبدالحميد درويش – البارتي/ نصرالدين ابراهيم – يكيتي/ اسماعيل حمى – الوحدة/ شيخ آلي – اليساري/ محمد موسى – آزادي/ خيرالدين مراد – المساواة/ عزيز داوود – الوطني/ طاهر صفوك – الكردي السوري/ جمال الشيخ باقي، بالاضافة الى ممثلي التنسيقيات الشبابية وشخصيات مستقلة، ثم انضمت اليه فيما بعد: يكيتي الكردستاني – البارتي/ آلوجي – الوفاق – حركة الاصلاح، ثم انسحبت منه أربعة أحزاب هي: اليساري/ محمد موسى – واليساري/ صالح كدو[٢] – والكردي السوري ـ السلام/ طلال محمد وانضمت الى TEVDEM، وتم فصل ثلاثة أحزاب هي: الوحدة/ شيخ آلي – البارتي/ نصرالدين ابراهيم – الوفاق. أما PYD فلم يشارك في المجلس الوطني الكردي، وكذلك تيار المستقبل/ مشعل تمو سابقاً، الا أن الأخير انضم جناحاه الى المجلس فيما بعد.

شكل PYD مجلس شعب غرب كردستان، ضم: PYD و TEV-DEM ومنظمات أخرى في (٢٠١١/١٢/١٦)، ثم انضمت اليه أحزاب: اليساري/ محمد موسى واليساري/ صالح كدو والكردي السوري/ جمال الشيخ باقي والسلام/ طلال محمد وآخرون.

وتم الاتفاق بين المجلسين حول تشكيل الهيئة الكردية العليا في هولير (١) تحت رعاية رئيس اقليم كردستان العراق مسعود بارزاني، ثم عقد هولير (٢) ودهوك (٢٠١٤/١٠/٢٢)، لكنها لم تسفر في النهاية إلا عن خيبة أمل في الشارع الكردي.

عبدالكريم يحيى الزيباري – سؤال الهوية الكردية – ط١عام ٢٠١٢/ دار الفارابي – بيروت – ص ٨ (الهامش).

(١)ـ راجع الوثيقة رقم ١٥.

(٢)– فاليساري انقسم إلى جناحي محمد موسى وصالح كدو.

كما انقسمت القوى السياسية الكردية بين المعارضة الائتلاف من جهة وهيئة التنسيق من جهة أخرى، رغم أن PYD انسحب من هيئة التنسيق فيما بعد وبدأ ينسق مع النظام، دون أن يعلن مبادىء التنسيق هذه أمام الملأ. ثم أقدم مجلس شعب غرب كردستان منفرداً عن اعلان الكانتونات الثلاث (الجزيرة، كوبانى، عفرين)، وأعلن الـ (PYD) والقوى المتحالفة معه عن نموذج للفيدرالية فيما بعد، وتعمقت الخلافات بين الطرفين بشأن مؤتمر جنيف. لكن مازال النظام يرفض مشروع الفَدْرَلَة، مثلما ترفضه المعارضة (الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة) و (هيئة التنسيق)...الخ، وكأن التاريخ يعيد نفسه..!.

المنطلقات النظرية التي يطرحها P.Y.D تتفق مع روح ما طرحه أوجلان، زعيم حزب العمال الكردستاني P.K.K في (الأمة الديمقراطية) كنموذج لحل القضية الكردية بدلاً من الدولة القومية. فوفق وجهة نظره، الدولة القومية ليست هي نموذج الحل الديمقراطي الأمثل، أي ان الحالة الفيدرالية أو الكونفدرالية للدولة القومية ليست بحل ديمقراطي[1]، لأن الحل الديمقرطي يقتضي البحث عن دمقرطة المجتمع خارج اطار الدولة القومية. يقول أوجلان زيادة في التوضيح: اذا ما فسرنا الايديولوجيا القوموية بكونها دين الدولة القومية، فسنتمكن من الادراك أن الدولة القومية نفسها هي اله هذا الدين[2]. ووفق هذا المنطق أنشئت الكانتونات الثلاث (الجزيرة – كوبانى – عفرين)[3]. يمضي أوجلان قدماً في القول: (من المهم أيضاً عدم المغالاة في الوطن، فمفهوم " كلُّ شيء في سبيل الوطن" ينبع من مفهوم الأمة الفاشية. والأجدر هو نَذرُ كل شيء في سبيل مجتمع حر وأمة ديمقراطية... فالوطن ليس غاية، بل هو مجردُ وسيلة بالنسبة لحياة الأمة والفرد)[4]، وهكذا فالوطن والعَلَمُ واللغة، ليست مقدسة، والعيش في ظل تشاطر الوطن المشترك واللغات والأعلام المشتركة بشكل متداخل على درب الصداقة بدل التضاد، ليس ممكناً فحسب، بل هو في الوقت ذاته ضرورة

(١)– الأمة الديمقراطية – منشورات مؤسسة العلم والفكر الحر في روج آفا – ص١١.

(٢)– المصدر السابق – ص٦.

(٣)– راجع المصور ٢٧: الكانتونات الثلاث.

(٤)– المصدر السابق – ص٨.

من ضرورات حياة المجتمع التاريخي[١]. وهكذا نجد أن P.K.K انتقل من استراتيجية النضال من أجل اقامة دولة كردستان الكبرى القائمة على الكفاح المسلح، إلى استراتيجية النضال من أجل تحقيق الأمة الديمقراطية المُبْهَم بعد اعتقال أوجلان، ولا يُخفى التعارض الواضح بين الاستراتيجيتين.

ما من شك أن (الادارة الذاتية الديمقراطية) في الكانتونات الثلاث، تقوم على الاستراتيجية الثانية، كون P.Y.D ماهو سوى أحد فروع P.K.K في الجزء الكردستاني الملحق بسوريا، هذا الجزء الذي سمي بـ (روج آفا Rojava) ثم (شمال سوريا). فحين كانت الأطراف الكردستانية (كردستان العراق مثلاً) تطرح شعار الحكم الذاتي، ثم شعار الفيدرالية فيما بعد، كانت تُتّهم بالاصلاحية والتخلف والانبطاحية، واليوم ينظر P.K.K بعين المقت إلى الفيدرالية في كردستان العراق، وكذلك إلى الكونفيدرالية أو الاستقلال، على اعتبار أن الفيدرالية والحكم الذاتي مفهومان متخلفان: (ومن مفرزات الدولة القومية التي أنتجتها الرأسمالية العالمية، وحداثة هذه الرأسمالية، وما بعد حداثتها !)[٢].

أما المجلس الوطني الكردي (ENKS) فقد اتفق مع الائتلاف، بخصوص الشأن الكردي، على النحو التالي، وبدأ يحضر مؤتمرات جنيف وحده:

١ـ الاعتراف الدستوري بهوية الشعب الكردي القومية، واعتبار القضية الكردية جزءاً أساسياً من القضية الوطنية العامة في البلاد، والاعتراف بالحقوق القومية للشعب الكردي ضمن اطار وحدة سوريا أرضاً وشعباً.

٢− العمل على الغاء جميع السياسات والمراسيم والاجراءات التمييزية المطبقة بحق المواطنين الكرد في الماضي، ومعالجة آثارها وتداعياتها، وتعويض المتضررين واعادة الحقوق لأصحابها.

٣− اعتماد نظام اللامركزية الادارية من قبل الائتلاف، فتحفظ المجلس الوطني الكردي على هذه النقطة، وطرح صيغة الدولة الاتحادية (الفيدرالية).

٤− تضمن سوريا الجديدة لمواطنيها وكافة مكوناتها الحقوق وفق الشرائع والمواثيق الدولية.

---

(١)− المصدر السابق − ص٩.

(٢)− هوشنك أوسي: عن خرافة الأمة الديمقراطية − صحيفة كردستان − العدد ٥١٠ − ٢٠١٥/٤/١٥.

٥ ـ اعتماد صيغة الجمهورية السورية في تسمية سوريا الجديدة بدلاً من الجمهورية العربية السورية.

مما لاريب فيه أن صيغة (الفيدرالية) أو نظام اللامركزية السياسية، هي أنسب الصيغ لادارة الدولة في الدول الشبيهة بسوريا والعراق وايران وتركيا، التي تتعدد وتتنوع مكوناتها، وهذه الصيغة، التي هي ثمرة تجارب الشعوب والأمم، قديمة تعود إلى عهد الاغريق على أقل تقدير، وفي عصرنا الحديث هناك دول عديدة تبنت الفيدرالية، دون أن تكون متعددة القوميات أو الأديان، مثل: ألمانيا والامارات العربية ..الخ، كما هناك دول وجدت الحل الأمثل في الفيدرالية في ظل تعدد المكونات، مثل: الهند، سويسرا، اندونيسيا، بلجيكا، كندا..الخ. إن رفض النموذج الفيدرالي، يعني فيما يعني الدعوة للتمسك بالنظام المركزي، القائم على حكم الفرد أو الحزب الواحد أو المكون الواحد (وهذا بالتحديد أصبح عاملاً أساسياً ورئيساً في استمرار حكم الدكتاتورية، عن طريق استمرار أزمة الدولة المركزية في إلغاء التعددية السياسية والحزبية الحقيقية وعدم تطبيق مبدأ الديمقراطية)[1]، ولا يُخفى أن استمرارية الدولة المركزية هذه، تحت حجج (الوطنية) الزائفة، ولّدَت مع الزمن الدكتاتورية حقيقة. لكن، ما يُؤسف قوله، أن المعارضة السورية، ذات التوجهات القومية والاسلامية والماركسية المتشددة، مازالت تتجاهل أو تتهرب من صيغة الفيدرالية تحت ذرائع واهية، وتتلقى تشجيعاً على وجه الخصوص من الدول التي ألحقت بها أشلاء الضحية (كردستان)، مخافة أن تنتقل العدوى إليها. فالنظام السياسي في الدول المركزية مثل سوريا، يسعى: (لتحقيق الوحدة الوطنية على أساس فرض الاندماج القومي والصهر القومي على الجماعات القومية المتميزة عن القومية الغالبة/ السائدة في الدولة. ويرفض حقيقة واقع التعدد القومي)[2].

ب – موقف المعارضة: لم يقتصر تداول مفهوم الفيدرالية من قبل الكرد فقط، بل أضحى هذا المفهوم موضوعاً متداولاً في الاعلام ووسائل التواصل إقليمياً ودولياً، رغم إدراكنا بأن هناك الكثير من المعوقات التي تعترض سبيل تحقيق هكذا مشروع،

---

(١)– محمد هماوندي(الدكتور): الفيدرالية والديمقراطية للعراق/ دراسة تأصيلية سياسية وقانونية – دار آراس/ كردستان العراق/ اربيل – ط١: مطبعة وزارة التربية ٢٠٠٢ – ص٢٢.

(٢)– المصدر السابق – ص٢٥.

لأن كل حديث في الديمقراطية والفيدرالية أو عنهما، هو حديث خرافة مادام الشرط المؤسس لهما، والمتمثل في الاعتراف قبلاً بانسانية الانسان وقيمته وطاقاته وفكره ووعيه ومواطنيته، لا ينفك يتعرض للهدر والاستباحة، أو للتجاهل والتغافل[1]، فبعد الاعتراف بانسانية الانسان، يمكن التفكير في مسألتي الحرية والديمقراطية واللامركزية السياسية والفيدرالية، أما دون تحقيق هذا الشرط تتحول المواطنة إلى هِبة أو مِنّة يمنُّ بها المستبد وفق آلية السيف والمنسف على حد وصف الدكتور مصطفى حجازي، لأنه يتعامل مع المواطنين كرعية، والرعية هي تلك (الكتلة القاصرة التي لا تملك زمام أمرها، وتحتاج إلى رعاية، أي حماية وعناية)[2]. فالاستبداد أنواع، منه استبداد المال والجاه، ومنه استبداد المتعممين الذين يحكمون باسم الدين كما يقول الكواكبي، لكن أخطر أنواع الاستبداد هو الاستبداد السياسي. وجدير ذكره في الوقت نفسه أن المطالبة بالفيدرالية لها خلفية تاريخية في سوريا، تعود الى عهد الانتداب الفرنسي، حين طالب الكرد عام ١٩٣٠ سلطات الانتداب الفرنسي بادارة ذاتية في المناطق الكردية، ضمن عريضة قدمت آنذاك[3]، ولكن هذه الاطروحات والمبادرات لم تحظ لا بتأييد محلي (وطني) من مكونات الشعب السوري ولا بدعم دولي واقليمي في ذلك الوقت، ولذلك فرض على سوريا شكل من أشكال الدولة المركزية قسراً والذي استمر الى ما بعد الاستقلال، واتخذ أسوأ أشكال المركزيات استبداداً وديكتاتورية منذ استلام البعث السلطة[4].

واليوم، هاهو التاريخ يعيد نفسه لكن على نحو أسوأ، فقد سبق لـ (علي صدرالدين البيانوني)[5]، القيادي في جماعة الاخوان المسلمين في سوريا، أن أعلن بصريح العبارة منذ بداية الثورة السورية عام ٢٠١١: (لن نقبل بحق تقرير المصير للأكراد في سوريا، ولن نقبل بأي مشروع يتبنى الفيدرالية نظاماً للحكم في سوريا

([1])– مصطفى حجازي (الدكتور): الانسان المهدور/ دراسة تحليلية نفسية اجتماعية – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء/ المغرب وبيروت / لبنان – ط٢عام ٢٠٠٦ – ص١٧و١٨.

([2])– الانسان المهدور – المصدر السابق – ص٧٦.

([3])– راجع الوثيقة رقم ١٢.

([4])– أنظر: جريدة يكيتي التي تصدرها اللجنة المركزية لحزب يكيتي الكردي في سوريا – العدد ٢٢٥– آذار ٢٠١٦.

([5])– كان على علاقة وطيدة مع نظام صدام المقبور.

الجديدة). ثم أضاف في حديثه لقناة الجزيرة بأن ٩٠٪ من الشعب السوري عرب ومسلمون سنة، في اشارة منه الى أن نسبة الأقليات القومية والدينية والمذهبية لا تتعدى ١٠٪، ولا يُخفى ما في هذا القول من شطط. أما الحقوقي المعارض هيثم المالح، فقد أدلى بدوره بتصريح للقناة الفضائية (العربية) في ٨/١٣ /٢٠١٣ قائلاً: (الكرد، هم عرب نسوا انتماءهم القومي)، وأضاف: (حقوق الكرد غير مشروعة).

أما الدكتور برهان غليون، رئيس المجلس الوطني السوري الأسبق، فقال في لقاء مع قناة (دوتشه فيلي) عام ٢٠١١: (ان هوية الدولة السورية عربية، كون أغلبية السكان من العرب، وان المكونات القومية الأخرى في سوريا، هي جماعات أو تجمعات قومية تشبه وجودها تواجد المسلمين والمهاجرين الآسيويين في فرنسا).

أما أسعد الزعبي فزعم عام ٢٠١٦ ما مفاده أن نسبة الكرد في سوريا لا تشكل أكثر من ١٪، وأضاف: كانوا ينتظرون في عهد الأسد الأب ورقة تثبت أنهم بشر..!. وسفير الائتلاف الوطني المعارض في باريس منذر ماخوذ، رد على سؤال قناة Rûdaw، بالقول: معايير سوريا الجديدة هي تحقيق حق المواطنة. أما ميشيل كيلو، فقال: لن نسمح للكرد بانشاء كيان اسرائيلي على الأرض السورية، أما المقدم رياض الأسعد، من أوائل الضباط الذين انشقوا عن النظام، ومؤسس مايُسمى بالجيش الحر، فعهدناه في ازدواجية معاييره البائسة، فقد سبق له أن أدان دخول البيشمركة إلى كوباني لتحريرها من داعش وأخواتها، في الوقت الذي تخاذل فيه الجيش الحر في الدفاع عنها، لكنه رحب بتدخل الجيش التركي في جرابلس.

هذا غيض من فيض، ونماذج مقتبسة من أقوال المعارضة العاملة في اطار الائتلاف الوطني السوري المعارض... بينما كتب جهاد الخازن في زاوية (عيون وآذان) في صحيفة الحياة الصادرة في ٢٤/آذار/ ٢٠١٥: أنا مع قيام دولة كردية في تركيا وايران والعراق وسوريا..!.. فأين الثرى من الثريا ؟.

أولاً: أركان الدولة:

تقوم الدولة على ثلاثة أركان، هي: أولاً الشعب، وثانياً الاقليم (أو الأرض)، وثالثاً السلطة.

أ ـ الشعب: يمثل مجموع سكان الاقليم/ الدولة، ولا يوجد حجم محدد لمفهوم الشعب الذي يعد بمثابة الركن الأول للدولة، فدولة الفاتيكان سكانها بضعة آلاف، بينما دولة مثل الصين يتجاوز سكانها ١.٣ مليار نسمة.

الشعب رابطة قانونية – سياسية، وفقها يرتبط جميع أفراده بدولة من الدول، خلافاً للأمة التي هي رابطة انتماء، ترتكز على وحدة المصير المشترك ووحدة اللغة والأصل والتاريخ المشترك والمشيئة أو الارادة والمصالح المشتركة، التي تبلورت تاريخياً. من هنا يمكن القول أن الشعب قد يتكون من عناصر عدة تنتمي بدورها الى أمم شتى، تعيش في دولة واحدة بارادتها أو من دونها، وتُدعى الدولة حينئذ بالمتعددة القوميات، مثل: تركيا، ايران، العراق، سوريا، سويسرا، بلجيكا، كندا، الهند... الخ، كما أن هناك شعوباً شتى مازالت تعيش في دول عدة، مثل: العرب، الكرد، الأمازيغ، الأذريون ... الخ.

ب – **الاقليم:** هو الركن الآخر للدولة، الذي يعيش فيه الشعب. ويضم الاقليم: الأرض ومادونها والمياه الاقليمية المجاورة والمجال الجوي. لا توجد مساحة محددة للاقليم، فدولة الفاتيكان مساحتها نحو ٤ كم٢ فقط، بينما هناك دول كبرى تصل مساحتها الى ١٠ مليون كم٢ أو ما يقل أو ما يزيد عن ذلك. في الوقت نفسه لا يُشترط وجود الاقليم شكلاً محدداً أو وحدة جغرافية، فهناك دول ارخبيلية، تتألف من مئات الجزر مثل: اندونيسيا واليابان والدانمارك، أو بريطانيا في الوقت الحاضر، أما في الأمد التاريخي المنظور فيمكن أن نأتي بعدة أمثلة، منها: باكستان (الغربية والشرقية/ بنغلاديش)، والجمهورية العربية المتحدة (سوريا ومصر)، والولايات المتحدة (التي تضم مقاطعة آلاسكا، علماً أن كندا تفصل بينها وبين سائر الولايات المكونة للولايات المتحدة الأمريكية)، وهاهم الفلسطينيون يسعون اليوم لاقامة دولتهم المستقبلية على قطاع غزة والضفة، والمقاطعتان كما نعلم تفصل بينهما اسرائيل.

ج – **السلطة:** تمارس السيادة على الاقليم وشعبه، وهي ظاهرة سياسية تتخذ أشكالاً متنوعة وفق الدستور غالباً. وتختلف الأنظمة الحاكمة بين الجمهورية والملكية، الديمقراطية والدكتاتورية، فيدرالية ومركزية...الخ. لكن ما يهمنا هاهنا، أن الدولة قد تكون: بسيطة (موحدة) أو مركبة (اتحادية/ فيدرالية) أو اتحاد كونفيدرالي.

ثانياً: نماذج الدولة:

أ – الدولة البسيطة (الموحدة): تقوم على المركزية السياسية، التي تتجسد في حكومة واحدة ودستور واحد وعاصمة واحدة وعَلَم واحد، لكن هذا لا يعني توافر التجانس في العنصر البشري. فسوريا مثلاً، هي احدى دول هذا النموذج، ومنذ الجلاء ١٧ نيسان ١٩٤٦ تسعى بكل السبل الى صهر كل المكونات في سوريا الحديثة في بوتقة القومية العربية لتحقيق هذا التجانس، الا أنها فشلت على هذا الصعيد، فظلت تلك المكونات ترغب في: (المحافظة على خصوصيتها القومية والثقافية واللغوية، وظل شعور الغبن يلازمها، وهو مانتج عنه ضعف في التجانس أو انعدامه، حيث يتوقف التجانس على تحقيق شرط احترام حرية الأقليات – كافة المكونات بما فيها الأقليات الاثنية أو الدينية أو المذهبية/ مني – في مجالات المشاركة في الدولة ومجالات ممارسة حقوقها السياسية والثقافية واللغوية والقومية بعيداً عن أي اكراه أو منع)[1].

وتنتظم الدولة البسيطة (الموحدة) وفق شكلين:

١– المركزية الادارية: حيث تُحصر الوظائف الادارية في المركز (العاصمة)، فهي المرجع في القرارات الادارية الهامة، وسوريا تعد نموذجاً للمركزية الادارية بامتياز.

٢– اللامركزية الادارية: تتوزع الوظائف الادارية في هذا النموذج بين المركز (العاصمة) من جهة والوحدات الادارية (المحافظات، المقاطعات، الولايات، المناطق) من جهة أخرى. وقد تنتخب مجالس الوحدات الادارية أو تعين كلياً أو جزئياً. ففي سوريا التي تُوهم أنها دولة لا مركزية ادارياً، يعين فيها المحافظون، الذين هم أعلى سلطة ادارية في المحافظات، من قبل رئيس الجمهورية. ورغم وجود مجالس الادارة المحلية، فهي تابعة لوزارة الادارة المحلية، وهي شكلية ومفروغة من محتواها، كونها ليست مخولة في اتخاذ القرارات إلا من المركز (العاصمة)، لأن صلاحياتها محدودة جداً، وتقتصر وظائفها على بعض القضايا المطلبية (الخدمية)، علاوة على ما قلناه تفرض عليها رقابة مركزية مشددة في كل شاردة وواردة. سوريا قد تصنف شكلاً في مثل هذا النموذج للوهلة الأولى، الا أنها من حيث المضمون تندرج تحت نمط المركزية الادارية.

---

(١)– عبدالحكيم بشار(الدكتور): مفاهيم سياسية – من منشورات جامعة دهوك ٢٠١٢م – ص٤٩.

جدير ذكره أن نموذج الادارة اللامركزية لو تحررت من سطوة الادارة المركزية لتحولت الى نموذج اللامركزية السياسية وبالتالي سيتبدل حينئذ: (شكل الدولة من دولة موحدة بسيطة الى دولة مركبة اتحادية)[١]. هذا من جهة ومن جهة أخرى، قد ترتقي اللامركزية الادارية إلى صيغة متقدمة تدعى (الحكم الذاتي)، لأن الحكم الذاتي هو أحد أشكال اللامركزية الادارية الاقليمية، في إطار الوحدة السياسية والقانونية للدولة أو أنه نظام لامركزي يقوم على أساس (الاعتراف لجزء من إقليم الدولة بالاستقلال الذاتي ضمن رقابة وإشراف الدولة)[٢]. ويعرف الدكتور محمد عمر مولود الحكم الذاتي بأنه: صيغة متطورة من اللامركزية الادارية، تقوم بموجبها الدولة – وضمن وحدتها القانونية والسياسية – بالاقرار لقومية أو جماعة دينية أو لغوية أو ثقافية معينة ببعض السلطات التشريعية والادارية، ولكن تحت رقابة الدولة واشرافها[٣]، فالحكم الذاتي يحتل مكاناً بين اللامركزية الادارية والفدرالية أو بين الدولة الموحدة والدولة الفدرالية، ووفق تعبير الدكتور محمد هماوندي، الحكم الذاتي لا يرتقي إلى مستوى الفدرالية ولا يهبط إلى مستوى اللامركزية الادارية.

أما الدكتور منذر الشاوي، فيدلي هو الآخر بدلوه قائلاً: الفرق بين اللامركزية الادارية واللامركزية السياسية (الفدرالية) هو فرق في الدرجة وليس في الطبيعة، فاللامركزية السياسية، هي أقصى درجة من درجات اللامركزية، حيث نكون على مشارف الفدرالية[٤]. من هنا يمكن القول إن قيام الحكم الذاتي يتطلب:١– ارتباط جماعة ما (قومية، دينية، لغوية، ثقافية) باقليم معين ٢– التمتع بالاستقلال الذاتي ٣– القبول بالرقابة المركزية للدولة. ويشترط أن تتركز الجماعة المعينة بصفة غالبة في بقعة جغرافية، فإن كانت متناثرة عندئذ يتعذر منحها الحكم الذاتي، وهنا يقتضي القول بضرورة عدم إجراء أي تعديل في مناطق الجماعة إلا بموافقتها، وهنا يمكن

---

(١)– المصدر السابق – ص٥٢.

(٢)– حميد الساعدي (الدكتور): مبادىء القانون الدستوري وتطور النظام السياسي في العراق – دار الحكمة للطباعة والنشر/ الموصل ١٩٩٠ – ص٢٢٣.

(٣)– محمد عمر مولود (الدكتور): الفدرالية وامكانية تطبيقها في العراق – مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر – ط١عام ٢٠٠٠/ مطبعة وزارة التربية – اربيل – ص١٨٠.

(٤)– منذر الشاوي (الدكتور): القانون الدستوري/ نظرية الدولة – منشورات مركز البحوث القانونية – دار القادسية للطباعة/ بغداد ١٩٨١ – ص٢٢٤.

الاشارة إلى مشاريع التعريب التي نفذتها السلطات السورية منذ فجر الاستقلال على أقل تقدير في الاقليم الكردي في سوريا، تلك التي استهدفت تغيير المعالم الديموغرافية فيه، مما نجم عنها ترقيق الاقليم وتآكله وانحساره الممنهج.

ب – الدولة المركبة (الاتحادية/ الفيدرالية): الفدرالية تعني (تنظيم سياسي ودستوري داخلي مركب، تخضع بموجبه عدة دول أعضاء أو ولايات إلى حكومة اتحادية أعلى منها، وينطوي هذا التنظيم على وجهين، أحدهما خارجي حيث يظهر الاتحاد كدولة واحدة في ميدان السيادة الخارجية، ووجه داخلي يتَّسم بتعدد الكيانات الدستورية التي تشارك حكومة الاتحاد في ممارسة السيادة الداخلية)[1]، هذا النموذج يناسب الدول التي تعيش فيها مكونات (اثنية ودينية ومذهبية)، مثل: العراق وسوريا وتركيا وايران، لتلافي نزعة الانفصال ومخاطره. تتوزع في هذا النموذج – ولنتخذ العراق نموذجاً – السلطات (التشريعية والقضائية والتنفيذية) بين المركز (العاصمة الاتحادية/ بغداد مثلاً) والأقاليم (عاصمة اقليم كردستان العراق/ اربيل).

الحكومة المركزية في بغداد تمثل دولة الاتحاد (العراق) في المحافل الدولية دبلوماسياً، وتقوم بعقد وابرام المعاهدات الدولية، ومن اختصاصها المسائل الخارجية وتنظيم المالية والعملة والدفاع والأمن القومي. أما حكومة اقليم كردستان في هولير (اربيل) الشبه مستقلة تمارس سلطاتها (التشريعية والقضائية والتنفيذية) وفق الدستور الاتحادي (الفيدرالي) دون قيود من المركز، فاقليم كردستان العراق وحدة دستورية لا وحدة ادارية كالمحافظات في الدولة الموحدة. والى جانب العَلم الاتحادي (العراقي)، هناك عَلم الاقليم (الكردي).

وتنشأ الدولة الاتحادية (الفيدرالية) وفق طريقتين اثنتين:

الأولى – تفكيكية: جرّاء تفاقم الأوضاع وتضعضعها في داخل الدولة الموحدة، وخوفاً من تفككها، يتبع هذا النموذج المركب، كما هو حال العراق اليوم، الذي يمكن أن يُتخذ كمثال يحتذى على هذا الصعيد. لكن اذا ظلت الأمور كما في السابق، فان الاقليم قد يلجأ الى السعي من أجل ممارسة حقه في تقرير مصيره بنفسه، وهذا يفتح المجال للدخول في اتحاد كونفدرالي أو الانفصال وتشكيل الدولة المستقلة.

---

(1)– محمد عمر مولود(الدكتور) – مصدر سابق – ص٢٣٦.

الثانية – تركيبية: تنشأ دولة اتحادية (فيدرالية) أحياناً من مجموعة من المقاطعات أو الدول، كالولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السويسري وكندا واستراليا واتحاد جنوب افريقيا مثلاً[١]. ويتضمن دستور الاتحاد الفدرالي أو الدولة الفدرالية تقسيم السلطة بين الحكومة الاتحادية والحكومات الاقليمية.

ج – الاتحاد الكونفدرالي: وفي هذا النموذج تتفق دولتان كاملتا السيادة أو أكثر بمقتضى معاهدة دولية أو ميثاق، لانشاء الاتحاد الكونفدرالي بغية رعاية المصالح المشتركة لكل الأطراف. وفيه تحتفظ كل دولة بكامل سيادتها الداخلية (نظامها وعلمها وعملتها) والشؤون الخارجية (كالتمثيل في المحافل الدولية)، ويحق لكل دولة الانسحاب من الاتحاد الكونفيدرالي في الوقت الذي تشاء.

ثالثاً: سوريا في ضوء التجارب العالمية:

بعد تسليط الضوء على أركان الدول ونماذجها، وبعد تناول النموذج السوري، الذي يتسم بهيمنة نظام شمولي (تاتوليتاري)، لا بد من عرض بعض التجارب الفيدرالية في التاريخ المعاصر، كتجارب يمكن تأملها والاستئناس بها واتخاذ العبرة منها والاقتداء بها في سوريا، خصوصاً تلك الدول المتعددة الهويات (المكونات)، التي عانت من وطأة الأنظمة الشمولية الشبيهة بالنظامين العراقي والسوري، والتي سرعان ما تصدعت، بعد أن وجدت تلك المكونات فرصتها المناسبة للتعبير عن خصوصيتها (بعد طول انتظار، وكبت وشعور بالغبن والحرمان، ناهيك عن ضعف المواطنة بسبب سياسات الاقصاء والتمييز والتهميش)[٢]، ولعبت العولمة دوراً مميزاً ومشجعاً في هذا الأمر، بما في ذلك تجاوز مرحلة الحرب الباردة وانهيار "المنظومة الاشتراكية" بزعامة الاتحاد السوفييتي، الذي سرّع في وتيرة هذا الصراع بين المكون المضطهِد والمكون المضطهَد، في ظل أنظمة مركزية صارمة.

١ـ الاتحاد السوفييتي: نص دستور عام ١٩٧٧ في مادته (١٦) على أن دولة (اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية) تتألف من الجمهوريات الاتحادية التالية: روسيا، أوكرانيا، بيلوروسيا، أوزبكستان، كازاخستان، جورجيا، أذربيجان، ليتوانيا، مولدافيا، لاتفيا، قرغيزيا، طاجيكستان، أرمينيا، تركمانيا، أستونيا.

---

(١)– جراء اتحاد الكاب والناتال والأورانج والترانسفال.

(٢)– عبد الحسين شعبان (الدكتور): جدلية الهوية والمواطنة في مجتمع متعدد الثقافات – منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة/ المركز الدولي لعلوم الانسان – بيبلوس برعاية اليونسكو – ص٥.

أما المادة (٨٤) فنصت على مايلي: تدخل في قوام جمهورية روسيا الاتحادية، الجمهوريات التالية ذات الحكم الذاتي: بشكيريا، بورياتيا، داغستان، كباردا، بلكاريا، كميلكيا، كاريليا، كومي، ماري، موردوفيا، أوسيتيا الشمالية، تتاريا، توفا، ادمورتيا، شاشان، انغوشيا، تشوفاشيا، باقوتياس. أما الجمهوريات التي تدخل في قوام جمهورية أوزبكستان، فهي: جمهورية قره قلباقيا ذات الحكم الذاتي. وتدخل ضمن جمهورية جورجيا: جمهوريتا أبخازيا وأجاريا ذات الحكم الذاتي. وتدخل ضمن جمهورية أذربيجان: جمهورية ناخيتشيفان ذات الحكم الذاتي.

كما نصت المادة (٨٦) على مايلي: تدخل ضمن جمهورية روسيا المقاطعات التالية ذات الحكم الذاتي: أديغيا، ألتاي الجبلية، اليهودية، كارتشاي الشركسية، هاكاسيا. وتدخل في قوام جمهورية جورجيا: مقاطعة أوسيتيا الجنوبية ذات الحكم الذاتي. وتدخل ضمن جمهورية أذربيجان: مقاطعة ياداخشان الجبلية ذات الحكم الذاتي[١]. لا ننكر أن الثورة البلشفية التي قادها لينين في اكتوبر عام ١٩١٧، قد أنجزت الكثير على هذا الصعيد بعد القضاء على النظام القيصري ذو السجل السيء فيما يتعلق بالقهر القومي، وأعلن لينين منذ البدء شعار: "حق الشعوب في تقرير مصيرها"، وكان الاتحاد السوفييتي من الدول السباقة بمنح الحكم الذاتي، فقد نص الدستور السوفييتي عام ١٩١٨ على اقامة ٢٠ جمهورية ذات الحكم الذاتي و٨ مقاطعات وعدة دوائر قومية ذات الحكم الذاتي. لكن في الوقت نفسه لا ننسى أن الثورة انتكست بعد ذلك، بدءاً من عهد ستالين، الذي مارس الترويس والاستبداد السياسي وكبت الحريات، تحت عنوان دكتاتورية البروليتاريا والشرعية الثورية والحزب الواحد (الحزب القائد)[٢]. أما فيما يخص الشأن الكردي، فجمهورية كردستان الحمراء ذات الحكم الذاتي التي نسفها ستالين، كانت مثالاً ساطعاً على التقهقر والتراجع عن النهج اللينيني السالف الذكر[٣]. لكن النظام الشمولي السوفييتي، لم يصمد أما التحديات الداخلية والخارجية، فسرعان ما انقسم إلى خمسة عشر جمهورية، ومازالت تداعيات هذا الانقسام تتفاقم.

---

(١)– محمد هماوندي (الدكتور) – مصدر سابق – ص٣١.

(٢)– راجع: روايتي (حديقة الحيوانات و١٩٨٤) لجورج أورويل، اللتين تناول فيهما بوضوح كيف أنتكست الثورة، وكيف تحول الانسان في ظل النظام الشمولي إلى مجرد رقم .

(٣)– راجع ذلك في الجزء الأول من هذا البحث.

٢– جبهة تحرير مورو في الفلبين: تناضل من أجل نيل الحكم الذاتي منذ عام ١٩٧٣ في المناطق ذات الأكثرية الاسلامية، وقدمت قرابة ١٠٠ ألف شهيد عام ١٩٨٥، بيد أن النضال باء بالفشل، ومازال الوضع يسير من سيء إلى أسوأ.

٣ـ جنوب السودان: بعد حروب طاحنة بين الشمال والجنوب استنزفت الموارد والطاقات منذ عام ١٩٥٦، قرر الجنوبيون الانفصال، كشكل من أشكال حق تقرير المصير. ويسجل للدكتور حسن الترابي، الأمين العام للجبهة الاسلامية القومية في السودان، حين دعا إلى حق تقرير المصير للجنوب السوداني وعدم سلبه هذا الحق تحت أية حجة، إذ قال: (إن الدين لا يعرف المواطنة عنوة وإنما عقداً بالتراضي)[١]. وانفصل الجنوب (باستفتاء شعبي عام ٢٠١٠)[٢].

٤ـ تشيكوسلوفاكيا: كانت جمهورية اتحادية، واسمها يدل على شراكة القوميتين: التشيك والسلوفاك، لكن بعد انهيار المعسكر الشرقي وعلى رأسه الاتحاد السوفييتي، انفصلت القوميتان بطريقة مخملية وعاشتا في دولتين منفصلتين، دون اراقة قطرة دم واحدة. جدير ذكره أن هذا الانفصال قد حدث بعد عقود، باتفاق تم ابرامه بين الجهتين في كانون الثاني ١٩٩٣.

٥ـ الباسك في اسبانيا: من المعلوم أن اسبانيا دولة متعددة القوميات، فالى جانب القومية المهيمنة (الكاستيلانية)، نجد قوميات أخرى، مثل: كاتالونيا والباسك، وقد مُنِحَ اقليم كاتالونيا بموجب دستور ١٩٣١ حكماً ذاتياً، لكن تم إلغاؤه في عهد الجنرال فرانكو عام ١٩٣٩.

ثم منح اقليم الباسك عام ١٩٧٨ هذا الحق، علماً أن القومية الباسكية ليست مهددة من قبل المركز (مدريد)، لكنها تسعى جاهدة لتحقيق وحدتها أولاً، لأنها تتوزع بين كل من اسبانيا وفرنسا (القسم الأكبر في الأولى، والأصغر في الثانية)، ولا يفصل بين القسمين سوى الحدود السياسية. وثانياً، تطالب بحقها في تقرير مصيرها، بما في ذلك انشاء دولتها المستقلة، رغم أن مدينة: (بلباو كبرى مدن اقليم

---

(١)– أنظر: صحيفة الحياة اللندنية – العدد ٣٤٥٢ – تاريخ ٨ شباط ٢٠٠٠.

(٢)– عبد الحسين شعبان(الدكتور): جدلية الهوية والمواطنة في مجتمع متعدد الثقافات – مصدر سابق – ص٦.

الباسك، وبرشلونة عاصمة كاتالونيا، أكثر تقدماً في مجالات الصناعة والتجارة من مدريد حتى في العهد الفاشي فرانكو)[١].

٦- **التجربة السويسرية**: سويسرا دولة متعددة القوميات، ففيها الناطقون بالألمانية، و الفرنسية، والايطالية، والرومانشية (وهذه الأخيرة خليط من الألمانية واللاتينية الكلاسيكية ينطق بها سكان منطقة جبلية صغيرة قرب الحدود النمساوية، ورغم قلة عددهم ٣٠ ألفاً فالرومانشية هي إحدى اللغات الوطنية في سويسرا)[٢]، والسويسريون على اختلافهم يبذلون ما في طاقتهم لحماية اللغة الرومانشية جرّاء الهجرة أو جرّاء توحيد لهجاتها، وكل القوميات متساوية أمام القانون ولا تمييز بينها مطلقاً، حتى العملة مكتوبة باللغات الأربعة.

تأسست الدولة الكونفدرالية السويسرية تاريخياً عبر اتحاد مناطق منفصلة وعلى مراحل، بدءاً من (نواة كونفيدرالية، تكونت في المناطق الألبية منذ عام ١٢٩١)[٣]، مكونة من ثلاث مقاطعات، هي: صوابيا، الألب، شمال ايطاليا، ورغم اللغة الرسمية في الكونفدرالية القديمة (إلا إن الفرنسية كانت لغة المجتمع الأكثر تقدماً)[٤]، ولاشك أن الغزو الفرنسي بقيادة نابليون قد (أثر على فيدرالية سويسرا وقضى عليها إلا أنها تجددت في عام ١٨١٥و١٨٤٨ وكذلك عام ١٨٧٤ واستمر إلى يومنا هذا)[٥]، وهي مؤلفة من اتحاد/٢٦/ مقاطعة تتوزع بين كانتون ونصف كانتون. وقد لعبت العوامل الجيوبوليتيكية ومنها مثلاً ضعف السلطة المركزية في الامبراطورية الرومانية في الأطراف، دوراً رئيسياً في ظهور هذه الفيدرالية.

٧- **يوغسلافيا**: تمزقت إلى ٦ كيانات، لكن عبر ولادة متعسرة (قيصرية) إن صح التعبير، بعد حروب وصراعات دموية بين مكوناتها، وصلت بحق بعضها إلى حد الابادة.

([١])- ينظر ما كتبه عصمت شريف وانلي في مجلة دراسات كردية – العدد ١و٢ – كانون الثاني ١٩٨٥ – ص٢٠و٢١.

([٢])- المصدر السابق – ص٢١.

([٣])- من مذكرات عصمت شريف وانلي – مصدر سابق – ص٢٠٣.

([٤])- محمد عمر مولود (الدكتور) – مصدر سابق.

([٥])- محمد هماوندي (الدكتور) – مصدر سابق – ص٤١.

٨- **التجربة البلجيكية:** توصلت بلجيكا الى النظام الفيدرالي بعكس سويسرا، وذلك عبر التحول من دولة مركزية الى الدولة الفيدرالية، ويمكن القول أن التجربة العراقية اتخذت هذا المنحى، رغم اختلاف الأوضاع والمسارات والمآلات بين الدولتين. فقد انفصلت بلجيكا عن هولندا عام ١٨٣٠ بعد أن اتحدت معها عام ١٨١٥. مساحة بلجيكا صغيرة/٣٠.٥/ ألف كم٢، أي أن سوريا أكبر منها بستة أضعاف، وأقامت نظاماً ملكياً دستورياً وراثياً. والقوميات التي تضمها، هي: (الفلامان: ناطقون بالهولندية، الوالون: ناطقون بالفرنسية، الجرمان: ناطقون بالألمانية)، والأخيرة عدد أفرادها نحو ٥٠ ألفاً.

٩- **مقاطعة كيبك:** تقع في شرقي كندا، عاصمتها كيبك، أهم مدنها مونتريال، مساحتها ١.٥ مليون كم٢ وعدد سكانها ٨ م.ن، يشكل الفرانكفونيون الأغلبية فيها، الى جانب أقليات من الانكلوفونيين والسكان الأصليين، والفرنسية هي اللغة الرسمية. كانت مستعمرة فرنسية منذ اكتشافها عام ١٥٣٤ وحتى ١٧٦٣، ثم مستعمرة إنكليزية بين ١٧٦٣-١٨٦٧، ثم انضمت للاتحاد الكندي بعد ذلك. جرت فيها انتخابات لتقرير مصيرها في عام ١٩٨٠ وفي عام ١٩٩٥، لكنها فشلت في تحقيق النصاب (٥٠٪).

١٠- **فنلندا:** تدرس فيها إلى جانب الفنلندية اللغة السويدية كلغة رسمية ثانية، رغم أن الأقلية السويدية لا يتجاوز تعدادها ٣٠٠ ألف. ن، وتتوزع في مناطق عدة[١]. فوطدت فنلندا أواصر المواطنة عن طريق الاعتراف الدستوري بالسويدية فيها، الى جانب الحقوق القومية الأخرى لهذه الأقلية. يقول الدكتور عبدالباسط سيدا: ما لفت انتباهي في أول زيارة لي إلى هلسنكي عام ٢٠٠١ هو أن لوحات أسماء الشوارع في العاصمة والتعليمات العامة كانت مكتوبة باللغتين الفنلندية والسويدية، فتحظى هذه الأقلية بكامل حقوقها القومية في التعليم ووسائل الاعلام دون أن يتبادر الى ذهن أحد بأن الأمر يهدد الأمن الوطني الفنلندي[٢].

١١- **ايطاليا:** منحت منذ عام ١٩٤٨ خمسة أقاليم الحكم الذاتي، من بينها صقلية وسردينيا[٣].

---

(١)- عبدالباسط سيدا (الدكتور): المسألة الكردية في سوريا - مصدر سابق - ص٩٣.

(٢)- المصدر السابق - ص١٣٦و١٣٧.

(٣)- عمر مولود (الدكتور): الفدرالية وامكانية تطبيقها في العراق - مصدر سابق - ص٢٠٤.

١٢- الهند: تتعدد وتتنوع فيها المكونات (قومية، لغوية، اثنية، دينية، ثقافية ..الخ)، لكنها اختارت الطريق الديمقراطي، رغم أنها تدرج بين الدول النامية، وبالرغم من التفاوت الطبقي الصارخ، إلا أنها نجحت في (بناء قاعدة حقوقية وقانونية سليمة لتطوير الديمقراطية واحترام حقوق الانسان)[1].

١٣- ماليزيا: نظام الحكم فيها ديمقراطي تداولي، ويسود فيها الدستور والقانون، من دون أن يعيق الاسلام التحول على هذا الصعيد.

١٤- تيمور الشرقية: انفصل الاقليم بقرار دولي عن اندونيسيا، وفق الاعتبارات التي تتعلق بالهوية، ووفق مبدأ حق تقرير المصير.

عود على بدء:

من المفارقات الملفتة للنظر في سوريا، فتح مركز لتعليم الآرامية صيف عام ٢٠٠٤ في بلدة معلولا القريبة من دمشق، وحضر حفل الافتتاح يومها الدكتور صلاح كناج، محافظ ريف دمشق. ومن المفيد قوله أن الآرامية لغة محاكاة في ثلاث قرى من ريف دمشق، هي: معلولا، جبعدين، الصرخة، يقطنها نحو/١٦/ألف نسمة. كما أن السريانية والأرمنية تدرسان في المدارس التابعة لوزارة التربية، في مناطق تواجد تلك الأقليات، ناهيك عن اللغة العبرية التي تدرس في كليات الآداب والعلوم الانسانية في الجامعات السورية، في حين يُهان الكردي إن تفوه بكلمة كردية في احدى الدوائر الرسمية، رغم أن الكرد يشكلون القومية الثانية في البلاد من حيث الحجم[2]. أليست هذه المفارقة مدعاة للتأمل، إن لم نقل السخرية ؟!!. طبعاً الحدث، المقصود افتتاح المركز المذكور أعلاه، كان له وقع حسن في نفوس الأسوياء، وفي نفوس أبناء الشعب الكردي على نحو خاص، رغم المفارقة السالفة الذكر، بيد أن المرء يتساءل: أليس من حق الكرد الذين تصل نسبتهم الى نحو ٢٠٪ من سكان سوريا أن

---

(١)- عبد الحسين شعبان (الدكتور): الهوية والمواطنة - مصدر سابق - ص٩٤.

(٢)- كان لي بيتاً في تربه سبي، بعته ثم انتقلت إلى مدينة القامشلي قبل نحو ٣٠ سنة. وذات يوم طلب مني المشتري الحضور إلى المحكمة بغية تفريغ البيت قانوناً، ولما حضرت الجلسة طلب مني المحامي الهوية كي يتسنى له ملء الاستمارة (استاذ **كا** هويا ته)، لكن القاضي الشوفيني المدعو(توفيق العلي/ وهو من المستوطنين الغمر)، قرر توقيفي حين مددت يدي لاخراج الهوية من جيب القميص بناء على طلب المحامي، لأن فعل الأمر (كا الكردية =هات بالعربية) أغاظته وأفقدته صوابه، فاختلط عليه الأمر حتى ظن أنني أنا الذي نطقتها.

يُمنحوا حقوقهم القومية المشروعة أسوة بالأقليات السالفة الذكر؟. إن هذا الاهتمام بالأقليات المسيحية ليس ناجماً عن طبيعة النظام الديمقراطية كما قد يتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى، كونه شمولي لا يؤمن بالديمقراطية البتة، بل يفسر كمناورة من النظام لذر الرماد في العيون ومحاولة يتوخى من ورائها إرضاء الغرب ولفت انتباهه.

أولاً – بينّا فيما مضى أن سوريا الحديثة، التي أنشئت وفق المصالح والارادة الدولية بعد الحرب العالمية الأولى، كدولة متعددة المكونات، فشلت كدولة مركزية منذ فجر الاستقلال وحتى يومنا هذا في بناء دولة شراكة وطنية حقيقية أو تحقيق هوية (وطنية) جامعة، يتمتع فيها المواطن بالحرية والكرامة وينعم بالأمن والأمان وينال كل مكون من مكوناتها حقوقه المشروعة، كما فشلت في تحقيق التجانس، جرّاء المركزية المتشددة وتجاهل هذه التعددية، واللجوء إلى الخيارات الأمنية والعسكرية لتحقيق تجانس ظاهري هش. من هنا فقد أثبتت التجربة الفاشلة لما يُسمى بالعهد الوطني، أن الحل الأمثل يكمن في الخيار الفدرالي، لأن المجتمعات المتعددة نزوعة بطبيعتها نحو اللامركزية (في تنظيم نفسها وفي ادارتها وبما يؤدي إلى المحافظة على خصوصياتها القومية والدينية والطائفية واللغوية والثقافية)[1]. وتزداد حالة النزوع هذه طرداً، كلما زادت هيمنة وتفرد واحتكار أحد المكونات دون الأخرى للسلطة، وقد يتخذ النزوع السالف الذكرطابع العنف كما جرى في العراق. إلا أن الفدرالية كخيار استراتيجي لا يمكن لها أن تعطي ثمارها المرجوة إلا في ظل نظام ديمقراطي، يؤمن بالتعددية السياسية (الحزبية) والانتخابات الحرة، ناهيك عن دستور يقر بذلك وبضمانات دولية.

ثانياً – في مخيال المدجنين على فلسفة البعث وايديولوجيته أن الفدرالية تعني التقسيم، وهذه احدى الترهات التي سوقها البعث منذ عقود. ثم ألا نرى كيف تقسم الدولة المركزية البسيطة مثل سوريا إلى محافظات أو مثل تركيا إلى ولايات، دون أن ينتابنا القلق، لكن حين تُطرح الفدرالية التي تعني فيما تعني (تقسيم السلطة وانهاء حكرها على المركز، وتوزيع قسم منها على حكومات الأقاليم، بمعنى وضع حد أمام نشوء دكتاتوريات)[2]، تقوم القيامة ؟. ما من شك أن الفدرالية صيغة

([1])– محمد عمر مولود (الدكتور): الفدرالية وامكانية تطبيقها في العراق – مصدر سابق – ص٤٥٩.

([2])– عبدالباقي صالح اليوسف: الانفجار السوري – مصدر سابق – ص ٣٣٣.

أكثر ديمقراطية وأكثر عدلاً في تنظيم العلاقات وادارتها بين مكونات الدولة، وتجارب الدول قديمها وحديثها تدل على ما نقول، سواء التي تبنت الفدرالية بالطريقة التركيبية أو التفكيكية.

ثالثاً– لا حل للمعضلة السورية إلا عن طريق الخيار الديمقراطي التوافقي. فجراء الخوف من سطوة الأغلبية والركض وراء (الشرعية الشعبية، الأصح الشعبوية) التي تبدو في واقعنا نسخة مماثلة لـ: (الشرعية الثورية) التي ابتدعها البعث وابتلينا بها منذ عقود، بات الأمر يتطلب (الديمقرااطية التوافقية) بدلاً من (الديمقراطية النسبية). فالديمقراطية التوافقية المتبعة في عدد من الدول النامية والمتقدمة تمخضت عن ظروف مماثلة لظروفنا في سوريا، وهي عبارة عن: (نموذج تجريبي، معياري، مرحلي من الديمقراطية، تلجأ إليه المجتمعات المتعددة الأعراق والأديان التي ينعدم فيها التجانس الاجتماعي والاجماع السياسي لمعالجة أزمة المشاركة السياسية، وغالباً ما تتسم هذه المشاركة بالتحالف السياسي الواسع، وتتجاوز مبدأ الأغلبية بتبني مبدأ التمثيل النسبي في السلطة والادارة، وحق الفيتو المتبادل للأطراف، والادارة الذاتية للشؤون الخاصة لكل جماعة)[1].

ومن الجدير بالذكر أن المهام التي كانت منوطة بثورة الحرية والكرامة في سوريا، التي انطلقت في ١٥ آذار ٢٠١١، أي في الفترة التي أطلق عليها (الربيع العربي)، هو انجاز عملية التحول الديمقراطي، لكن – ما يؤسف قوله – أن التدخل الخارجي من جهة، ناهيك عن أسلمة الثورة وعسكرتها من جهة أخرى هي التي أجهضتها. كما تبين لكل ذي بصيرة أن المعارضة ذاتها لم تكن مؤهلة لتحقيق هذا الهدف، فاستطاعت الفصائل اللاديمقراطية ركوب الموجة ورفعت شعار اسقاط النظام كي تستأثر بالسلطة، مثلما جرى بوضوح في مصر، حين حاولت جماعة (الاخوان المسلمين) أَخْوَنَة مصر، مما دفع العسكر إلى القيام بانقلاب على تجربة الأخوان.

يبدو أن الولوج في مرحلة التحول الديمقراطي عملية شاقة وعسيرة وقد تتطلب عملية قيصرية، فرغم أن تكنولوجيا الاتصالات وثورة المعلومات قد أحالت عالمنا

---

(1)– سردار قادر محي الدين(الدكتور): الديمقراطية التوافقية في الدول النامية – مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية – ص ١١٨.

إلى قرية، لكن الثقافة السائدة منذ قرون في (شرق المتوسط)، مازالت تحول دون حدوث التغيير الحقيقي، فضلاً عن افتقار البلد (سوريا) إلى حامل التغيير الديمقراطي، أعني الطبقة الوسطى التي كادت أن تدمّر، يضاف إلى هذا وذاك العامل الخارجي كما أسلفنا، الذي تمثل في التدخل الاقليمي والدولي، سواء الدول والميليشيات التي تدعم النظام (روسيا، ايران، حزب الله والميليشات الشيعية) أو التي كان من المؤمل أن تدعم المعارضة، مثل الدول الاقليمية وعلى رأسها تركيا والسعودية وقطر وغيرها، التي تتخوف أصلاً من التحول الديمقراطي، وحصول المكونات على حقوقها وفي مقدمتها المكون الكردي عبر إقامة نظام فدرالي. أما الدول الكبرى كالولايات المتحدة وحليفاتها الأوربيات فتتخوف من (استفحال ظاهرة التنظيمات الأصولية الدينية الارهابية، ووجود حواضن مجتمعية لهذه التنظيمات، لذلك فان الدول الكبرى ترى بأن تحقيق الديمقراطية سيؤدي إلى وصول الاسلاميين وهيمنة المتطرفين على دست الحكم، لذلك فان هذه الدول لا تجد حرجاً في دعم وبقاء الأنظمة الاستبدادية في هذه المنطقة، طالما تحقق هذه الأنظمة مصالح الدول الكبرى وأجنداتها، مثل ضمان الحصول على النفط، وبقاء قواعدها العسكرية، الحفاظ على أمن حلفائها الموجودين في المنطقة، بيع أسلحتها للأطراف المتصارعة)[1].

رابعاً – منذ عهد الانتداب الفرنسي (١٩٢٠– ١٩٤٦)، كانت الأغلبية السنية (الكتلة الوطنية)، ذات التوجه (العروبي الاسلاموي) تسعى جاهدة لاقامة دولة ذات طابع مركزي وبسط نفوذها على سائر الأقاليم التي كانت تحت الانتداب، وتنبذ النظام الاتحادي (الفدرالي)، وكانت هذه الأغلبية تتلقى (التشجيع من قبل النظام الكمالي/ نظام مصطفى كمال أتاتورك في تركيا، الذي كان يعادي منح أية حقوق للكرد والعلويين في أي مكان، فقد كان الأتراك متخوفين من أن يؤدي تمتع هذه المكونات بحقوق قومية وطائفية إلى انعكاسات على الساحة التركية)[2]. وكانت الأغلبية السنية تبرر ممارساتها الاقصائية في حق المكونات الأخرى تحت ذريعة الحفاظ على وحدة سوريا، وهاهي الأقلية العلوية تمارس نفس النهج وتحت نفس

([1])– سلمان ابراهيم الخليل: حول الدولة والديمقراطية وحقوق الانسان – ط١عام ٢٠١٦ – ص١٣٤.

([2])– عبدالباقي صالح اليوسف: الانفجار السوري – مصدر سابق – ص٤٥.

الذرائع. لكن تجارب التاريخ تؤكد بأن النزعة الانفصالية في الدول المتعددة المكونات مثل سوريا والعراق وتركيا وايران تنشأ كرد فعل على الاضطهاد والقهر القومي أساساً. على العكس كانت فرنسا منذ البدء مع اقامة دولة فدرالية، لكن تركيا – مخافة أن تنتقل العدوى إلى داخلها – كانت تعارض ذلك ومازالت، وهاهو التاريخ يعيد نفس السيناريو، فالائتلاف الوطني السوري رفض مسودة الدستور الذي قامت روسيا باعداده، وهو – أعني الائتلاف – يتلقى الدعم المباشر من تركيا، ويتخذ هذا الموقف بضغط منها. ومازال الفيتو التركي كسيف ديموقريتس يشهر في وجه الشعب الكردي في كل أجزاء كردستان، بما في ذلك الجزء الكردستاني الملحق بسوريا.

خامساً – صاغت روسيا مسودة دستور جديد بعد مشاورات مع الأطراف السورية ودول اقليمية، وسلمت نسخة منه إلى النظام وأخرى إلى المعارضة في ٢٤ كانون الثاني عام ٢٠١٧، أهم ماورد فيه وفق مانشرته وكالة "سبوتنيك":

أ ـ جاء في البند الثاني من المادة ٤ تعتمد أجهزة الحكم الذاتي الثقافي الكردي اللغتين العربية والكردية كلغتين متساويتين.

ب ـ جاء في المادة ٤٤ من مسودة المشروع المذكور، تتولى جمعية الشعب أي البرلمان الاختصاصات التالية: إقرار مسائل الحرب والسلام، تنحية رئيس الجمهورية من منصبه، تعيين أعضاء المحكمة الدستورية العليا، تعيين رئيس البنك الوطني وإقالته من منصبه.

ج – تقترح المسودة إزالة تعابير تشير إلى عربية الجمهورية السورية وإحلال اسم "الجمهورية السورية" لضمان التنوع في المجتمع.

د ـ عدم جواز استخدام القوات المسلحة في المجال السياسي أو اضطهاد السكان أو عملية انتقال السلطة.

هـ – استبعاد المادة التي كانت تؤكد على أن الشريعة الاسلامية المصدر الرئيس للتشريع ودين الرئيس الاسلام.

ورغم أنها تعد حقيقة خطوة ايجابية نسبياً، إلا أنها لا تلبي مطالب الشعب الكردي في الحل الفدرالي. لكنها – أي المسودة – أثارت ردود أفعال متباينة، ولاقت الرفض من النظام والمعارضة على السواء. فالمعارضة تذرعت أو تحججت

بأن الشعب السوري وحده هو المخول لصياغة مثل هذه المسودة، وبدت ممتعضة من التغيير الذي طال اسم الجمهورية من جهة، وعدم اعتبار الفقه الاسلامي المصدر الرئيسي للتشريع من جهة أخرى، لكن القشة التي قصمت ظهر البعير تمثلت حقيقة في (الحكم الذاتي الثقافي الكردي). وكم تبدو المفارقة فاقعة بين موقف حسن الترابي السالف الذكر في مطالبته بحق تقرير المصير لجنوب السودان، وموقف التيارات الاسلامية في سوريا أو الشخصيات المقربة منها، التي تتجاهل حقوق الكرد المشروعة ومطالبهم العادلة تحت هذه الذريعة أو تلك.

مهما كانت الحجج والذرائع لرفض حقوق الكرد، فان تجربة سوريا في التمسك بالنظام المركزي المتشدد طوال فترة العهد الوطني، قد أثبت التاريخ فشلها. ومن المتوقع، إذا ما تم تقسيم سوريا في المستقبل أن تتشكل فيها ثلاثة أقاليم أو أكثر (سني، كردي، علوي) أو تبنى سوريا المستقبل على أسس اللامركزية السياسية، تنال في ظلها كل المكونات، بما فيها الدروز والمسيحيين والأقليات الأخرى بعض حقوقها أو جلها.

الخاتمة

لا مناص من القول بأنني لا أدّعي بأن بحثي هذا بمنأى عن الثغرات والنواقص، لكن حسبي أنني أنتجت في ضوء الظروف القاسية ما في المستطاع، فلا يكلف الله نفساً الا وسعها. وقد باتت الدراسة بعد نشرها، ملكاً للقراء الذين سيزودونني بملاحظاتهم النقدية، التي آمل أن تغنيها.

ولعلنا لا نفشي سراً إن قلنا، أن محنة الشعب الكردي في سوريا لم تتأتَ من الأنظمة الديكتاتورية والشمولية والقوى الدائرة في فلكها والتي كانت تعد عليه الأنفاس وحسب، بل تتأتى أيضاً من الشعب العربي في سوريا، الذي لم يأبه بمأساة أخيه الشعب الكردي، وتجلى واضحاً للعيان أن التعويل عليه منذ البدء بشكل مبالغ لم يكن سوى أحد الأوهام التي ابتلينا بها. فجراء أنساق الأوهام التي لقنتها الأنظمة الشوفينية، خصوصاً نظام البعث، عبر اعلامه الديماغوجي ومؤسساته التربوية والسياسية والاجتماعية، أضحى أخوتنا العرب في العقود الأخيرة تائهون في ظل أفكار وشعارات البعث البائسة ومنظومته الغوغائية، حتى أخذوا يرددون مقولاته كالببغاء دون اعمال الفكر أو يتمسحون بشعاراته خوفاً من المصير الذي قد ينتظرهم أو بغية نيل مكاسب لا تغني ولا تسمن. وقد يبحث أحدهم عن الذرائع لتبرير هذا الموقف أو ذاك، منوهاً بأن العلة تكمن في مستوى الادراك، لكن الأمر لا يصمد أمام الوقائع الدامغة، وهذا الجانب بات يؤرقنا نحن الكرد ويزيد من شجوننا، رغم أن الأمر لا يعني تبرئة الذات في نفس الوقت.

وصار من نافل القول تصنيف العرب السوريين، بمن فيهم القوى السياسية والفعاليات الاجتماعية والثقافية من القضية الكردية على النحو التالي من لدن المتتبع للمشهد:

أ – فئة لاذت بالصمت ازاء ما يتعرض له الكرد، وأدارت له الظهر جرّاء الترويض والتدجين، وهي تشكل نسبة كبيرة من أخوتنا العرب، تتوزع بين "القومويين والاسلامويين"، ابتلت بايديواوجيات الطرفين.

ب – فئة أخرى وقفت في صف النظام، واعتبرت الكرد دخلاء، وطالبت باستئصالهم، لأنهم وفق زعمها أصل البلاء تساوقاً مع نظرية المؤامرة التي أجادوا اجترارها وتسويقها. وكان هذا الموقف يتساوق مع الموقف الرسمي الذي كان حريصاً على عدم التلميح الى وجود الكرد في دستور البلاد الموّلَف وفق دستور حزب البعث، والذي لا يتضمن أية اشارة من قريب أو بعيد إلى الكرد، بل مازال يعزف على وتر الهجرة لشريحة محدودة العدد للغاية من السياسيين الذين لجأوا إلى سوريا عقب اخفاق انتفاضة الكرد في تركيا ١٩٢٥، والتي كانت ملاذاً آمناً لهم، ومثّل هذا الاتجاه أمثال: محمد طلب هلال وزبير سلطان ومنذر الموصلي ود. سهيل زكار..الخ.

ج – أما الفئة الثالثة، فهي تشكل قلة قليلة غير مؤثرة على القرار السياسي، وتضم بعض المثقفين والمنصفين، وهي تدعو الى رفع الغبن عن الكرد، لكن بصوت خافت يكاد لا يُسمع. إن دعوة هذه الفئة الى انصاف الكرد ورفع الغبن عنهم موقف لا بأس به لكنه يكتفي بالمعالجة العرضية والجزئية وليست الجذرية، فهذه الفئة تطالب مثلاً بالغاء نتائج الاحصاء الاستثنائي الجائر وتتناسى مسألة الاعتراف الدستوري للوجود الكردي في سوريا أرضاً وشعباً، كما أنها لا تقارب مثلاً مشروع الحزام العربي الأكثر خطورة[1]. وهي في النهاية تلجأ الى تقزيم الحقوق حتى تصيرها أو تحجمها في حق المواطنة ليس الا.

وعلى كل حال، لايقبل ذوي الفئات السالفة الذكر، لا الواقع ولا منطق الحق، فهم ماضون في نفي الوجود الكردي التاريخي والجغرافي، رغم أن الوجود الكردي في شمالي سوريا يعود الى عهود أسلافهم الحوريين – الميتانيين، مثلما دلت مستكشفات علم الآثار.

د – وقد برزت بعض الشخصيات مثل الدكتور جمال الأتاسي، ناهيك عن موقف حزب العمل الشيوعي في عهد الأسد الأب، أنصفت الكرد ووقفت بحزم الى جانبهم وتفهمت قضيتهم العادلة، رغم أنها لم تكن مسلحة برؤى للبحث عن حلول جذرية، وعموماً فان التيار العلماني كان واهناً وكان تأثيره محدوداً على المستوى السياسي السوري، لافتقاره إلى الحاضنة الداعمة.

---

(١)– عبدالباسط سيدا(الدكتور): المسألة الكردية في سوريا – مصدر سابق – ص١٣٦.

وبناءً على ما تقدم، فان الواجب الوطني يحتم على أخوتنا العرب، من ذوي الحس الديمقراطي، بضرورة اتخاذ موقف موضوعي من القضية الكردية في سوريا، لأن موقفاً كهذا هو أحد المعايير للحكم على مصداقية الدعوة إلى التغيير الديمقراطي مستقبلاً لبناء سوريا عصرية. وهي خطوة نحو الاعتراف الدستوري بوجود الشعب الكردي على أرضه التاريخية وبحقوقه القومية المشروعة، مما سيشكل أرضية لتعزيز أواصر الوحدة الوطنية [1]. أجل، ما يُؤسَف قوله أن شُركاءنا في العهد الوطني، مازالوا يتجاهلون قضيتنا، ويجترّون مزاعم أو سموماً تبثها ماكنة الأنظمة المضطّهِدة لشعبنا الكردي، أو يلوكون ترّهات يشيب لهولها الولدان، فعمدت السلطات بعد الجلاء الى اغلاق تلك النوادي والجمعيات التي فتحت في عهد الانتداب، وفي العهود اللاحقة استمرت في تنفيذ مشاريعها الشوفينية، خصوصاً في عهد البعث الذي استمد مؤسسوه أفكارهم من النازية، فتكون لدى الكرد نزعة الاغتراب عن واقعهم، وفشل البعث في التأسيس لهوية سورية جامعة.

من هذا المنطلق، فإن بحثنا هذا كان يهدف إلى نفض الغبار عن الحقائق التي شُوِّهت في دهاليز الجغرافيا وكواليس التاريخ، لكشف النقاب عن العهر السياسي الذي مارسه العتاة، هذا العهر الذي لم تعد تطاق رائحة عفونته، لأنها لا تُزكم الأنوف فحسب، بل باتت تتسبب بتفشي داء الرئة. لذا، لابد – بعد الانتفاضة الكردية ٢٠٠٤ والثورة السورية ٢٠١١ التي أجهضت – من تحديد أسس جديدة للشراكة العادلة، وفق عقد اجتماعي جديد وليس وفق عقد إذعان، وعلى قدم المساواة بين كافة المكونات السورية، خصوصاً بين العرب والكرد، أي لابد من عقد اجتماعي توافقي، كي يشعر السوريون على اختلاف مكوناتهم (الاثنية، الدينية، المذهبية) بأن سوريا لكل السوريين، على أن يكون هذا العقد (الدستور) مبنياً على أسس: (قبول الآخر، والتسامح الديني والطائفي والعرقي، واعتبار سوريا وطناً لكل السوريين، ويجب أن تكون قيماً ثابتة)[2]، كما يجب ضمان حقوق كافة المكونات، وفي مقدمتهم الحقوق القومية للكرد بضمانات دولية والاعتراف بها حتى لا تنكث العهود، لأن مفهوم (المواطنة) لن يلقى القبول: (إلا حين الاعتراف بالحقوق القومية والدينية لكل

---

(١)– راجع الملحق رقم ١ من باب التأمل والاستئناس.

(٢)– شيار عيسى: صحيفة كردستان – العدد ٥٤٦ – تاريخ ٢٠١٦/١٠/١٥.

القوميات والأديان)[1]، ومن دون ذلك لايمكن اقامة سوريا ديمقراطية، ولن تتحقق فيها هوية (المواطنة) الحقيقية، ولن يسود الاستقرار.

علاوة على ما قلناه، فالبحث الذي قدمناه ألقى الضوء على القضية الكردية في سوريا، كي ينير الدرب أمام الأجيال القادمة بغية تجاوز هذا الانسداد السياسي، والسعي لايجاد حل عصري لمشاكلنا التي تراكمت في ظل أنظمة دكتاتورية وشمولية (توتاليتارية) كادت تقصم الظهر؛ حل يتجاوز المنظومة الايديولوجية القائمة، ويتجسد حقيقة في خارطة طريق لبناء سوريا ديمقراطية فدرالية، تصان فيها حقوق جميع المكونات وحقوق الانسان وكرامته، فلن تنعم المنطقة عامة وسوريا خاصة بالاستقرار والأمان إن لم تحل القضية الكردية، لكن ليس على الطريقة البعثية عبر الغائها. لكن الديمقراطية كنظام: (لا تتأتى بقانون أو مرسوم أو حتى عبر صناديق الاقتراع، بل هي ثقافة ومفاهيم وقيم وموروث تراكمي عبر الأجيال، دون الاغفال بأن هذه المفردة وتلك القيم لازالت عسيرة على الهضم والاستيعاب من قبل شعوب العالم الثالث – يقصد العالم المتخلف – وخاصة الاسلامية منها والقوميات التي عانت من بربرية الأنظمة الاستبدادية العنصرية)[2].

وحسبي في هذا البحث، كوني مسكون بهموم أمتي كمثقف كردي، تناولت فيه كردستان عامة والجزء الملحق بسوريا خاصة، عبر استنطاق الجغرافية والتاريخ من جديد في ضوء منهجية الجغرافيتين السياسية والتاريخية، بغية ادانة تلك السياسة المشوِّهة، وتقويم هذا التاريخ المشوَّه في آن، أعني التاريخ الذي أنتجته الأنظمة المتعاقبة والتي مازالت تتحكم بمصير الشعب الكردي ومقدراته، تلك التي أزاح المفكر الفلسطيني ادوارد سعيد ورقة التوت عن عوراتها بقوله: (ليس ثمة ديمقراطية بأي معنى حقيقي للكلمة في كل بقعة من بقاع الشرق الأوسط، الذي مازال قومياً، بل ثمة طغم "أوليغارشيات" ذات امتيازات، وأما الجموع الغفيرة من البشر، فانها

---

(1)– المصدر السابق.

(2)– المحامي مصطفى ابراهيم – السكرتير الأسبق للحزب الديمقراطي الكردي في سوريا(الحزب الديمقراطي الكردستاني P.D.K.S)، المقال:(تغيير واصلاح أم تخريب وتدمير)، وهو بحوزة صاحبه.

مسـحوقة تحـت كلاكـل الاسـتبداد أو حكومـات مكروهـة، متصـلبة، لاتلـين ولا تستجيب)[1].

ما من شك أن ايديولوجيـة الاضـطهاد والقهـر القـومي الـتي تتجسـد اليـوم في العديد من المشـاريع الشـوفينية، اسـتهدفت تجهيـل الكـرد في سـوريا وتجريـدهم مـن هويتهم بشـتى السـبل، في ظـل وهـمٍ رائـج بامكانيـة صـهرهم مسـتقبلاً. فـرغم عدالـة القضية الكردية في سـوريا، تُصـوِّر هـذه القضـية كَوَرم سـرطاني تقتضـي الضـرورة استئصاله، مما نجمت عنه بعض النزعات السلبية – التي يصـعب تبريرهـا – كـردة فعل على الواقع المـزري أو تسـربت أنسـاق مزيفـة مـن الـوعي الانفعـالي، المترهـل، التابع، الى وسطنا الكردي أيضاً جرّاء التصور السالف الذكر.

واليوم تناضل أغلب القوى السياسية الكردية في سبيل:

أ ـ الاعتراف الدستوري بالشعب الكردي، واقامـة النظـام الفـدرالي الـديمقراطي التوافقي، ليتسنى للشعب الكردي انشاء ادارته في اقليمه الكردي.

ب – جعـل اللغـة الكرديـة لغـة رسميـة في الاقلـيم الكـردي، واصـدار الصـحف والمجلات والكتب الكردية، ناهيك عن وسائل الاعلام (محطات الراديو والتلفزة).

ج ـ ازالة آثار المشاريع العنصرية كالحزام العربي، وآثـار التعريـب المقيتـة ومـا من شأنه طمس الوجود الكردي، ونبـذ سياسـة ترقيـق وتآكـل الاقلـيم الكـردي الـتي أنتهجت سابقاً.

د ـ حصـول الكـرد علـى منصـب نائـب رئـيس الجمهوريـة، واحـدى الرئاسـات الـثلاث، و تخصـيص نسـبة مـن ميزانيـة الدولـة للاقلـيم، وتمثيـل الكـرد في السـلطة التشريعية (البرلمان)، بما يتناسب مع نسبة الكرد الى عدد سكان سوريا.

بيد أن الأمر لن يتحقق الا بضـمانات دوليـة و وفـق المواثيـق الدوليـة الـتي تؤكد أن الشعوب التي تعاني من النظم العنصرية من حقها تقرير مصـيرها (الـداخلي والخارجي)، أي أن تتحرر من نظمها، بتحقيق الحكم الـذاتي أو تنفصـل عـن الدولـة العنصرية[2].

---

(1)– ادوارد سعيد: الثقافة والامبرياليـة – ترجمـه الى العربيـة وقـدم لـه: كمـال أبـو ديـب – دار الآداب/ بيروت – ط١عام ١٩٩٧ – ص٣٥٦.

(2)– شفان آشتي: حقوق كرد سوريا بين الماضي والحاضر – مصدر سابق – ص٩٧.

وخير ما نختتم به بحثنا هذا، المقتطف التالي من رسالة للزعيم الكردي مسعود بارزاني، تتعلق بالوضع الكردي عامة:

" الكرد، قومية مقسمة رغماً عن إرادتها. وفَرَضَ هذا التقسيم واقعاً مريراً علينا. قُدِمَتْ العديد من التضحيات في سبيل تغيير هذا الواقع، لكن بقي الواقع من حيث الجغرافيا والحدود الدولية على حاله، لكننا حافظنا على هويتنا القومية بالدم والتضحيات. لقرنٍ حاربنا نحن الكرد ضد الظلم والاحتلال، لم نستطع تغيير الواقع ولم تستطع الأطراف المقابلة القضاء علينا بالمثل. لذلك توصلتُ إلى تلك القناعة أنه لا نتيجة للحرب ويجب الاستفادة من كافة فرص السلام والسير تجاه السلام والحوار".

فهرس الوثائق والملاحق

ان الوثائق والملاحق المثبتة في نهاية البحث، ذات أهمية كبيرة لأنها تتناول تلك القرارات والمشاريع التي أصدرتها السلطات السورية ونفذتها بحق الكرد السوريين بغية صهرهم أو تذويبهم أو تعريبهم أو تهجيرهم بشتى السبل للنيل من هويتهم، ناهيك عن المواثيق الدولية التي تناولت قضايا كردستان المختلفة. وهي بمجملها اغناء للبحث، وتأكيد له، لأنها تلقي الأضواء على جوانب منه كان من المتعذر اظهارها بهذا الوضوح لولا الجانب الوثائقي.

أولاً ـ رقم الوثيقة وموضوعها:

١ـ تعميم محافظ الحسكة بخصوص منع التكلم بغير العربية في الدوائر الرسمية.

٢ ـ تنويه من التحالف الديمقراطي الكردي في سوريا يندد بالتعريب واقامة المستوطنات.

٣ـ القرى والبدات المعرّبة في منطقة ديرك بقرار من السلطات السورية.

٤ـ قرار وزير الادارة المحلية يقضي بتعريب أسماء قرى محافظة الحسكة.

٥ـ قرار آخر من وزير الادارة المحلية يقضي بتعريب أسماء قرى محافظة الحسكة.

٦ـ قرار وزير الادارة المحلية يقضي بتعريب أسماء قرى محافظة حلب.

٧ـ معاهدة سيفر.

٨ـ وصية قاضي محمد.

٩ـ نص مذكرة الدكتور عصمت شريف وانلي إلى الرئيس حافظ الأسد.

١٠ـ نص رسالة الشيخ محمود الحفيد إلى السلطات السوفيتية.

١١ـ جدول بعدد العاملين في حقل رميلان من كل محافظة.

١٢ـ عريضة موقعة من ١٩ وجيه كردي إلى ديوان المفوض السامي الفرنسي.

١٣ـ وثيقة سرية عن محافظ الحسكة تتعلق بالانتفاضة الكردية (٢٠٠٤/٣/١٢).

١٤ـ مقتطفات من مذكرة كرد أرمينيا إلى غورباتشوف.

١٥ـ البيان الختامي لأعمال المجلس الوطني الكردي في سوريا.

١٦ـ مبادرة أحزاب الحركة الوطنية الكردية في سوريا لحل الأزمة الراهنة.

١٧ـ رسالة الملك الساساني إلى الخليفة عمر بن الخطاب.

١٨ـ الأعضاء المؤسسون لخويبون (المؤتمر التأسيسي في القامشلي).

١٩ـ مذكرة الدكتور نورالدين زازا إلى رئيس محكمة أمن الدولة العليا في دمشق.

٢٠ـ رسالة والي دياربكر إلى مشايخ الطريقة النقشبندية الكرد.
٢١ـ برقية تتضمن تعليمات طلعت باشا بخصوص تصفية الأرمن.
٢٢ـ برقية طلعت باشا إلى والي حلب بخصوص الأرمن.
٢٣ـ قرار من وزير التعليم العالي بمنع قبول الطلاب الكرد (أجانب الحسكة) في المعاهد.
٢٤ـ قرار محافظ حلب يقضي باغلاق محلات بيع أشرطة الكاسيت والفيديو الكردية.
٢٥ـ قرار محافظ الحسكة يقضي بتعريب أسماء المحال العامة والخاصة.
٢٦ ــ تعميم من وزير الداخلية يقضي باجراء التحقيق بشأن فقدان البطاقات الشخصية.
٢٧ـ نص الاتفاقية الفرنسية ـ التركية (٢٠ أكتوبر ١٩٢١) بخصوص ترسيم الحدود.
٢٨ـ الوثيقة المشتركة للوفدين الأرمني والكردي إلى مؤتمر الصلح في باريس.
٢٩ـ مذكرة إلى حكومة الانتداب صيف ١٩٣٢ لاقامة ادارة ذاتية أسوة بالآخرين.
٣٠ـ بنود اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠.

الوثيقة رقم (١)

صدر في ١٩٩٦/١٠/٣ تعميم جديد عن محافظ الحسكة بخصوص منع التكلم بغير اللغة العربية والمقصود بذلك اللغة الكردية، ولا يختلف هذا التعميم عن سواه إلا أنه صادر بناء على كتاب قيادة فرع حزب البعث بالحسكة، وفيما يلي نصه:

الجمهورية العربية السورية

وزارة الادارة المحلية

محافظ الحسكة

الرقم (٧٠١٤/ح)

تعميم

بالاشارة إلى كتاب قيادة فرع الحزب بالحسكة رقم ٣٨٠/ ص د وتاريخ ١٩٩٦/٩/٢٩ وتأكيداً على تعاميمنا السابقة وآخرها تعميمنا رقم ١٨٦٥/س/٢٥ تاريخ ١٩٨٩/١٢/١ التي تمنع التحدث والتخاطب في جهات القطاع العام خلال العمل الرسمي بغير اللغة العربية لتعارض ذلك مع القوانين والأنظمة النافذة. نعود ونؤكد على جميع العاملين في الدوائر الرسمية وفروع المؤسسات والشركات والمنشآت والمصارف، ومجالس المدن والبلدان والبلديات، وسائر جهات القطاع العام عدم استخدام غير اللغة العربية في التخاطب والتعامل مع بعضهم البعض أو مع المراجعين من المواطنين خلال فترة عملهم الرسمي، ويعتبر مديرو تلك الجهات مكلفين بالاشراف على تنفيذه، تحت طائلة المساءلة.

الحسكة في ١٩٩٦/١٠/٣

محافظ الحسكة

صبحي حرب

المرسل إليهم:

- قيادة فرع الحزب، يرجى الاطلاع
- قيادة الشرطة، يرجى الاطلاع والمقتضى
- السادة رؤساء أجهزة الأمن، يرجى الاطلاع
- السادة مدراء المناطق والنواحي، للاشراف على تنفيذه
- كافة الدوائر الرسمية، فروع المؤسسات والشركات، للتقيد
- مجالس المدن والبلدان والبلديات، للتقيد-
- مديرية أمانة سر المحافظة.

الوثيقة رقم (٢)

الموضوع: (التعريب في كردستان سوريا)

أصدر التحالف الديمقراطي الكردي في سوريا كراساً تحت عنوان (تعريب القرى والبلدات الكردية). والتحالف الديمقراطي الكردي في سوريا، ائتلاف سياسي كان يضم:

- حزب الاتحاد الشعبي الكردي في سوريا.
- الحزب الديمقراطي التقدمي الكردي في سوريا.
- الحزب الديمقراطي الكردي في سوريا (البارتي).
- حزب الوحدة الديمقراطي الكردي في سوريا (يكيتي).
- الحزب اليساري الكردي في سوريا.
- الحزب الديمقراطي الكردي السوري.

جاء في مقدمة الكراس الذي أصدره التحالف الديمقراطي الكردي في سوريا:

(من المعروف أن شعبنا الكردي في سوريا يعيش منذ آلاف السنين على أرضه التاريخية التي حملت معالمها الطبيعية والبشرية والحضارية تسميات كردية... لكنها بدأت تثير في السنوات الأخيرة حساسية الشوفينية التي حملت على عاتقها مهمة الشطب على وجوده والتنكر للتعايش والنضال المشترك، وانكار حقوقه القومية الديمقراطية... امتدت أياديها لتعبث بمعالم المنطقة، لتعرِّب كل ما له صلة بالكرد، علماً أن هناك المئات من التسميات غير العربية تعود لأصول آرامية وفينيقية وتركية لاتزال تعرف بها القرى والمدن السورية، مثل: دمشق، الزبداني، اللاذقية وغيرها، والتي لا تُسيء إلى سمعة سوريا ومكانتها مثلما لا تُسيء لها التسميات الكردية، بل أنها تغني تراثها وتزخرف تاريخها وترمز إلى حقيقة وتعدد المراحل التي مرت بها وتنوع الثقافات التي تأثرت بها، فمثلاً ما الضرر من الابقاء على اسم ديريك وجبل الأكراد، وماذا يستفيد العرب والعروبة من اسم المالكية أو جبال حلب؟... كان من الأجدر أن يتم التعامل مع تلك الأسماء كحقيقة تاريخية، وأن يعترف بحقيقة وجود الشعب الكردي الذي يعيش جنباً إلى جنب مع أخيه العربي، وبكل استحقاقات هذا الوجود ومنها الابقاء على تراثه ومعالمه التاريخية والحفاظ عليها لأنه كغيره من الشعوب له لغته وثقافته وتقاليده الخاصة به.

سياسة التعريب التي نشطت في العقود الأخيرة لتطال جميع المناطق الكردية، تستبدل الأسماء الأصلية بأسماء عربية، تركت شرخاً كبيراً في جدار العلاقات العربية الكردية، كما تركت شعوراً عميقاً بالغبن والاغتراب لدى الانسان الكردي الذي يعني له اسم قريته، الهوية والتاريخ والانتماء، ولن يحس بالارتياح في التعامل مع اسم غريب فرض عليه، خاصة إذا جاء هذا الاسم في سياق سياسة شوفينية تستهدف وجوده شعباً وثقافة وتصل مخاطر تلك السياسة إلى حد منع تسمية المواليد الكرد بأسماء كردية في المراحل التالية، مما يؤدي إلى طمس المعالم القومية لشعبنا الكردي).

(اللجنة العليا للتحالف الديمقراطي الكردي في سوريا)

الموضوع: (إقامة مستوطنات عربية في الجزيرة)

اجتمعت القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي بدمشق، برئاسة الأمين القطري المساعد للحزب، رئيس لجنة الغمر/ المستوطنين، وأصدرت قرارها المشؤوم ذي الرقم ٥٢١ بتاريخ ٢٤ حزيران ١٩٧٤ والمتضمن اصدار الأوامر إلى عضوي القيادة القطرية المعينين لتنفيذ الحزام ميدانياً وإلى لجنة الاستقبال وأمين وأعضاء فرع الحزب في المحافظة ومحافظ الحسكة وقائد الشرطة والأجهزة الأمنية وكل الدوائر المعنية، بالبدء بتنفيذ الحزام العربي وفق الخطة المرسومة[1]. وكان الهدف من المشروع تعريب المنطقة الكردية وترقيقها أولاً، وفصل الكرد عن أخوتهم في كردستان تركيا والعراق ثانياً.

فيما يلي أسماء مستوطنات (الغمر) التي أقيمت في الجزيرة، وعدد سكان كل قرية تابعة للغمر والسنة التي نفذ فيها مشروع الاستيطان المشؤوم (عددها ٤٢ مستوطنة).

المستوطنة	عدد السكان (نسمة)	السنة
١- تل الحضارة ١و٢/ سرى كانيى	٧٠٠ ن	١٩٧٢
٢- تل الأرقم/ سرى كانيى	٧٠٠ ن	١٩٧٢
٣- القنيطرة/ سرى كانيى	٥٠٠ ن	١٩٧٣

(١)ـ عبد الصمد داوود: الحزام العربي في الجزيرة ـ سوريا ـ طبعة ثانية معدلة عام ٢٠١٥ـ ص٥.

٤- القيروان/ سرى كانيى	٨٠٠ ن	١٩٧٣
٥- ظهر العرب/ سرى كانيى	٨٠٠ ن	١٩٧٣
٦- الأسدية/ سرى كانيى	٧٠٠ ن	١٩٧٣
٧- برقة/ سرى كانيى	٧٠٠ ن	١٩٧٣
٨- هنادي/ قامشلو	١٠٠٠ن	١٩٧٤
٩- الثورة/ قامشلو	٣٠٠ ن	١٩٧٤
١٠- الحاتمية/ قامشلو	٥٥٠ ن	١٩٧٤
١١- أم الربيع/ قامشلو	٦٠٠ ن	١٩٧٤
١٢- بهيرة/ قامشلو	٤٠٠ ن	١٩٧٤
١٣- الجابرية/ قامشلو	٧٠٠ ن	١٩٧٤
١٤- تل تشرين/ سرى كانيى	٧٠٠ ن	١٩٧٤
١٥- أم الفرسان/ قامشلو	٨٠٠ ن	١٩٧٥
١٦- التنورية/ قامشلو	٨٠٠ ن	١٩٧٥
١٧- حلوة/ قامشلو	٨٠٠ ن	١٩٧٥
١٨- مزكفت/ قامشلو	٨٠٠ ن	١٩٧٥
١٩- القحطانية/ قامشلو	٨٠٠ ن	١٩٧٥
٢٠- النفطية	٨٠٠ ن	١٩٧٥
٢١- معشوق/ ديرك	٨٠٠ ن	١٩٧٥
٢٢- توكل/ ديرك	٨٠٠ ن	١٩٧٥
٢٣- شبك/ ديرك	٨٠٠ ن	١٩٧٥
٢٤- الجوادية/ ديرك	٨٠٠ ن	١٩٧٥
٢٥- تل الأعور/ ديرك	٨٠٠ ن	١٩٧٥
٢٦- مصطفاوية/ ديرك	٨٠٠ ن	١٩٧٦
٢٧- الصحية/ ديرك	٨٠٠ ن	١٩٧٦
٢٨- تل الصدق/ ديرك	٨٠٠ ن	١٩٧٦
٢٩- الحمراء/ ديرك	٨٠٠ ن	١٩٧٦
٣٠- عين الخضراء/ ديرك	٨٠٠ ن	١٩٧٦

٣١– تل علو١و٢/ ديرك	٨٠٠ ن	١٩٧٦
٣٢– زهيرية/ ديرك	٨٠٠ ن	١٩٧٧
٣٣ـ المناذرة/ قامشلو		
٣٤ـ الحرمون/ قامشلو		
٣٥ـ أم عظام/ سرى كانية		
٣٦ـ المثنى/ سرى كانية		
٣٧ـ المتبي/ سرى كانية		
٣٨ـ العنادية/ سرى كانيى		
٣٩ـ الدهماء/ سرى كانيى		
٤٠ـ الراوية/ سرى كانيى		
٤١ـ		
٤٢ـ		

الوثيقة رقم (٣)

حسب مخطط دائرة الأعمال الفنية

تاريخ ١٩٧٨/٢/١٥

الموضوع: عدد القرى والبلدات المعربة وقتها (١٣٦) في منطقة ديرك

اخترنا نموذج من القرى والبلدات المعربة، لأنه من الصعوبة ذكر كل الأسماء، ونحيل القارىء إلى الكراس الذي أصدره التحالف الديمقراطي الكردي في سوريا كي يطلع على القائمة كاملة:

الاسم القديم	الاسم المعرب	الاسم القديم	الاسم المعرب
ديرِك	المالكية	تل داري	دير ياسين
جم شرف	مزرعة الشاطىء	برِك	الجسر
زغات	الينبوع	بليسيى	كربلاء
موزلان	الهامة	كركى حيول	الكوفة
قُلدُمان	النجف	شكر خاج	شرم الشيخ
كركى لكى	معبدة	جيلكا	خربة الجزار
جل آغا	الجوادية	كيشكى	الحمراء
كر هوك	تل عرب	دوكركا	التلين
كرى رَش	تل أسود	رُك آفا	حيفا
شرِك	مزيريب	كركى خلو	تل خليل
مَزَرَى	مزرعة	كر زيرو	تل عدس

الوثيقة رقم (٤)

قرار رقم/٤٥٢٤/

وزير الادارة المحلية

بناء على قانون التنظيمات الادارية رقم/٤٩٦/ تاريخ ١٢/٢١/ ١٩٥٧وقانون الادارة المحلية رقم/١٥/تاريخ١١/٥/١٩٧١والمرسوم التشريعي رقم/٣٦/تاريخ١١/٨/١٩٧١ المتضمن احداث الادارة المحلية. والقانون رقم/٥٦/تاريخ١٥/٧/١٩٨٠وقرار المكتب التنفيذي لمجلس محافظة الحسكة رقم/٥٤١/تاريخ٢٨/١٠/١٩٩٧وعلى موافقة المديرية العامة للآثار والمتاحف بكتابها رقم/٥٤٥١/تاريخ١٤/١٠/١٩٩٧.

يقرر مايلي:

مادة (١)– تستبدل أسماء/٥٥/ قرية في محافظة الحسكة بالأسماء الجديدة المناسبة والمبينة حذاء كل منها. فيما يلي أدرجنا أسماء بعض القرى التي طالتها سياسة التعريب المشينة:

الاسم القديم	الاسم المعرب	الاسم القديم	الاسم المعرب
بريفا	الريفية	بَرْكَفِرى	بير الحجر
تعلِك	جبل الشيخ	سيرانى	سويس
بيرِكى كوسَكان	البعث	قوليى	اللد

مادة (٢)– تستبدل أسماء/٤٩/مزرعة في محافظة الحسكة بالأسماء الجديدة المناسبة والمبينة بجانب كل منها. فيما يلي نموذج مصغر منها:

الاسم القديم	الاسم المعرب	الاسم القديم	الاسم المعرب
قيرى	العذراء	بوغا	بهاء
زورافا	زرافه	دوزك	دره

مادة (٣)– ينشر هذا القرار ويبلغ من يلزم لتنفيذه.

دمشق ١٩٩٧/١٢/٢٠ وزير الادارة المحلية

يحيى أبو عسلي

* ملاحظة: عمم هذا القرار من قبل محافظ الحسكة برقم/١٤٨٧٥/ وتاريخ ١٩٩٨/١/٦.

الوثيقة رقم (٥)

قرار رقم/٢١٢٣/ ن

وزير الادارة المحلية

بناء على قانون التنظيمات الادارية رقم/٤٩٦/تاريخ٢١/١٢/١٩٥٩ وقانون الادارة المحلية رقم/١٥/تاريخ١١/٨/١٩٧١ المتضمن احداث وزارة الادارة المحلية وقرار المكتب التنفيذي لمجلس محافظة الحسكة رقم/٣٦/تاريخ ١٠/٢/١٩٩٨ وموافقة المديرية العامة للآثار والمتاحف بكتابها رقم/٥٠٢/٥/ص تاريخ ٢٨/١/١٩٩٨، يقرر مايلي:

مادة (١)– تستبدل أسماء/٩٧/ قرية في محافظة الحسكة بالأسماء الجديدة المناسبة وفق الآتي:

فيما يلي نموذج مصغر بعدد من القرى التي تم تعريبها:

الاسم القديم	الاسم المعرب	الاسم القديم	الاسم المعرب
كرى رَش	تل الأسود	شورى	الشورى
كر حصار	رام الله	أوتلجا	الثلجة
كر شيران	عدن	كرى سوير	سبأ
مزكفت	وهران	توبز	تشرين

مادة (٢)– تستبدل أسماء/٢٣/ مزرعة في محافظة الحسكة بالأسماء الجديدة المناسبة والمبينة بجانب كل منها.

فيما يلي نموذج مصغر للقرى التي طالها التعريب:

الاسم القديم	الاسم الجديد	الاسم القديم	الاسم الجديد
بربازنى كابارا	البيرق	كر بَشْك	تل البشر
كالو غربية	حيفا الصغرى	كرى كِشيتا	الكرك

مادة (٣)– ينشر هذا القرار ويبلغ من يلزم لتنفيذه.

دمشق في ٥/٥/١٩٩٨

وزير الادارة المحلية

يحيى أبو عسلي

الوثيقة رقم (٦)

قرار رقم/٥٨٠/

وزير الادارة المحلية

بنـاء علـى قـانون التنظيمـات الاداريـة رقـم/٤٩٦/ تـاريخ ١٩٥٧/١٢/٢١ وتعديلاته، والمرسوم التشريعي رقم/١٤٦/ تاريخ ١٩٦٣/٩/٣ المتضمن اعادة العمل بـالقرار الجمهـوري رقـم/٩٧/ لسـنة ١٩٥٩ والمرسـوم التشـريعي رقـم/٣٦/ تـاريخ ١٩٧١/٨/١٢ المتضـمن احـداث وزارة الادارة المحليـة. وقـرار مجلـس منطقـة البـاب رقـم/٩/ تـاريخ ١٩٧٧/٢/٢٢. وقـرار مجلـس منطقـة عفـرين رقـم/٦٣/ تـاريخ ١٩٧٧/٢/٢١. وقرار مجلس منطقة عـين العـرب رقم/٥/ تـاريخ ١٩٧٧/٣/١٤. وقـرار مجلـس منطقـة اعـزاز رقـم/١٠٧/ تـاريخ ١٩٧٧/٣/١٦. وقـرار مجلـس منطقـة مركـز محافظة حلب رقم/٣٩/ تاريخ ١٩٧٧/٤/١٤ وقرار المكتب التنفيذي لمجلس محافظـة حلب رقم/٣٠٠/ تاريخ ٢٣/ ١٩٧٧/٣.

يقرر مايلي:

مادة (١)– يستبدل بأسماء القرى والمزارع التاليـة في محافظـة حلـب الأسمـاء الجديدة المدونة بجانب كل منها.

مادة (٢)– ينشر ها القرار ويبلغ من يلزم لتنفيذه.

دمشق في ١٩٧٧/٥/١٨

وزير الادارة المحلية

(ملاحظة: قمنا بادراج عدد منها فقط لطول القائمة التي ضـمت/ ١٣٨/ قريـة في عفرين و/٢٤/ في الباب و/١١/ في اعزاز و/١٩٨/ في كوباني).

الاسم القديم	الاسم المعرب	الاسم القديم	الاسم المعرب
جومِكا	الجميلة	كورتِك	الحفرة
كَمروك	الجمركية	زفتِك	مزرعة عشونة
كُرْزيل	السعيدة	كُم رَش	الطاقية
سيمالكا راجو	الثلاثية	خليل كولكو	الوردية
بيرقدار	اللواء	كرِ غزال	تل غزال
نوردان	النور	كَلَك	وردية

دَنْدِك	دندن	كور علي	عروبة
كاسِكان	كاس	كوزِك	كوسا
كورَان	الناظرية	خلو مِر	الخليل
شيش	السهم	سَرْكَت	الراسية
بلنك	فهدية	كردا زير	بدرية
كردا أورتى	هلالة	كردا زور	كوكبة

الوثيقة رقم (٧)

(معاهدة سيفر – آب ١٩٢٠)

نصت هذه المعاهدة التي عقدت بين الحلفاء وتركيا في موادها (٦٢– ٦٣– ٦٤) على حق الشعب الكردي في تقرير مصيره عن تركيا، فيما يلي مضمونها بعض موادها:

المادة (٦٢) – تقدم لجنة من ممثلي (بريطانيا وفرنسا وايطاليا) مشروعاً يتعلق بمصير المناطق التي تقطنها أغلبية كردية، وفي حال عدم حصول اجماع حول القضية تحول إلى الحكومات الثلاث. يتضمن المشروع ضمانات للأقليات الدينية والقومية في تلك المناطق، ولهذه الغاية تتكون لجنة من ممثلي بريطانيا وفرنسا وايطاليا وفارس والكرد، تزور هذه المناطق تفحصها وتقرر التعديلات عند الضرورة.

المادة (٦٣) – توافق الحكومة التركية على قبول وتنفيذ مقررات اللجنتين في المادة ٦٢ خلال ثلاثة أشهر من ايصالها لتلك الحكومة.

المادة (٦٤) – اذا قرر الشعب الكردي في المناطق المحددة في المادة ٦٢ خلال سنة من بدء تنفيذ المعاهدة الحالية أن تبين لمجلس عصبة الأمم أن أكثرية سكان هذه المناطق تريد الاستقلال عن تركيا وإذا قرر المجلس أن هذا الشعب قادر على هذا الاستقلال ويوصي بمنحهم إياه، توافق تركيا على تنفيذ الوصية وتتخلى عن جميع الحقوق في هذه المناطق.

ملاحظة: كانت العديد من القبائل الكردية والقوميين الكرد يعارضون انشاء دولة أرمينيا في شرق الأناضول وفق اتفاقية سيفر١٩٢٠، مما وحد هذا التهديد الأرمن والكرد والترك في خندق واحد، لذا يمكن القول أن انشاء دولة كردية مستقلة لم يكن من الأولويات الحاسمة للنخب الكردية. (راجع: الحركة الكردية التركية في المنفى – جوردي غورغاس – ص٢٦).

الوثيقة رقم (٨)

فيما يلي وصية قاضي محمد التي كتبها بخط يده في اللحظات الأخيرة من حياته، وقد أدرجناها لدلالاتها المعبرة عن خبرته في الحياة السياسية ورؤيته السديدة في استشفاف آفاق المستقبل:

بسم الله الرحمن الرحيم

أيتها الأمة، أخوتي الأعزاء، أخوتي الذين هُضِمَتْ حقوقهم، أمتي المظلومة:

أنا الآن في اللحظات الأخيرة من حياتي، أوصيكم ببعض الوصايا. أستحلفكم بالله ألّا تعادوا بعضكم بعضاً بعد الآن، اتحدوا وساندوا بعضكم بعضاً، قفوا بوجه العدو الظالم المضطَّهِد، ولا تبيعوا ذِمَمَكم للعدو، فانه يريدكم حتى يُنَفِّذَ مخططاته، ولن يَعطف عليكم أبداً، وفي أول فرصة تسنح له فانه لن يصفح عنكم.

إن أعداء الشعب الكردي كثيرون، وهم ظلمة ومضطّهِدون وقساة، ورمز انتصار كل شعب وقوم هو الوحدة والتوحد، ومساندة الأمة جمعاء. وأية أمة لا تتوحد، ستبقى تحت سطوة الأعداء، وأنتم الشعب الكردي لستم بأقل من شعوب هذه البسيطة، بل أنتم سابقون للشعوب المتحررة في الرجولة والغيرة.

إن الأمم التي تحررت من مخالب أعدائها مثلكم، كانت صفوفها موحدة، فلتتخلصوا أنتم أيضاً أسوة بشعوب الأرض من ربقة العبودية، بالوحدة ونبذ الحسد وبيع الذمم للعدو ستتمكنون من الخلاص.

أخوتي:

لا تنخدعوا بحيل الأعداء بعد الآن، فأعداء الكُرد من أية قومية أو ملة كانوا، هم أعداء وعديمو الرحمة ولا ضمير لهم ولن يرحموكم، ويقتلونكم ببعضكم، ويغررونكم بالأكاذيب والحيل، ويمنونكم بالوعود، ويؤلبونكم ضد بعضكم.

ومن بين أعداء الكرد، فان العجم أكثرهم ظلماً وألعنهم، ولايؤمنون بالله، وأكثرهم قسوة، ولا يتورعون عن ارتكاب أية جريمة بحق الكرد. وعلى مرّ التاريخ كانت لهم أحقاد ضد الشعب الكردي جذورها موغلة في القِدَم، فانظروا إلى أعلام أمتكم منذ سمكو آغا الشكاكي وشقيقه جوهر آغا وحمزة آغا المنغور وغيرهم كثيرون، الذين احتالوا عليهم وعملوا على أن يترك الناس صفوفهم، ثم قتلوهم بأخس الطرق، لقد خدعوهم بقطع العهود والايمان بأن العجم نيتهم حسنة في التعامل

معهم بالاحسان، وقد انخدع الكرد بهم، لكن ولحد الآن وعلى مرّ التاريخ لم يرَ أحد منهم الالتزام والوفاء بالعهود والوعود التي قطعوها للكرد، وكانت كلها خدعاً وحيلاً.

وأنا كأخ صغيرٍ لكم وفي سبيل الله، استحلفكم بالله وأقول لكم أن تتحدوا ولا تخذلوا بعضكم بعضاً، وثقوا بأن العجم لو سقوكم العسل فانهم يدسون فيه السم، ولا تنخدعوا بعهود وايمان العجم، حتى لو أقسموا بالقرآن ألف مرة، ثقوا بأن ذلك من أجل خداعكم حتى يحتالوا عليكم.

وأنا في اللحظات الأخيرة من حياتي، أنصحكم في سبيل الله العظيم، وأقول لكم ويعلم الله وحده أنني لم أقَصّر ما أمكنني بالحياة والمال والنضال، بالنصح والارشاد، وارشادكم إلى طريق الصواب.

والآن، في هذه اللحظات، وأثناء هذه الظروف، أقول لكم مرة أخرى، ألّا تنخدعوا بالعجم ولا تصدقوا بعهودهم وقَسَمِهم بالقرآن ومواثيقهم، لأن العجم لا يؤمنون بالله ولا بنبيه ولا بيوم القيامة والحساب والكتاب، فحتى لو كنتم مسلمين، فعندهم أنكم مجرمون ومحكومون، وأنتم بالنسبة لهم أعداء وأرواحكم وأموالكم حلال عليهم، ويعتبرون ذلك غزواً.

رغم أن عهدي لم يكن أن أرحل وأترككم لهذا العدو القاسي، لكن عندما كنت أفكر في أكثر الأحيان في ماضينا، وأعلامنا، الذين خدعهم العجم بالايمان الباطل والأكاذيب والحيل، وكيف اعتقلوهم وقتلوهم، لأنهم عجزوا عن مواجهتهم في ميدان البطولة، ولم يتمكنوا من الوقوف بوجههم، لجأوا إلى الحيل والخداع والقتل.

إنني كنت أذكر ذلك كله، ولم أثق بالعجم قط، لكنهم قبل عودتهم إلى هنا أرسلوا الوسطاء وبعثوا رسائل عدة، وشخصيات من الكرد والفرس، وقطعوا الكثير من الوعود، وبأن دولة العجم وشخص الشاه لا يرغبون في إراقة قطرة دم واحدة في كردستان، والآن أنتم تشاهدون بأم أعينكم نتيجة وعودهم، ولو أن رؤساء العشائر الكردية لم يخونونا ويبيعوا الذمم للعجم، فما كان مصيرنا ومصيركم ومصير جمهوريتنا كما هو الآن.

نصيحتي ووصيتي لكم أن تُعَلّموا أولادكم، لأننا نحن الكرد لسنا بأقل من الأمم الأخرى إلا بالعِلم، فتعلموا حتى لا يفوتكم ركب الشعوب، والتعليم وحده السلاح الفتاك بوجه العدو.

ثقوا واعلموا أن ألفتكم ووحدتكم وتعلمكم لو كانت جيدة، فانكم ستغلبون عدوكم. يجب ألّا يُخيفكم قتلي مع أخوتي وأبناء عمومتي، لأنه يجب أن تضحوا بالكثيرين من أمثالنا في سبيل الوصول إلى الهدف والغاية.

أنا واثق بأنه سيأتي من بعدنا مَنْ يقضي عليهم بالحيل والنفاق، كما أثق بأن الكثيرين من بعدنا سينخدعون بحيل وألاعيب العجم، رغم كونهم أكثر علماً منا، لكنني أتمنى أن يكون اعدامنا عبرة ودرساً للمخلصين من أبناء الشعب الكردي.

ولي وصية أخرى، وهي أن تدعوا الله العلي العظيم أن يُعينكم في كل ما تبذلونه، من أجل رفعة شعبكم وتحرره، وأني على يقين بأن الله سيعينكم وسينصركم. ربما سألتم لماذا لم أنتصر أنا؟. أقول لكم: أقسم بالله بأنّي منتصر، فأية نعمة وأي نصر أعظم من أنني أضحي الآن بروحي ومالي في سبيل الشعب والأمة والوطن، صدقوني بأني كنت أتمنى أن أموت ميتة كهذه، حيث أكون أمام الرفيق الأعلى ورسوله وشعبي وأمتي ناصع الوجه، فهذا الموت نصر لي.

أعزائي، كردستان دار كل كردي، فكيف أن أعضاء الأسرة الواحدة يؤدي كل واحد منهم عمله الذي يتقنه، ولا يحق لأحد أن يطمع، فكردستان هي تلك الدار، فاذا علمتم بأن أحد أعضاء هذه الأسرة أو ساكني هذه الدار يمكنه أن يؤدي عملاً، فليؤده. فيجب ألّا تضعوا العقبات في طريقه، ويجب ألّا تضيقوا ذرعاً إذا تسنم أحدكم مسؤولية كبيرة، وإذا أوكل إلى أحدكم عمل كبير وتمكن من أدائه، فيدل ذلك على أنه يجيده وأنه مسؤول عن تلك المهمة. ثقوا أن أخوكم أفضل من العدو الحاقد، فلو لم أكن أتحمل أنا مسؤولية كبيرة لما وقفت الآن تحت المشنقة، لذلك يجب ألّا تكونوا جشعين فيما بينكم.

إن الذين لم ينفذوا أوامرنا، وليس هذا فحسب، بل كانوا يعادوننا، لأننا نعتبر أنفسنا خدماً لأبناء شعبنا، وهؤلاء الآن ينامون باطمئنان بين أهلهم وأطفالهم، لكننا وباسم خدمة الشعب نقف الآن تحت أعواد المشنقة. وأنا أمضي لحظاتي الأخيرة بكتابة هذه الوصية، فلو لم تقع على عاتقي مسؤولية كبيرة لكنت أنا أيضاً نائماً الآن في بيتي وبين أفراد أسرتي. وهذه الوصية التي أوصيتكم بها، هي من ضمن المسؤوليات الملقاة على عاتقي، وإني واثق بأن أي شخص منكم لو حمل على عاتقه مسؤولياتي لكان الآن واقفاً في مكاني تحت المشنقة. إنني، ومن أجل نيل

رضى الله وحسب المسؤولية الملقاة على عاتقي وككردي خادم للشعب، ومن أجل الأمر بالمعروف، نصحتكم بتلك النصائح والتوصيات، أتمنى أن تعتبروا منها وتلتزموا بارشاداتي، متمنياً أن ينصركم الله على أعدائكم.

١- ليكن ايمانكم قوياً بالله وما جاء من عند الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

٢- حافظوا على الوئام بينكم ووحدة صفوفكم، ولا ترتكبوا أعمال مشينة بحق بعضكم، ولا تكونوا جشعين مع بعضكم، خاصة في المسؤوليات والخدمة.

٣- ارفعوا من مستوى تعليمكم حتى لا تنخدعوا بالأعداء كثيراً.

٤- لا تثقوا بالأعداء، خاصة العجم، لأنهم أعداؤنا من عدة أوجه، فهم أعداء شعبكم ووطنكم ودينكم، وقد أثبت التاريخ أنهم يتربصون بكم ويقتلونكم لأتفه جُرمٍ، ولا يتورعون عن ارتكاب أية جريمة تجاه الكرد.

٥- لا تبيعوا ذممكم للعدو من أجل أيام معدودات في هذه الدنيا الفانية، لأن العدو عدو، ولا يجب أن تثقوا به.

٦- لا تخونوا بعضكم، سياسياً أو روحياً أو مادياً أو أخلاقياً، لأن الخائن متهم ووضيع، وستنقلب الخيانة دوماً على الخائن.

٧- إذا تمكن أحدكم من أداء مسؤولياته تجاهكم دون خيانة، فعاونوه، ولا تقفوا ضده من منطلق الجشع والحسد، ولا تكونوا جواسيس للعدو عليه لا سامح الله.

٨- طالبوا جميعاً بالمواقع التي حددتها في وصيتي لبناء جامع ومدرسة ومستشفى، واستفيدوا منها.

٩- لا تكفوا عن النضال أو المحاولة حتى تتحرروا، أسوة بجميع الشعوب من مخالب الأعداء، فمال الدنيا لا قيمة له، وإذا كان لكم وطنكم ونلتم حريتكم، وكانت أموالكم وارضكم ووطنكم ملكاً لكم، عندها ستمتلكون كل شيء، المال والثروة والدولة والشرف والوطن.

١٠- أنا لا أعتقد أن عليَّ حق أحد، غير حق الله، إلا إذا كان هناك مَنْ يعتقد أن له حقاً عندي، سواء كان قليلاً أو كثيراً، فقد تركت ثروة كبيرة، وليطالب ورثتي بحقه ليحصل عليه.

إن لم تتحدوا فلن تنتصروا، لا تظلموا بعضكم بعضاً، وهذه قدرة الله تعالى، الظالم يسقط ويفنى، وسينتقم منه الله لظلمه. أتمنى أن تلتزموا بهذه الوصـايا، وان ينصركم الله على الأعداء. وكما قال سعدي الشيرازي:

كان قصدنا النصح وقد نصحنا ثم سلمناك إلى الله ومضيـــنا

خادم الشعب والوطن: **القاضي محمد**

الوثيقة رقم (٩)

نص المذكرة التي قدمها الدكتور عصمت شريف وانلي، رئيس المؤتمر الوطني الكردستاني للرئيس حافظ الأسد، حول وضع الشعب الكردي في سوريا، ونظراً لأهميتها أدرجناها هاهنا، وفيما يلي نصها:

مذكرة لسيادة الرئيس حافظ الأسد

رئيس الجمهورية العربية السورية

حول حل ديمقراطي للقضية القومية الكردية في سوريا

يقدمها د. عصمت شريف وانلي، رئيس المؤتمر الوطني الكردستاني – بروكسل في ٢/٦/ ٢٠٠٠.

السيد الرئيس:

بعد تقديم جزيل السلام والاحترام.

أرجو أن تسمحوا لي باسم المؤتمر الوطني الكردستاني، أن ألفت أنظار سيادتكم – في هذه المذكرة – إلى الأوضاع التي يشكو منها أبناء الشعب الكردي في سوريا، والتي تشكل غبناً لحقوقهم القومية والثقافية والديمقراطية، راجياً من أن تحظى باهتمامكم في التفضيل بأمر ايجاد حل مناسب لها، لما هو خير في صالح الشعبين الشقيقين.

كما أرجو أن تتأكدوا من أن هدف هذه المذكرة هو جلب اهتمام سيادتكم واهتمام سوريا، دولة وحكومة وشعباً بالمسألة الكردية في سوريا، بغية حلها وفق المبادىء الديمقراطية والتقاليد العربية والاسلامية وروح هذا العصر، واحتراماً لعلاقات الأخوة التاريخية بين الأمتين العربية والكردية، فليس بين أكراد سوريا من يبغي تغيير الحدود، إنما يبغون جميعاً التمتع بحقوقهم القومية المشروعة.

حول المؤتمر الوطني الكردستاني بايجار:

لقد تأسس المؤتمر الوطني الكردستاني في امستردام، عاصمة هولندا، بتاريخ ٢٤/٥ /١٩٩٩، في اجتماع الهيئة العمومية الأولى وبحضور سبعمائة مندوب وضيف كردي وأجنبي. وهذا المؤتمر يمثل شعب كردستان في مختلف أجزاء وطنه وحركته التحررية والجاليات الكردية التي هاجرت إلى بلاد وقارات أخرى، ومركزه حالياً في مدينة بروكسل عاصمة بلجيكا" ويؤمن المؤتمر بحق شعب كردستان بمختلف فئاته

القومية والاجتماعية والدينية في تقرير مصيره بنفسه كأي شعب آخر، كما يؤمن بالمبادئ الديمقراطية حسب ماينص ميثاقه، كما تقتضي استراتيجيته العمل بطرق سلمية وبالتعاون مع الأحزاب والهيئات الكردية التي يهمها الأمر للوصول لحلول ديمقراطية للمسألة الكردية ضمن حدود الدول القائمة (تركيا – ايران – عراق – سوريا)، وحسب معطيات المسألة في كل منها، ومن شأن ذلك إزالة التوتر واحلال الوئام والتعاون الأخوي بين الشعب الكردي والشعوب المجاورة.

حول أقدمية تواجد العرب والكرد في سوريا:

لا تقاس القضية الكردية في سوريا من حيث الابعاد والخطورة والعواقب الممكنة بما هي عليه في تركيا وايران والعراق. يشير التاريخ الحديث إلى معاهدة سيفر الموقعة في ١٠ آب ١٩٢٠، بين تركيا العثمانية والحلفاء، كانت قد أقرت أصولاً قانونية لإقامة دولة كردية مستقلة في كردستان العثمانية (بنود ٦٢– ٦٣– ٦٤) شأن الكرد في ذلك شأن العرب من حيث التحرر من النير التركي العثماني. وبعد فشل هذه المعاهدة واستبدالها بمعاهدة لوزان في ٢٣ تموز ١٩٢٣، على أثر قيام حركة مصطفى كمال في تركيا، قامت فرنسا – كدولة منتدبة على سوريا – والحكومة الكمالية، برسم الحدود السورية التركية.

وقد رسمت هذه الحدود بين الطرفين في اتفاقية لندن ١٩٢١/٣/٩، كما عدلت قليلاً في السنوات اللاحقة. وقد تركت هذه الحدود – التي لم يكن للعرب والكرد شأن في رسمها – بعض السكان العرب بين ظهراني الكرد في كردستان تركيا (منطقة سعرد وحران وأورفا وفي جنوبي عينتاب)، وتركت عدداً من الكرد في بعض مناطق سوريا الشمالية، وهي القسم الشمالي من الجزيرة الموازي للحدود التركية (محافظة الحسكة)، ومنطقة عين العرب، وجبل الكرد (منطقة عفرين)، حيث يشكل الكرد أكثرية السكان، هذا فضلاً عن جماعات كردية أخرى متفرقة في بعض مدن سوريا الداخلية (كما في حلب وحماه ودمشق). وكان تواجد عدد من العرب في شمالي الحدود وعدد من الكرد في جنوبها أمراً طبيعياً، نظراً لتداخل القوميتين تاريخياً منذ عصور طويلة.

وتجدر الاشارة إلى أن سوريا كانت تسمى ببلاد الشام في العهدين الأموي والعباسي وفي العهد العثماني، ولم تكن منطقة الجزيرة الواقعة شرق الفرات الأوسط

والمسماة بـ (ميزوبوتاميا) في العهود اليونانية والرومانية والبيزنطية جزءاً منها. كما تجدر الاشارة إلى أن الاستعماريين البريطاني والفرنسي قد اقتطعا من بلاد الشام (أي سوريا) جبل لبنان وفلسطين والأردن، وهي أجزاء من سوريا الطبيعية، مثلها مثل لواء اسكندرون.

وهذا يُدحض ما قاله بعض الكتاب الشوفينيين المعاصرين من أن أكراد سوريا الشمالية هم دخلاء عليها أو أنهم هاجروا إليها بعد فشل الثورات الكردية في كردستان تركيا عقب الحرب العالمية الأولى، أو أنهم " تسللوا إلى سوريا خفية وخلافاً للقانون، للقضاء على عروبة الجزيرة، حسب مخططات استعمارية صهيونية غربية "، كما يدعيه محمد طلب هلال في كتابه المسمى (دراسة عن محافظة الحسكة من النواحي القومية والاجتماعية والسياسية)، المطبوع عام ١٩٦٣م، عندما كان مؤلِفُهُ ضابطاً برتبة ملازم أول في الشرطة السياسية في محافظة الحسكة، وهو كتاب مليء بالسموم العنصرية والأحقاد تجاه الشعب الكردي عامة وفي سوريا خاصة، ومجرد من أية قيمة علمية.

ترجع تقاليد حسن الجوار والتعايش الأخوي بين العرب والكرد وأجدادهم في مناطق سوريا الشمالية، بل حتى الداخلية إلى عهود ماقبل الاسلام، بل وما قبل المسيح، ولكنها توطدت كثيراً بعد الفتح العربي – الاسلامي، حيث أسلم معظم الكرد. وفي عهد الغزوات الصليبية، هب الشعب الكردي بأمر السلطان صلاح الدين الأيوبي وخلفائه الذين أصبحوا ملوكاً وحماة لقطاع كبير من كردستان (التركية والعراقية حالياً) وسوريا (بما فيها لبنان وفلسطين والأردن) ووادي النيل واليمن، هب الشعب الكردي مع أمرائه وجيوشه للدفاع عن بلاد المشرق تحت راية الدولة الأيوبية، واسترجعوا القدس والحرم الشريف وأنقذوا مكة المكرمة من الاعتداء الفرنجي. واستقرت في تلك الحقبة عائلات كردية كثيرة في البلاد العربية، كما في حي الأكراد في دمشق وحماه.

ونظراً لأن الأكراد القاطنين في القسم الشمالي من محافظة الحسكة (الجزيرة السورية)، الموازي للحدود التركية هم أكثر عرضة للظلم، وقيل عنهم بصورة خاصة بأنهم دخلاء على سوريا، خلافاً للحقائق التاريخية، فأود أن أشير هنا إلى شهادة العالم الألماني المشهور (كارستن نيبوهر)، الدانماركي الجنسية، حيث كلفه ملك

الدانمارك في منتصف القرن الثامن عشر بالسفر إلى الشرق والكتابة عن شعوبه وقبائله، فزار منطقة الجزيرة السورية حالياً، قادماً من بغداد والموصل، في طريقه إلى ديار بكر وحلب، وترك لنا كتابه عن أسفاره وخارطة رسمها بقلمه لمنطقة الجزيرة هذه، وخط عليها أسماء العشائر التي صادفها في طريقه، فذكر خمسة عشائر، قال في كتابه بأنها كردية، وهي من الشرق إلى الغرب: آشيتي، ملّي، شيشاني، كيكي، دقوري، كما ذكر وجود طي العشيرة العربية في المنطقة. ومما يجدر ذكره، إن العشائر الكردية التي ذكرها هذا العالم الألماني في المنطقة، قبل أكثر من قرنين، مازالت تعيش فيها تحت نفس الأسماء. ونرفق بهذه المذكرة صورة من هذه الخارطة.

حول القضية الكردية في سوريا منذ عام ١٩٤٦:

في عهد الانتداب، وخلال العقود الأولى من استقلال سوريا عام ١٩٤٦، عاش عربها وكردها في وئام واتحاد، وشارك الكرد إلى جانب العرب في مختلف ميادين نضال الشعب السوري لنيل استقلاله الوطني، وخلال هذه الحقبة اهتم أكراد الجزيرة بالزراعة، وحولوا المنطقة التي يعيشون فيها إلى أهراء جعلت سوريا قادرة على تصدير الحبوب والقطن إلى البلاد المجاورة.

واستمرت الأمور على هذا الوضع، حتى صدور المرسوم الجمهوري رقم ٩٣ بتاريخ ١٩٦٢/٨/٢٣، والذي تقرر بموجبه إجراء إحصاء سكاني في محافظة الجزيرة (الحسكة) وحدها، دون غيرها من المحافظات السورية، وهو أمر غريب في حد ذاته، فان الاحصاءات تجري عادة في كافة مقاطعات أية دولة، وتم هذا الاحصاء في شهر تشرين الأول من نفس العام. وكان من نتائجه، كما أعلنت، إن قسماً كبيراً من مزارعي وفلاحي الكرد، ويبلغ عددهم (١٢٠ ألف شخص)، قد وردت أسماؤهم في عداد (أجانب ومكتومين)، وحرموا من جنسيتهم السورية وما يترتب عليها من حقوق المواطنة. وتمت هذه العملية ببساطة، فقد طلب من السكان تسليم بطاقات هويتهم للسلطات، بحجة تجديدها، فأعطيت البطاقات الجديدة لقسم منهم، ولم تُعطَ للآخرين الذين كانت تريد السلطات مصادرة أراضيهم. وكانت العملية ظالمة سياسياً وقانونياً وغير انسانية، وغالباً ما أدت إلى أن بعض أفراد العائلة الواحدة قد اعترف بهويتهم السورية، وبات الآخرون أجانب في بلادهم، وهذا مايُعرف بـ (سياسة الاحصاء).

ورافق عملية (الاحصاء) حملة دعائية منظمة في وسائل الاعلام تتهم الشعب الكردي بالتآمر على عروبة الجزيرة، وتنذره بالوعيد. واتخذت هذه الحملة شكلاً معيباً في كتاب محمد طلب هلال المذكور، الذي أنكر على الكرد بأنهم يشكلون شعباً أو أمة (حيث لاتاريخ لهم ولا حضارة ولا لغة وحتى لا جنس. لهم القوة والبطش والشدة وهذه ميزة سكان الجبال – ص٤٠). ويضيف هذا المؤلف مع ذلك (بأنهم لا يتكلمون إلا بالكردية في حضرتك)، وإنهم قد بلغوا درجة عالية من (العقائدية) والتنظيم في الداخل وأوربا تشكل تهديداً للكيان العربي بمساعدة (الاستعمار والشيوعية)، وإنه (لايمكن معالجة هذا السرطان إلا بالبتر، علماً بأن الأكراد هم قوم يحاولون بكل جهودهم وطاقاتهم ومايملكون إنشاء وطنهم الموهوم، حيث يترتب على هذه النظرة كونهم أعداء، ولا فرق بينهم وبين اسرائيل، رغم الرابطة الدينية فان يهودستان وكردستان صنوان إن صح التعبير – ص٤٠). وعلى هذا يقترح محمد طلب هلال على الدولة مخططاً من اثنتي عشرة نقطة لحل القضية الكردية، منها: (التهجير) و (التجهيل) و (إغلاق المدارس العربية في المناطق الكردية) و (سد باب العمل)، أي التجويع و (نزع الصفة الدينية عن مشايخ الدين عند الأكراد) و (ضرب الأكراد بعضهم ببعض) و (اسكان عناصر عربية وقومية في المناطق الكردية على الحدود) و (جعل الشريط الشمالي للجزيرة منطقة عسكرية، بحيث توضع فيها وحدات عسكرية مهمتها إسكان العرب وإجلاء الأكراد) و (انشاء مزارع جماعية للعرب الذين تسكنهم الدولة في الشريط الشمالي، على أن تكون هذه المزارع مدربة ومسلحة عسكرياً كالمستعمرات اليهودية على الحدود تماماً..الخ/ ص٤٦– ٤٨). هذا ما يُسمى بـ (سياسة الحزام العربي)، والتي أتبعت ومازالت لعدة أسباب، منها اكتشاف النفط في المنطقة الكردية من الجزيرة والاستيلاء على أراضيهم الزراعية في شريط طوله نحو ٣٥٠ كم على الحدود التركية وعمقه ١٥– ٢٠ كم، وإسكان عرب محلهم وتسليحهم بمساعدة الدولة، يؤتى بهم من مناطق أخرى. وكان من التدابير الأخرى التي اتخذتها السلطات إحالة الضباط الأكراد في الجيش السوري وكافة معلمي المدارس الأكراد إلى التقاعد قبل السن القانوني، وملاحقة كوادر (الحزب الديمقراطي الكردي في سوريا)، ومحاكمتهم والحكم عليهم بالسجن وتعذيبهم في السجون، ومنهم الكاتب والمناضل المرحوم عثمان صبري، والدكتور المرحوم

نورالدين زازا أقطاب هذا الحزب، في الوقت الذي كانت مطاليبهم لاتتعدى الاعتراف بالحقوق الثقافية واللغوية الكردية، كما أن السلطات قامت بتحريم المطبوعات، بل الموسيقى والأغاني الكردية، وتعريب الأسماء الجغرافية الكردية في المنطقة.

وقد بُدىء بتطبيق (سياسة الحزام العربي) منذ عام ١٩٧٢ بشكل أقل ضراوة مما اقترحه ضابط الشرطة السياسية المذكور وذلك بجلب عرب من وادي الفرات الأوسط بعد انشاء سد الطبقة واسكانهم في قرى جماعية مسلحة في المنطقة الكردية المزروعة من الجزيرة، بعد أن طرد منها فلاحوها الكرد ظلماً وبدون حق. ولكن معظم فلاحي الكرد رفضوا مغادرة منطقتهم وفضلوا البقاء فيها بدون أرض وفي فقر مدقع وحرمتهم السلطات حتى من بطاقات التموين لشراء المواد الغذائية الضرورية بأسعار رخيصة.

حول الوضع الراهن لأكراد سوريا ٢٠٠٠:

١ـ يبلغ تعداد الأكراد حالياً في سوريا، حسبب تقديرات معظم المختصين الكرد مايقارب ١.٨ مليون، ويشكل الكرد أكبر أقلية قومية غير عربية في سوريا، والوحيدة منها التي تتميز بالتركز في مناطق جغرافية معينة. ويلاحظ بأن المناطق الكردية في شمالي سوريا (القسم الشمالي من الجزيرة، منطقة عين العرب التي يسميها الأكراد كوباني، ومنطقة كردداغ أي جبل الأكراد شمالي غربي حلب) بأنها منفصلة بعضها عن بعض على الأراضي السورية، أي أنها تشكل جيوباً فيها تركتها الحدود السورية التركية كما خطت في عام ١٩٢١ على الجانب السوري، ولكنها تتصل قومياً وجغرافياً بكردستان الشمالية التي بقيت ضمن حدود الجمهورية التركية، وتعتبر امتدادات لها في الجنوب. ويتكلم أكراد سوريا باللغة الكردية ونفس اللهجة الشمالية المسماة بالكرمانجية كما في كردستان تركيا.

٢– ازدادت الهجرة الكردية في العقود الأخيرة من مناطقها الأصلية في شمال سوريا إلى الداخل ومدنه الكبرى، وترجع إلى سببين: أولهما، الهجرة العامة من الأرياف إلى المدن كما تشاهد في المحافظات الأخرى. وثانيهما، سياسة التهجير والاستيلاء على العقارات والأراضي، والاضطهاد القومي الناتج عن سياسة (الاحصاء والحزام)، لاسيما في منطقة الجزيرة.

٣ـ ازداد عدد أكراد سوريا الذين حرموا من جنسيتهم السورية بحجة إنهم من (الأجانب والمكتومين) من نحو ١٢٠ ألف نسمة في أوائل الستينات إلى أكثر من ٢٢٠ ألف نسمة في يومنا هذا، علماً بأن هذه التهمة يتوارثها الأبناء عن الآباء. ويحمل هؤلاء هويات خاصة بهم حمراءة اللون، أعطيت لهم من قبل السلطات المختصة لتشخيصهم، وكتب عليها (غير صالحة للسفر خارج البلاد)، بينما يحمل عامة السوريين عرباً وأكراداً هويات من لون آخر، كتب عليها (عربي سوري)، وبمعنى آخر أن أكراد سوريا المعترف بهويتهم تعتبرهم السلطات السورية كعرب شاؤوا أم أبوا. أما أكراد سوريا الذين أعلنتهم السلطات (أجانب ومكتومين) فهم أسوأهم حالاً، وأكثرهم بؤساً، فقد حرموا من أراضيهم الزراعية ومن حقوق المواطنة، ولا حق لهم في التوظيف بالدوائر الحكومية، ولا تسجيل زواجهم وأولادهم في سجلات النفوس. وقد قامت السلطات مؤخراً بالاستيلاء على الأراضي البور التي كانوا قد أزالوا منها الحجارة والموانع الأخرى، بغية الانتفاع منها ثم أعطتها للمستوطنين (عرب الغمر)، الذين استقدمتهم من مناطق أخرى.

الحلول التي نطرحها للقضية الكردية في سوريا:

إن الحلول التي يقترحها المؤتمر الوطني الكردستاني KNK هي أن تتفضل السلطات التنفيذية والتشريعية للجمهورية العربية السورية بالعمل لتحقيقها لتتطابق مع تطلعات الشعب الكردي ومطالب أحزابه في سوريا، ويمكن ايجازها في نقطتين: إلغاء الاجراءات الاستثنائية ونتائجها بحق الشعب الكردي من جهة، والاعتراف بحقوقهم القومية الديمقراطية المشروعة من جهة أخرى، ولما كان في الايجاز عسر، فعلينا بتوضيحهما:

أ – إلغاء الاجراءات الاستثنائية ونتائجها بحق الشعب الكردي، أي:

١– إلغاء (سياسة الاحصاء)، مما يقتضي باعادة الجنسية للأكراد الذين حرموا منها واعادة أراضيهم الزراعية إليهم.

٢– إلغاء (سياية الحزام العربي)، مما يقتضي بعدم إنشاء أية قرى عربية جديدة في المناطق الكردية الثلاثة التي جاء ذكرها والبت في مصير القرى العربية التي تم إنشاؤها في هذه المناطق حسب تلك السياسة، عن طريق حوار سياسي، يجمع بين ممثلي الحكومة وممثلي الكرد المتضررين وممثلي المستوطنين العرب، الذين

جيء بهم من مناطق أخرى. وقد يستوجب ذلك تعويضات مالية للمتضررين من قبل الحكومة والسماح لمن يرغب من المستوطنين العرب بالعودة إلى مناطقهم الأصلية التي أجبروا على تركها من الفرات الأوسط ومن منطقة الرقة وتعمير قرى لهم من قبل السلطات السورية.

٣- إطلاق سراح السجناء والمعتقلين السياسيين الكرد.

٤- منع نشر دعايات وهجمات على الشعب الكردي في سوريا.

ب - الاعتراف بالحقوق القومية والديمقراطية المشروعة، أي:

١- الاعتراف الدستوري بوجود الشعب الكردي في سوريا.

٢- فتح مدارس كردية في المناطق الكردية والتدريس فيها باللغتين الكردية والعربية.

٣ـ إطلاق حرية العمل السياسي للشعب الكردي، والسماح للأحزاب الكردية بالعمل العلني وحرية نشر المطبوعات الكردية وبث البرامج باللغة الكردية في محطات الراديو والتلفزيون.

في حال حدوث تفسيرات مختلفة أو حصول خلاف حول مفهوم أو نتائج الحقوق القومية التي نأمل من الدولة السورية الاعتراف بها للشعب الكردي في سوريا، فمن الأفضل أن يجري البت بها من قبل لجنة خاصة بعينها ويشرف عليها مجلس الشعب السوري، وتتمثل فيها مختلف الأطراف ذات العلاقة في الوقت الذي تهتم الأوساط الدولية بتعميم احترام حقوق الانسان في مختلف بلاد العالم، بل وتبدو بعض التباشير لحل ديمقراطي وسلمي للقضية الوطنية الكردية في تركيا (كشرط حددته القمة الأوربية في هلسنكي في شهر كانون الأول من عام ١٩٩٩م لقبول تركيا كمرشحة لعضوية الاتحاد الأوربي)، فاننا نرجو أن تحظى المقترحات التي نرفعها أعلاه لسيادتكم باهتمامكم بغية حل سوري (عربي - كردي) للقضية المطروحة.

وأخيراً، تقبلوا منا أعلى مشاعر التقدير والاحترام.

عصمت شريف وانلي

رئيس المؤتمر الوطني الكردستانيKNK

الوثيقة رقم (١٠)

رسالة الشيخ محمود الحفيد إلى السوفييت (٢٠كانون الثاني١٩٢٣) عن طريق القنصل السوفييتي في تبريز، دليل على أنه كان يعقد آمالاً كبيرة على روسيا السوفيتية.

إلى حضرة قنصل روسيا المظفرة في أذربيجان ... مع تأكيد احتراماتي أرسل تحياتي:

في سنة ١٩١٧ طرق سمع العالم صوت الحرية الحقيقية وتحرير الشعوب والأقوام المستعبَدة من أنياب ومخالب الطغاة والجناة المفضوحين، ورحبت به جميع الشعوب والأقوام المستعبَدة على وجه الأرض ترحيباً كثيراً، وقامت بالنضال والتضحية في سبيل الحرية متأملة من شرف وحسن نية الشعب الروسي تحقيق آمالها ومطاليبها. أما فيما يخص حقوقنا فمعلوم في أغلب الجرائد كيف أن البريطانيين، المتعطشين لسفك الدماء وامتصاص دماء الشعوب، أنزلوا بالشعب الكردي تلك الضربات القوية والشديدة للغاية من المدفعية والأسلحة النارية والقنابل المحرقة، دون تفريق بين النساء والأطفال والرجال، وذلك سنة ١٩١٩، أي قبل أربع سنوات. وعندما أراد الشعب الكردي المستعبَد تحقيق حقوقه ومطاليبه المشروعة والقانونية في العاصمة السليمانية، ولسوء حظه، فان الأوضاع الداخلية في حكومة روسيا كانت تسير بشكل لا يسمح لها بتعقب أوضاع الشعوب الأجنبية المستعبَدة والمضطهَدة. إن هذه الحالة قد استمرت إلى أن ظهر الشعب الروسي القوي بفطرته وحسن نيته وصدق غايته، حيث تمكن والحمد لله أن يكشف عن قدرته العظيمة. إن الشعب الكردي المستعبَد والمضطهَد يتشرف بأن يراجعكم حول الأمور التالية: إن شعب كردستان الجنوبية بأسره ميال إلى صداقة ومساعدة الحكومة الروسية، وإلى التضحية في سبيل هذه الصداقة وافدائها بالمهج والأنفس، وحسبما تمليه الصداقة كشرط أساسي وضروري الاعتراف رسمياً بحقوقنا القومية والرسمية ولأجل إظهار علاقانا إلى الرأي العام العالمي، وتقوية قدرتنا ونفوذنا بصورة عامة، واضعاف قدرة العدو، يحتاج إلى بعض المدافع والرشاشات والطائرات والأسلحة مع معداتها ومؤنها. وسيخبركم التفاصيل شفهياً العقيد الخيال رشيد أفندي وسكرتيري عارف أفندي. واخيراً، لنا الأمل في أن تحقق الحقوق القومية والقانونية للشعب الكردي، الذي يمد

إليكم حالاً يد الصداقة والأخوة، تلك الأخوة والصداقة والاتحاد التي يرغب فيها معكم جدياً وقلبياً. ومعلوم لديكم جميعاً أمر الهدنة وضد مَنْ كات موجهة ثورتنا في كردستان الحنوبية، وكذلك علاقات الحكومات المجاورة بكل ذلك. وطبعاً، فانه ليس بالامكان أن نكتب لكم عن جميع أعمالنا بالتفصيل، في الوقت الذي لا توجد بيننا وبين الحكومة السوفيتية التي نعتمد عليها ونحسبها سنداً لنا علاقات دبلوماسية حتى الآن، ولكنني أتمكن من أن أقول شيئاً واحداً هو أن الشعب الكردي بأجمعه يعتبر الشعب الروسي محرر الشرق، لذلك فهو حاضر ومستعد لأن يربط مصيرَه بمصرِه، وإن أهم ما يشغل بالنا هو قضية مساعدتنا، إن الشعب الكردي ينتظر بفارغ الصبر تأسيس العلاقات بيننا، وإذا أقيمت هذه العلاقات وتحقق التكامل والتضامن الذي أحلم به، فحينذاك سيتحرر الشعب الكردي، ومن الجدير بالذكر أنه إذا ما تحقق هذا الحدث الهام، فستكتب مجهوداتنا ونضالاتنا كلنا بحروف ذهبية في التاريخ.

محمود (ملك كردستان)

الوثيقة رقم (١١)

أورد الاستاذ (فرحان مرعي) جدولاً يتضمن مجموع العاملين في حقل رميلان وعددهم من سائر المحافظات، نشر في العدد/١٥٢/ من جريدة (يكيتي) الصادرة في كانون الأول عام ٢٠٠٧، فتأملها عزيزي القارىء، لأن لغة الأرقام قد تكون أبلغ:

المحافظة	الفئة الأولى الجامعيون	الفئة الثانية معاهد+ثانوية	الفئة الثالثة عمال	الفئة الرابعة عمال	الفئة الخامسة عمال	المجموع
الحسكة	٢٣٩	٨٦٩	٣٦	٢٥٢٣	٧٨٤	٤٤٥١
درعا	٦	١٤	–	–	–	٢٠
قنيطرة	٣	٥	–	–	–	٨
دمشق	٨	٥	–	٤	١	١٨
ريف دمشق	٤	١٠	–	–	١	١٥
حلب	١٧	١٧	–	١٣	٥	٥٢
حمص	٩٩	١٣٦	٢٠	٤٠	٥	٣٠٠
حماه	٦٢	١٣٢	٥	٩٥	٣١	٣٢٥
اللاذقية	٣٢	١١١	٦	٧٨	٣٠	٢٥٧
طرطوس	٥٥	١٨٤	٥	١٤١	٤٥	٤٣٠
ادلب	١٥	٢٥	–	١	–	٤١
دير الزور	٣٤	٧٦	٣	٨٥	١٣	٢١١
الرقة	٢	٦	–	١٠	١	١٩
السويداء	١٥	٢٨	–	٣	–	٤٦
المجموع	٥٩١	١٦١٨	٧٥	٢٩٩٣	٩١٦	٦١٩٣

الوثيقة رقم (١٢)

عبارة عن عريضة موقعة من قبل ١٩ وجيه كردي من مختلف الأقاليم الكردية الخاضعة للانتداب الفرنسي، ومسجلة في ديوان المفوض السامي الفرنسي في ١٥ نيسان ١٩٣٠ تحت رقم/٦٥٠١/ هذا نصها:

إلى سيادة المفوض السامي للجمهورية الفرنسية في سوريا ولبنان صاحب السيادة:

نحن الموقعون أدناه، من أصل كردي، رعايا الأقاليم الخاضعة للانتداب الفرنسي، نتشرف بأن نعرض على سيادتكم ما يلي: هذه البلاد الخاضعة للانتداب، التي عانت منذ قرون من اهمال وظلم الادارة التركية، تستفيد منذ حوالي عشر سنوات من سعادة العيش في عهد الرفاهية والتقدم، بفضل الانتداب الفرنسي. تمكنت فرنسا من تحقيق هذه النتيجة السعيدة فقط بفضل حكمتها التي منحت بموجبها إدارات خاصة إلى المجتمعات السياسية من أكبرها وحتى أصغر أقلية اجتماعية أو دينية، إدارات ملائمة مع أوساطها وأعرافها ومفاهيمها. من بين هذه المجتمعات الخاضعة للانتداب الفرنسي، كان العرق الكردي حتى الآن الوحيد الذي لم يستفد بشكل تام من هذا العمل الحضاري. مع أنه يستحق إدارة خاصة بشكل تام، فالعرق الكردي، هو من أصل آري، وهو مختلف بتاريخه وأعرافه، وعرقه ولغته، عن جميع المجتمعات القاطنة للأقاليم الخاضعة للانتداب. بموجب هذه العريضة، نطالب سيادتكم منح الأقاليم المأهولة بالأكراد إدارة خاصة، سواء كثيراً أم قليلاً. ومن أجل ذلك، نسمح لأنفسنا بأن نعرض أمام عطافتكم المبادىء التي يمكنها تسهيل المهمة المذكورة:

أ)– قبول الأكراد في الوظائف العامة، في الادارة والعدالة، والجندرمة والشرطة وغيرها.

ب)– قبول اللغة الكردية في الوظائف العامة.

أسماء الموقعين	الصفة والمهنة
كاميران بدرخان	محامي
جلادت بدرخان	محامي
ثريا بدرخان	مهندس زراعي

ممدوح سليم...................وجيه كردي/ صحفي

مصطفى شاهين................رئيس عشيرة برازا/ ملاك

بوزان شاهين..................رئيس عشيرة برازا/ ملاك

حمو مسلم.....................رئس عشيرة بيجان/ ملاك

نجيب برمده...................وجيه كردي/ نائب حارم

عبدي مرعي آغا................رئيس عشيرة آليان

صالح..........................رئيس عشيرة دناي/ ملاك

قدري فؤاد جميل باشا..........وجيه كردي/ مهندس زراعي

أحمد مليك....................رئيس عشيرة زرواري/ ملاك

محمد فريد جميل باشا..........وجيه كردي/ مهندس زراعي

أكرم قاسم جميل باشا..........وجيه كردي/ ملاك

سعيد.........................رئيس قبيلة عزيزان – عشيرة كيكان

ابراهيم.......................رئيس عشيرة ملّان/ نائب قامشلي والحسكة

حاجو..........................رئيس عشيرة هفيركا/ ملاك

حاج سليمان عباس.............رئيس عشيرة دوركا/ ملاك

رشيد شيخ اسماعيل زاده.......نائب كرداغ

الوثيقة رقم (١٣)

تسربت هذه الوثيقة الصادرة يوم الانتفاضة الكردية التي انطلقت من القامشلي وعمت كردستان سوريا والمهاجر، وهي وثيقة ناطقة ومشوِّهة للحقيقة ولا تحتاج إلى تعليق:

الجمهورية العربية السورية

محافظة الحسكة — العدد: ٦٩٠/٢

المكتب التنفيذي — التاريخ: ٢٠٠٤/٣/١٢

– سري للغاية –

بناءً على اجتماع اللجنة الأمنية المنعقدة بشكل طارىء ليوم الجمعة الشهر الحالي بحضور محافظ الحسكة ورؤساء الفروع الأمنية في المحافظة، تقرر ما يلي:

أولاً: الوقوف بحزم أمام – حصرية – التخريب في مدننا الآمنة في محافظة الحسكة واطلاق النار الحي على مثيري الشغب، ومثيري النعرات الطائفية، ولكل من تسول له نفسه المساس بوحدة الأرض العربية السورية.

ثانياً: إلقاء القبض على من لا – يمتثل – للقانون من العمر داخل عشرة سنوات إلى الستين.

ثالثاً: الفروع الأمنية تمارس صلاحياتها الأمنية المنصوصة عليها حسب قانون الطوارىء المعمول. ودمتم ذخراً للوطن والحزب.

محافظ الحسكة

رئيس المكتب التنفيذي

الدكتور سليم كبول

التوقيع

الوثيقة رقم (١٤)

وفيما يلي مقتطفات من مذكرة قدمها كرد أرمينيا إلى غورباتشوف تظهر الصورة الحقيقية لما جرى بحق الكرد في أذربيجان:

تأسست في أذربيجان ادارة كردستان، مركزها لاتشين ... ومن دواعي الاعتزاز أن لينين العظيم كان يهتم بوضع ادارة كردستان تلك، فقد كتب رسالة إلى نريمانوف قال فيها: آمل أن يكون بنك أذربيجان الوليد أساساً متيناً للسياسة الاقتصادية الجديدة بيد عمال وفلاحي الجمهورية السوفيتية الشقيقة، وتقديم (٤٠) مليون لجياع الفولغا وكردستان ... ففي سنة ١٩٢٩م ألغيت ادارة كردستان، وبعد ذلك تم ترحيل عدد كبير من الأكراد بالقوة وهجروا إلى كازاخستان وتركمانستان ... وهناك (٢٠٠) ألف كردي يعتبرونهم أذربيجانيين في تلك الجمهورية ... بعد وفاة ستالين، هدأ الوضع بعض الشيء، وعاد قسم من المهجرين إلى مناطقهم، لكن كان من المحال اعادة تشكيل ادارة كردستان.

المصدر: نقلاً عن تقرير المؤتمر الثاني لحزب الشعب الديمقراطي الكردستاني، الذي قدمه سامي عبد الرحمن – الصفحات ٥٧ و٥٨ و٥٩.

الوثيقة رقم (١٥)

البيان الختامي لأعمال المجلس الوطني الكردي في سوريا

في يوم السادس والعشرين من تشرين أول ٢٠١١، وبدعوة من أحزاب الحركة الوطنية الكردية في سوريا وحضور أكثر من ٢٥٠ مندوب، شمل مناضلين أوائل في الحركة الكردية وشخصيات وطنية مستقلة وممثلين عن المجموعات الشبابية وكذلك ممثلي الأحزاب المشاركة، ونشطاء يمثلون لجان حقوق الانسان، وفعاليات اجتماعية وثقافية واعلامية، انعقد المؤتمر الوطني الكردي في مدينة القامشلي، وذلك تحت الشعارات التالية:

ــ من أجل تحقيق أهداف الانتفاضة السلمية للشعب السوري في الحرية والكرامة.

ــ نحو دولة ديمقراطية برلمانية تعددية، تضمن الحقوق القومية للشعب الكردي.

ـ الاعتراف الدستوري بالشعب الكردي كمكون رئيسي في البلاد.

ـ لا للتمييز القومي والديني والطائفي، نعم لدولة وطنية علمانية وديمقراطية لكل السوريين.

ـ لا للقمع والاستبداد .. الحرية لجميع معتقلي الرأي في سوريا.

بوشر المؤتمر بالنشيدين الوطني والقومي، والوقوف دقيقة صمت على أرواح شهداء الحرية، تلته كلمة افتتاحية ألقاها أكبرهم سناً بين سكرتيري أحزاب الحركة الوطنية الكردية، وأخرى شفهية ألقاها أصغرهم سناً، ليليه اختيار لجنة لرئاسة جلسات المؤتمر وتسيير أعماله، حيث تليت نصوص المشاريع المطروحة من تقرير سياسي، ومشروع الوثيقة السياسية والمبادرة الكردية، وفي ضوئها شهد المؤتمر نقاشات مستفيضة وآراء متنوعة تمخض عنها قرار بتشكيل لجنة لاعادة صياغة تلك المشاريع ودمجها في وثيقة واحدة، وكذلك توجهات ومقررات، أهمها:

أ ـ في المجال الوطني: أكد المؤتمر أن ما تشهده الساحة السورية من أزمة وطنية متفاقمة يتحمل النظام مسؤوليتها، فمنذ وصول نظام البعث الى السلطة من خلال انقلابه العسكري عام ١٩٦٣، مارس القمع والتنكيل ومصادرة الحريات العامة والخاصة وأخفق في تحقيق التنمية والتطوير الاقتصادي، حيث تزايد مستوى الفقر

والبطالة واستشرى الفساد .. ورغم مطالبات الشعب للسلطة طيلة عقود من الزمن بضرورة تحقيق اصلاحات ديمقراطية، الا أنها كانت تمعن في قمعها وبطشها بحق كل صوت منادٍ بالديمقراطية واحترام حقوق الانسان وحتى المطالبين بتحسين الأحوال المعيشية. ان اعتماد السلطة لهذا النهج في التعامل مع الداخل السوري – وفي مناخ الربيع العربي – أدى الى اندلاع شرارة الثورة السلمية المطالبة بالحرية والكرامة التي شملت معظم أرجاء البلاد بما فيها المناطق الكردية والتي انطلقت بارادة وطنية في الخامس عشر من آذار المنصرم، وجوبهت بمزيد من القمع والقتل من قبل أجهزة السلطة في ضوء اعتمادها للحل الأمني والعسكري كخيار وحيد قد يوفر ذرائع لتدخل خارجي عسكري خطير، وأكد المؤتمر على ان إنهاء الأزمة في البلاد يمر من خلال تغيير النظام الاستبدادي الشمولي ببنيته التنظيمية والسياسية والفكرية وتفكيك الدولة الأمنية وبناء دولة علمانية ديمقراطية تعددية برلمانية وعلى أساس اللامركزية السياسية، بعيداً عن العنصرية، دولة المؤسسات والقانون تحقق المساواة في الحقوق والواجبات لكل المواطنين وتحول دون عودة أي شكل من أشكال الاستبداد والشمولية.

كلف المؤتمر الهيئة التنفيذية المنبثقة عنه السعي لتوحيد صفوف المعارضة الوطنية السورية، كون التوحيد هذا يشكل عاملاً هاماً في ترجيح موازين القوى لصالح الثورة السلمية للشعب السوري وتحقيق مطالبه المشروعة. وطالب المؤتمر بضرورة سحب قوات الجيش والأمن من المدن واعادتها الى ثكناتها وعدم زجها في مواجهة التظاهرات السلمية.

ب – في المجال الكردي السوري: رأى المؤتمر أن الشعب الكردي في سوريا هو شعب أصيل، يعيش على أرضه التاريخية ويشكل جزءاً أساسياً من النسيج المجتمعي والوطني والتاريخي لسوريا، وهذا يتطلب الاقرار الدستوري بوجوده كمكون رئيسي من مكونات الشعب السوري وثاني أكبر قومية فيه، وايجاد حلٍ ديمقراطي عادل لقضيته القومية بما يَضْمَن حقه في تقرير مصيره بنفسه ضمن وحدة البلاد، كما رأى المؤتمر أن حل القضية الكردية يعتبر مدخلاً حقيقياً للديمقراطية وامتحاناً لقوى المعارضة السورية التي تسعى لتحقيق غد أفضل لسوريا على قاعدة أن سوريا لكل السوريين.

ج – تبنى المؤتمر الحراك الشبابي الكردي كجزء من الثورة السورية السلمية مشيداً بدوره المساهم في اعلاء شأن الكرد وتعميق وطنية القضية الكردية.

د – أكد المؤتمر على توفير ضمانات حرية المعتقدات وممارسة الشعائر الدينية واحترامها وحمايتها دستورياً وضرورة تأمين الحقوق القومية للسريان كلدو آشور والأقليات الأخرى.

هـ – بخصوص الموقف من موضوع الحوار مع السلطة فقد رأى المؤتمر – كونه جزءاً من المعارضة الوطنية السورية – ضرورة عدم القيام باجراء أي حوار مع السلطة بشكل منفرد.

و – قرر المؤتمر حل جميع الأطر الكردية التي تنضوي تحتها الأحزاب المشاركة في المؤتمر (الجبهة – التحالف – التنسيق – المجلس السياسي)، واعتبر المؤتمر مجلساً وطنياً كردياً.

ز – خول المؤتمر الهيئة التنفيذية بالحوار مع أطراف المعارضة الوطنية ومن ثم التنسيق والتعاون مع الأكثر استجابة لقرارات وتوجهات المؤتمر وتعليق عضوية أحزاب الحركة في الأطر الأخرى.

في صبيحة يوم الخميس ٢٠١١/١٠/٢٧ أنهى المؤتمر أعماله بنجاح، حيث أجمع الحضور على أن انعقاد هكذا مؤتمر وطني وبهذا الحجم من الغنى والتنوع والمسؤولية، وبتنظيمه الحضاري، يعد هو الأول من نوعه في تاريخ كرد سوريا، حيث أختتم بانبثاق هيئة تنفيذية من ممثلي أحزاب الحركة الوطنية الكردية وفعاليات وطنية اجتماعية، ثقافية، شبابية حقوقية ونسائية، مستقلة .. تترتب على عاتقها مسؤولية متابعة العمل بجد واخلاص، ويداً بيد لما فيه خير هذا الشعب والوطن.

عاشت سوريا حرة ديمقراطية .. والتحية لأرواح شهداء الحرية.

٢٠١١/١٠/٢٨ المؤتمر الوطني الكردي في سوريا

ملاحظة: يجدر الذكر أن صاحب هذا البحث (علي جزيري) كان له شرف المشاركة في أعمال المؤتمر الوطني الكردي الأول هذا في سوريا، وأنتخب عضواً في اللجنة التنفيذية، التي انبثقت عن المؤتمر.

الوثيقة رقم (١٦)

مبادرة أحزاب الحركة الوطنية الكردية في سوريا لحل الأزمة الراهنة في البلاد

مع النهوض الجماهيري السلمي الذي بدأ في سوريا، منذ الخامس عشر من آذار، والذي يهدف لتحقيق مجتمع ديمقراطي ينعم فيه جميع أبناء سوريا بمختلف طيفهم القومي والثقافي والديني والسياسي بحقوقهم الأساسية، ويتواكب مع التطورات الحاصلة في المنطقة، ويتفاعل مع هذا العصر الذي تتجه فيه البشرية نحو بناء نظم ديمقراطية وتحقيق الحرية والعدالة والمساواة.

ان هذا النهوض الذي يحصل الآن في سوريا هو حراك وطني جماهيري واسع، يدعو الى احداث تغيير ديمقراطي سلمي وتحقيق اصلاحات جوهرية على كافة الأصعدة، التي من شأنها انهاء حالة الاستبداد وحكم الحزب الواحد وانهاء احتكار السلطة وبناء الدولة المدنية الحديثة التي تكفل العدل والمساواة في الحقوق والواجبات، وتحقيق الشراكة الحقيقية لكل المواطنين في ادارة شؤون البلاد.

ان عدم استجابة السلطة لمطالب الشعب في تحقيق التحولات الديمقراطية السلمية في البلاد ومواجهة الحراك الجماهيري الاحتجاجي السلمي بالعنف، أدى الى خلق أزمة عميقة، باتت تهدد بلدنا سوريا بمخاطر جدية، الأمر الذي يقتضي تضافر الجهود والمساعي، على مختلف المستويات ومن خلال المسؤوليات الملقاة على عاتق مكونات الشعب السوري بكل انتماءاته القومية والسياسية وشرائحه وفئاته الاجتماعية، التلاقي من أجل التفاهم من أجل العناوين البارزة والخطوط العريضة لمبادرة وطنية شاملة لوضع الحلول العملية الجادة لمعالجة الأزمة التي تلف بلدنا وتجنيبه المخاطر المحدقة وضمان تطوره وتقدمه.

ان أحزاب الحركة الوطنية الكردية في سوريا، التي هي جزء من الحركة الوطنية والديمقراطية العامة في البلاد، ترى بأن الصيغة المثلى للخروج من الأزمة الراهنة تمر عبر الحوار الوطني الشامل والجاد بين مجمل المكونات الوطنية، ومن أجل انجاح هذا الحوار نرى ضرورة تحقيق مايلي:

١ـ تجنب اللجوء الى استخدام العنف والقتل تحت أية ذريعة كانت والسماح للاحتجاجات السلمية بالتعبير عن نفسها، واعتماد مبدأ ولغة الحوار الوطني الشامل بين مختلف الاتجاهات السياسية الوطنية والنخب الثقافية التي تؤمن بالحوار سبيلاً للتفاهم.

٢- تطبيق المرسوم الرئاسي القاضي برفع حالة الطوارىء والأحكام العرفية، والغاء المحاكم والقوانين الاستثنائية كافة، والافراج عن جميع معتقلي الرأي والسجناء السياسيين.

٣- السماح للتيارات السياسية والأحزاب التي تمثل شرائح المجتمع بمزاولة أنشطتها الديمقراطية علناً الى حين صدور قانون عصري للأحزاب.

٤- الغاء كافة السياسات التمييزية، والمراسيم والتعاليم السرية المطبقة بحق الشعب الكردي، والاستعجال في اعادة الجنسية الى المجردين منها، وتسجيل المكتومين في السجلات المدنية كمواطنين سوريين، وايلاء المناطق الكردية الاهتمام اللازم بغية ازالة آثار الاهمال المتعمد لها وتحقيق مبدأ المساواة أسوة بباقي المناطق.

٥- الدعوة لعقد مؤتمر وطني شامل دون هيمنة أية جهة كانت من أولى مهامه، اقرار صيغة مشروع دستور جديد يلغي الامتياز لأية جهة سواء كان حزباً أو قومية، ويتضمن الاعتراف بالتعددية القومية والسياسية واللغوية، ويطرح هذا الدستور على الاستفتاء العام، واقرار قانون جديد للانتخابات المحلية والتشريعية، وآخر لتنظيم عمل الأحزاب السياسية يراعي خصوصيات المجتمع السوري ومكوناته دون التمييز بسبب العرق أو الدين، واطلاق حرية الاعلام والصحافة.

٦- ضمان فصل السلطات الثلاث، التشريعية والتنفيذية والقضائية، واستقلالية القضاء وتعزيز دوره.

٧- حل القضية القومية للشعب الكردي حلاً ديمقراطياً عادلاً في اطار وحدة البلاد، بالاعتراف الدستوري بوجوده القومي كمكون رئيسي، وتأمين ما يترتب على ذلك من حقوق قومية.

٨- حماية وتأمين الحقوق الثقافية للأقليات القومية والدينية في البلاد.

ان ايلاء هذه المبادرة الاهتمام اللائق من لدن جميع القوى والنخب السياسية والثقافية على اختلاف مواقعها لاشك سينصب في خدمة تضافر كل الجهود لما فيه خير ومصلحة الشعب والوطن.

٢٠١١/٥/١١ أحزاب الحركة الوطنية الكردية في سوريا

الوثيقة رقم (١٧)

رسالة الملك الساساني (يزجرد الثالث) الجوابية الى الخليفة (عمر بن الخطاب)، حين دعاه عمر الى الاسلام عقب معركة القادسية وقبل معركة نهاوند، والرسالتان موجودتان في متحف لندن.

ملاحظتان:

١ـ رغم ما في رسالة الملك الساساني من قساوة أحياناً، الا أن الأمانة تقتضي عرض النص.

٢– كتب المؤرخ الايراني رشيد ياسمي بأن (ساسان) جد أردشير بابكان ينتمي الى قبيلة شُبانكارا الكردية، وأم أردشير تُدعى (مينا بهشت: مثل الجنة) هي ابنة أحد رؤساء قبيلة بازرنكي الكردية، وكان موطن أسرة ساسان يقع ضمن مرابع قبيلة الشُبانكارا في اقليم فارس، ورواية الطبري تؤكد هذا القول، حين ذكر بأن ملك الاشكانيين (اردوان الخامس ٢١٦– ٢٢٤) كتب الى أردشير، قبل انتصار الأخير: انك قد عدوت طورك، واجتلبت حتفك أيها الكردي المربي في خيام الأكراد، مَنْ أذِن لك بالتاج الذي لبسته والبلاد التي احتويت عليها وغلبت ملوكها وأهله (الطبري – ج٢ ص٣٩)، وقد أورد (د. عبدالرحمن مزوري) هذا القول في (نوروز والازدهاك والكرد/ دراسة في الاسطورة والتاريخ – اربيل ٢٠١٣م – ص٢٩و٣٠).

(باسم آهورا مزدا، خالق الحياة والحكمة...

طلبتَ في رسالتك الى الايمان بربك، دون أن تعرف حقيقة مَنْ نكون وما نعبد. الغريب أنك على كرسي الخلافة، في حين أن مستوى فهمك هو مستوى فهم أي عربي من العوام، انّ مستوى فهمك – بالنسبة لنا – هو مستوى فهم شيوخ القبائل العربية المُشفَق عليهم.

يا عمر... أنت تدعوني الى عبادة اله واحد، دون أن تعلم أننا ومنذ آلاف السنين نعبد اله واحد ونسجد له في اليوم خمس مرات... عندما كنا من صناع العادات الفاضلة وحاملي راية (الفكر الحسن، القول الحسن، الفعل الحسن.. ملاحظة: هنا إشارة إلى الزرادشتية)، كنتم تأكلون السحالي والحشرات، ولم يكن لكم ما تأكلون غيرها، وكنتم تدفنون بناتكم الأبرياء أحياء (ملاحظة: يقصد عادة وأد البنات)... أنتم تذبحون المخلوقات وتذبحون الأسرى وتغنمون وتغتصبون أموال

الناس وممتلكاتهم، فقلبكم قُدَّ من حَجَر... تُطالبني ألاّ أسجد للنار!... نحن نرى حب الخالق ونور الشمس في وهج النار، ان النور والنار تجعلاننا أن نرى شعاع الحقيقة والحق، وأن نمنح قلوبنا الى الخالق لينورها ويساعدنا في أن نكون لطفاء مع بعضنا، ونستنير كي يدوم الحب في قلوبنا الى الأبد.

ان ربنا هو آهورا مزدا، الذي اهيتديتم اليه الآن وسميتموه (الله)، لكننا لسنا مثلكم... نحن ننشر المحبة على الأرض، ونقوم بتطوير ثقافتنا وعاداتنا منذ آلاف السنين، ونحترم في الوقت نفسه ثقافات وعادات غيرنا، لكنكم باسم الله تدمرون وتنهبون وتقتلون...هل إلهكم يأمركم بالتدمير والنهب والقتل ؟. هل هو الذي طلب منكم أن تدعوا الى عبادته بالسيف ؟. قل لي ما الذي ستعلموننا اياه بالاكراه والغزو ؟... لقد انهزم جيشنا – مع الأسف – أمام جيشكم، الآن يتوجب علينا السجود للاله الذي تدعوننا الى عبادته بالسيف على مضض... أقترح عليك أن تعود الى صحرائك... المكان الذي لا توجد فيه غير ثقافة الخوف من النار (ملاحظة: يقصد نار جهنم)، لن نرضى أن يُدَّنس جيشك أرضنا الخيرة، عُد بمن أتيت بهم بغرض القتل والنهب، وقدّم الاعتذار).

ملاحظة: موقف (ديهيا) ملكة الأمازيغ حين غزا العرب المسلمون شمال افريقيا، شبيه بموقف (يزجرد) السالف الذكر تماماً، فقد واجهت الغزاة بشجاعة وبكل بسالة، قبل أن يقدموا على نحرها وقطع رأسها ورمي جثتها في أحد الأبار، وصرخت في وجههم، قائلة: (أيها المسلمون، ان كنتم تدَّعون أنكم تحملون رسالة من الله، فاعطوها لنا، وعودوا من حيث أتيتم).

الوثيقة رقم (١٨)

الأعضاء المؤسسون لـ (خويبون)، ممن شاركوا المؤتمر التأسيسي الأول في القامشلي بمنزل قدور بك عام ١٩٢٧، ثم عقد مؤتمر مماثل في صوفر بلبنان بمشاركة مندوبي الأرمن من حزب الطاشناق، وأعلن عن تأسيس هذه المنظمة من هناك، كما جاء في مذكرات (أحمد نامي)، وقد أوردها ابنه سامي في كتابه، وهم:

جلادت بدرخان – كاميران بدرخان – حاجو آغا – يادو آغا – سعيد آغا – شيخ عبد الرحيم بيران – محمد مهدي – طاهر – ثلاثة من أبناء شيخ علي بالو – قدري جميل باشا – أكرم جميل باشا – شيخ عبدالرحمن كارسي – د. أحمد نافذ – أمين أحمد – شوكت زلفي – د. نوري ديرسمي – عارف عباس – ساروخان آغا – عثمان صبري – جكرخوين – قدري جان – رشيد كرد – أحمد نامي – عفدى تيلو – حسن هشيار – ملا أحمد شوزي – مصطفى بوطي – حمزة مكسي – قدور بك – محمد علي شويش.

الوثيقة رقم (١٩)

نص المذكرة التي وجهها (د. نورالدين زازا) من السجن عام ١٩٦١ إلى رئيس محكمة أمن الدولة العليا في دمشق.

إلى سيادة رئيس محكمة أمن الدولة العسكرية العليا بدمشق: حسب طلبكم في الجلسة السابقة التي انعقدت بتاريخ ١٩٦٠/١٢/٣١ لمحاكمتنا في محكمتكم الموقرة، أقدم إليكم بياناً بالوقائع والحوادث التي تثبت تطبيق سياسة التمييز العنصري تجاه الشعب الكردي في الإقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة، آملاً أن تكون وسيلة تتفهمون بها وضع الشعب الكردي في الإقليم الشمالي، وتبرير موقفنا نحن بالذات، حينما اتخذنا هذا الطريق الجماعي للوصول إلى حقوقنا الطبيعية والإنسانية.

هذا وأريد أن ألفت نظر سيادتكم إلى إنني في وضعي هذا في السجن لا أستطيع إلا أن أقدّم الخطوط العريضة لبعض الحوادث في التمييز العنصري التي أتذكرها، والتي منها مستمرة إلى الآن.

سيدي: بالرغم من إن حوادث التفرقة والتمييز العنصري تجري وتطبق في مجالات عديدة، وبطرق شتى، فأريد أن أكشف لسيادتكم قبل عرض الوقائع عن السبب الرئيسي، الذي يؤدي إلى تلك الوقائع و الحوادث المؤسفة وذلك السبب هو: إن في الإقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة واقع ملموس و موضوعي هو حقيقة وجود الشعب الكردي، الذي كان ولا يزال يعيش في أرضه، ضمن نطاق جمهوريته العربية المتحدة جنبا إلى جنب مع أخوانه العرب. وهو شعب له لغته و عاداته و تقاليده الخاصة به. وهو غيور على هذه اللغة و التقاليد، وحافظ على مقوماته من غناء وشعر وموسيقى. وهي لا تقل روعة وغنى عن أية لغة من اللغات المجاورة، وقد ظل متمسكا بها، و محتفظاً بنسماتها على مر التاريخ وتوالي العصور فاعتنق الأكراد الإسلام، منذ الأيام الأولى، ولم تضع اللغة الكردية والعادات والتقاليد الكردية لدى الشعب الكردي.

والآن نحن في هذا التاريخ من حياة البشرية التي تسعى حثيثة من أجل تعاون وتفاهم الشعوب، لتحقيق تقدم ورخاء أفضل للإنسان، وتوطيد السلام والارتقاء بالشعوب والكرامة الإنسانية إلى مستواها اللائق. وكما قلت إن اللغة الكردية والعادات

والتقاليد الكردية لدى الشعب الكردي وتمسكه بها، لم تكن في يوم من الأيـام مصـدراً من مصادر التفرقـة والخـلاف بـين الشـعبين العربـي والكـردي وإن جميـع المـؤتمرات والهيئات الاجتماعية الدولية منها والشعبية جعلت من الخصائص والمقومات الشعبية حقوقاً مشروعةً وضرورية لكل شعب، فمن واجب الدول والشعوب المتقدمـة تأييـدها والمحافظة عليهـا بـل تطويرهـا وتنميتهـا لـدى الشـعوب المتخلفـة وعلـى رأس هـذه الجمعيات و المؤتمرات (الجمعية العامة للأمم المتحدة) التي جعلت في ميثاقها لحقـوق الإنسان، مسألة قتل ثقافة شعب، جرماً يعاقب عليه (مؤتمر باندونغ و مؤتمر تضامن شعوب آسيا وأفريقيا في القاهرة وكذلك في اغلب المؤتمرات والاجتماعات التي حضرها ويحضرها سيادة الـرئيس جمـال عبـد الناصـر يؤكـد بإصـرار علـى حقـوق الشـعوب وضرورة احترام مطالبيها ورغباتها). و لي أن اذكر، بأنه عقب زيارة سـيادة الـرئيس للسـودان الشـقيق، جـاء في البيـان المشـترك الـذي صـدر عـن الرئيسـين العربـي والسوداني مـا يلـي بـالحرف الواحـد: (اسـتنكار كـل سياسـة ترمـي لإذلال الشـعوب واستعبادها وتنقص من كرامة الإنسان بسبب اللون و الجنس والعقيدة).

قلت أن الواقع الملموس والموضعي للشـعب الكـردي في الإقلـيم الشـمالي ومـع وجود تلك المواثيق والبيانات التي صدرت عن هيئات و مؤتمرات دولية وشعبية تلـك التي تكون الجمهورية العربية عضواً وطرفاً فيها، تجعـل مـن حقـوق الشـعب الكـردي اللغوية وما إليها حقوقاً مشروعة وطبيعية للأكراد والمستوطنين في الجمهورية العربيـة المتحدة لا يمكـن التغاضـي عنهـا أو إنكارهـا. إن هـذا الواقـع مـن جانـب والتغاضـي وإنكار السلطات هذه الحقوق على الشـعب الكـردي بـل واتبـاع سياسـة طمـس هـذه الحقوق وسياسة صهر و دمج و تعريب الأكراد بشتى الوسائل من جانـب آخـر تتولـد (سياسة العنصرية) بالضرورة وبشـكل حتمـي. وهـذه السياسـة أسـاس كـل عوامـل التفرقة والتجزئة التي سأورد بعض وقائعها كما ذكـرت مـن قبـل. قبـل أن أورد تلـك الوقائع والحوادث، لا يسعني إلا أن أعرض لسيادتكم ثلاث نقاط أرجو أن تحوز على حسن تفهمكم واعتباركم لها وهي:

١- في هـذا الظـرف التـاريخي الراقـي، لم تعـد حقـوق الشـعوب مجـرد قـرارات وبيانات تسطر على صفحات وتحفـظ بـين المصـنفات والأضـابير، بـل تلـك الحقـوق دخلت إلى مستواها التطبيقي العملي في بلدان عديدة من تلك الـتي تضـم قوميـات أو

شعوباً متعددة منها: "يوغسلافيا، سويسرا، بلجيكا، كندا، العراق، أفغانستان، الهند، اندونيسيا، الاتحاد السوفيتي، الصين". وقد جنت هذه البلدان، من وراء تطبيق المساواة التامة بين مختلف شعوبها وجعلها جميعاً تتمتع بكل حقوقها المشروعة فوائد كثيرة من النواحي السياسية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية و الثقافية، وبذلك حلت مشاكلها الداخلية دون اضطرابات وقلاقل.

٢- إن التمييز العنصري، لا يؤدي إلى تفسخ الاخوة العربية الكردية فحسب وإنما يؤدي إلى بذر بذور الشك وعدم الثقة بين الشعبين العربي والكردي، اللذين عاشا في إخاء ووئام طوال عصور الظلام، في عصر (الحكمين العثماني و الفرنسي اللعينين) لا تضر بالأكراد فحسب، لكنها لا تنفع الشعب العربي في شيء. بل أكثر من ذلك، فهي تضر بالمصلحة الوطنية بخلق مشاكل داخلية لا مبرر لها ولا طائل منها. وبالعكس من ذلك فان ترك هذه السياسة وإعطاء الأكراد حقوقهم التي ظلوا محرومين منها طوال العصور السابقة تبتر تلك المشاكل من الأساس، وتربط الاخوة العربية الكردية، بروابط مادية لا تنفصم وتوطد أركان التضامن العربي الكردي، وتظهر البلاد بمظهر تعاوني ديمقراطي صحيح.

٣- ارتقاء اللغة الكردية إلى المجال الدولي، وكونها لغة حية تردد كلماتها وآدابها وموسيقاها في عدة إذاعات عالمية وفي مقدمتها إذاعة القاهرة والعراق وايران والاتحاد السوفيتي. وإنها تدرس في مدارس وجامعات عدة بلدان: (اوبسالا، السويد، يريفان، موسكو، لندن، باريس، العراق لينيغراد، ايران). مع حرمان الشعب الكردي في الإقليم الشمالي من استعمالها والتعبير عن مشاعره وعواطفه عن طريقها، مع استعمال وسائل العنف والإرهاب مع القائمين بها، تدفع الشعب الكردي بحكم الضرورة إلى إشباع تلك الرغبة الطبيعية بشتى الطرق والوسائل الممكنة أما الحوادث والوقائع التي طلبتموها فهي:

- أ -

١-عدم الاعتراف رسمياً بوجود كيان للشعب الكردي في الإقليم الشمالي، و بفتح المجال أمام بعض الموظفين وخصوصاً التنفيذيين بتوجيه عبارات " شعوبي، شيوعي، كردي وخائن، يهودي" إلى المواطنين الأكراد، دون رادع. ووصلت هذه

العبارات حتى إلى الصحف. فنرجو مراجعة الصحف التي كانت تصل إلى الإقليم الشمالي من لبنان عام ١٩٥٨ وكذلك الصحف المصرية والسورية.

٢- في ديريك، مساعد شرطة ملقب بأبي حسن، يستوقف الشخص في سوق البلدة ويسأله أنت كردي أم مسيحي؟ فإذا قال كردي، يُضرب ويُهان على مرأى من الناس وربما يُوقف في السجن. أرجو الاستزادة من الاظناء (أحمد ملا إبراهيم، عبد القادر گوري).

٣- في المناطق الكردية تقوم السلطات بتغيير الأسماء الكردية إلى أسماء عربية. مع العلم بأنه هنا في الإقليم الشمالي، قرى ومدن، ذات أسماء غير عربية أمثال " دوما، زبداني، بلودان، حرستا ".

٤- في دائرة النفوس ومخافر الشرطة، يُمنع ويُهان كل مَنْ يتقدم بأوراق تسجيل أولاده بأسماء كردية.

٥- أوقف مدير ناحية الدرباسية، المواطن عبد الحميد سليمان لأنه لبس العمامة الكردية على رأسه، وهدده إن لبسها، ويمكنكم أن تسألوا أهل الدرباسية عن الأعمال الاستفزازية والتعسفية، التي قام بها مدير الناحية في الدرباسية عام ١٩٥٨.

٦- كتبت جريدة الطليعة، التي تصدر في الإقليم الشمالي في عنوانها الرئيسي " الاخوة العربية الكردية " فكان من نتيجة ذلك إغلاق الجريدة وجلب صاحبها إلى الدوائر المسؤولة لسؤاله عن سبب الكتابة تلك، و ربما كانت هناك أسباب أخرى لإغلاق الجريدة، ولكن هذا العنوان كان السبب الرئيسي في ذلك.

- ب -

عدمٍ السماح بممارسة واستعمال الحقوق اللغوية والثقافية للأكراد، وينتج عن ذلك كثيراً من حوادث مصادرة الكتب والأشخاص:

١ـ عام /١٩٥٥/ صودرت كتب (الألف باء) بالكردية من عثمان صبري، وبالرغم من محاولاته العديدة ومراجعة رئيس الحكومة آنذاك، لم ترد إليه الكتب.

٢- صودرت دواوين الشاعر (جكرخون) الشعرية عدة مرات وكذلك لم تجدِ طلباته في استردادها بالإضافة إلى كتاب أمثال كردية كان قد طبعها و لكنها صودرت وهي في المطبعة عام /١٩٥٨/.

٣- في عام /١٩٥٧/ أوقف رجال الشعبة الثانية المواطن الكردي (عبد المجيد حاجو) لحيازته كتاباً كردياً باللغة العربية يبحث عن الأكراد، و سُيّق إلى ديرالزور ثم إلى دمشق حيث أفرج عنه هنالك.

٤- أوقف رجال المباحث المواطن (حمزة نويران) مع عدة أشخاص آخرين من قرى الدرباسية لأن أخبارية أعطيت عنه بوجود كتب كردية لديه.

٥- في عام /١٩٥٨/ تقدم بعض المواطنين الأكراد من القامشلي وهم: الدكتور أحمد نافذ، سليمان حاجو، إبراهيم متيني، يوسف ميرزا، عبدالحميد شيخموس، و جميل إبراهيم. بطلب رخصة لناد ثقافي، بالرغم من انهم اختاروا لهذا النادي اسم " نادي جمال عبد الناصر الثقافي" فقد رفض طلبهم، ورغم وجود ناد للسريان وناديين للأرمن في القامشلي عدا مدارسهم الإعدادية والثانوية.

٦- في عام /١٩٥٧/ دخل رقيب من الشعبة الثانية، إلى مقهى عام في القامشلي وأخذ يحطم الأسطوانات الكردية رغم من وجود اسطوانات أخرى تركية وأرمنية.

- ج -

إن النظرة العنصرية، تؤدي إلى حرمان الأكراد من حقوقهم كمواطنيين، ومن الدلائل على ذلك:

١ـ في جنوب الجزيرة، بين الحسكة وتل كوجك (تل كوجر) أراضي أملاك الدولة تعرف باسم (الرد) وقد قامت السلطات بتوزيعها على أفراد العشائر، ولكنها خصت بها العرب دون الأكراد، لم يستفد منها كردي واحد مع العلم، إن الذين وزعت عليهم تلك الأراضي لا يقومون باستغلالها بأنفسهم، بل يؤجرونها إلى ذوي المصالح، وهم أنفسهم من الرحل المتنقلين.

٢- قضايا العقارات المختلف عليها، بين العرب والأكراد ينحاز الموظفون إلى جانب العرب، ويساندوهم بتقارير وكشوفات تهم بامتلاك هذه العقارات، وهذا الشيء يلاحظ بين عشيرتي (جبور وشمر) العربيتين وعشيرتي (ميرسينا والآباسا) الكرديتين.

٣- غالبية الأكراد غير مسجلين بدوائر النفوس، وبالتالي فهم محرومون من حقوق الانتخابات وخدمة العلم والتعليم، وكما يمكن أن يحرموا من قانون الإصلاح الزراعي ولذلك فهم يتقدمون بمعاملات تسجيل المكتومين، وبالرغم من أن هذه

المعاملات التي يتقدم بها أفراد العشائر العربية تنهى بكل سرعة دون عرقلة، فيكفـي أن يثبت الفرد منهم انه من الفخذ الفلاني أو البطن الفلاني.

٤– طردوا واسقطوا في الامتحانات معظم الطـلاب الأكـراد في المـدارس الثانويـة رغم انهم كانوا بارزين ومتفوقين. أرجـو السـؤال والاستفسـار عـن هـذه الناحيـة مـن أفراد مدينة القامشلي، منهم سامي ملا أحمد نامي.

٥ـ انتخب من منطقـة الجزيـرة /١٤/ نائبـاً مـنهم كرديـان ومسـيحي وجاجـاني و/١٠/ عرب، بالرغم من أن الأكثرية الساحقة من السكان هم من الأكراد، ومما يلاحظ انه يوجد/٣/ نواب من عشيرة شمر وعـدد أفرادهـا لا يتجـاوز الأربعـة آلاف، وسـكان مدنية القامشلي وحدها من الأكراد لا يقلون عن /٣٠/ ألف نسمة. ألا يحق للأكراد أن يتساءلوا عن هذه النسبة غير العادلة.

ـ د –

إن سياسة التمييز العنصري، تدفع بعض المسؤولين إلى القيـام بأعمـال تجـاه الأكراد، تمسهم في كرامتهم الوطنية و تشعرهم بأنهم أناس غير موثـوقين، ومـن هـذه الأعمال:

١ــ في السـنتين الأخيرتـين، سُـرِّح الكـثير مـن المـوظفين الأكـراد وخاصـة المعلمين، وأما الـذين لم يسـرحوا فقـد أبعـدوا عـن منـاطقهم دون مـبرر سـوى أنهـم أكراداً. بالرغم مـن إن المـوظفين العـرب الموجـودين في المنـاطق الكرديـة مضـطرين للاستعانة بالترجمة للتفاهم مع المواطنيين هذا بالإضافة إلى أنه في المـدة الأخـيرة لم يسجل في المعاهد، مثل دور المعلمين والبعثات الحكومية ومدارس الشرطة والكليـة إلا عدد قليل يعد على أصابع اليد الواحدة من الأكراد المتقدمين، دون مبررات قانونية.

٢– في ربيــع/١٩٥٨/ أقـدم شـخص كـردي علـى خطـف زوجـة عبـد الـرحمن المدلول، أحد شـيوخ قبيلـة شمـر، فقـام أفـراد هـذه العشـيرة المسـلحين بالبواريـد والبنادق الرشاشة بالتفتيش في كل مكان ولكنهم قاموا بأعمال انتقاميـة وتعسـفية في القرى الكردية فقط، فكانوا يعتقلون مخاتير ووجهاء هذه القرى ويربطونهم ويـدلونهم في الآبار ويعفرونهم بعد ذلك في التراب، بالإضافة إلى الضرب والأهانات الأخـرى إلى أن عثر قائد فيصل شرطة ديريك على الرجل والمرأة وأوقفهما في سجن ديريك. لما سمع أفراد عشيرة شمر بذلك، ذهبت جموعهم المسلحة إلى هنالك وهددوا القائم قام وقائـد

الفصيل وغيره من الموظفين بتسليمهم الشخصين، أو أنهم سيأخذونهما بالقوة. فسلمتهم السلطات الشخصين، بعد الاتفاق مع سلطات القامشلي والحسكة، فأخذوهما إلى قراهما، حيث قتلوهما مع ابنة صغيرة من زوجها يتجاوز عمرها (٦) سنوات.

وقد قام بعض الأكراد من القرى وغيرها بإرسال برقيات احتجاج إلى السلطات المسؤولة في الحسكة ودمشق. ولم يكن الاحتجاج بسبب الرجل الكردي المعتقل، لأن الأكراد هناك لا يزالون بوضع عشائري، يقدرون قضايا الشرف والعرف. وانما كان الاحتجاج ضد تصرفات رجال الشمر التعسفية الانتقامية ضد الأبرياء من سكان تلك القرى، بالرغم من أن هذا الاحتجاج كان تلقائياً لدى الناس، كان ذلك ضمن ما يمكن أن يأتي به مواطن ذو ضمير إلى السلطات. لكن السلطات اعتبرت مرسلي البرقيات مشاغبين، فقدمتهم إلى محكمة أمن الدولة في القامشلي بتهمة إثارة النعرات العنصرية. أما بالنسبة للشمر فقد أوقفت السلطات أربعة عشر شخصاً، توقيفاً إدارياً ثم أفرجت عنهم دون محاكمة، وكأنه لم يحدث شيء.

٣- منذ سنة ونصف تقريباً، جمعت أسلحة المقاومة الشعبية من الأكراد فقط، بينما بقيت لدى العرب.

وقبل أن انهي هذه الحوادث، أريد أن أسرد لسيادتكم حادثتين لهما علاقة مباشرة بي شخصياً:

(١)- في أيلول/١٩٥٨/ أردت الذهاب إلى الخارج للقيام ببعض الأمور المتعلقة بعملي الخاص، كوكيل عام لبعض معامل الأدوية. ذهبت إلى المطار مستوفٍ كل المعاملات والشروط اللازمة للسفر إلى الخارج، ويلزم فقط أن يؤشر ضابط الأمن، ولما قابلته اخبرني إنه ممنوع عليّ مغادرة البلاد بأي شكل كان. وسحب مني جواز السفر. وحدث هذا بينما أنا في انتظار الصعود إلى الطائرة، وإذا باسمي في المكبرة لمراجعة ضابط الأمن وحدث ما رويته. ولما راجعت وزارة الداخلية وقدمت طلباً للاستفسار عن هذه المعاملة، أحالوني إلى المكتب الخاص وهناك أحالوني إلى وزارة الداخلية وهكذا عدة مرات وفي الأخير طلبت مقابلة وزير الداخلية فلم أوفق، فعلمت انه لا طائل من المراجعة فتركتها. ولا أزال احتفظ بوصل الطلب الذي قدمته بين كتبي.

(٢)– في نيسان /١٩٦٠/ أردت الذهاب إلى حمامات الحمة للاستشفاء من مرض الروماتيزم وبعد أن أخذ الموظف المختص الطلب في المحطة، طلب مراجعته بعد الظهر، ولما راجعته قال لي: أنهم لم يوافقوا على طلبي. وسلمني ظرفاً فيه هويتي، ومكتوب عليه عدم الموافقة بالخط الأحمر. وهذا الطلب أخذه رجال المباحث، أثناء تفتيش منزلي، والموظف الذي أعلمني في المحطة أذكر اسمه (محمد المدني).

وانني أتساءل، كمواطن له الحق وحرية التنقل، هل هنالك مانع يحرمني ويمنعني من ذلك الحق سوى صفتي الكردية. إذاً كانت تحرم الفرد من حقوق المواطنين العادية، كل هذه الأمور وعشرات غيرها تجري علانية وفي الخفاء تسيء إلى الأخوة العربية الكردية والتضامن بين الشعبين وتكون سبباً لعقد نفسية وشعور غريب عند الأكراد. آمل بوضع حد لها والنظر إلى الأكراد نظرة أكثر واقعية تتناسب مع واقعهم الموضعي كمواطنين عاديين في الجمهورية العربية المتحدة، ولكنهم أكــراد...وأن تحصل القناعة لدى السلطات المسؤولة بأن طريق الحل إلى مطاليب الشعب الكردي في الإقليم الشمالي، ليس الاعتقالات والسجون والتعذيب. وأن القضية تتطلب نظرة جديدة لهذا الواقع الذي نحن فيه، وحلاً جذرياً لرغبات ومطاليب الأكراد العادية والطبيعية.. وبأن محكمتكم الموقرة سوف تلعب دورها الإيجابي في هذه القضية، بمساندتها للمظلومين والمحرومين، وكشفها الحقائق المرة، والدوافـــع الشريفة المخلصة لأعمالنا موضوع الاتهام.

– نورالدين زازا –

الوثيقة رقم (٢٠)

فيما يلي رسالة باللغة العربية من والي ديار بكر (محمد خيرالدين باشا) النقشبندي، المعادي لبدرخان، مستلة من الأرشيف العثماني، وجهها المذكور الى عدد من مشايخ الكرد النقشبنديين، يدعوهم فيها الى تقديم النصح لبدرخان لاستمالته بالترغيب أو الترهيب. فيما يلي نص الرسالة كما وردت في كتاب صفحات من تاريخ الكرد وكردستان الحديث في الوثائق العثمانية ١٨٤٠– ١٩١٥، والذي قام الاستاذان (د. خليل علي مراد و د. عبدالفتاح علي البوتاني) بتأليفه وترجمته واعداده، وطبعته ونشرته الأكاديمية الكردية في اربيل عام ٢٠١٥.

تنويه: جراء طول الرسالة والتكرار الممل اكتفيت ببعض الفقرات فقط (علي جزيري).

[هو الحي القيوم

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

نسلم ونريد السلام التام الى مشايخ الطريقة النقشبندية، أعني بهم: الشيخ صالح أفندي، والشيخ ابراهيم أفندي، والشيخ حامد أفندي، والشيخ عزرائيل أفندي. أحسن الله أحوالكم، فاعلموا أيها الاخوان، نحن من مريدي الطريقة الخالدية، ومن مخلصي خاندان النقشبندية، وقدمتُ خدمة كثيرة لمشايخ تلك الطريقة، وأخذت اجازة من حضرة شيخنا ومولانا الشيخ الحاج محمد عارف أفندي النقشبندي الخالدي الطوسي – قدس سره – وفي يدي مكتوب الاجازة، وأرسلتُ صورة اليكم لتنظروا اليها، وتعلموا أني من اخوانكم في الطريقة، ولهذا السبب نريد منكم النصيحة الى بدرخان، لأننا أخوان في الطريقة.

عن تميم الداري، أن الرسول (ص) قال: (الدين النصيحة) ثلاثاً. وعن جرير (ر)، قال: بايعت رسول الله (ص) على اقامة الصلاة، وايتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم.

وفي شريعتنا وطريقتنا الاتباع لأمر سلطان المسلمين وامام الموحدين، خليفة رب العالمين، واجب ولازم على كل مسلم. قال عز وجل في كتابه المبين: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم).

حدثنا أبو هريرة (ر)، قال: قال رسول الله (ص): من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعصي الأمير فقد عصاني.[........] وبدرخان بك، نسمع أنه داخل في الطريقة النقشبندية، والواجب عليه وعلى كل أحد أن لا يخالف سلطاننا، سلطان المسلمين[.......] وهو السلطان عبدالمجيد خان، خلد الله ملكه، وأيد سلطنته، الى انتهاء الزمان، وأيده الله بألوية النصر آمين.

[.......] ان جاء (المقصود بدرخان/ مني) الى طرفنا في هذا الأوان، نعطي له الأمان، ونرسله الى السلطان، وينعم السلطان عليه، ويعطيه الأمان والرتب العالية[......] وان لم يأتِ معكم الى طرفنا، فلا تتبعوه ولاتكونوا معه[......].

من صاحب محمد خيرالدين والي ايلة ديار بكر

الوثيقة رقم (٢١)

فيما يلي نص برقية تتضمن تعليمات طلعت باشا، وزير الشؤون الداخلية في تركيا بخصوص معاملة الأرمن، موقعة بتاريخ ١٥ أيلول ١٩١٥.

لقد جرى الابلاغ عن أن الحكومة قررت بناء على أمر الجمعية (المقصود هنا الاتحاد والترقي – المترجم: غسان نعسان) بابادة الأرمن الذين يعيشون في تركيا بالكامل. كل من يخالف هذه الأوامر، وهذا القرار، يفقد حقه في الجنسية. يجب انهاء وجودهم من دون مراعاة النساء والأطفال والمرضى، مهما بلغت وسائل ابادتهم أقصى المأساوية، يجب عدم الالتفات الى مشاعر الضمير.

الوثيقة رقم (٢٢)

إلى والي حلب

عليك بابادة كل أرمني تجده في منطقتك من الولايات الشرقية بطريقة سرية.

وزير الداخلية

طلعت باشا

٢٣ تشرين الثاني ١٩١٥

الوثيقة رقم (٢٣)

الجمهورية العربية السورية

وزارة التعليم العالي

٦٨٧– م

بناءً على قرار السيد رئيس مجلس الوزراء، الرقم ١٩٧٦– ١، تاريخ ١٩٩١/٦/١٩، يمنع قبول الطلاب الغير متمتعين بالجنسية السورية (أجانب الحسكة) في جميع المعاهد والمدارس، بالاضافة الى ضرورة اتخاذ الحذر والحيطة في مسألة التربية والمفاهيم الأصيلة والحفاظ عليها.

رجاء تعميم هذا القرار الى كافة المدارس والمعاهد.

وزير التعليم العالي رئيس لجنة المعاهد

د. كمال شرف

الوثيقة رقم (٢٤)

الجمهورية العربية السورية

وزارة الداخلية

محافظة حلب

قرار رقم ٧٦٨

ان محافظ حلب، وبناء على أحكام المرسوم ١٤٥٧/ تاريخ ١٩٤٥/١٢٣/٣٠ وعلى كتاب فرع الأمن السياسي بحلب رقم/١٩٩٩/ تاريخ ٢٠٠٠/٤/١٠.

يقرر مايلي:

١ـ تغلق محلات بيع أشرطة الكاسيت والفيديو والحفلات الخاصة بالأكراد والمتواجدة في محلتي الأشرفية والشيخ مقصود: صوت الشعلة لصاحبه أبو دليل – صوت ديلان لصاحبه رفعت ديلان – صوت عفرين لصاحبه ريزان حبش – صوت هاوار لصاحبه جلال شيخو – صوت أكراد لصاحبه عمر كراد – صوت جوان لصاحبه حسين بكري – صوت كاوا لصاحبه خليل كاوا – فيديو زوزان لصاحبه عبدو سرقوط – تسجيلات خناف لصاحبه وليد مراد – فيديو دلبرين لصاحبه نضال دلبرين/ بستان الباشا.

٢ـ يبلغ هذا القرار وينفذ خلال/٢٤/ ساعة من تاريخ وصوله الى القسم المختص.

صورة الى رئاسة فرع الأمن السياسي/ قيادة شرطة المحافظة، يرجى الاطلاع والاحالة لمن يلزم للتنفيذ وموافاتنا بنسخة عن ضبط الاغلاق.

رئاسة مجلس مدينة حلب

٢٠٠٠/٤/٢٠

محافظ حلب

التوقيع

الوثيقة رقم (٢٥)

الجمهورية العربية السورية

محافظة الحسكة

الرقم/٩٣٢/ ح

الى رؤساء مجالس المدن والبلدات والبلديات

بالاشارة الى بلاغ السيد وزير الادارة المحلية رقم ٦١/١٣/ د تاريخ ١٩٨٧/٤/٢٦ المعمم بحاشيتنا رقم ٩٢١٣ تاريخ ١٩٨٧/٥/١٢ المتعلق بتعريب أسماء الوحدات الادارية والقرى والمحلات العامة والخاصة تنفيذاً لأحكام المادة الرابعة من قانون التنظيمات الادارية رقم ٤٩٦ لعام ١٩٥٧ والمادة الأولى من المرسوم التشريعي رقم ١٣٩ تاريخ ١٩٥٢/١١/٦ والمتضمن مايلي: لا يجوز تسمية المحال العامة والخاصة كالنوادي والفنادق والملاهي والمقاهي والحانات والمطاعم وما شابه ذلك بأسماء أو بكلمات أعجمية (غير عربية).

لذا نرغب اليكم ايلاء هذا الموضوع مزيداً من الاهتمام، وتكليف المسؤولين عن الترخيص لديكم بتخاذ الاجراءات التالية:

١ـ حصر المحلات المسماة بلغات أجنبية.

٢ـ انذار أصحاب هذه المحلات باطلاق أسماء عربية على محلاتهم خلال اسبوع من تاريخ التبليغ تحت طائلة الاغلاق وتنظيم الضبوط بحق المخالفين واحالتهم الى القضاء تنفيذاً لأحكام المادة الثالثة من المرسوم التشريعي رقم ١٣٩ تاريخ ١٩٥٢/٤/٦

٣ـ الامتناع عن منح تراخيص جديدة للمحلات العامة والخاصة ما لم يكن اسمه عربياً.

للاطلاع والتقيد واعلامنا النتيجة الحسكة في ١٩٩٤/٢/٢٤

محافظ الحسكة/ صبحي حرب

الوثيقة رقم (٢٦)

الجمهورية العربية السورية

قوى الأمن الداخلي

الرقم/١٠٢٨/ التاريخ: ١٤٢١/١٠/٥هـ الموافق: ٢٠٠٠/١٢/٣١

تعميم

نؤكد على تنفيذ مضمون التعليمات المعممة اليكم بشأن التحقيق بفقدان البطاقات الشخصية وبخاصة التعميم رقم ٣٣٧ ص تاريخ ١٩٩٨/٧/١٥ والأمر الدائم رقم ١٢٢٤ ص تاريخ ١٩٨٢/١٠/٢.

ويطلب اليكم اجراء مايلي:

١ـ المباشرة بالتحقيق فور ادعاء المواطن بفقدان بطاقته الشخصية مع توخي أن يتم ذلك بأسرع وقت، تمكيناً للمواطن من الحصول على بطاقة شخصية بديلة بالسرعة الممكنة.

٢ـ وجوب التعمق بالتحقيق واجراء الدراسة الكاملة على كل من يدعي فقدان بطاقته الشخصية، وذلك بالتنسيق مع فروع الأمن السياسي في المحافظة المعنية.

٣ـ على أقسام ومخافر مراكز الانطلاق في المحافظات كافة تدقيق كل بطاقة شخصية والتثبت من صحتها ومطابقتها على حاملها من المسافرين.

٤– على أمانات السجل المدني ألا تقوم بتسليم أي بطاقة صنعت بدلاً من ضائع لمواطن من أصل كردي الا بعد الحصول على موافقة كل من: شعبة الأمن السياسي وشعبة المخابرات العسكرية وادارة المخابرات، وتحت طائلة المسؤولية.

– أمناء السجل المدني ورؤساء الوحدات من الضباط مسؤولون عن دقة التنفيذ.

د. محمد حربة

وزير الداخلية

التوقيع

المرسل اليهم:

- معاون وزير الداخلية للشؤون المدنية.
- المديرية العامة للأحوال المدنية، مديريات الشؤون المدنية.
- أمانات السجل المدني.
- تعميم حتى المخافر.
- يحفظ في المجموعة الدائمة مصنف رقم/٣/ جزء/آ/ فرع (أحوال مدنية).
- المصنف.

الوثيقة رقم (٢٧)

نص الاتفاقية الفرنسية – التركية/ أنقرة ٢٠ اكتوبر ١٩٢١، الموقعة من قبل الفرنسي (هنري فرانكلين بويون) والتركي يوسف كمال، بخصوص رسم الحدود الشمالية للكيان السوري المستحدث. الترجمة من التركية الى الكردية: أحمد فريد، ومن الكردية الى العربية د. عبدالباسط سيدا. ملاحظة: تمت الموافقة على هذه الاتفاقية في ١٨ شباط ١٩٢٦، وصادق عليها من الجانب الفرنسي السفير الفرنسي في استانبول، ومن الجانب التركي توفيق رشدي آراس.

لقد تم التوصل بين حكومة المجلس التركي الكبير والجمهورية الفرنسية الى ضرورة عقد اتفاقية فيما بينهما. وقد كلف لانجاز هذا الأمر عن المجلس التركي الكبير وزير الخارجية والنائب السيد يوسف كمال بك، وعن الجمهورية الفرنسية الوزير السابق السيد هنري فرانكلين بويون. وقد منحا كامل الصلاحيات من أجل انجاز هذا الموضوع.

بعد المداولة ومقاربة الوثائق، اتفق السيدان المشار اليهما على المواد التالية:

١ـ يؤكد الطرفان المشاركان في هذه الاتفاقية على أنه بمجرد التوقيع عليها سيتم ابلاغ الجيش والمؤسسات المدنية والمواطنين بالمستجدات المترتبة عليها.

٢– بناء على هذه الاتفاقية، سيقوم الطرفان باطلاق سراح أسرى الحرب والمساجين من المواطنين الفرنسيين أو الأتراك من قبل الجانبين. ويتكفل الطرف الذي يقوم باطلاق سراح السجناء الموجودين لديه بنفقات ايصالهم الى أقرب نقطة من موقع تسليمهم الى الطرف الآخر. ويشمل مفعول هذا الاتفاق جميع السجناء، سواء من المحكومين أو الموقوفين، وبغض النظر عن مدة محكوميتهم أو مدة بقائهم في السجن.

٣ـ ستقوم القوات الفرنسية بعد التوقيع على هذه الاتفاقية، بناء على المادة الثامنة منها، بالانسحاب الى جنوب الخط الحديدي (خط قطار الشرق السريع)، في حين أن القوات التركية تنتقل الى شمال الخط المذكور، وذلك في غضون شهرين على الأكثر.

٤ـ ستتكون هيئة مشتركة تتألف من الطرفين، يناط بها مسؤولية اتخاذ القرارات بخصوص تحديد المناطق التي سيتم الانسحاب منها، وتلك التي سيتم الاستقرار فيها، وذلك ضمن المدة الزمنية المشار اليها في المادة الثالثة.

٥ـ بعد استقرار كل طرف في الأراضي المخصصة له، سيعلن الطرفان العفو العام.

٦– تلتزم حكومة المجلس التركي الكبير بمراعاة حقوق الأقليات الوارة في الميثاق الوطني التركي، وذلك استناداً على ما أتفق عليه من مبادىء تتناول حقوق الأقليات بين دول الحلفاء وخصومهم.

٧– فيما يتعلق بمنطقة اسكندرونة، سيكون هناك نظام اداري خاص، وسيكون في استطاعة المواطنين من أصول تركية، الاستفادة من جميع الطاقات بغية تطوير ثقافتهم، وستحظى اللغة التركية هناك بمكانة رسمية.

٨– سيتم رسم الخط الوارد ذكره في المادة الثالثة كما يلي: يبدأ خط الحدود من خليج اسكندرونة، من نقطة تقع جنوب باياس، ويتجه نحو ميدان اكبس (محطة القطار تبقى في الجانب السوري، بالاضافة الى المنطقة المحيطة بها). وبموجب هذا الخط ستبقى نقطة دسو (هكذا ورد الاسم في النص التركي) في الجانب السوري، في حين أن كاربنا وكلس ستكونان في الجانب التركي (في منطقة ميدان اكبس). ثم يتجه هذا الخط الحدودي نحو الجنوب الغربي، حيث يلتقي مع محطة الراعي. بعد ذلك يسير مع سكة القطار (قطار الشرق السريع)، وستبقى هذه السكة من محطة الراعي الى نصيبين في الجانب التركي. ومن هناك، يسير الخط المذكور على الطريق التي توصل بين نصيبين وجزيرة ابن عمر، ليصل الى دجلة. ستكون نصيبين، الى جانب جزيرة ابن عمر، بالاضافة الى الطريق التي تربط بينهما، في الجانب التركي. ولكن من حق الدولتين (الموقعتين) الاستفادة من الطريق المشار اليها على قدم المساواة، أما بالنسبة للمحطات الرئيسية والفرعية الواقعة مابين محطة الراعي ونصيبين، فهي تعتبر جزءاً من سكة الحديد نفسها، لذلك ستكون لتركيا.

بعد التوقيع على هذه الاتفاقية، ستتشكل لجنة تضم ممثلين من الطرفين، مهمتها رسم خط الحدود بين الدولتين، وذلك في غضون شهر.

٩– سيعد قبر سليمان شاه، جد السلطان عثمان (مؤسس الامبراطورية العثمانية)، المعروف بالمقبرة التركية في قلعة جعبر أرضاً تركية، بالاضافة الى المنطقة المحيطة به، وسيكون من حق تركيا وضع الحراس ورفع العلم التركي هناك.

١٠- توافق حكومة المجلس التركي الكبير على التنازل عن جميع امتيازاتها بخصوص استثمار خط القطار من بوزاني الى نصيبين، بالاضافة الى جميع المؤسسات التابعة لها، الموجودة في ولاية أضنة، الى جانب سائر امتيازات العمليات التجارية وما يتصل منها بالاستخدام، على أن تسلمها الى شركة فرنسية توافق عليها الحكومة الفرنسية.

من حق الدولة التركية أن تنقل قواتها العسكرية على خط قطار الشرق السريع في المنطقة الواقعة مابين ميدان اكبس ومحطة الراعي (الخط يقع ضمن الأراضي السورية)، وفي المقابل من حق سوريا أن تقوم بنقل قواتها العسكرية من محطة الراعي الى نصيبين على الخط الحديدي نفسه، وذلك على القسم الواقع ضمن الأراضي التركية. ولن تكون هناك من حيث المبدأ أية فوارق بين الطرفين من جهة تعرفة استخدام هذه السكة والخطوط المتفرعة عنها (أي لن يكون هناك امتياز لطرف على حساب الطرف الآخر)، واذا ما اقتضت الضرورة بتجاوز هذا المبدأ، فسيكون حينئذ من حق الدولتين العمل بما تتفقان عليه فيما بينهما، والتحقق منه، ولكن في حال عدم الاتفاق على المبدأ المشار اليه، سيتصرف كل طرف وفق مايراه مناسباً.

١١- بعد التصديق على هذه الاتفاقية، ستقوم تركيا وسوريا بتشكيل لجنة مشتركة مهمتها وضع اتفاقية جمركية بين الطرفين، على أن يتم تحديد شروط ومدة تطبيق الاتفاقية المقترحة من قبل اللجنة المعنية. ولكن الى حين التوصل الى اتفاقية من هذا القبيل، سيتمتع الطرفان بحرية الحركة المعفاة من الرسوم الجمركية.

١٢- سيتم تقسيم مياه نهر قويق بين مدينة حلب والمناطق الواقعة الى الشمال منها في الجانب التركي، وذلك بما يراعي حقوق الطرفين ويرضيهما.

١٣- سيكون من حق السكان المستقرين وأنصاف المستقرين الاستفادة من المراعي وتملكها على جانبي خط الحدود المشار اليه في المادة الثامنة. ومن أجل تأمين مستلزمات الانتفاع المذكور، سيكون بامكان هؤلاء الانتقال عبر طرفي الحدود بحرية مع قطعان حيواناتهم وأدواتهم وآلاتهم ومنتوجاتهم، بالاضافة الى مايحتاجون اليه من بذار، من دون أن يدفعوا أية رسوم جمركية، أو تلك التي تخص المراعي. وسيدفع هؤلاء الضرائب لتلك الدولة التي يتبعونها (بصورة رسمية) من دون دفعها للدولة الأخرى (التي يتنقلون اليها بصورة مؤقتة).

الوثيقة رقم (٢٨)

فيما يلي نص الوثيقة المشتركة التي قدمها الوفدان الأرمني والكردي الى مؤتمر الصلح في باريس بتاريخ ٢٠ كانون الأول ١٩١٩.

السيد رئيس مؤتمر الصلح الكبير

نحن الموقعين أدناه ممثلي الأرمن والأكراد الى مؤتمر الصلح الكبير، نحن القوميتين، كل منهما حسب مصالحها القومية الخاصة بها، وبنفس الأهداف الخاصة لكل منها، وهي المطالبة بالاستقلال التام، ولنا الشرف في ذلك، وبالأخص خلاص الأرمن من الظلم القاسي الذي يلاقونه من السلطة العثمانية، وعموماً الشعب الأرمني والكردي، الذي لاقى الأمرين من التشكيلة المسماة (الاتحاد والترقي)، الذين يحكمون تحت هذا الاسم. لذا، فان القوميتين تريدان الخلاص من مظالمهم.

ولهذا، وبكلمة واحدة، اتفقنا حسب مبدأ حقوق الشعوب على المطالبة بدولة أرمنية مستقلة، وبدولة كردية مستقلة. لذا، نريد منكم أن تأخذوا بعين الاعتبار، وبمساعدة الدول الكبرى، وتقرروا تقديم المعونات اللازمة لتطورنا اقتصادياً وصناعياً، وألا تبخلوا علينا.

أما بالنسبة للخلافات الموجودة بيننا، وهي الخلافات على الأرض، حيث تم تبيان الخلافات، مكتوبة بالمذكرات التي قدمت لكم من قبل ممثلينا بالتفصيل، لذا نترك حل خلافاتنا لحين اصدار قرار من مؤتمر الصلح، ويكون القرار الصادر من هذا المؤتمر، هو قرار محق وعادل بالنسبة لنا جميعاً. ونحن، الدولتان، نعاهد معاً أن نحافظ ونحترم حقوق الأقليات القومية الموجودة ضمن حدودنا.

التوقيع: بوغوص نوبار باشا رئيس وفد الشعب الأرمني – د. أوهانجانيان نائب رئيس وزراء جمهورية أرمينيا – شريف باشا رئيس الوفد الكردي.

الوثيقة رقم (٢٩)

نص مذكرة قدمت الى حكومة الانتداب صيف عام ١٩٣٢، فيمايلي بعض ماورد فيها:

نطالب بادارة خاصة مناسبة لمنطقتنا، نحن الموقعين أدناه من رؤساء عشائر، تجار، مخاتير قرى وسكان الجزيرة، يشرفنا أن نلفت انتباهكم الى القضايا التالية:

١ـ نحن سكان الجزيرة من مسلمين ومسيحيين، ننتمي الى العرق الآري والى الأمة الكردية، التي وبالنظر الى تاريخها، أصلها، عاداتها وتقاليدها تشكل خصوصية كاملة وقائمة بحد ذاتها، وتشكل مقارنة بالسوريين في الداخل مجموعة متميزة.

٢– لما كان سكان جبل الدروز والاسكندرونة وكذلك العلويين ينعمون بعطف حكومة الانتداب، فاننا نسمح لأنفسنا أن نلتمس من فرنسا أم الحضارة والنور، أن تعترف لنا بادارة خاصة مناسبة لمنطقتنا وذلك حتى تُضمَن حقوق سكان الجزيرة البؤساء وتُصان.

٣–........

٤–........

ملاحظة: على المذكرة تواقيع رؤساء عشائر وتجار ومخاتير ورجال دين كرد، ناهيك عن رؤساء روحيين لشتى طوائف المسيحيين في الجزيرة. والمذكرة من منشورات (ايفا سافلسبيرغ وسيامند حاجو) – مجلة دراسات كردية – العدد ١ – برلين ٢٠٠١ ـ ترجمة: فرهاد أحمه.

الوثيقة رقم (٣٠)

فيما يلي بنود اتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠، المؤلفة من ١٥ مادة، هي باختصار:

١ـ الاعتراف باللغة الكردية والعربية كلغتين رسميتين للمنطقة التي غالبية سكانها من الكرد، وتدرس اللغة الكردية كلغة ثانية في بقية أجزاء العراق.

٢– مشاركة الكرد في الحكومة، دون تمييز، في الوظائف العامة والوزارية والعسكرية القيادية.

٣ـ تعويض الكرد عما فاتهم في مجال التعليم والثقافة والارتقاء باللغة الكردية.

٤ـ مدراء الشرطة والقائم قاميين ومدراء الأمن، سيكونون من الكرد في المناطق الكردية.

٥ـ يحق للكرد اقامة منظماتهم واتحاداتهم الطلابية والشبابية والنسوية ونقابات المعلمين.

٦– اعادة جميع المدنيين والعسكريين المبعدين الكرد الى وظائفهم دون شروط.

٧– وزارة شؤون الشمال تتولى مسؤولية التخطيط الاقتصادي للارتقاء بمرافق الحياة.

٨ – عودة اللاجئين العرب والكرد الى مناطقهم، بمن فيهم العرب الذين أسكنوا في كردستان.

٩– شمول كردستان بقانون الاصلاح الزراعي.

١٠– تعديل الدستور المؤقت، بحيث:

أ – يعترف الدستور بالحقوق القومية للشعب الكردي وحقوق الأقليات الأخرى ضمن الوحدة العراقية، والتأكيد على أن الشعب العراقي يتكون من الشعبين العربي والكردي.

ب – اللغتان الكردية والعربية لغتان رسميتان في المناطق الكردية.

١١– تسلم المحطة الاذاعية والأسلحة الثقيلة الى الحكومة.

١٢– يكون أحد نواب رئيس الجمهورية كردياً.

١٣– اجراء تغييرات في القوانين حول الحدود الادارية بشكل ينسجم وروح الاتفاقية.

١٤– استغلال ثروات المنطقة الطبيعية يكون من قبل الحكومة المركزية.

١٥– الكرد سيشتركون في السلطة التشريعية بمستوى يتناسب وعددهم.

ثانياً ـ رقم الملحق وموضوعه:

١ـ يتناول واقع كردستان تركيا ويرسم آفاق المستقبل

٢ـ مقطع من قصيدة للشاعر أحمد نامي يعبر فيها عن اشتياقه للشيخ ابراهيم حقي

٣ـ محمد علي عابد أول رئيس للجمهورية السورية

٤ـ مقارنة بين كردستان ومجموعتين من الدول من حيث المساحة

٥ـ قصيدة للشاعر أحمد مطر تناول فيها ظاهرة الانشقاقات في الأحزاب

٦ـ جدول بالعشائر الكردية وقراها في ريف حلب

٧ـ القرى الكردية في ريف حلب

٨ـ القرى الكردية في مناطق الباب والسفيرة واعزاز وجبل سمعان

٩ـ أهم العشائر الكردية وقراها في ريف الشهباء بمحافظة حلب

١٠ـ أهم القرى الكردية في منطقة الباب

١١ـ قصيدة (كردستان) لمحمود درويش

١٢ـ عدد الكرد في الاتحاد السوفييتي السابق

١٣ـ حكاية عن كيفية انتقال السلطة من الميديين إلى الفرس

الملحق رقم (١)

ـ وقفتْ عضوة البرلمان المنتخبة والشجاعة (ليلى زانا)، وباشرت قَسَمَها بلغتها الأم (الكردية)... فهدمتْ بمبادرتها تلك حائط الفصل والخوف، أي عائق اللغة ومدّت جسراً للسلم، والآن حانَ الوقت لنَعْبَر معاً ذلك الجسر. إنه في الحقيقة جسر من الحرب إلى السلام، من الخوف إلى الديمقراطية.

ـ في عام ١٩٩٣، أراد الرئيس التركي (تورغوت أوزال) وضع حجر الأساس للسلم والتعاون الكردي ـ التركي، إلا أن هذا المشروع توقف بعد رحيله.

ــ منذ وصول كولومبس إلى القارة الأمريكية عام ١٤٩٢، أبيْدَت الشعوب الأصلية (الهنود الحمر)، وهم أصحاب الأرض الحقيقيين" قُتِلَ الملايين ظلماً أو بدأت الأمراض تفتك بهم، ناهيك عن الفقر والتمييز العنصري الذي مُورس ضدهم، واحتلال أراضيهم ومصادرتها وتبخيس ثقافتهم وهويتهم الخاصة... والآن، فالشعب الأمريكي يشعر بالندم والمسؤولية تجاه ما جرى... ويجب في هذا الصدد الاشارة إلى إبادة الأرمن عام ١٩١٥، ومن ثم الشعب الكردي، الذي حُورب على أكثر من صعيد... فالجمهوريتان الأمريكية والتركية، يجب أن تَنْدَما من هذا التاريخ المليء بالارهاب والقتل الجماعي.

ــ بالنسبة لتركيا والشرق الأوسط، فطريق السلام والديمقراطية يمر عبر كردستان يمكن حل المسألة الكردية من خلال الاقرار للشعب الكردي بتقرير مصيره القومي، وكخطوة أولى، يجب ضمان الحقوق الثقافية واللغوية الكاملة لشعب كردستان تركيا، وأن يضمن له جو سياسي يستطيع فيه تطوير مؤسساته الكردية على أساس المساواة... ويجب حل المسألة الكردية بوسائل سلمية وديمقراطية.

ـ وكما جاء في حديث عضوة البرلمان المعروفة عالمياً، ليلى زانا، الفائزة بجائزة زاخاروف من البرلمان الأوربي: (إذا كانت تركيا عاجزة عن حل المشكلة الكردية بقوة السلاح، فانها لا تستطيع أن تقمع المطالبة بالهوية ولا التطلعات الديمقراطية لخمسة عشر مليون من الكرد بالحرب والتدمير).

ـ حين مُورست حملة التطهير العرقي للأتراك في بلغاريا، وحينما قام النظام بتغيير أسماء القرى وسلب الترك هويتهم الخاصة... الأتراك في بلغاريا قاوموا،

وتركيا ساندت نضالهم... بالنسبة للكرد في تركيا، كما بالنسبة لترك بلغاريا، القمع يُولد المقاومة بينما الحرية تهيء للسلم والديمقراطية.

ـ كان أطفال الهنود الحمر يُعَذَّبون في أمريكا إن تكلموا بلغتهم الأم، وكانوا يُكرهون على نبذ ثقافتهم وتبني ثقافة أخرى... تلك كانت ابادة ثقافية بحق، بدأت امريكا بالتخلي عنها، وسَنّتْ تشريعات لتشجيع استعمال اللغة الهندية وتداولها. والأطفال في كردستان يعانون نفس المصير... إن الاعتراف بهذه الحقيقة سيحرر الكرد والترك والفرس والعرب على حدٍ سواء.

ـ حالة الطوارىء تعيق الديمقراطية.

الملحق رقم (٢)

نظم الشاعر (أحمد نامي) الكرتـويني (نسـبة إلى قريـة كرتـويني الواقعـة قـرب نصيبين) قصيدة مطولة بلغته الكردية مؤلفة مـن ٢٩ بيتـاً، عبّـر فيهـا عـن اشـتياقه لفضيلة الشيخ ابراهيم حقي الزيبـاري، الـذي كـان في العـراق لحظتهـا، وقـد اقتطفنـا منها هذه الأبيات.

ألا أي شاهي زيباري	زِ حُبّا ته دِكِمْ زاري
وكي فرهاد ومجنون أز	دِ كِمْ فيغان زِ نَجاري
بقربان بم بحيران بم	شف و روزى دوسد جاري
ته أز سوتم وكى فندى	ألا أي شاهي زيباري
برين دارى ته مه شاهم	لدردى من تو درماني
أسيرى قيد و زنجيرا	ته يه أوناميى جاني
نهان بويه لمن حقي	خليل الله دِ شرقى دا
شرابا كهنيا عشقى	ته دانا مى دِ جامى دا
بوان رمز وحظ وخالان	هلا كم أز دِ فى رى دا
حبيبي بى خطا كشتم	ألا أي شاهي زيباري

الملحق رقم (٣)

محمد علي العابد أول رئيس لـ (جمهورية سوريا)

محمد علـي بـن أحمـد عـزت العابـد (١٨٦٧– ١٩٣٩)، ولـد في دمشـق لأبـوين كرديين، درس الابتدائية في دمشق والاعدادية في بيروت، وأكمل تعليمه في اسـتانبول، ودرس الحقوق في باريس، ثـم عـاد إلى الأسـتانة وعـين مستشـاراً قضـائياً، ثـم درس أصـول الفقـه الاسـلامي والرومـاني والتشـريع الأوربـي، فضـلاً عـن اتقانـه: العربيـة والتركية والفارسية والفرنسية والانكليزية.

عمل في وزارة الخارجية العثمانية، وعين سفيراً للدولـة العثمانيـة في واشـنطن عام ١٩٠٥، ووزيراً مفوضاً لهـا في واشـنطن عـام ١٩٠٨. عـاد إلى دمشـق عـام ١٩٢٠، فعين وزيـراً للماليـة في حكومـة الملـك فيصـل، ثـم في حكومـة الاتحـاد السـوري عـام ١٩٢٢م. أنتخب كأول رئيس للجمهورية السورية من ١١حزيران ١٩٣٢، إلى ٢١ كـانون الأول ١٩٣٦، في العهد الفرنسي، ثم غادر دمشق إلى باريس في نفس العام وتوفي هناك في ٢٢ تشرين الأول ١٩٣٩، ونقل جثمانه إلى دمشق ودفن فيها.

الملحق رقم (٤)

تقل مساحة كل مجموعة من المجموعتين التاليتين عن مساحة كردستان، وهذه بحد ذاتها احدى المفارقات، فضلاً عن أن الكرد هم أكبر أمة حتى اليوم دون كيان سياسي معترف بها في الأمم المتحدة.

المجموعة الأولى

الدولة	المساحة
سوريا	١٨٥ ألف كم٢
الأردن	٩٢.٣
فلسطين+اسرائيل	٢٧
لبنان	١٠.٤
تونس	١٦٤
الكويت	١٧.٨
المجموع	٤٩٦.٥

المجموعة الثانية

الدولة	المساحة
بريطانيا	٢٤٤ ألف كم٢
الأردن	٩٢.٣
فلسطين+اسرائيل	٢٧
هولندا	٤١.٥
بلجيكا	٣٠.٥
الكويت	١٧.٨
الدانمارك	٤٢
المجموع	٤٩٦

الملحق رقم (٥)

أكثرُ الأشياءِ في بَلدتنِا
الأحزابُ
والفقرُ
وحالاتُ الطلاقِ
عندَنا عَشْرَةُ أحزابٍ وَ نِصفُ الحِزبِ
في كُلِّ زُقاقٍ!
كلُّها يَسعى إلى نَبْذِ الشِّقاق !
كلُّها يَنْشَقُّ في الساعةِ شقّينِ
ويَنْشَقُّ على الشَّقينِ شقّانِ
.. ويَنْشقّانِ عن شَقَّيْهما
من أجل تحقيق الوفاق !
جمرات تتهاوى شرَراً
والبَرْدُ باقِ
ثُمَّ لا يبقى لها
إلا رَمَادُ الاحتراقِ !
* * *
لم يَعُدْ عندي رفيقٌ
رُغْمَ أنَّ البلدَةَ اكتظَّتْ
بآلاف الرفاقِ
ولذا
شَكَّلتُ من نفسيَ حِزباً
ثُمَّ أنّي
مثلَ كلّ الناسِ
أعلَنْتُ عن الحزبِ انشقاقي !

الملحق رقم (٦)

فيما يلي جدول للعشائر الكردية ومناطق تمركزها في شمال وشمال شرقي حلب، وعدد قراها وعدد سكانها، وهو عبارة عن مخطوط بحوزة (د. علي صالح ميراني) ومنشور في موقع للانترنيت من قبل (أحمد حسو) أيضا.

اسم العشيرة	مناطق التمركز وعدد القرى	تقدير السكان
رَشْوان	قرى منطقة الراعي (أكثر من ٢٥ قرية)	٤٥ ألف نسمة
كيتِكان	قرى شمالي الباب (يتوزعون في ٢٠ قرية)	٦٠ ألف نسمة
ديدان	قرى سد الشهباء (يتوزعون على ٣٦ قرية)	٧٠ ألف نسمة
دنا	٢٠ قرية	٨٠ ألف نسمة
دمِلّي/ زازا	٧ قرى	٣٠ ألف نسمة
بيزاكان	١٠ قرى	٢٥ ألف نسمة
قره كيج	٨ قرى	٧٠ ألف نسمة
بيش آلتي	٥ قرى	١٥ ألف نسمة
بَرازا	١١٧ قرية	غير معروف

ملاحظة: كل ادعاء عن وجود فاصل بين منطقتي كوبانى في الشرق وعفرين في الغرب، ماهو سوى تُرّهات يسوقها النظام ويروجها بعض العرب والكرد دون اعمال للفكر، وهي محض افتراء في ضوء الانتشار الديموغرافي للكرد، رغم سياسة التعريب التي طالت المناطق الكردية وأدت إلى ترقيقها ومازالت مستمرة.

الملحق رقم (٧)

أهم القرى ذات الأغلبية الكردية في مناطق الشهباء من ريف حلب الشمالي (بين الفرات شرقاً وجبل سمعان/ ليلون غرباً) أو (بين جرابلس شرقاً واعزاز غرباً)، وتضم مناطق (منبج والباب واعزاز وسفيرة)، وأكبرها الباب. تمتد مناطق الشهباء شمالي وشمال شرقي وشرق حلب، على طول الحدود السورية – التركية، بطول ١٠٠ كم وعرض ٦٠ كم، ومساحة تزيد عن ٥ آلاف كم٢، أي قرابة نصف مساحة لبنان، وعدد سكانها يقدر بنحو/٨٠٠/ ألف. ن، يتوزع هذا العدد على/٥٥٠/ قرية. كانت هذه المناطق ذات أكثرية كردية الى أمد قريب، لكن سياسات التعريب فعلت فعلها في العهدين العثماني والعربي بعد الجلاء، خصوصاً في عهد الوحدة والانفصال والبعث.

ملاحظة: هذا دليل آخر على بطلان الادعاءات التي تزعم وجود فاصل بين منطقة كوباني شرقاً ومنطقة عفرين غرباً، أو بين منطقة الجزيرة شرقاً ومنطقة كوباني غرباً بالمثل.

فيما يلي اسماء القرى ذات الأكثرية الكردية، كما أوردها الدكتور علي صالح ميراني (المخطوطة في حوزته)، كما نشرتها أيضاً مجلة دراسات كردية، مركز روزآفا للدراسات الاستراتيجية.

تل عران، تل حاصل، كبار، تل علم، تل بلاط، أحرص، أم حوش، الوحشية، الحسينية، الوردية، القراج الشرقي، القراج الغربي، الجرامل، شيخ كيف، قول سروج، حساشك، سموقة، المزرعة، فافين، معرين، بازي باغ، تل مضيق، تويس، كسار، البير، جب العاصي، الغوز، المشرفة، مزرعة الغوز، تل جيجان، تلال العنب، النيربية، تل رحال، عبلة، شدود، الباروزة، تل تانا، ثلاثين، جبل النايف، طعانة، الغيلانية، مريغل، مزرعة دوبق، سوران، كمالية، شعبانية، قره مزرعة، مزرعة تلالين، كدريش، بغيدين، حور كلس، تل بطال، شيخ جراح، نعمان، كعيب، مزرعة قبتان، تل جراح، سور، سمباط، الحدث الراعي، عولان، باب ليمون، قره كوبري، هضبات، شاوا، قب الشيح، قباسين، مغادين، صبوران، مازجي، شبيران، بوغاز، تل عيشة، مزرعة الرحمان، سوسيان، مزرعة جكه، بير، بالي، مدنه، أم العبد، هيلان، الايوبية، جوبه، كندرلي، برشايا، عرب بوران، زمكا، مصيبين، دورة، تل

طحين، مزرعة برشايا، ترحين، خربة جراح، برج، بليخة، مزرعة حمو، دريخة، مزرعة، شاوا السبعة، سَنَكْلي، زلفه، باب حجر، قوجه علي، قراج هوبك، جورتان، قنطرة شرقي، تل بليخ، دير قاق، وقف، دوير الهواء، مازجي، حسامي، خربة جه، سلمى، كفرغان، دوديان، شوارين. وهناك قرى ذات جذور كردية: باشكو، سيفات، حندرات، بحورته، حليصة، هيلانه.

أهم القرى الكردية في منطقة الباب: سرسمات، شدود، نعمان، قبة الشيخ، الحدث، بليخه، البرج، شبيران، شيخ جراح، تل بطال شرقي، تل جرحى، تلتان، اق برهان، عبلة، كفر صغير، احرس، دير الهوا، قعر كلبين، ترحينه، كيندرليه، زميكه، قباسين، تل تينة، تويسه، كسار، شيخ علوان، ايوبية، برشايه، عرب ويران، قولا، تل جيحان، خراب حسه.

القرى الكردية في منطقة منبج: بالي (اسم تركي عُرب الى عسلية)، مدنه، باك ويران.

من المفيد قوله هنا، ان القرى الكردية تعرضت الى سياسة التعريب، على سبيل المثال أقام (عبود الامام – من قره كيجان) سبع قرى، منها قرية الامام التي عربها النظام الى الحرمل.. وهذا غيض من فيض.

الملحق رقم (٨)

أورد الاستاذ (علي مسلم) في كتاب تحت عنوان:«الكرد في منطقة الباب وأطرافها/ دراسة اقتصادية اجتماعية سياسية»، من تأليفه واعداده، أسماء القرى الكردية في مناطق الشهباء (الباب، السفيرة، اعزاز، جبل سمعان/ ليلون)، على النحو التالي:

١ـ قرى منطقة السفيرة (جنوب شرقي مدينة حلب): تل عرن، تل حاصل، تل علم، تل بلاط، كبار.

٢– قرى شمالي المجموعة (أ) نحو الشمال أو نحو الحدود التركية (أي نحو ناحية جوبان بك/ الراعي) لمسافة ٥٠ كم، مروراً بمدينة الباب التي فيها عائلات كردية عريقة (الشرقات، الفرحات...الخ).

٣– مجموعة القرى المنتشرة بين بلدة الراعي غرباً ومدينة جرابلس شرقاً بمحاذاة الحدود التركية: قرى شاوا (٥ قرى تشترك بنفس التسمية)، باب الحجر، السنكلي، الزلف، الأيوبية، المازجي. وبعض العوائل الكردية في: تل عيشة، جبين، هضبات، عياشة، الخليلية. وعوائل كردية متناثرة في أغلب القرى التركمانية على الحدود باتجاه جرابلس.

٤– مجموعة قرى الغرب باتجاه مدينة اعزاز مروراً ببلدة دوديان: الكمالية، وين يابان، مريغل، الجكة، بغيدين، قرة مزرعة، قره كوبري (مشتركة)، عوائل في قرية حوار كلس، بريغيته، راعل، دلحة، حرجلة، كفرغان.

٥– قرى جنوبي بلدة دوديان: شورين، بحورته، كدريش، قره كوز، تل شعير.

٦– قرى شمالي وشمال غربي الباب أي قرى قباسن (باشكوي قبل التعريب): الكندرلية، عرب ويران، برشاية، بوغاز، ترحين، مصيبين، زمكة، وبعض الانتدادات العشائرية في قرية قديران، عولان (مشتركة)... يلي ذلك غرباً تجمع قرى سوسنباط: قبة الشيح، تل جرجي، شبيران، دولب، مزرعة نعسو الحولي، الحليمية، الحدث... وتجمع قرى شدود: نعمان، دوير الهوى، ثلثاثة، ثلاثينة، جب العاصي، عبلة، الباروزة (قرى مشتركة بين الكرد والعرب)...الى الشمال هناك تجمع قرى كلبين: تل بطال، شرقي، بليخة، الكعيبة، مزرعة الواش، البرج، الشيخ جراح، مزرعة كيسما.

٧– قرى جنوب شرقي مدينة اعزاز: تجمع قرى تـل جيجـان: طعانـة، الجوبـة، تليل العنب، المشرفة، اكسار، طـويس، الـبيرة... والى الشـرق تجمـع قـرى النيربيـة: النيربية، مزرعة شعالة، الشيخ كيف، تل رحال (مشتركة)، الحسامية (مشتركة).

٨– قرى ضـفاف نهـر قويـق قـرب سـد الشـهباء أو تجمـع قـرى قـول سـروج (شمالي حلب بنحو ٢٠ كم): قول سروج، السموقة، مزرعة السموقة الشمالية، مزرعـة السموقة الغربية، تل موسى، الجبيلة، قراج شرقي، قراج غربـي، حسـاجك، الورديـة، قرامل (مشتركة)، الغوز، أم حوش (مشتركة)، تل مالد، احرص.

٩– قـرى جبـل سمعـان: كفـر صـغير، المسـلمية (مشـتركة)، فـاقين، بـابنس (مشتركة)، تل شعير، حليصة (مشتركة)... ونحـو الغـرب قـرى ذات أصـول كرديـة: سيفات، باشكوي، حيان، حنـدرات (الحـي الشـمالي)... وشـرقي كفـر صـغير هنـاك عائلات كردية في قريتي: الشيخ نجار، الشيخ زيات.

ملاحظـة: بالنتيجـة، المنطقـة الـتي تناولهـا الاسـتاذ علـي مسـلم، أي منـاطق الشهباء (الباب، السفيرة، اعـزاز، جبـل سمعـان/ ليلـون)، تشـكل جسـراً يـربط بـين منطقتي كوباني شرقاً وعفرين (كرد داغ) غرباً، وبالتـالي لا أسـاس للـزعم والترهـات المروجة عن وجود ثلاث مناطق كردية منفصلة في سوريا (الجزيرة، كوبانى، عفرين)، رغم وطأة سياسات التعريب المنتهجة.

الملحق رقم (٩)

أهم عشائر ريف الشهباء (ريف حلب الشمالي)، أي المنطقة التي تربط بين منطقتي كوباني شرقاً وعفرين غرباً (الكرد في منطقة الباب وأطرافها – تأليف واعداد: علي مسلم – ط١عام ٢٠١٥ – ص٩٣– ٩٦.

عشيرة ديدان (احدى عشائر قبيلة برازا) في الشهباء، في منطقتي الباب واعزاز، تشغل القرى التالية:

سوسنباط، قبة الشيخ، شدود، ترحين، دوير الهوا، عبلة، جب العاص، ثلاثينة، ثلثانة، طويس، اكسار، البيرة، الغوز، سموقة، مزرعة سموقة، قول سروج، تل المضيق، المشرفة، القراج الشرقي، القراج الغربي، طعانة، تل جيجان، تليل العنب، الباروزة (مشتركة)، أم حوش (مشتركة)، تل مالد (مشتركة)، جوبة، حساجك، الوردية، قرامل، بحورته، الزلف (مشتركة)، باب الحجر (مشتركة).. للعشيرة امتداد في قرى جبل الزاوية خصوصاً في بلدة سلقين، وكذلك في بعض قرى عفرين، وللعشيرة قريتين في منطقة كوباني. ومن أبرز أبطالها الشيخ يوسف السعدون، أحد أهم مساعدي هنانو.

قرى عشيرة ديدان: البرج، الشيخ جراح، خربة دولب، مزرعة كيسما، الشيخ علوان، الشيخ كيف، تل رحال، عبلة.

قرى عشيرة كيتكان: نعمان، قعر كلبين، تل جرجي، شبيران، مزرعة بليج، الحليمية، تل شعير، قره كوز، مازجي، هضبات، قرى شاوا (٥ قرى بنفس الاسم)، صابويران، البل.

قرى عشيرة رشوانا: الراعي، كدريش، شويرين، دوديان، الكمالية، قره مزرعة، بغيدين، صوران (ناحية تابعة لمنطقة اعزاز)، تل عرن (في منطقة السفيرة)، وفي مركز مدينة اعزاز، وتنتشر في بعض قرى عفرين وسلقين وجسر الشغور وحارم.

قرى ومزارع عشيرة دنان: النيربية، مزرعة دويبق، مزرعة الشيخ حقو، تل حاصل، تل عرن، كبار، تل بلاط، تل علم، قرامل (مشترك)، كفر صغير، أحرص.

قرى ومزارع عشيرة البيجان (بيش آلتي): تل بطال شرقي، مصيبين، ترحين، زمكة، سوسنباط، مزرعة نعسو الحولي.

قرى قره كيج: قباسين، برشاية، كندرلية، عرب ويران، بوغاز.

قرى بيسك: علـى شـكل عـائلات في قـرى دوديـان، قباسـين، وأطـراف مدينـة حلب.

قرى علادينا: مريغل، ين يابان، وتتفرق في بعض القرى الأخرى.

قرى قره بكي: الكعيبة، مزرعة قبتان الشرقية، مزرعـة علـى طريـق الغنـدورة، والبعض في قبة الشيخ.

الملحق رقم (١٠)

أولاً – القرى الكردية منطقة الباب: نواحيها (تـادف، العريمـة، الراعـي، ناحيـة المركز)

ناحية مركز الباب: البرج، كيسما (مزرعة البرج)، الشيخ جراح، دولـب (مزرعـة الشيخ جـراح)، تـل جرجـي، تـرحين، سوسـنباط، الحليميـة، مزرعـة نعسـو الحـولي (النعسانية)، نعمان، بليج (مزرعة نعمان)، شدود، الشيخ علوان، النيربية، تل رحال، شيخ كيف، مزرعة الشعالة، قبة الشيح، قباسين، برشاية، الكينرليـة، بوغـاز، زمكـة، ترحين، مصيبين، عرب ويران، شبيران، مزرعة شبيران، مازجي، الأيوبية.

ناحية الراعي: هضبات، عياشة، الزلف، شـاوا (٥ قـرى تشـترك بهـذا الاسـم)، سنكلي، داش قابي، صاب ويران... هناك قرى مشتركة مثل: الخليليـة، تـل عيشـة، طويران، جبين، الزيارة، صندي، الوقف..الخ. أمـا مركـز الناحيـة (الراعـي) فيشـكل الكرد نحو ٦٠٪ من سكانها، والباقي من العرب والتركمان.

ثانياً – القـرى الكرديـة منطقـة اعـزاز: نواحيهـا (تـل رفعـت، اخترين، مـارع، صوران، نبل، ناحية المركز).

ناحية اخترين: تل بطال شرقي، بليخة، قعر كلـبين، مزرعـة الـواش، الكعيبـة، كدريش، شويرين، بحورتـه، تـل شـعير، قـره كـوز، الكماليـة، الجكـة، دوديـان، ين يابان، مريغل، قره كوبري، قـره مزرعـة.. وقـرى مشـتركة أيضـاً، ثلثانـة، ثلاثينـة، عبلـة، دويـر الهـوى، تـل جيجـان، طعانـة، تليـل العنـب، الجوبـة، لآسـو، البـاروزة (مشتركة).. وبعض القرى المشتركة الأخرى.

ناحية مارع: أم حوش، حساجك، الوردية، قرامل، قراج شـرقي، قـراج غربـي، قول سروج، المضيق، الجبيلة.. وقرى مشتركة.

ناحية سـوران: البـل، بريغيتـه، كفرغـان، حـوار كلـس، قـزل... أغلبهـا قـرى مشتركة.

ناحية تل رفعت: احرص... وقرى مشتركة.

ناحية نبل: الزق الكبير، فافرتين، برجك... وقرى عديدة أخرى.

ملاحظة: منقولة من كتاب (الكرد في منطقة البـاب وأطرافهـا)، تـأليف واعـداد: علي مسلم.

الملحق رقم (١١)

كتبت قصيدة محمود درويش (كردستان) هذه بعد الانتهاكات بحق شعبنا الكردي في العراق، على يد نظام البعث في فترة الستينات، لكنها لم تُدرج في دواوينه، إلا أنها ظلت حية في قلوب الناس المنصفين. وقد غنت الفنانة المتألقة نسرين حميدان بعض مقاطعها، بعد أن لحنها الملحن الكردي هلكوت زاهر والفيديو كليب من اخراج اللبناني البارع فادي حداد، مزود بلوحات من كردستان:

معكم
معكم قلوب الناس
لو طارت قذائف في الجبال
معكم عيون الناس
فوق الشوك تمشي.. لا تبالي
معكم عبيد الأرض
(من خصر المحيط الى الشمال)
معكم أنا.. معكم أبي.. أمي
وزيتونتي وعطر البرتقال
معكم عواطفنا.. قصائدنا
جنوداً في القتال
يا حارسين الشمس.. من أصفاد أشباه الرجال
ما مزقتنا الريح.. ان نضال أمتكم نضالي
ان خر منكم فارس.. شدت على عنقي حبالي
* * *
تحيا العروبة
هل خر مهرك يا صلاح الدين ؟
هل هوت البيارق (ربما البيادق) ؟
هل صارد سيفك.. صار مارق ؟
من أرض كردستان
حيث الرعب يسهر والحرائق

الموت للعمال ان قالوا:
لنا ثمن العذاب
الموت للزراع ان قالوا:
لنا ثمن التراب
الموت للأطفال ان قالوا:
لنا حق التنفس والحياة
ونقول بعد الآن.. فلتحيا العروبة ! !
مرّي اذاً في أرض كردستان
مرّي يا عروبة !
هذا حصاد الصيف
هل تبصرين ؟
لن تبصري
ان كنت من ثقب المدافع تنظرين
يا أمّتي..
هجمت على تاريخك الانسان
أشباه الرجال
باسم العروبة
يستباح الدم
تحكمك النصال
بعثت لمزبلة الزمان
أخس ما عرف الزمان من الزمان
باسم العروبة
يطعن التاريخ من شطآن دجلة والفرات
يا أمّتي..
لم يكفنا انّا براء
منهم وطابورهم
لم يكفنا انا براء

القى لمزبلة الزمان
أخس ما عرف الزمان
القى عدوك يا عروبة
نقول بعد الآن: فلتحيا العروبة
لا على الأموات
فلتحيا العروبة
* * *
يا شهرزاد
الليل يفترس الصباح
وحقول كردستان.. موسمها جراح
الحبُّ ممنوع.. وهمس الجار
لا شيء مباح
الا دم الأكراد.. نفط الموقدين
مصباح عارهم.. بموت الآخرين
يا شهرزاد
صدأت أساطير البطولة في لياليك الملاح
والذكريات البيض والمهر الذي ركب الرماح
والحبّ والأمجاد والسيف الذي ملّ الكفاح
عار على بغداد
ما فيها مباح !
الا دم الأكراد
في المذياع.. في صحف الصباح
حبر الجرائد في مدينتنا دم
انّا أبدناهم ! وتعتز الذئاب.. وتبسم
انّا زرعنا أرض كردستان..
لحداً عارياً من فوق لحد
انّا زرعناهم جماجم لا تعد..

يا شهرزاد..
الليل يفترس الصباح
والحبّ ممنوع..
ومخدعك الوثير
ملقى على أقدام سيّدك الحقير
ودماء كردستان تغرق سافحيها
واللاعب المأفون بالنيران
سوف يموت فيها
يا شهرزاد !
ما مات الا الموقدون
مصباح ليلهم.. بزيت الآخرين
فالى اللقاء مع العصور القادمة
في قصة العصر الذي
صنعه كف الثائرين

وقد غنت الفنانة السورية، الحلبية (ميادة حناوي) قصيدة (كردستان يا موطن الأبطال)، للشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري، التي يقول في نهايتها: شعبٌ دعائمه الجماجمُ والدمُ تتحطم الدنيا ولا يتحطمُ. والأغنية من ألحان الكردي هلكوت زاهر، وسجلت الأغنية في لبنان وتم تصويرها على شريط فيديو كليب مدته ٧.٥ د، وهي مرفقة بمواقع سياحية وأثرية هامة في اقليم كردستان العراق.

الملحق رقم (١٢)

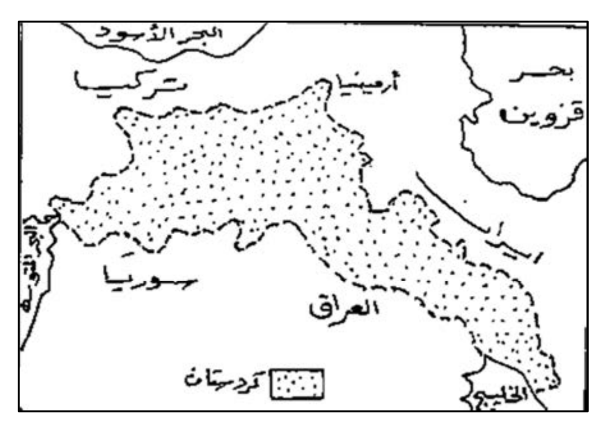
عـدد الكـرد في الاتحـاد السـوفييتي السـابق وفـق تقـديرات عـام ١٩٧٠ لـ (جيرارد جاليانـد) في كتابه: (شعب بدون وطن/ الكرد وكردستان):

الجمهورية السوفيتية السابقة		عدد الكرد فيها
ارمينيا	....	٣٧.٤٨٦
أذربيجان	....	١٥٠,٠٠٠
جورجيا	....	٢٠,٦٩٠
كازاخستان	....	١٢,٣١٣
قرغيزيا	....	٧,٩٧٤
تركمانستان	....	٥٠,٠٠٠
المجموع	....	٢٧٨,٤٦٣

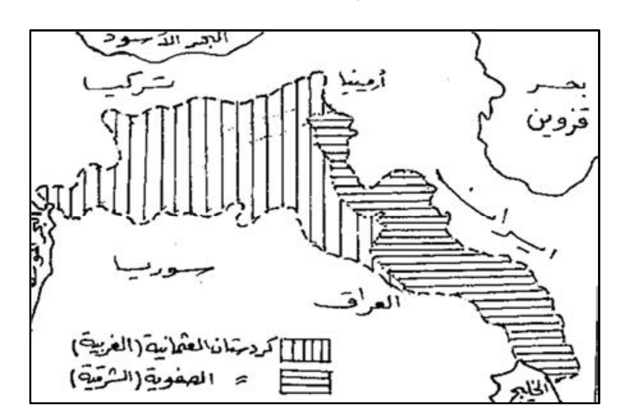
الملحق رقم (١٣)

الحكاية: بعد أن تولى أستياك عرش ميديا، رأى حلماً فسره الكهنة بأن إبنته (مانْدانا) ستتزوج وستلد طفلاً يزيحه عن المُلك، لذا كان يتوجس شراً من كبار زعماء الميد المنافسين له، وقرر ألا يزوجها من نبيل ميدي بل زوجها من قَمْبيز الفارسي كي لا تتحقق نبوءة الكهنة، وولد ابنها كورش، فقرر الخلاص منه بأي ثمن، وأفضى بالسر إلى الزعيم الميدي هارباك وطلب منه قتل الطفل، لكن هارباك سلم الطفل إلى راعيه وطلب منه أن يأخذه إلى الجبال لتفترسه السباع، لكن وسامة الطفل سحرت زوجة الراعي، وكان لها طفل عليل ما لبث أن مات، فألحت على زوجها أن يأخذ طفلها الميت كي تنهشه السباع، ثم يأخذ بقاياه إلى هارباك على أنها أشلاء كورش، وأخذ الزوج باقتراح زوجته، وأوهم لهارباك بأن كورش قد مات، ونقل هارباك الخبر بدوره إلى الملك أستياك، فزال الهم الذي كان يؤرقه. كبر كورش وشرع يمثل دور الملك بين الصبية من أمثاله ويعاقب أبناء الوجهاء إذا خرجوا عن طاعته، فشكا وجهاء القوم الأمر إلى أستياك، الذي أمر باحضار الطفل إلى القصر الملكي، رأى الملك بفراسته ملامح كورش في الصبي، فهدد الراعي الذي سرعان ما باح بالسر، فاستشار الملك كبار الكهنة، فرأوا أن الخطر زال، لأن الصبي قام بتمثيل دور الملك بين أقرانه، وبالتالي لاداعي إلى قتله، لكن الملك قرر الانتقام من هارباك، ولجأ سراً إلى قتل إبن هارباك ثم قدمه وليمة له عقاباً له، وبعد أن شبع هارباك أعلمه الملك بالحقيقة، فقرر هارباك بدوره الانتقام من الملك. وبعد سنين تولى كورش الحكم بعد والده في اقليم فارس، وتواصل معه هارباك قائد الجيش سراً، وشجعه على الثورة ضد جده، فأعلن كورش الثورة وتحالف مع الملك البابلي ومع ديكران الأول إبن يَرْوانت حاكم أرمينيا الذي كان ينتظر هكذا فرصة، وكان هارباك قد ضم إلى حلقة التآمر الكهان الموغ، وأخبر كورش بأن المناخ بات مناسباً للخلاص من أستياك، فهزم على إثر ذلك الجيش الميدي، ولما تم أسر أستياك جاءه هارباك مقرِّعاً ومندّداً، فحَدَجَ فيه أستياك وقال له: إنك أغبى الرجال، فقد كان الأجدر بك أن تكون أنت الملك، لكنك أعطيت العرش لغيرك، كان الأجدر بك أن تقدم هذه الجائزة لميدي بدلاً من فارسي، لكنك فرضت على الميديين العبودية بسوء تصرفك هذا.

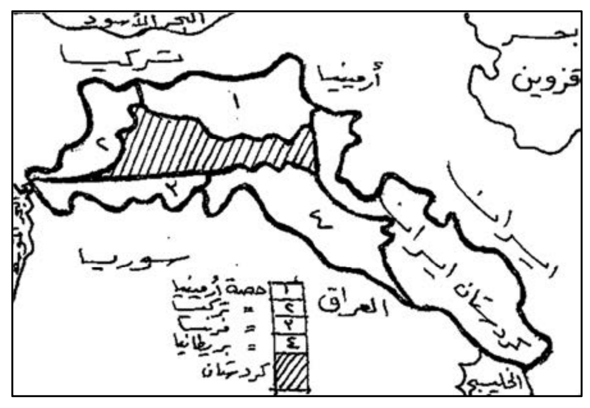
قسم الخرائط والمصورات



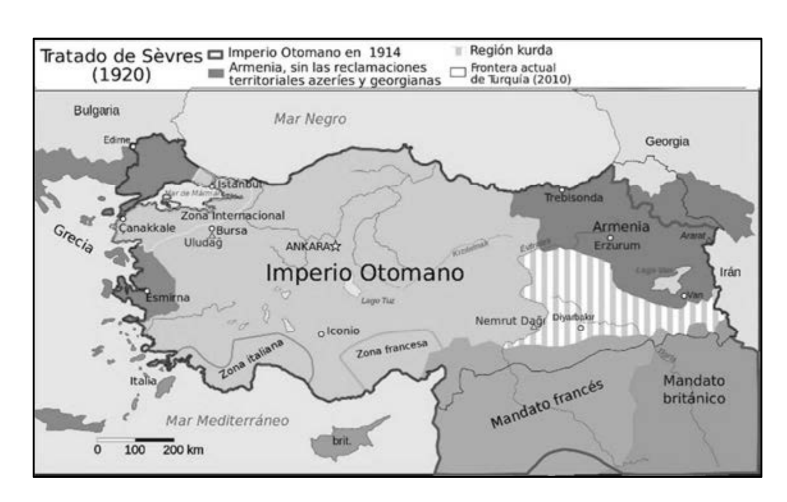
الخريطة رقم (١): كردستان الكبرى



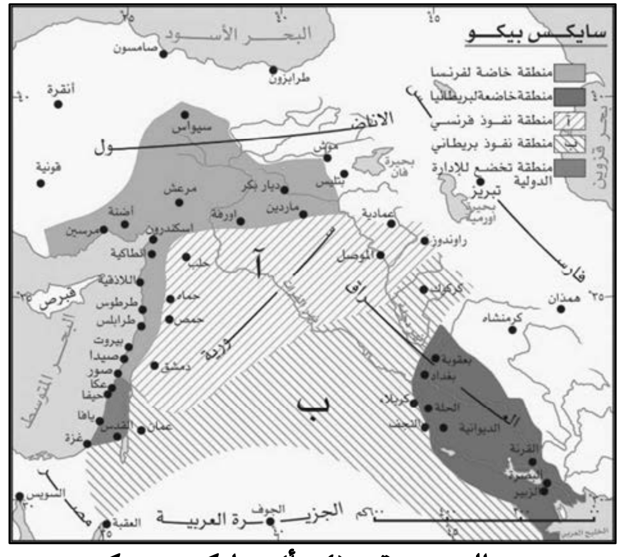
الخريطة رقم (٢): كردستان بعد التقسيم الأول



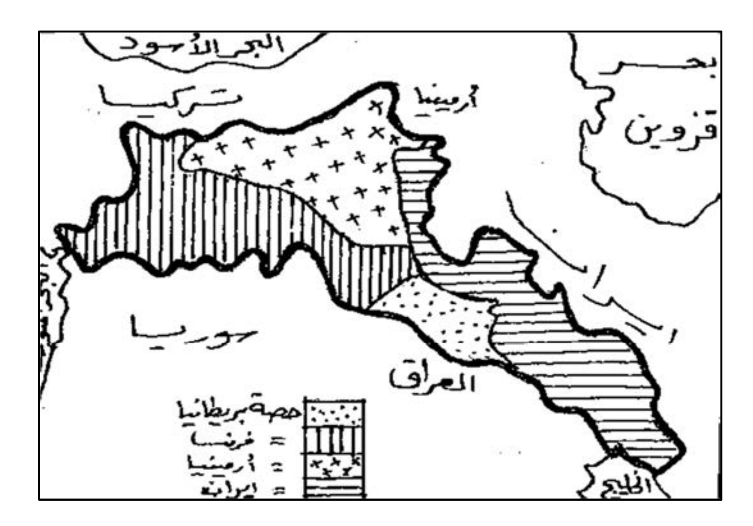
الخريطة رقم (٣– أ): كردستان وفق معاهدة سيفر



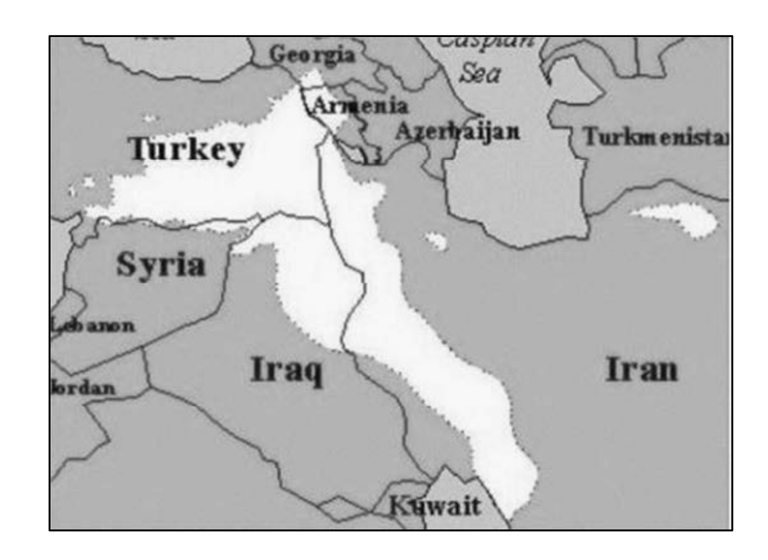
المصور رقم (٣– ب): وفق معاهدة سيفر، لاحظ الجزء المقلم الذي يمثل كردستان



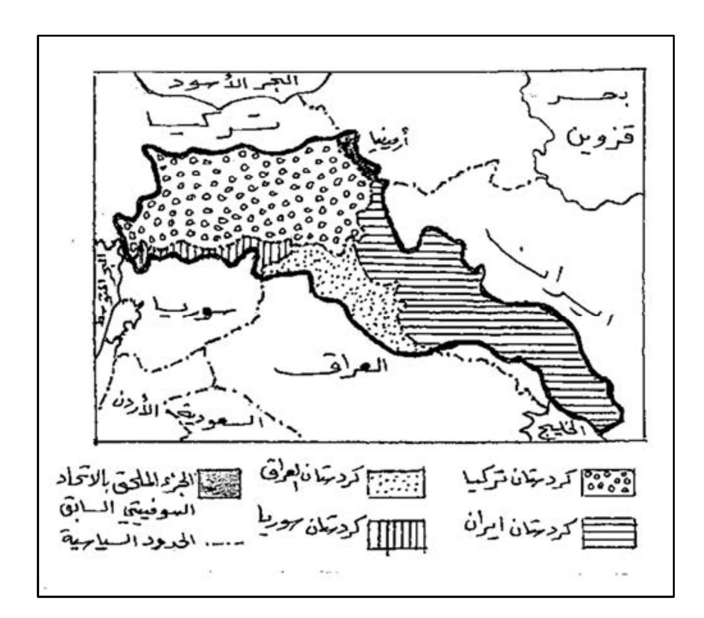
المصور رقم (٤– أ): سايكس – بيكو



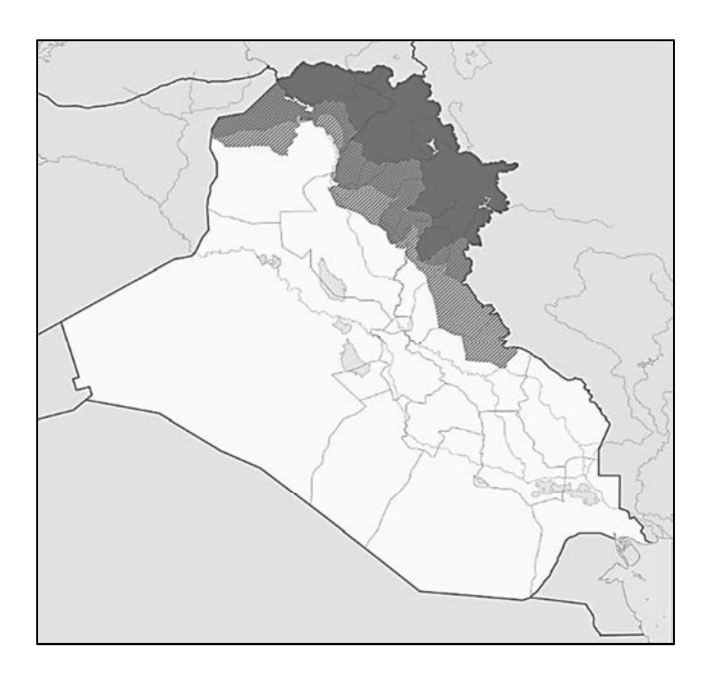
الخريطة رقم (٤– ب): تقسيم كردستان وفق سايكس بيكو



المصور رقم (٥– أ): كردستان بأجزائها الخمسة



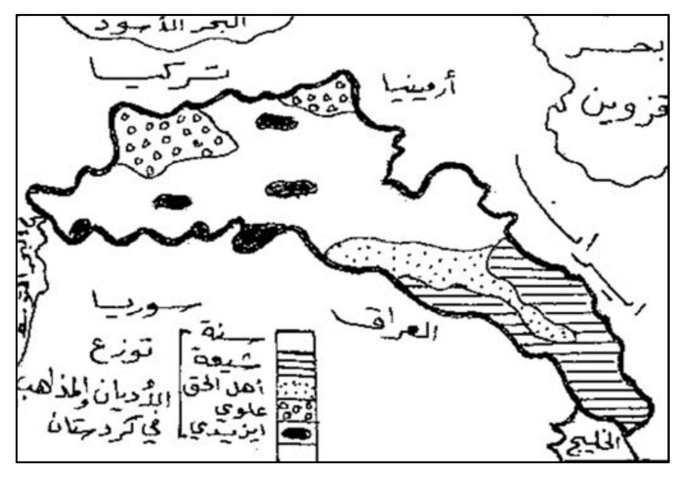
الخريطة رقم (٥– ب): كردستان بأجزائها الخمسة



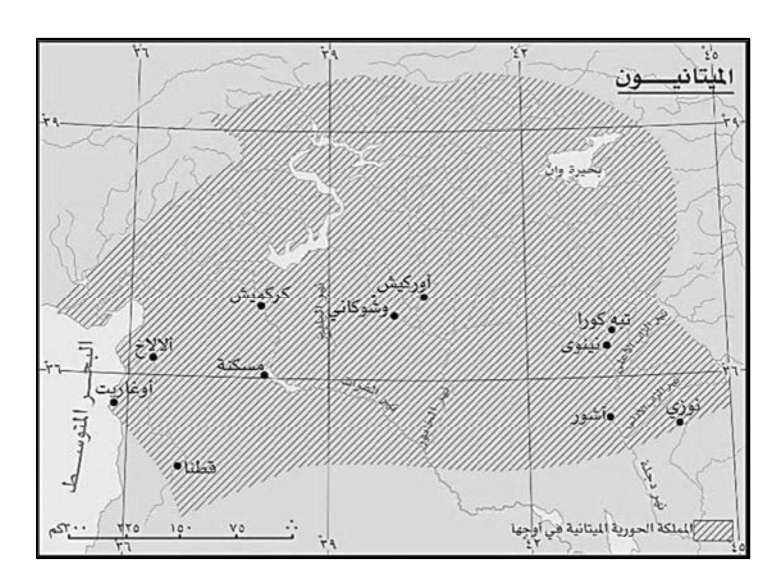
المصور رقم (٦): كردستان العراق، لاحظ المناطق التي تعرضت للتعريب



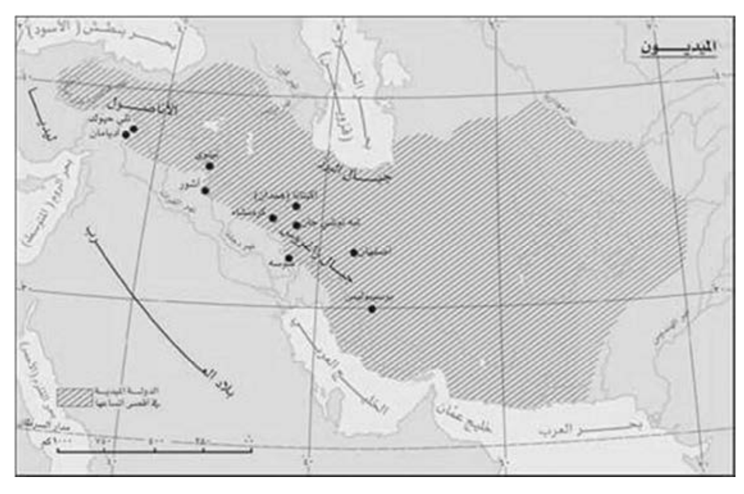
المصور رقم (٧): كردستان الحمراء بين أذربيجان
وناغورني كاراباخ شرقاً وأرمينيا غرباً



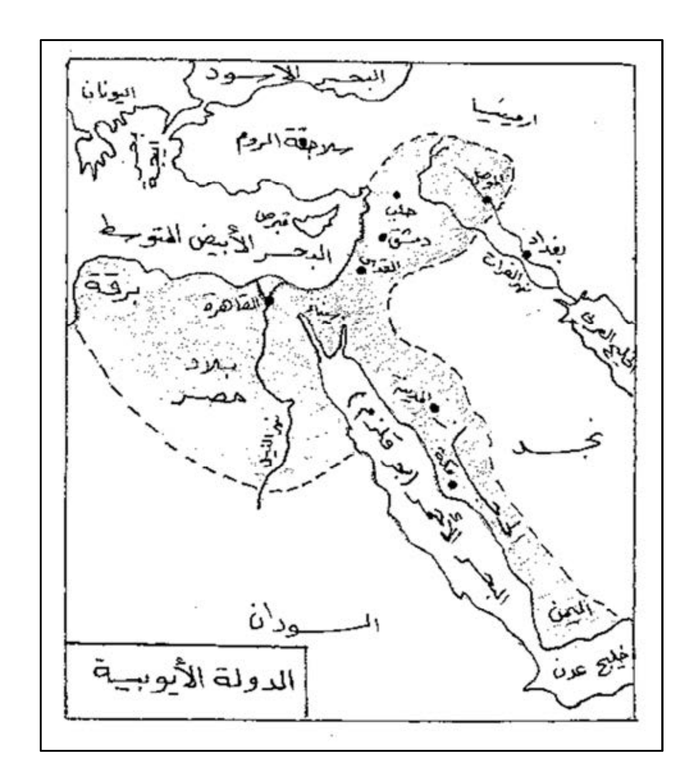
الخريطة رقم (٨): الدين والمذهب في كردستان



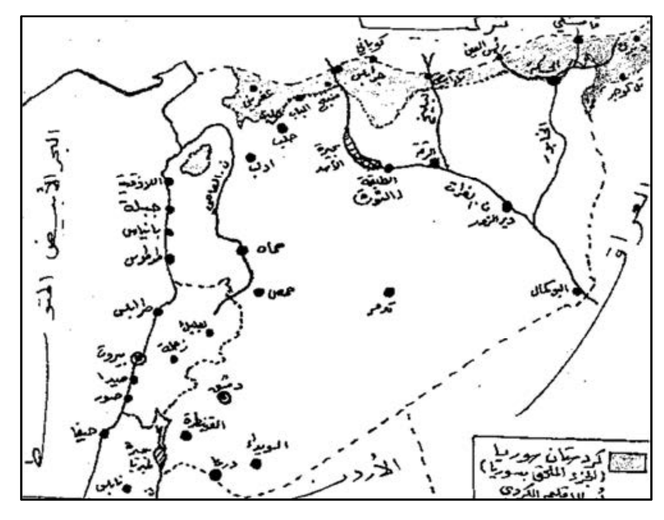
المصور رقم (٩): المملكة الحورية – الميتانية



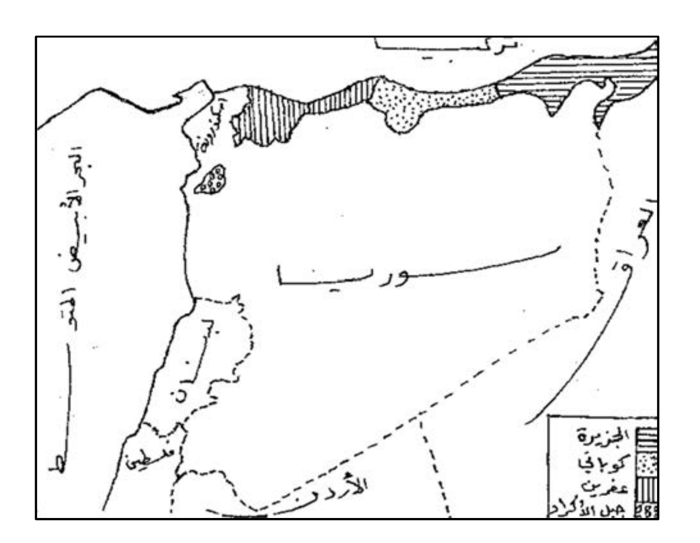
المصور رقم (١٠)الامبراطورية الميدية في أوجج ازدهارها



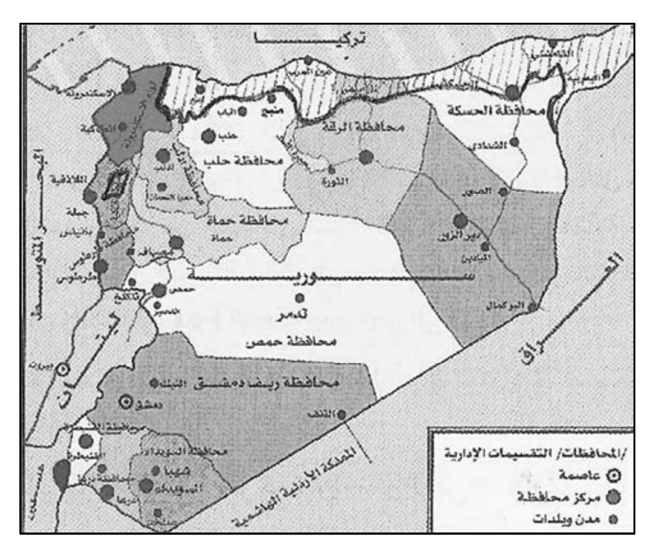
الخريطة رقم (١١): الدولة التي أقامها صلاح الدين



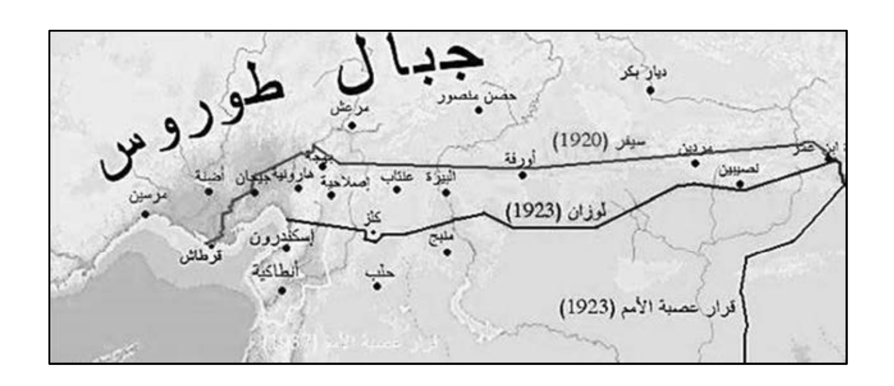
الخريطة رقم (١٢): كردستان سوريا



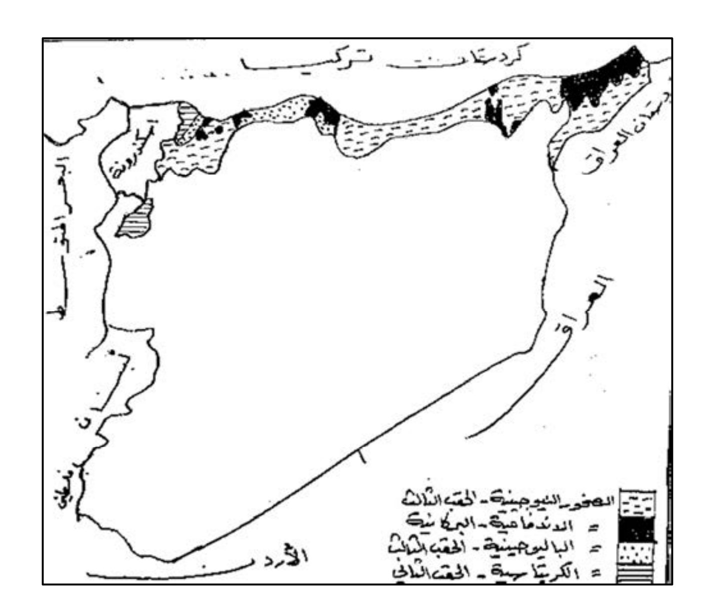
الخريطة رقم (١٣): المناطق ذات الغالبية الكردية



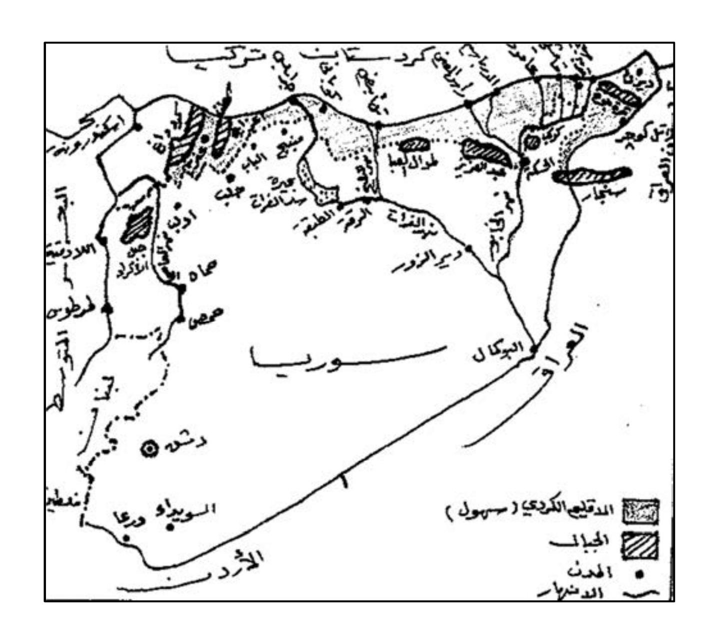
المصور رقم (١٤):توزع الكرد وفق التقسيمات الادارية في سوريا



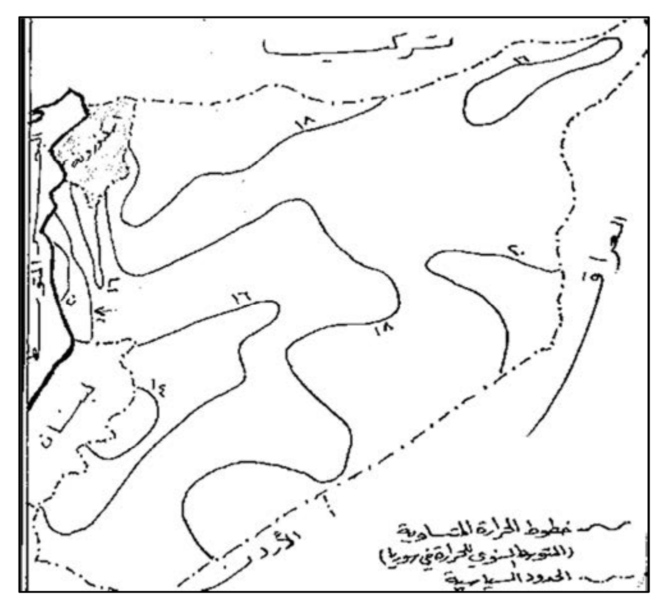
المصور رقم (١٥): يظهر مراحل رسم الحدود بين كردستان تركيا وسوريا



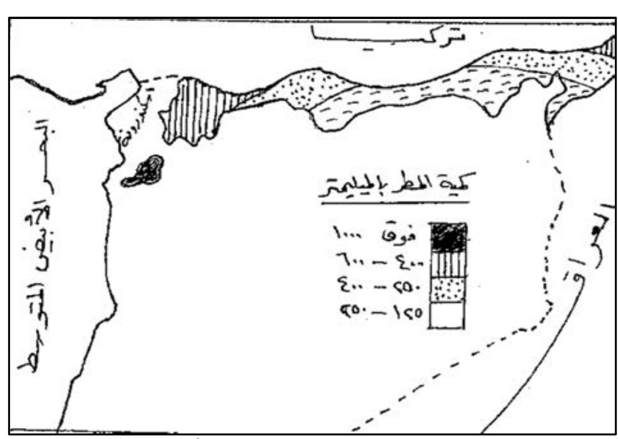
الخريطة رقم (١٦): توزع الصخور الجيولوجية



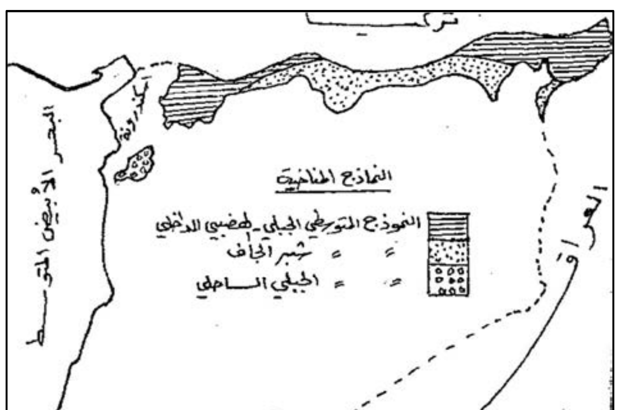
الخريطة رقم (١٧): الجبال



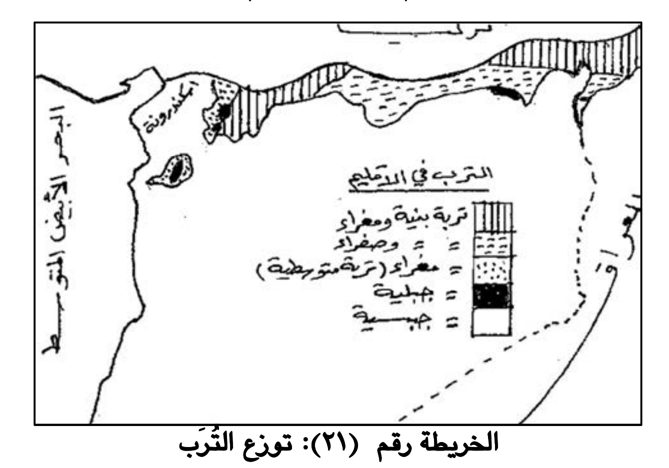
الخريطة رقم (١٨): المتوسط السنوي لخطوط الحرارة المتساوية



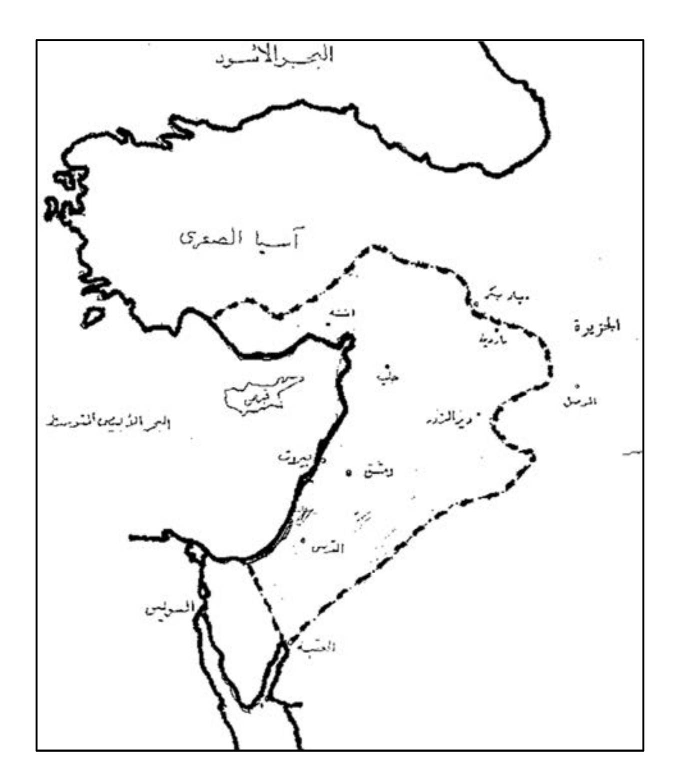
الخريطة رقم (١٩): توزع الأمطار



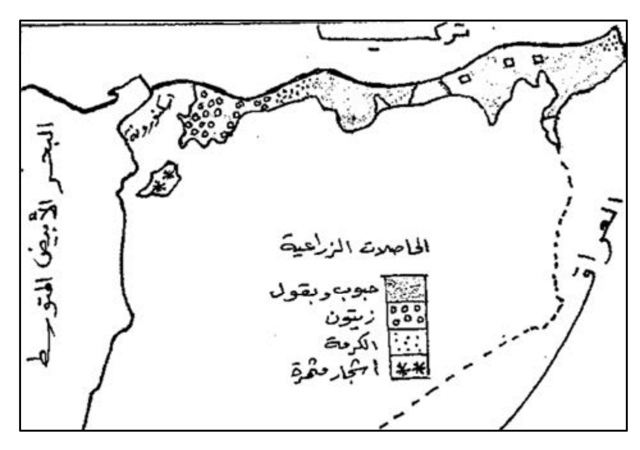
الخريطة رقم (٢٠): الأقاليم المناخية



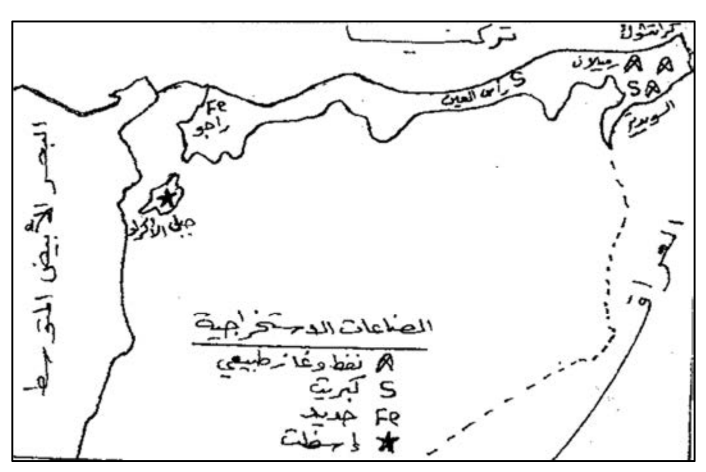
الخريطة رقم (٢١): توزع التُرَب



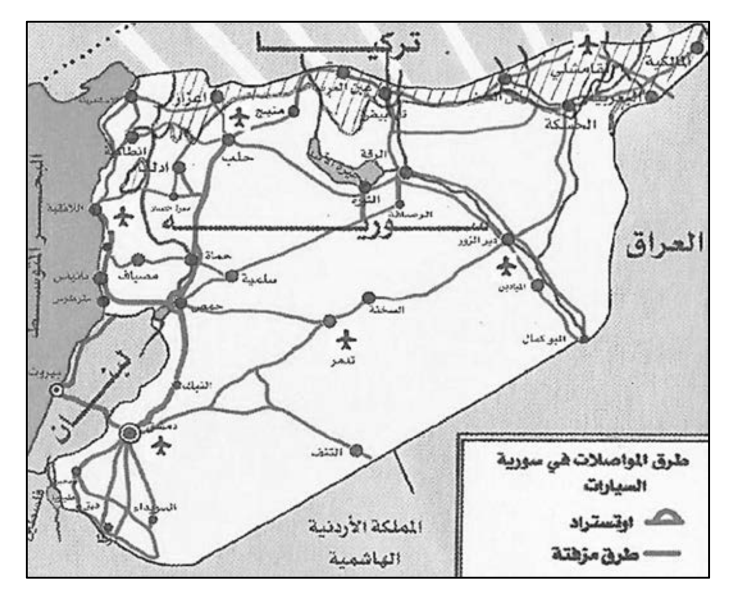
الخريطة رقم (٢٢): امتداد بلاد الشام الطبيعي – الافتراضي



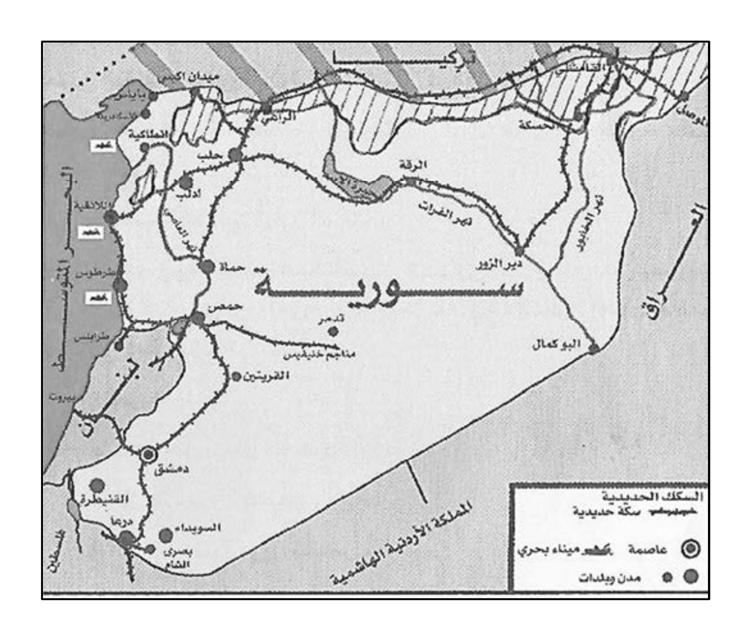
الخريطة رقم (٢٣):الحاصلات الزراعية



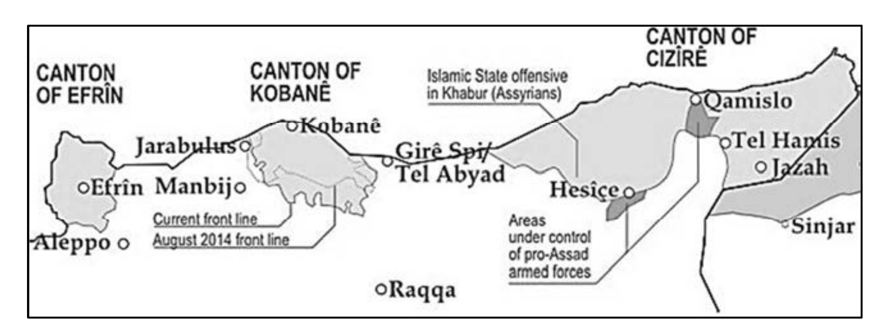
الخريطة رقم (٢٤): الصناعة الاستخراجية



المصوررقم (٢٥):الطرق الاسفلتية والمطارات

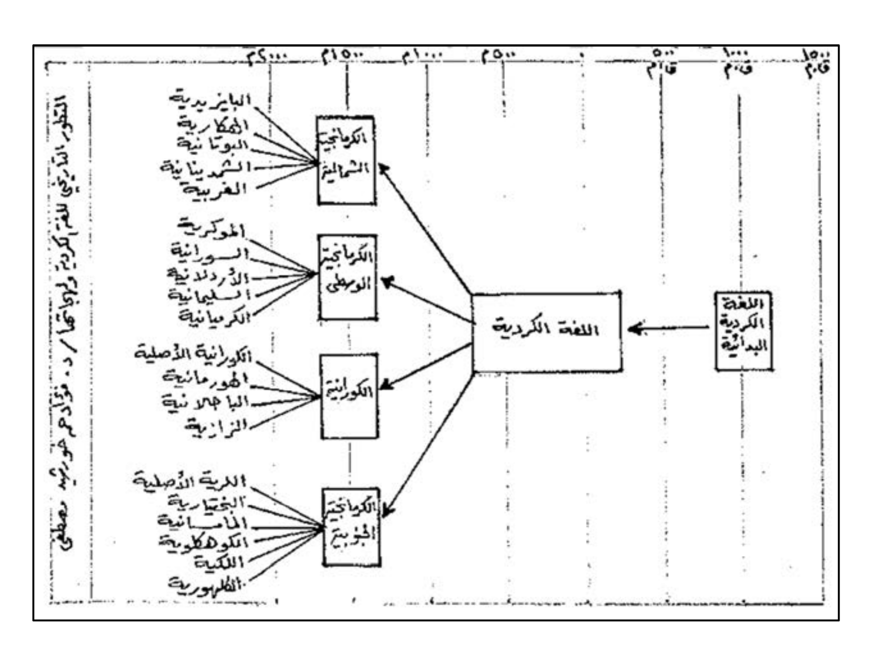


المصور رقم (٢٦): السكك الحديدية والموانىء

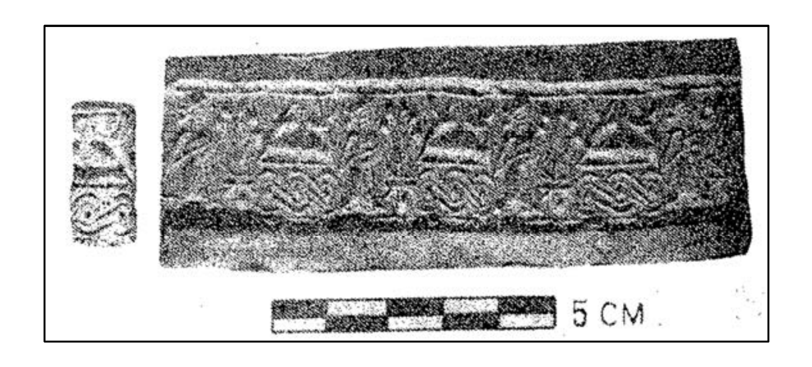


المصور رقم (٢٧): الكانتونات الثلاث التي أقامها P.Y.D

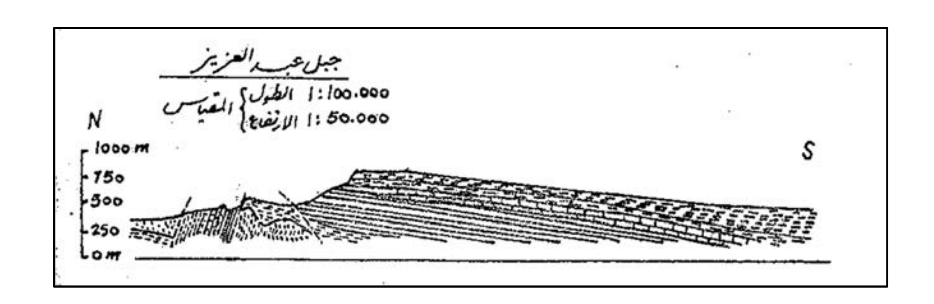
قسم الأشكال

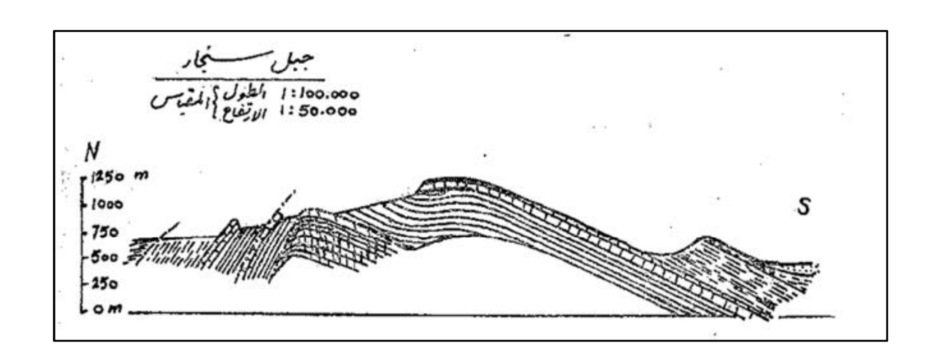


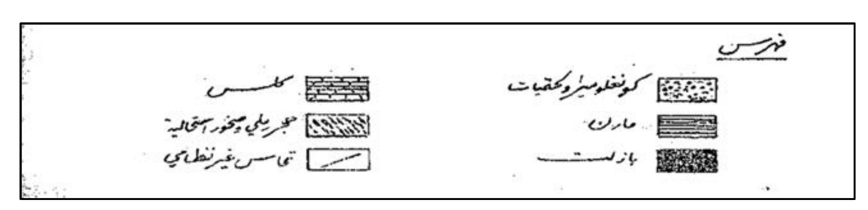
الشكل رقم (١): جدول اللغات



الشكل رقم (٢): ختم وطبعة، يمثلان خصائص الفن الزخرفي في العصر الميتاني

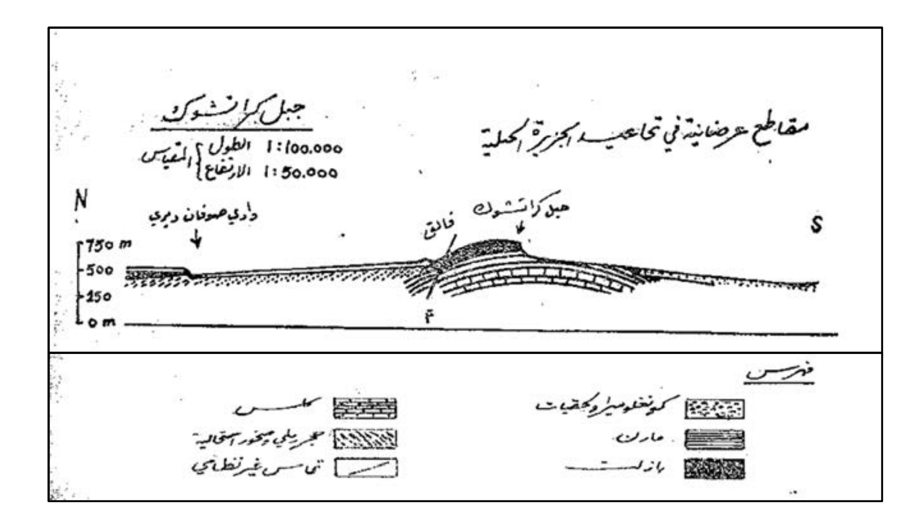






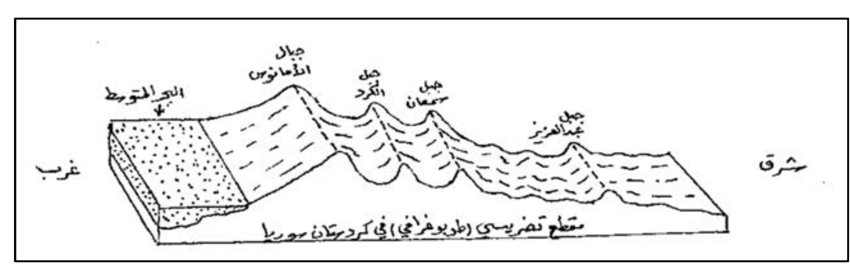
منقول من جيولوجية سوريا ولبنان/ ل. دوبررتريه – ترجمة: د. ميخائيل معطي

الشكل (٣): مقطعان جيولوجيان في جبلي عبدالعزيز وسنجار

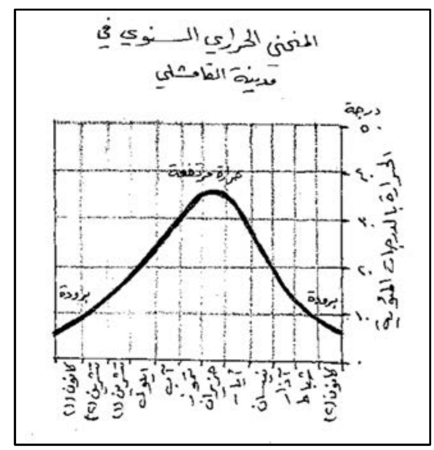


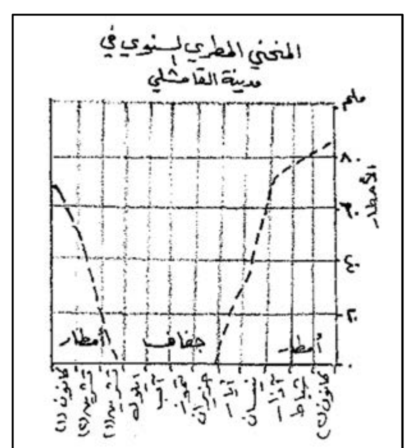
منقول من جيولوجية سوريا ولبنان/ ل. دوبرتريه – ترجمة: د. ميخائيل معطي

الشكل (٤): مقطع جيولوجي في جبل قره جوخ

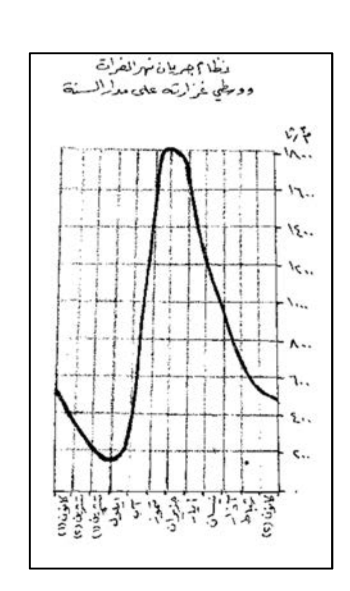


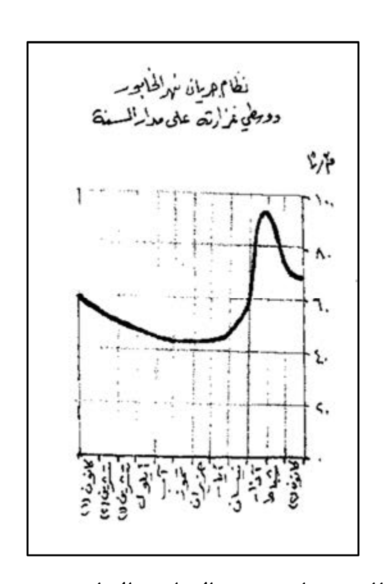
الشكل (٥): مقطع تضريسي في كردستان سوريا





الشكلان (٦) و (٧): يمثلان المنحني البياني
لتبدلات الحرارة والأمطار في مدينة القامشلي





الشكلان (٨) و (٩): يمثلان نظام جريان نهري الفرات والخابور

قسم المواقع الأثرية

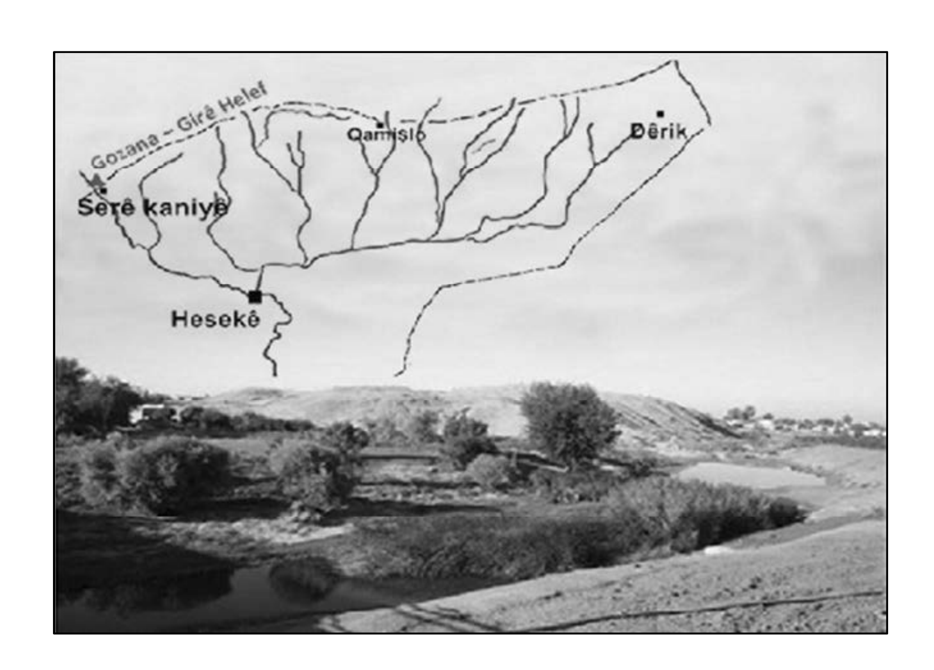
قسم المواقع الأثرية

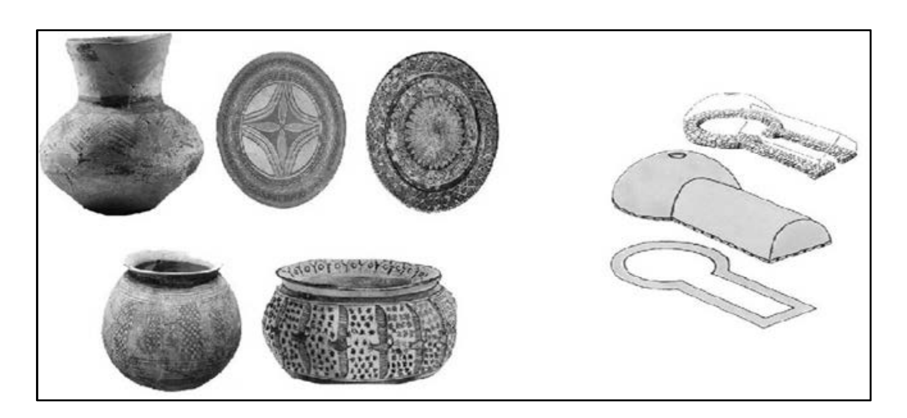
في محاولة من النظام لنسف ذاكرة الكرد وطمس تاريخهم التليد والنيل من هويتهم، ألحق أضراراً بكنوزنا الأثرية وتراث أسلاف الكرد، وبدلاً من اتخاذ التدابير لصيانتها وترميمها وصونها من أيدي العابثين بها، كونها تشكل جزءاً من الارث الحضاري الانساني، جرى التعتيم عليها وطمس الحقائق التاريخية المخزونة فيها،أونهبها وسرقتها وتهريبها عبر التجارة غير المشروعة من قبل المتنفذين بشكل ممنهج. وذهبت بعض الدول التي تقتسم كردستان (تركيا مثلاً) إلى أبعد من ذلك، حين عمدت إلى محو الذاكرة عن سبق الاصرار والتصميم من خلال غمر المناطق الأثرية التي تخص الكرد بالمياه، تحت ذريعة إقامة السدود، أو تحت حجة المصلحة العامة، وقل الشيء نفسه عن داعش وأخواتها التي قامت بتحطيم وتدمير كنوزنا الحضارية بشكل متعمد، رغم أن منظمة اليونسكو تصر على اتخاذ الدول المعنية التدابير اللازمة لحمايتها وفق قواعد القانون الدولي. فطبقاً لاتفاقية لاهاي لعام ١٩٠٧م (يعدُّ أي تراث وطني إرثاً حضارياً عالمياً، ويضع العرف والقانون الدولي المسؤولية على الجهات التي تقوم بتدمير أو سرقة أو تخريب هذا التراث، باعتبارها مسؤولية دولية)[١].

لا يسعني في الختام سوى تقديم الشكر لشعبة الآثار في القامشلي التي تكرمت عليَّ بأرشيفها عن مجموعة التلال الأثرية في منطقة الجزيرة، وأخص بالذكر الدكتور سليمان الياس، رئيس الشعبة. ومن المفيد التنويه أن هناك تعتيماً اعلامياً على النتائج التي توصلت اليها البعثات الأجنبية التي تقوم بنفض الغبار عن التاريخ القديم للمنطقة، خصوصاً التاريخ الحوري – الميتاني.

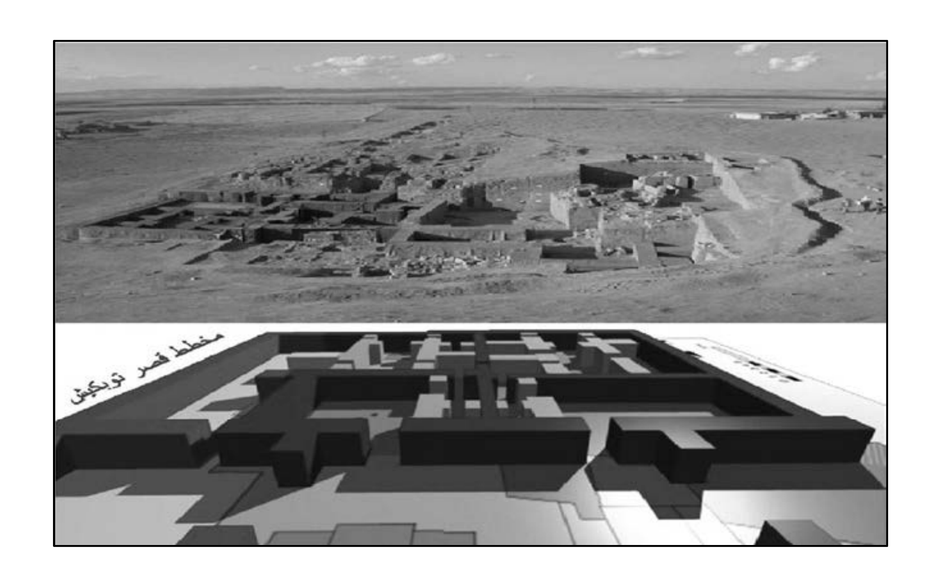
---

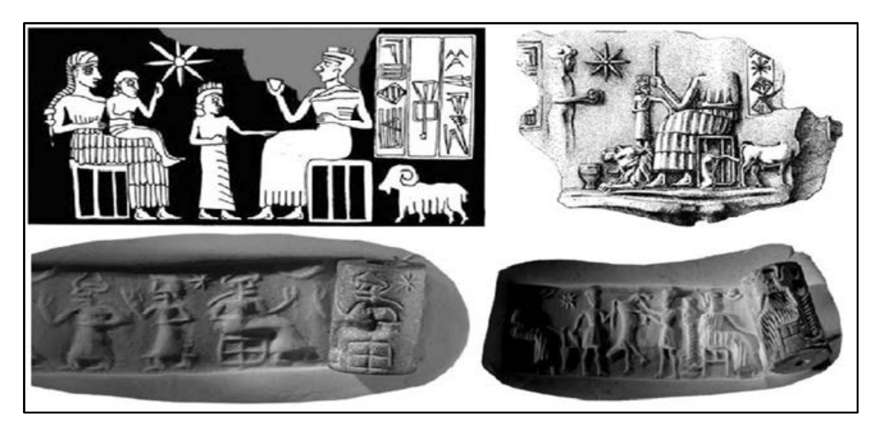
(١)– د. عبد الحسين شعبان: الهوية والمواطنة/ البدائل الملتبسة والحداثة المتعثِّرة – مركز دراسات الوحدة العربية – ط١عام ٢٠١٧م – ص٧٦.



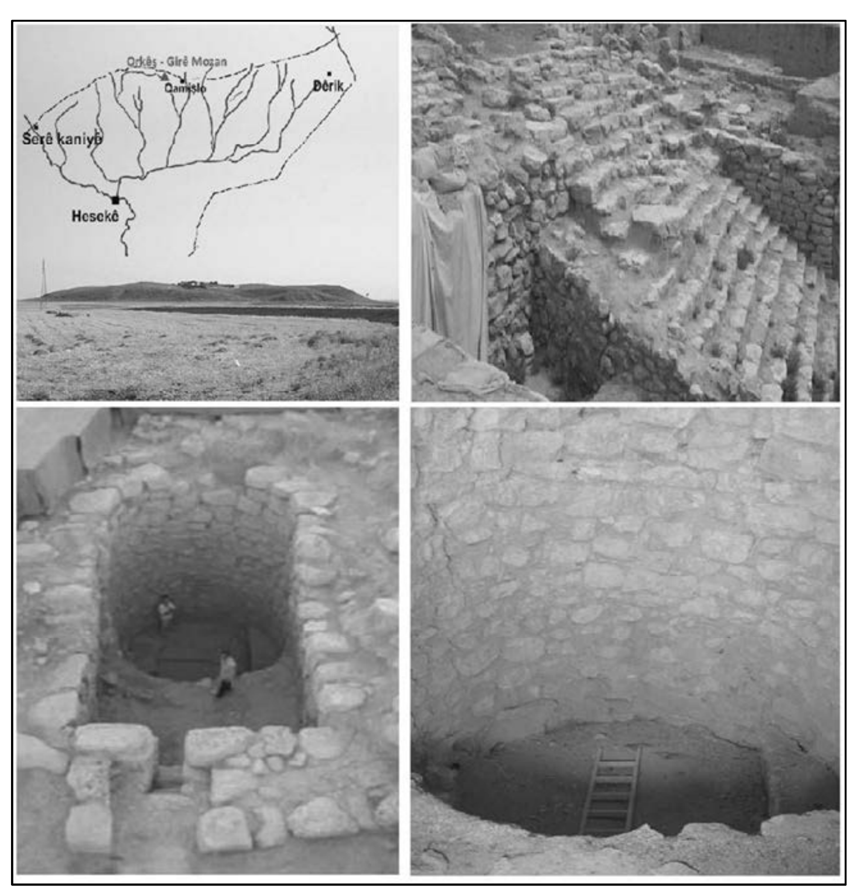


الموقع (١) – تل حلف / أواني فخارية

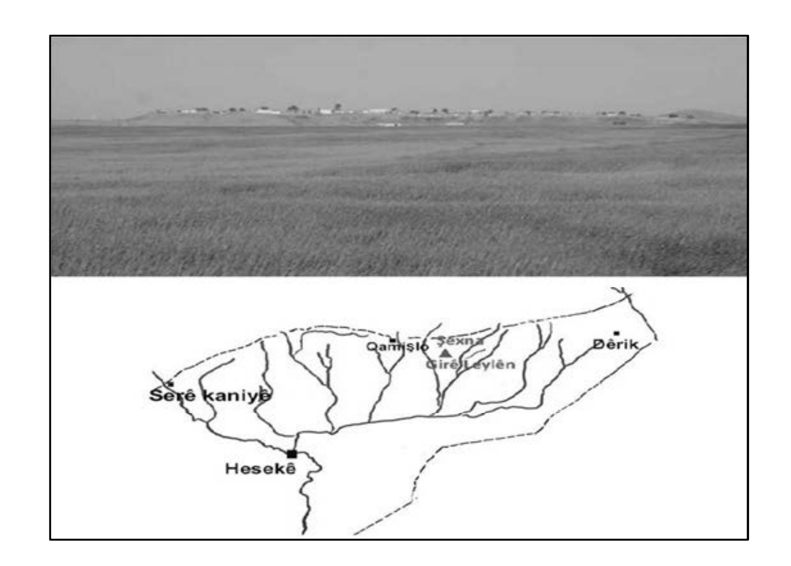


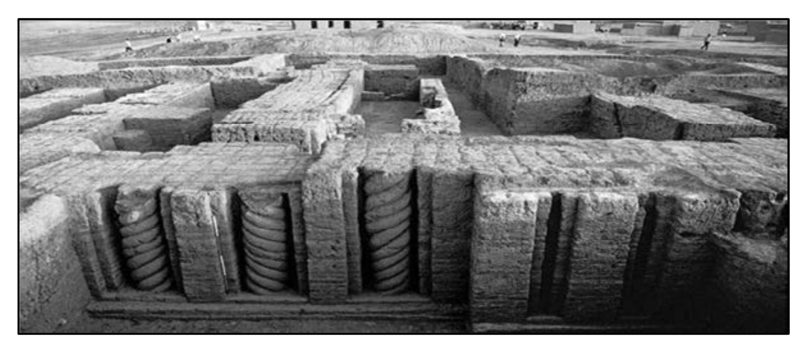


الموقع (٢– أ) – تل موزان (أوركيش)/ أختام

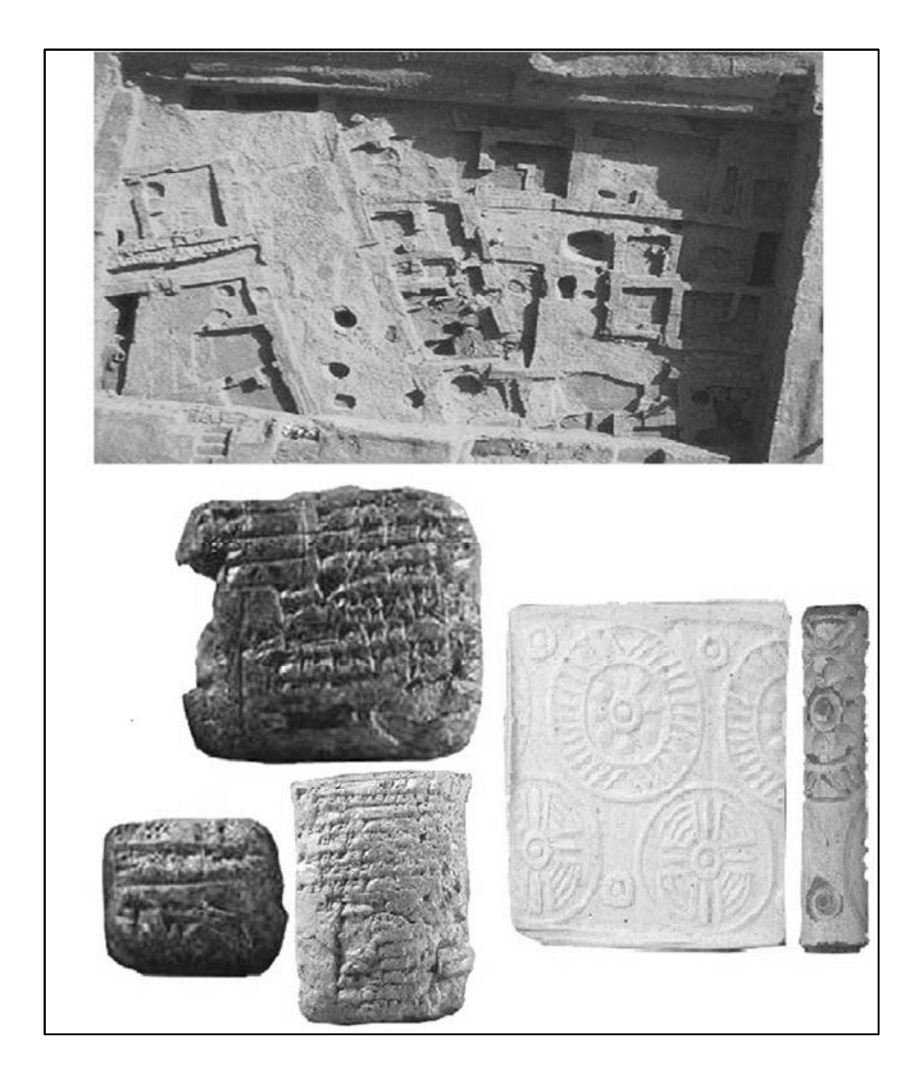


الموقع (٢– ب)– تل موزان (أوركيش)/ المعبد

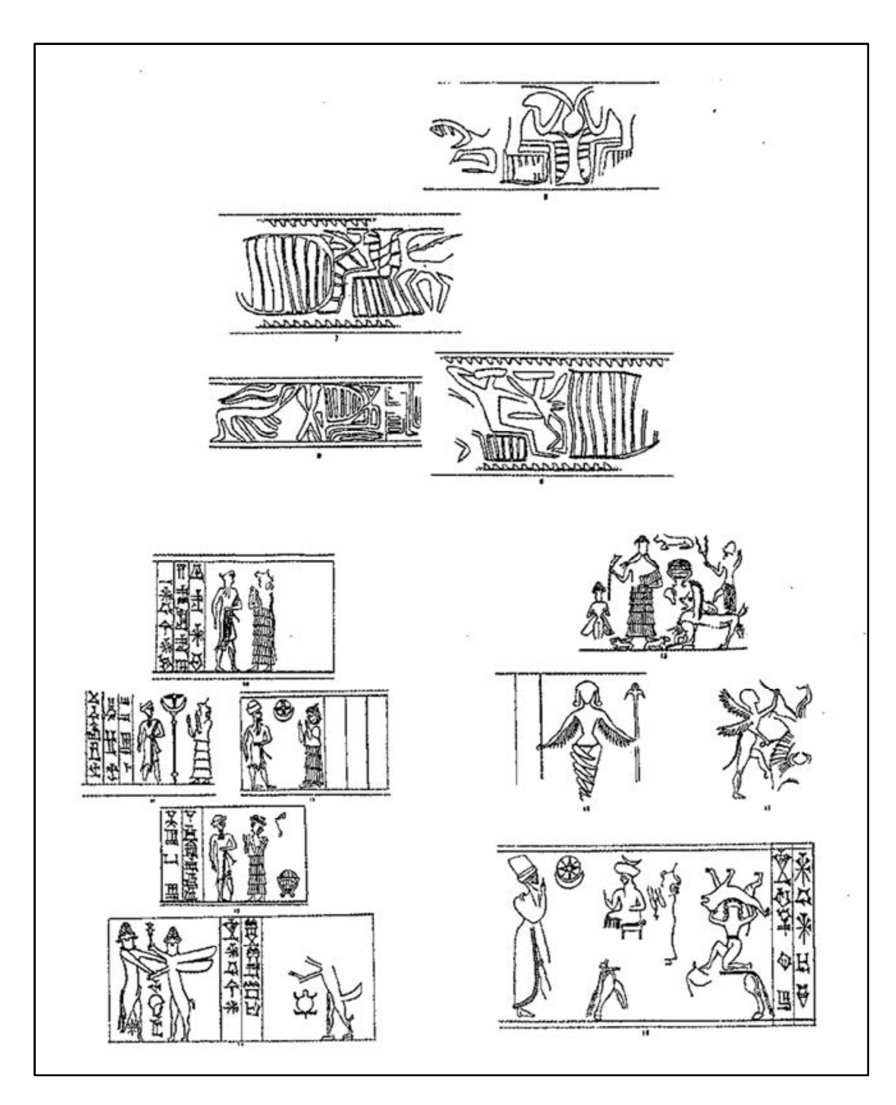




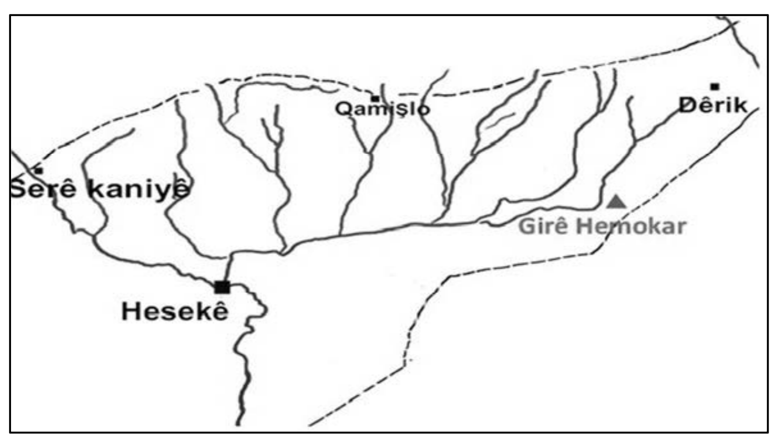
الموقع (٣– أ)– تل ليلان/ المعبد



الموقع (٣- ب) – ليلان/ رقم وكتابات



الأشكال تمثل (رُقُم) أكتشفت في تل ليلان

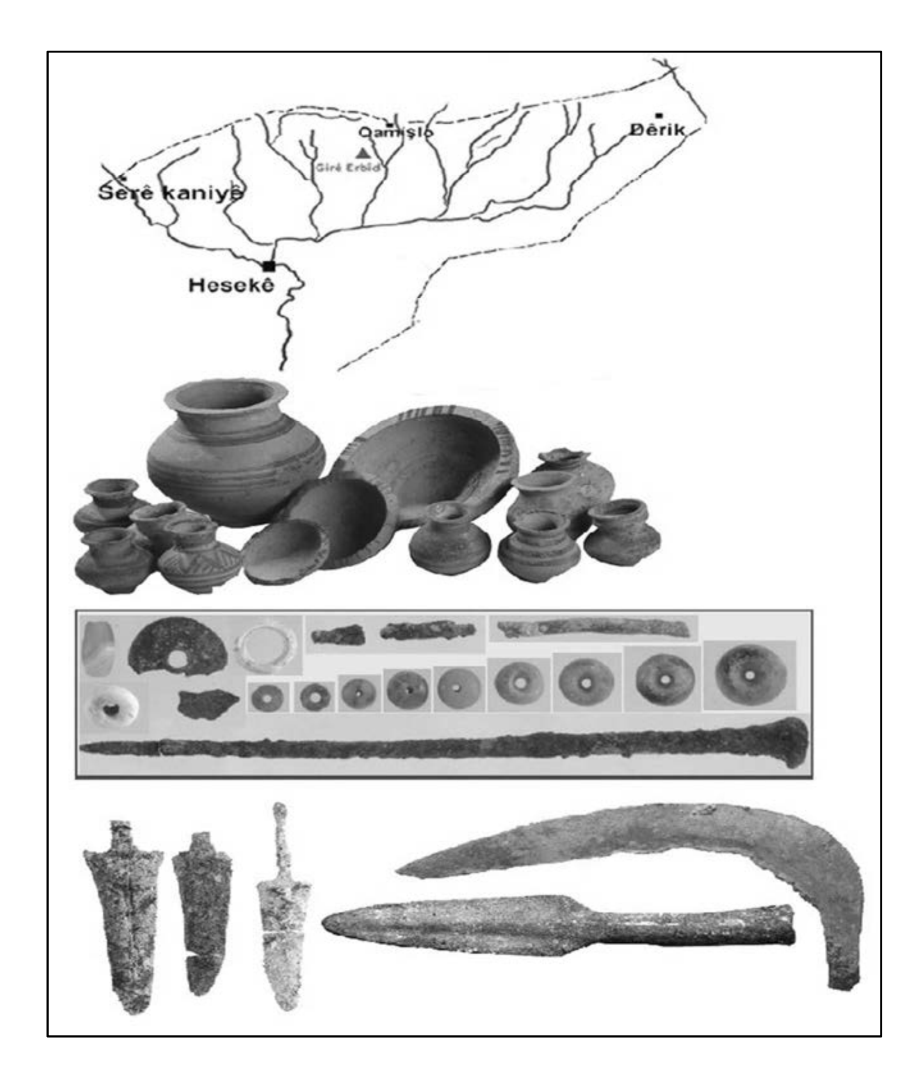




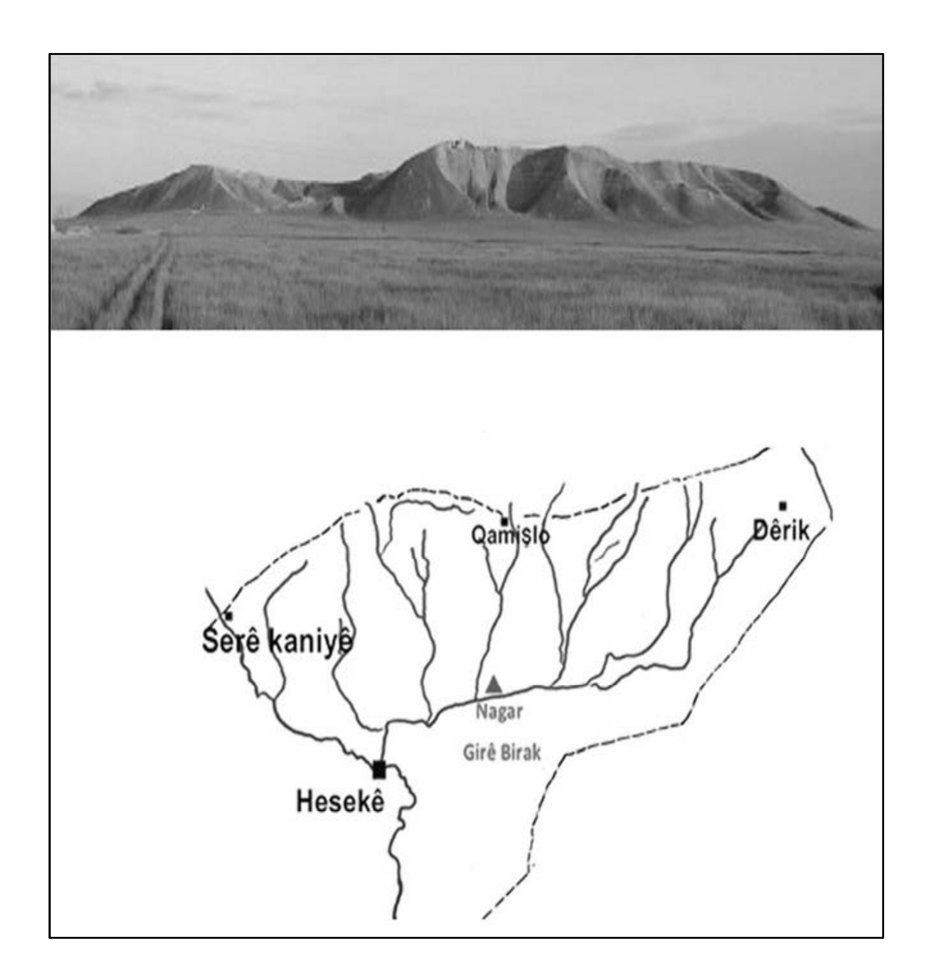
الموقع (٤– أ) – تل حموكر



الموقع (٤– ب) – تل حموكر / طلقات وأختام



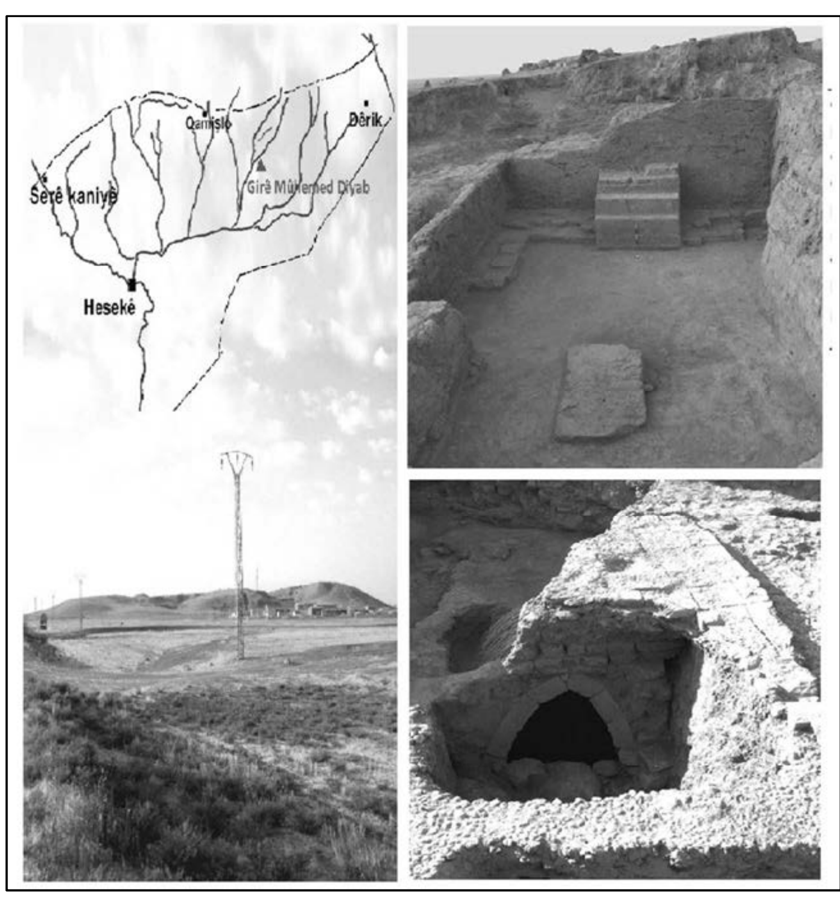
الموقع (٥) – تل عربيد



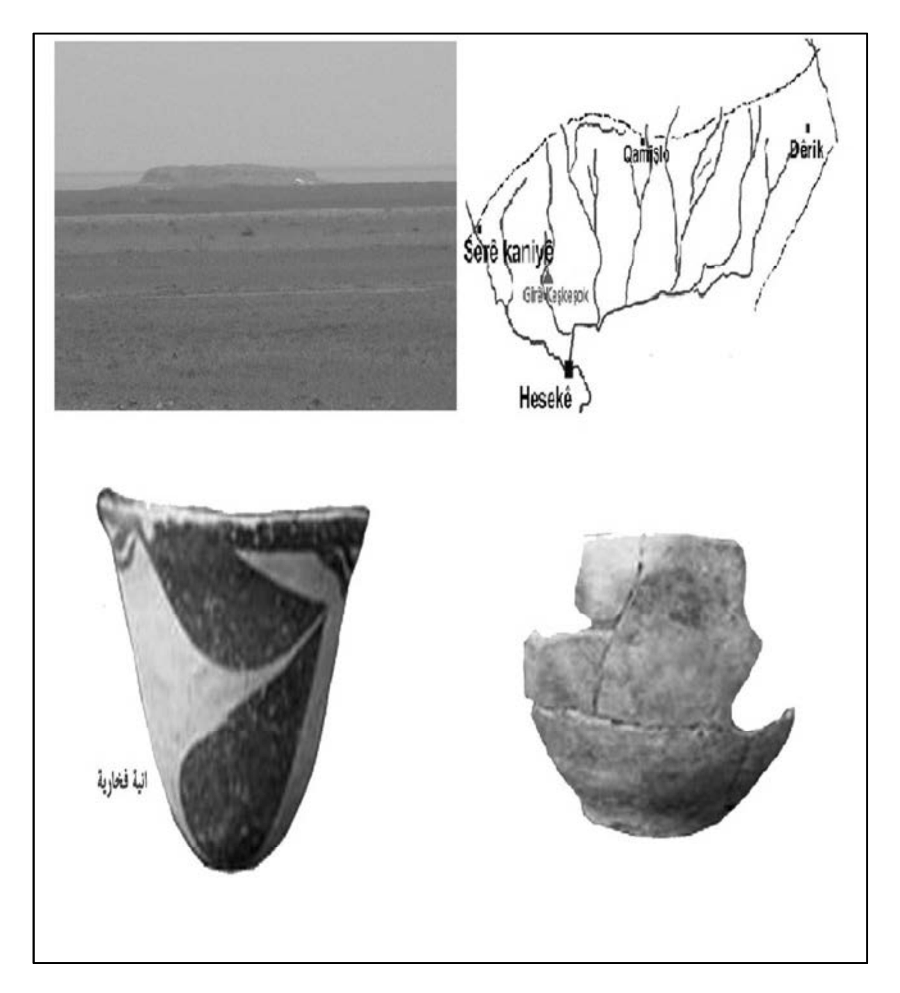
الموقع (٦–أ) – تل براك



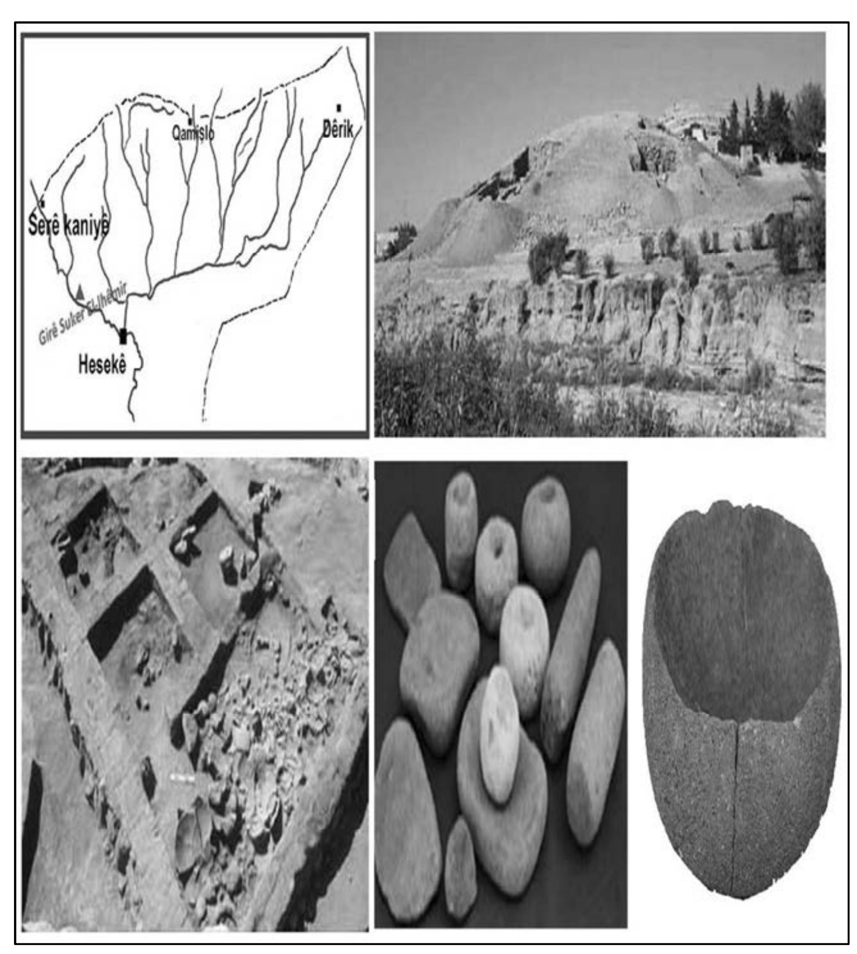
الموقع (٦–ب) – تل براك /تماثيل



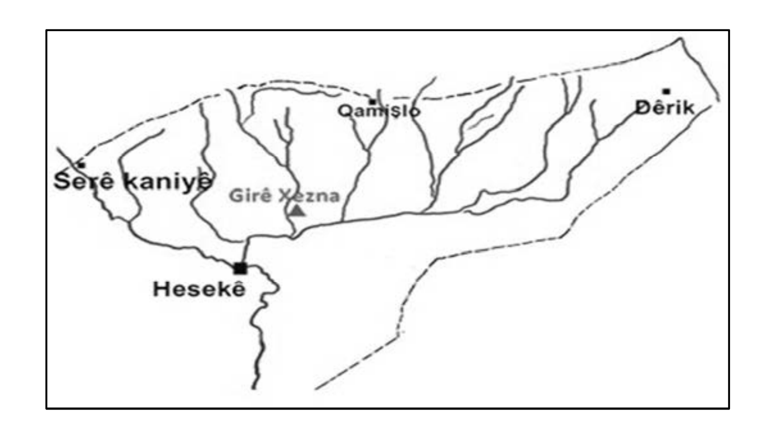
الموقع (٧) – تل محمد دياب/ معبد



الموقع (٨) – تل كشكشوك/ أواني فخارية



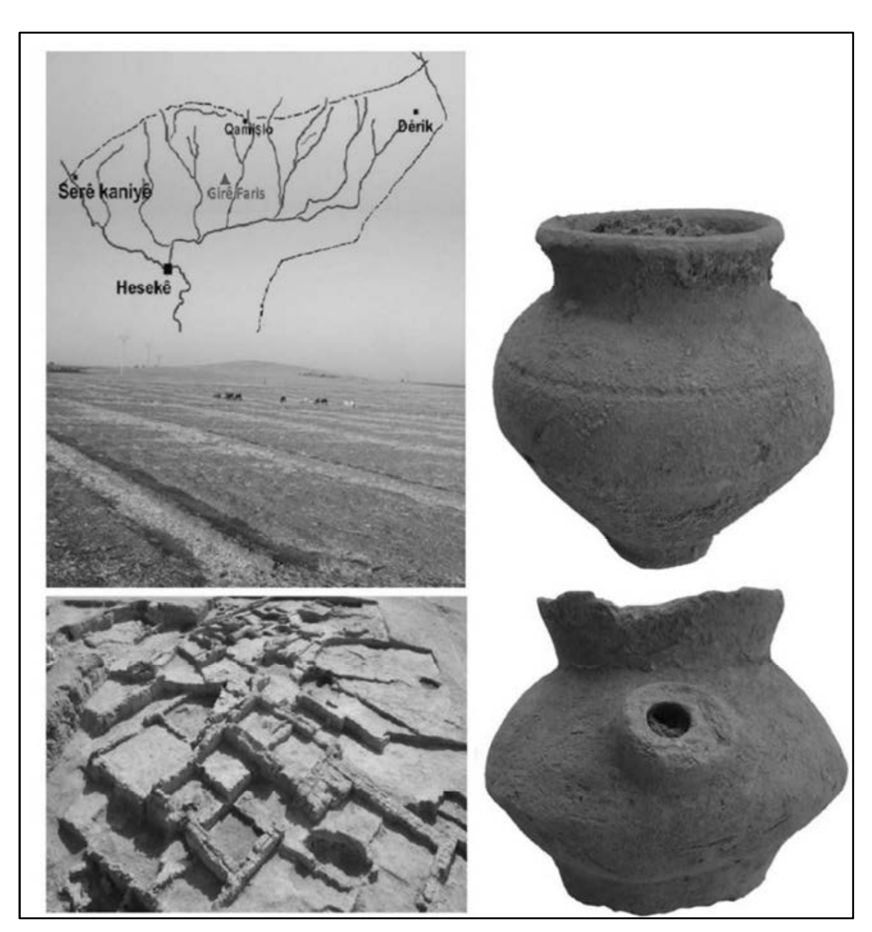
الموقع (٩) – تل سكر الاحيمر



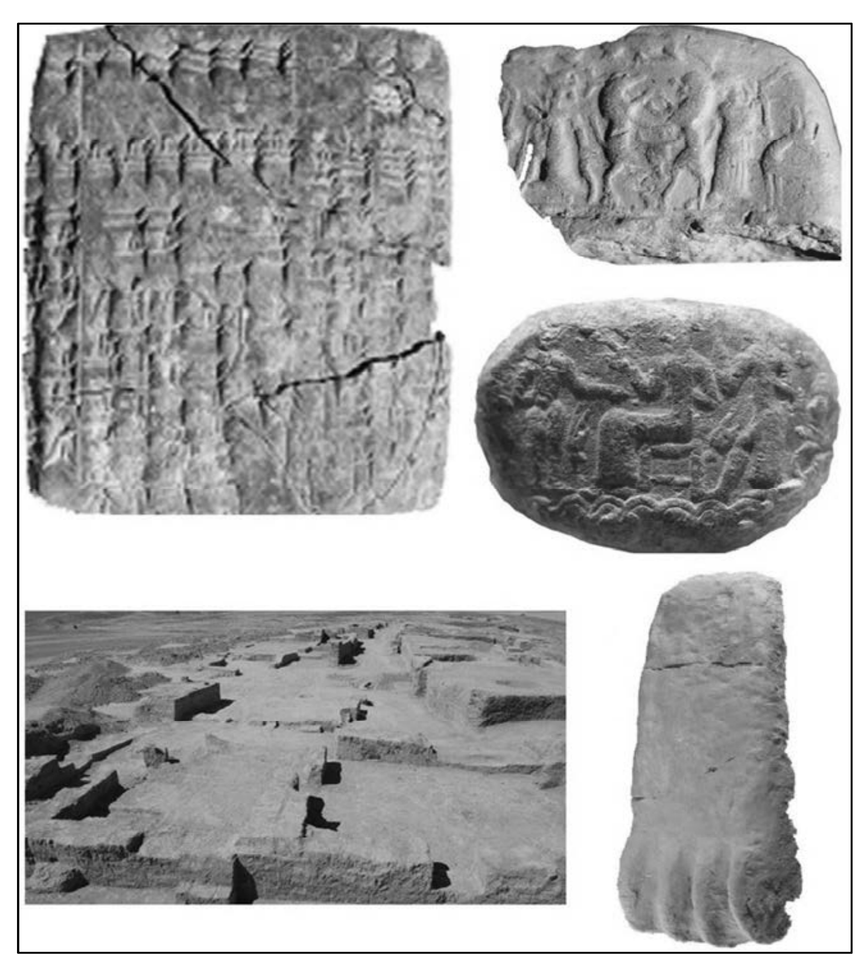




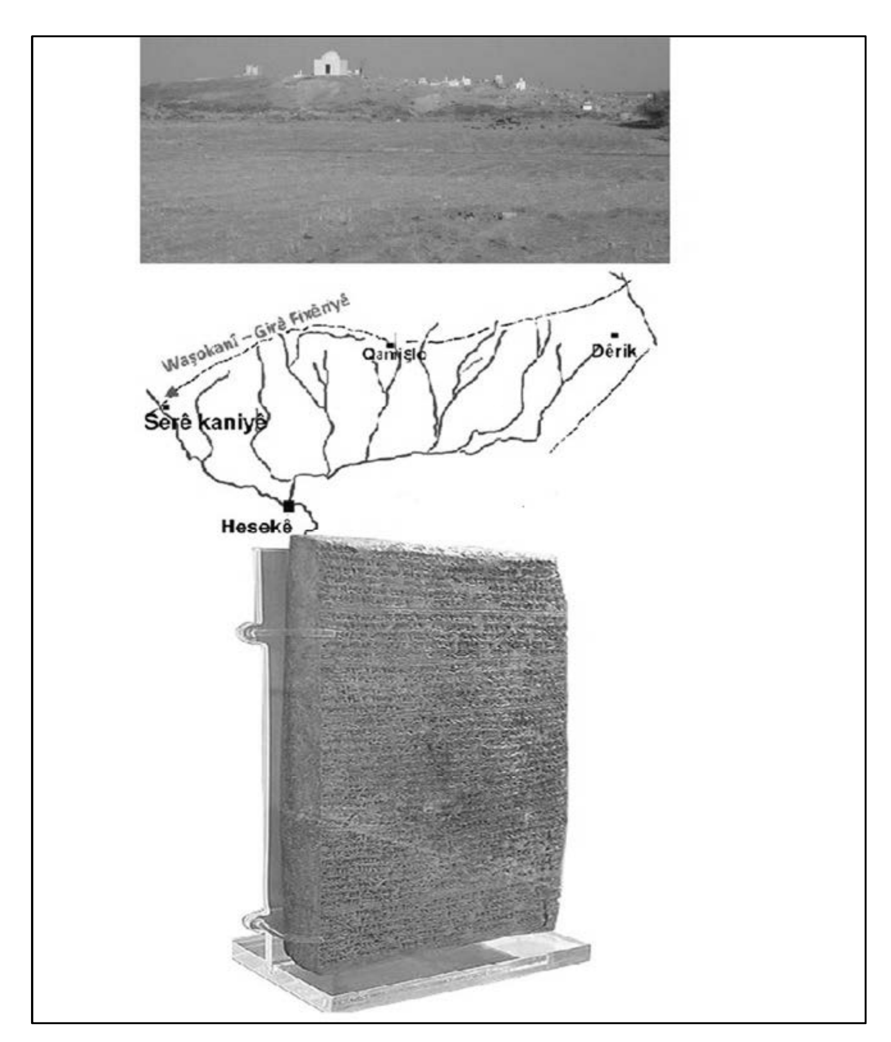
الموقع (١٠) – تل خزنة



الموقع (١١) – تل فارس الشرقي/ أواني فخارية



الموقع (١٢) – تل حمدي/أختام ونصوص وقدم



الموقع (١٣) – تل الفخيرية/ رسالة ميتانية

محتويات البحث